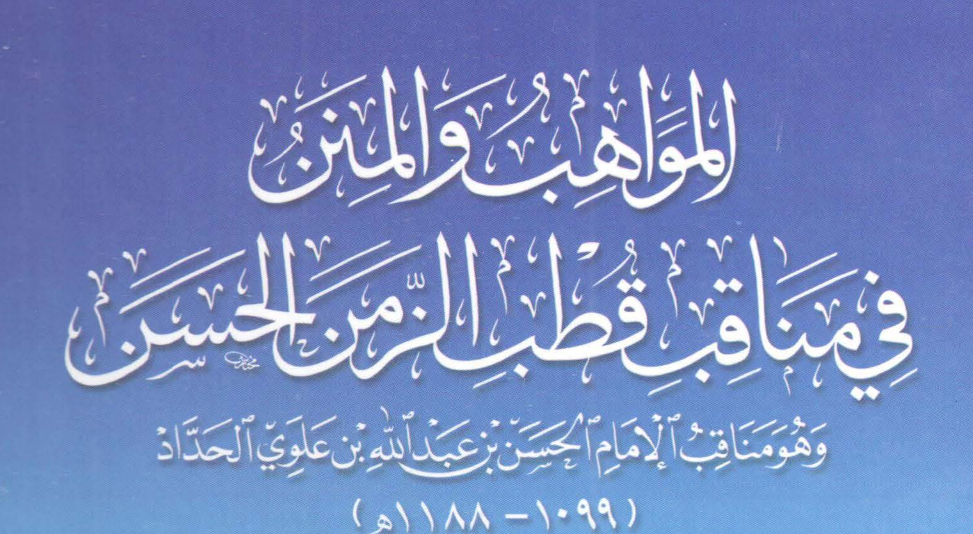


المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن

وهو مناقب الإمام الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد

(١٠٩٩ - ١١٨٨هـ)

تأليف حفيده العلامة

الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن الحداد

(ت ١٢٣٢هـ)

مقام الإمام الحداد

تريم - الحاوي

المواهب والمنن
في مناقب قطب الزمن الحسن

وهو مناقب الإمام الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد

١٠٩٩ - ١١٨٨ هـ

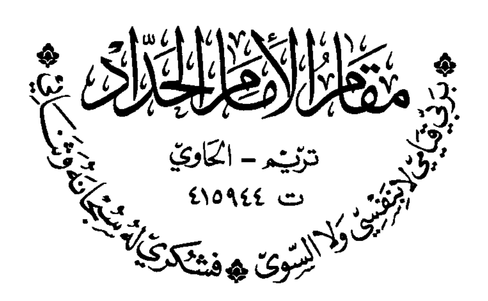
تأليف حفيده العلامة

الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن الحداد

ت ١٢٣٢ هـ

الطبعة الأولى : 1432هـ - 2011م

قياس القطع : 17 × 24



المواهب والمنن

في مناقب قطب الزمن الحسن

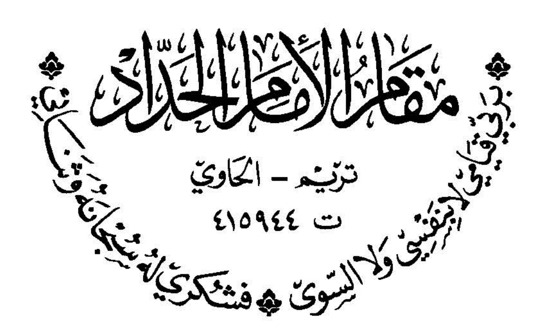
وهو مناقب الإمام الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد

١٠٩٩ - ١١٨٨هـ

تأليف حفيده العلامة

الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن الحداد

ت ١٢٣٢هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن هذا الكتاب القيم النفيس، الجامع النافع، يعدُّ من نوادرِ كتُبِ التاريخ الحضرمي، ويعَد نشرُه سبقاً تاريخياً، لأن نسخَ هذا الكتابِ كانت من النَدْرَة والنفاسَة، بحيثُ أن أكبرَ مؤرخي حضْرموت في القرن الرابع عشَر الهجري، السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) مصنف كتاب «الشامل»، كان يحاول الاطلاع عليه، لينقل منه تراجم أعلام الأسرة الحدادية.

ولما كانت نسخه قليلة في حضرموت والمهجَر، فقد كاتب وراسلَ من يتوسم فيهم النجدة، ليسعفوه بذلك. جاء في رسالةٍ منه لأخيه في الله العلامة علوي بن محمد بن طاهر الحداد، مؤرخة في محرم ١٣٥٥هـ، قوله: «ومن المؤسِف أننا لم نجدِ المراجعَ الكافية لأفاضِل آل الحداد، وهم ليسُوا بقليلٍ، مثلِ السيد علوي بن علوي وغيرهم، ممن رأينَا أسماءهم. والبسْطُ موجودٌ في «المواهب والمنن»»[1].

وظلّ صاحب الشامل يبحث عنه، إلىٰ سنة ١٣٦٥هـ، فمن رسالة مؤرخة في ربيع الأول من تلك السنة، جاء فيها قوله: و«المواهب والمنن» بقيتْ عند الأخ أحمد بن عبدالقادر، وطلبناهَا فأرسل الأول، وبقيَ الثاني لا يزالُ لديه»[2].

مما يدلّ على شدة اهتمامه به، وسعيه في النقل عنه، والاستمداد منه. بل وظل بعد هذا التاريخ إلىٰ ثلاث سنوات، ينظر ويطالع في هذا الكتاب، كما في رسالة منه مؤرخة

---

(١) بهجة الخاطر وسرور الفؤاد، ٢/ ٨٥٩.

(٢) بهجة الخاطر وسرور الفؤاد، ٢/ ٩٠٩.

في جمادى الأولى سنة ١٣٦٨هـ، قال فيها: «وكتاب «المواهب والمنَن» فرحْنا به، والكتابُ فيه فوائدُ وتكرير، ويحتاجُ إلى سبكٍ وحذْف، ورأيتُ فيه نقلاً عن كَلام الحبيب عبدالله الحداد، الذي جمعه الحسَاوي ليسَ في «تثبيت الفؤاد»، على ما أتذكر».

وقال فيها أيضاً:

> أمّا ما ذكرتُم عن الكتُب المخطوطة الموجودة عندكم، وتخوُّفكم عليها، فالذي أراه، أن تجعَلها وقَفاً لرباطِ العلم الشريف في قَيدون،... ثم إني أرجُو إذا وصَلتْ أن تسهّل عليَّ ما أنا بصَدده من إبرازِ «مَشْرعٍ» جديد، لتراجم مَن بَعد صاحب «المشرع». وفي «المواهب والمنن» مرجعٌ طيبٌ مع «عقد اليواقيت الجوهرية»، وما سمعناه من الحبيبِ أحمد بن حسن العطاس، ومجموعُ كلامه»[٣]، انتهى.

وفي تأمل كلام هذا العلامة الجليل كفاية في التنبيه على أهمية هذا الكتاب، وما قل وكفى، خير مما كثر وألهى.

قيمته العلمية والتاريخية:

يحتوي كتاب «المواهب والمنن»، على مادة تاريخية دسمةٍ لأخبار وتراجم رجال القرن الثاني والثالث عشر، في حضرموت، وهو وإن كان مختصاً بترجمة علم من أعلام ذلك العصر، إلا أن موهبة مؤلفه في التأليف، جعلت منه أشبه بقاموس تراجم، فضمن كتابه هذا الكثير من الأخبار عن رجال ذلك العصر.

فهو يذكر الخبر أو القصة (الحكاية)، ويضمنها أسماء الأعلام، والتواريخ، ووفيات بعض الأعلام المذكورين، ويستطرد إلىٰ ذكر أحداث مشابهة، ويورد الأشباه

---

(٣) بهجة الخاطر وسرور الفؤاد، ٢/ ٩٢٨ـ٩٢٩.

والنظائر، كما اهتم المؤلف رحمه الله، بتعيين الأماكن، وضبط أسماء المواضع، وذكر المسافات غالباً، كما فيه ذكر لبعض السلاطين والولاة في مناطق شتى من حضرموت.

فالحمدلله الذي أعان على تحصيل هذا الكتاب، والسعي في نشره وتوفيره بين أيدي أهل العلم، ومحبي الفائدة والتاريخ، ولو لم يكن من النيات المقترنة بنشره إلا إذاعة أخبار الصالحين، وبث علومهم وأخبارهم بين ذراريهم، لكفى، والله الموفق.

النسخ المتوفرة من هذا الكتاب:

اتفقت النسختان الخطيتانِ، على تسميته بـكتاب «**المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن الحسن**»، وقد يسر المولى سبحانه الوقوفَ على نسختينِ خطيتين منه، تمت المقابلة عليهما، واستكمالُ ما وقع من نقصٍ أو خللٍ في تصْوير إحداهما من الأخرى، فجاء بحمدالله مضبوطا مصحّحاً يسر الناظرين. وهذا وصف النسختين المشار إليهما، وكلتاهما تقعان في جزأين:

النسخة الأولى (س):

الجزء الأول: كتبَ في شهر رجب سنة ١٣٦٤هـ بقلم السيد سالم بن محمد بن عبدالله بن محسن بن سالم بن عمر العطاس، الملقب (هبهب)، يقع الجزء الأول في (٣٥٨ صفحة)، وينتهي بنهاية الباب الرابع.

الجزء الثاني: يبتدئ من الباب الخامس إلىٰ آخر الكتاب، فرغ من كتابته منتصف رمضان سنة ١٣٦٤هـ ويقع في (٣٣٢ صفحة). وملحق به ديوان السيد أحمد بن حسن الحداد المسمى «نزهة القلوب وفسحة المكروب»، من (ص ٣٣٣) إلىٰ (ص ٤٢٢). وكان ينقص من الجزء الثاني الصفحتان (٤٩، ٥٠)، وتم استدراكهما من النسخة الثانية.

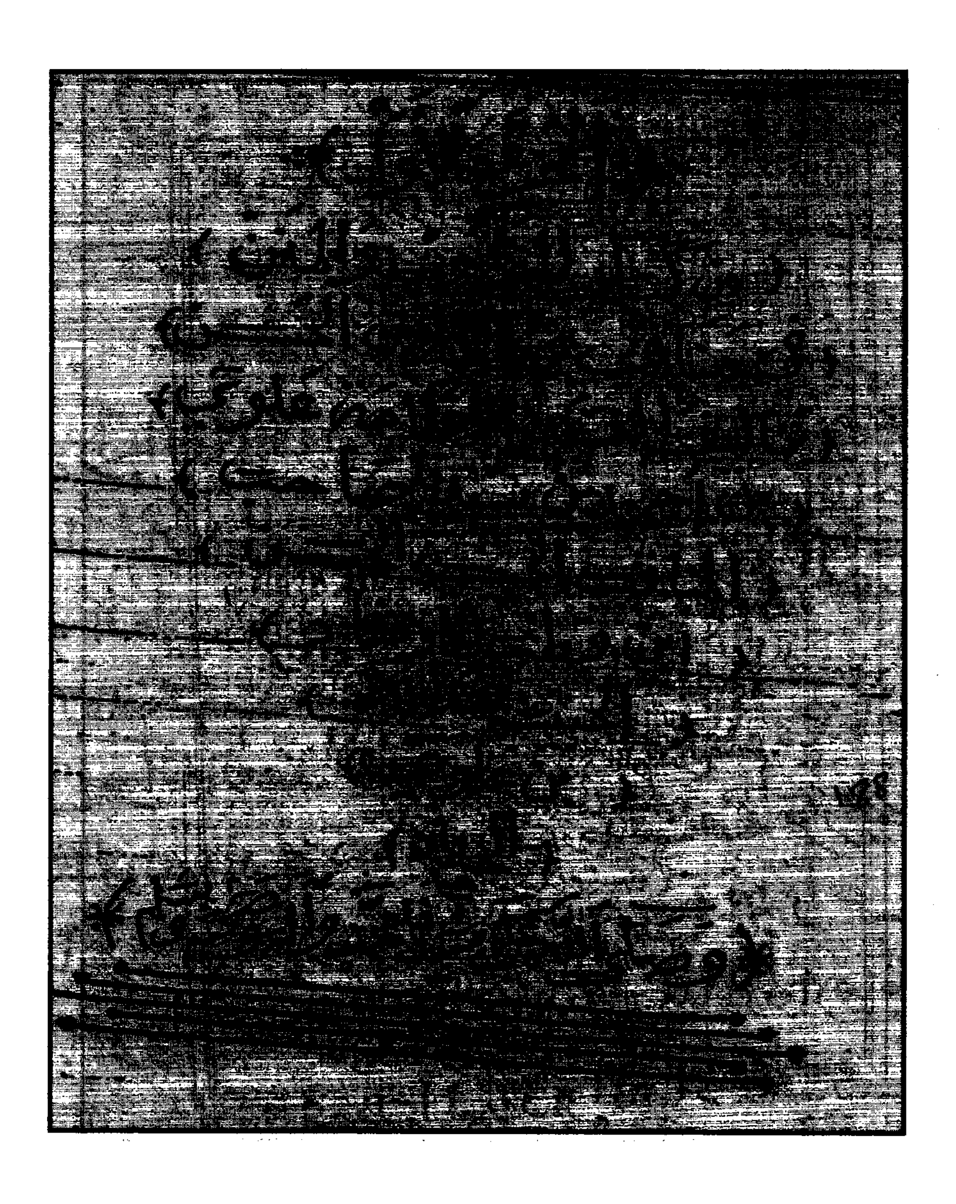
النسخة الثانية: وهي ملفقة من نسختين مختلفتين. **الجزء الأول**: بقلم الشيخ غانم بن محمد غانم فرغ من نسخها في ٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٩هـ، وينتهي هذا الجزء بنهاية الباب الرابع، ويقع في (٤١٠ صفحات). وأما **الجزء الثاني**: فكتب بقلم الشيخ عمر بن محمد بن محمد بارجاء، فرغ منه أوائل شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٣هـ، ويقع في (٣٨٤ صفحة)، ويبتدئ هذا الجزء من الباب الرابع، وترقيمه من (ص ٤٥٦) إلىٰ (ص ٨٤٠)، وملحق به ديوان «نزهة القلوب» السابق ذكره بترقيم منفصل ويقع في (١٠٢ صفحة). وعلى هذا الجزء تملك بقلم الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد (ت ١٣٧٣هـ) رحمه الله.

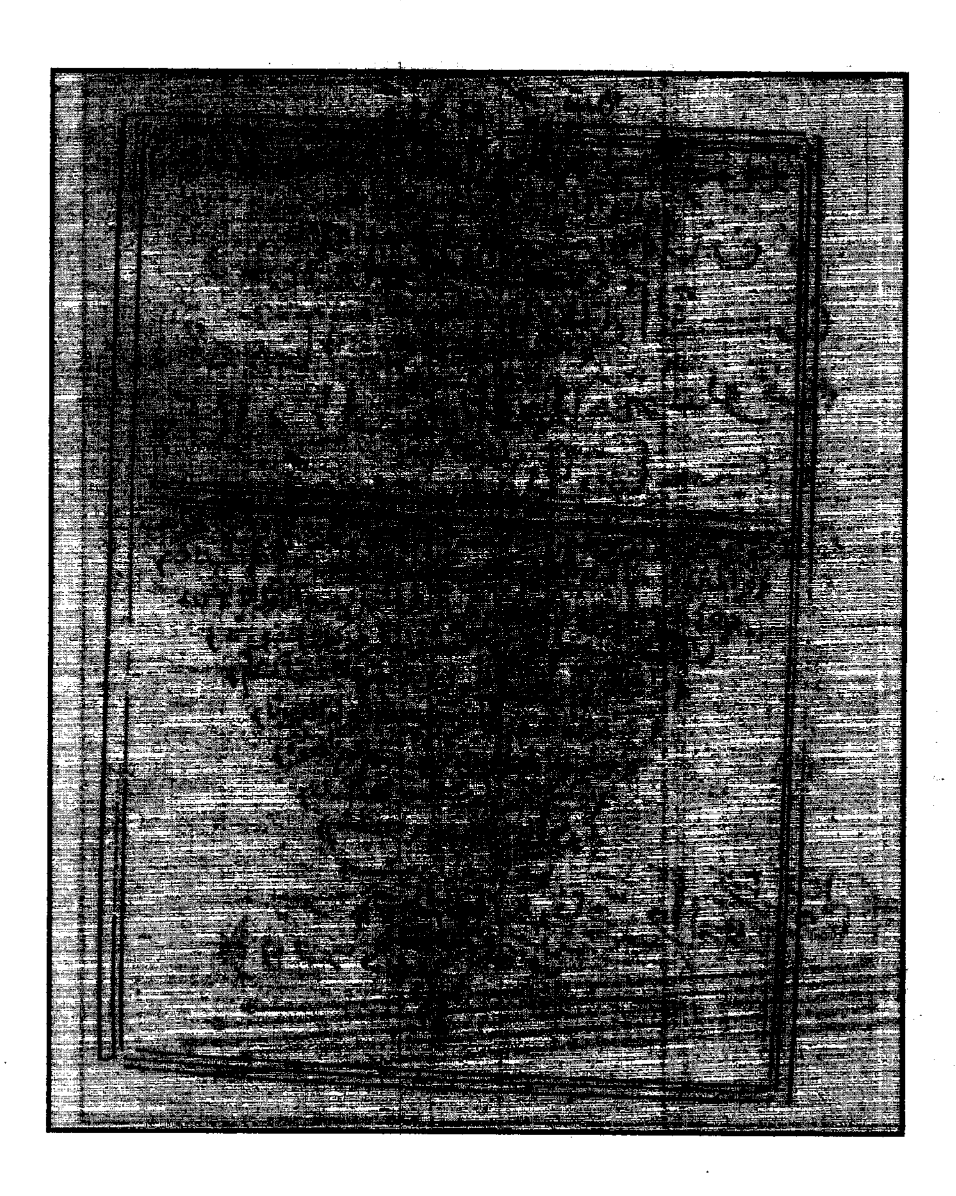
منهج المقابلة والتصحيح:

نظراً لكون الفروق بين هذه النسخ قليلة، فقد تم تجاوز ذكر الفروق، وانصب الاهتمام على تصحيح النص، ما لم توجَد عباراتٌ متفاوتة أو اختلفت النسخ في تاريخ وفاة أو مولد فيتم ذكره ذلك في الهامش. أما المؤلف فقد كفانا مؤونة ترجمته، حيث أورد في هذا الكتاب الجليل، من ترجمته وأخباره، ما هو كفيل بتسليط الضوء على تفاصيل حياته، رحمه الله.

والله الموفق.

* * *





عبدالله له أن في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الرجل الأزبّ ويبغض المرأة الأزبّة، والأزب في اللغة كثير الشعر انتهى قلت وقد رأيت هذا الحديث بحمد الله في بعض الكتب ونقله باكثير تلميذ سيدنا الحبيب عبدالله الحداد في كتاب الطب له رحمه الله تعالى وبعض الخصوصيات ستأتي مفرقة في أبواب الكتاب الثمانية. وأعظم الخصوصيات طول عمره ففي الحديث النبوي خيركم من طال عمره وحسن عمله فلنفرد هذه الخصوصية المتعدية النفع للعباد بباب ونذكر فيه بعض الآخذين عنه نعدهم لا على الترتيب الأقدم فالأقدم بل على حسب ما جرى به القلم والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى الباب الرابع في الخصوصيات التي اختص بها من والدة وليه
الباب الخامس من الخصوصيات
العظيمة رضي الله عنه
وأنفعنا به
آمين.

فقد تم بحمد الله وعونه نقل هذا الكتاب سلخ شهر رجب الأصب سنة ١٣٦٤ هجرية بقلم الفقير إلى رب الناس سالم بن محمد بن عبدالله بن محسن بن سالم بن عمر العطاس لطف به ربه

المواهب والمنن

في مناقب قطب الزمن الحسن

وهو مناقب الإمام الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد

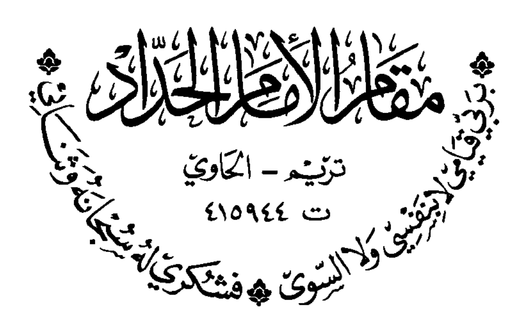
١٠٩٩ - ١١٨٨ هـ

تأليف حفيده العلامة

الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن الحداد

ت ١٢٣٢ هـ

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُلله ربّ العالمينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ خاتم النبيين والمرسلين، وسيدِ السابقينَ واللاحقينَ، وعلى آله الطيبين الطاهرينَ، وأصحابه الأئمة المهتدينَ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ.

وبعدُ:

فأقولُ، وأنا العبدُ الفقير إلى مولاه، علوي بن أحمد بن حسن الحداد:

هذا كتابٌ ذكرتُ فيه نزْراً يسيراً من مناقبِ سيدنا وبركتنا ووسيلتِنا إلى رَبنا، الشيخِ القطْبِ الشهيرِ، الحبيبِ حسَنِ بن سيدِنا العارفِ بالله قطْبِ الإرشادِ، وغوث البلاد والعبادِ، الحبيب عبدِالله بن علويّ الحدادِ، رضي الله عنهما، ونفعنا بهما، وسميته:

«كتابَ المواهبِ والمنَنْ
في مناقبِ سيدنا القطبِ الحسَن»،

كما سيأتي، ورتبتُه على ثمانيةِ أبوابٍ:

الباب الأولُ: في تاريخ مولده، ونشْأته، وطلبِه للعلم، وعبادتِه، وحجِّهِ وزيارته، وذكرِ وفاته، رضي الله عنه.

الباب الثاني: في ذكر شَيءٍ من ثناءِ الأكابِر عليهِ من أهْل عصره، وخاتمةُ البابِ: في ذكر قُطبانيته.

الباب الثالث: في ذكر الحكاياتِ، التي فيها خوارقُ العاداتِ.

الباب الرابعُ: في الخصُوصيات التي اختُصَّ بها من والدِه، وذكر شيء من صَبرهِ على العبادةِ، وتحمله مشاقَّها.

الباب الخامسُ: في ذكر الآخذين عنه والمنتفعينَ به. **وخاتمةٌ**: في رسالةٍ من سيدِنا إلى السيدِ عبدِالله بن علي بن محمد العيدروس، مشتملةٍ على سلسِلَة أخذِه عن الحبيبِ عبدالله إلى النبيِّ ﷺ.

الباب السادس: في ذكر فَوائد عظيمَة في الأدبِ مع المشايخِ، واحترام الأولياء، وفي أحكامِ المريد. **وخاتمةُ الباب**: في ذكْر أحفادِ سيدِنا الأمجادِ، أخينا الأكبر شجاع الدين عمَر، وإخوانه.

الباب السابع: في ذكر المدائحِ والمراثي التي مُدحَ بها في حياتِه، ورُثِيَ بها بعد وفاته رضي الله عنه.

الباب الثامن: في ترجمة سَيدنا الوالدِ أحمد بن حسنٍ، و«**ديوانه المنظوم**»، وذكر وفَاته، ومما مدح به، وما قيلَ من المراثي بعدَ موته، رضي الله عنهم أجمعينَ، ونفعنا بهم، وأمدَّنا بمددهم، وسلكَ بنا طريقتهم، وحشَرنا في زمرتهم، وأهلنا وأولادنا وأحبابنا وأصحابنا، أجمعين.

وهذا أوانُ الشروعِ، وبالله الاستعانة والتوفيقِ،

ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العظيم.

* * *

الباب الأولُ

في تاريخ مولده، ونشأته، وطلبه للعلم وعبادته، وحجه وزيارته، وذكر وفاته رضي الله عنه

البابُ الأول

في ذكِر تاريخِ مَولدِهِ، وذكر نشْأتِهِ، وبدءِ أمرِه، وتعلمِه للقرآنِ العظيمِ، وطلبه للعلومِ النافعَةِ على اختلاف أنواعها، وفي أخْذِه عن والدِه، وقراءته علَيه، وذكْر أشياءَ مناسبةٍ، إلى آخرِ عمْره الشريف، وذكْر شيءٍ من شمائلِه الزكيةِ، وأخلاقه المرضية، وسِيَره السديدة، وأفعاله الحميدَة، وذكر عبادته واستقامتهِ على الكتابِ والسنةِ، واتّباعه للرسُولِ ﷺ فيما يفعلُ ويقُول، وفي قعُودِه وقيامِه، وصَلاته وصِيامه، ودخُوله وخروجه، ونزوله وعرُوجِه، ومجيئِه وذهابه، ومَسِيره وإيابِه، وحضَره وسفَره، وسكونه وتقلبه، وأكله وشربِهِ، ويقظتِه ومنامه، وتعطره ولباسِه، وخلقه وعشْرَته.

وفي جميعِ ما يصدُر منه، من ذلكَ خوفُه ورجاؤه، وسَخاؤه وكرمه وزهدُه، وغير ذلك. وذكْرِ حجِّه لبيتِ الله الحرامِ، وزيارته لنبيه محمدٍ عليه أفضلُ الصلاة والسلامُ، والخاتمةُ: في ذكْر وفَاته، وانتقاله إلى الدار الآخرةِ، التي هي دار المتقينَ، وخيرٌ وأبقَى.

وهذا البابُ هو لبُّ الكتابِ، ومقصودُه، فنشيرُ بطرْفٍ يسيرٍ فيهِ من ذلكَ، إن شاء الله عزَّ وجل، وفي نيتنا أن نبسُطَ الكلامَ، لكن خفْنا من المللِ، ونُحِيل في الأكثَر، خصوصاً في العبادات والعاداتِ، على ما كان عليه والدُه، وهو مشروحٌ في «مناقبِ والدِه»، فلا حاجةَ لذكرِه، ونشير إلى أشياءَ عمِلها والتزمَها على نفسِه، وكلُّ ما في هذا الكتابِ قليلٌ من كثيرٍ، وعلى الله الكريمِ اعتمادي، وإليه تفويضي واستنادي، ولا علم لنا إلا ما علمنا ولا قدرة لنا على ذلك إلا إن أعانَنا.

فنسألُه أن يعينَ ويجعلَ ما جمعناه في هذا الكتابِ مقبولاً لديه، ومراداً به وجهُه

الكريمُ، وأعترِفُ بعجزي، وقلة معرفتي من كل الوجوهِ، وخصوصاً بمقاماتِ هذا الحبر العظيمِ، وما وهبه الله تعالى من فضْله، لكن حملَني على ذلك تعريفُ من أرادَ الاقتداء بأفعالِه، ومن أراد أن يسلُكَ طريقتَه لأن ما حفظتْه الدفاترُ شاعَ، وما سُهيَ عن جمعه وحفْظه ضاعَ، ويلحقُ التالي بالأولِ إذا سلكَ طريقتَه، وإن لم يرَه.

قال الإمامُ الشعراوي في كتابه «الطبقات» المسمَّى بـ«لَواقح الأنوارِ في طبقات الأخيار»: «اعلم يا أخي، أنّ كلَّ من طالعَ في هذا الكتاب على وجْه الاعتقاد، وسمعَ ما فيه، فكأنه عاصَر جميع الأولياء المذكورين فيه، وسمعَ كلامَهم، وذلك لأن عدمَ الاجتماع بالشيخِ لا يقدَح في محبته وصحبته، فإنا نحبُّ رسول الله ﷺ والصّحابة والتابعينَ، والأئمة المجتهدينَ، وما رأيناهم ولا عاصرناهم، وقد اتفقنا بأقوالهم واقتدَينا بأفعالهم، كما هو مشاهدٌ، فإن صُوَر المعتقداتِ إذا ظهرتْ وخلُصَتْ، لا يحتاج معها إلى مشاهدَة صورةِ الأشخاص. ثم إن طالعَ في هذا الكتاب ولم تحصُلْ عنده نهضةٌ ولا شوقٌ لطريقِ أهل الله عزَّ وجلّ، فهو والأمواتُ سواءٌ»، انتهى كلامه.

* * *

وحملني على ذلك أيضاً: حقُّ المشايخِ على المريدينَ، من حفْظِ علومهم وفوائدِهم وإبلاغها إلى من بعدَهم، ليستفاد منهم، ويكثر بأجور من استفادَ بها أجرُهم، ويعرفَ بها ما لهم ويحيى بها ذكرُهم.

ومن حقِّ المريدِ أيضاً: أن يعتنيَ بخدمة شيخِه، وأن يديمَ الفكر لَه، ليقتفي أثره ويلتحِقَ به. قال في كتابِ «منهج السَّالِكِ» للشيخِ علي المرصَفي، رحمه الله تعالى، في عدِّه لشروطِ الذكْر، قالَ: «ومن شرْطه: أن يستمدَّ الذاكرُ بقلبِه عند شروعه في الذكر بهمّةٍ، قال الشيخ جبريلُ، قدس الله سره: فإذا ابتدأ في الذكر يحضِر صُورةَ شيخِه في قلبِه، ويستمد منه، إذ قلبُ شيخه يحاذي قلبَ شيخِ الشيخِ، إلى الحضرة النبويةِ، وقلبُ

النبيِّ ﷺ دائمُ التوجّه إلى الحضْرة الإلهيةِ، فالذاكر إذا صوَّر صُورة شيخِه في قلبه واستمدَّ من ولايتَه، يفيض الإمدادُ من الحضْرة الإلهية على قلبِ سيد المرسلينَ ﷺ، ثُم على قلوبِ المشايخ على الترتيبِ، إلى أن ينتهي إلى شيخِه، فيقوَى على استعمالِه.

إذ هو في الابتداء مثالُ الطفلِ الذي ليسَ له استعمالٌ لهذه الكلمةِ على الوجْه الذي يؤثّر للغرَض، وإن كان بيدِه سيفُ الله، وهو الذكر، قال ﷺ: «**الذكرُ سيفُ الله**»، ولكن أنَّى للسيفِ الصَّارم قوةٌ إلا بقوّة مستفادةٍ من حضْرة الرسول ﷺ، فإذا استمدَّ من شيخِه جاءه المدَدُ، لقولِه تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وأن يرَى المريدُ أن استمدادَه من شيخِه هو استمدادُه من النبي ﷺ، وأن يُخيّلَ خيالَ شيخِه بين عينيه، وهذا آكدُ الآدابِ عندَهم»، انتهى.

وقد نقلنا الشروط كلها في أول فائدةٍ في الكتابِ الذي جعلنَاه شرحاً على «راتب الحبيب القطب عبدالله بن علوي الحداد»، وسمّيناه: «بغيةَ أهل العبادة وأورادِ وفوائدَ تنوِّر القلبَ والفؤاد على راتبِ قطْبِ زمانه الحداد»، وهذا الكتابُ سمَّيناه:

«كتابُ المواهبِ والمننْ
في مناقبِ سيدِنا قطْبِ الزمَنْ الإمامِ الحسَنْ
ابن سيدِنا وشيخِنا القطب الغوثِ عبدِالله بن علوي الحداد، علوي»

نفع الله بالجميعِ، ولا حرمَنا بركتهم، ورزقنا كمالَ الأدبِ معهم.

قالَ سيدُنا الأوحَدُ الحدادُ، في «نصَائحه الدينية»: «من يكذّبِ الأولياءَ، أو ينكر عليهم بغير حقٍّ، يموتُ على سوءِ الخاتمةِ، أعاذنا الله من الإنكار على أولياءِ الله، إنه جوادٌ كريمٌ، ولا خَسِر صاحبُ حسنِ الظنِّ».

قال سيدنا الحبيبُ الشيخُ عبدالله بن علويّ الحدادِ في كتابِه «رسالة المعاونة»:

«وعليك بحسْنِ الظن بجميعِ المسلمينَ، واحذرْ أن تسيءَ الظنَّ بأحدٍ منهم، قال ﷺ: **«خصْلتان ليسَ فوقهما شيء من الخيرِ، حسنُ الظنّ بالله، وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيءٌ من الشر، سوء الظنّ بالله، وسوءُ الظنّ بعباد الله»**.

وغايةُ حسنِ الظنِّ بالمسلمينَ: أن لا تعتقدَ الشرَّ في شيءٍ من أفعالهم وأقوالهم، وأن تجد له محملاً في الخيرِ، فإن لم تجدْ له محملاً فيه، كالمعاصي؛ فنهايةُ حسْن الظنِّ بمرتكبيها أن تنهاهُم عنها، وتظنَّ بهم أن إيمانهم يحمِلُهم على الانتهاء عنها، وترك الإصرار عليها بالتوبة منها.

وغايةُ سوء الظنّ بالمسلمينَ: أن يعتقدَ السوء في أفعالهم وأقوالهم التي ظاهرُها الخيرُ، مثلُ ذلكَ: أن ترى مسلماً يكثر الصلاةَ والصدقةَ والتلاوةَ، فتظنّ به أنه ما فعلَ ذلك إلا مرائياً للناسِ، وحرصاً على المالِ والجاه. وهذا الظن الفاسدُ لا يصدُر إلا من طويّةٍ خبيثةٍ، وهو من أخلاقِ المنافقينَ، كما قال الله تعالى في وصْفهم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٧٩]، أي: يرمونهم بالرياءِ. وقال ﷺ: **«أكثِروا من ذكرِ الله حتى يقُولَ المنافقونَ إنكم مراءُون»**، انتهى.

فإذا كانَ هذا سوءُ الظن بالله وبعباد الله ليسَ فوقه شيءٌ من الشرِّ، فكيف بسوء الظن بخواصِّ عباد الله الصالحينَ، وعباده المتقينَ، وأكابر المؤمنين، وأولاد سيدِ المرسلين، الحاملين أسرارَه وعلومه، القائمين بحقّه، العاملين به، فكيف بقُطْب وقته الذي اجتمعَ فيه ما لم يجتمعْ في غيره. ومع ذلكَ؛ أنه طالَ عمره، وانقضَى من صبَاه إلى أن توفاه الله، في طلب العلوم ونشْرها والعملِ بما فيها.

جامعٌ للشريعة والطريقة والحقيقَة، فقيه صوفي محقق، سني حسيني باعلوي، بل أكبر السادة آلِ باعلوي في وقته وزمنِهِ، سنًّا وحالاً، انعقد على ذلك الإجماعِ، وليٌّ ابن ولي، وقطب ابن قطب، وزاهد ابن زاهد، وعالم ابن عالم، إلى النبيِّ ﷺ، فكيف يرتفعُ

لمن يسُوءُ الظنَّ به وأمثاله عملٌ صالحٌ!، فاحذر كلّ الحذَر أن تنكِر على أولياءِ الله، فتمقَتَ وتسلبَ، كما قال سيدنا العيدروسُ.

* * *

فكيفَ وهمُ القوم الكرامُ على الله، من أحبهم كان معهم، ومن طالعَ تواريخهم حبًّا لهم فكأنما زارهم، ومن زارهم غفَر الله له ذنوبه. قال في كتاب «مواهب البر الرؤوف»: «وذكر في كتابِ «أعمال التاريخ»: أن من كتبَ تاريخَ ولي لله حباً له كان معه يوم القيامة، ومن طالع اسْمَه في التاريخِ حبًّا له فكأنما زاره، ومن زار وليا لله غفرَتْ ذنوبُه، ما لم يؤذه أو يؤذِ مسلماً في طريقه. ومن أرّخَ واقعة يحتاج المسلمون إليها يوما ما أو يجد بها مسلم راحة كمعرفة سنة أو غيره فكأنما أزال حجرا من طريق المسلمين ومن أزال حجرا من طريقهم احتسابا غفر له»، انتهى.

وقال في كتاب «غاية القصد والمراد»: «قالَ الشيخُ محمد بن أبي بكر الأشكل اليمنيّ: قال بعضُ الشيوخ الأكابر المحققين: إن العارفَ إذا ماتَ، فنقل عنه تلميذه مسألةً في توحيدِ الله تعالى، وأفادَها، فإن ذلك العارفَ يجني ثمرتها عندَ الله، ويجازي الله تعالى بها الميتَ، فإنها من سعيه، فذلك له عند الله تعالى بطريقِ الوجُوب الإلهي الذي أوجبه على نفسه. ثم قال ابنُ الأشكَلِ: «فمِن حقِّ الشيوخِ على المريدينَ: حفظُ علومهم وفوائدهم، وإبلاغها إلى من بعدَهم لتستفادَ منهم، ويكثر بأجور من استفادَ بها، فكم مات بعدم الذكْر من كبيرٍ، وكم فاتَ بالنسيان من علومٍ من كثير، وكم ستر الإهمالُ من شهيرٍ.

ثم قال شعرا:

تمـوتُ الخبايَـا في الزوايَـا ومـا لهـا ... من الناسِ بين النـاسِ للنـاسِ ذاكـرُ

تفـوتُ كرامـاتِ الرجـالِ شَـوارداً إذا لم تقيـــدْها علينَـــا الـــدفاترُ

شعرٌ آخر:

يـا عـينُ إن بعُـدَ الحبيـبُ ودارُه ونـأتْ منازلـه وشـطّ مـزارُه

فلكِ الهنـاءُ لقـد ظفـرْتِ بطائـلِ إن لم ترَيـــه فهـــذِه آثـــارُه

ولله دَرُّ من قال:

أستنشقُ الريح عنكُم كلما نفحَتْ من نحْو أرضكمُ نكبَـاءُ معطَـارُ

* * *

وقال سيدُنا القطبُ الغوثُ، حجّة الإسلام، شيخُ أهلِ طريقة الله، سيدُنا عبدُالله بن علوي الحدادُ، في «ديوانه المشهور»، لما وصفَ الأكابرَ بعد أن ذمَّ أهلَ الدهر والعصرِ، فقالَ رضي الله عنه:

وقد درجَ الأسلاف من قبـلِ هَـؤلاء وهمـتهم نيـلُ المكـارمِ والفضْـلِ

لقد رفَضُوا الدنيا الغَـرورَ وماسَـعوا لهـا والـذي يـأتي يبَـادَر بالبَـذلِ

فقـيرهمُ حـرٌ وذو المـالِ منفـقٌ رجَـاءَ ثـواب الله في صـالحِ السّـبلِ

لباسُـهم التقـوَى وسـيماهمُ الحيـاءْ وقصدُهم الرحمنُ في القَول والفِعْـلِ

مقـالهمُ صـدقٌ وأفعـالُهم هـدًى وأسرارُهـم منزوعَـةُ الغـشِّ والغـلِّ

خضـوعٌ لمـولاهُم مثـولٌ لوجْهِـه قنـوتٌ لـه سـبحانَه جـلّ عـن مثـلِ

إلى أن قال رضي الله عنه:

فـــآهٍ علـــيهم ليـــتَ داهيـــة الفنَـــا بحزْب الردَى حلتْ وحزْبُ الهدَى خُلّي

ثم قال:

وأحملُ نفسي ما استطعتُ على سبيلِهِمُ حتّى أوسّد في الرمْلِ
عليهم سلامُ الله إن كان قَد مضَوا فذكرٌ لهم باقٍ وقد شاعَ في بالنقْلِ
حياتهمُ خيرٌ لهم ومماتُهم فطُوبى لهم سادوا وفازوا على الكلِّ
مقالهم صِدقٌ وأفعالهم هدًى وأسرارهم منزوعة الغش والغل
خضوعٌ لمولاهم مثولٌ لوجهه قنوتٌ له سبحانه جلّ عن مثل
إلهي بحقِّ القومِ منَّ بتوبةٍ من الذنبِ تغسِلنا بها أبلغَ الغسْلِ
وغثْ يا مغيثَ المستغيثِ قلوبَنا بغيثِ هدًى يحيي القلوبَ من المحْلِ
وصلِّ على الهادي البشيرِ شفيعِنا نبيِّ الهدَى بحْر الندَى خاتمِ الرسْلِ

وقال رضي الله عنه:

فإن أحاديثَ الأحبة مرْهمٌ لقلبي منَ الداءِ العضَال المخَامرِ
إذا فاتني قربُ الأحبة واللقَاءْ ففي ذكرِهمْ أنسٌ لوحشَة خاطِري
فإن لم يصبها وابلٌ صيبُ الندَى فطَلٌ به تحيى مواتُ سرائِري
فشنفْ بتذكار الأحبّة مسْمعي وأخلصْهُ عن تذكَارِ غيرِ مغَاير
فتذكارُهم راحِي ورُوحي وراحَتي يطيبُ به قلبي وتصْفو ضَمائري

* * *

ولما رتبت هذا الكتابَ، جعلته على ثمانيةِ أبوابٍ، كأبواب الجنة الثمانيةِ، وقد أكرر بعضَ الحكاياتِ في بعْضِ الأبوابِ لمعنًى وزيادَة، ولأن الحكمةَ في التكْرارِ، وحصول التأكيد والتقريرِ، كما جاء في القرآن العزيزِ، ولأن كل بابٍ على حِدَته كتابٌ، فمن أراد أن يفردَه فليفعلْ، لأن المقصود النفعُ والجمعُ، ولكل امرئ ما نوَى، والأعمال

والأفعالُ تبعٌ للنيةِ، وإذا صلحَت المقاصدُ لا يخيب القاصدُ.

وطالعتُ في كتابِ «مجمع الأحبابِ»، فرأيتُ مصنفه يجمعُ في المناقبِ في تراجم الأئمة بلا فصُولٍ، بل سردُ حكاياتٍ ونقلٍ، ما أوله ينعطفُ على آخرهِ، وآخره على أولهِ، فاستحببتُ ذلك منه، فلم أنمقِ الكلامَ، ولم أتكلفْ في النقلِ على التحريرِ، لأمور كثيرةٍ. ولأن سيدي الوالدَ أحمد أمرَني بالجمعِ، قالَ: «سنحرّر بعدُ ما جمعتَ، واجمع أولاً أنتَ كلَّ ما رأيتَ وسمعتَ». وألح عليَّ سيدي الحبيبُ عمرُ بن زين بن سميطٍ في الجمعِ، وإشارةُ هذينِ العارفينِ بشارةٌ، وأرجو من الله المعونةَ، وأبتدئُ مقصودي مستعينا بالله، ومفوّضاً أمري للإله المعبود.

* * *

ولدَ السيدُ الإمامُ، غوثُ الأنام، الحبر الحكيم، والسيد الحليم، منبع الأنوارِ، ومعدن الأسرار، وطرازُ حلةِ الفخارِ، جامع الفضائلِ والفواضل، والشريعة والطريقة والحقيقة، الفقيهُ الصوفي الصفوة، واسطةُ عقد الأولياء، ويتيمة سلك الأصفياءِ، والإنسان الكاملُ، صاحب الصديقية الكبرى، بلا شك ولا مراءٍ، بحرُ الحقائق الرحمانيةِ، وساحل الدقائق الإمكانية، العلمُ لكل مهتدي، والوارثُ للِّواء المحمدي، قطبُ الزمن، وفرد الوقت، وإمام العصر وشيخُ الزمن.

سيدُنا الأستاذُ الأعظم، والزعيم المقدّم، صاحبُ التمكين المكين، والرسوخ في حقائق حق اليقين، قدوة العارفين، ومرشد السالكينَ والمريدينَ، كعبة الآمال للقاصدينَ، ومنتهى أملِ الواصلينَ والمتقينَ، الشيخُ الكبير، والغوث الشهير، مولانا الخليفة الوارثُ للسلفِ، الإمام الحسنُ الاسمِ والمعنَى، ابن شيخ الإسلام والمسلمينَ، القطب الغوث الأوحدِ، الحبيب عبدالله بن علوي الحداد.

ولدَ بحاوي تريم، الخيرَ العميم، وذلك من أولِ الليلِ، بعد أن صلى والدُه

القطبُ العشاءَ بالناسِ، وهم في قراءة راتبِـه، استهـل المولودُ المباركُ، الميمون الطلعة، في المحضَرة التي فوق مسْجد الأسرارِ بحاوي الأنـوار، فلما سمع والدُه صوتَ المولودِ، هو ومن يقرأ الراتبَ، قالَ قبلَ أن يخبرَه أحدٌ بالهادفِ السعيدِ: «ولِدَ صاحبُ الحاوي»، فمن ذلك الوقتِ والدُه استوطنَه شتاءً وصيفاً، بعد أن كان يحله صيفاً، وذلك سنةَ ١٠٩٩.

يعدُّ، رضيَ الله عنه، من أهل القرنِ الحادي عشرَ، لأن سنةً من عمُرهِ في القرن الحادي عشر، قال سيدي الحبيب الحسَن: «ولادَتُنا ليلةَ السبتِ، من شَهر رجبٍ الأصبِّ، سنةَ تسعٍ، بتقديم التاء المثناةِ فوقُ، وتسعينَ، بتقديم المثناة فوقُ أيضاً، وألفٍ من الهجرة النبويةِ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلامِ.

وذلك بعد صلاة العشاء في محضَرة الوالدِ عبدالله، وسمعُوا صوت المولود الذين يقرئون الراتبَ، والوالدُ عندهم يسمعُ استهلالَ المولودِ، وهو الذي أذّنَ وأقامَ في أذني حين الولادةِ، وحنكني بعدَ الأذانِ والإقامةِ بتمراتٍ، وأولُ ما دخلَ بطني ريقُه الشّفاء، وعقَّ عنّي لسابعٍ من الولادةِ، وأمر بحَلقِ الرأسِ، وتصدَّق بزنة الشعر ذهباً أو فضةً، وسماني الحسنَ يومَ الجمعةِ سابعَ يومٍ من ولادتي، وقد سمّى قبلي ابناً بهذا الاسمِ، وكذلك سمى حسيناً قبل الصنوِ حسينٍ، وولادةِ الصنو الأمجد الحسينِ الثاني، وقد ماتا قبل ولادتي وولادةِ الصنو الأمجد حسينٍ.

وله بنا عنايةٌ تامةٌ، من حين الولادة، لا يأمرُ أحداً يرضِعُ المولودَ الذي له غيرَ أمِّ المولودِ، أو الصالحات من آل أبي علوي، لا غيرهم، وأم المولود يأمرُها بتربيتِه وحفْظِه عما يدخلُ بطنه غيرَ الطيّبِ الحلالِ الصِّرْف»، انتهى.

قال سيدي الوالدُ في تاريخِ ولادةِ والِدِه، نفع الله بهما:

فإن شئت ميلادَ قطبِ الزمَنِ فهو ضمْنَ قولي (غنيٌ وجِلْ)[١]

غنيٌ بربّه ومعبودِه وخائفٌ من الله بهِ مشتغلْ

وعمرٌ له عدّ اسمِه (ملك) سوى تسعَةِ أشهرٍ منه فصِلْ

وقال آخر:

ميلاده فاتحة رجبِ الأصَبْ في عامِ تسعينَ وتسْعِ ألفِ

في سابعِ العشرين أعلَى روحَه من شهْر رمضانَ العظيمِ الأشرَفِ

عامَ ثمانٍ مع ثمانينَ كذا مائةٌ مضَت من قبلها الألفُ الوفي

وقال أيضا:

ذاك الحسَنُ مجلي الحزنِ قطب صَدرُ المحافلِ حاملُ الأثقالِ

نجلٌ لحدادِ القلوب المجتبَى غوثُ الأنامِ السيدُ المفضَال

عبدالله المشْهور أوحَدُ عصره قطبُ الملأ من غير ما إشْكالِ

لقبَه والدُه الحكيمَ فحبّذا ما قد حوَى من اللآلي الغالي

ميلادُه فاتحةُ رجبٍ ذاك الأصَبْ تسعٌ وتسعونَ وألفٌ تَالي

(وَجِلٌ غنيٌ) تاريخه فاحسِبْ تجدْ ما قلتُه حقًّا بلا إخلالِ

مغنِي المريدين المصفِّي تبرَهم بحْرُ العلومِ القرْمُ في الأبطالِ

السيدُ الأواب قيدومُ السُّرى المرشدُ المنجي من الأوحَال

كم قد هدَى الله به من جاهلٍ أو غافلٍ في غيِّه متَوالي

داعٍ إلى الله العظيم بفعْله ومقالِه الحالي معاً والحال

(١) غني = ١٠٦٠، وجل = ٣٩، ١٠٦٠ + ٣٩ = ١٠٩٩ سنة.

حَـلاه بـالخلقِ الكـريم إلهُـه لـيسَ لـه مـن مـبغضٍ أو قَـالِ
إلا حسودٌ منكرٌ شمْسَ الضـحى مـن غـير مـا غـيمٍ ولا غِرْبـال
ينكـر عـلى أهْـل الله في أحْـوالهم محـرومُ مـن نفـعٍ بهـم ونَـوال
يـا ربِّ وفقْنـا لحـبِّ محـبهِم مـع حـبهم وصَـحابهم والآل
فـالمرءُ معـدودٌ مـع مـن حبَّـه وردَ الحـديثُ بـه بـلا إشـكال

* * *

نشأ سيدُنا الحبيبُ في حجر والدِه العظيمِ، ولحظته عنايةُ ربه الكريم، وتربَّى بأبيه، فلذا كان جديراً بأن يرثَ سرَّه ويحتويه.

ولم يزل بحاوي تريم، ثاوياً مقيم، إلى أن انتقل إلى الربِّ الكريمِ، وهو من حيثُ الصغر إلى أن وصلَ إلى مستقرِّه، يدعو عباد الله إلى طريقِ رسول الله، لم تُعرفْ له صبوةٌ، فكان من حينِ صِغَره ووقتِ كِبرِه، ديدَنُه في أوقاته كلِّها إقبالُه على الله عزّ وجلَّ، من حين نشأ واكتهل، إلى أن لحق بربه وارتحل.

فهو مشمّرٌ فيما يحبه ويرضى به مولاهُ عز وجلّ، غذاه ثديُ التوفيقِ، فنال المُنَى على التحقيق، إلى أن بلغ مقام الصديقيةَ والتصديقَ، وأسعدته السعادةُ حتى صَار إمامَ السادة، وقدوة القادة، وألِفَتْه الهدايةُ والعناية، والهمةُ العالية الغايةَ والنهاية، حتى بلغَ مقام الولاية، وخصوصيات أهل الهداية والعناية، فلذا سماه والدُه الحكيمَ.

ولم يزل في تربيته محافظا علياً بحاله ومقالِه، حتى بلغه آماله. فكانت بدايتُه مستقيمةً، وهو من أبوابِ الجنان العظيمة، لا يجد المعترضَ عليه من حين صباه إلى أن توفّاه الله مثقالَ ذرةٍ من الإنكارِ، محفوظاً في أعمالِه وأقوالِه.

حتى قالَ رضي الله عنه: «إن والدي من صغري يلاحِظني بحاله أكثرَ من مقالِه،

يتخيل لي دائماً معي، وإذا حسّيتُ مع الصغر، بعضَ التسويفِ والضجَر، أنهضني بحَاله فلا يطرُقني التسويفُ ببركته، حتى أني في الصِّغر، قبلَ أن نطلع إلى المكتَب ونتعلّم القرآنَ العظيم، نتتبعُ ألفاظَ الوالدِ وما يقولُ، ونحفظ ذلك ونعملُ به، وكذلك نتعلمُ الأحاديثَ النبوية والمسائلَ الدينيةَ من تلامذةِ سيدي الوالدِ، مثل الوجيه عبدالرحمن بن علي بن حسين، وغيره.

ثم لما تمتْ لنا من السنين السبعُ، طلعَنا الوالدُ إلى علمَة با جَعمان ومكتبهم، إلىٰ عند المعلم با جَعمان، وهو ناسخٌ للكتبِ، وله قلم مليحٌ، فنسخ للوالدِ جملةَ كتبٍ، منها «ربيعُ الأبرار»، وقد تعلم الوالدُ القطبُ عبدالله بن علوي الحداد فيها، وكذلك القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأخوه علي، وجملةٌ من أكابرِ آل أبي علوي.

فلما رأى الوالد انتباهي من الصغَر، أعطاني إقليدَ الصندوقِ الذي يوضَعُ فيه جميعُ ما يظنُّ به لحوائجهِ وحوائجِ أهل بيتهِ، ومساجده وقاصديه، حفظتُه له وأنَا في المكتَب، خصوصيةً منه لي، وبشَارة المفتاح بالفتوح، ونيل المنوح.

ولما سرتُ مع الوالدِ عبدِالله الحداد، في شهْر شعبانَ لزيارة نبي الله هودٍ، على نبينا وعليه أفضَلُ الصّلاة والسلام، وعادنا في المكتبِ نتعلمُ القرآنَ العظيمَ، في مدينة تريم. قال بعضُ السادَة الأولياء في قَصيدة طويلةٍ في مسيري لزيارة نبي الله هودٍ عليه السلام:

* والمعلّمْ على السيّد حسَنْ في تجِبَّارْ *

إلى أن قالَ:

كلّ من حبَّهُم قالوا محرَّمْ على النارْ   ما تمسّه ولو مسّته مَـا مسَّـها حـارْ

إلى آخرِها.

وكان الوالدُ معجَباً بي من الصّغر، وجاء رجلٌ إلى حضْرة الوالدِ وأنا صغيرٌ، وقال له: «إن سيداً اسمُه حسَن، يقول هو ولدُكم!، جاءَ إلى بلدِنا»، فقال له الوالدُ عبدُالله: «ما هو بوَلدنا، إنما ولدُنا حسَن، هذا»، فقام الرجلُ يتمسّحُ بي، لما قالَ له الوالدُ: «هذا ولدُنا»، وعادَني صغير.

ووقتَ الصِّغَر يأمرُنا نتعشَّى بحضْرته لأجلِ الأدب، وإذا سمعَ أحداً يناجي أخَاه ينهاهُ عن ذلكَ، وقال له: «اترك المغَامزة»، لأن النجْوى عند أهل حضرموت يسمّونها المغامزة، فتقولُ له الوالدة: «خلهم يتعشّون، لا تنكدْ عليهم»، فما يجيبها، بل ينتبهِ ويلاحظ لجميع أفعالهم، ويأمرُهم بالتسميةِ، والأكلِ كلٌّ من جهته، وبثلاثة أصابعَ من اليد اليمنى، وبالإيثار. وكانت لنا قريحةٌ وقّادة من الصغَر، فنقصّر من الأكل، ونصغّر اللقَم، ومعنَا حدَّة الإرادةِ من الصّبا، فيقولُ الوالد: إنما يأخذون أهلُ الله بالتدريج، ليس هكذا كما تفعَلون.

وإذا قرُبَ الليل، قريبَ الصُّفور، يعوذنا بتعويذاتٍ، كل ليلةٍ مرةً واحدة، يقولُ ونقولُ مثله، على كلمةٍ كلمةٍ:

«أعوذُ بكلماتِ الله التاماتِ من شر ما خلقَ * بسم الله الذي لا يضُرّ مع اسمِه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو السميع العليم * رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلامِ ديناً وبمحمدٍ نبيًّا * يا حافظُ يا حفيظُ، يا كافي يا محيطُ * صلى الله على نوح وعلى نوحٍ السلامُ».

وأولُ ما يلقّن الصبي فينَا: «الله الله»، ثمّ: «لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله»، ويلقنه بعدَ الذكر هذَا، إذا فهمَ: الفاتحةَ المعظمة، وآية الكرسيّ، وخواتم سورة البقرةِ، والإخلاصَ، والمعوذتينَ، وبعض السورِ، قبلَ أن يتعلمَ عند المعلّم القرآنَ العظيم».

وكان سيدُنا قطب الزمنِ، يحفظُ القرآنَ العظيمَ، ويقرأ لأبي عمرٍو البصريّ، لأن

أهل مدينة تريمَ، وأهل مدينة شبام، وأهل بندر الشحر، يقرأون لأبي عمرو البصريّ.

ولأنه ورد في مناقبِ الإمام سفيانَ بن عيينةَ: أنه رأى النبي ﷺ فقالَ له: «قد كثُرَت القراءاتُ، فتأمرُني أقرأ لمن؟»، فقال له: «**اقرأ لأبي عمرٍو البصْريّ**».

وقد قرأَ بعضُ الأكابر القرآنَ العظيم كلّه على النبيّ ﷺ قراءةَ أبي عمرٍو، في واقعة عظيمةٍ، فلم يردَّ عليه فيهَا شيئاً، إلا في سورة يس، فقال له: «قل﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]»، بفتح اللامِ ونصبِها من﴿ تَنزِيلَ﴾، وفي قراءَة أبي عمرٍو وحفصٍ: بالضمِّ والرفعِ.

وكان يرتلُ القرآنَ العظيم ويحبِّره، قالَ: «ولما حفظتُ أول مُقْرأ من سورة البقرة، فكنت أبتدئ به في الحزبِ بعدَ المغرب، وجاء يزور الوالدَ بعد المغرب، وحضر الصلاة السلطانُ عيسَى بن بدر، حين كان والياً على حضرموت، ومعه أربعون رأساً خيل، وجملةٌ من الحاشية وأعوانه، فلما أتمّ الوالدُ الصلاة والتسبيحَ وقيامَ بعديّة المغرب ليلةَ الجمعةِ، ابتدأتُ في قراءة الحزْب، فلما قرأتُ المقرأ لم أتلعثَمْ، ولم يتغير صوتي، ولا خاطري، ولا هبتُ الجمعَ الكثير هذا، فلما أتم الوالدُ البعديةَ وصلاةَ الأوابينِ، ودخلَ الدارَ، دخلتُ معه، فقال لي: ما هبتَ السلطانَ والدولة! ما أنتَ إلا قويّ القلبِ!.

قلتُ: وقد ذكرَ الوالد أحمد تحديد حضرموت وما اشتملت عليه في مؤلفه المسمى (الفوائد السنية) فلينظر من أراده

* * *

ونشأ رضيَ الله عنه في أحسَنِ هيئةٍ، وعليه آثارُ السعادةِ لائحةٌ، وظهرت بركاته من ليلةِ ولادته في القطْر، وخصوصاً حاوي تريم، فإن والده قطنَ وسكنَ به.

وشهرَه في حالِ طفولته وصِغَره جماعةٌ من مشايخ العصر، لأنه من آياتِ الله

الباهرة، قالَ رضي الله عنه: «إني أتقِن على مجيءِ السيدِ أحمد بن عمر الهندوان من الهندِ، سنة ١١٠٠، المائة والألف، وأتقِن يومَ وصلَ حضرةَ الوالدِ أولاً، ثم راحَ إلى دار خالِه حُسَين بلفقيه، وراحوا الأصناءُ عندَه يقهوونه ويهنئونه بالوصول، وأردتُ أروح معَهم، فقبّلني الوالدُ عبدُالله الحداد، فبكيتُ فأومأ لي بطرْفِ شُقّته ليضرِبَني فسكتُّ!. وأتقِن على لونِ طاقاتِ الحرير التي أهدَاها السيدُ أحمدُ الهندوان في مجيئِه هذا. وأتقنُ أشياءَ كثيرةً من الصغر، من حين بلغتُ السنتينِ!».

فاعجبْ أيها الناقدُ البصير فيما وهب الله هذا السيد الحكيم من الذكاء والفطنة والحفظ في الصغر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ويحق فيه قول القائل في بعض الأكابر:

مــا الجــمالُ البــديعْ	إلا مــنَ الله وقــعْ فيــكْ
مــن وعــادك رَضــيعْ	الله بعينِـــه يراعيـــكْ
في المكَـــانِ الرفيـــعْ	أعلَوك ما حَدْ يساميكْ
كـــلّ وادٍ فَريـــعْ	ألقَوه من تحتِ وَاديكْ
مــا الجنــاب المنيــعْ	إلا بربعِــكْ ونَاديــكْ
والعَـــذاب الشـــنيعْ	أنزلْ لمـن هُـو يعاديـكْ
سَـعْد مـن بـكْ هَليـعْ	أيضًا ويا ويـلْ شـانيكْ
حيــثُ كلّــك رَضــيعْ	إحسَانْ ما حَدْ يجازيـكْ

فنشأ رَضي الله عنه على الديانةِ والصيانَة والأمانة، لم تكن له صبوَة، ولا حُفِظ عليه مدةَ عمره زلةٌ ولا هفوَة، وكانت وارداتُه وفتوحاته تهجُم عليه من الصّغَ، وتمنعه الطعام، والشراب والمنام.

فقالَ نفع الله به: «إني من الصغَر إلى وقتِ الكبَر ما حضرتُ شيئاً من الملاهي،

مثل الطبلِ وغيرِه، وإذا حضَر من غير داعيةٍ مني وقتَ الصغر أقومُ وأتركُ المكانَ الذي فيه اللهْو، لأنه يضيقُ منه صَدري من حينِ كنتُ صغيراً، فعلمتُ أن ذلك عنايةٌ من الله ربي وكنتُ أحملُ نفسي من الأعمالِ الصالحة ما لا تطيقها منذ كنتُ صبيًّا، ولا أحدَ يطَّلع على ذلك إلا الله، ولي همةٌ عظيمَة، جبلتُ عليها ما أعوّل بالأخطار والأهوال.

ومن حينِ الصغَر وأنا أنامُ في أيام الصّيفِ في سطح المسجدِ، وفي الشتاء بزاويته، وإلا بالميسَمة؛ المنزل التي هي قريبُ المسجد، لأجل العبادة والمطالعةِ وصلاة الجماعة.

وليلةً من الليالي وأنا صَغير قالَ بعضُ الأخْدامِ لي: «إن مع ناس سماعاً قريبَ المكان، أتريدُ نحضره؟»، وزيّن لي الحضُورَ معهم، فثبّطتُ عنه، عنايةً من الله عز وجلّ. فلما أصبحَ الرجلُ ودخل إلى عندِ الوالد، فحين دخلَ وسلّم وأرادَ أن يصافحه، قام له الوالدُ بالنعالِ يضربُه، وأعلمَه بالكلامِ الذي قاله لي، من غير أن يُعلِمَه أحدٌ غيرُ الله تعالى، وقالَ له: تريد تغيّر عيالنا!».

* * *

وقالَ رضي الله عنه: «كنتُ وأنا صغير معي حدّة إرادةٍ ولوعَةٍ شديدة، حتى أني أحبّ الخلوةَ بجبالِ تريم، مثلَ النعير، وأظلّ فيه إلى أن أسمعَ الأذانَ بمسجد باعلوي للظهر، فأخرجُ. وعمّرتُ أنا والمحبّ الصالحُ، عوض بن صبّاح، رِقاد الشيخ سرور، مولى الرّاكة، من ذريةِ سيدنا عبدالقادر الجيلاني.

وإذا رأيتُ فائدةً في كتابٍ عملتُ بما فيها، بعد أن أعرضَها على الذي تربَّينا معَهم. ومن صغَري إلى الآن إذا أرادتْ نفسي شيئاً خالفتُها، حتى أن وقتَ الصغر، إذا خرجتُ إلى السُّبَير وغير ذلك، أخرجُ بيدي عصَا أتوكأ عليهَا، فأرسلَ ناسٌ من السادة آل بن يحيى، حالّين على الطريق بالمكان، بـ(باجبهان)، من أعمالِ دمُّون، يقولُ: «اترك العصَا، أمّا عادك صغير وأنتَ تتوكأ عليها!»، فلم أجبْ أحداً لذلك لأهضِمَ نفسي».

وقال نفع الله به: «إني منذ نشأتُ انتظمَتْ أمورُ والدي في البيتِ، وفي الخروج للواردينَ والقاطنينَ، وتباركَت الأشياءُ كثيراً، وقلَّ الدَّينُ، بعد أن كان دينُه على خمسمائة قرشٍ وأكثر، فولاني أمُورَ بيتِه من الصغر، وأعطيتُ المقامَ حقَّه، من فضلِ الله، لم أعلم ساعةً من يوم أو ليلٍ أن والدي أو والدتي وقعَ في قلوبهما عليَّ شيءٌ يغيِّر خاطرَهما، إلى أن توفِّيا وهما راضيانِ عني، وذلك من فضل الله العظيمِ، وخيره الجسيم.

لم يُتوَفَّ الوالدُ إلا وأنا عنده، وحدي غير الله الكريم الرحيم، وكذلك الوالدَة، وغسّلتهما بيدي، ولحظتني عنايتهما، وبرضَاهما عني فتحَ الله عليَّ الأبوابَ من غير أسبابٍ، ببركة دعائهما ورضَاهما عني، وذلك فتح من الله الكريم الوهابِ.

حتى نلنا الآمالَ، والمقامَ العال، وبلوغَ الأحوال العوال، ومقام الرجالِ، ولهما إدلالٌ عليَّ دون الإخوانِ، لما ينظرانِ من إتباعي لهما، وما يأمراني به، ولهما بي خاصّةً عنايةٌ تامةٌ من الصغر، فلم أهتمَّ لأمرٍ إلا وأراهُما معي مناماً ويقظةً.

حتى إنّ بعد وفاة الوالدِ سرْنا لأمرٍ مهمٍّ إلى عينات، فلما دخلنا على الشيخ الحبيب علي بن أحمد بن الشيخِ أبي بكر بن سالم، نظر الوالدَ بعينيه يسير قدَّامي، فتعجبَ السيدُ كثيراً، وكان من تلامِذة الوالدِ، ومن الآخذين عنه».

قلتُ:

* مَن لاحظته العناية في المجيء والذَّهابْ *

* فلا يبالي .... *

وقال السيدُ العارفُ بالله، عمر بن الحامدِ باعلوي، إمامُ مسجد القومِ، تلميذُ الحدادِ الأكبر: «والله! إني أشهدُ أن والدَي سيّدي الحبيب الحسنِ، توفِّيا وهما راضيان عنه».

وقال سيدي العلامةُ، جعفر بن أحمد بن زين الحبشي: «إن سيدي العلامة أحمد بن حسن الحداد وأولاده، وقعوا بارِّين بوالديهم، لأن الوالدَ يقولُ: إن الحبيبَ الحسن بن الحبيبِ عبدالله الحداد مُرْضي والديه كثيراً».

فكان رضَا الوالدين من أكبر النعَمِ، للحديثِ: «**من أصبحَ مُرضياً لوالديهِ مسخطاً لي، فأنا عنه راضٍ، ومن أصبح مسخطاً لوالديهِ مرضياً لي، فإنا عنه ساخطٌ**»، والحديثِ الآخر: «**الجنة تحتَ أقدامِ الأمهات**».

وذكر الإمامُ السيوطي رحمه الله في «الدر المنثور»، في قوله تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴾ [الأعراف: ٤٦]، قالَ: «وأخرج سعيدُ بن منصورٍ، وابنُ منيعٍ، وعبدُ بن حميدٍ، والحارِثُ ابن أبي أسامة، في «مسنديهما»، وابنُ جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب «الأضداد»، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردُويَه، والبيهقي، عن عبدالرحمن، قال: سئلَ رسولُ الله ﷺ عن أصحابِ الأعرافِ، فقالَ: «**هم قومٌ قتلوا في سَبيلِ الله، في معْصية آبائهم، فمنعَهم من النارِ قتلُهم في سبيل الله، ومنعَهم من الجنة معصيتُهم آباءَهم**».

وأخرج الحارثُ ابن أبي أسامةَ في «مسنده»، وابن جرير، وابن مردويه، عن عبدالله بن مالكٍ الهلالي عن أبيه قالَ: قال قائلٌ: يا رسُولَ الله، ما أصحاب الأعراف؟ قالَ: «**قومٌ غزاةٌ في سبيل الله، وآبائهم وأمهاتهم ساخطونَ عليهم، وخرجُوا من عندِهم بغير إذنهم، فأوقِفوا عن النار بشَهادتهم، وعن الجنة بمعصيتهم آباءَهم**».

وقالَ تعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، فإن كان رضَا الوالدين وسخَطهم يمنعُه من دخولِ الجنةِ وإن قتلَ في سبيل الله، بل وردَ: «**أن ريحها يوجَدُ من مسير خمسِمائة سنةٍ، ولا يجد ريحَها العاقُّ لوالدَيه، ولا قاطع الرَّحِم**»، فكيفَ بمن أرْضَى والدَيه ومولاهُ من حينِ الصغر!.

بل قالَ بعضُ علماءِ السادة: «لو لم يكن فخرٌ لسيدي الحبيبِ حسَن، وذخراً، إلا رضَا والديه عنه، يكفيه ذلك».

وقال العلامةُ الحبيب العارفُ، عمر حامد المنفّر: «أكثرُ ما يرْجَى للحبيب الحسن بخصلتين: بصَبره على موتِ أولادهِ،ويظهِر مع ذلك الرضَا بالقدر، والفرح بالأجر، والخصلةُ الثانيةُ: برضاه لوالدَيه إلى أن توفيا وهما عنه راضِيان».

وقال سيدنا الحبيبُ عمر البار: «إن سيدَنا الحبيبَ الحسَن أعطي مالا أعطيَ غيرُه، بسببِ رضَا والديه عنه، وخدمتِه لهما، فلذا أسرَّ إليه والده بأسرارٍ، وستظهَر دائماً إلى أن ينتقلَ إلى خير دارٍ، دارِ المثوَى والقرار»، انتهى.

بل خُصَّ في أيام حياته بأشياءَ كثيرةٍ، منهَا: أنه أشبهَ والدَه بالسيرة، والعلوم الكثيرة، وبنور السريرة، وبالصورَة، فمن أراد أن ينظر والدَه فلينظُرْه، ففيه كثيرٌ من مشابهته بالصورة واللونِ، والسمتِ، واعتدال القامة، والمزاجِ المعتدل، والفهم الخارق، والملازمة للعبادة، وللعوائد الصالحة، حتى توفاه الله حينَ ساوَى والده في العمر، وزاد بأشهرٍ، نحو ستةٍ، تعرفُ أن الولدَ سرُّ أبيه، وما حواه الولد هو فيه.

قال السيدُ زين العابدين: «ما رأيتُ فيما رأيتُ، من حسن الخلقة واعتدالها، وحسن الطبيعةِ، مثل ما في سيدِنا الحبيبِ عبدِالله الحدادِ».

قلتُ: وكذلك ابنه الحسنُ رضي الله عنهم. وقد قالَ: «وهبني الله أموراً لا تكيَّفُ، ولا هي على البالِ»، حتى قالَ: «الحمدُلله الذي فضلني على فلانٍ وفلان»، وعدد ناساً من أكابر تلامذةِ والده، وإخوانَه كلهم، سمعته من قبلَ وفاته رضيَ الله عنه بثلاثِ سنينَ، وعمره آنذاك ستٌ وثمانونَ سنةً، وعمّرَ ثلاث سنين بعد ذلك.

ويحق فيه قولُ الحبيبِ محمدِ بن زينِ ابن سمَيط، الذي قالَه في والدِ، وهو شبْلُه:

سُقي بالصّفا لا شكَّ مـن زَمـن   وغُذّي بصافٍ من كؤوسِ العنايةِ

وقوبِلَ بالترحَابِ من كلِّ جانبٍ ورُوعيَ بالألطافِ من كلّ وجهَةِ
فمنشَاهُ في مرضَاةِ مولاهُ دائماً ولم يألُ جهداً ولم يتلفّتِ
وذلك فضلُ الله يؤتيهِ من يَشاء هنيئاً لمن قادتْه أيدي الرعايَةِ

* * *

ذكرُ نسبتِه إلى عدنان:

وحدّثني المحبُّ الأنورُ، علي الأعمَى با حرمي، عن عمه سُلَيمان با حرْمي: أنه سمعَ القطبَ الغوثَ، الحبيب عبدَالله الحدادَ، يقولُ: «سيكونُ لابني الحسنِ شأنٌ عظيمٌ».

فهو سيدُنا ومولانا، وشيخُنا وعمدَتنا، القطب الغوثُ، الأستاذ الأعظم، الحسنُ ابن سيدنا ومولانا، شيخ الإسلام، وقطبِ الأقطابِ، وإمام الأكابرِ، وقدوة العارفينَ، صاحبِ الصديقية الكبرى، الإنسان الكاملِ، العبد المحْضِ، عبدِالله، ابن السيد الوليّ نورِ الدين، علَويٍّ، ابن السيدِ الحبيبِ جمال الدين محمدٍ، ابن السيدِ العمدَة شهابِ الدين أحمدَ، ابن الإمام عفيف الدينِ عبدِالله، ابن العارفِ بالله الجمالِ محمدٍ، ابن الشيخ الكبير علويٍّ، ابن الولي الكاملِ الجليلِ، صاحب التصريف النافذِ، أحمدَ عُرِف بالحداد.

لأنه أولُ من سميَ بهذا الاسمِ، لأنه يقالُ: إنه كان من كبار السادة الصوفيةِ، وكان يتذكر نار الآخرَة بجلوسِه غالبَ الأيام عند محبٍّ له حدادٍ يعمل الحديدَ، ويتذكر بكير الحدادِ نارَ الله الموقدَة، فقال له محبه يوماً: يا سيدي أحمد، مالكَ لا تُظهِر ولايتكَ عند الخاص والعام، إني أراكَ تحجُب الناسَ فلم يصافِحوني إذا جلستَ عندي، فقال له: اترك الظهورَ لأن فيه قطع الظهورِ، فقال: إني أفرح بتعظيمهم لكَ لأجل يتبرّكونَ بكَ مثلي، فجذبَ السيدُ أحمدُ الخلقَ بتريم، وتركَ [أهلُ] السوق سوقهم، ووصلوا إلى

السيد الحبيب أحمدَ هذا يقبلونَ يديه، ويتبركون به طولَ يومهم، فلم يمْتهر الحدادُ طولَ يومه من ازدحامِ الخلقِ على السيد أحمدَ، فقال آخرَ النهار ذلك الحدادُ: «يا سيدي آذوني الناسُ، إما احجبهم عنكَ، وإلا فاخرج إليهم إلى خارجَ المكانِ»، فقالَ له: «إنما أنت تريدُ ذلكَ، جذبناهم لأجلكَ، وسنمنعهم». فمنعهم السيد أحمد بحالِه، فلم يصل إليه أحدٌ حتى رجعَ من كان داخلاً عليه ولم يصافحِ الحبيبَ، فلقبوه بالحدادِ لذلكَ، كما سمعنا عن الثقاتِ بكرامته هذه، وتردده إلى مكان ذلك الرجلِ.

ولما ظهر بالدّعوة إلى الله قطبُ الأقطابِ، الشيخُ عبدُالله بن علوي الحداد في القرنِ الحادي عشرَ، لقبوه بحداد القلوب. قال الشريفُ أبوبكرِ بن محسنٍ باعبود، باعلوي، في أثناء مديحةٍ في الحبيب عبدِالله الحداد:

مـا لقّبـوهُ بحـدادٍ بـلا غـرَضٍ　　　بل شاهدُوه عياناً يجلي الصَّادي

والحبيبُ أحمدُ، هذا هو ابنُ الفخْر أبي بكرِ الطويلِ، ابن الإمام أحمدَ، ابن الشيخِ محمدٍ، ابن الولي عفيف الدين عبدِالله، ابن الإمام الكبير العالم الشهير أحمدَ، ابن الشيخ المسلّك العارفِ بالله الوجيه عبدِالرحمن، ابن السيد الضرْغام سيدِنا علويٍّ عمّ الفقيه المقدمِ، ابن محمد صاحبِ مرباط، ابن الشيخ الكبيرِ، الذي يردُّ عليه الرسولُ النبيُّ محمدٌ عليه أفضلُ الصلاة والسلامِ مثل سَلامِه في جميع صلواته، الإمامِ علي خالع قسَم، ابن الإمام علويٍّ، ابن الإمام محمدٍ، ابن الإمام علويٍّ، وهو أولُ من سميَ بهذا الاسمِ من آل باعلوي، ابن الإمام عبيدالله، صغَّر اسمَه تواضعاً لخالقه، وهو أولُ من سميَ بعُبَيد الله من آلِ باعلوي، ابن الإمام أحمدَ صاحبِ الشعبِ الذي بحضرموتَ، شعب بني مخدَّم، وهو أولُ من خرَج من البصرةِ وسكنَ هو وذريتُه حضرموتَ، سنة ٣١٨، وهو أولُ من سميَ أحمدَ من السادة آل أبي علوي، ابن الإمام عيسَى، وكذلك أولُ من سميَ عيسَى فيهم، ابن الإمام محمّدٍ، ابن الإمام علي العريضيَّ، ابن الإمام جعفرٍ

الصادقِ، ابن الإمام محمدِ الباقرِ، ابن الإمام عليٍّ زينِ العابدينَ، ابن الإمام الحسينِ، ابن الإمام علي بن أبي طالبٍ، زوجِ البتول الطاهرةِ، سيدَتِنا فاطمة بنتِ النبيِّ سيدِنا محمد ﷺ حبيبِ الله ورسولِه، بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمنافِ بن قصيّ بنِ كلابِ بن مرّة بن كعبَ بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضْرِ بن كنانةَ بن خُزَيمة بن مدرِكةَ بن إلياسِ من مضَر بن نزار بن معدٍّ بن عدنانَ.

قال الإمامُ أحمد بن زين الحبشيّ باعلوي: «قال العلماءُ: هذا النسب من النبي ﷺ إلى هنا مجربٌ، إذا كتبَ لكلِّ شيءٍ مهم، فيه حروفُ الاسم الأعظم، وما زال السلفُ يحفظونه ويوصُونَ به»، ثم قالَ، لما نقلَ الأسامي التي نقلناها من خطِّهِ نسبَ سيدنا القطب عبدِالله الحدادِ، قالَ: «والأسامي التي قبلَه إذا أضيفَتْ إليه فهي الترياقُ المجرّبُ»، انتهى من «شرح العينية».

وقال الإمام الكبيرُ، وجيه الدين عبدُالرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي، في قصيدَته التي امتدحَ بها والدَ سيدِنا قطبِ الزمن، أولها:

* سَلْ الرَّبعَ عَن أهلِ الحمَى والمعاهدِ *

إلى آخرها، وهي نحوُ مائة وعشرين بيتاً، وهي بديعةٌ، غايةٌ في الفصاحة، وذكرَ فيها نسَب سيدِنا قطبِ الدوائر، الحبيبِ عبدالله بن علوي الحدادِ، والدِ صاحب الترجمةِ، نظمَ النسبة الشريفةَ المحمديةَ بالألقابِ والأسماءِ، في خمسة أبياتٍ. فإذا قالَ: «العفيفَ»، فهو عبدُالله، و«الجمال»: محمد، و«الشهاب»: أحمد، و«الوجيه»: عبدالرحمن، ومرادُه بالساجد: عليٌّ زين العابدين.

قالَ فيها نفع الله به وأعادَ علينا من أسراره:

وعمدَتُه يـا ذَا الحجَـى في ثلاثَـةٍ ... وليسَ على غيرِ سوَاها بحامـدِ

عناصرُه طابتْ وطابَـتْ محاتـدًا ... فيا حبّـذا مـن عنصـرٍ ومحاتـدِ

تسلسلَ من صَدرٍ همامٍ إلى فتًى إمـام إلى شـيـخٍ رئـيـسٍ وعابـدِ
أولئكَ أهلُ البيت لا شكّ أنهم أمـانٌ وأمـن مـن بـلا ومكائـدِ
نجومُ الهدَى سمُّ العدَى سادةُ الملا وأقدارُهم تعلو على رغْمِ حاسدِ
منـاقبُهم مشـهورةٌ ومشَـاعة وقد ملأتْ حقًّا بطونَ الكواغِد
ومن يكنِ المختارُ يا صاحِ جدّه فـأيّ عـلاً حـازَ وأيّ محامـدِ
وأيّ فخارٍ عـالٍ لم يـكُ حاويًـا وأيّ سـناءٍ ذاك لم يـكُ واجـدِ
ولا فخْـر إلا ذا الفخَـارُ يفوقُـه كما فاق ضَوءُ الشـمسِ نـورَ الفراقـدِ
فهاكَهمُ من واحـدٍ بعـدَ واحـدٍ إلى المصطفَى المختار زين المقاعـد
عفيفُ بن علويٍّ ابنِ الجمالِ بن أحمـد عفيـفٌ جمـالٌ ثـم علـويْ الأماجـدِ
شـهابِ أبي بكـرٍ شـهابٍ محمـدٍ عفيفٍ شهابِ الدينِ ذي النور عابدِ
وجيهٍ وعلويّ ثم عيسَـى محمـدٌ عليٌ وصادقْ والجمـالِ وسـاجدِ
حسـينٌ عـليٌ والبتـولُ محمـدٌ رسولُ الهدَى والنورِ أمجدُ ماجدِ
نبـيٌ كـريمٌ شَـافعٌ ومشـفَّع حليمٌ عظيمٌ صـادقٌ في المواعـد
جميلٌ جليـلٌ مـا لَـه مـن مماثـلٍ رؤوفٌ رحـيمٌ في الإلـه مجاهـدِ

* * *

وقد قالَ بعضُ العلماء: «من رأى مفلح كيفَ لا يفلح».

وقالَ الشعراويُّ في «المنن»، عن شيخه الشيخ محمد السرَويّ، قالَ: «قد يزرع الشيخُ في قلب مريدِه زرعاً فلا يثمِر إلا بعدَ موت الشيخ»، انتهى.

وقال في كتابِ «بهجة الفؤاد»: «قالَ سيدنا القطبُ عبدُالله بن علوي الحداد: سوفَ تظهر الزيادَة على بعضِ أصحابنا بعدَ خروجنا من الدنيا، لصدقهم في صُحبتنا».

وكان يقولُ رضي الله عنه: «يحصل بي لجميعِ أصحابي النفعُ التامُّ، لكوني أتنزّلُ لهم على حسب مراتبهم».

وقالَ رضي الله عنه: «أصحابنا لا تنكشفُ لهم أحوالهم»، أو قالَ: أعمالهم، «الصالحة إلا في الدار الآخرة، وإنا نَطوي خصُوصياتهم في بشريتهم، فلا يشهدون الكمالَ فيهم، وفي ذلك سلامتُهم وفوزُهم وغنيمتُهم»، جعلنا الله منهم.

وكان يقول: «من عرفناهُ لا نتركُه ولا نضيعُه ولا نتركُه؛ وإن تركَنا».

وكان يقولُ: «قيل لي: من خطَا إليَّ خطوةً بصدقٍ أنجَح».

ويقولُ: «من شربَ من مائنا شربةً فكأنما شرِبها من ماءِ زمزم».

ومن كلامه: «من تقرب إلينا شبراً تقربْنا إليه ذراعاً، ومن تقربَ إلينا ذراعاً تقربنَا إليه باعاً»، إشارةً إلى التخلّقِ بخلُقِ الله، الموهوب المعارِ من الواهبِ المعير لعبدِه.

وقال رضي الله عنه: «من كنا معَه لا يخافُ من أحدٍ أبداً، كائناً من كان»، أي: من الآدمينَ، ومن غيرهم من المخلوقين. وكانَ سيدُنا الحبيبُ العارف بالله، أحمد بن عمر الهندوان، يقولُ: «من عرف سيدي عبدَالله الحدادَ، وأحسن الظن به كفاه ذلك».

وقال رضيَ الله عنه: «من ربيناه يفوقُ غيره».

فإذا كان هذا الكلامُ واقعٌ لبقيةِ أصحابِ القطب، الحبيبِ الأوحدِ الحدادِ، فيكف بأولادهِ الكرام، فكيف بعين الأعيانِ، الحبر الحكيمِ، الحسَن!. لأن فطرتَه من الصّغر مستقيمةٌ، وهو من أبوابِ الجنان العظيمة، آيةٌ في الفطنةِ والذكاءِ، يشبِه والدَه، بل رأوه في المنامِ سنةَ حجَّ ينشدُ بقصيدةِ والدِه، وهو يطوف بالكعبةِ، وبقي يكرّر بيتاً منها، وهو قوله رضي الله عنه:

وأصْلتُ من غَمْدِ السجيةِ مرهفاً   من العَزْمِ ماضٍ قد تحاشَى عن الغلِّ

فتأمل قوله: «من غمْدِ السجية»، لأن سجيته مستقيمة ونفسه مطمئنة.

وقال في أخرَى والدُه، رضي الله عنه:

ولما حدَى بي حَاديَ الشّوقِ قاصداً إليكُم بجندِي وفطـرتي وهـوائي

فافهَمْ لقول سيدنا: «بجُندي وفطرتي»، لأن فطرتَه قد عدَّلها الله، وجعلها قابلةً لأنوار الله، طالبةً لما يرضيه، جُبلَ على تلك الفطرة المستقيمَة من الصغر، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

* * *

ذكْرُ قراءته في كتب الفقه:

تفقّه سيدنا قطبُ الزمنِ على والدِه القطب الغوث، قرأ عليه في الفقْه من الكتُبِ المطولاتِ شيئاً لا يحصَى، ذكر بعضَ ذلك الحبيبُ العارفُ بالله، محمد بن زين بن سميط، في كتاب «غاية القصد والمراد».

قالَ: «وقال لي: منها، أي الكتب الكثيرة: المنهاجُ للنوويّ، والوجيز للغزالي، والتنبيه للشيرازي، والإقناع للشربيني، وغير ذلك. وتُوفي وأنا أقرأ عليه في شرح المنهاج للمحلي، وكنتُ أطالع على قراءتي عليهِ كتباً كثيرةً من شروحِ المنهاجِ، كالتحفة لابن حجر، والنهاية، وشرْحَي بن قاضي شُهْبَةَ، والنجمِ الوهاج، ونحْو هذه الكتبِ، مثلَ القلائد للدميري كلَّ ليلةٍ، فكنتُ إذا قرأتُ عليه بعدَ صلاة الظهر وحْدي أنا وإياهُ رضي الله عنه، يخصّني بهذا المدْرَس منذ ابتديتُ في القراءةِ، إلى أن توفي رضي الله عنه، مدةَ نحو شيءٍ وعشرينَ سنةً، فإذا قرأتُ عليه يبدي لي عجائبَ وغرائبَ فقهيةً، لم أجدها في الكتبِ التي أطالعُها مع كثرتها، وكنت أحفظُ كل ما أقرأه، وأفهَم مَا في المسائلِ والقواعدِ، وأصولِ الفقه، وأصول التصوّفِ، والحديثِ، والعقائد.

وقرأ سيدي أيضاً في الفقهِ، على السيدِ العلامة الكبي، أحمد بن زين الحبشي كتباً كثيرةً، منها المنهاجُ، في أيام يسيرةٍ مع تحقيقٍ وتدقيقٍ وغوصٍ، وكان يقرَأ هو وإياه وحدَهما في بيتِ الحبيبِ عبدِالله الذي بمدينة تريمَ، لأن السيدَ أحمد يقصِدُ فيه، وإذا طلبَه للمسيرِ السيدُ أحمد يأخذُ في (خَلع راشد) سيدُنا قطبُ الزمن من نحو نصفِ شهرٍ، يقرأ في بيتٍ سماه باسمِهِ إلى الآنَ، وكان السيدُ أحمدُ يعجبه فهمَ الحبيبِ حسن كثيراً، ويقولُ: «لا أحدْ يعَاشيه في الفهمِ، فما فهمه هو الصوابُ».

* * *

وقال عبدونُ بن محمد بن قطنةَ، لما أهدَى له سيدُنا الحبيبُ حسن قميصاً، شِعْراً للفقيرِ عبيد الله بن محمد بن قطنةَ، ومن خطّه نقلتُ:

أتاني قميصٌ مـن حبيـبٍ مكـرَّمٍ ... سليلِ الملاذِ الكهفِ شيخي المعظّمِ
وفخْر العـلا قطـبِ الملا طيـبِ ... وراقي على أوجِ الكمالِ المتمّمِ
جزَى الله عنّي سيدِي وابنَ سيدِي ... جزَا محسنٍ بـرٍّ وصُـولٍ ومـنعمِ
حسَنَ بنَ عبدِالله لا زلتَ للندى ... وللجُودِ أهلاً والعُـلا والتكـرّمِ
وأبقَـى لنـا والمسـلمينَ أبـاكُم ... ولا زالَ بالتبجيلِ والفضِل معْلـمِ
ومـدَّ لنـا في عمْـره وحياتِـه ... ليحيَى به دينُ الرسـولِ المفخّـمِ
وكـم معضـلاتٍ قـد جلاهـا ... وأرشَد غاوٍ من فصيحٍ وأعجـمِ
وكم قد جنَى هذا العبيدُ بجودِه ... وأسـدَى إليـه مـن أيـادٍ وأنعُـمِ
يكـلّ لسـاني إن نطقْـتُ بعـدِّها ... وأعجَزُ عن إحصَـائها بـالتكلمِ
ويقصُر شكرِي عن قيامِ بحقّهـا ... بقـولي وفعْـلي والجنـانِ وبـالفَمِ
إلهـي بهـمْ تمـمْ لنَـا كـلَّ نعمـةٍ ... وبالخيرِ والإيمـان للعمْـرِ فـاختمِ

انتهى بحروفِه من خطّ عبدُون.

قال سيدي الحبيبُ حسَن: «إذا جاءَ السيدُ الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي، يأمرني الوالدُ أقرأ عليه في الفقْه، فأطلعُ من الحاوي إلى البلادِ كلّ يومٍ للقراءةِ عليهِ.

ويوماً من الأيامِ وأنا في القراءة على السيدِ، إذ سمعنا صَوت السيدِ العارفِ بالله، أحمد بن عمر الهندوان، يقولُ: الحبشي الحبشي، فناداهُ الحبيبُ أحمد بن زينٍ بالطلوعِ، وعارَضْناه إلى الدرَج، فلما جلسَ السيدُ أحمد الهندوان، قال: اقرأوا على عادتكما، فقرأت ثم قالَ: الحبشي!، ما شي قهْوة؟ فقال له: الخادم مسَلْطَن خرجَ في حاجةٍ، والساعة يجيء إن شَاء الله، ويخدم لنا القهوة، فقال السيدُ الإمام أحمد الهندوان له: أنت شيخٌ، وحسن تلميذ، وأنا أصنعُ لكم القهوةَ، وقام وتعصَّر بردائه، فقال له الحبيب أحمدُ: خادمكُم مسلطَن يجيء ويفعلها»، رضيَ الله عن الجميع وعنا ببركاتهم.

وكان سيدُنا قطبُ الزمن، انتفع بالسيد الإمام أحمد الهندوان، حتى أنه يشبهُه كثيراً في الطريقة والعملِ على أرجح الأقوالِ، والتحرز البالغِ، والورع الحاجزِ، والزهد الكاملِ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للقريب والبعيدِ، والضعيف والقويِّ، لا يخاف في الله لومة لائمٍ.

وتفقّه سيدُنا قطبُ الزمن من صغَره على تلميذِ سيدنا الحبيبِ عبدِالله الحداد، عبدون بن محمد بن قطْنة، قرأ عليه كتباً كثيرةً في الفقهِ، وكان الفَقيه يقبِل على سيدنا قطب الزمَن لما يرَى عنده من ثقابةِ الفهْمِ، وحسن الأدبِ والطلبِ، حتى قالَ: «إني أراجعُ المحبَّ عبدون في جملة مسائلَ، ويقولُ: فهمُك خارقٌ، وأنا أحررُ لك المسائلَ على حسبِ ما عندي لا على حسَب ما عندك».

* * *

قال سيدُنا قطبُ المعارف، الحسنُ بن سيدي عبدِالله الحداد: «إن القاضي علي بن عبدالرحيم باكثير يخرج إلى (الحاوي) كلَّ يومٍ بينَ وقتِ الظهر والعصرِ، لأني بعْد

الظهر أقرأ على الوالدِ عبدِالله في الفقهِ، ولا أتمّ القراءةَ على الوالدِ إلا وقَد القاضي علي بن عبدالرحيم جالسٌ في المسجدِ، وأخرج إليهِ ونقرأ في «تحفة الشيخ ابن حجر»، ونحضر الكتُبَ المعتمدةَ، ونتذاكرُ كثيراً، ونبحَثُ عن الدقائقِ الغريبةِ. وكان القاضي عليّ بن عبدالرحيمِ فهامَةً، له ذهنٌ صافٍ.

وإذا جاءَ السيدُ أحمد بن زين الحبشيّ إلى تريم يخرجُ لصلاةِ العصرِ مع الوالد، يصلي ويجيءُ إلى المسجدِ عندَه قبل دخول وقت العصر، وإذا تراجعنا أنا والقاضي علي، يقول له الحبيبُ أحمد: «فهْمُ حسن يزيدُ على فهمِكَ، لا تعاشي حسن، الصوابُ ما يفهمُه»، رضي الله عنهم جميعاً وعنا ببركاتهم.

وسمعتُ سيدي الوالدَ يروي عن بعضِ العلماءِ، قالَ: «إن القاضي علي بن عبدالرحيم لما تحوطَ في (الحاوي) من أذى الدولةِ، أكثر القراءةَ عليه في الفقه سيدي الحسنُ بن عبدِالله». وقال علي المذكورُ: «إن المناسخاتِ في المواريثِ ما رسخَتْ عندي إلا بقراءة سيدي الحبيبِ الحسنِ عليَّ فيها، لحسْنِ فهمه وتدقيقه».

* * *

ذكرُ مطالعتِه في «تحفة الشيخِ ابن حجر» في الفقه:

قال شيخُ الإسلامِ، الحسنُ بن سيدنا عبدِالله الحداد: «إن من عادتي كلَّ ليلةٍ حتماً لازماً على نفسِي، لا أنامُ حتى أطالعَ فصلاً في «تحفة الشيخ ابن حجر»، وفصلاً من «إحياء علوم الدينِ»، وإذا قالَ الشيخُ ابنُ حجرٍ في «تحفته» خلافاً للغزاليّ في بعضِ المسائل، وهي في خمسةَ عشر موضعاً، أو أقل أو أكثرَ، ما يزيد على السبعةَ عشر، أو الثمانية عشرَ، فإذا قال: «خلافاً للغزالي»، أحسّه نخَر قلبي بحديدةٍ، من ميلِ القلْب إلى محبةِ الإمام الغزالي، وكذلك جميعُ السادة آل أبي علوي».

قلتُ: وقد تكلمَ الشيخ ابنِ حجر في «شرْح الأربعينَ الحديث» على اختلافِ

أقوال العلماءِ، وأن كلاً واجبٌ عليه أن يظهر ما عندَه، ولا يعدّ نقصاً في حقِّ المخالفِ له، بل يعلمُك أن إماماً قائلٌ بذلكَ، ولكن الصوابَ عنده الذي فهِمه خلافَ ما فهمَه ذلكَ الإمامُ، انتهى بمعناه.

وقال علامةُ وقته، الشيخ محمد بن سليمان الكردي، في «الفوائد المدنية في بيان من يفتي بقول من متأخري السادة الشافعية»، قالَ: «وقالَ ابنُ حجر في كتابه «قرة العين»: «اعلمْ أن الاعتراض على كاملٍ برَدّ شاذةٍ وقعتْ له، لا يقدح في كماله، ولا يؤذِن بالإشهارِ بواجبِ رعايةِ حقه وأفضَاله، إذ السعيدُ من عدّتْ غلطاتُه، ولم تكثر فرطاته وزلاته، وكلٌّ مأخوذٌ من قولهِ ومردودٌ عليه، إلا المعصُومينَ، وليس الاختلافُ بين العلماءِ مؤدياً لحقدٍ، بل لم يزالوا من ذلك متبرئينَ»، انتهى كلام ابن حجرٍ.

ثم قالَ: «وقال ابن حجَرٍ في «فهرسة مشايخه»، ما نصُّه: «اعتراضُ العلماء على بعضهم لا يدلُّ على تنقيصٍ ولا ازدراءٍ ولا غضّ في منصبِ المعترَضِ عليهِ، وإنما قصْدُهم بذلكَ: بيانُ وجهِ الصوابِ، لله، لا لعلةٍ أصلاً، ومن ثمَّ قالَ بعضُ أكابر أئمتِنا كالإمامِ أبي القاسم الرافعيّ رحمه الله تعالى: «من لطفِ الله تعالى على هذه الأمة وما خصَّها به من الكمالاتِ، أن علماءَها لا يسكتون على غلطِ غيرهم، ألا ترى إلى قول إمام الحرمينِ في حقِّ والدِهِ الشيخ أبي محمدٍ، الذي قالَ الأئمةُ في ترجمته: «لو جاز أن يبعثَ الله نبياً في زمنِه لكان أبو محمدٍ الجوينيُّ هو ذلك النبيُّ»!، فإنه كان من الزهْد والورع، والاجتهادِ في الطاعةِ، والتخلي عن الأغراض الدنيويةِ، وغير ذلك من الكمالاتِ التي لم يدركْها أهلُ عصرِه بمحلٍّ رفيعٍ».

إلى أن قال ابنُ حجرٍ في موضع آخرَ منها: «ومع ذلكَ إذا نقلَ الإمامُ عن والده مسألةً لا يرتَضيها، أو أنّ المذهبَ لا يقتضيها، أو أنها موهمةٌ أدنى إيهامٍ، أو مشكلةٌ أدنى إشكالٍ وإظلامٍ، يقولُ الإمام عقبَ ذلكَ: «وهذه زلةٌ، أو غلطةٌ، أو فلتَةٌ من الشيخ»،

ويشدد النكيرَ عليهِ بنحْو ذلكَ، من لا لاستهتارِه في حقِّ والدِه، حاشَاه الله عن ذلك، وإنما هو لمجرد تنفير الناسِ عن تلكَ المقالةِ، عملاً بما أخذَه الله على الذين أوتوا الكتاب أن لا يتركُوا أدْنى دخلٍ أو إيهامٍ إلا بينُوه وأحلوهُ ذِرْوةَ الصوابِ، وبذلك دامت الشريعة على غايةِ الحفظِ، ونهاية الإتقان».

وفي موضعٍ آخرَ قالَ: «وبهذا الذي أتحفَ الله به هذه الأمةِ، من عدم سكُوتِ أحدٍ منهُم على خلَّةٍ رآهَا في غيرِه، حفظ الله هذه الشريعةِ من التغيير والتبديلِ، وكانت معصومةً من الخطأ، وكان إجماعُها قطعيةً لا تتطرقُ لها ريبةٌ ولا شكٌّ بوجه من الوجوه، بخلاف غيرها من الأمم»، انتهى كلامُ ابن حجر.

وقد رأيتُ في «طبقات الإمام الشعراوي»، في ترجمة بعضِ الأكابر: أنّه كان كثير الرؤيا للنبيّ ﷺ فتأخرتْ الرؤيا عنه ليالٍ، فاهتمَّ لذلك، فالتجأ إلى بعض الأكابر، وكان مثله كثير الرؤية له ﷺ فقالَ له: إن فلاناً التجأ إليَّ وتشفعَ بي عندكُم، لأنه انقطعتْ عنه رؤيتكُم منذ ليالٍ، فقال له ﷺ: إنه يطالعُ في كتبِ الفقهِ، وينظر اختلافَ العلماءِ، ويقع في قلبه على بعضِهم، فإن أرادَ أن يراني فلا يقعْ في قلبِه على أحدٍ منهم، انتهى بمعناه.

* * *

وكان سيدُنا الحسَنُ نفع الله به، ابنَ حجر زمانهِ، ويعظمُ الشيخَ ابن حجرٍ كثيراً، ولا يقدم عليه أحداً من معاصريه في الفقه، كائناً من كانَ. وإنما قالَ: «يقع في قلبي مثل نخر الإبر من قوله خلافا للغزالي».

فاعلَم، أن سادَتنا آل أبي علوي جميعَهم لا يرجّحونَ إلا ما رجّحه الغزاليّ خصوصاً في «الإحياء». قال سيدُنا السقافُ: «من لم يطالع في «الإحياء»، ما فيه حياءٌ، بالمدّ، أي: الحياءَ المحمودَ، ليتخلى عن الأخلاقِ المذمومَة، ويتحلى بالأخلاق المحمودَة،

لأن «الإحياء» جمعَ التخلّي والتحلّي. قال الإمامُ الحداد:

* وكَمِثْله لم يوضَعِ *

أو: «ما فيه حياً»، أي: ما قلبه حيٌّ، فإن من أحيى الله قلبَه بالإيمانِ، طلبَ ما ينوّره ويسقيه بماء المطالعةِ في «الإحياء»، ليدوم حياؤُه. وأما الحياءُ المحمودُ دليلُه الطاعَة الخالصة لله تعالى، ويمنعه الحياءُ أن يشركَ معه أحداً من خلقهِ، ودليلُ هذا الحياءِ مطالعةُ كتابِ «الإحياءِ»، لأن مثله لم يوجد.

وقد أطنبَ الشيخانِ: العيدروسُ عبدُالله بن أبي بكر، وشيخُ الإسلام عبدُالله بن علوي الحدادُ في مدْحِ الإمام الغزاليِّ وكتبِه، حتى قالَ الفاكهيُ في «مناقب الإمام الغزالي» التي أفردَه بها: «حكيَ عن الإمامِ النووي رحمه الله، أنه قال: «لو جازَ نبيٌّ بعد النبيِّ لقلنا الإمام الغزالي»، ومعجزتُه كتبُه، فلا يقدِرُ أحدٌ أن يأتي بمثلها».

وقالَ: «عن الإمام النووي: إن كتابَ الحلال والحرامِ من «الإحياءِ» ما صُنِّف في الإسلامِ مثلَه، فكيفَ وقد باهَى له أهلَ النبوةِ موسَى وعيسَى نبيُّنا محمدٌ ﷺ فقالَ لهما: أفي أمتكما حبرٌ مثلُه؟ فقالا: لا»!.

وقالَ سيدُنا الحبيب عبدُالله الحداد في «الدعوة التامة»، تقريراً لكلام الإمام ابن الجعدِ، وحكايةً له: «سيدُ المجتهدين محمدُ بن إدريس الشافعيّ رضي الله عنه، وسيدُ المصنفين محمد بن محمد بن محمد الغزالي». رضيَ الله تعالى عن العلماء الأعلامِ، وعنَّا ببركاتهم.

*　　*　　*

وقد طالَ بنا الكلام ولا نحنُ بصَدده لكن جعلنَاه تبصرةً لمن وفّقه الله تعالى للصوابِ، وهذا كله فيمَن أصلحَ نيته ومقصدَه، كما ذكره الشيخُ ابن حجرٍ، وإلا فمن خالفَ ليس على قصْد إظهارِ الحقِّ، أو تركَ الأدبَ، عوقبَ.

فقد قالَ في «الفوائد المدنية»: «إنّ حيةً عظيمةً أكلتْ لسانَ الريميِّ، محمد بن عبدالله بن أبي بكرٍ، رحمة الله عليه، بعد موتّه، لحطِّه على الإمام النووي، قال الشيخُ ابن حجر في «فهرسة مشايخه»: إنه كان له اليدُ الطولَى في الفقهِ. ونحوُه: ما وقع لشخصٍ كرمانيٍّ، كان يطلق لسَانه في الإمام النوويّ، فإنه لم يمُتْ حتى سقطَ لسانُه.

والإمامُ الإسنوي لما اعترضَ على الشيخينِ في كتابه «المهماتِ»، قال في «التحفة» في مبحث حمل المحْرِم: وبالغ الأذرعيُّ في توهّمه، حتى قالَ: «إنه مع كونه ثقةً كثيرُ الوهمِ، في النقل والفهم»، والإسنويُّ أجلُّ من أن يطلقَ فيه ذلكَ، لكن الجزاءَ من جنسِ العملِ، كما تدين تدانُ»، انتهى كلام «تحفة ابن حجر».

وقال ابنُ حجرٍ في شرح خطبة «العباب»، من شرْحِه عليه ما نصّه: «وقد قيلَ: إن الإسنويّ رحمه الله تعالى وشكر سعيه، كان يفتي بها في «الروضَة»، وإن ضعفه في «مهماته»، وهو غير بعيدٍ، إذ الشخصُ كثيراً ما يعتمد في تصنيفِه خلافَ ما يفتي به، لأنه قد يبين الراجحُ عندَه، وفي إفتائه يبينُ الراجحُ من المذهبِ.

فظهر ما قررتُه: أنه لا يغترُّ بقول المصنفِ، أي صاحبِ «العباب»: «خلافاً للشيخينِ أو النوويِّ»، ولا بقَولِ من هو أجلُّ منهُ في كلامهما، أو كلامه: «هذا ضعيفٌ»، أو: «سهوٌ»، أو: «غلطٌ»، أو نحو ذلك»، انتهى.

قال الشيخُ محمد بن سليمانَ الكردي: «وهذا الذي ذكرَه ابنُ حجرٍ بقوله: «لأنه فيه يبينُ الراجح...»، الخ، يقتضي أن يكونَ مَا في الفتاوَى مقدَّماً على ما في التأليفِ، إذ

السائلُ إنما يسألُ عن الراجحِ في مذهبِ الشافعيِّ، لا عن الراجحِ عند المسئولِ، كما لا يخفَى!. وهذا خلافُ المقرَّر، أنّ ما في التصانيفِ مقدّمٌ على ما في الفتاوى.

وقد قال ابن حجرٍ نفسُه في التيمّم، في كتابه المذكور، ما نصّه: «**فائدةٌ**: نقل التاج السبكيُّ عن والدِه، واعتمدَه، أنه حيثُ وجِد لأحدٍ من الأصْحاب كلامٌ في فتاويهِ مخالفٌ لكلامِه في تصنيفِهِ، اعتمدَ ما في تصنيفِه، لأنه موضوعٌ لذكرِ ما هو الأمرُ الكليُّ الذي يشترك فيه جميعُ الناسِ، دون ما في فتاويهِ، لأنها لتنزيلِ ذلك الكليِّ على الجزئيِّ، وقد تختلف الأبوابُ والأحوالُ في التنزيلِ، فلسْنا منها على ثقةٍ»، انتهَى كلام «شرح العباب».

ثم قال الشيخ محمدٌ: «وقد علمتَ من ذلكَ: أن الحيثيةَ مختلفةٌ في التقديم، فما في الفتاوى مقدّم من الحيثيةِ السابقةِ، وهذا مقدّمٌ من هذه الحيثيةِ، وهو في المغلَّب من كلامهم»، انتهى ملخصاً.

* * *

فإذا علمتَ ذلكَ؛ علمتَ اتساعَ علْمِ الإمام الغزاليِّ، لأنه في كتبِه يخالفُ نفسَه، وكذلك الشيخُ ابنُ حجرٍ في كتبِهِ، يخالف نفسَه، قال تلميذُه عبدُالرؤوفِ: «لا يعَدُّ ذلك نقصاً عليه، بل لما عندَه من سعة العلم». وقد طال بنا الكلامُ ولسْنا بصددِهِ، لكن لعلَّ فيه لذوي القريحةِ الوَقادة فائدةٌ، وأيُّ فائدةٍ لذوي العلمِ، فدَيتُ من يفهمُ بمن لا يفهَم.

رَجعْنا إلى ترجمة الحبرِ الحكيم؛

قال سيدي بحر المعارف الحسنُ: «إني مع سَعة مطالعتي في «تحفة ابن حجرٍ» وغيرها، آلي على نفسي بمُطالعة فصلٍ، وآخذ بالتدريجِ أطرحُ في قصْعةٍ عند المطالعة لوزاً وسكراً، وأقولُ لها: «إن أحكمتِ الفصْلَ بالمطالعةِ أعطيتُكِ قبضةَ اليدِ من اللوزِ

والسكّرِ». أفعلُ ذلك كل ليلة عند المطالعةِ. وكانت همتي كبيرةً من الصّغرِ، وإذا استصعب الأمرُ، ارتكبتُه فيهونُ بالهمة الصادقةِ، والعزمات الخارقة، والهمةُ قالَب التوفيقِ، والقالبُ هو الوعاءُ، فإذا كان وعاؤك كبيراً مليءَ من التوفيقِ كثيراً.

ولما سرتُ لحجِّ بيت الله، مرادي أطوي الطريقَ في يومٍ وليلةٍ، فلما وصَلنا بين (سُوق السبت) و(تعزّ)، ونحن في وادي عابرينَ، فيه أشجار ومياهٌ، إذ برجلٍ تحتَ شجرةٍ وقتَ الظهيرةِ، وأنا متقدمٌ أسيرُ قبل جماعتي وحدي، لأني غالبَ الطريقِ أسيرُ ولا أركبُ إلا مع المَرَضِ أو التعب الشديدِ، هكذا مدةَ مسيري.

فلما عبرتُ على الرجلِ تحت الشجرةِ، سلمتُ عليه، فرد عليَّ، وناداني: يا سيد حسن!، أو يا حبيب حسن، خذ الطريقَ براحتِكَ لا بهمّتكَ، ثلاثاً، فكأنَ من كلامه هذا حين سمعتُه صبَّ على قلبي ماءً بارداً، وأظنّ أنه الخَضِر عليه السلام، أو أحدُ أكابر الأعلامِ، في أقطار الإسلام».

وقال سيدُنا قطب الزمنِ الحسنُ أيضاً: «إن في حياة الوالدِ، لما رأى وفورَ علمي، وما عندي من الفَهم والحفظِ والإتقان، أمرَني بالتدريس مكانَه صبحَ يوم السبتِ، ويومَ الربوع، وكذلك يومَ الأحد في (السُّبَير) مكانِ أجدادِه. ويقرئون الطلبةُ الذي عند الحبيب الوالدِ، وناسٌ من البلد تريم يخرجون، وجملة من الفقهاء أهلِ المعرفة من سَادة تريم وغيرهم، يحضرون ويباتون يطالعُون وحدَهم في الكتب المعتمَدة، يلتقطون المسائلَ الغريبة في مدْرسي هذا، يوم السبتِ والربوع، وأنا أطالعُ في ثمانيةَ عشر كتاب كلّ ليلةٍ، على ما عندي أحفظُه، فإذا خرجُوا من عندي بحَمْدالله أفيدُهم أكثر مما يفيدوني، ويجدونَ عندي ما لا يجدُونه عندَهم، وسيدي الوالدُ عبدُالله الحداد يجلس عند البابِ المسمَّى البوني، في وسَط الدرج، يسمعُ قراءتنا ومذاكرتنا، فكم فتح الله لنا ببركته ما لا يقدِرُ أحدٌ على وصفه».

قلتُ: قالَ تلميذُ سيدِنا الحسنِ، الفقيهُ البارعُ، حسينُ بن أبي بكر بانافع، قالَ: «قرأتُ جملةً من كتبِ الفقهِ المطوَّلة على سيدي قطبِ الزمن الحسنِ بن سيدنا عبدِالله الحداد، وقد تعيى عليَّ جملةٌ من المسائلِ، وكذلك على غيري عندَ المطالعة، فإذا دُعينا للمَدْرس والقراءةِ على سيدِنا بحر المعارفِ، الحسن بن سيدنا عبدِالله الحداد، وابتدأنا في القراءةِ، فتنفتح لنا الأبوابُ المغلقةُ، ونفهم جميعَ ما تعوَّصَ علينَا وعييَ علينا فهمُه، فنفهمُه بحضرَته عند القراءة، من غير أن يكلمَنا ويعلمَنا، بل ذلك من سرِّ نفَسه الشريفِ، جرَّبنا ذلك عياناً، وجميعُ الطلبة والمريدين الصادقين».

وكذلك أخبرني شهابُ الدينِ، الوالدُ أحمد بن سيدي الحبيب الحسنِ، بمثل ما أخبرنا الشيخ الحسينُ بانافع، فاقض العجبَ من هذا الذي بحضرَته تنالُ جميعُ الأرَب.

وقالَ لي بعضُ تلامذةِ سيدي الحبيبِ عبدِالله الحداد: «إنا إذا وصلنا إلى (الحاوي) الميمونِ، لزيارة سيدنا عبدالله الحداد، نسمع الناس، يشيرون إلىٰ ابني سيدنا عبدالله الحداد: علوي، والحسن، يقولونَ: هذا فقيهٌ صوفيٌّ، يشيرون إلى سيدي الحبيبِ الحسنِ، وهذا صوفيٌّ عابدٌ، يشيرونَ إلى سيدي الحبيب علوي».

وسمعتُ بعضَ أولاد سيدي عمر البار، قالَ: «قال الوالدُ عمر: الحبيبُ حسن زاد على أخيه علوي بزيادةِ العلومِ الكثيرةِ، مع العبادة والبرِّ لوالديه، فهو أفضل من علويّ». وكذلك سمعتُ مثلَ هذا اللفظِ من الحبيب محمد بن زين بن سميطٍ، يروي عنه ذلك بعض ذويه الثقاتِ.

* * *

وقال سيدي الحسنُ: «إن والدي قالَ لي: اجلسْ في المكانِ الذي كان فيه عبدُالرحمن بن علي بن عمر بن حسين فقيه، في دار الوالدِ، في المجلس الذي قريب محضَرة الوالد، قالَ: ويجيءُ عندي في غالبِ الأيامِ، ويسألني عن مسائلَ كثيرةٍ فقهيةٍ،

وأجمعُ عندي كتبَ الفقه، وأعطيه كلَّ مسألةٍ من الكتابِ الذي هي فيه، وقد يقولُ لي: انكُشْ على الفصلِ الفلانيِّ تجدِ المسألةَ فيه، فأجدُها كذلكَ، نفع الله به، لأن الوالد عبدَالله ما يسمع بشيء إلا حفِظَه في أولِ مرّة، وهو هبةٌ من الله تعالى، رضي الله عنه وعنا به».

قلتُ: وكذلكَ سيدي الحبيبُ الحسنُ، آيةٌ في الفهْمِ والحفظِ، يحفظُ جملةً من المتونِ، كـ«الزبد»، و«الملحة»، و«شرح ابن قاسمٍ على مختصَر أبي شجاعٍ»، لأن والدَه يقولُ: أعطاه وقتَ الصغر نسخةً مليحةً منه، وأمرَه بحفظها. وسمعْنا عنِ الحبيبِ عبدِالله الحداد يقولُ: «هو أولى من حفْظِ الإرشادِ، لأنّ فيه القواعدَ، ومن له فهمٌ وقريحةٌ فيخرجُ على كلِّ قاعدةٍ وأصلٍ ما يناسبهُ من المسائلِ، ويفرِّع على ذلك بصَافي ذهنه، وحفظُ الأصولِ أولى من حفظِ الفروعِ، خصوصاً لمكفُوفِ البصَر»، انتهى.

وكان إذا أخبرناهُ بكتابٍ في فقهٍ، أو حديثٍ، أو تفسيرٍ، أو حقائقَ، أو شيء من كتب القوم، أو شروحِ الحديثِ، مثل «فتح الباري»، و«شرح القسطلاني»، و«شرح مسلم للنووي»، وغير ذلك من جميعِ فنون العلمِ النافعِ، وجدناهُ قد قرأه على والدِه، أو قرئَ عليه، أو طالعَه، أو سمعَه في القراءة على والدِه، مراتٍ عديدةً، أو ثلاثاً، أو مرةً في النادر. ويخبر بما أعجبه من الكتُبِ الذي قرأها أو طالعَها.

وقد جمع ما استحسَنه منها في كتابٍ كبيرٍ، وجعله كالسّفينةِ، جمع فيه الفقْهَ، والنحو، والصرف، واللغةَ، والآدابَ، والحديثَ، والتواريخَ، وعلوم القومِ، والطبَّ، والنجومَ، وأدلة القبلةِ، وجملةً من العلوم المفيدة العديدة، كعلم الحرْفِ، وغير ذلكَ. لكن سافر به الوالدُ شهابُ الدين أحمدُ، ابنه، واستصحبه معه سنةَ حجَّ، وحصل عليه ما حصَلَ في البحرِ، قريبَ (القنفذَة)، فراح كتابُ «السّفينةِ» في جملة ما راحَ عليه في البحرِ. وقالَ: «ما تعبنا إلا على كتاب السفينة العجيبة حقّ الوالد».

لكن عوضَ الله الكريم الوهابُ، فجمعَ الوالدُ سفينتَه المسماة «سفينة الأرباح»، ورتبها على خمسةَ عشرَ باباً، وخاتمةٍ، جمعَ فيها وأوعَى. وقلتُ في مدحها نظماً، لأن فيهَا جميعَ ما فات في «سفينة والده»، أو أكثر، كما أخبرني بذلكَ، وهي بثلاثةِ مجلداتٍ كبارٍ. قلتُ فيها أيامَ حياةِ والدنا:

شُحِنتْ «سفينةُ» شيخِنا بنفائسٍ — لبحُورِ علمٍ يَا أخي [هي] حَاويةْ
فالسفنُ تجري في البحَار وهذِه — أضحتْ بحورُ العلمِ فيها جَاريةْ
جمعتْ جميعَ الخيرِ فيها كلَّه — فيها العلومُ بأسْرِها هيَ ثاويةْ
إن شئتَ تعْديداً لكلّ ابوابها — (بهجةٌ) بغيرِ خاتمةٍ هي كَافيةْ
وقلْ (جواداً) إن تشَأ أبوابَها — (جاد) بها بالخاتمة هي كافيةْ
فاحسبْ (جوادا) ثم احسِبْ ما أقلّ — (جادا) بها إن كان أذنُكَ واعيةْ
أيضاً وبعدَ الخاتمة صِنْوي يقُل — (حُجّة) على ذِي الخلقِ فيهَا العافيةْ
فيها حديثُ المصطفَى واتْباعِه — وكذا حِكَمْ أهلِ الفهومِ الزاكيةْ
وكذا الشريعَةْ والحقيقةْ والأدَبْ — والطبّ والتجويدُ فهي كافيةْ
والفقْهَ والنحوَ حوتْ بل جمعَتْ — علمَ الفلكْ وللمذَاهب حَاويةْ
وكذا اللغةْ وقهوةِ البن فهي فيـ — ـهَا وأشياء لم تجدْها خافيةْ
فيهَا المنافعْ والعزائمْ والرقَى — فيها الدواءْ فيها الشّفا هي ضَافيةْ
وكذا حوتْ تاريخَ ممن قد — وافعالَ قومٍ عنهم هي حاكيةْ
والخاتمةْ فيها الجواهِر والدرَر — يفهمُها أهلُ العقولِ الصافيةْ
فنسألُ المولى تعالى مجدُه — معطِي العطايَا الكاملاتِ الوافيةْ
يمنُنْ بعلمٍ ثم عقلٍ وافِر — نرثُ العلومَ وأسرارهم السارِيةْ
كذاكَ يصْلحنا ويحفظْ دينَنا — والختم بالخيراتِ تجري جاريةْ

ونســـألُ الله باســـمِه دائـــماً وإني أدعُـــوه ونفـــسي راجيـــةْ
إني توســلتُ بــذاكَ المصــطفى أحمـــدْ محمـــدْ إذ لسَـــاني داعيـــةْ
وباسْـــمه ونبيّــــه متوســـلاً أدعُـــو بـــدعوَة ظـــاهرةْ لا خافيـــةْ
بـــأن يمتعْنـــا بوالـــدِنا وأن يعطيـــهِ سرّ آبائـــهِ والعافيـــةْ
في الدينِ والدنيا مع الجسْم تعُمْ كـلّ الأصـول مـع الفـروعِ السـاميةْ
كذا جميعُ الصـحبِ والإخـوان يـــاربّ أنـــزلهم منـــازل عاليـــةْ
ثم الصلاةُ مع السلامِ على النبي وآلـــهِ والصـــحبِ منـــكَ وافيـــةْ
والتـــابعينَ ومؤلـــفِ لســـفينةِ هـــي جنـــةٌ وقطوفهـــا دانيـــةْ

أتينا بها لأنّ ما فيهَا هو قد كانَ في «سفينة والده»، والولدُ سرُّ أبيه.

وقد كتبَ سيدُنا قطبُ الزمنِ الحسن، بيده الكريمَة: «شرح المنهاج» للمحلي، وحشَّى على أوله بحاشيةٍ عجيبةٍ، من جملةٍ من الكتبِ الفقهية، وقرأ فيها، أي: النسْخَة التي بخَطه، على والدِه القطبِ الغوث عبدِالله الحداد.

وقال سيدُنا بحرُ المعارفِ، الحسنُ ابنُ سيدي عبدِالله الحداد قرأتُ «إحياءَ علوم الدين» للإمام الغزالي أربعينَ مرةً، غير كتُبِ الإمام الأخرى، وغير ما قرئتْ علينا، فقد قرأها الولدُ أحمدُ علينا عشْر مراتٍ، يتممها في كلّ مرةٍ. وقرأها السيدُ عمر بن زين بن سميطٍ، والسيد أحمد بن زين الحبشي، صاحب نويدرة تريم، وقرأوا أجزاءً منها جملةٌ من الأولادِ والطلبةِ، وصارت «الإحياءُ» كالغذاء لنا، فالله يجزي الإمام الغزاليّ عنا أفضلَ الجزاء.

قلتُ: وقد صار كالإحياءِ، كما قالَ بعضُ تلامذته ومحبيه من آل دوعن، وهو الشيخ عبدالله بن الشيخ فارس باقيس، في القصيدةِ التي امتدَحه بها، الآتية في المديح:

ألا إنــه «الإحيـاءْ» بـل الكتـبُ كلهـا بل القطبُ عين الله في الأرضِ مشتهَرْ

عـلى الـذكر والأذكَـار مـن كـلّ واردٍ ... على الجدّ والتشمير في الـدوبِ مـا فـترْ
ومحـــي طريـــقِ القـــوم لله درُّه ... إمـام نصيحٌ صـادقُ القـولِ والخـبرْ
عـــلى السـنة الغــرّا البهيــةِ وانتقــى ... جواهرَهـا البـيضَ الصـقيلةَ والـدررْ
إمــامٌ مقــيمٌ مسـتقيمٌ صـلاتُه الـــ ... ـجماعةُ دوبَ الدهر من حَالـة الصـغرْ
فحيـــاهُ مـــا أزكَـــاه مـــن متعبـــدٍ ... وداعـي إلى المعبـودِ أصْبـر مـن صـبرْ
وحـــازَ مقامـــاتِ اليقـــين بأسْرهـــا ... تمـلَّى بـه خلقـاً وخُلْقـاً وقـد شـكرْ
وتحيَـى بـه الأرواحُ بـل هـو أبٌ لهـا ... بـه اتصـلتْ في نسـبةِ الـدِّين والقطـرْ
بحـــقٍّ وتحقيـــقِ وألقـــاحُ مجـــدِها ... وطابتْ وقد تعلـو عـلى نِسبة البشـرْ
إذا جـاء بالصـدقِ الصـدوقُ تفتقَـتْ ... كمائـــمُ أزهـــارِ المعـــارفِ بـــالثمرْ
ونـــارتْ زوايـــا قلبـــه وتطهـــرت ... وزار صـداها وانجـلى الـران والكـدرْ
بلحـظ وألحـاظ مـن النظـر الـذي ... سرى سره مـن قولـه كنـت في الخـبرْ

* * *

وقال سيدي الوالدُ، نفع الله به، في وصفِ والده، من قصيدةٍ نفع الله بها:

ذاك ابـنُ عبـدالله سـلطانِ المـلا ... وارثُ علـوم الأنبيـاءِ المقتفـي
حـازَ علـومَ الأولـينَ بـلا مِـرا ... والآخريـنَ فسـّره لا ينـطَفي
لقبـه والـدُه حكـيماً فـانظرَنْ ... فـيما حـوَى إن كنـتَ بـالعلم حفِـي

وقال بعضُ السادة آل أبي علوي في قصيدةٍ منه في سيدي الحسنِ، نفع الله به، يصفه بها:

كـلّ السـننْ متحليـاً بصِـفاتها ... سراً وجهـراً فرحـاً مستبشـرا
يتفجـرُ العلـمُ الكثـير إذا سـئلْ ... منه العلومُ بدتْ لنا منـه ابحـرا

متبع أثَار الرسول محمدٍ والآلِ والصحبِ الهداة الكبرا
قد أخذَ السهمينِ من إرث النبيّ سهمَ العلومِ وسهمَ ثاني عنصُرا

وقال الشيخُ العالم الفاضلُ الأديب، فارسُ بنُ الشيخِ العارف باللهِ محمد باقيس، ساكن وادي دوعن، من أعمال حضرموتَ، في قصيدة منه في سيدنا:

إن شئتَ شمسُ العصرِ واحدُ وقتِه شيخٌ فريدٌ ماجدٌ وعظيمُ
علَمُ الملاحةِ والفصاحَة والحجَا مسدِي الهدَى بحرُ الندى وكريمُ
فخْر السوابقِ واللواحقِ زهدُه وسماَ عليهم بسطةٌ وعلومُ
ذاك الحبرُ حبرٌ منتقَى حاوي المفاخِر كاملُ التعليمُ
أعني ابن عبدِالله صفوةَ ربه من حازَ في أوصَافه التقديمُ
ذاك الحسنْ مجلي الحزنْ شيخُ الزمنْ أحيَى علوماً أطمِستْ ورسُومُ

وقال بعضُ السادة من أكابرِ آل أبي علوي، الجامعُ العلمِ والعمل، والمظهرُ للطريقةِ الحدادية، والمنتسبُ إليها، إمامُ مسجدِ باعلوي، نفع الله به، قالَ: «لولا سيدي بدرُ الدين الحسنُ، ومقامه بعد والده بالعلوم النافعة، ومدافعةُ أهلِ الامتحان، والجواباتُ على الأسئلةِ، وحفظُ القانون والنظامِ، لما استقام منصبُ الحبيب عبدالله الحداد.

ولكن جعل الله في الحبرِ الحكيم، سيدنا الحسنِ، ما لم يكن في إخوانه وأهل وقته، فلذلك نظّم الله المقامَ الحداديَّ العلويّ به إلى يوم الدين، ونفع الله به المريدين، والقاصدين والزائرين، والوافدين واللاحقين، وألحق الأحفاد بالأجدادِ، حتى نفع الله به خلقاً جماً، وتخرجوا من تحته العلماء النقادُ، والعبادُ والزهاد. ومن أجلِهم ولدُه شهابُ الدين أحمدُ، فإنه جمعَ من العلومِ ما لم يجمعْه غيره، وقرأ «تحفة ابن حجر» على والده أربعَ مراتٍ، وجملةً من الكتبِ الفقهيةِ ما لا تحصى، كيف وقد قالَ جدّه قبلَ

وجوده: «هو عالم تريم».

قلتُ: بل سمعتُ عن السيدِ العلامة، الصوفي الصفوة، المحقق عبدالله بن أحمد مقيبل باعلوي، ساكنِ ظفار، عن السيدِ العارف بالله محمد بن زين بن سميط باعلوي، قالَ: «إن الحبيبَ القطب عبدَالله الحداد، قالَ: «سيأتي لابني حسنٍ ولدٌ، ابنُ حجر زمانه»، فالحمدُلله».

والذي تخرَّج على يدِ سيدِنا جملةٌ من الأكابرِ العلماء، سنأتي ببعضهم فيما بعدُ، إن شاء الله تعالى. وبمثل ما قالَ إمامُ مسجدِ باعلوي؛ أخبرني بعضُ الصادقينَ، وهو العم الجليلُ، بدر الدينِ الحسينُ بن محمدٍ، عن عمّه زينِ العابدينِ ابن سيدنا عبدِالله الحداد، قالَ: «لولا مقامُ أخينا الحسَن بعدَ الوالدِ، لما انتظم مقامُ الإمام الحداد».

وقد قال شعراً في وصفِ أخيه بدر الدين الحسنِ، من قصيدةٍ أرسلَها مع مسيرِه من حضرموتَ، وهو بظفار، وسار منها إلى الأحسَاء، والبصرة، وسكنَ بلد الصِّيرِ، من جهة عمان، وتوفي بها، رحمه الله تعالى، ونفعَ به كسلفهِ، آمين.

قالَ فيها:

صدرُ المحافلْ حسنْ نورُ المكانْ   السيدُ الجيْدُ والبرّ السَّموحْ
أيضَا وهو دافعَ أهلَ الامتحانْ   وأظهر بعلمِه دليلاتِ الوضُوحْ
ركنُ الشريعة رقَى في كلّ شأنْ   عمرُه لأهلِ المذاهبْ والفتوحْ
مليحُ الافْعال هو شيخُ الزمانْ   حكيمْ اسمُه كلُقْمانٍ ونوحْ

وكذا سمعتُ بعضَ السادةِ، يروي عن سيدنا بدر الدين الحسينِ بن عبدِالله الحداد أنه يقول: «لولا الحسنُ أخونا ومقامُه بعد والدِنا بالأثقالِ الكبيرة، لما استقام لنا مقامٌ، ولكن جعل الله فيه البركة».

قلتُ: وسمعتُ من سيدي الحبيبِ الحسنِ، نفع الله به، يقولُ: «إن بعد وفاة سيدنا الحبيبِ الوالدِ، أراد الصنوُ حسينٌ، والصنو علوي، أن يقرآ عليَّ في الفقهِ، وألحَّا عليَّ، فلم أجبهما، لأنهما منتفعانِ، وإن كان عندي علومٌ جمةٌ، فإني لم أمنعْهما إلا لأنهما أسنَّ مني، وشقَّ عليَّ أن أتصدر عليهما، وكان يتواضعانِ لي، وهما عارفانِ وعالمانِ، قرءا على والدهما كتباً كثيرةً.

والصنو حُسينٌ فهمُه خارقٌ، بل ما له نظير، لو أعطى الجدَّ والاجتهادَ في العلم حقَّه، لما كان بحضرموت أحدٌ أعلمَ منه، وقد قرأ على الوالدِ «الإحياء»، و«التفسير» للبغوي، و«صحيح البخاري»، وجملةً من الكتبِ، وعلويٌّ كذلكَ، قرأ في جملة من الكتبِ، خصوصاً كتب القوم».

* * *

قلتُ: وفضْلُ العالم أكثرُ من أن يشهَر، فلذلك جميعُ إخوانِه رأوا الأفضليةَ من جهة العلم النافعِ. قال سيدُنا الإمامُ الغزالي في «الإحياء» في ربع العبادات: «قالَ الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجاتٌ فوق المؤمنين، سبعمائةِ درجةً، بين الدرجتين مسيرُ خمسمـائةِ عامٍ، وقالَ الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]».

قال الإمامُ الغزالي في كتاب «منهاج العابدين»: «اعلم أنّ العلمَ والعبادةَ جوهرانِ، لأجلهما كان كلّ ما ترَى وتسمعُ، من تصنيف المصنفينَ، وتعليم المتعلمين، ووعظِ الواعظينَ، ونظر الناظرين، بل لأجلهما أنزلتْ الكتبُ، وأرسلَت الرسلُ، بل لأجلهما خلقتْ السماواتُ والأرضونَ، وما فيهن من الخلقِ».

ثم قالَ: «إذا علمتَ ذلك؛ فاعلمْ أن العلمَ أشرفُ الجوهرينِ، وأفضلُهما، ولذلك قال النبي ﷺ: «**إن فضلَ العالم على العابدِ كفضلي على أدنى رجُلٍ من أمتي**»، وقال ﷺ: «**نظرةٌ إلى عالمٍ أحبُّ إليَّ من عبادةِ سنةٍ، صيامِها وقيامِها**»، وقال ﷺ: «**ألا أدلكُم على أشرفِ أهل الجنة؟**»، قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: «**هم علماءُ أمتي**».

فبانَ بذلكَ؛ أن العلم أشرفُ جوهراً من العبادةِ، ولكن لابدَّ للعبدِ من العبادةِ مع العلمِ، وإلا كانَ علمُه هباءً منثوراً، فإن العلم بمنزلةِ الشجرة، والعبادةَ بمنزلة ثمرةٍ من ثمراتها، فإذا لابدّ للعبدِ أن يكونَ له من كلا الأمرينِ حظٌ ونصيبٌ، ولهذا قال الحسنُ البصريّ رحمه الله: اطلبوا العلْم طلباً لا يضر بالعبادَة، واطلبوا هذه العبادة طلباً لا يضر بالعلم»، انتهى ما التقطناهُ من «منهاج العابدين» للإمام الغزالي.

* * *

وقد جمعَ سيدُنا الحبيبُ قطبُ الزمنِ الحسنُ العلم والعملَ، فلذلك سماه والده الحكيم، قال الأحسائي في «تثبيت الفؤاد»: إن سيدنا الحبيب عبدالله لقب ولده الحسنَ حكيماً، وكذلك قال سيدنا الحبيب محمد بن زين ابن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد»: إن سيدنا الحبيبَ عبدالله الحداد سماه حكيماً.

قال الإمامُ البغوي في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: «قالَ ابن عباس رضي الله عنهما، وقتادَةُ: علمَ القرآن؛ ناسخَه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمَه ومؤخَّرَه، وحلالَه وحرامَه، وأمثاله. وقال الضحّاكُ: القرآنَ والفهمَ فيه. وقالَ مجاهدٌ: هي القرآنُ، والعلمُ، والفقهُ. وروى ابنُ نجيحٍ عنه: الإصابةَ في القول والفعلِ. وقالَ إبراهيمُ النخْعي: معرفةَ معاني الأشياءِ وفهمَها.

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: حكي عن الحسَنِ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، قالَ: الورعُ في دين الله. ﴿فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] يتعظ

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ذوو العقول»، انتهى من «تفسير البغوي».

فإذا عرفتَ معنى هذه الكلمةِ من سيدِنا القطبِ الغوث عبدِالله الحداد، وما حوتْ وما جمعتْ، عرفتَ قدر سيدِنا قطب الزمن الحسنِ، نفع الله به في الدارين.

* * *

ولما رأى والدُه أن ابنه الحسنَ على جمعِه العلومَ، يلبس الثيابَ الفاخرةَ، الغالية القيمة، ومكثرٌ منها أولَ عمره، وتركَ ذلك من سنةِ حجَّ إلى أن ماتَ، قال والدُه: «إن طال عمر حسَن، فهو حجةٌ على علمِهِ، وإن قصَر عمرُه فعلمُه حجةٌ عليه». وقد طال عمره نفع الله به كما تقدمَ، يجمعه قولكَ بالجمَّل: (ملكٌ)، وقولكَ: (ولي جلي)، وقولكَ (إمامٌ بدا)، بعد أن تخرج تسعةَ أشهرٍ من تسعينَ سنةً. وقال والدُه: «إن طال عمْرُ حسن يقع له شأن عظيمٌ»، وقد طالَ بحمدِالله، وقد لقبه الحكيمَ، واشتهر عند الخاص والعام، وخصَّه والده بخصوصياتٍ، في الباب الخامس سنأتي بها إن شاء الله، فاعجَبْ لهذه الكشوفاتِ من والده، بأنه يطول عمرُه، ويقع له شأن عظيمٌ، ويصير حجةً على علمه، نفع الله به. وقد جمع سيدُنا العلمَ والعملَ.

وقد قالَ: «قطعنا العقباتِ السبعِ التي ذكرها الإمام الغزالي في منهاجه». وقد نظم بعضُ أحفادِه كلامَه، في مديحةٍ امتدحه بها، فقال جزاه الله خيراً:

قـد فنَـي ثـم بقِـي وقطَـعْ ... للعقبـاتِ السـبعِ في مهَـلِ
حجــةُ الإســلام بينَهــا ... ضمْنَ منهاجِـه بوجـهِ جـلي

* * *

ذكر العقباتِ السبعِ:

قال سيدُنا الإمام الغزالي رضي الله عنه: «اعلمِ الآنَ، أن الحاصلَ من هذه الجملةِ سبعُ عقباتٍ: **الأولى**: عقبة العلم. **الثانية**: عقبة التوبة. **الثالثة**: عقبة العوائق. **الرابعة**: عقبة العوارض. **الخامسة**: عقبة البواعث. **السادسة**: عقبة القوادح. **السابعة**: عقبة الحمد والشكر. وبتمامها يتم منهاجُ العابدينَ إلى الجنةِ، ونحن الآن نتتبعُ هذه العقباتِ بشرحٍ موجز اللفظِ، مشتمل على النكتِ المقصودَةِ من هذا الشأنِ، بشرحٍ في بابٍ موجَزٍ مفردٍ، إن شاء الله تعالى»، انتهى كلامُ الإمام حجة الإسلام.

وقد رأى بعضُ السادة الأخيارِ، سيدَنا في طاقةٍ رافعةٍ من بيت سيدي، وكأنه قطع الرأسَ الشريفَ، ومحل القطعِ مقطوطٌ أبيضُ، فأولته: قطعَ الرياسة، التي هي آخر ما تخرجُ من رؤوسِ الصديقينَ، قالَ: «فلما أعلمتُ سيدَنا الحسنَ بالرؤيا فرح بها، وتبسم في وجهي».

* * *

ولو شئنا أن نتتبعَ فضائلَ هذا الإمام الحبر الحكيمِ، لخرجنا عن مقصُودِنا من الحصر، ولو حتى على تعدادِ الكتُبِ الكثيرة، لاحتاج تعدادُ الكتب إلى مؤلّفٍ مستقلٍ، لأني أرى بخطِّه على كتبِ التفسيرِ، والحديثِ، والسِّيَر، والتواريخِ، والمناقبِ، وكتبِ الصوفيةِ، مثلِ: «الإحياءِ»، مكتوبٌ على نسخَةِ والِدِه من «الإحياءِ»، وتاريخ كل ختم لها، في اليوم الفلاني، في الشهر الذي بعينه، والسنة التي بعينها، حتى عدَّ أربعينَ مرةً.

وكذلكَ «رسالة القشيري»، و«شرحها» للإمام زكريا، مراتٍ، وكذلك «عوارف المعارف»، و«قوت القلوب»، لأبي طالبِ المكي، و«شرح الحكم» لابن عطاء الله، وكتاب «التنوير في إسقاط التدبير»، وكان له تعلقٌ بهذينِ الكتابينِ: «شرح الحكم»، و«التنوير»، ولم يزلْ يقرئ فيهما في مدْرَسِ العصر، ككتب الغزالي وكتبِ

والده. بل وجميع الكتبِ التي في خزائنِ والدهِ، وغيرها من الكتب بحضرموت، فإنه اطلع على ذلكَ.

ومن صغِره إلى أن توفّاه الله، وهو على العبادةِ، ولزوم المسَاجدِ، والوفاءِ بحق الإخوان والطلبةِ، والصبر على الأذى والنفعِ الخاصِّ والعام، بل قال الشيخُ محمدٌ باقيس، تلميذ سيدنا الحبيبِ الأوحد الحداد: «إنا نقولُ في أيام حياةِ الحبيب القطب عبدالله الحداد، في ابنه الحسن: إنه من أراد أن ينظُرَ إلى شابٍّ من شبابِ أهل الجنةِ، فلينظر إلى سيدنا بدر الدين الحسن»، نفع الله به. قال الحبيبُ عمر بن زين بن سميط: «شبهوا تلاميذُ الحبيبِ عبدِالله الحسن بن سيدي عبدِالله، بأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز الأموي، كان أولَ عمرِه إذا أُتِيَ له بالحلةِ العظيمةِ، يقولُ: ما أحسنها لولا خشونةٌ فيها، وآخر عمره يقول: لولا نعُومةٌ فيها»، انتهى.

* * *

وتوفي والدُه القطبُ الغوث عبدُالله بن علوي الحدادُ، وهو يقرأ عليه في كتاب المحلِّي «شرْح المنهاج» في الفقه، بعد العصر، وفي المدرَس بعدَ صلاة العصر في كتاب «سنن أبي داود» في الحديثِ.

وحين توفي والدُه عمر سيدي الحسنِ قريبُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وقد أقامه مقامه في التدريسِ، وفي الخروجِ يوم الأحدِ في (السُّبَير)، ويومَ آخرِ ثلوثٍ من كل شهر إلى مسجدِ الأوابينَ، وفي الزيارةِ عصْر يومِ الجمعة كلّ أسبوعٍ، وغير ذلكَ.

صدّره وقدمه والدُه القطبُ الغوث في حياتِه، أخذَ على ذلك ثلاثَ سنينَ، في حياة والده عبدِالله الحداد، وبعد وفاة والدِه إلى أن توفِّي وهو على ذلكَ، قدس الله روحه، ونوّر ضريحه، فقد أتعبَ من بعدَه، لأن أوقاته كلها خِضْرةٌ، وساعاته كلها مزْهرةٌ، وكل نفسٍ من أنفاسِه جوهرةٌ، وكل كلمةٍ من كلامه درةٌ عزيزةٌ باهرَة، فكم

التقطَ من هذا البحْر الزخَّارِ، من حضَر ساعاتِه من الأبرار، وغاصَ من حصَّل الدرَر من البحَار، فحفظها لما لقطَها، وضنَّ بها لما عرفها، فأعطاها أهلَها أهلَ المعرفة والاستبصار.

* * *

وكان والدُه القطبُ الغوثُ عبدُالله الحداد، نفع الله به، من كثرَةِ القراء والطلبةِ مقسمٌ الطلبةَ في القراءةِ كلَّ ليلةٍ لناسٍ، ليلةً لأهل الحاوي، بلد سيدي، ومكانه المعروف والمحوط به، والمعروف المنسوبُ إليه، وليلةً لأهلِ مدينة تريمَ.

فليلةَ قراءةِ أهل الحاوي: بعد صلاة العصرِ إلى قريبِ الغروبِ، يقرأ معَهم بأمر والدِه الحبيبُ علويٌ بنُ عبدالله الحداد. وليلةَ أهل مدينة تريم وعلمائها الأعلام: يقرأ معهم سيدِي الجامع للعلم والعملِ، الحبيبُ الحسنُ بنُ سيدي عبدِالله الحدادِ، بأمر والدِه له بذلكَ، هكذا سمعتُه من سيدي الحبيبِ عمرَ بن زينِ بن سميطٍ، بل وكذلك سمعتُه من سيدي بدر الدين الحسَنِ، نفع الله به.

وكان سيدي الحسنُ، حسنَ السمتِ والوقارِ، كثير الصمتِ والأذكارِ، والتفكرِ في خلقِ الله وعجائبِ مصنوعاته وأفعالِه، إذا تكلمَ استمعتْ له الآذانُ، وفتحت أعينُ القلوب لكلامِه، فكان كلامه أحلَى من رشْفِ الريقِ الرُّضَابِ، وأشهى من رضَا الحبايبِ الغِضَاب، ومع ذلك فله هيبةٌ عظيمةٌ، ولكلامه صولةٌ، ويخافه عظماء الأكابر والدولة. تيسرت له البلاغَةُ فتفيأ ظلها الظليلَ، وقام بوظيفةِ الإيجازِ، فناداه لسانُ الإنصافِ: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١].

يحسّنُ في الكلامِ، ويقوده بألينِ زمامٍ، البيانُ أصغرُ صفاتِه، والبلاغة عفْو خطواتِه، لسانُه يفلقُ الصخورَ، ويفيضُ البحور، ويسمع الصمَّ، ويستنزلُ العصَم، لا تعتريه لكنةٌ، ولا تعترضه عجمةٌ، نثرٌ كسحْرِ البيانِ، وقولٌ كقطَعِ الجمانِ، كلامٌ يقودُ

سامعيه إلى السجودِ، ويجري في القلوبِ كجري الماءِ في العُودِ، قوله رائقٌ بديعٌ، يزري بزَهْر الربيعِ، لو أعيرتْ حليةُ ألفاظِه، لعطلتْ قلائدَ النحُورِ، وأبكارُ معانيه التي لو قسِّمت حلاوتُها لأعذبتْ مواردَ البحور، فكم خرجَتْ سحائبُ العلومِ والحكَم، وكم هبَّ على سامعيه نسيمُ الفضل والكرم، وابتسمتْ منه رتبُ المعالي والهمم.

لم يتكلم بكلمة قبيحةٍ أصلاً، بل إذا عتبَ على أحد قال له: «لك البركة، أما تفعلُ كذا وكذا»، أو: «فعلتَ كذا وكذا»، حتى على الدوابّ، فضلاً عن الآدميينَ، بل إذا رأى ما ينكرُه من أحدٍ، ما يخصّه بالكلامِ، بل يلوّحُ له بالكلامِ، فيفهمُه من كان ملابساً لما يشيرُ به في كلامه، لا في أفعاله، فإنه يتلطّفُ بالكبيرِ والصغيرِ، حتى آخر العمرِ، يطولُ عليه الجلوسُ في الدرسِ، وفي الزياراتِ، والجمعة والجماعاتِ، فيظهر أثرُ التعبِ عليه، ويصبر لأجْل نفعِ الناسِ، وجبر خواطرهِم.

قالَ سيدي الوالد في وصْف والدِه نفع الله بهما:

داعٍ إلى الله العظــيمِ بحَالــه	ومقالِــه وعلومِــه بتلطّــفِ
بــرٌّ رحــيمٌ بــالخلائقِ كلهِــم	لا فظّ في قــولٍ ولا بمعنّــفِ

قلتُ: وإنما كانَ لكلامِه صولةٌ وهيبة عظيمةٌ، تكاد تنفطِرُ القلوبُ من سَماع كلامِه، فإنما ذاك هيبةُ الولايةِ، فإنه نفعَ الله به، صاحبُ قلبٍ عَقُولٍ، ولسانٍ سؤولٍ، لا يخافُ لومة لائمٍ، تركَه قولُه الحقَّ وما له في الناسِ من صديقٍ، مثلَ سيدنا عُمَر، وسيدنا علي، وسيدنا الحبيب أحمد بن عمر الهندوان، لا يخافونَ في الله لومةَ لائمٍ. مقامُ سيدي الجلالُ، فهو متدرعٌ بالهيبةِ.

له الفراسةُ الصادقةُ، تكلم عنْ ناسٍ وتفرسَ فيهم، فكان كما قالَ، حتى إنا ظنَّنا فيهم الخيرَ لما نرَى من عباداتهم وانطوائهم فيه، فإذا هي على غيرِ ما نُرَى، بل على ما رأى فيهم هو بعينِ بصيرتِه.

يتكلمُ على البديهة، فلا يعجِزُه الجوابُ، مع حسن الجوابِ، وجزالة الألفاظِ، والأمثال العجيبةِ، حتى تعلمَ أن ذلكَ خصوصيةٌ له في وقته، لا لغيره. يعرف الصادقينَ من الكاذبينَ، في ألفاظ وأقوال المتكلمين، من قبيل الفراسة. وكذلك من نُورِ البصيرةِ، لا يخدعونه الناسُ ولا يخدعُهم، نفسُه كريمةٌ، وهمته عظيمةٌ، ومنزلتُه جسيمةٌ، اشتُهِر عند الخاصّ والعام بحسن البديهةِ، وصدق الفراسةِ، مع الهيبة الكثيرة له في القلوب.

قالَ سيدي جعفرُ بن الشيخِ العارفِ أحمد بن زين الحبشيّ، سنةَ ١١٨٠: «سُبحانَ الله! ما سمعنا بمثلِ سيدنا الحبيبِ قطبِ الزمن، الحسنِ بن سيدنا عبدِالله الحدادِ، مع عظَم هيبتِه، وجزالة لفْظِه، وقلة مراقبتهِ في قوله بالحقِّ، يصدعُ به على القويِّ والضعيفِ، لا يخاف لومةَ لائمٍ، ومع ذلك تحبه القلوبُ، وتقبَل كلامَه، ما ذلك إلا من إخلاصِه فيما يقولُ، وإلا كان نفرتْ من كلامه الناسُ، بل يحصل لهم منه الهيبة العظيمةُ، والانقياد قهراً لما يأمر بهِ»، نفع الله به. سمعتُ ذلك منه لما عبَر عليه الوالدُ مع زيارته للشيخِ سعيد بن عيسى العمودي بوادي دوعن، نفع الله بالجميع.

قال بعضُ السادة: «عجبتُ لمجالسي سيدِي الحبيبِ الحسنِ، الذي يسمعون كلامه، كيفَ ما تنفَطرُ قلوبهم من هيبته، أو مالهم قلوبٌ! فإني أجدُ من هيبته ما كادَ ينفطِر قلبي منه إذا تكلّم». وكان رضي الله عنه، جهوريَّ الصوتِ، مليح المنطقِ واللهاةِ، وجهُه يتبلجُ نوراً، يتفجر العلمُ من جوانبه، لا يطيبُ جليسُه بمجالسَة غيره، ولا يكتفي بغيرِه من رآه وجالسه، بل يقولُ: هو أمةٌ وحدَه، نفع الله به.

يعظك بأفعالهِ أكثرَ من أقوالهِ، بل ويحمي مريدَه ويربيهِ وينهضُه لطريق الله عزّ وجلَّ من حيثُ لا يشعُر. سمعتُ من سيدي عمر بن زين بن سميط يقولُ: «شمس سيدي الحبيب الحسنِ شارقةٌ على جميعِ الجهاتِ، يجيء للناسِ المددُ وكلٌّ في مكانه،

ويمنعُهم من المجيءِ إليه زهداً منهُ، وتواضعاً لربه، وهضماً لنفسه، ويصل المددُ منه للكلِّ، وكلٌّ في مكانه وبلدِه، من عُظْم حالِه وإشراق نورِه».

قلتُ: بل قال مثلَ ذلكَ والدُه: «نحنُ كالشمسِ، من فتح بابه دخلَ عليهِ ضَوؤُها بقدر ما فتح، وإلا فلا بدَّ وأن يدخُلَ عليه من خلالِ الأبوابِ»، نفع الله بهما.

وأما ما ذُكِر من هيبةِ الحبيبِ الحسنِ، وفراسته، وحزمه، وفتوته، وعفافه، وتحفّظِه من أبناء زمانه، ورجحان عقله، فذلك رتبةُ الكمالِ، فافهم أيها الناقد البصيرُ.

* * *

قال السيدُ العلامة بحر العلوم والأسرار والمعارف، محمد العيدروس بن الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، في كتابه «إيضاح أسرار علوم المقربين»:

«فصلٌ: اعلَمْ أن طائفةً من أهل الخيرِ هم الهيّنونَ، الكرامُ المنخدعونَ، قال النبيّ ﷺ: «المؤمنُ غرٌّ كريمٌ، والكافرُ خبٌّ لَئِيم». فترى جماعةً من الأخيارِ مغفّلينَ، صدورُهم سليمةٌ، من دعاهم أجابوه، ومن رغِبَ إليهم مالُوا إليهِ، ومن خدَعهُم انخدَعُوا له، للِينهم وسَلامةِ بواطنِهم، وبعدِهم من الخياناتِ، وقلة علمِهم بالمحالات.

وطبقةً أخرَى؛ من أهل الخيرِ، أعلى من هذه الطبقةِ، وهم أربابُ الأمور الراجِحة، والهيبةِ اللائحَة، الذين أمورُهم محكمةٌ، حزْماً وتيقظاً وفطنةً، وتحفظاً، لا يكادُ أحدهم ينغلِبُ إلا بعلمه، فيما أحبَّ أن يتساهلَ فيه، تكرماً وانخداعاً:

* إنّ الكريمَ إذا خادعْته انخدعَا *

وهو لا يظهِر ذلكَ. قال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: «لسْتُ بخَبٍّ، ولا يخدعني الخبُّ»، وقالَ المغيرة بن شعبةَ، كانَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، أعقلَ من أن يُخدعَ، وأكرمَ من أن يخدع.

فترى أهلَ هذا القسمِ الأخيرِ، لما يشْرقُ عليهم من أنوارِ الحقِّ، ويلوحُ عليهم من حسْن مواهبِهِ، تعلوهم هيبةٌ، تنقادُ النفوسُ إلى تعظيمهم طوعاً وكرهاً، فهذه الطائفةُ الأخيرةُ، أعلى رتبِ الخيرِ، فاعلم»، انتهى من كتاب «إيضاح أسرار علوم المقربين».

* * *

فإذا علمتَ ذلكَ؛ تبينُ لكَ مرتبةُ سيدِنا الحبيبِ عبدِالله، وابنه بدر الدين الحسنِ، فإني سمعتُ كثيراً ممن نظَر سيدي القطبَ عبدَالله الحدادِ يقولونَ: «من لم يرَ الحبيبَ عبدالله الحدادِ، فلينظُر إلى ابنه الحسَن، فإنه يشبهُه في الصورةِ، والسيرة، والسريرة، والسمْت، والصمتِ، والكلامِ، والهيبةِ، والوقارِ. **قالتْ** سيدتي الحبابةُ سلمَى بنتُ سيدي عبدِالله الحداد: «هيبة الصّنوِ حسنٍ، مثل هيبةِ والدي سواءً، وكنا لا نخافُ إلا منهُما في الدارِ، وبقيةُ الأصناءِ نجالسهم ونخالطُهم ولا نهابهم مثلهما»، أي: والدها وأخيها بدر الدين الحسن، سمعتُ ذلك منها مراراً.

وكانَ في سن كهولته يخلي عصاً لطيفةً عندَه، إذا صافحَه من لا يواظبُ على الصلواتِ والجماعاتِ يؤدبُه بها، نفع الله به، وقال سيدي الوالدُ العلامةُ شهاب الدين أحمدُ، ابنه، قالَ: «إن والدي وقتَ صغرِنا معلقٌ لنا سُوطا في الدارِ، يضربُ من أساءَ الأدبَ من الصغارِ من أولاده، ويهابون منه».

قلت: وفي ذلك حديثٌ وردَ عنه ﷺ: **«رحِمَ الله امرأً علقَ سوطاً في بيته»**[1]، الخ، تعرفْ بذلك سيرةَ سيدِنا. وكذلك سيدنا أمير المؤمنينَ عمرَ بن الخطابِ، يحملُ الدُّرةَ يؤدّبُ بها الناسَ.

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» بسند ضعيف، كما في «الجامع الصغير» للسيوطي.

قلتُ: وكنا في وقتِ الصغَر، نحن وجميعُ أولاد الوالِدِ، إذا أحدٌ منا فعلَ في أخيه ما يكرَه، ما يقدر يأخذُ بيدِه، بل يعْلمُ حبيبَه الحسنَ في الأكثر، أو والدَه فينصف له منه، ويقتصّ له، إما بيده، أو بيد المشتكي، رضي الله عنه. فلذلك قلنا: «سيرتُه عمريةٌ»، وكذلك كان والده يقولُ: «سيرتُنا عمريةٌ»، كما ذكره في كتابِ «تثبيت الفؤاد»، لأحمد الشجّار الأحسائي، رضيَ الله عنهما، وعنّا بهما في عافيةٍ، آمين.

* * *

وكان سيدُنا عمرُ يفعلُ خيرَ الخيرينِ، ويتجنب الشرَّ كله.

وكان مجلسُ سيدي الحسنِ، مجلسَ أدبٍ واحترامٍ، من رآه بديهةً هابه، ومن جالسه استأنسَ به، مع الهيبةِ والجلالِ، ولكي يجد الراحةَ جليسُه، يجلس في جميع جلسَاته إلى القبلَة مستقبلاً، كأن على رؤوسِ مستقبليهِ شيئاً، طارقينَ رؤوسَهم عنده، غاضّينَ أبصارهم، فأنى لامرئٍ يقدِرُ على أن يملي نظرَه إليه، ووالله إني تربيتُ على حِجره، ولم أقدر أحدّق بالنظرِ إليه، فكيفَ بالغير! يخصُّ من شاءَ بما شاءَ، سبحانه وإليه المصيرُ.

شعراً:

تهابُ القلوبُ مع الرعْبِ الشديدِ بها	من رؤيةِ العينِ ذاك الحبرَ سيّدَها
إن المهابةَ والإجلالَ قد جُمعَتْ	فيه ورؤيتُه العقولَ تسلُبُها

وأما علمُ الفقهِ، والنحو الصرفِ، والأدَب، فمِنْ صِغَره قد اشتُهِر به.

* * *

ذكر الشيخِ محمد المغربي:

وأما علمُ الاسمِ والحرْفِ، فتعلم منه شيئاً كثيراً على تلميذِ سيدنا القطبِ

الأوحد الحداد، محمدِ المغربيِّ، إمامٌ كبيرٌ من أهلِ المغربِ، جاء إلى عندِ سيدنا الحبيب عبدِالله الحدادِ، وأنزله الحبيبُ مكانه، ولما رأى ما رأى من الأثقالِ الكبيرةِ على سيدنا القطبِ عبدِالله الحداد، وصَّى له: «إني مرادي أفعلُ لكم وفْقين؛ وفقٌ تطلبونَ ما أردتم، ويحصلُ لكم. ووفقٌ يطْرَحُ في الوعاءِ الذي فيه الطعامُ، ويفتح من أسفلِ الوعاءِ، يبقَى يخرج دائماً منه الطعامُ بلا نهايةٍ ولا حدّ»، فلما أعلمُوا سيدَنا بذلكَ، قالَ لهم: «يتركْ لَعِبَه!، قد معَنا وفقٌ من السماءِ». ذكرَ ذلك الأحسائيّ في «تثبيت الفؤاد». وكذلك سيدي حسن، سمعتُ منه ذلكَ.

وقال الأحسائيّ صاحبُ «تثبيت الفؤاد»: «أنا وسيدي علوي، والحسن، تعلمنا عند محمدٍ المغربيِّ علمَ الحرف». وقالَ سيدي الإمام الحسنُ: «إنا لما تعلمنا عندَه، ففهمتُ منه جميعَ ما يقولُ»، فلما رآني علمتُ ما عندَه كثيراً غلبتْ عليه الغيرةُ، لأنها من طبع المغاربة. وقالَ لي: «ارجعْ لعاد تتعلمْ مني، تريدُ تنزفني!»، وبعضَ المراتِ يقولُ: «تريد تنزف علمي!، أخرُج»، بصَوتٍ عالٍ. وكان ذلك ونحْن صغارٌ، بعدَ بلوغِنا الستةَ عشر سنةً!. قال: «وإذا حضرتُ لم يتكلمْ في هذا العلمِ، وإذا خرجتُ تكلمَ، فكنتُ أعلّم الأخَ علويّ وأحمد الشجّار الأحسائيّ، وقلتُ لهما: اسألاهُ عن كذا وكذا، وأنا خارجَ البابِ، بحيثُ لا يشعرُ بي، وأسمعُ كلامه، فيسألانه، فأفهَمُ ما يقولُ، حتى عرفنا جميع ما عندَه. ثم نهانا الوالدُ عن الكلامِ في هذا العلمِ، فلهذا لم نتكلمْ فيهِ، ولم نعلمْ أحداً به أبداً». **قلتُ**: ورأيتُ بخطِّ سيدي الحبيبِ الحسنِ، شيئاً من ذلكَ في أيام طلبه على المغربي، أوفاقاً وأشياءَ عجيبةً في أوراقٍ مجموعةٍ بخطه، رضي الله عنه.

وأخبرني الشيخُ الفاضلُ، صالح بن محمد بانافع، تلميذُ سيدنا الإمامِ الحسنِ، وتلميذُ والدِه الحبيبِ عبدالله الحداد، لما جئنا إلى بلدَة (الصَّعيدِ) سنة ١١٨٢، قالَ: «إن سيدي الحبيبَ الحسنَ، نفع الله به، جربَ أوفاقَ المغربيِّ، فوجدَها صحيحةً. وأنه أمرني أن أطرحَ وفقاً على شيءٍ، وأعطاني ستَّ خماسي من دراهمِ حضرموتَ، معروفة. قالَ:

واطرحِ الستَّ الخماسي في وسَط الوفْقِ، في المكان الخالي. قالَ: ففعلتُ ذلكَ، وألحقُ ستَّ خماسي، من غير أن أعلمَ من أين جاءتْ؟، فقالَ بعدَ الخمسِ الأيام، وهو في المدْرَس: هاتِ الوفقَ وما على الوفقِ، فأتيتُ بذلكَ، فأخذ الذي فوقَ الوفقِ، ورمَى به من الخلفَة التي عند الخزانة حقّ الكتُبِ، ومحا الوفْقَ، وقالَ: جرّبْنا كلامَه، ولا لنا حاجةٌ بهذه الأشياءِ، وإنما طريقةُ آل أبي علوي: العلمُ، والعملُ، والزهدُ، والورعُ، رضي الله عنه وأرضاه»، انتهى كلامه. والمغربيّ هذا؛ غير محمدِ المغربيّ الذي ولدُه إبراهيمُ، الذي سكن الحاوي وبنى فيه.

قلتُ: وسيدُنا الحسنُ آيةٌ باهرةٌ في الفهم؛ أمرَه والدُه بالتدريسِ في (الحاوي)، مكانَ والدِه يومَ السبتِ والربوعِ، وسنُّه فوقَ العشرين السنة، وأمرَه بالخروجِ إلى (السُّبَير) يوم الأحدِ، يدرّس مكانه، وآخر ثلوثٍ في كلّ شهرٍ، يطلعُ إلى (الأوابين)، ويزور بالناسِ عصْر يوم الجمعةِ، وسنه ثمانٌ وعشرونَ سنةً، وبقي على هذه إلى أن توفي إلى رحمة الله ورضوانه، إلى آخر عمره الذي هو قريبُ تسعينَ سنةً، عمراً سعيداً، مباركاً ميموناً، من الصغر، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

قال إمام المحققينَ، ومربي السالكينَ، وأستاذُ المريدينَ، عمرُ بن محمد السهرورديُّ، نفعَ الله به، في كتابه «الرحيق المختوم»: «**فصلٌ**: اعلم أن العنايةَ الأزليةَ، هي التي أوجبَتِ الولايةَ، ولولاها لما قرّبَ آدمُ، ولُعِنَ إبليسُ، وقد استويا فيما أوتيَا. والمحبةُ هي التي أوجبَتِ القربةَ، ولولاهَا لما رجعَ موسَى بالاصطفاءِ، حين خرج للاصطلاءِ.

شعراً:

جحُودي لكَ تقديسْ وعقْلي فيـكَ تهـويسْ
فــما آدمُ لــــولاكَ وما في البَـينِ إبلـيسْ

فليسَ بينه سبحانَه وتعالى وبينَ العبَادِ نسبٌ إلا الكرمُ، ولا نسبَ إلا الحِكَم، رضيَ في الأزل عن قومٍ فأشغلَهم بعملِ أهلِ الرضَا، ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]، وسخطَ على قومٍ، فاسْتعملَهم بعمَلِ أهل السّخْطِ والغَضب، ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦]، شعراً:

كيفَ السبيلُ إلى مرضَاةِ من غَضِبا   منْ غير جرْمٍ ولا نـدْري لـه سـببَا

أخبرنا الحدادُ، قال أنبأنا أبو نعيمٍ، أنبأنا أبو الحسنِ محمد ابن كيسانَ، أنبأنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، أنبأنا إسرائيلُ، عن البراءِ رضي الله عنه، أنه قالَ: رأيتُ رسُولَ الله ﷺ يومَ الخندقِ، وهو ينقلُ معَنا الترابَ، وهو يقولُ:

والله لولا الله مَا اهتـدينا   ولا تصـدّقْنا ولا صـلّينا
فـأنزلنْ سَـكينةً علينَـا   وثبّتِ الأقـدامَ إن لاقينَـا
والمشركُونَ إن بغَوا علينَا   إذا أرادُوا فتنــةً أبينَــا

سُلبَ بلعامُ ثوبَ العصمَةِ، وأوتي إبراهيمُ رشدَه من قبلُ، هذا هو الأصلُ، وما سواه فصلٌ»، انتهى كلامه.

وقال سيدُنا الشيخُ أبو بكر بن سالم باعلوي: «ما نلنا الذي نلناهُ ببذلِ المجهُودِ، بل من عينِ الجود». وقال بعضُ سادتنا: «ما نلنا الذي نلناهُ بالعباداتِ، بل بالعناياتِ».

وقال سيدنا الأكبرُ، أبو بكر السكران، أبو العيدروس: «ما نلت الذي نلته إلا بحسنِ الظنِّ في المسلمينَ»، وقال سيدُنا عبدُالقادر الجيلانيُّ، يخاطبُ العمَلَ: «بك لا نَصلُ، ولابدّ منك».

وقال سيدي الحبيبُ حسنٌ، نفع الله به: «من نعم الله عليَّ أن جميعَ الطلبة الذي يقرئونَ عندي معهم حدّة الطلبِ في العلمِ، من ابتدأ منهم في القراءةِ، [عشق العلم

والقراءة][١]، فلم يفتُر من الطلبِ». قالَ: «ووقعتْ هارةٌ ومرضٌ في حضرموتَ، وأطلعُ إذا ماتَ سيدٌ في تريم لجنازتِهِ، ونصلي عليهِ إذا أرسلوا لنا، ونعطِّلُ درسَ الفقهِ أياماً، والطلبةُ يطالعونَ معي، فإذا طلَعوا وخرجتُ بهم إلى (الحاوي) أرى الكآبةَ معهم من طلوعي وتعطيلِ الدرس.

ويوماً من الأيامِ، مع خروجنا، بعد أن صلينا على بعضٍ من ماتَ ذلك اليوم، وهم معي، إذ علتْ أصواتُهم بالبكاءِ خلفي، فالتفتُّ إليهم، وقلتُ لهم: مالكُم؟ قالوا: لكَ أيام عطلْتَ الدرسَ، وانتفاعنا بالمدرسِ أكثر من انتفاعنا بحضُورِ الجنائز والصّلاةِ عليها، قالَ: فأخذْتُ بخواطرهم بعد ذلكَ، وهذه نعمةٌ منَ الله كبيرةٌ، حيث يعينُكَ الطالبُ على الطلبِ».

قلتُ: وقد صدَقوا، إنّ حضور مدرَسِ علمٍ أفضلُ من حضُورِ وشهودِ ألف جنازةٍ.

* * *

أحاديثُ في فضل طلبِ العلْم ومجلسِه:

قالَ الإمام الغزالي في «الإحياءِ»: «وفي حديثِ أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة»**، فقيلَ: يا رسول الله؛ ومن قراءة القرآن؟ فقالَ عليه الصلاة والسلام: **«وهل ينفع القرآن إلا بالعلم»**، وقال ﷺ: **«من جاءَه الموتُ وهو يطلبُ العلْمَ ليحييَ به الإسْلامَ، فبينه وبين الأنبياء درجةٌ واحِدة»**. وقال عطاءٌ: مجلسُ ذكرٍ يكفّر سبعينَ مجلساً من مجالسِ اللهْوِ. وقال النبيُّ ﷺ: **«من تعلمَ باباً من العلمِ ليعلمَه، أعطيَ ثوابَ سبعينَ**

(١) سقط من الأصل.

صدِّيقا»، انتهى من «إحياء علوم الدين».

وكانوا مائلينَ إلى سيدنا الحبيبِ الحسنِ، نفع الله به، دونَ غيره من العلماءِ، لأنك إذا رأيته، قلتَ: أحسن الناس وجهاً، وإذا تكلمَ، قلتَ: أعذَبَ الناسِ لساناً، وإذا أفتَى، قلتَ: أكثر الناس علماً، ما يعرفُ بعضَ محاسنه إلا من رآهُ، وأما جميعُها فلا يقدر الواصفُ على ذلكَ، وإن كانَ، وإن كانَ، فهيهاتِ.

قالَ بعضُ تلامذته نفع الله به:

الله أظهـــر نـــورَه في عبـــدِه	الله أكـبرُ لا أحـيطُ بـما رُعِـي
سرٌ سرَى فيه خصُوصـاً جامعـاً	قُصـرَى حديثي فيه أنه جـامِعي
أنَّـى أقـومُ بوصْـفِه أو بعْضِـه	كـلا فحالُـه أوسَـعُ مسـتجمعِ
أنى أصفْ عشرْ عُشَير عُشَـيرِه	أو حصْــره أو عـدّه لم أطمـعِ

* * *

كيفَ!، ومجالسة الأخيارِ، والعلماءِ الأبرارِ، ورؤيتهم، أفضَلُ من عبادَة سنةٍ، كما ورد عنه عليه الصلاة والسلامِ. ومن «مقال الناصحينَ»، قال: «قال الإمام الشافعي رحمه الله: «عاشر الكرام تعش كريماً، ولا تعاشر اللئامَ فتنسب إلى اللؤم». ولله در القائلِ:

فمــن عاشَــر الأشــرافَ عــاشَ	ومن عاشرَ الأنذالَ غيرُ مشرَّفِ
أو ما ترَى الجلدَ الخسيسَ مقبَّلاً	بالثغر لما صارَ جلْـدَ المصْـحفِ

فتأملْ هذه الإشارةَ، فإنكَ تقصدُ إلى جلدينِ من الجلودِ، أحدُهما تجعلُه صوناً للمصْحفِ، وجلباباً له، والآخَرُ تجعله نعلاً لرجليكَ، تمشي بهِ كما تريدُ.

فحصلت الكرامةُ، وثبتت الحرمة للأولِ، لمجاورته المصحفَ المحترمَ، فتجب حرمته، ويندَبُ تقبيله، دون الثاني. فإنك تمشي به في الطرُقاتِ وعلى النجاساتِ، فما أعظمَ فائدةِ صحبةِ الكرام، وما أعظم ضرَرِ صحبة اللئامِ، فالحكمةُ الدينية مقبولةٌ، سواءً برزت في لفظٍ عربيٍّ أو عجميٍّ، أو نثرٍ أو نظمٍ، وعلى هذا كلِّه جرَى العلماءُ المحققون»، انتهى. و: «المرء من جليسه، فلينظُرْ أحدُكم من يجالسْ».

عن المرءِ لا تسألْ وسَلْ عن قرينِه ‏‏ فكـلُ القـرينِ بالمقـارَنِ يقتـدِي

* * *

وقال سيدُنا الحبيبُ الحسن: «ما حفِظْنا العلمَ إلا بترك المعاصي والمخالفاتِ».

وقد شكَا الشافعيُّ إلى وكيعٍ سوءَ حفْظه، فأرشدَه إلى ترك المعاصي، فقالَ رضي الله عنه:

شكوتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حفْظي ‏‏ فأرشَـدني إلى تـرْك المعَـاصي
وأعلمَنــي بــأنّ العلــمَ نــورٌ ‏‏ ونــورُ الله لا يؤتيــهِ عَـاصي[1]

* * *

ويأمرُ بحفْظ العلومِ أكثرَ من جمعِ الكتبِ، ويتمثّلُ كثيراً بقولِ القائلِ، إذا سئلَ عن علمٍ فراحَ إلى كتبه في السَّفَطِ الذي فيه الكتُبُ:

صـاحبُ الكتـبِ تـراه أبـداً ‏‏ يـدّعي فهـماً ولكـنْ ذا غلـطْ
كلّـما فتشـتَه عـن علْمِـه ‏‏ قالَ: علمي يا خليلي في السَفَطْ

---

(١) جاء في هامش النسختين: «وفي نسخة:

وأعلَمني بأن العلم فضلٌ ‏‏ وفضلُ الله لا يهدَى لعاصي».

في كــراريسَ جيــادٍ حُكِمَــتْ وبخــطٍّ أيِّ خــطٍ، أيّ خــطّ!
وإذا قلــتَ لــه: هــاتِ كــذا حــكّ لحييــه جميعــاً وامــتخَطْ

وأنشدَ رضي الله عنه أبياتَ الخوارزميّ:

عليك بالحفظِ دونَ الجمعِ في كتُبِ فــإنّ للكتــبِ آفــاتٌ تمزّقهــا
والمـاءُ يغرِقُهـا واللـصُّ يـسرِقُهـا والفـأر يقرضُـها والنّـار تحرِقُهـا

ويحكَى أن الإمامَ الغزاليَّ في أيامِ بدايتِه، جمع كتباً، وسارَ من بلدٍ إلى بلدٍ، فأخذ اللصوصُ في الطريق متاعَه والكتبَ، فقالَ لهم: «خذوا المتاعَ وردُّوا الكتبَ، فإن فيها علمي»، فقالوا له: «لـمـا كان فيها علمُك إذا ما نعطيكَ إياها، فعلمُكَ معنا لا معَك»، فمن بعد ذلك اتكل على الحفظ لا على الكتب ذكر الفاكهي ذلك في مناقب الإمام الغزالي رضي الله عنه.

وأسْمعُه رضي الله عنه يحثُّ على نسَاخةِ الكتُبِ النافعة، وجمعها، ويقولُ: «من فوائدِ المالِ شراءُ الكتب النافعة»، فقد ذكرَه الإمامُ الغزالي في ربع المهلكات.

وأسمعُه كثيراً ما ينشِدُ هذا البيتَ للمتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الـدنَا سرْجُ سـابحٍ وخيرُ جَليسٍ في الزمَـانِ كتـابُ

وقيلَ: «الكتُبُ حصونُ العقلاءِ، إليها يلجأونَ، وبساتينهم فيها يتنزهون».

شعراً:

اجعَلْ جليسَك دفْتراً في نـشْره للميْتِ من حِكَمِ العلومِ نـشورُ
فكتابُ علْـمٍ للأديـبِ مـؤانسٌ ومــؤدّبٌ ومبَــشـرٌ ونَــذيرُ
ومفيـدُ آدابٍ وَمـؤنسُ وحْـشةٍ فإذا انفردْتَ فـصاحبٌ وسَـميرُ

وأسمعُه كثيراً، رضي الله عنه، يشير إلى العلماءِ المخلطينَ، وينشِدُ بأبياتٍ للقاضي أبي الحسنِ، علي بن عبدالعزيز الجرجانيّ، رحمه الله تعالى:

ولم أقضِ حقَّ العلمِ أن كنتُ كُلَّما بدا طمعٌ صَيرتُه ليَ سُلَّما

يقولونَ لي: فيكَ انقباضٌ، وإنَّما رأوا عن رجُلاً عن موقفِ الذل أحْجَما

إذا قيلَ: هذا منهلٌ، قلتُ: قد ولكنّ نفْسَ الحرِّ تحتمِلُ الظّما

ولم أبتذلْ في خدمةِ العلْمِ مهجَتي لأخدِمَ من لاقيتُ لكنْ لأخْدَما

أ أشْقَى به غرْساً وأجنيهِ ذلةً إذا فاتّباعُ الجهْلِ قد كانَ أسْلما

فإن قلْتَ: حظّ العلمِ كَابٍ، فإنما كبَا حينَ لم يحرُسْ حماهُ وأسْلما

ولو أن أهلَ العلْمِ صَانوه صَانهم ولو عظّمُوه في النفُوسِ لعُظِّما

ولكنْ أذلُّوه فهانَ، ودنَّسُوا محيَّاه بالأطماعِ حتى تجهَّما

وأسمعُه كثيراً، ينشدُ بما كانَ به الإمام أبو حنيفةَ رضي الله عنه:

من طلب العلْمَ للمعادِ فهو له أفضَلُ العتَادِ

ويا خسَارة طالبيهِ لنيلِ فضلٍ من العبَادِ

ويقول رضي الله عنه: «قال عليٌ كرم الله وجهه: الحكمةُ ضالةُ المؤمنِ، فالتَقفْهَا ولو من أفواه المشركينَ، لكن﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. فأين الناس اليوم!، ولا في الدولَة بركةٌ، وإلا لو رفَعوا قلمَهم عمن طلبَ العلمَ، لطلبوا الناسُ العلمَ، لكن اليوم أعطَوا الدنيا قوالبَهم مع القلوبِ جميعهم، «بدأَ الدينُ غريباً وسيعودُ كما بدأ»، والقابضُ على دينه اليومَ كالقابضِ على الجمر، وما حجَبْنا أهلَ الدنيا عن المجيءِ إلا لقلةِ انتفاعِهم واتّباعهم لما نأمرُهم به». ويتمثلُ كثيراً ويقولُ:

لقدْ أسمعتَ لوناديتَ حيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تنَادي

ونـارٌ لـو نفخْـتَ بهـا أضـاءَتْ ... ولكن ضـاعَ نفخُـكَ في الرمَـادِ

دولةُ أهلِ الزمانِ إذا صافَحَنا أحدٌ منهم في طريقٍ، قلنا له: مرحباً بالشيخِ، أو بكلمةٍ قريب من ذلك، ولم نخالطْهم، ولا نجالسهم، عوام الجهة كذلك، ولا نسكتُ عن نصيحة الجميعِ، بل نأمرُ وننهَى، اتباعاً للشريعة، ومحبةً لأهلِ الإسلامِ، فريضةً من الله علينا. قالَ الوالدُ:

أيا صَاحبي والنصحُ دأبي ومَنْهجي ... عليَّ بـه أخْـذُ العقـودِ الوثيقَـةِ

واعلَمْ أنا لا نتكلمُ إلا لله، وبإذنٍ. وفي بعض مجالِسنا لم نكلمْ أحداً بمحاباةٍ ولا غيرِها، إلا من جاءَ يستمعُ للقارئ وينصِتُ. ونتكلم على معنَى ما يقرأه القارئ، ولا عاد معك في أهلِ هَذا الزمانِ إلا المداراةُ، والمجانبةُ لهم رأساً، إلا إذا ابتليتَ بهم مع سلامةِ الصدْرِ على الجميعِ». **قلتُ**: ولم يلتقِ سيدَنا أحدٌ من المسلمين ويصَافحْه إلا وسَأله الدعاءَ، كائناً من كانَ، رضي الله عنه.

وأسمعُه كثيراً يشيرُ إلى علماءَ، أهلِ عبادةٍ، ومتكالبينَ على الدنيا، ويقولُ: «قال النبيُّ ﷺ: «**يؤتى بأقوامٍ يومَ القيامةِ، أعمالُهم كجبالِ تهامة**»، الخ[1]، وناسٌ لهم صحبةٌ قديمَة، فلما توسَّعوا في دنياهم تركَهم، وإذا صافحه المتوسّعونَ في الأسبابِ يعظهُم كثير، ويذكّرُهم بأن لا ينسَوا نصيبَهم من الدنيا، وأن يحسِنوا كما أحسنَ الله إليهم.

والحاصلُ؛ إنه نفعَ الله به، محضَارُ زمانه، غلبَ عليه مقامُ الجلالِ، كسيدنا عمر المحضَار ابنِ سيدنا عبدالرحمن السقافِ.

---

(١) يشير إلىٰ حديث تمامه: «**ليُجَاءنَّ يوم القيامة بقوم معهم من الحسناتِ مثلَ جبالِ تهامةَ، حتى إذا جيءَ بهم، جعل الله أعمالهم هباءً، ثم قذفهم في النارِ، كانوا يصومون ويصلونَ، ويأخذون هنةً من الليلِ، ولكن كانوا إذا عُرِضَ عليهم شيءٌ من الحرامِ وثبُوا عليه، فأدحضَ الله أعمالهم**»، أخرجَه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٧٨) من حديث سالم مولى أبي حذيفة، وأورده السيوطي في «الجامع الكبير».

وكان يفضّلُ ابنَ حجرٍ بحسْنِ المدركِ على علماء وقتهِ.

وكانَ رضي الله عنه، لا يجدُ المعترضُ فيه ذرةً مما يخالفُ الشريعةَ وطريقةَ السلفِ ظاهراً وباطناً، فلذلك حسُنَ منه الأمرُ والنهيُ، مع جمعه للعلومِ، والولاية الباطنة والظاهرَةِ، وللخوارقِ والكراماتِ الظاهرة والباطنة.

* * *

ذكرُ طلبِهِ في الفقه:

ولنختم كلامَنا في ذكْر طلبِ سيدي في علم الفقهِ، بإجازة الشيخ أحمد بن حجر المكي صاحب «التحفة» لسيدِنا العارفِ شيخِ بن عبدالله بن شيخ العيدروسِ، لأن سيدَنا والدَه عبدَالله الحداد، قالَ: «بيننا في الأَخْذِ وبينَ الشيخِ أحمد بن حجرٍ، اثنانِ: محمدُ بن أبي بكر باجبير، والسيدُ محمد بن أبي بكر بن محمد بافقيه علوي[1]، لأن السيدَ محمد بن أبي بكر أخذَ العلم عن الشيخ». قالَ بافقيه: «وكادَ، أي شيخُه ابنُ حجرٍ، يحفَظُ «إحياء علوم الدين» للغزاليِّ، فإنه يسرُدُ من حفْظه الورقةَ والورقتَينِ»، نفع الله به.

قال فيهَا رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله وفّقَ للتفقّه في الدينِ أقواماً اختارَهُم لهداهُ، وشيّد أركان الشريعةِ الغراء بما عليهم من مزايا الإفضَال أولاهُ، فأصبحتْ بهم رفيعةَ الذرَى، منيعة العرَى،

---

(١) كذا جاء في النسختين: محمد بن أبي بكر، وهو خطأ مرده تحريفاتُ النساخ، والصواب: أن اسمه أبوبكر بن محمد، وسوف يذكره المؤلف بعد صفحتين باسمه الصحيح، وكذلك باجبير، اسمه غير موافق للمصادر الأخرى، فلعل المؤلف سها، أو دخل كتابه تحريف النساخ، فليحرَّر.

قاصمةَ الظهورِ، لا يُرَى فيها شكٌ ولا اشتباه، وأيدَهم مع ذلكَ بالإحاطةِ بالحقائقِ البواطن، المبينَةِ عَن كشف حِكَم المتحركات والسواكن، المستلزمةِ للوصُول إلى مدًى لا يشَقُّ غبارُه، ولا يدرَكُ مضمارُه. كيفَ! ومن عداهُم قد فُطِم عن تصوّر بدايتِه، فضلاً عن تعقّل منتهاه، فبِهم عمارةُ الوجودِ، ونيلُ مراتبِ الشهود، وعليهم مدارُ أفلاكِ الكائناتِ، وكشفُ غياهبِ المعضِلاتِ، بما أذنَ لهم في إظهارِه بعد خفاه.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أنتظِمُ بها في سلكهِم، وأوفَّقَ، إن شاء الله، ببَركتها للوفاءِ بحقهم، لما أهِّلوا له، وعوَّلوا له في سلوكهِم عليه، حتى لا أزال أكرَعُ من بحارِ معارفِهم، وأتحلى بحِلية عوارفِهم، ليطابق الخبْر الخبَر، ويستراحُ بشهود العينِ عن شهودِ الأثر، ويستغرِقُ القلبُ في جمالِ الحضرة الأحديةِ، وتنفتحُ له فواتحُ الأسرارِ الصمدية، فيبلغ ما كانَ من فيضِ فضلِ ربّه ما يؤمله وتمناه.

وأشهدُ أنّ سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه، ونبيُّه وخليلُه، ومعدنُ أسرارِ ملكوتِه، ومنبع أنوار رحموتِه، وحليفُ مننِه التي ليسَ وراءها مطلبٌ، وولي نعَمِه التي خضَع لعزِّها كل نبيٍّ مرسلٍ، وملك مقرَّب، سيَّما إذا استولَى على كلٍّ منهم يومَ الفزعِ الأكبر والحيرَة العظيمة في ذلك المحشَر، من هيبة الجبروتِ، وسلطان الرهبوتِ، ما أدهش لبَّه وأزالَ قواه، **فصَلِّ اللهمَّ** وسلِّمْ عليهِ، صلاةً ذاتيةً في مقام لاهوتيتكَ، صفاتيةً في سماء رحموتيتك، لا انقضاءَ لها مدَى الآمادِ، وأبدَ الآبادِ، كما يليقُ بعليِّ جلالكَ، وسنيِّ جمالكَ، وكما تحبه وترضَاهُ، وعلى آله الذين بهِمْ أحييتَ الوجودَ، وأدنيتَ على أهله حقائقَ الشهودِ، ووصلتَ بهم المنقطعينَ، وجبرتَ بهم المنكسرينَ، وحفظتَ بما أودعْتَه فيهم من الأسرارِ النبويةِ، والحقائق المصطَفوية أعلامَ الدينِ، وحقائق المهتدينَ، عن أن تنالها شُبَه الملاحدة والطغاةِ، وعلى آله نجومِ الهدَى، وحتوفِ العدى، ما صدقتْ همةُ مريدٍ، فيما ترقبَ الفوزَ بغايته ومنتهاه.

وبعدُ؛ فإن أشرفَ العلومِ قدراً، وأعلاها منقبةً وفخراً، وأحكمَها قواماً، وأوثقَها عصاماً، وأعدَلها أحكاماً، وأرفعها سناماً، علمُ الفقهِ. فإنه الذي اتسعَ فجاجُه، واتضح منهاجُه، وفاضَ عُبابه، وكثُرَت طلابه، وأينعَتْ رياضه، واخضرَّتْ غياضُه، حتى كان أهلُه همُ الذين بهم قوامُ الدينِ وقوامُه، وبهم ائتلافه وانتظامُه، فبأنوارهم يستضَاءُ في الدهماءِ، وإلى أبوابهم اللجَاءُ في نوازلِ الأرض والسماءِ، هم الملوكُ، لا! بلِ الملوكُ تحت أقدامِهم، وفي تصاريفِ أقوالهم وأقلامهم، ولا نظرَ لفسَادِ الزمانِ، وقلتهم في كل مكانٍ، فالنفيسُ كلَّما قلَّ زادَتْ عزّته، وارتفعَت قيمتُه، وغلَتْ بِزَّتُه.

وكان ممن اقتفَى آثارَ سلفِه الأماثلِ، كنوزِ الحقائقِ وينابيع الفضائلِ، ذوي الكرامات الشهيرة، والفضائلِ الكثيرة، لجمعهم بين طريقَي الشريعة والحقيقة، وحَوزهم شرَفي النسبِ واستقامة الطريقة، أمدني الله ببركتهِم في دار المعاشِ والمعادِ، وأفاضَ عليَّ من معارفِهم التي ما لها من نفادٍ، الشريفُ الحسيبُ، الصالح النسيبُ، الموفَّقُ من زمنِ طفوليته إلى اكتسابِ المعالي، على توالي الأيام والليالي»، إلى آخرِ ما أطالَ به.

ذكر ذلك أحمدُ بن عليِّ بن محمد البُسْكَري المالكيُّ، في كتابه «نزهة الأرواح والنفوس في مناقب مؤلف العقد النبوي شيخ بن عبدالله العيدروس»، الذي قالَ فيه سيدُنا القطبُ عبدُالله الحداد:

* والشيخ شَيخٍ ذي المحلِّ الأرفَعِ *

وهو من مشايخِ سيدنا القطْبِ عبدِالله الحداد، وقد أخذَ عن الشيخِ ابنِ حجرٍ أخْذًا تاما، فإن أردتَ الاطلاعَ عليه فانظرْ في كتابِ «معجم مشايخ الشيخ ابن حجر»، ترَ العجبَ، وفي كتاب الشيخِ هذا، «العقدِ النبوي»، وفي كتاب «البرْقة» للشيخ علي بن

أبي بكر علوي، وفي غير ذلكَ، كـ«الجزءِ اللطيفِ» لسيدِنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس.

وقد قال الحبيبُ عبدُالله الحداد: «بيننا وبين الشيخِ ابن حجر اثنانِ في الأخْذِ: أبو بكر باجبير، وهو أخذ عن السيد محمد بن أبي بكر بن محمد بافقيه، وهو أخذَ عن ابنِ حَجر»[١].

قلتُ: وكان سيدُنا قطبُ الزمنِ، اشتهر بعلْمِ الفقه من صغَره، فيعملُ على الأرجَح من الأقوال في القولِ والفعلِ، حتى أنه من سنةِ حجَّ إلى أن ماتَ لم يتطيَّبْ بالزَّباد، للقولِ فيه بالنجاسَة، مع محبته للطيبِ الفاخِر، خصوصاً العود آخرَ عمره، لم يزلْ يبخِّر به في مجالسِه، نفعَ الله به، ويتطيبُ لكلّ فرضٍ بالطيبِ، ويكرِمُ جلسَاءَه وملائكتَه الحفظةَ، وغيرهم.

وكنتُ أراه يومَ الأحدِ، إذا خرجَ لمدرَسِ (السُّبَير)، يقصِدُ أولاً مسجِد والدِه الذي بناهُ فيه، ويركعُ فيه التحيةَ والضُّحَى، ولم يركعْ في المحرابِ للخلافِ في التنفّل في المحرابِ لغيرِ الإمامِ، وإذا صلَّى الفرْضَ في المحرابِ في الصلواتِ الخمس تنفَّلَ بعد الصلاةِ، وذلكَ في المغربِ والعشاءِ. وبعد الظهرِ في المكانِ الذي يركعُ والدُه فيه في دهليزِ محلِّ مدْرَسته، لأنه يتنفلُ قبلَ الصلاةِ في البيتِ، وإذا دخل المسجد سلَّمَ عليهم، وأقامَ المؤذنُ الصلاةَ.

وكان يدرّسُ الفقهَ، والنحو، والأدَب، وجملةً من العلوم النافعةِ، من حين أمرَه

---

(١) تقدم التنبيه على أن اسمي باجبير وبافقيه وقع فيهما تحريف. والصواب: أن السيد أبوبكر بافقيه توفي سنة ١٠٥٣هـ، وهو ليس من شيوخ الإمام الحداد، إنما شيخُ شيخه باجبير، واسم باجبير: محمد بن أحمد، توفي بشبي سنة ١١٠٣هـ ودفن بزنبل، وهو من شيوخِ الإمام الحداد. وله ابن اسمه: أبوبكر ابن محمد بن أحمد باجبير، وهذا من تلاميذ الإمام الحداد، فليحرر، ينظر: «بهجة الزمان»: ص ٢٦٣-٢٦٤.

والدُه القطبُ الغوث عبدُالله الحدادُ، إلى أن حجَّ بيتَ الله الحرامِ، وزار رسوله عليه أفضلُ الصلاة والسلام، سنةَ ١١٤٨، فأقام في درْسِ الفقه ولدَه شهابَ الدينِ، وبركة المسلمينَ، والدَنا أحمدَ، وسنّه إذ ذاكَ نيفٌ وعشرونَ سنةً، وعمْرُ سيدِنا الحسن سنةَ حجَّ تسعةٌ وثلاثونَ سنةً، بعدَ وفاةِ والده القطب الغوثِ الحدادِ بستةَ عشرَ سنةً.

وقد قال والدُه القطبُ الحدادُ، كما أخبرني الوالدُ، عن عمه علويٍّ بن سيدي القطبِ عبدِالله الحدادِ، وخالِه عمر بن حامد المنفّر باعلوي، والسيدِ العلم محمد بن زين بن سميطٍ، عن سيدنا الحبيبِ الأوحدِ عبدِالله الحدادِ، قالَ لهم: «ينتقِشُ في حسَن شيءٌ بعد الحجّ، ما كانَ فيه من قبلُ».

قلتُ: إنه طلقَ الدنيا من سنةِ حجَّ إلى أن ماتَ، قدّس الله روحَه، ونور ضريحه، وفعلَ عند الإحرامِ والتجرُّد عن اللباسِ التجرُّدَ عن الدنيا، وهكذا في كلّ فعلٍ من أفعالِ الحجّ، كما أمر بذلكَ الغزاليّ، والإمامُ القَصْريّ في «شُعَب الإيمان»، حتى أنه رآه في المنامِ أحدُ الثلاثة، المتقدّم ذكرُهم، في أيام حجِّه هذ، ينشد بقصيدَة والده:

* أقومُ بفرْضِ العامريةِ والنفْلِ *

إلى أن وصلَ إلى قولِ والدِه فيها:

وأصْلَتُ من غِمْدِ السجيةِ مرهفاً ... من العزْمِ ماضٍ قد تحاشَى عن الغِلِّ

وهو يطوفُ بالكعبةِ المشرفةِ، ويردد هذا البيتَ مراراً، فبذلك تعلمُ تحقّقَ كلامِ والده: «أنه ينتقشُ فيه شيءٌ ما كان فيه من قبلُ».

وسمعتُ منه مرةً يقولُ: «إنا طلقنا الدنيا من سنةِ حجَّينا، زيادةً على زهدنا فيهَا من قبلُ، وعطّلنا سنة حجَّينا الحرْثَ، وتركنا النِّشَر، من الرِّكابِ والبقَر والغنَم، وإذا جاءَ الضيفُ أو عيدٌ، اشترينا الغنمَ من عندِ الناسِ، ولا فعلنا بعدَ الحجِّ رأسَ الغنم

للَّبنِ في الدارِ إلا من حينِ جاءَ الأولادُ للولدِ أحمدَ، لأنهم صغارٌ. وحصلتْ ضِيقةٌ علينَا من جهةِ المعاشِ من بعدِ الحجِّ مدةً، اختباراً لنا، وأعاننا الله عليها بالصَّبر.

ثم إني رأيتُ الوالدَ عبدَالله الحداد، كأنه في المكانِ، والمنزلُ الذي معي في داره، في (الحاوي) الميمون، وكأني وإياه وحْدَنا، وكأنه ماتَ بين يديَّ، واجتمعَتِ الخلائقُ في (الحاوي) للصلاة عليهِ، وكأني أدْهنُ أعضَاءَه، يديه ورجليه بدُهنٍ ليبسٍ فيهما، ثم إنه حييَ، وجلسَ، وانقلبت صورتُه صورةَ صبيٍّ صغيرٍ فرِحاً مستبشراً. فأشرَفتُ على الناسِ المجتمعينَ للصلاة عليهِ، وقلتُ لهم: قد أحيَى الله الوالدَ، وهَا هو عندي حيٌّ، فتفرقوا مستبشرينَ فرحينَ».

قالَ: «ومن ذلك الحينِ معاذْ رأيتُ شدةٌ ولا ضِيقةً في معاشٍ، ولأن الدوائرَ علينا كبيرةٌ، من الأتباع والأولادِ وأولادِ الأولادِ، والواردين والزائرينَ، وذلك من بركة الوالدِ عبدِالله الحداد». وقال سيدي: «إني من سنةِ حجَّيتُ، ما طرحتُ الرَّادي على ظهري، ولا لبستُ البياضَ من الثيابِ».

قلتُ: وسمعتُ الوالدَ يقولُ: «إنه في أيام ضِيقَته بعد الحجِّ، رأيتُ على قميصِه وثوبه الذي يخرجُ به إلى الصلاةِ بضعَ رُقعٍ من غير جنسِ الثوبِ، لأنه أبيضُ، والرقع حمراء، وغير ذلكَ، لأن سيدنا عمر بن الخطابِ رقعَ قميصَه بديمٍ لما تخرقَ، رضي الله عن الصالحين. ولما طلقَ الأسبابَ، وتحلى بالصبرِ، كتب بيده ورقةً، ورأيتها بخطّه، رضي الله عنه: «قال في كتاب «عوارف المعارف»، شعراً، وهو لإبراهيمَ الخواص، مذكورٌ في الباب الستينَ منها، عند ذكر الصبر:

صبرتُ على بعْضِ الأذَى خوفَ كلِّه ... ودافعتُ من نفْسي لنفسي ففرّتِ

وجرّعتُها المكروهَ حتى تدرّبتْ ... ولو لم أجرِّعْها إذاً لاشمأزّتِ

ألا رُبَّ ذلٍّ ساقَ للنفسِ عزّةً ... ويا رُبَّ نفسٍ بالتذللِ عزَّتِ

إذا ما مددْتُ الكفَّ ألتمِسُ الغنَـى إلى غيرِ مـن قـالَ اسـألوني فشُـلّتِ
سأصبر جَهْـدي إنّ في الصـبر عـزّةً وأرضى بـدُنيايَ وإن هـيَ قلّـتِ

انتهى من «عوارف المعارف».

ومن الباب التاسع عشر منها، قولُه: «من تجرّد عن المخلوقينَ وتفرّد بالله، فقد تفردَ بغنيٍّ قادرٍ لا يعجزه شيءٌ، يفتحْ عليه من أبوابِ الحكمة والقدرَة كيفَ يشاءُ، وأولى من سألَ من نفسهِ شيئاً؛ يسألها الصبْرَ الجميلَ، فإن الصادقَ تجيبه نفسُه».

وحكيَ شيخُنا رحمه الله: أن ولدَه جاء إليه ذات يومٍ، وقال له: أريدُ حبةً، أي: فضّةً، قال فقلتُ له: ما تفعلُ بالحبة؟ فذكر شهوةً يشتريها بالحبة. ثم قالَ: عن إذنِكَ، أذهبُ وأستقرِضُ الحبةَ؟، فقلتُ له: نعمْ، استقرِضْها من نفسِك فهي أولَى من أقرضَ.

وقد نظم بعضُهم هذا المعنى، فقالَ:

إذا شئتَ أن تستقرض المـالَ منفقـاً على شهواتِ النفْسِ في زمَنِ العُسْـرِ
فسـلْ نفسَـك الإنفـاقَ مـن كنْـز عليـكَ وإرفاقـاً إلى زمَـنِ اليُسـرِ
فإن فعلَتْ كنـتَ الغنـيَّ وإن أبَـتْ فكلّ منُـوعٍ بعـدَها واسِـعُ الصّـدرِ

قلتُ: وكان زهدُ سيدنا زهداً اختيارياً، لأنه بغَض الدنيا من قلبه، وأخرَجها، وإلا كان في أكسيته وفي الأطيابِ التي يتطيّبُ بها لا يشبهُه أحدٌ أبداً، حتى قال سيدُنا الحبيبُ عبدُالله الحداد: «إن قصُرَ عمرُ حسنٍ، علمُه حجةٌ عليه، وإن طالَ عمرُه يصيرُ حجةً على علمِه». فإنه وقتَ الشبابِ يلبسُ الثيابَ الفاخرةَ، في كل فرضٍ يخرجُ لابساً ثوباً جديداً غير الأولِ، والعميانُ يعرفونَه بطيبِ ريحه، أعلمَنا بذلك العلامةُ الشيخُ محمدُ باقيس، تلميذُ والدِه. ثم بعدَ الحجِّ زهِدَ في الجميعِ، حتى كان يدعو دائماً، وسمعتُه كثيراً، في كلِّ يومٍ يقول: «اللهم زهِّدْني في الدنيا وأهلِها وجاهها ومالها»، نفع الله به.

لـــه همـــمٌ لا منتهَـــى لكبارِهـــا   وهمتُه الصغرَى أجلُّ من الدّهْرِ

رضي الله عنه وعنا به، آمين.

قال العارفُ بالله، عمر بن سميط: «إن شيخَنا الحسنَ مثْلَ سيدنا عمر بن عبدالعزيز، كان في بدءِ أمره إذا أتوا بالحلة ليلبسها فلمسَها يقولُ: لولا خشونةٌ فيها، ولما تولَّى الخلافةَ إذا أتوه بالحلةِ ليلبسَها يقولُ: لولا نعومةٌ فيها».

وكان سيدُنا الحسنُ من صغَره إلى وقتِ الحجِّ لم يلبسْ أحدٌ مثله في تريمَ من الأكسية الرفيعةِ، ثم بعد الحجِّ تركَ كل ذلك إلى أن ماتَ، نفع الله به، فلذلك بعد الحجِّ لم يقرِئ في تدريسِه إلا علومَ الطرائقِ والحقائقِ، لأنه أقامَ ولدَه أحمد في تدريسِ العلوم الفقهية.

وبقي هو يدرس في كتب الحديث، والحقيقة والطريقة، وكتبِ القومِ الصوفية، والسِّيرِ، وأكثرُه في الحديثِ والتفسير والتصوفِ.

* * *

وقد رأى بعضُ السادة كأنَّ أويسَ القرنيَّ في المنامِ على صورَة سيدي الحسنِ، نفع الله به شعرا:

إن لله عِبـــــاداً فطَنَـــــا   طلقُوا الدنيا وخَـافوا الفتَنا
نظرُوا فيهَـا فلـما علمُـوا   أنهـا ليســتْ لحـرٍّ وطنَـا
جعلوهَــا لجــةً واتخــذُوا   صالحَ الأعمالِ فيها سفُنا

قال سيدُنا الرائي: «رأيتُ جموعاً من الأولياءِ الأكابرِ في مسجدٍ كبيرٍ، ملآن بهم، فقالَ واحدٌ منهم: قوموا بنا لننظُرَ أويسَ القرنيَّ، قالَ: فخرَجْنا من المسجدِ، فقالوا: هذا أويسٌ، وإذا هو على صورَة سيدي قطبِ الزمن الحسنِ، حتى ثيابه والخودَة التي يلبسُها

في الشتاءِ والصيفِ، إذا خرجَ للمسجدِ والمدارسِ كالسُّبَيرِ وللصلواتِ الخمسِ، أراه لابسَها، فعظَّمُوه وشيعوهُ حتى دخلَ المسجدَ، وركع فيه، وجلسوا متأدبينَ حولَه، رضي الله عنه». **قلتُ**: وإن كانَ أجدادُه الأكابر رآهم في المنامِ تأدبوا فإنهم يعظمُون الحلةَ التي ألبسَها الله سيدي وإن كان ابنَهم.

قالَ الرائي: «فلما رأيتُهم يستمدونَ منه استمديتُ منه، وقلتُ له: لنا يدٌ من جهةِ والدِكم الحبيب عبدِالله الحداد». فاحذَرْ يا أخي تنكِر على لبْسِهم، وتقولُ: السنةُ غيرَ هذا اللباسِ، من العمامة والرداءِ، وغيرِ ذلكَ، فهؤلاء كما قالَ:

قومٌ همومهمُ بالله قد علقَتْ	فما لهم همٌ تسْمو إلى أحدِ
ومطلبُ القَوم مولاهُم وسيدُهم	يا حسْنَ مطلبِهم للواحدِ الصمدِ
ما إنْ تنازِعُهم دنيَا ولا شرفٌ	من المطاعمِ واللذّاتِ والولَدِ
ولا لباسٌ لثَوبٍ فَائقٍ انقٍ	ولا لرَوحِ سُرورٍ حلَّ في بلدِ

* * *

وأما عدمُ محبة سيدي للشهرَةِ، فأمرُه ظاهرٌ، ودليلُ صدقِه بغضُه لها، فضلاً عن طلبِها. وقد قال سيدُنا الشيخُ إبراهيم بن أدهم: «ما صدق الله عبدٌ أحبَّ الشهرةَ»، فقد كان والله باغضاً للصيتِ والشهرةِ، ساعياً في الخمولِ والتواضُعِ بكلِّ ممكنٍ.

ووالله ما رأتْ عيني مثلَه، جبلٌ راسٍ، لا تزعزعه الأوهامُ، ولا يطلب الفاني والطغام، ولم يبالِ برضَا الخلقِ والأنام، بل يطلبُ رضَا خالقِه الكريم العلامِ، ترَكَ الشهرة رأساً، ولم يتولَّ على وقفِ مسجدٍ أو مدرسةٍ أو غيرِ ذلكَ.

ولما وصلَ إليه النظرُ في وصيةِ والدِه على مسَاجدهِ والأماكنِ الذي يطرَحُ الماءَ مسبَّلاً، كالمرابدِ وغيرِ ذلكَ، أمر من يتولَّى على ذلك من أهلِ المعرفَة والديانةِ، ولم يتولَّ وظيفةً بنفسه أبداً، قالَ: «ومرادي: أنّ الأولادَ إذا وصلَتْ وصيةُ جدِّهم، يخلُّون أحداً

يتولَّى من تحتِ نظرِهِمْ»، زهداً منه، رضي الله عنه.

ولما رجعَ من الحجِّ طلقَ الأسبابَ، وبقي متجرِّداً متوكلاً على مسبب الأسبابِ.

سأله بعْضُ مريديه عن اختيارِه هذه الحالةَ على الأولى؟ فقالَ له: «قال بعضُ العلماء: رأيتُ الإمام الغزاليَّ رضي الله عنه، في البرِّيةِ، وعليه مرقعةٌ، وبيده عكازٌ وركوةٌ، فقلتُ: يا إمامُ!، أليسَ التدريسُ ببغدادَ أفضَلُ من هذا؟ فنظر إليَّ شزَراً، وقالَ: « لما بزغ فجرُ السعادة في الإرادة، وجنحَتْ شمسُ أصولِ الوصولِ:

تركــتُ هــوَى لــيلى وسُــعْدَى وعدتُ إلى مصْحوبِ أولِ منزلِ
ونادتْ بي الأشواقُ مهلاً فهــذه منازلُ من تهوَى رويدكَ فــانزلِ

قلتُ: قال أميرُ المؤمنينَ عليٌّ كرم الله وجهه، في وصفِ رجالِ الله وخلفائه في أرضِه من عبادِهِ: «أولئكَ همُ الأقلونَ عدداً، الأعظمونَ عند الله قدراً، بهم يدفعُ الله عن حُجَجه حتى يؤدوها إلى نظرائهم، أو يزْرَعونها في قلوبِ أشباههم، هَجمَ بهم العلمُ على حقيقةِ الأمرِ، فاستلانوا ما اسْتوعرَه المترفُونَ، وأنِسُوا بما استوحشَ منه الجاهلونَ، وصحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقةٌ بالمنظَرِ الأعلى، أولئكَ خلفاءُ الله تعالى في بلادِه، ودعاته إلى دينِهِ، هاهْ هاهْ، شوقاً إلى رؤيتهم»، انتهى، رضي الله عنهم، ونفعنا والمسلمينَ بهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* * *

وكان في سيدنا الحسنِ ابن سيدي عبدِالله الحدادِ، ثلاثُ خصالٍ، قلَّما اجتمعتْ لمثله:

[١] حسنُ الوجهِ مع الصيانةِ.

[٢] وحسْنُ القَولِ مع الديانةِ.

[٣] وحسْنُ الإخاءِ مع الأمانة.

وقالَ نفع الله به: إني مرتبٌ للوالدين ومشايخي في كلِّ يوم قراءةَ شيءٍ من القرآنِ العظيمِ وأهديه لهم، ولمن واخيتُه في الله، لكلِّ واحدٍ فاتحةٌ، مثلُ السيدِ عمر حامد، والسيد حسين بن عمر بلفقيه، والسيد علوي بن شيخ الجفري، والسيد طاهر بن هاشم، والسيد عبدالله بن سهل، والسيد حسين بن محمد بن شهابٍ، والسيد علي باحسن، وغيرهم، وقد توفّوا إلى رحمة الله ورضوانه، وإذا دعوتُ بخيرٍ لنفسي ووالديَّ دعوتُ لهم».

* * *

ولما زيّنَ الحبيبُ الحسنُ، نفع الله به، باطنَه بالمراقبةِ والإخلاصِ، زيّنَ الله ظاهرَهُ بالمجاهدةِ واتباعِ السنةِ، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكان يتمثلُ نفع الله به بهذه الأبياتِ:

قطعُ الليالي مع الأيام في خَلَقِ ... من النومِ تحتَ رواقِ الهمِّ والقلَقِ

أحرَى وأجدَرُ بي من أن يقالَ غداً ... إني التمسْتُ الغنَى من كفِّ ممتلقِ

قالوا رضيتَ بذا قلتُ القُنوعُ رضاً ... ليسَ الغنَى كثرةُ الأموالِ والوَرِقِ

رضيتُ بالله في عسْري وفي يسْري ... فلستُ أسلكُ إلا أوضحَ الطرُقِ

ويقول: «قال والدُنا الحبيبُ عبدُالله الحداد: قال ذو النون المصريّ، رحمه الله: قالَ الله: «من كان لي مطيعاً كنتُ له ولياً، فليثقْ بي، وليحكم عليّ، فوعزّتي وجلالي، لو سألني زوالَ الدنيا لأزلتُها»، انتهى.

مشيراً بهذا الكلامِ: أنه ووالدُه، نفع الله بهما، مطيعانِ لله، وأن حالهما ما تقدّمَ.

وأظنّ أن مبدأ أمرِ سيدي الحبيبِ الحسن نفعَ الله به على ثمانيةٍ من أكابرِ آل أبي علويٍ: سيدنا الفقيه المقدم، وابنه علوي، وابن ابنه الشيخ عبدالله باعلوي، والشيخ عبدالرحمن السقاف، وابنه الشيخ عمر المحضار، والشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، ووالده الشيخ الحبيبُ عبدُالله بن علوي الحداد.

والثامنُ: هو الجدُّ الجامعُ لأنساب آل أبي علوي، وعليه بعدَ الله ورسُولِه مرجعُهم في النسبِ والحسبِ، صاحبُ مرباطٍ، الإمامُ محمدُ بن علي، جدُّ الفقيهِ المقدم محمدِ بن عليٍّ بنِ صاحبِ مرباطٍ محمدٍ المذكور.

فما رُئيَ سيدي الحبيبُ الحسنُ نفع الله به يعظّمُ أحداً مثلَه، ولا يجل أحدا من أجداده مثلما يجله ويحترمه جداً. ويقولُ: «وددت زيارتَه، لكنّ الوالدَ يقولُ لي: «أعطيناكَ (الشِّحْرَ)»، فأخافُ منه هذه الكلمةَ أن يردَّنا الريحُ إلى (الشّحْر)، ويؤذَن لنا بالإقامةِ فيها، أو الوفَاة، فإن الإمام أبا بكر بن عبدالله صاحبَ (عدن)، لما كُشفَ له أنه يموتُ بعدَن، بكَى حتى راحتْ عيناهُ من الأسفِ على تربَة تريمَ، حيث لم يُقبَر فيها.

وقال رضي الله عنه في آخر عمره: «ما في خاطري وفي نيتي وعزْمي الا زيارَةُ الشيخِ الإمامِ محمدِ بن علي مولى مرباط، ولكن ضَعُفت القوَى، فزر أنتَ يا علَوي نائباً عني».

قلتُ: فزرتُه بحمْدِ الله نيابةً عنه، سنة ١١٩٠.

وأما سيدُنا الفقيه المقدم؛ فلا أراه يقدّمُ عليهِ أحداً أبداً، وقد وقعَ مرةً مطرٌ وقتَ الزيارةِ التي يعتادُ يزورُها في ذلك الوقتِ، فزار سيدَنا الفقيه المقدَّم وحْدَه، وجمع الجميعَ عنده، وقال: «إن أرواحهم تجمعُ عندَه»، ثم ركبَ المركوبَ بعد زيارة سيدِنا الفقيه المقدّم، محمد بن علي، وخرجَ بمن معَه إلى (الحاوي) الميمونِ، مكانِ والده.

وأما سيدنا عبدُالله باعلوي؛ فإني أراه يفخّمُه ويعظّمُه كثيراً، ولما قرأتُ كتابَ «الجوهر الشفاف» ووصلتُ فيه إلى مناقب سيدِنا عليٍّ بن علويٍّ، أخِ سيدنا عبدالله باعلوي، قالَ الخطيبُ: «هو أكبرُ من أخيهِ عبدِالله سنًّا وحالاً»، فقالَ سيدي الحسنُ: «أما حالاً فما نوافقُه عليه».

وأما سيدُنا الشيخ عبدالرحمن السقاف؛ فإنه المقدّمُ الثاني، فما يفضِّلُ عليه أحداً بعد الفقيهِ، ويقولُ: «هو القدوةُ»، وكانَ مع كبر سنِّه ما تركَ الجمعةَ، يأمر عبدينِ له يحمِلانِه إلى الجامعِ لصلاة الجمعةِ، ويقولُ: سُبحانَ الله!، كلُّ أولادِ السقاف الأنثَى والذكَر صالحونَ جميعُهم، وأهل مناقبٍ.

وأما سيدنا المحضَارُ، عُمَر بن عبدالرحمن؛ فإني أراه تعجِبُه أحوالُه كلُّها، فلذلك كانَ سيدنا الحبيبُ الحسنُ حاله مُوسَوياً، كالمحضَارِ.

وأما سيدُنا الشيخُ عبدالله بن أبي بكر العيدروسُ؛ فإني أراهُ يفخِّمُه ويعظّمه جدًّا، بل أراه يحبهُ ويميلُ إليه كثيراً، وزار مرةً ولا فراشَ في قبته، فقيلَ له: إن فلاناً يريدُ كرامةً شلَّها ولا يردّها إلا بالكرامةِ، وكان الآخذُ من أولادِ الشيخ عبدِالله العيدروسِ، فقالَ: «أما عِلمُوا أنه عبدُالله بن أبي بكرٍ! أما يُردّونَ الفِراشَ!»، قالَ ذلك بتعظيمٍ وهيبةٍ وكلامٍ تنفطر القلوبُ من هيبته، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وأما والدُه الحبيبُ الشيخُ عبدالله الحداد؛ فإني أراه إذا ذكَر اسمَه ذكرَه بتعظيمٍ وهيبةٍ كثيراً جداً، ما كأنّه والدُه، وخامَرهُ، بل ترتعدُ فرائصُه عندَ ذكرِه، ويقولُ: «لا أقدّم عليه أحداً، ولو أمرني أقتلْ بعْضَ الأصناءِ لفعلتُ، واعتقدْتُ أنّ ما أمر به هو الصّوابُ».

وكان إذا نابه أمرٌ فما أراهُ إلا يذكرُ اسْم والدِه وحْدَه. ثم كان آخرَ عمرِه، ما يذكر إلا المصطفَى محمداً ﷺ في قيامِه وقعودِه، وإذا نابه أمرٌ قالَ: يا رسُولَ الله. فآخر أمره

اعتمادُه بعدَ الله على رسُولِ الله، وصفيِّ الله، وحبيب الله، وعبدالله، محمدِ بن عبدالله ﷺ، فحينَ كملتْ له الوراثةُ الأحمديةُ، لم ينادِ إلا بخَير البريّة محمدٍ ﷺ.

ورأى في المنامِ السيدُ الأنورُ، علويُّ العيدروسُ، صاحبُ (تاربة)، ليلةَ النصْفِ في الشهْر المعظّم رمضانَ،: كأنه في برّيةٍ، وفي أرض واسعةٍ نقيةٍ، وأقبلوا عليه أربعةُ نفَر، عليهم من الجلالة والهيبةِ والأنوارِ ما لا يوصَفُ. أما ثلاثةٌ فهم يسيرونَ سواءً، والأوسطُ منهم طارحٌ يدَه اليمنَى على كتفِ الذي عن يمينِه، ويدَه اليسْرى على كتفِ الذي عن شماله، وهو يسيرونَ سواءً، والرابعُ يدورُ عليهم الجميع.

قال: فلما قرُبوا مني،ورأيتهم، قال لي الذي يدورُ عليهم: هل عرفْتَ هؤلاء الثلاثة؟ قالَ: فنظرت فيهم، مع الهيبة منهم، لـمـا يعلو من نورهم، قالَ: فقلتُ له: عرفتُ الأوسطَ الذي طارحٌ يدَه على أكتافِ الاثنينِ، هو الحبيبُ الحسن بن عبدِالله الحداد، قالَ: فقالَ لي: والذي على يمينِه، الفقيهُ المقدمُ، محمد بن علي، والذي يساره جدِّي عبدُالله بن أبي بكر العيدروسِ.

قال السيدُ علوي: ووقعَ في قلبي أن الذي يخاطبني، الرابعَ، هو سيدي عبدُالله بن علويّ الحداد. فلما انتبهتُ سرْتُ ووصلتُ إلى زيارة سيدي الحبيبِ حسنٍ، وجئتُ إلى بيته بـ(الحاوي)، وكاشَفني بما وقعَ، وبأشياء نويتُها، ولذلك لي فيه عقيدةٌ حسنةٌ».

* * *

قلتُ: وحدثَ واردٌ وغَوبةٌ على سيدي في تلكَ الليلةِ التي رُئي فيها سيدي الحبيبُ الحسنُ، في ناصفة الشهر المعظم، رمضان، شبهَ الحالِ، وتحمّل أشياء باتنزل على الناس.

ورأيتُ في المنامِ قبلَ ذلك في الشهْر، كأن سيلاً عظيماً خرج إلى (الحاوي)، مكان سيدي، أسْودُ، فيه نيلٌ وكدورةٌ، فعلمتُ أن ذنوبَ أهل المدينَة يتحمّلها سيدي، وأراه

نفع الله به، من بعد رجُوعه من صَلاة المغربِ يرفعُ رأسَه، ويحدق نحو السماءِ، كأنه متوقعٌ لشيءٍ ينزلُ، فلما توضّأ لصلاةِ العشاءِ حينَ قرُبتِ الصلاةُ وتمّ وضوؤه، وخرج من المكانِ الذي توضّأ فيه، وأراد أن يركعَ سنة الوضوءِ في مصَلاه، حدث عليه واردٌ وحالٌ، استغرقَ وذهبَ عن إحساسهِ، ممتدًّا مسجًّى في المكانِ الذي يريدُ يركعُ فيه، وقد كان يتعوّدُ هذا السكْر والغَوبةَ آخرَ عمره، خصوصاً بعد الوضُوء.

فلما رأى الوالدُ ما رأى، وكان حاضراً، أمرَنا كلَّنا بالخروجِ من المكانِ الذي هو فيه، وبقي عنده، لأنه يتكلم بأمورٍ عجيبةٍ، ومكاشفاتٍ غريبةٍ، وتقع كما يخبر بذلكَ سواءً.

ولما رأيتُ ما عليه من شدّة الحالِ، وأخرج الكلَّ الوالدُ، رحتُ إلىٰ مكانٍ في الدارِ، **وقلتُ**: ما أظن سيدي إلا في النزْعِ، ما هذا إلا دليلُ الموتِ، فلما رأى الوالدُ طولَ الغوبةِ على والدِه، أمرَنا بالدخولِ عليهِ، وخرجَ هو يصلي بالناسِ العشاءَ والتروايحَ في المسجد.

فلما دخلتُ على سيدي، وحسَّنَا عنده، سمِعنا منه كلاماً، منه أنه قال: «عاد في تريم أكابر، منهم عمر بن محمد بلفقيه، هو أكبر من أخيهِ عبدِالله الأعمى حالاً، وإن كان لأهلِ تريمَ في أخيهِ اعتقادٌ أكثرَ منه، لأن عبدَالله مظهرٌ لهم الكراماتِ، وعمرُ أكبر منه حالاً».

وقال لي: «يا بعلوي! ظنيتَ أني أموتُ، لا؛ عادْ في العمر مدّة، أظن أني أبلغ عمر الوالدِ عبدِالله الحداد، وإلا عمْر عبدِالله باعلوي، وعُمَر بن أحمد منفّر». **قلتُ**: فبلغَ عمْر والدِه، ولا زاد إلا بأشهرٍ، ووقعَ في خاطرِي: أنه يبلغ عُمْر الشيخ عبدالله باعلوي، خمسٌ وتسعينَ سنةً، لكن أظنّ أنه فدَى بباقي عمْره ما وقعَ على الناس في الهارَة والموتِ، من البلاءِ الذي نزلَ على حضرموتَ، سنةَ توفي سيدي الحبيبُ الحسنُ.

فإني رأيتُ في كتابِ «جَلاء الصدأ في سيرة إمام الهدَى»، في مناقبِ سيدنا أحمد الرفاعي الحسينيِّ: أنه أخبر بمدّةِ عمره، ثم لما حصلتْ عليه الوفاةُ، قال له بعضُ تلامذتِه: أما قلتَ: يبلغُ عمري كذا وكذا؟ قالَ: بلى؛ ولكن وقعَ بلاءٌ على الناسِ، فدفعته بباقي عمري»، انتهى. وأرَى سيدي قطبَ الزمن كثيراً ما يصرّحُ بأنه يبلغُ عمْر الشيخِ عبدِالله باعلوي، وعُمَر بن الشيخ الحامد بن أحمد المنفّر باعلوي، وأظنّ أنه من هذا القبيلِ، والله أعلم.

* * *

رجَعنا إلى ذكر علومِ سيدي في علومِ الحقائق والتصوفِ:

فإنه من بعدِ حجِّه يدرّس فيها، أخذَ على ذلك أربعينَ سنةً، ما يترك القراءة ولا المطالعةَ في علومِ القومِ، يطالعُ فيها، في «الإحياء»، و«العوارف»، و«الرسالة القشيرية»، وكتب والده، وأكثر مطالعته في «الإحياء»، طارحها عند رأسِه يطالعُ فيهَا، قاعداً أو مضطجعاً، هكذا رأيته دائماً.

حتى ضَعُفَ نظرُه، أمرني أقرأ عليه، فقرأتُ عليه كتباً كثيرةً، وهو طارحٌ جنبَه الشريفَ على الأرضِ في الغالبِ، وفي بعضِ الأوقاتِ قاعداً، وأجلسُ قريباً منه، ولا يملُّ من القراءةِ أصلاً، والفقير قد أملُّ. وإذا رأى كثرةَ ما قرأتُ، كراريسَ كثيرةً، قال لي: تعبتَ أم عادك؟ فإني لا أملّ مثلَك في القراءةِ، رضي الله عنه.

وفي أيام حدّةِ نظرِه فما يحتاجُ إلى أحدٍ، فإنه يطالعُ الكتبَ الكثيرةَ بنفسِه، قال: «ومن نعَمِ الله عليَّ وعلى الولدِ أحمد: رطوبةُ الدماغِ، فما تتعبُنا كثرَةُ المطالعةِ»، نفعَ الله به في الدارينِ، ولا حرمنا بركةَ ابنه العلامةِ الوالد أحمدَ، آمين.

* * *

وكان في زمنه حاملاً رايةَ الخلافةِ بالعلومِ اللدنيةِ، وعلمِ التصوفِ، ومقام الزهدِ، والولايةِ الظاهرةِ، وكبر الحالِ، مع كبرِ السنِّ، لا يمتري في ذلك أحدٌ.

وكان رضي الله عنه في العلومِ والمعارفِ والحقائقِ، البحرَ الذي لا ساحلَ له، لهُ اليدُ الطولَى في علومِ الإسلام والإيمانِ والإحسانِ، لم يكن له نظيرٌ في وقتِه، ظاهرٌ جلي عند الخاصّ والعام، وشهدُوا بذلكَ أهلُ السرِّ والعلمِ والقدرِ الجلي، فتراهم تحتَ أبوابه متذللينَ، ولما يقوله مستمعينَ وعاملينَ، وهو وسيلتهم إلى ربّ العالمينَ.

ويتكلم، رضي الله عنه، على مقالات العلماء الأعلام، وعلى أحوال الأولياء الكرامِ، ويبدي ما فيها من صوابٍ وغيره، وإذا تكلمَ على الأحاديثِ النبوية بيَّن معانيها بكلامٍ لم يُسمعْ مثله، ولم يوجدْ في كتابٍ، وكذلك كان يتكلمُ على الآياتِ البيناتِ من القرآن العزيزِ، ويذكر القواعدَ التي اتخذوهَا وبنوا عليها مذاهبَهم من القرآن العزيزِ وحديثِ النبيّ ﷺ، مما تقرُّ به العيونُ، من العلمِ المضْنونِ، لأنه من السرّ المصُون.

* * *

قالَ رضي الله عنه: «قال والدنا: «جميع ما جاء عن النبي ﷺ عملنَا به إلا الوفرة»، أي: توفير شعَر الرأسِ، فعلَه في مرضِ موته، رضي الله عنه، ونحنُ كذلكَ، جميعُ ما جاء عنه، صلوات الله عليه، عملنا به، واقتدَينا بوالدنا، فجميعُ ما نفعلُه اليومَ من عبادةٍ أو عادةٍ، فكان الوالدُ يفعله نفعَ الله به».

وقال سيدُنا الحبيبُ العارفُ، عمر بن حامد المنفّر: «والله لو سَألني أهلُ المشرقِ وأهل المغربِ، عن خليفة سيدي عبدِالله الحدادِ، لقلتُ: ولدُه الحسن»، نفع الله به.

وقال سيدي العلامةُ، صاحبُ «غاية القصد والمراد»، العارفُ بالله، محمد بن زين بن سميطٍ، في كتابٍ منه للشَّيخ سعيد البعُو، محبِّ الحبيبِ أحمد بن زين، لما ذكر له سيدَنا الحسنَ، قالَ: «ووالله إنه في مقامِ والده، وحاوي أسراره، رأينا ذلك عياناً

ومشاهدةً، لا تخميناً وظناً، وبحمْدِ الله ومنّه، فهو كالشمسِ الشارقة في ضَحْوة النهارِ، من غير سحابٍ ولا غبارٍ، في اتباعه لجدّه المصطفَى ﷺ وفي اقتفاهُ جميعَ سِيَرِ والدِه القطبِ عبدِالله الحداد». انتهى. وهو الذي يقولُ رضي الله عنه: «عندنا علومٌ جمةٌ لو لقينَا من يفهمُها فضلاً عن أن يعملَ بها». وينشدُ كثيراً بأبياتِ الإمام زينِ العابدينَ، عليِّ بن الحسين بن عليٍّ، كرم الله وجهه، ورضي عنهم:

يا ربَّ جَوهرِ علمٍ لو أبـوحُ بـه ... لقيـلَ إنـكَ ممـن يعبـدُ الوثنَـا
ولاستحلَّ رجالٌ مسلمونَ دمي ... يـرون أقـبحَ مـا يأتونَـه حَسـنا
وقـد تقـدمَ في هـذا أبـو حسـنٍ ... إلى الحسينِ ووصَّى قبلَـه الحسَـنا

وقالَ لي نفع الله به يوماً: «افعل كذا»، وكان في ظنّي ليسَ هذا الفعلُ على وجهِ الشريعةِ، فكاشفني ما في خَاطري، وأبدَى لي حقائقَ ودقائق باطنةً. ثم قالَ: «هلاَّ اعتبرتَ بما جرَى للخضِر مع موسَى، إذا أشكلَ عليكَ شيءٌ وأنت قاصِر المعرفةِ، وجرى ذلك الشيءُ من كاملٍ،فسلمْ له، كما قال الوالدُ:

وسلمْ لأهل الله في كـل مشـكل ... لـديكَ لـديهمْ واضـحٌ بالأدلـةِ

فبعْدَ ذلك لم أعترضْ ولم أنكرْ في خاطري شيئاً فعلَه أو أمرَ بفعله، رضي الله عنه، لأنه رضي الله عنه من الأعزّة الذينَ اصطفاهمُ الله عزَّ وجل بمعرفتِه، ومحبته، وسدّدَه بتوفيقِه وعصمته، ثم أوصلهُم بفضْله إلى رضوانِه وجنته.

قال في كتابِ «الرحيق المختوم»: «إن العلم المكنونَ، والسرَّ المصونَ، الذي هو نتيجةُ الخدمةِ، وثمرةُ الحكمةِ، لا يظفَرُ به إلا الغواصُونَ في بحارِ المجَاهداتِ، ولا يسْعدُ به إلا المصطفونَ بأنوارِ المشاهداتِ، إذ هو أسرارٌ كامنةٌ في القلوبِ، لا تظهر إلا بالرياضَةِ، وأنوارٌ ملتمعةٌ في الغيوبِ، لا تنكَشفُ إلا للقلوبِ المرتاضَة. فأهلُ العزَّةِ بالله لها منكرونَ، وعنها مدبرونَ.

على ما أخبرَنا به الحافظُ أبو جعفرٍ، أنبأنا أبو صالحِ بن عبدالملكِ، أنبأنا محمد بن الحسينِ، أنبأنا أبو حامدِ بن عبدالله الهرويّ، أنبأنا نصرُ بن محمد الحارث، أنبانا عبدالسلام ابن صالحٍ، حدثنا سفيان بن عيينةَ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاءٍ، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «**إن من العلْمِ كهيئَةِ المكنونِ، لا يعرفُه إلا العلماءُ بالله تعالى، فإذا نطقوا لا ينكِرُه إلا أهلُ الغرَّةِ بالله تعالى**»، وقد تقدم الحديثُ بتمامه[1]».

* * *

وقد استولتْ على سيدي الحقيقةُ، ومحبةُ خالقهِ، حتى دكّتْ أعضاءَه، وصار يتلوّنُ عند الدعاءِ والمناجاةِ، وتطرقُه الوارداتُ الإلهية، فيتلوّنُ جسمُه ألواناً:

لــه همــمٌ لا منتهَــى لكبارِهــا وهمتُه الصغرى أجلّ من الدهْرِ

وإني والله أنظرُه في جوفِ الليلِ، يتململُ كتململِ السليمِ الملدوغِ، ويتقلبُ على فراشِه كأنه مريضٌ مدنفٌ، من شدةِ ما ينازلُ باطنَه من الشوقِ والمحبّة وشدّةِ الخوفِ من الله. **قلتُ** له في اليومِ الذي ماتَ فيه سيدي العمُّ علويّ بن عمَر حامد: «ما نخَافُ أنه توفّي على الكمالِ، وقد صلى العشاءَ في جماعةٍ، وقرأ الراتبَ»، فقالَ: «إنه الموتُ يا علويّ!»، بصوتٍ عالٍ، كاد يزيغُ قلبي من هيبته.

* * *

وكان نفعَ الله به، لو قالَ له قائلٌ: إن الموتَ ينزلُ عليكَ في هذا اليومِ، أو في هذه

---

(١) جاء في هامش إحدى النسخ:= «أظنه لم يتقدم فليراجع»، ولعل الكلام لمؤلف الرحيق المختوم، الذي ينقل عنه المؤلف، والحديث هذا لم يرد في هذا الكتاب، وقد أورده الحجة الغزالي في «الإحياء»، وضعفه العراقي في تخريجه.

الليلةِ، يقيناً، لم يزدْ على ما هو فيه، قد وزّعَ الأوقاتِ جميعَها بالطاعاتِ، والأورادِ، والذكرِ، والاستغفارِ، والتلاوةِ. قال بعضُ السادةِ القادة: «إني مرادي في عمري يوماً واحداً، أعملُ فيه على مثلِ ما كان يعملُ سيدي قطبُ الزمنِ، فلم أقدرْ».

وأره في توزيعِه عندَ الدخول والخروج، واليقظة والمنامِ، وخروجه للصلوات الخمسِ، ومدارسِه، وزياراتِه للأولياء، وجلوسِه في حضراتِ الذكرِ، وقيامه بالليلِ، كلَّ ذلك على حسب ما نقلهُ الحبيبُ العلامةُ محمد بن زين بن سميطٍ، في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقبِ القطب الحبيب عبدالله الحداد»، على حد سواءٍ، إلا إن زاد شيئا على ما أراه في الكتابِ. فمرةً يقولُ للسائلِ: «كان والدي يعملُه»، ومرةً يقولُ فيما ليسَ هو من المواظِبِ عليه والدُه: «هذه عبادةٌ آليتُها على نفسِي»، كصلاة التسبيحِ كلَّ ليلةٍ مع قيامه في الليلِ، وكتركِه ما يهدَى إليه من بعدِ حجِّه من لباسِ الثيابِ الفاخرة، ومن الرداءِ وغيرِ ذلك. **وبالنسبةِ**، فلا حاجةَ للتفصيلِ فهو مفصلٌ في المتقدّمِ ذكرُه، وفي «إحياء علوم الدين»، و«أذكار الإمام النووي».

ووضوؤُه على ما في «بداية الهداية»، إلا أنه يمسَحُ الرأسَ جميعَه مرةً واحدةً كلّه، ويقولُ: «إنه في حديثٍ روايةَ سيدِنا عثمان: مسحُ الرأس مرةً واحدةً، وفي رأسي برودةٌ، والحديث صحيحٌ»، وكانت صلاته معتدلة وقد حزرنا صلاته للظهر مرة فكانت بقدر سورة يس والفاتحة وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والعصر بنحو ذلك

وقال سيدي الحبيبُ الحسنُ نفعَ الله به: «إني في توزيعِ الأوقاتِ والعوائدِ المعتادةِ، أكثرُ من المواظبةِ عليهَا كوالدي، والوالدُ نفع الله به قد ينيبُ بعضَ الأحيانِ من يقوم مقامَه، وأنا إذا داهمني الأمرُ من مرضٍ أو غيرِه أتكلفُ على ما نزلَ، وأصبر مع الكِبر لأمورٍ أرادَها الله عزّ وجل، لأجلِ صلةِ الأرحام، وإلا فقد الولدُ أحمد فيه الكفايةُ، لكن خفْنا من تنكُّد بعضِ الأرحامِ، فلذلك صبرْنا على العاداتِ أكثَر من

الوالدِ، وإلا فمن في هذا السنِّ، في عَشْر التسعينَ، معاذْ يَخرُج للمدارسِ والصلواتِ والزياراتِ والجموعات الكثيرةِ، مع ضعْفِ القوَى، لكن نسألُ المعونةَ منه تعالى، وكله من فضلِه، فعليه التكلانُ، وهو المستعان».

وكان نورُ العلمِ والخشيةِ ظاهرٌ على وجهِ سيدي الحسنِ، قال الله عز وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وكانَ مع سعة علمِه لا يستنكفُ أن يقولَ: «الله أعلم»، إذا سئل عن بعضِ المسائلِ، إما لعلمه بقلّة أهليةِ السائلِ، وإما ما عنده حالَ السؤالِ في ذلك الحينِ إذنٌ في الكلامِ. وكان يثني على العلماءِ العاملينَ، والطلبة الصادقينَ، ويحبهم ويمدّهم بالعطاءِ، والإرفاقِ، وبالدعاءِ الصالحِ لهمْ في الخلواتِ والجلواتِ، وأكثر ما رأيته يحضُّ على قيامِ الليلِ، ويميزُ من يعتني بالقيامِ على غيرِه، ويثني عليهم ويمدَحُهم.

* * *

ولما خرَجا العلامتانِ، الحامد وعلوي، ابني الحبيب عمر حامد، ثالثَ ليلةٍ خلتْ من شهر رمضانَ، يباركان له بالشّهْر المعظّمِ، قالَ لهما: «ادعوا للعيال». وهكذا أسمعُه، خصوصاً في هذا الشهْرِ المعظّمِ، يلحّ عليهما في الدعاءِ لأحفادِهِ. ثم إني سمعتُه مرةً في هذا الشهرِ، لما خرجَا إليه بعدَ استيداعهما منه، وخرجَا من عنده، أثنَى عليهِما بقيامِ الليلِ في مسجدِ باعلوي كلَّ ليلةٍ.

وقال نفعَ الله به مراتٍ عديدةً: «من جاءنا صادقاً في طلبِه، وحرّاقتُه يابسَةٌ، قبَسْنا له فيها سريعاً، ومن جاءنا وحراقتُه مبلولةٌ أتعبنا».

وقال نفعَ الله به: «إنا نطرحُ للزائرينَ المددَ في الطعامِ والشرابِ، لضَعفِ قابليّة أهل الزمان للتلقي». وكذلكَ كان والدُه يقولُ كذلك.

وقال لما جُذبَ بعضُ مريديه، ودكته الأحوالُ، وأظهرَ الكراماتِ والمكاشفاتِ،

قالَ: «إن هذا السيدَ جاءنا بحرَّاقته يابسةً، فقبسنا له سريعاً، وأظنه يشفعُ في أهلِ قرنِه مثلَ الشابِّ الذي ذكرَه اليافعيُّ عبدُالله بن أسعَد، في بعضِ كتبه». فقال له الوالد أحمد: «عليه الاّ يشفَعْ لأهل الجمعِ الغفيرِ الذي في جنازته»!، فقال له: «فضل الله واسعٌ».

وقالَ: «أهل بلدِنا ما أخذُوا منَّا العلومَ كثيراً، وإنما معهم منّا يسير، وأين نحن من الوالد القطب عبدالله الحداد مع جلالة قدره لم يأخذوا منه إلا يسيراً.

وبعضُ علماء تريمَ ما أحاطوا بنثرٍ ولا نظمٍ لسيدي الوالدِ، نشَد منشدٌ يوماً بقصيدةِ سيدي الوالد عبدِالله، التي أولُها في سيدِنا الفقيهِ المقدم:

يا ظبيَ عيديدْ ما في الحسْنِ لكْ ثاني　　　هل من سبيلٍ إلى لقيـاكَ يـا غـاني

فتعجبَ منها بعضُ العلماءِ من السادةِ، هو عبدُالله بن سهلٍ باعلوي، فقالَ: مَا أحسنَ وما أنظَم هذه القصيدة العظيمِ، لمن هي، هل تعلمُ قائلَها؟ فقلتُ له: سبحانَ الله!، ما أنتم إلا محرومينْ من نفعِ الأكابرِ والأقطابِ، هي لسيدنا الوالدِ، فأنتَ لباقي علومِه أضيعُ، إذا كنتَ ما تعرِفُ حتى عرائسَ القصائدِ التي في «ديوانه»، نفع الله به، فكيف بغيرها!. قلتُ:

* والمندَلُ الرّطبُ في أوطانه حطَبُ *

ولا يسَعُنا إلا هذا في حقِّ أهلِ تريمَ، لأنهم منوَّرينَ، ومن خيار المسلمين».

ثمّ قال نفع الله به: «فلذلك لم أقلِ الشعْرَ، لأن الناسَ متغرِّبين، وإذا قَد مثلُ كلامِ الوالدِ لم يعطوهُ حقَّه، فكيف بغيره، وقدْ في كلامِ الوالد كفية لأنه مأذونٌ له، وهو الذي يناسبُ أهلَ الوقتِ اليومَ، وله صولة وتأثيرٌ».

* * *

وقال لي تلميذُ سيدي بحرِ المعارفِ الحسنِ، الشيخُ سعيدُ بامحمّد العموديُّ،

ساكنُ (قيدون)، بلد الشيخ الكبير سعيدِ بن عيسَى العموديّ، قالَ: «قال لنا سيدي الحبيب الحسنُ بن عبدِالله الحداد: «إني صليتُ الاستخارةَ مراتٍ، على أن أشرحَ حديثَ جبريلَ، لأن الوالدَ قدْ وعدَ أن يشرحَه ويبسُطَ فيه، فأرسلَ له بعضُ المحبينَ شرحاً على حديثِ جبريلَ، وسماه شارحُه: «مجموع الإعلام في مباني الإسلام»، لبعضِ الحنفيةِ.

فلما رآه الوالدُ اكتفَى به، ولا شرحَ حديثَ جبريل. وإني لما استخرتُ الله تعالى وفكرتُ أن عندي عُدّةٌ من العلومِ الواسعة النافعة، ومرادي أن أبسُطَ في شرحي عليه، ففكرتُ في نفسي هل إذا راجعَني بعضُ العلماء في مسألةٍ في الشرحِ الذي أريدُ أشرحه على حديثِ جبريل، هل تقومُ نفسِي عليهِ وتتغيّرُ، أم لا؟ فما أمنتُ على نفسي أنْ لا تقومَ، فعلمتُ أنه لم تخلصِ النيةُ في ذلكَ الشرحِ، فتركته»، انتهى.

فانظر إلى هذا الإمام الحبر الحكيم، المطلعِ على دسائسِ النفوسِ، وأن أعماله وأقواله مرادُه بها وجْهَ الله والدارَ الآخرةَ، فلهذا وأمثالِه سَماه والدُه حكيماً، **اللهُمّ** امنحنا ما منحتهم من الإخلاصِ، وطهرنا من شرورِ أنفسنا، وارزُقنا من جميعِ آفاتها الخلاص.

* * *

وكان لا يقدّمُ على الكتبِ الغزالية والنوويةِ كتباً غيرها أبداً، إلا كتبَ والده القطب الغوثِ، ويقولُ: «قال الوالدُ: جميعُ ما يحتاجونه أهلُ طريقِ الله جعلناه في تصانيفنا».

قال سيدي الحبيب عمر بن سميط: «قال لي الحبيبُ الحسنُ: نظرُنا للكتبِ قصْدَ التبركِ، وإلا فكتبُ الوالدِ كافيةٌ عنها، وجمعت ما فيها».

قلتُ: ويخص من الكتب الغزالية أربعةً: «الإحياء»، و«الأربعينَ الأصل»، و«منهاجَ العابدين»، و«البداية». ومن كتب النوويّ: «رياض الصالحين»، و«الأذكار»،

و«التبيان»، و«منهاجَ الفقه»، و«شرح مسلم».

وكذلك كتبُ سادتنا آل أبي علوي، فإنه يميلُ إليها، خصوصاً: كتاب «إيضاح أسرار علوم المقربين»، وأما «الحكم» و«شرحها» لابن عباد، و«الرسالة القشيرية»، وشرحها للإمام زكريا، و«العوارف» للسهروردي، و«تفسير الإمام البغوي»، و«البخاري»، و«مسلم»، و«الترمذي»، و«النسائي»، و«ابن ماجه»، و«أبي داود»، و«موطأ الإمام مالك»، فكتبهم التي في الحديثِ القراءة فيها غالباً.

وغير هذه مثل: كتب الشاذلية، ككتاب «التنوير في إسقاط التدبير»، فالمدارسُ منذ أربعينَ سنةً من بعدِ حجِّه، دائماً القراءةُ والمطالعةُ فيها.

* * *

وفي دواوين أهل الشوق والذوقِ، مثل: «ديوان والده»، و«ديوان الشيخ عمر بن عبدالله بامخرمة». فإنه قالَ: قد قرأه على والده، ولكنه إذا سمع منشداً ينشدُ بقصيدةِ الشيخ عمر المذكور، يستزيده منه، إذا كان حسنَ الصوتِ، ومعرباً في لفظه.

وجاء مرةً من (شبامَ) رجلٌ أعمى، اسمه عثيم، مؤذنٌ في مسجدِ (الخوقَةْ) بشبام، وكان منشداً ومعرباً في نشيده، ويحفظ جملةً من القصائدِ للشيخ عمر، فقالَ له: «لا تنشدنا مدةَ ما أنت عندَنا إلا بقصيدةِ الشيخ عمر، سبحانَ الله! ما كأني سمعتُه، وقد قرأتُ «ديوانه» على حروفِ المعجَم على كثرةِ ما فيه من القَصائدِ على سيدي الوالد عبدِالله الحداد». ويقول: «قال سيدي أحمدُ بن محمد، صاحبُ الشعب: من النعَم التي اختصَّ بها المتأخرونَ: «شرح الحكم» لابن عباد، والقهوة البنية، وكلام الشيخ عمر با مخرمة، الذي في ديوانه».

ويقولُ: «كان السيد علوي بن عبدالله، صاحب ثبي، يميل إلى كلام الشيخ عمر بن عبدالله با مخرمة المنظُوم، ويقول: وددتُ أن القيامة قامتْ، وأنظر إلى مقامِ الإمام

عمر بن الفارضِ، ومقام الشيخ عمر بامخرمة، أيها أرفع؟!». فلما سمعَ كلامَ السيد علوي هذا الوالدُ، قالَ: «لو قالَ: مقام السودي وبامخرمة أيها أرفع!، وأما ابنُ الفارض مقامُه أرفعُ منهما». وكان الحبيبُ الوالدُ يحبّ كلامَ ابن الفارضِ، ويقول: «سببُ تعلقاته به: أن السيد أحمد بن هاشم الحبشي يحفظُ منه كثيراً، وينشدُ لنا به، فتعلقتُ به، وهو مثيرٌ للهمة».

* * *

وكان سيدي بحرُ المعارفِ، إذا سمعَ بقصائدِ والدِه، خصوصاً:

* هواكُم بقلبي والفؤادِ مقيمُ *

والثانيةَ:

* قلْ للذي جدَّ بالأضْعانِ يا حَادي *

وغير ذلكَ من قصائدِ والده وغيره، يسترْوحُ بذلكَ، خصوصاً كلامُ الشيخ عمر بامخرمة، والأشعار التي فيها الحِكَم، مثل قصيدَة ابن مهران التي أولها:

الجدُّ في الجدِّ والحرْمـانُ في الكسـلِ ... فانصَبْ تصِبْ عن قريبٍ غايةَ الأملِ

أمرَ بعضَ إخوانه في الله من السّادة وقتَ شبابه ينسَخُها، لأنه كان حسنَ الخط.

وكان يحفظُ من الحقائقِ والرقائقِ وأبياتِ الحكمةِ ما لا يدخلُ تحت الذهنِ والعقلِ، قرأت عليه كتباً كثيرةً تجمعُ أبياتاً عديدةً، مثل: كتاب «المستطرف»، و«تاريخ اليافعي»، و«مقال الناصحين» لباجمال، و«ربيع الأبرار» للزمخشري».

ودواوين البلغاءِ، مثلَ: «ديوان أبي الطيب المتنبي»، وخصوصاً: «ديوانَ والده»، يكاد يحفظه جميعَه، ولا يبتدئ القارئ في بعضِ الأبيات إلا أتمها، من حفْظه له، قبلَ أن

يتمها، ويردّ على المنشدِ وعلى القارئ إذا غلطَ، ويستشهد بالأبياتِ في كل حالٍ يناسبُ ذلك الأمر والحالِ.

* * *

فهو رضي الله عنه من آياتِ الله الباهرة، ومرتبُ الدرسةِ والمريدين على أصنافٍ، كلٌ بما يناسبُ حالَه ومقاله من الكتب، «الإحياء»، و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي، و«العوارف» للسهروردي، و«الرسَالة القشيرية»، وشرحهَا للإمام زكريا، والكتب الكبار لأهل المعرفة وأهل المرتبة العالية.

والمتوسطينَ، مثل: كتب والده، و«منهاج العابدين»، و«الأربعين الأصل».

والمبتدئين: «البداية»، و«التبيان»، وما يناسبُ للمبتدئ.

وقِسْ على هذه الكتبِ كتبَ التفسيرِ، والحديثِ، وغيرها، فيعطي كلاًّ مَا يوافقُه، ولا يقولُ في كلامِه كما يقول القائل:

علي نحتُ القوافي مـنْ معَادنهـا　　　ومـا عـليَّ إذا لم تفهَـمِ البقَـرُ

بل يتلطفُ بالصغير والكبير، في الأقوال والأعمـالِ والأفعالِ، موهبةً من الله، قد وهبها قبلَه والدَه، فهي وراثةٌ له، لأنهما أعطيا من التنزّلِ للناسِ ما لا أعطيَ غيرهما من الأكابر.

* * *

قال سيدُنا قطبُ الزمنِ الحسنُ، لبعضِ السادةِ لما طلبَ منه الإجازةَ، فكتبَ له كما سيأتي في خاتمة الباب الخامسِ، قالَ نفع الله به:

«اعلم أيها الولدُ، وفقكَ الله تعالى للرشَد، إنا سالكونَ على الطريقةِ الوسطى والمحجّةِ البيضاءِ، التي أدركنا عليها سيدي الوالدَ القطبَ الغوث عبدَالله الحداد، نفع

الله به، وذلك على حسبِ الطاقةِ والإمكانِ، وما يقتضيه الزمانُ، مع الاعتراف بالقصورِ والتقصير، وقلّة التشمير، وقد قيلَ:

إن لم تكونُـوا مـثلَهم فتشـبّهوا   إن التشـبهَ بـالكرامِ فَـلاحُ

وكان سيدُنا الوالدُ ﷺ يقول: طريقتنا ليسَ يحتاج فيها إلى شرحٍ، هي من حيثُ الإجمال تفصيلٌ يطولُ ذكره، ولو وجَدنا من صدَق في طلبِه وجدّه وتشميره ورغبته كما ينبغي من أهلِ هذا الزمانِ، لشرحناهَا على التفصيلِ، وبيَّنا منها ما يخصُّ وما يعم.

وكان رضي الله عنه يقولُ: إن طريقَ السادةِ آل أبي علوي أقوَمُ الطرقِ وأعدلُها، وسيرتهم أحسَنُ السيَر وأمثلُها، وإنهم على الطريقِ المثلَى، والمهيع الأفيحِ، والمشرعِ الأوضح، والسبيل الأصلَح، ولا ينبغي لخلَفهم أن ينتهجُوا بغيرِ المنهجِ الذي درجَ عليه أسلافُهم، ولا أن يميلوا عن طريقِهم وسيرهم، باتباع غيرهم، والانجرار بجرّه، وإلقاء القياد لكل من يدّعي التسليكَ والتحكيمَ، ممن يخالف ظاهرُه سيرةَ آل أبي علوي وطريقَهم، لأنها التي يشهَدُ لها الكتابُ والسنةُ، والآثار المرضيةُ، وسير السلفِ الكمَّلِ، تلقوا ذلك خلفاً عن سلفٍ، وأبا عن جدٍّ إلى النبي ﷺ.

وهمْ في ذلك متفاوتون، فمن فاضلٍ وأفضلَ، وكاملٍ وأكملَ، وما من أهلِ طريقٍ إلا غيَّروا وبدّلوا هدْيَ سلفهم، ما عدا آل أبي علوي، رضي الله عنهم. ولا يبعد أن يكونَ لآل أبي علوي مزيةٌ في الدارِ الآخرةِ ليستْ لغيرهم، لما كانوا عليه من الضعف والخمولِ، وعدمِ الشهرة والصيتِ، والذكرِ بين الناسِ، مع عظمِ الحالِ، وجلالة القدر.

وقالَ رضي الله عنه: «انظُرْ طريقة القوم اليومَ، دارسةٌ وعافيةٌ عن السالكين فيها، وأما نحن بحمدِ الله أعطينَا حالاً من الفرش إلى العرْشِ، وقد طويَ بساطُ علم التصوفِ، وأذنَ لنا في نشْره، وطريقتُنا طريقةُ الإمامةِ الكبرى، من أرادها فليلقِ يدَه في

يدِنا، ونحن نوصله إن شاء الله»، انتهى، وسيأتي بأبسط مما هنا في الباب الخامس.

* * *

وكان رضي الله عنه لا يرَى الخير كله إلا في العلمِ والعملِ به، ويحث على طلبِ العلمِ كثيراً، ويرى التوجّه للعبادةِ بلا معرفةِ العلمِ تعباً، ويقولُ: «لا بد من العلم الظاهرِ، وثمرته العملُ به، فالعلم بلا عملٍ كالشجرِ بلا ثمرٍ». ويمثّلُ كسلفه للشريعة باللبنِ، وللطريقة بالزبد، وللحقيقة بالدهن، ويقولُ: «عمدة طريقة سادتنا آل أبي علوي على السلوكِ والاجتهادِ في الأعمالِ الصالحات، ورفضِ الفانيات ويحبون الخمولَ». حتى قال السيد العارف علوي بن عبدالله العيدروسُ: «لو حلفَ حالفٌ أن آل أبي علوي ما فيهِم كِبرٌ لصدَق».

وكان سيدُنا الحسنُ، يحبّ الأعمالَ الصالحاتِ، وكان نومه آخر وقته بالليل خفقات تشك فيه هو نائم أمل لا ؟ إنما يعترف بالنفخ كما النبي ﷺ كذلك يعرف بالنفخِ عند النومِ. وأراه يتململ في الليل على الفراش تململاً.

وأسمعُ الصوت ولا أعرفُ ما يتكلمُ به، إلا الدعاء الذي في القرآنِ العظيمِ جميعه أمر المعلم عمر با غريب أن يجمعه فجمعه فأراه يقرأه كله آخر الليل كل ليلة مع أدعية نبوية في كراسه من «الجامع الصغير» وغيرها، جمعها كذلكَ، لا يتركها.

وقال نفع الله به: «إني أحفظُ زائداً على أورادِ الوالدِ عبدالله، أورادَ الشاذلية، وحزب الإمام النووي، وأوراداً لسادتنا آل أبي علوي كثيرةً».

وكان في الليل لما كنتُ آخر عمره أنامُ عندَه، تنزل في النصف الأخير عليه نوازلُ، حتى أنه قد يصيبني منها شيءٌ أحسّ بدَني ثقيلاً كالحديدِ، وأعضائي كذلكَ، لا أقدر أرفعُ شيئاً منها، ولا أقدر أتكلم، وأرى أموراً لم يجزْ إفشاؤُها، ولا يكتبها قلم.

* * *

وكان سيدُنا قطبُ الزمن الحسنُ بن سيدي عبدِالله الحداد، أقرّتْ له الكبراءُ من أقرانِه ممن تحقّق بالعلمِ الظاهر والباطنِ، والشريعة والحقيقةِ، ويدعو إلى الله على بصيرةٍ، ويحقّ فيه كلامُ والدِه في وصف الأكابر وتفريقِهم على ثلاثِ فرقٍ في «تائيته»، وسيدي الناظمُ، وابنه بدرُ الدين الحسنُ الحكيم، في وقتهِ من أهل هذه الفرقةِ، فقالَ فيهم:

ومنهم رجالٌ ظاهرونَ بأمره ... لإرشادِ هذا الخلقِ نهجَ الطريقةِ
لهم همةٌ في دعوةِ الخلقِ جملةً ... إلى الله عن نُصحٍ ولطفٍ ورحمةِ
فهم حجةٌ للمؤمنينَ بربّهم ... وفيهم لمرتاد الهدَى خير قُدوةِ
وحتفٌ على أهلِ الضلال وحجّةٌ ... تقومُ على أهلِ الشقاق وشِقْوةِ

ثم قال في وصْفِ أهلِ الفرَق الثلاثِ:

وكلٌّ على نهجِ السبيلِ السويِّ لم ... يخالفْ أمراً آخذاً بالشريعةِ
فإنّ الذي لا يتبعُ الشرعَ مطلقاً ... على كلِّ حالٍ عبدُ نفسٍ وشهوةِ
صَريعُ هوى يُبكَى عليه لأنّه ... هو الميتُ ليس الميتُ ميْتَ الطبيعةِ
وما في طَريقِ القومِ بدءٌ ولا انتهاءْ ... مخالفةٌ للشرْعِ فاسمعْ وأنْصِتِ

إلى أن قال رضي الله عنه:

ومتبعُو حكمِ الكتابِ وسنةِ ... هم المفلحُونَ الفائزونَ بجنّةِ
عليهمْ منَ الرحمنِ رضْوانُه الذي ... هو النعمةُ العظمَى وأكْبرُ منّةِ

* * *

وقال بعضُ العلماءِ من السادة يصفُ سيدَنا الحسن بن عبدِالله الحداد، فقالَ: «هو السيد المنيب، السالك الناسك، المتعبدُ المخلصُ، الصابر الصادق، المتبتل إلى الله، القانت القوامُ في غسَق الدجَى، يناجي بالآياتِ الكريمةِ إلهه، مع الخشية، والخوف،

والعبرةِ، الصائمُ بحرِّ الهواجر، المقبلُ في ليله ونهارِه على طاعة الله، صاحبُ الجدِّ والعزماتِ، والهمة العالية، الملقي الدنيا خلفَه، التي ما تذكَرُ في مجالسه، الزاهدُ فيها وفي أهلها، وفي جاهها ومالها، غضَّ طرْفه عنها ولم يغتر بها، المعرضُ عن صحبةِ الخلقِ، المؤثرُ الخلوةَ والانقطاعَ إلا في وقتِ المدارسِ والجُمَعِ والجماعاتِ والزياراتِ.

العاملُ بالشرعِ، يتبع الأثقلَ فيما يأمر به الشرعُ، مجانباً للأخفِّ، آمراً بالمعروفِ مؤتمراً به، ناهياً عن المنكر ومنتهياً عنه، مسارعٌ إلى الخيرات، مكثرٌ من الصدقاتِ، ولي الله بلا نزاعٍ، هو العارفُ المستهتَر في المحبةُ، حاملُ الأسرارِ، صاحبُ الكشوفاتِ الصادقة، تجلت لقلبه الحقائقُ، رقَى في رتبة الأبدالِ والأوتادِ، والنقباء والنجباء بل صار قطبَ وقته، يحقّ فيه حقًّا ويقيناً، ما قاله والدُه في وصفِ القطبِ الغوثِ:

هــو ســيدٌ متواضِــعٌ متخشّــعٌ ... ورعٌ تقــيٌ زاهــدٌ في العاجــلِ

الشــرعُ ســيرَته الحقيقــةُ حالُــه ... ومــن العبــودَة بالمقــامِ الحافــلِ

بــرٌ رحــيمٌ بــالخلائقِ كلهِــم ... يرعَى الوجودَ بعينِ لطفٍ شــاملِ

يمتدّ مـن بحْـر البحُـورِ محيطُهـا ... خــيرُ الأنــامِ بعاجــلٍ وبآجــلِ

صــلَّى عليــهِ الله مــا هــبَّ الصّبــا ... أو ســارَ حــادٍ قصْــدَه برواحــلِ

وقد قال نفعَ الله به: «نحن الملوكُ على الحقيقةِ، لنا التولية والعزلُ، ويشهد لي بذلك الفقيه المقدم»، وقالَ أيضاً: «زكّتني محبةُ خالقي، فإذاً لا أبالي بما سواه كائناً من كانَ، قريباً أو بعيداً». وقالَ: «ما في قلبي إلا الله، وإنما كلفَني الله بمحبةِ الإسلامِ، وبأمورِ المسلمينَ، وراثةً نبويةً، فمن أعلمَني بشرٍّ جرَى على المسلمينَ، فكأنما قابلني بشهابٍ من نارٍ، وإني إذا سمعتُ بالخبرِ المليحِ أحسُّ في قوتي يزيدُ النصفُ، وبضدّه كذلك».

قلتُ: وفي يومٍ من الأيامِ، جلسَ في الشمسِ، وقال: «انظُر في الثوبِ، هل فيه

قملٌ؟»، فنظرتُ فوجدتُ فيه ما وجدتُه، فأخرجتُه، ثم قالَ: «إن الوالد عبدَالله ما يوجد في ثوبه قملٌ إلا واحدةٌ أو اثنتينِ في الثوبِ الذي هو لابسُه دائماً، لأنه ما يحبُّ الدهنَ إلا قليلاً، أو في مرضٍ، ومرةً وجدتُ ثلاثاً أو أربعاً، فقلتُ له: وجدتُ كذا! قالَ: هذا من ثوبك ليسَ مني، فقلتُ له: يقولون: إن كثرَ القملِ من كُثرِ الهمِّ!، فقالَ: إن الهمَّ والأحزانَ تطرُقني كثيراً، ولم يكن فيَّ قملٌ كثيراً، قالَ: ولِمَ تكونُ كثيرَ الهمِّ؟ أنا ما أتقِن أني اهتميتُ من جهةِ الرزقِ والدنيا ولا ساعةً واحدةً، بل ولا لحظةً! فتعجبتُ كثيراً من كلامه هذا، وخففَ الله عني ما كنتُ أعرِفُه من نفسي من ذلك الحينِ والوقتِ»، رضي الله عنه.

* * *

وكان من أكبر الموحدينَ؛ لا يطرقُه إلا خوفُ الله وحدَه.

وكان سيدِي رضي الله عنه في الكرَمِ مع زهده لا ثانٍ له، وينفقُ من خزانَة الله عزَّ وجل، ويقولُ: «عزمتُ أني ما لما قمْنا والأخُ علوي بعد وفَاة الوالد عبدِالله، إذا وسع الله من فَضله نفعلُ ضحوةً كلّ يومٍ عصيدةً في أوعية كثيرة، لكافّة القرابة والمتعلقينَ، لكن كلّ شيء إن شاء الله في وقتِه، ييسره الله تعالى».

وقال له بعضُ ذويه: «مالك على تجرّدك عن الدنيا كثيرَ الأضياف، ما تخلو منهم غالبَ الأيام والليالي؟ فأجابه، فقالَ: «كان يتمثلُ شيخُنا السيد الحبيبُ أحمدُ بن عمر الهندوانُ بهذه الأبياتِ:

عجبٌ لمن طلـبَ المحَـا ... مِدَ وهو يمنعُ من لدَيـهِ
ولباســـطِ آمالَــــه ... للمجْدِ لا يبسُـطْ يديـهِ
لم لا أحـبُّ الضـيفَ أو ... أرتاحُ مـن طـربٍ إليـهِ
الضـيفُ يأكـل رزْقَـه ... عندي ويحمَـدُني عليـهِ

وقال نفعَ الله به آخرَ عمرِه: «إني من صغري إلى اليوم ما يسرّ خاطري إلا الضيفُ إذا وصلَ، وإذا عملتُ ضيافةً استرَّ خاطري، وانشرح صدري، وهذه سيرةُ والدِنا، وكلّ ما رأيتمُونا عليهِ من إكرامِ الضيفانِ، ومحبتنا للضيفِ، فرأيتُ الوالدَ كذلك، ويبيتُ الضيفُ في بيتٍ وحدَه، ويجيء وقتَ ما نطلبُه، هذه سيرتنا».

* * *

وكان سيدي الحسنُ من القائمينَ بحقوق الله، وحقوق العبادِ، مع أنه من أكبرِ الزهاد، إن رأيته فيما ينفعُه في المعادِ رأيتَه باذلاً غايةَ الاجتهادِ، وكان مع قيامه بحقُوقِ الربوبيةِ لله عز وجلّ، معترفاً بالعبوديةِ له.

وكان عبداً محضاً، لا يرَى له مقاماً ولا حالاً، وإذا تكلمَ عن نفسه وتقصيرِه، يقولُ: «القاصرُ هذا ما له مقامٌ في المقاماتِ». ولا درَى أن رؤية التقصيرِ في التشميرِ من أعلى المقاماتِ، كما قال سيدُنا الحبيبُ عبدُالله الحداد في قصيدته:

* تفيضُ عيوني بالدّموعِ السَّواكبِ *

الخ. وقد ختمَ في كتاب «الفصولِ الفتحية»، الشيخُ حسينُ بن الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن با فضل، بقصيدة القدوةِ العارف بالله، الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكرانَ باعلوي، فقال الشيخُ علي نفع الله به:

ومالِي لا أبكي على طُولِ غفْلتي ... وكثـرَة عصْياني وعُظمِ جَريمَتي
كسبتُ ذنوباً أخلقَ الوجهَ حملُها ... ولم مِن خَلا الطاعاتِ أكسَ بخلعَةِ
ولم يكُ لي في الليلِ وِرْدُ تهجّدِ ... وسكبُ دموعٍ في السجُودِ بعبرةِ
ولا لي خشوعٌ في الصلاة وتضرعٌ ... إلى الله في جلبٍ ودَفْعِ مضرَّةِ

إلى آخر القصيدة الفريدةِ، أنظرها في الكتابِ المذكور، وفي ديوان الشيخ علي،

فالمتبقي منها سبعةَ عشرَ بيتاً. أشرنا لها ولقصيدة القطبِ الأعظم عبدِالله الحداد؛ لأن مجالس سيدي الحبيبِ حسنٍ كثيراً ما يسمَعونه يجزمُ ويعترفُ بالقُصور والتقصير، في خدمة مالكه وسيده العليّ الكبير، وهذا من علوِّ المقامِ، إذا كان العبدُ في غايةِ التشمير ويرى أنه مقصّرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، الآيةَ، ولكن الحمدُلله حيثُ شكرَ للعبدِ على العملِ القليل وقبلَه، ورضيَ بالتقوى له على حسبِ الاستطاعةِ، حيث قال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

* * *

وكان سيدنا قطبُ الزمنِ،يترحّمُ على العلماء والصالحينَ، ويترضّى عنهم، ناسباً نفسه إلى القصُور عن مقاماتهم، وعلومهم وفهومهم، وما أدركوه بصَافي ذهنهم واجتهادهم، خصوصاً أكابر سلفه آل أبي علوي، لأن الغيبَ عنده صَار كالشهادةِ، بل صَار من الذين قلوبهم تجلتْ وشاهدت، وبانت عنها السواترُ، لأن الغيبَ عندهم شهادةٌ لا كالشهادةِ، بل في أعلى مقاماتِ اليقينِ الثلاثِ.

وقد ذكرها سيدُنا الشيخُ الحبيب عبدُالله الحداد في «رسالة المعاونة»، لأن سيدَنا أكملَ وأجمل وأكثر في علومِ القوم الصوفية، والحديثِ، وجميع الفنون، أكملَ وأجملَ فيها، ثم جمع بين الحقيقةِ والشريعةِ، وحصّل الزبدَ من اللبنِ، وذلك ظاهرٌ جلي، يعرفه أهل المقام العلي، أعلمنا بذلك كمْ من وليّ، وخواصّ خصوصياته ظاهرةٌ عند الواجدِ والخليّ، والعارف والجاهلِ، فلذلكَ جمعَ المقاماتِ الثلاثِ: الأحوال، والمقامات، والعلوم، وذلك فضلُ الله يؤتيه منْ يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم.

* * *

ولنختم ذكرَ علومِ سيدنا في جمعِه للشريعةِ والطريقة والحقيقةِ، بسؤالٍ سُئلَ عنه سيدُنا الجامع بين الشريعة والحقيقةِ، الشيخُ الأكبر، عليُّ بن أبي بكر علوي، نفع الله به،

من بعضِهم، يسأله عن الفرقِ بين الشريعة والحقيقةِ، فردَّ عليه رضيَ الله عنه ردًّا كافياً، وجوابا شافياً، فقالَ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله، وهو حسبي، الحامدُ لنفسه والمحمود، ومنه انبعاثُ القصدِ للقاصدين فهو المقصود، وهو العابدُ بتوفيقه عبدَه وهو المعبودُ، خلقَ لعبده إرادةً بإرادته، وأثبته حتى أقام عليه حجتَه، وبإثباته له أقامَ عليه أمرَه ونهيه، وجازاه على مقتضَى سعيه، فناداه ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]، وتارةً أقام نفسه وبقاه فقالَ تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، فحصلت الحيرةُ، وعميتْ الأبصارُ والبصيرة، فوفّق من شاء من عباده بمكنونِ علمهِ، فوقفَ مع الشريعة بجسمِه، ومع الحقيقة بقلبهِ.

فالعلمُ المتجلي على الجسمِ الظاهرِ هو علمُ الشريعة، والعلمُ المتجلي على القلبِ علمُ الباطنِ، وهو علمُ الحقيقةِ، فأقام ظاهرَ الإسلامِ على أركان القائمِ بها جوارحُ الأبدان، وأقام حقيقةَ الإيمانِ والإحسان على يقينِ وبيانِ القائمِ بها تصميمُ الجنانِ، ولكن بما خفي على الأسماع الحقيّةِ، أما بالقلبِ حصلَ لها ترجمانٌ، وهو اللسانُ، فارتبطت الشريعةُ بالحقيقةِ، والحقيقةُ بالشريعةِ، وبقيَ كقول الشاعرِ:

رقَّ الزجــاجُ ورقّــتِ الخمْــرُ ... فتشــابها فتشــاكلَ الأمــرُ
فكــأنما خمــرٌ ولا قــدَحٌ ... وكــأنما قــدحٌ ولا خمــرُ

فمن هاهُنا قالَ أهلُ الشريعةِ، الواقفونَ مع الخالي عن العملِ: ما سوى الشريعة شيءٌ، فصدقُوا من وجهٍ وأخطأوا من وجهٍ. وقال المترسمونَ بألفاظ الحقيقةِ، العارينَ عن التحلي بها: ما سوى الحقيقة شيءٌ، فصدقوا من وجه وأخطأوا من وجهٍ.

فناداهم أهلُ الجمعِ من أربابِ الدعوة: أما سمعتم شاووشَ التوفيقِ، على قارعة الطريقِ، ينادي: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فالاجتهادُ هو الشريعةُ، وهو تعاطي أقوالِ الشريعةِ بالأعمالِ، لنهديه سبيلَه وهو الحقيقةُ، فمن هاهنا لم تعرفوا الحقيقةَ، لعدم استعمالكمُ الشريعةَ. ويا أيها المترسّمونَ بألفاظِ الحقيقةِ، لم تحصلْ لكم الهدايةُ إلا بالاجتهادِ على أوامر الشريعةِ واجتنابِ مناهيها، كأنكم جاهلونَ!.

فجمعَ الله لعبده في فاتحةِ الكتابِ، إذ قالَ له، بعد أن عرّفه كيفَ يحمدُه، وأنه يستحقُّ عليه الحمدَ بربوبيتهِ على جميع العالمينَ، بلفظ (الربِّ) فيها، لما فيهَا من غايةِ الشفقة واللطفِ، ثم آنسَه به وعرَّفه أنه له (رحمنٌ) في الدنيا، و(رحيمٌ) في الآخرةِ، فجمع به جامعَ الرجاءِ. فشمَّ ريح الطمعِ، فقرَعه بأنه (مالكُ يوم الدين)، لأن حقيقةَ الملكِ: العدلُ، و(يوم الدينِ) يوم الجزاءِ، فأقام له جناحَي الخوفِ والرجاءِ، عرَّفه كيفَ يطيرُ إليهِ، فقالَ: قل: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]، وهو الشريعةُ.

فلما أقامه بالعبادَة ظنَّ أنه أرادَه، فكاد أن يخلُدَ في الأرضِ بالعُجْب والرياءِ والمنِّ عليه، فأراد أن يعرّفه أن طاعتَه من استطاعتِه، فقالَ: قل: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وهي الحقيقةُ، فعلِمَ العبدُ الموفقُ: أن له الإرادةَ بنفسهِ، وأصْلُها من الله تعالى عنه، وإرادةُ الأمرِ والنهي قائمةٌ حدودُ الشريعةِ عليه، بهذا مقامُ الاستقامة، «**قل اللهُمَّ ثمّ استقِم**»، مع أمره، مع اعتقادكَ أنه لولا توفيقُه السابقُ، وهداهُ اللاحقُ، لما كان حقيقةٌ، ولا إرادةٌ، فانتفَى منه المنُّ والعجْب، وبقي منه وبِه، وهو سرُّ القدَر، وهو أولُ قدمٍ في طريق الحقيقةِ، وهو البقاءُ به، والفناء عن نفسه، فحينئذٍ رجعَ العبدُ الموفقُ إلى الله تعالى ضرورةً، فلم يجدْ له إلا رضَاه عليه، ولا له سُلّمٌ إلا بدعائه، فبقي متحيراً، فقال له قلْ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، إلى آخرها.

وعلى الجملة؛ أن الشريعةَ اتباعُكَ أوامرَه وهو الإسلام والإيمان، والحقيقةُ: هي إقامتك بأمرِه كأنكَ تراهُ، أو كأنه يراكَ، وهو مقام الإحسانِ. فإن شئتَ قلتَ: الشريعةُ علمٌ، ومعلومُها الطريقةُ، وهي العمَلُ، وثمرتها: الوصولُ إلى الله تعالى، وهو الحقيقةُ، وليس الوصول بسعيٍ، ولا بقرب المسافةِ وبُعدها، وإنما سعيكَ بتوفقيهِ، وسعيهُ إليكَ برحمته، علِمَ ذلك من علمَ، وجهله من جهلَ، وتحتَ هذا علمٌ، وهو سر خفيٌّ، والناسُ في أضغاثِ أحلامٍ، «اللهمّ اغفِرْ لقومي فإنهم لا يعلَمُون»، ثم قالَ، شعراً:

*لقد أسمَعْت لو ناديتَ حيًّا *

إلى آخر البيتين، وصلى الله على سيدِنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم»، انتهى السؤالُ، وجوابُه له.

* * *

وكان سيدُنا الحسنُ يحبّ النزوحَ في الخلواتِ، لتقوية الروحِ، وحصول المقصود، ولاتّباع الأثرِ في المأثورِ، حتى أعجزه الكبرُ. وله ترددٌ لـ(وادي عيديد)، و(كَودَتِه)، حتى (الحاج)، و(بامعلّم)، دخلهنّ وجلسَ فيهن، و(وادي خيلة)، و(وادي النعير)، من صغره أكثرَ الترددَ إليه، حتى فعل به مكاناً ممتلئاً حصًى، يسع خلقاً كثيراً، وفعل فيه قبلةً، وجَصّص دائرةَ المكان بالنورَةِ، ويسمّى عند أهل تريمَ (غَيلَة الحداد).

وقالَ: «كنتُ في ابتداءِ أمري أختلي فيه للعبادة، وإذا كنتُ بالنهارِ ما أخرجُ إلا إذا سمعتُ من البلدِ تريمَ أذانَ الظهر، فأخرجُ إلى (لحاوي). وأيامَ كان السيدُ أحمد بن زين الحبشي بتريم عندَ الوالد، أطلعُ أنا وإياه، يأمرني قبلَ الطلوعِ بيومٍ، فأستعدّ بقهوةٍ وغير ذلك، ولي معه مذاكرةٌ ومحاورةٌ في الخيرِ»، نفع الله بهما. فمرةً (النِّعَير)، ومرةً (خَيلة)، ومرةً (عيديد)، وغيرَ ذلكَ من أودية تريم، والغالبُ (النِّعَير).

قالَ: «وفي ابتداءِ أمري تعلقتُ أيضاً بمَولى الرَّاكَة، شماليَّ مكانِنا بـ(الحاوي)، نجديَّ البلدِ، وبنينَا أنا وعوض صبَّاح، الرِّقادَ الشرقي، ومعي حدّةُ إرادةٍ، وكان والدي لما رأى ما عندي يأمرُني بالتدرُّج في قوتٍ وملبسٍ، قليلاً قليلا، ومعي عزمٌ وهمةٌ قويةٌ، ولوعةُ إرادةٍ، حتى قال لي الوالدُ: ما كنا هكذا في إرادتنا، إنما نحن بالتدريجِ حتى نصلَ إلى المطلوبِ، ونحظى بالمرغوبِ، وأنت كذلكَ».

قلتُ: وأعلمَني سيدي الحبيبُ الحسن، بأنه خرج إلى جميعِ الجبالِ بتريمَ ونواحيها، وجميع مآثرها، التي ما يعرفها إلا الآحادُ، من الذين يتعودونَ القنصَ للصيدِ، قالَ: «وأما الصيدُ فخرجتُ مرةً مع الذين يقنصُونَ وأنا صغيرٌ، فما حصَّلوا ذلك اليوم صيداً، فعرفتُ أن ذلكَ كان يكرَهه الوالدُ، نفع الله به، يكره الذين يتعودن الخروجَ لقنصِ الصيدِ مع أهل القنيصِ من أولادهِ، حتى كان يهجرُ من يسير معهُم في العزوبَة من الأصناءِ شهراً».

وأعلَمني سيدي الحبيب الحسنُ، لما قرأتُ عليه في «روض الرياحين»، وذكر جنةَ الأولياءِ، قالَ: «كانت تأتي إلى (النِّعَير) مراتٍ، ويدخلونَها الأولياءُ»، يفهَمُ منه: أنه رآها ودخلها، ولأنه في «مناقبِ مشيخ بن عبدِالله»، لابنه، يقولُ نفع الله به: «دخلَ بعضُ السادة مكاناً خافياً على الناسِ، تدخله من فوقِه، وإذا دخلتَ ترى من الأنسِ بالله والحضُور والنورِ شيء لا يسَعُ الكلامُ فيهِ، بل يعرفه من دخلَه، وكان مكانا لطيفاً».

قالَ: «لـما خرجتُ منه عدتُ إليه في بعضِ الأيامِ، فلم أقعْ عليهِ، مع كثرة الترددِ مراراً في طلبه، فلا أقعُ عليه، فعلمتُ أنه لا يقع عليه إلا أولياءُ الله تعالى».

* * *

وكان سيدي الحسن نفع الله به يخرج إلىٰ (وادي دمون) و(غبرته)، وقد حضرنا

معه في (الغبرَة) مراتٍ، ويأتي (وادي لَوْسَطْ)، ويزورُ الشيخ المقبورَ فيه، ويقول نفع الله به: «مرةً زرتُه في حياةِ الوالدِ، نفع الله به، وأعلمتُه أن بعضَ أعوانِ الدولة نوَّر القبرَ الشريفَ حقَّ الشيخِ الذي يزورنَه في الوادي، فقالَ: ما كنا نعْهدُ فيه نورةً».

ثم استشهد لفعل الجنديّ بقول القائلِ:

ومن يبتني كَي يبتغِي الأجْرَ مسجداً	بمالِ حرامٍ كانَ غير موفَّقِ
كمطْعمةِ الأيتامِ من كسْبِ فرْجِها	لك الويلُ لا تزْني ولا تتصدَّقي

* * *

ومرةً قال لي والأصْناءِ: «اخرجُوا إلى (وسيحَه)، الجبلِ المعروف بدَمّون، من أعمال تريم، واقرأوا خبر مولدِ النبي ﷺ في الجبَل المعروف، بنية السّقيا، أن الله يغيث المسلمينَ، لأني رأيت في المنام أن الشيخَ الكبيرَ أبو بكر بن عبدالله العيدروس أتَى إلى عندَنا، إلى بيتنا، وجرى بيني وبينه مخاطباتٌ ومؤانساتٌ، ثم خرجَ إلى (وادي وسيحه)، واتفقتُ به فيها مع جمعٍ، وضيافةٌ كبيرة لكلّ من خرجَ إلى الشعبِ المذكور.

فخرَجْنا والأصناء عبدالله، وحامد، ومحمد، وعبدالرحمن، وحُسَين، وعلي، لأن عمرَ مسافر بدوعن، فلم نذكرْه خرجَ معنا، فأغاثَ الله المسلمين في ذلك الأسبوعِ بعد خروجنا قريباً، ومنَّ الله برحمةٍ سابغة عامةٍ، وقال لنا: «إنّ سيداً طلع إلى هذا الوادي وآلى على نفسه أن لا يخرجَ منه حتى يتمَّ سبعينَ ألفاً من (لا إله إلا الله)، في يومِه أو في ليلته، ففعل ذلك».

ودخل رضي الله عنه (وادي ثبي) كله، ودخلَ جميع أودية (دَمّون)، وأما (وادي عيديد) فأول الأمر تقصَّى على جميعِ أوديتهِ، وآخرَ الأمرِ بقيَ كل سنةٍ وقتَ الخريفِ يزور (الكَودة)، و(غار الخضِر)، ويحضرُه جمعٌ معروفٌ، يظَلّ يومَه فيه كعادةِ والده.

ويعرِفُ (وادي بيت جبير) وما فيه، و(الجبلَ الشرقيّ) عن (المسيلة).

وبالجملة؛ فجبالُ (تريم) المحروسة، وأوديته، تعبّدَ فيها، وتبرك بها، ويعرف أسماءَ كلّ وادٍ، وكل مكانٍ فيه، وطرُقَ الجبالِ والأوديةِ، ويعرف ما فيهنّ من العجائبِ والغرائبِ، والحكايات القديمةِ، وإذا تكلمَ في ذلكَ؛ تكلمَ بما لا يطرُق سمعَ سامعٍ من أهلِ الجهةِ، وكان أهلُ القنيص المترددونَ لم يعِرفوا بعضَ الأودية المذكورَة.

وإذا سئل من له تعلقٌ بالقنيصِ أو البدويّ المتردّدُ، قد يخفى عليه شيء من ذلكَ، فتعجّبتُ، ويعرِّفُه. بل لو حلف أحدٌ يميناً، بأنه، نفعَ الله به، دخلَ الأودية والجبالَ والأماكنَ المشهورةَ بجهة تريمَ من القِبلةِ، والشرْقِ، والبحر، والنجدِ، لم يحنَثْ، ويعرفُ ذلك من خامرَه وجالسَه، واطلع على بدايته وعزَماته.

وكان نفع الله به كثيرَ الخروجِ إلى مسْجدِ الشيخ السيدِ القطبِ، محمد بن أسد الله جمل الليلِ، بـ(مِشْطة)، ويجلسُ بزواياتِهِ، وكثيرَ الخروجِ لزيارة الشيخِ عبدالرحمن باجَلْحَبان.

* * *

ذكرُ زياراته:

وفي البابِ الرابع في الخصوصياتِ التي اختصَّ بها سيدَنا الحسن من والدِه عبدِالله ما هو أبسطُ في الزياراتِ والمشاهدِ مما هنا، كزيارته لشعب بني مخدَّم، لزيارة الإمامين: الجدِّ أحمدَ بن عيسى، والإمامِ أحمد بن محمد الحبشيّ، نفع الله بهما.

وكذلك سلطانة الزُّبيدية، وأن زيارته لها أربعينَ مرةً. وفي تفصيل زيارته للنبيِّ حنظلةَ بن صفوانَ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلامُ، وكذلك لسيدنا الإمام عبيدالله بن أحمد بن عيسَى، نفع الله به، بـ(عَرْض بَور)، ولابنه الإمام علوي بن عبيدالله، أعاد الله علينا من أسرارِهِ، بـ(سُمَل)، تحت الشجرة الكبيرةِ التي على ضَريحه

الشريفِ، حتى ما تدخلُ له إلا منحني منها. وفي زيارته للنبيّ عسْنَب عليه السلامُ، وذلك مرةً في واقعةٍ مفصلةٍ في الباب الرابع.

وفي تفصيل زياراته العشرينَ لنبيٍّ الله هودٍ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، في البابِ المذكورِ، في شهر عاشُور، هو ومن معَه خمسةَ عشرَ شخصاً، في حياة والده الحبيب عبدِالله الحداد، وخمسٌ بعد وفاتِه. وأما في زيارتِه في شَعبان الزيارةَ المعروفة بحضرموت، مع الجمعِ العظيم، فلا ضبطَ لها، كما بسطنا ذلكَ في الباب الرابع.

* * *

وآخرُ زيارةٍ له، نفع الله به، للشيخ الإمام أبي بكر بن عبدالله العيدروسِ، ومعَه من أرضِ العوالقِ الشيخُ علي بن محمد بن عبد الملك بانافع. ومن دوعن، لما وَصلها مع رجوعه، خرجَ معه الفخْرُ أبو بكر بنُ الحبيبِ عمر البار باعلوي، والشيخُ عبدالله بن أحمد بافارس، فبعد وصُولهم مع الوالدِ بأيامٍ، سار بهم في عاشُور، والوالد أحمد، والأعمام: عبدالله بن حسن، وحامد بن حسن، وجماعةٌ من محبيه، ساروا لأجله، تجددت لهم نية في الزيارة هذه المباركة، وذلك مشياً على الأقدامِ، إلا العمّ عبدُالله، والعم حامد، يركبون لصِغَرهما. وجميعُ زياراته العشرينَ على قدميهِ، والمراكيبُ تنقادُ بين يديهِ، فافهمْ.

وكم من عزماتٍ له، فهذه أقلها، وكل زياراته قبلَ أن يتزوج الوالدُ أحمدُ، وقبل يأتي والدَنا الأولادُ الآتي ذكرُهم في الباب التاسعِ، فافهم.

* * *

ومن أعظمِ العزمةِ، وصدْقِ النية: أن سيدَنا حسن، خرجَ ومعه جملةٌ من السادةِ، منهم الحبيبُ محمدُ، ابنُ تلميذِ الحبيب عبدِالله الحداد، أحمدَ بن عيدروسٍ الوهط،

وكذلك عبدُالله بن أحمد بن عيدروس، أخ محمد، والخالُ محمدٌ الباقر بن حسين بن عبدالله الحداد، والعمّ حسينُ بن محمد الحداد، وطلبةُ العلم القاطنون بـ(الحاوي)، وغيرُهم، خرج بهم سيدي إلى (وادي الغبرة) بدمّون، وظلوا يومهم بالمكانِ.

فلما كان بعد العصرِ والقارئُ يقرأ على سيدي في العزَمات للصوفيةِ وغيرهم، فقالَ لهم: «نعزم الآنَ، وكافةَ من معنا، على زيارةِ السيدِ الولي الإمام العلامة الحسين بن العارفِ بالله عمرَ بن عبدالرحمن العطاسِ، فأجابوه كلُّهم، وتبعوه. وشرطَ عليهم لا زادَ ولا راحلةَ، بل مشيٌ على الأقدامِ ثلاثُ مراحل مع المراح، وثلاثٌ مع المجيء، فاعتمدُوا على كلامِه. ولم يرجعْ أحدٌ إلى بيته إلا من (وادي الغبرة) إلى (حرَيضَة) مشياً على أقدامهم!.

فواجههم رجلٌ وكان وقتَ جدبٍ بحُرَيضة، فقالَ لسيدي الحسن: نحوّل بسيل اليوم يجيء؟ فقال له: حوّلْ، إن كان لك نيةٌ صالحةٌ، فحوّل، فسقى الله المسلمين بـ(وادي عمد) و(حريضَة) ذلك اليومَ.

* * *

فلما استأذنوا في الدخول على الحبيبِ الحسينِ، وأذِنَ لهم، فبعدَ القهوةِ، قال له الحبيبُ الحسنُ: «مرادُنا وقفةٌ بحَضْرتك، وحصلَ المقصودُ كله»، فقرأ لهم الفاتحةَ، ولا خالفَ سيدي الحبيب الحسنُ نفعَ الله به، وقالَ له: «أنت صاحبُ العزَماتِ، وأنت الصادقُ في النياتِ، الحروقُ اليابس تورّي فيه بسرْعة، وكل ذلك من بركاتِ والدي».

ثمّ أقسمَ: «إني لا أفضّلُ والدي عمَر على والدكَ، وإني عن علمٍ أقولُ: إن والدكَ أفضلُ، وأنا على ذلكَ من الشاهدين»، فاستودَعُوا، ورجَعُوا من حضرته.

ولم يدخلوا بيتَ أحدٍ من الناسِ، لا مع المسيرِ، ولا الرجوع، وقال سيدي الوالد أحمدُ: «لما عزم الوالدُ بمن معه، أرسلتُ معهم خادماً، ودابةً عليهَا عدّة قهوة، وحَقْب،

وتمر، لأن والدي أمرَني أجلسْ في (الحاوي)، فأرسلتُ بذلك بلا شَورٍ منه، لما أرى من عزَماته، ولا يصبرون من معه مثل صبره».

وزار سيدي الحسنُ سيدي الحسينَ بن عمرَ في (حريضة)، قبل هذه، أيامَ حياة سيدنا القطبِ عبدالله الحدادِ، قالَ: «أمرني والدي بزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، ومَن بـ(دوعن)، وإن أعبُر أولاً بـ(حريضة) لزيارة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وزيارة ابنه الحسينِ، لأنه في الحياةِ، وقد اتفقْنا به قبلُ لما جاء لزيارةِ الوالد عبدِالله الحداد، ويضربُ له الخيمةَ ولأتباعِه إذا جاءَ زائراً، ويميلُ إليه ويحبه، لمكان والدِه عند الحبيبِ عبدِالله».

قالَ: «وهي أَولُ زيارةٍ لي إلى (دوعن) وإلى (حريضَة)، ولما استودعنا من السيد الحسينِ بن عمرَ، قال للخادم: صَالي فرَسي التي جئتُ عليها من (الحاوي)، عسَى حبيبك يأخذ ربيع بدوي، خفيراً لأجل (الغَيوار)، يجلسُون اللصوصُ فيه، فهاب الخادمُ أن يعلمَني بكلامه ذلكَ الحينِ، فمرَرْنا إلى (الهجْرين)، ولم نر في طريقنَا أحداً. وزرنا الشيخَ أحمد بلَوعار، وحصل ما حصَل، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

ثم دخلنا (لَيْسَر)، وقد وصلَ إلينا عبدُالله بن عثمان وغيره من (لَيْسَر) و(لَيْمَن)، من آل العمودي وغيرهم، ونحن بـ(قيدون)، ثم دخلنَا (لَيْمَن)، ومدةَ ما نحنُ في (الأيمن) الوادي المبارك، كلّ يوم، في أيّ بلد كنّا، لم يفارقنا الحبيبُ عمَرُ بن عبدالرحمن البار خصُوصاً، وبقيةُ المشايخ من تلامذةِ الوالدِ، آل العمودي وغيرهم، كَالشّيخِ محمد باقيس عموماً، وأخذْنا مدةً بـ(الأَيمَن)، وتقصَّينا على أولياءِ الرحمنِ كلهم، والنبي هادون بن هود، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام. ولما خرجنا من (الخريبة) نريدُ (الرباط)، فلما أردنا الركوبَ على الفرسِ، أحسسْتُ معي في جسْمي ثقْلاً، على خلاف عادتي، فعلمتُ أنها وخيمةٌ، كـ(صُبَيخ)، البلد المعروفُ بـ(لَيْسَر). ولحِقْنا في

زيارتنا هذه أخياراً، وعلماءَ حصلتْ معهم مذاكراتٌ.

وبعدَ رجوعي من (دوعن)، في أول زيارتي هذه للشيخِ سعيدٍ، أمرَني الوالد بالزواجِ، فتزوجتُ على أم الولدِ أحمد، ولم أتزوجْ على غيرها، فهي أم جميع أولادي، ولما قالَ لنا الوالدُ: جميع ما رأيتمونا نفعلُه من الأعمال والأقوال فافعلوه واتبعوني فيه، إلا الزواجَ لأني مأمورٌ، لا تجمعوا في عقدكم إلا واحدةً، سألتُ الله دائماً قبلَ الزواجِ في كلِّ ركعة أن يرزقني الله امرأةً صالحةً من السادة آل أبي علوي، تكون عاقلةً ولُوداً، ذاتَ دينٍ وصلاحٍ، ويكون عمرُها قريباً من عمري، حتى يكون أولادي إخْواناً من أمٍّ وأبٍ، فأجابَ الله دعائي.

فجميعُ ما رأيتمونا نفعلُه من عادةٍ وعبادةٍ فافعلوهُ، فإنا ما خرجْنا عن جميعِ عادات الوالدِ وعباداته، إلا السجادةُ، كانت تفرَشُ للوالدِ طولاً، وفُرِشَتْ لي وللصنو علوي بعدَ الوالد عرْضاً، وقد أضاعفُ بعضَ الأذكارِ، كالألفِ من (لا إله إلا الله) بعد الظهر، فأجعلها ألفينِ، رجاء أن تبلغَ ألفٌ الوالدَ، الذي يعتادُها بعدَ صلاة الظهر».

* * *

قلتُ: وزار سيدي الحسنُ الشيخَ سعيد بن عيسى ثانياً سنةَ ١١٤٨، لـما أراد الحجَّ مرَّ (دوعن)، كما سيأتي في سيره للحجّ.

* * *

وقالَ سيدي الحسنُ: «لما زرنا مع الوالدِ عبدِالله الحداد، ومعه الأصناءُ، وتلامذتُه، ومنهم السيدُ زين العابدين بن مصطفَى العيدروس، سيدَنا الإمامَ محمد بن علوي بن عبيدالله، في (بيت جُبير)، الوادي المباركِ بنواحي (تريم)، ومقبورٌ عنده علويٌ ابنُه، والدُ الإمام علي خالع (قسَم)، في وقتِ شمسٍ حارّة، وذلك قبل أن تبنَى عليه قبةٌ، ظللتُ على الوالدِ بردائي من الشمسِ، فنوى زينُ العابدينَ من ذلك الحينِ أن

يبنيَ قبةً، فبنَى بعد ذلكَ القبةَ الموجودةَ الآنَ، والمسجدَ الذي قريبٌ من القبةِ، وكذلك بنى قبةً على الشيخ عبدالرحمن بن أحمد با جَلحَبان».

وكان سيدي الحسنُ يترددُ لزيارةِ الإمامين محمدٍ وابنِه علويٍّ إلى (بيت جُبَير)، ولما أعجزَه الكبرُ يأمر أولادَه بزيارتهِ.

وكذلك كان سيدُنا يتقصَّى الأودية التي في (وادي حضرموت)، قالَ نفع الله به: «قد دخلنا (وادي بن علي)، و(وادي سَرْ)، و(جِعَيمهْ)، و(وادي تَاربَةْ)، أيامَ النشاطِ، لأجل الأنسِ والتشبه بالسياحَةِ، وكذلك السيّد العارفُ أحمدُ بن زينٍ الحبشي، يحب التفردَ والتردد في جبال (تريم)، خصوصاً (النّعَير)، إذا وصلَ لزيارة الوالدِ عبدِالله يمكثُ عندَه أزيدَ من شهرٍ، يخليه الوالدُ يجلسْ في دارِ الوالدِ الذي بالبلاد، ويأمُرُني أقرأ عليه في الفقه، فأطلع كلّ يومٍ عندَه، وإذا أرادَ الخروجَ إلى بعْض الأودية والجبالِ، خصوصاً (النّعَير)، نطلعُ أنا وهو وخادمُه مسَلْطنْ، لا غير».

* * *

وأما زيارته لجنانِ (بشّار)، ومقابر أكابرِ أجدادِه أهل البيت الأطهارِ، وخصوصاً وقوفُه عند ضريح والدِه عبدِالله الحدادِ، وكان بعدَ وفاةِ والده إذا زارَ هو وأخُوه الإمام علويٌّ وأتباعُهما، يجلسُ سيدي عندَ ضريحِ والدهِ، إلى أن يصلي المغربَ هو وعبدالرحمن باحرمي، وذلك بعدَ زيارتهما بعدَ عصرِ كلِّ جمعةٍ، وبعد عصْر كلّ ثلاثاء.

إلا آخرُ ثلوثٍ في الشهر، فيطلعُ سيدي الحسنُ (الأوابينَ)، لأن والدَه خصَّه بهِ، وبمدْرَسِ (السُّبَير) يوم الأحدِ أولَ النهار، وذلك لسنتينِ بقيتَا من عمر والدِه، أو لثلاثِ سنين، كما أعلمني بذلكَ.

قال نفع الله به: «ما تركنا زيارةَ الفقيهِ المقدَّم، وأكابرِ أسلافنا في الأسبوعِ مرّتين أبداً، شتاءً وصيفاً، حتى في رمضَان. وأما الجمعةُ تسْهُل الزيارةُ، لكوننا أقربَ إلى

المقبرةِ، وأما زيارةُ عصْر الثلوثِ من (الحاوي)، مع الحرِّ والصومِ والمشي على الأقدامِ، على الذي همته ضعيفةٌ، وأما أنا فإني أفرَحُ بزيارةِ جنانِ (بشّار)، لما أرى فيهَا، ولما يحصل لي عند زيارتهمْ ومشاهدَة قبورِهم من الأنسِ والانبسَاطِ، والقبول والإقبالِ.

وكان الوالدُ عبدُالله يقولُ: «قبورُنا تنوبُ منابَنا، لأن الأخيارَ ما تفْقَدُ إلا صورُهم، وأما حقائقهم فموجودةٌ، وإذا نابكُمْ أمرٌ فاطلعُوا إلى عندِ قبري، وأعلمُوني، فإن نفعي لكم كحياتي». وقالَ نفع الله به: «الأولياء اعتناؤهم بعدَ موتهم بمَن تعلقَ بهم، أكثرُ من حياتهم، لأنهم في الحياة مشغولونَ بالتكاليفِ، وإذا ماتوا طُرِحَ عنهم الأعباءُ، وتجردوا». ويقولُ كثيراً: «في زيارة القبورِ نُجحٌ لما تعسَّر من الأمور».

وقال سيدي الحسنُ: «يقولون العامةُ، البيتَ من قصيدة الوالدِ في أهلِ مَقبرة تريم:

ألا يـا بخْـت مـن زارَهُـم بالصـدق وانـدَر　　　إليهم معتنِـي كـلّ مطلوبِـه تيسَّـرْ

يقولونَ، بدلَ الدال المهملة في (اندَر): انذَر، أي نذَر لهم بشيءٍ، وإنما هي بالدالِ المهملة. وقالَ الوالد عبدُالله الحداد: «لو أنفقَ الزائرُ في زيارتِه لمقبرة (تريم) آلافاً من الدراهمِ، لكان الذي حصَّله أكثرَ من الذي أنفقَه».

* * *

وكان سيدي الحسنُ، إذا جاءته ورقةٌ فيها أمرٌ مهمٌ، يقولُ لي: «اطلعْ اقرأها عند ضريحِ حبيبك عبدِالله الحداد، لأنه قالَ: أنفعكُم حيًّا وميتاً، وأعلمُوني بكل شيء تفعلونه، حتى وأنا في قبري، فإن نفعي لكُم بعدَ موتي كحياتي».

ومرةً جاءتْ أوراقٌ من حفيدِه، أخي عمر، لما كان بـ(دوعن)، أراد أن يصلحَ أحْوال الدولةِ والمشايخِ آل العمودي، قالَ لي: «اقرأ أوراقَه على الوالد عبدِالله الحداد». فطلعتُ وزرتُ ضريحَ سيدِنا الفقيهِ المقدم، وأكابر الأسلافِ، فلما وصلتُ إلى ضريحِ

سيدنا عبدِالله الحداد، فزرتُه، وقرأتُ الأوراقَ، فلما وصلتُ إلى حضْرته بعدَ الزيارةِ، قالَ لي: «أيشْ قالَ لكَ حبيبُك؟»، قلتُ له: ما قالَ لي شيء!، فضحكَ، لأنه نفعَ الله به يخاطبُ الأمواتِ ويتأنسُ بهم.

* * *

فلنذكر ترتيبَ زيارتِه العامة بأتباعِهِ من الأقاربِ والمريدينَ، وأهل البلدِ، عصْرَ كلِّ جمعةٍ، وعصْرَ كلِّ ثلاثاء:

يقدمُ أولا الفقيهَ المقدمَ، محمّد بن علي باعلوي، ويقولُ: «إن أرواحَ أهل مقبرة تريم تجتمعُ عندَه، وهو الشيءُ كله، ومن زارَه فكأنما زارَهم، ومن لم يقدمْه بالزيارةِ، قالَ جميعُ أكابرنا: لم تقبلْ زيارتُه، حتى ولو كان لكَ والدٌ في المقبرةِ، أو شيخٌ، فلا تقدّمْه عليه أصلاً». ومرةً يومَ الجمعة بعدَ العصرِ وقتَ مطر، كثُرَ المطر، وهو عند ضريح سيدنا الفقيهِ المقدم محمد بن علي، فزاره هو ومن معه الجميعُ، وقالَ لهم: «إن أرواحَ أهل المقبرة كلهُم تجمعُ عنده»، فزاره وحدَه وخرج بهم إلى (الحاوي)، نفع الله به.

[ما يقولُ عند الدخُول]:

وكان نفع الله به عند دخوله لمقبرَة (زَنْبل)، من جنان (بَشَّار)، أولَ ما يقولُ عند الدخُول: «السَّلام عليكمْ دارَ قومٍ مؤمنينَ، وإنا إن شاء الله بكمْ لاحقونَ، أنتم لنا سلفٌ، ونحن لكم خلفٌ، وأنتم لنا فرطٌ، ونحن لكم تبعٌ، وقد أتاكُمْ ما توعَدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكُمْ لاحقونَ، السلامُ على أهل الديارِ من المؤمنين والمسلمينَ، ويرحَمُ الله المستقدمينَ منكُم ومنّا والمستأخرينَ، أنتم سلفُنا، ونحنُ بالأثرِ، يغفِرُ الله لنا ولكم، أسألُ الله لنا ولكمُ العافيةَ. **اللهُمَّ** لا تحرِمْنا أجرَهم، ولا تضلنا بعدَهم. **اللهُمَّ** ربَّ الأرواحِ الباقيةِ، والأجسادِ الباليةِ، أدخلِ **اللهُمّ** رَوحاً منك وسَلاماً

منا، السلام عليكُم أهلَ لا إله إلا الله، كيف وجدتُمْ لا إله إلا الله؟، اللهم اغفر لمن قَال لا إله إلا الله».

يقول ذلك وهو يسيرُ قاصداً ضريحَ القطبِ الرباني، الفقيهِ المقدم، حتى يواجهَ قبرَه الشريفَ، فيسلمُ عليهِ، ثم يجلسُ ومن معه، يقرئون الفاتحةَ وآيةَ الكرسيّ، وآمنَ الرسولُ، إلى آخر السورة، وسورة يس المعظمةَ، وإحدَى عشَر من سورَة الإخلاصِ، والمعوذتين مرةً مرةً. ثم يهللُ، ويصلي على النبيِّ ﷺ. أراه يدرجُ المسْبحةَ مراتٍ، ولم أعلم كمْ عادتُه، لأنه في ذلك يقرأ هو ومن معه سرًّا بما يُسْمعُ نفسَه.

ثم يقولُ بصوتٍ عالٍ، بحيث يسمعُه كافةُ الحاضرين: «الفاتحةَ لسيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي»، ويعينُ أسماءَ أولادِ سيدنا الفقيه، خصوصاً علوي وعبدَالله الذي نُعِش يوم ماتَ بنعشينِ، نعْشٍ في السماءِ ونعْشٍ في الأرضِ، وأمَّ أولاد الفقيه، زينبَ ابنةَ سيدنا أحمدَ بن الإمام محمد مولى مرباط، جدّ الأشرافِ، وسيدنا عبدالله باعلوي، وجدّ الحبيبِ عبدِالله لأمه، الشيخ عمرَ بن أحمد المنفّر، وسالم بن بصري، وعلويّ عمّ سيدنا الفقيه المقدم. والمحمّدين: محمد بن علوي، من ذرية سيدنا الفقيهِ المقدم، العظيمُ الذي شاهدتُه مكتوبةٌ بخطّ سيدنا عبدالرحمن السقاف، ومحمدٌ المعلمُ، الزاهد الورع. ويشير إلى تعيينِ جماعةٍ في بعضِ الزياراتِ، ثم بعدَهم يذكرُ أهل المقبرةِ عموماً، وإلى حضْرة النبيّ محمد ﷺ».

ثم بعدَ الفاتحةِ، يرفع يديه للدعاءِ، ويرفعونَ من حضَر أيديهم، كلٌّ يدعُو لنفسِه بجوامع الأدعية المأثورةِ، إلا أني أسمعُه بعدَ الحمدِ والصلاةِ والسلام على النبي وآله وصحبه، يقولُ: «**اللهمّ** أوصلْ ثوابَ قراءتِنا إلى أرواحِ سادتنا»، ويعينُ هكذا عندَ كل شيخ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ

أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩]، ويدعُو بجوامعِ الأدعيةِ، ولمنْ كان مسافراً من أولادِ الوالدِ، فإني أسمعُه يعينه باسمه بالدعاءِ، ويدعو له.

ويدعو في كلّ زيارة عند الإهداء للأمواتِ، يختمُ بولدَيه، ويقولُ: «وعبدالله بن حسن، وحامد بن حسن»، هكَذا عندَ كلِّ وليّ، لأجل الترقي لهم، لأنهم ماتوا وقد انتفعوا بالعلْمِ، خصوصاً عبدُالله ما ماتَ إلا وقد ألّفَ.

* * *

وكان دعاؤه وسط، لا بالطويلِ المملِّ، لأجل الحاضرينَ، ولا بالقليلِ المخلِّ، ويذكر أنّ الأبدالَ إنما أكثرُ دعائِهم سبعُ دعواتٍ، لأن أكثرَ الدعاء في القرآنِ في آخر سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إلى آخر السورة كذلكَ.

* * *

ثم بعدَ سيدنا الفقيهِ المقدّم يقومُ بمن معه يومَ الجمعةِ، لا الثلاثاء، فيزور سيدَنا الإمامَ الغيورَ، الذي فرسُه مسرجةٌ دائماً، ويعرِفُ الشقيَّ من السعيدِ، ويقول للشيء كن فيكونُ، ويحي ويميتُ بإذنِ الله، هذه الثلاثةُ مشهورةٌ عنه من صِغَره، فكيف به في حال كبره، سيدنا علويّ بن الفقيه المقدم، ومَن عندَه، ويقف مشاهدَه عند رأسِ سيدِنا عمر بن أحمد المنفّر، لأجل يجمَعُه معه، ومع الشيخ عبدِالله باعلوي.

ثم يقرأ الفاتحةَ وما تيسّر من القرآنِ العظيم وهو قائمٌ، وكافة من معه قيامٌ، ثم يدعو بمَن معه، رافعينَ أيديهم، ويدعون سرًّا، لأن الدعاءَ في السرِّ أفضلُ من الجهر به، ثم يختمُ الدعاءَ بالصلاةِ والسلام على النبي وآله وصحبِهِ. ويقولُ: «والحمد لله ربِّ العالمينَ»، جهراً، كما يفتتح بها جهراً، عند رفعِ يديهِ، ثم يمسحُ بيديهِ وجهَه، نفع الله به، عند كل دعاءٍ حضرهُ جمعٌ من السادة آل أبي علوي، يقولُ: «سادَةْ! اجمعُوا للدعاء»، ثم

يرفعُ، فيرفعون أيديهم مثلَه، حتى يختمَه، فيختمون مثله، ثم يتبعونه.

* * *

ثم يزورُ المقدّمَ الثاني، الإمام الكبير الشيخَ عبدَالرحمن السقاف، ويقفُ قائماً بمَنْ معه مقابلَ قبرِهِ الشريفِ، ويقولُ: «الفاتحةَ لسيدنا الشيخ عبدالرحمن السقاف، ووالدِه محمدٍ، وجدّه عليّ بن علوي خالعْ قسَم، وابنِه محمدِ بن علي مولى مرْباط، وجمل الليل باحسن، وأسدِالله، ومحمد الغَيْبر ابنِ سيدنا عبدالرحمن بن الفقيه المقدم، وعلوي بن محمد مولى الدويلة، وحسَنِ الورع، وشيخنا أحمد بن عمر الهندوان، وسلمى بنت الشيخ عمر بن أحمد المنفِّر، أم جده علوي، والد الحبيب عبدِالله الحداد». هكذا دائماً، وقد يعينُ غيرَهم في بعضِ الزياراتِ. ثم بعد عدِّهم يقولُ: «وإلى حضرة النبي ﷺ».

* * *

وفي كل زيارةٍ عندَ سيدنا السقافِ، يذكر سيدَنا محمد بن علي مولى مرْباط، ويذكر والده عليّ بن علوي، ويقولُ: «إنه مختلفٌ في محلّ قبره»، وإلا لكان قُصِدَ بالزيارة، لكن الآن له قبرٌ معروفٌ، قريباً من سيدنا السقافِ. وكان يقولُ: «سبحان الله!، كل أولادِ سيدنا السقافِ أكابرُ»، كأنه يشاهدُهم عندَ ضريحِ والدِهم. وبعد القراءةِ حسَبَ الوقتِ في زيارته للسقافِ، يجمعُ يديهِ كما تقدمَ عند سيدنا الفقيه المقدم، فلا نعيده.

* * *

ثم يسيرُ نفع الله بهِ، ويقفُ في مواجهةِ أهلِ الرصَّة، عند قبرِ شيخِ بن سيدنا عبدالرحمن السقاف، الذي قالَ والدُه فيه: «إنه عشرَةُ شيوخ»، وشيخُ عمُّ سيدنا العيدروسِ، وأحمدَ بن عبدالرحمن بن علوي عمّ الفقيه، الذي ذكره في شجرة آل أبي علوي: أنه أولُ من تصوفَ من آل أبي علوي بعدَ الفقيه المقدم، ويذكر بعدَه سيدَنا

محمد بن علي مولى عيديد، لأنهما في قبرٍ واحدٍ، ثم يذكرُ الإمامَ أبو بكر السكرانَ، لأنه محاذياً قبرُه قبريهما، وابنه أحمد بن أبي بكر. ثم يذكرُ سيدَنا الإمام أحمد بن علوي باجحدَبْ، وأخوه في الله عمر بن حامد، ووالده حامد المتزوجُ سيدي ابنتَه، وتلميذُ والدِه عبدالله بن عمر فقيه، وزوجتُه مريمُ بنت سيدي عبدِالله الحداد، أخت سيدي.

ويسلمُ على أهل الرصّة المشهورين المعروفينَ عموماً، ثم يرفعُ يديه للدعاء بعد القراءةِ كما تقدمَ.

* * *

وفي زيارةِ الثلاثاءِ، يقرأ ويسلمُ ولا يرفعُ يديه للدعاءِ. فبعد وفاته جمعَ الوالدُ أحمد في زيارةِ الثلاثاءِ، وقالَ: «إني أدعو، لأني لم أعلم لم ترك الدعاءَ»، وكذلك الحبيبُ عبدُالله الحداد يتركُ الدعاءَ، ولم يُسئَلِ الوالدُ عن ذلكَ، فلما لم أسْأله رفعتُ يدي بالدعاء».

وأما زيارتُه في الثلاثاءِ يجمعُ سيدَنا علوي بن الفقيه، مع والده الفقيه المقدم، وفي يوم الجمعة يخصه بزيارةٍ وحدَه، فهذا من عادة والدِه الحبيبِ عبدِالله الحداد نفع الله به.

* * *

ثم يزورُ الإمامَ العظيمَ، الذي يسرعُ إن دعي، وحاله جليلٌ علي، ويا ويلَ من عاداه وبه بُلي، المحضَار، عمر بن عبدالرحمن السقاف، الذي حصانه مسرجٌ، ورمحهُ وقافٌ، يصفُه بأعظمِ الأوصافِ، ويصف أصابعَه: هذا رمحُ، وهذا سيفُ، وهذا دبوسُ، وهذا سكينُ، إلى أن يتمَّها. وسيدنا الحسنُ يشْبِهه في مقامِه، لأنه مقامُ الجلالِ، ووالده في مقام الجمالِ، وكل ذلكَ من المقامات العوالِ.

ويذكر عند سيدنا عمر المحضَارِ، إخوتَه أحمد، وحسناً، وحسيناً، وسيدَنا الشيخ الكبير الجامعَ، علي بن أبي بكرٍ، وابنه عبدالرحمن، وأولادَه: شهابَ الدين بن

عبدالرحمن، ومحمد فقيه، والشيخَ مشيّخَ بن عبدِالله، ومن حولَ سيدِنا المحضار. ثم يقرأ قائماً، وبعدَ القراءةِ، يجمع يديه للدعاءِ، كما تقدم عند والده السقاف والفقيه المقدم.

ثم يسيرُ لا يقفُ إلى أن يدخلَ إلى قبةِ الإمام الغضَنفر، والشيخ الأكبر الأشهر، القطب الرباني العيدروسِ، ثم بعدَ السلامِ، يقرأ قبلَ أن يقولَ: «الفاتحَةَ»، ولا يقولُ ذلك إلا عند ضريحِ سيدِنا الفقيه المقدم، وضريح العيدروسِ، وضريح والده القطبِ عبدِالله الحدادِ، ثم بعدَ القراءةِ يقولُ: «الفاتحة لسيدنا عبدِالله بن أبي بكر العيدروس، وأبي بكر بن عبدالله، وحسين بن عبدِالله، وأحمد بن حسين، وابنه عبدالله، وشيخ بن عبدِالله بن شيخ، وعائشة بنت عمر المحضار»، هكذا في كلّ زيارةٍ، يذكر العدنيَّ، وصاحب «العقْد»، ويجمعُ ابنَه عبدَالله بن شيخٍ، صاحب القُبة بتريم، وصاحب الطَّاقَةَ معه، وقد يذكرُ غيرهم، ويقولُ: «يقول الوالدُ للزوارِ من النساءِ: إذا دخلتم قبةَ العيدروس ابقُوا متحجّبينَ بشيابكم عليكم، فإن أحمدَ بن حسينٍ ينظرُكم».

ويوماً من الأيام زارَ ولم يرَ الفرْشَ في القبة، فسأل عن الفرْشِ، فقيلَ له: شلهنّ فلان، من أولاد العيدروس، بغا كرامة من جدّه. فغضِبَ واستشاطَ، وقال بصوتٍ عال: «أما علموا أنه عبدُالله بن أبي بكرٍ»!. ثم رفع يديه كعادته في زيارتهِ، ودعا كمثلِ دعائه كما تقدمَ من قبله، ثم يمسح بيديه وجهه.

* * *

ويخرجُ من القبة هو ومن معَه من الباب البحري، ثم يزور والدَه القطبَ الغوثَ، عبدَالله الحداد، ويسلمُ عليهِ، ثم يسلمُ على إخوتِه: الحسينِ، وسالم، وهو واقفٌ عند ضريحِ والدِه في المواجهةِ، ويجلسُ، ويجلس كافةُ من معه، ويديرون عتيدةَ أجزاءِ، كلٌ يقرأ جزءًا، وقد تدار القهوةُ وماءٌ، خصوصاً أيامَ الحرِّ، لأنهم من (الحاوي)، بعيد عن المقبرَة، كـ(السُّبيرِ) من (الحاوي)، وذلك لمن يعرفُ تريم من الزوارِ.

إلا أنه نفع الله به، يخلي الجمْعَ بعد خروجِهم من زيارة سيدِنا العيدروس هو وإياهم إلى قريبِ ضريحِ والده، هم والوالدُ أحمدُ، والسادة، وكافة الزوار، يجلسون عند ضريحِ والدِه، وهو يسير وحدَه إلى حذاءِ قبر والدتِه، يزورها قائماً، ثم يرجعُ إلى ضريحِ والدِه، فيقفُ ويسلمُ، ويجلس مقابلاً وجْه والدِه، مقفياً بالقبلة، لأن من عُظْم المسلمِ أمرَت الشريعةُ بمقابلةِ وجهِهِ، ويعطي القبلةَ ظهرَه. وإلا فسيدُنا الحسنُ ما رئي جالساً أبدا مخالِفاً عن القبلةِ، إلا إن كان في زيارة الأمواتِ، أو في المحرابِ بعد الصلواتِ، أو ببيتِ البلادِ في الحضرة يوم الجمُعةِ، للعذر لا غيره، كما سمعْنا بذلكَ، وكما رأينا ذلك.

ويحصلُ له عند زيارةِ والده انبساطٌ كثير، وانشراحٌ، حتى يسري على حاضِريه ذلكَ، وقد يأمر إن كان منشدٌ غريبٌ حسَنُ الإنشادِ، قد يأمره ينشد، ويذكرُ نفع الله به سرائر ومواهبَ زائري والدِه، كما قالَ الحبيب محمد بن زين بن سميط: «إن بعض أكابر علماء مكةَ رأى النبي ﷺ يقولُ له: «من زارَ عبدَالله الحداد تقضَى له سبعينَ حاجة»، وبعض أهل الخطوة من أهل المغرِب قال له شيخُه بالمغرب: اخرُجْ لزيارة السيد عبدِالله الحداد، خيرٌ لكَ من كذا وكذا حجةً، ويذكرُ وقائعَ له ولغيره.

وقالَ: «خرج رجلٌ من يافع، يريد الأذَى بزرعٍ لنا، ونحن عند ضريحِ والدنا، فقلنَا: الوالدُ يكفيه، لا أحد يقومُ، فبعد ساعةٍ ردّوه مقتولاً، وافقه بدو قتلوهُ، بينهم وبين يافع حرب، وذلكَ من خوارق الوالدِ». ويقولُ: «شاوروني بعد موتي في كلّ أمرٍ تفعلونه، اطلعُوا إلى عند قبري».

* * *

ثم إذا قربتِ الشمسُ للغروبِ، بحيثُ أنهم يصِلون (الحاوي) قبل دخولِ وقتِ المغربِ، قرأ الفاتحةَ، ودعا كمثل دعائه عند ضريحِ الفقيه المقدّم والسقاف والمحضار والعيدروسِ، ثم يختمُ الدعاءَ، ويخرجُ بمن معه إلى (الحاوي) الميمون، ويصلي بهم

المغربَ إماماً إذا دخلَ الوقتُ. وكان يتوضّأ لكل فرضٍ، إلا العشاءُ قد يصليها بوضُوءِ المغربِ، قالَ: «وأما والدي فيتوضأ لكلّ فرضٍ، حتى العشاء.

وبعد وفاةِ الحبيبِ الحسن بن عبدِالله الحداد، الوالدُ أحمد ابنه، وسيدي العلامةُ حامد بن عمر حامد، وسيدي العمّ الحسين بن عبدِالله بن سهل، أراهم يخصّونه بالزيارةِ بعد والدِه عبدِالله الحداد. وذكر الوالدُ في كتابه «الفوائد السنية»: أن زائراً زارَه وهو جائعٌ، فأخرج له من قبره قرصاً حالاً.

ورجلٌ من محبيهِ زارَه في أمر مهمٍ نزلَ به، فرآه خرج من قبرِهِ وجلسَ مقابله، فقام هارباً ممتلئاً رعباً، لـمّـا رأى هذه الكرامة العظيمةَ، قالَ: وفرّجَ الله عني ببركاتِه من الأمرِ المهمِّ، فرجَ الله علينا ويسر علينا بجاهه في خير وعافية آمين.

* * *

ذكرُ حجِّه وعزْمه للحرَمينِ
وزيارتِه جدِّه المصطفى ﷺ

وأما ذكرُ حجّه وعزمِه للحرمينِ الشريفين، ولزيارة جده سيد المرسلينَ، وصاحبيه، مع الصحابة المقبورين بالمدينةِ كلهم، وخصُوصاً أصوله، كالزهراءِ، وأكابر أهل البيتِ في قبتهم، وسيدنا عثمانَ، وكافة أهل البقيعِ، وسيدنا حمزة بأحُد، وإتيانه قباءَ، وما وقع له في الحرمينِ الشريفينِ، واليمنِ، وما اتفقَ له في مسيرِه هذا، فأمرٌ عظيمٌ، وشيء كثيرٌ، والبعضُ يكفي عن الكلِّ. وقد يجيءُ في الأبوابِ الثمانية في هذا الكتابِ مثبوتاً. ولنأتِ هنا بتذكرةٍ للمكبِّ، المتعلق بأذيال أهلِ الله، ليقتديَ بهم، وكذلك أولادهم أحقّ بالاتّباعِ، قال الله تعالى لسيد المرسلينَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قالَ رضي الله عنه: «لما عزمْنا على الحجِّ، والزيارة لسيد المرسلينَ، كررتُ الاستخارةَ، الركعتينِ المشهورتينِ، بالفاتحة وسُورة الإخلاصِ، وكانت من عادتي الاستخارةُ حتى لو أردتُ الخروجَ من البيتِ إلى آخرِ تريمَ، وفي الصباحِ سفراً أو حضراً لجميعِ ما أفعلُه لذلكَ اليومِ، وفي المساء بعد المغربِ لجميعِ ما يصدرُ مني من ذلك الوقتَ إلى مثلِه.

ذكر هذه الصلاة محي الدين ابنُ عربيّ في «وصَاياه»، وغيرُه، وعلى ما قالَ بعضُ العلماءِ في «منسكه».

فائدةٌ استطراديةٌ، لا تخلو عن بشَارة استلزاميةٍ:

قيلَ: مَا من أحدٍ يمنَحُ الزيارةَ النبوية إلا بعدَ أن يدْعَى بلسانِ الحضرة المحمديةِ، فإن دعي مرةً زارَ مرةً، وإن دعي مرتين فمرتينِ، وليس ذلك ببعيدٍ، أخذًا مما وردَ في الحجّ، والبشارَةُ العظمَى ما فهِمه بعضُ العلماء من الأحاديثِ الواردة في زيارة سيد المرسلين: أن من زار قبرَه الشريفَ ﷺ مبشّرٌ أنه يموتُ على الإسلامِ. فاغتسلنَا أولاً قبلَ الوضوءِ، وصليتُ ركعتين قبلَ ركعتي الاستخارةِ، للتوبة من المكروهِ، وأما من الحرام فواجبةٌ فوراً، وتسنُّ التوبةُ وتتأكدُ عند قصدِ الحجِّ والزيارةِ، بل أمامَ كلِّ عبادةٍ، فتصلي ركعتين بنيةِ التوبةِ، وتستغفر لفظاً.

ثم لما حصل الإذنُ، أرضينا من يُطْلَبُ شرعاً رضاؤُه، كالوالدينِ، فطاعتهما واجبةٌ، لكن قد توفيَا قبلَ أن نحجَّ، لأنا سرنا للحجِّ سنةَ ١١٤٨، بعد موتِ الوالدِ، في شهر رجبِ الأصبِّ، وذلك بعد موت الوالد عبدالله الحداد بستة عشرَ سنةً وشهرينِ، والوالدة توفت سنة...[١]، والقبورُ تنوبُ عند أهل النورِ، كأيام الحياةِ، لكن الطاعةَ المسنونةَ للأخ الكبيرِ، وللشيخِ في العلم.

* * *

ومن فضل الله تعالى، مع مسيرنا للحجِّ، لا علينا دينٌ مؤجّلٌ فنوكّلَ في قضائه، ولا حالٌّ فلا يجوزُ السفرُ قبلَ أدائه لصاحبهِ وإرضائه بالسفر، فكل ذلك من فضْلِ الله علينا، وله الحمدُ. وأما مؤنةُ من تلزَمُنا نفقتُهم، الدائرة الكبيرة، فبحمدِالله ما سرنا من عندهم إلا وخلّفْنا ما يكفيهم، مع ما يفتحُ الله به من فضْله، ولم نأخذ معنَا إلا مقْشَم تمر، مع أقراصٍ أكلناها غداءً في (سُمل)، بعد أن زرْنا سيدَنا علوي بن عبيدِالله، وتوسّلنا صاعاً طحيناً، لم نحتجْ إليه حتى وصَلْنا (بندر المخَا)، طلبه منا السيدُ حسينُ

---

(١) كذا بياض في النسختين.

بن عمر بلفقيه، صاحب (هُود)، بركةً، أعطيناه إياهُ.

* * *

والحمدُلله قبلَ توديعِ الأهل والقرابة والتلامذةِ، من طلبة العلمِ القاطنينَ، استودعنا من جميعِ مساجدِ تريمَ المشهورة، وغيرها، ركعتينِ، حتى تـمَّينا جميعَ المساجد، وزرنا أكابرَ أجدادِنا بمقبرة تريمَ، خصوصاً الوالدَ، شاورناه أولاً قبل الاستيداعِ، لـمَّـا حصلَ العزمُ، فلما وجهتُ وجهي للذي فطرَ السمواتِ والأرض حنيفاً، استودعت من مقبرة تريمَ، وخصوصاً الفقيه المقدّم محمد بن علي علوي، وسيدي الوالد عبدالله بن علوي الحداد.

ورجعتُ بعد الاستيداعِ إلى (الحاوي)، إلى بيتِنا لنودّعَ من بـ(الحاوي)، الخاصِّ والعامِّ، لأن الوالدَ يقول: «ما ينبغي للمسَافر من بيتِه سفراً، أن يسافرَ من المقبرةِ، بل من بيتِه، للحديثِ. ويودعُ منزلَه بعد لبسِ السفَر بالصّلاة، في الحديثِ، رواه الحاكم: يصلي أربعَ ركعاتٍ، يقرأ في كل ركعةٍ بعدَ الفاتحة: الإخلاصَ، ثم يقولُ: «**اللهُمّ** إني أتقرب إليك بهن فاخلفني في أهلي ومالي»، فهي خليفةٌ في أهلِه ومالِه، حتى يرجع إلى أهله.

وأقلها ركعتين، ثم تسنّ عقبهما قراءةُ آية الكرسيّ، وسورة قريشٍ، ففيهما أمانٌ من كل شرٍّ، وكان الوالدُ يقرأ ذلكَ لكلِّ من أراد سفراً، وجاء يستودعُ منه بعد الفاتحةِ، ويدعو له بالمأثور، كـ«**اللهُمّ** زودْه التقوى، ووجهه للخيرِ حيثُما توجّه، وهون عليه صعوبةَ سفرهِ، واطو عنه بعده، **اللهُمَّ** أنت الصاحبُ في السفر، والخليفة له في الأهل والمال والولد والأصحابِ، احفظه وإياهُم من كل آفةٍ وعاهةٍ، **اللهُمَّ** زوده في سفره هذا البرَّ والتقوَى، ومن العمل ما ترضى، برحمتك يا أرحم الراحمينَ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

وكثيراً ما يوصي المتعلقينَ به عندَ الاستيداعِ بقراءة راتبِه بعدَ العشاءِ في جماعةٍ، وبالأوراد له والحزوبِ المعتادةِ، من قراءة القرآن العظيمِ، وقراءة حزب البحْر صباحاً ومساءً، وإلا فمساءً بعد صلاةِ العصْرِ، ويقولُ: «الله الله في الطاعَة، والتقوَى وصلاة الجماعة»، ويقول: «المسافر يحتاجُ لثلاثة حروفٍ: ط، وح، وص، الطاءُ: الطاعةُ والحاء: حسنُ الخلقِ، والصادُ: الصدق».

وقد توسّلنا معنا الوصيةَ الذي طلبها منهُ بعْضَ جماعته لما أرادَ الحجَّ، وعملنا بما فيها، وبالوصية التي أوصى بها الأخَ حسيناً ابنه لما حجّ أولَ حجٍّ له لإسقاط الفرض، وهي في «مكاتباته»، معروفةٌ، والوصية في وصاياه مشهورةٌ. وأخذنا من «الإحياء» كتابَ أسرار الحجّ، وكتاب السفَرِ، وعملنا بما فيهما، وتوسلنا المناسكَ، وكتب الأدعيةِ في السفرِ والحرمين.

ومن خروجنا من البيتِ إلى أن رجَعْنا من الحجِّ والزيارةِ من عند سيدِ المرسلين صلوات الله عليه وسلامه، ما أظهرتُ أني فلانٌ، ولا صاحبُ علمٍ ومعرفةٍ، ولا مدرسٍ وقراءةٍ، بل توجّه أدبٍ إلى حضْرة الله عز وجلّ، فعملنا كما ذكَر الأكابرُ في كتبهم، من تطليق الدنيا عند السفرِ، وبإشارة سفَر الآخرةِ، وثوب الإحرامِ كالكفنِ، وغير ذلكَ كما هو ظاهرٌ مشروحٌ في كتبِ أهل الطريقة والحقيقةِ، وعلماء الآخرةِ».

* * *

وقد سمعتُ سيدي الوالدَ أحمدَ بن حسنٍ المذكور، يروي عن خاله عُمر، وعمه علوي، أن الحبيبَ عبدَالله يقولُ: «ينتقش في ولدِنا حسنٍ إذا حجّ شيءٌ من السرّ والنورِ، أزيدَ مما كان عليهِ من قبلُ»، فلذا قطعَ الأسبابَ، واتكل على مسبب الأسبابِ.

ولم يلبس بعد الحجّ إلا الخودَة، والبَثّت من الغزل، في (الحاوي) و(السُّبَير)، فوق الشقّة والكوفيةِ البيضاءِ المخزّمة، والعمامةِ للجمعة، أو إلى الزيارةِ، أو (الأوابينَ) في

البلدِ، وسروالٌ وقميصٌ، أو البثُّ فوقَ القميصِ، هكذا من سنةِ الحجِّ ١١٤٨.

وقد مضَى من عمرِه الشريفِ لما حجَّ تسعٌ وأربعونَ، وتوفي والده القطبُ عبدُالله الحداد وقد مضى من عمر الوالدِ ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً، فأحواله عجيبةٌ كسيدنا عمَر بن عبد العزيزِ، قبلَ أن يليَ الخلافةَ، إذا أتوه بالحلةِ الرفيعةِ إذا لمسَها يقولُ: لولا خشونةٌ فيها، وبعد الخلافة إذا أتوه بالحلّة الدنيئةِ يقولُ: لولا نعومةٌ فيها.

شبهوا بعُمَر هذا لأنه في وقتِ الشبابِ يلبسُ الثيابَ الفاخرةَ الرفيعةَ، حتى قال والدُه: «إن قصُر عمْر حسَن لباسُه حجةٌ عليه»، لعلمِه وفضْله وإن كانَ مباحاً، «وإن طالَ عمره يكون حجةً على علمِه».

لأن عمائمَه من الملكِ السلطانِ ياقوتْ خَان، يراسلُ والدَه، عرْضُ العمامةِ ذراعٌ ونصفٌ في طولِ ثمانينَ ذراعاً، وتعطّفُ منها اثنَا عشَر عطفةً في حَلْقة الخاتَم، وتَدْخُل فيها لرُفعِها، وتخرجُ منها، وشالات كشْمير عوالٍ غاليةِ القيمة، وعمائم أخر، وثيابٌ على كلّ لونٍ، يخرجُ في كل فرضٍ بثوبٍ غير الأول، والعميان يعرفونَه بريحِ المسك والزبادِ والماوَرْدِ الرفيعِ، والعنبر، وأرياح العودِ، حتى ريحُ نعالِه، ومنزله وكتبِهِ التي يطالعُ فيها، من.....[١]

فلما حجَّ طلقَ الدنيا، وتركَ الثيابَ والزبادَ والمسكَ، وبقي الطيبُ والعودُ والعطْرُ، وتجنبَ كل ما فيه خلافٌ في أقوالِ العلماءِ، ولو ضعيفُ القولِ، يعمل على الأرجَح والأشقِّ على النفسِ، حتى قال الوالدُ أحمد: رأيتُ في بتْتِه بعدَ الحجِّ الذي يخرجُ به إلى المسجدِ من غير الثوبِ المذكور رُقَعاً.

* * *

---

(١) بياض بقدر كلمة في النسختين.

وأحوالُه بعدَ الحجِّ أكثرُ من أن تشْهَر، قال: «ولما وصل السيد العلمُ، عبدُالله بن جعفر مُدْهِرٍ، لزيارة تريم و(الحاوي)، عزمتُه، والعم علوي بن عبدِالله، والخال عمر بن حامد، والسيد محمد بن زين بن سميط، وغيرَهم، فلما حضرُوا، قالَ أحدُهم: رأيتُ البارحة الحبيبَ حسنَ بن عبدالله الحدادِ، يطوفُ بالكعبة، وهو في همةٍ عظيمةٍ، وحالٍ كبير، ويقول في مطافِه وهو يطوفُ، بالأبيات التي لوالده:

أقـوم بفـرضِ العامريـة والنفْـلِ	وأصـدُقهافي القصْـدِ والقـولِ والفعْـلِ
وآتي إلى مـا تشـتهيه وإنْ غَـدا	ومن دونه البيضُ الصوارمُ والنبْـلِ
وأمنحُهـا ودِّي وأحفَـظُ عهـدَها	وأرقبُهـا في حـالي الوُجْـدِ والقـلِّ
قضيتُ شـبابي في قَضـاء حُظوظِهـا	سوَى الغمطِ والإصْرار والبخْل بالوصْـلِ
ولم أرَ منهَـا مـذْ علقْـتُ بحبلهـا	وهَـذا مشـيبي قـد تهيّـأ للنـزْلِ
سأمضي لشَـأني واطّرحْهـا وشَـأنها	فشغلي بها قد بانَ من أقبحِ الشـغلِ
وأصلتُ من غمـدِ السـجية مرهفـاً	من العـزْم مـاضٍ قـد تحاشَـى عـن الغـلِّ

ثم بقي نفع الله به يكررُ: «وأصلتُ من غمدِ السجية»، إلى آخرِه، ويطوف بالبيت العتيقِ ويكرر، فقال العمّ علوي، أظن أو الخالُ عُمر: قالَ الحبيب عبدُالله الحداد في ابنه الحسن: «ينتقشُ بعد حجّه شيءٌ ما كانَ فيه من قبلُ». فاعجبْ للمكاشفةِ له من والده.

* * *

فطلقَ الدنيا من ذلكَ الحينِ، وقطع الأسبابَ، وعمِّر بعدَ الحج شيءٌ وأربعونَ سنةً، في مقام التجريدِ والتوكلِ المحضِ، بل يدعو في كل دعاءٍ: «**اللهُمّ** زهدني في الدنيا وأهلها، وجاهها ومالها».

قال نفع الله به: لما سرتُ الحجَّ معي همةٌ قويةُ، وعزمةٌ صادقة، وودت أن أطويَ

مسافة ما بين (حاوي تريم) مكانِنا، و(مكة المشرّفةَ) في ليلةٍ واحدةٍ، أو ساعة واحدةٍ، وغالبُ الطريق أسيرُ والأخدامُ يركبونَ، وكنتُ من صغري صاحبَ همةٍ عاليةٍ، وأقوم بالأمرِ وإن كانَ كبيراً، ويشقُّ القيامُ به، وهمتنا زينَةٌ في الطاعاتِ، واجتناب المخالفاتِ، حتى أن الوالد سماني حكيماً، وكثيراً ما يردّد: حسنُ حكيمٌ، لأني آتي كلّ شيء من بابِه، وأقابل الشيء بضده، وأعملُ بخيرِ الخيرينِ، وأجتنب الشرَّ وأحترِزُ من شرِّ الشرَّينِ».

وقال الحبيبُ جعفرُ بن أحمد بن زين الحبشيّ، علوي، نظماً في قصيدةٍ ذكر سيدي فيها:

كذا الحسنُ صادقُ العزماتِ من سعدَتْ　　　به معَالي العُلا والمجدُ والكَرمُ

قال سيدي الوالدُ أحمد: «قال السيدُ العالم علويّ بن شيخ الجفري: لو واجهني أحدٌ، وقال لي: إن الحبيبَ الحسن هدمَ بيتك في (الحاوي)، لصدقتُ، لما أرى من عزَماته، وربما أنه اطلعَ على ما لا يبلغُه علمِي، لسعة علمِه، وتوفر فراسته، فاستحقيتُ بذلك تركَ الجوارِ في (الحوطة)، ففعلَ ذلك». وكل من مارس سيدي من أولِ أمرِه إلى آخر عمرِه يطنبُ في وصْفه، رضي الله عن الجميع وعنا بهم.

* * *

قال الشيخُ محمدُ بن أبي بكر بانافع: «لما دخل سيدي الحبيب الحسنُ من بابِ السلام وفعلَ كفعلِ جده عليه الصلاة والسلامُ، من القول والفعلِ في جميعِ سفره وإيابه، فلما قربَ من الركنِ الأسْعدِ اعترتهُ حالةٌ عظيمةٌ، مع عظماء الأشرافِ والعلماء، وأكابر السادة العلويينَ، تعرّضُوه إلى خارجِ مكةَ، وبقوا معه، فلم ينظرْ إليهم، ولم يراقبْ إلا الواحدَ الأحدَ، فلما التزمَه كأنه، والله أعلمُ، عند مشاهدته رأى ما لم يرَه أحدٌ منّا، كأنه كالرجُلِ يخاطبُه ويصافحُه، واعتلى نحيبُه وبكاؤه جدًّا، حتى لم تحملهُ رجلاه، وحصل له حالٌ عظيمٌ، ومسكناهُ حتى أفاقَ من هذه الحالةِ العظيمةِ. لأني لم أسمعْ له

صوتاً من بالبكاءِ منذُ صحبته، إلا حينئذٍ، ومرةً ثانيةً لقوّة قلبهِ وجأشه.

ثم إن من حضَر استكبرَ واستعظمَ ما وقعَ من هبة الله لسيدي، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

ولما أرادَ الزيارةَ لجدِّه محمدٍ ﷺ، قالوا له: نكْرِي مَرْجَعاً، أبَى، وقالَ: كيف نزورُه وننوي الرجوعَ من حضرتِه عزْما جزماً، حتى نكْري مرجعَ، بل نزورُه، والأمرُ له فينَا ﷺ، إن شاء أذنَ لنا بالرجوعِ إلى الوطنِ، وإن شاءَ أذنَ لنا بالإقامةِ، لكن أكابرَ أسلافِنا أعقلُ وأعلمُ وأنورُ، وأعرف بالله ورسُولِه، فلما رأوا أن الأدبَ في الحضرةِ عظيماً، في مكةَ وطيبةَ، اختار الله لهم حضْرموت، ورأينا حضرموتَ أحسَنَ لطلبِ الآخرةِ، وما قلَّ فيها وكفَى، خيرٌ مما كثُرَ وألهى».

* * *

«ولما عاتبْنا علماءَها، وناساً من كبرائها، على ما رأينا مما يخالفُ سيرةَ السابقينَ، قال لي القاضي بمكّة: يا سيد حسَنْ!، لفضلِكَ، وعلمِكَ، وصحةِ نسبكَ، وعلوِّ مرتبةِ أبيكَ ومرتبتكَ، كلٌّ من علمائِها وأكابرِها أكثرُوا الترددَ إليكَ، وإلا فمَن عندهُ البيتُ السعيدُ، والركنُ والمقامُ، وزمزمُ والحجْرُ والمواقفُ العظام، والصلواتُ المضاعفةُ في المسجدِ الحرام، ما يحتاجون إلى كثْرةِ الترددِ، مع التوبيخِ الشديد منكَ لهمْ. لكن؛ لـمَّـا كانت طريقتكُم طرْحُ ما سوَى الله، ويشق عليكُم الالتفاتُ لغير الله، ودأبكمُ النصحُ لعباد الله، قبلتِ الناسُ كلامكُم، ولازموا أعتابكم، رجاءَ دعوةٍ صالحةٍ، أو نظرٍ منكم، يكونُ فيها سعادَة الدارينِ»، قال: «فتعجبتُ من كلامِه لما واجهَني بذلك».

* * *

وقال الحبيبُ عمر بن سميطٍ: «قصيدة الحبيبِ عبدِالله الحداد، نفع الله به:

قــلْ لأحبابنــا بــسُوحِ المقَــامِ   وبحِجْرِ الندَى ونادِي الكـرامِ

لابنيه علويّ والحسنِ، لأنه قال فيها:

واقطـعِ الـواديَ المبـاركَ طُـولاً   مــستعيناً بـــالله ربِّ الأنـــامِ

أي وادي حضرموت اقطعه طولا ثم قال:

ثــم عــرّجْ عــلى الــيمَنِ الفيـــ   ـــحاءِ ذاتِ الـسهولِ والآكَـامِ

وهو، نفعَ الله به، لما حجَّ إنما وقعَ سفرُه من (تريم) إلى (الشحْر)، و(عدن)، و(المخَا)، و(الحديدَة)، يخرجُ لزيارة أكابرِها من المركبِ، وركب من (الحديدةِ) إلى (مكة)، وأما أبناهُ فقطعَا الواديَ المباركَ طولاً، وسافرَا إلى (اليمَنِ) كلّهِ برًّا، وركب سيدُنا الحسن من (اللُّحيَّة).

* * *

قال سيدُنا الحسنُ، نفعَ الله به: «سرتُ للحجِّ وسني إذ ذاكَ تسعٌ وأربعونَ سنةً، بعد وفاةِ الوالدِ عبدِالله الحدادِ بستةَ عشر سنةً وشهرينِ.

وسار معَنا الفقيهُ الأنور، عبدالولي[1] بن محمد بارجَا، وكان رجلاً صالحاً، ويحفَظ القرآنَ العظيم حفظاً جيداً، وكان نويراً زاهداً، عابدا ورعاً، من عبادِ الله الصادقينَ، ولم تكن له همةٌ إلى الحجِّ إلى ليلةِ بتْنا بـ(سيوُنَ)، قاصدينَ الحجَّ، حضَر في عَزيمةٍ لنَا، هو والسيدُ علي بن عبدالله السقاف، والسيد القاضي محمد بن طه السقاف. قال الشيخُ عبدالمولى: يا حبيبْ حسَن!، إذا كنتَ إن شاء الله في عرفاتٍ يومَ الوقفَةْ، ناد

---

(١) في أول العبارة عبد الولي، وفي الثانية عبد المولى، فليحرر.

باسمي، فقلتُ له: الآنَ أنادي باسمِكَ، فوقعَتِ الكلمةُ في قلبه من ذلك الحينِ، وعزمَ على السفر، وخلفَ بعْدنا أياماً، ووصلَ إلينا ونحنُ بـ(حَوْرَهْ).

وسار معنا الشيخُ محمد بن أبي بكر بانافع، من (الحاوي)، من الطلبةِ الذين يقرئون علينا، وهو رجلٌ مباركٌ، ومنتفعٌ في العلمِ، وصاحبُ استقامةٍ، وجلَدٍ في السفرِ، وأهليةٍ له، ولا يعْسُر عليه المشيُ في الطريقِ، لأن أهلَ العوالقِ فيهم جلَدٌ وصبرٌ على الأسْفارِ والحركاتِ. وسار معنا عبد الملك بارجَا، وهو أيضاً مباركٌ نويرٌ.

وسار معنا الخادم عوضْ بن شُعَيب، أصلُه من (الغُرَيب)، وكان خادماً عندنا في (الحاوي)، وتعلم القرآن العظيم وهو مسنٌ. وخادمٌ آخرُ.

فالذي معنا خمسةُ نفرٍ، وأخذْنا راحلةً معنا مليحةً من (الحاوي) للحَمُولِ، وحماراً جواداً صَبْيانياً للركوبِ، مؤدَّبا في (صنعاءَ اليمن)، سريعُ المشيِ براكبِهِ، فلما وصلنا (دوعن)، أعجبَ السيد عمر البار، إذا تمّ الحبُّ أعطا له مكانَه.

* * *

وسِرْنا على بركةِ الله العظيمِ وتيسيرِهِ، من (الحاوي)، بعد أن حضرنا وقفةَ الوالد المعتادةِ، الجمع العظيم يوم الجمعةِ، يقرئون خبر مولدِ النبي ﷺ في شهْر رجبٍ الأصبّ.

وسافرْنا يوم الاثنينِ، وعبرنا (سُمَل) لزيارة سيدنا الشيخ الإمام علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى، وسرنا منه إلى (الشعْبِ) المشرق بالنورِ، وزرنا الجدَّ أحمد بن عيسى، وسيدَنا أحمد بن محمد الحبشيَّ.

وقدمْنا قبلنا الخادمَ عوضْ بن شعيب إلى (سيون)، يعلمُ الأخدامَ المباركينَ المحبينَ، آل باناعِمَهْ بوصُولنا إليهمْ، فلما بعُدَ عنّا إذا به يستغيثُ بنا، خرجُوا عليه من تحتِ الشجَر لصوصٌ، فناديتهم بصَوتٍ عالٍ، فألقى الله الرّعبَ في قلوبهم منّي،

ووصَلوا إلى عندي، وقالوا: يا حبيبْ! تائبين من الهوْش والنهْبِ على يديكَ. وتوّبناهم، فتابوا توبةً نصوحاً، فسبحانَ من هداهُم، لأن مسيرَنا إلى الحجِّ باعثٌ رباني.

* * *

من أول سنة ثمان وأربعين ومائة وألفٍ، حصلتْ الهمةُ وقويَ العزمُ الذي كان معي في القلبِ، كلِّ سنةٍ يتجدّد، وبكل وقتٍ وساعةٍ يتأيدُ، بعدَ الاستخارة، وحصُولِ الإشارةِ، من فضْلِ الله الكريمِ الوهابِ، للحجِّ لإسقاط الفرْضِ، وزيارة النبيِّ محمدٍ ﷺ، والرحْلةِ لمسجدِ مكةَ ومسجدِ المدينةِ المشرفة، وما انطوى معنا في ضمْن ذلكَ المقصدِ، من زيارَة الصالحينَ أحياءً وأمواتاً، ومآثرهم المنورة، وحصلَ الباعثُ الرباني، والشوقُ الشديدُ، والقلق والهمةُ العالية الصالحةُ، التي لا تكاد توجد معي حتى قبل على حسْنِ همتي وعلوّها من الصغَر، حتى حصلتْ همةٌ إلهية، ومددٌ نبويٌ، وغارةٌ حداديةٌ من سيدِنا الوالدِ عبدِالله الحدادِ، وإشارةٌ وبشارةٌ من أكابر ساداتنا آل أبي علوي، وفي نيتي نجدّ السيرَ، ونحث السعيَ، وقلنا: عسَى يقع لنا صومُ رمضانَ المعظّم بمكةَ المشرفةَ، لكن ما قدّر الله ذلكَ، دخل الشهرُ علينا رمضَانُ في (سوق السبتِ)، كما سيأتي في الرحلةِ،و«**نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عمله**»، كما في الحديث.

* * *

وقال نفعَ الله به: «الهيبة التي يهابها كلّ أحدٍ رآني، لما رأوني البدو في شعب بني مخدّم لما زرْنا الإمامينِ أحمد بن عيسى وأحمد بن محمد الحبشيّ، فإنما ذلك لباسٌ من الله لي، لتصفو لي أوقاتي، لأني لا أراقبُ إلا اللهَ، وأدورُ مع السّنة في الأمرِ والنهْي، ولا أخافُ لومةَ لائمٍ كائناً من كانَ، ولا أتكلمُ إلا لله، ولا أصمت إلا لله، مراقبٌ له في أحوالي كله، سبحانه وتعالى، «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

فلما تقدمَ الخادم عوضُ بن شعيب إلى عندِ آل باناعمةْ، عزمَنا الشيخُ عبد الولي بارجاء، فعلَ ضيافةً كبيرةً، حضرها جملةُ سادةِ (سيونَ)، فيهم السيدُ علي بن عبدالله، ومحمدُ بن طه، وصَار ما صَار من الخطاب المتقدمِ من عبدِالمولى، فقدّرَ الله له العزمَ والنيةَ للحجِّ.

فسرْنا إلى (خلع راشد)، وززْنا السيد الإمامَ أحمد بن زين الحبشي، وأخذْنا بـ(شبام) يوماً واحداً، وسِرْنا إلى (الهجْرَينِ)، وززْنا الشيخَ أحمد بلَوْعَار، ثم (قَيدُون)، وزرنَا الشيخَ سعيد بن عيسى العموديَّ، وأخذنا بدَوعن يومينِ لا غيرَ، نزورُ أولياءَها، يسيرون معنا: السيدُ عمر بن عبدالرحمن البار، والشيخُ عمر بن عبدالقادر، وغير هؤلاءِ، ولم أجلسْ في بلادٍ أيام، لأن معي لوعةٌ شديدةٌ، وهمة عاليةٌ.

وطلع معنا السيدُ عمَر البارُ إلى (الريدَة)، من (عَقَبةِ الخريبة)، والشيخُ حسين بن محمدٍ العموديّ استودعَ منا على رأسِ العقبة، وهو حاكمُ (دوعَن)، ولم أردْ أكثِّرْ معه الكلامَ ونحنُ في (العقَبة)، وفتحتُ للسيدِ عمر البار مذاكرةً في المواريثِ في المناسخاتِ، حتى تمرّ (العَقبةُ) ولا يقعُ كلامٌ مع الذين يودِّعُوننا، فغالبهم رجَعوا من فوقِ (العقبة).

* * *

وقال سيدي الحبيبُ حسن:

«مع طلوعي إلى الحجّ، ما سرْنا معَنا من (الحاوي) بدراهمَ، ولا أوقيةً، بل على الفتوحِ من الله تعالى، وإذا دخلَ علينَا شيءٌ من الفتوحِ جعلناه للولدِ أحمدَ، والدائرةِ الكبيرةِ،لأن دائرةَ أحمد وحْدَه سبعةَ عشر نفراً، بخلافِ ما يتعلقُ من الأهلِ والأخدام، والواردِ والزائرِ، وطلبة العلمِ، وإن كان نحنُ والولد أحمد مختلطينَ وفي بيتٍ، لأن أمورَنا كلها بيدِه ونظرِه. وأرسَلْنا له بإحدَى عشرةَ رسالةً، مدةَ سفرِنا، ومن سَيرِنا إلى

الحجِّ إلى أن رجَعْنا ما قطعْنَا اللحْمَ ولا ليلةً واحدةً، وكان الصحابيُّ عبدُالله بن عمر بن الخطابِ يسبِّر اللحْمَ في سفرِه، وفي رمضانَ، كما ذُكِر في مناقبه.

ومع طلوعِي للحج لم أهتمَّ بالدنيا، ولا أنا داري بها، ولا أبالي يدخلُ شيءٌ علينَا أولم يدخلْ، فلما كان مع رجُوعي بـ(جدّة)، ذكرتُ الهديةَ، لكن يسَّر الله الأمورَ كلهَا وزيادةً، ومن كانَ مع الله كانَ الله معَه، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [االطلاق: ٢-٣] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

* * *

ورجعَ عنا السيدُ عمر البار من (الريدَة)، فوقَ (العقبة)، ووصَلنا (يبعِثْ) عند المحبينَ آل بِحَيثْ، ثم إلى (جَول الشيخ عبد المانع)، و(ساحل الذيبيي)، إلى (عين بامعبد)، إلى (أحْوَر)، وجلسْنا في حِصْن البلدِ المعروفِ، عند محبنا الشيخ عبدالجبار بن مزاحم، وله بنا تعلقٌ تامٌ، وصلةٌ أكيدَة سابقةٌ ولاحقةٌ، وزرْنا أولياءَ (أحْوَر)، كالشيخ عمر باميمون، والشيخ أحمد بلْجِفار، وغيرَهما، وكلٌ أتى بكتابِه بايقرأ لـمَّـا كما كنا في (أحْور)، ومن ابتداءِ مسيري للحجِّ، إلىٰ أن رجَعنا إلى (الحاوي)، ما أظهرتُ أني صاحبَ علمٍ وفضيلةٍ، ولا درستُ في شيءٍ من الأماكنِ، ولا أحبّ الظهورَ والفخْرَ من صغري، وهمتي متعلقةٌ بالله سبحانه لا غير، وإنما الشهرَةُ التي أشهرَني الله بها من غَير اختيارٍ مني».

* * *

وقال نفع الله به: «من يوم سرْنا للحج إلى أن رجَعْنا ما طلعْنا حصْنَ دولةٍ أبداً، ولا قصَدْناهم، ولا جئنا عندَهم، إذا وصَلوا إلينا وعزَّموا علينا إلى بيوتهم، ولما وصَلنا (أحْوَر) أعجبونا أهلُها لعقيدَتهم وطلبِهم للعلمِ، لكن لأجْلِ السلطانِ علي بن ناصر أكثَر الترداد علينا، ولا أحبُّ مجالسةَ الدولةِ، عزَمْنا من (أحْوَر) إلى (شُقْرة).

وواجهَنا السلطانُ عبدُالله بن أحمد الفضلي في الطريقِ، فردَّيناهُ من المجلسِ الذي جلسْنا فيه معَه، وقلنا له: حصَلتِ الزيارةُ. وله تعلقٌ ومكاتبةٌ من قبلُ، وقد سمعَ بنا لما وصَلنا (أحْور)، فبقي مترقباً لنا في الطريقِ».

* * *

وكنت لم أتركْ الوضوءَ في مسيري كله، إذا انتقضَ توضأنا، وجملةُ الطريقِ أسيرُ ماشياً، وإذا حملوا على الدوابّ أسيرُ قبلَهم، فلا يلحَقُوني إلا بعدَ مدةٍ، ومعي شوقٌ، وددتُ أن تطوَى لي الطريقُ إلى (مكة في يومٍ واحدٍ).

فلما وصلنا (عدَن)، وزرنا القطبَ الربانيَّ، الفخر أبابكرِ بنِ عبدِالله العيدروس، ومن بـ(عدن) من أوليائها، رأينا حضرةً عظيمةً، فحالَ وصُولنا إليهَا أرسلَ لنا السيدُ علويّ بن محمّد العيدروس، صاحب المنصِب بعدن، وله بالوالدِ وبنَا صلةٌ بالمكاتبةِ، وصَلنا إليه وهو صاحبُ وسواسٍ اعتراهُ من سابقٍ، فلما دخَلنا عليهِ، قلنا له: «كلٌ ينظر صاحبَه ويتحَايا من بعيدٍ»، لأن من صافحَه يقولونَ يغسِلُ يدَه بعدَ ذلكَ، مع أنه صاحبُ علمٍ وفضلٍ وافرٍ، ووسعَ الله عليه في الدنيا، وجمعَ كتباً في فنونِ العلمِ، معظّمُه، يكتَبُ له «البخاريُّ»، و«الإحياءُ»، بماء الذهبِ.

* * *

ثم سرنا إلى (الوهْط)، لزيارة الإمامِ عمر بن عليٍّ، والشيخ عبدالله بن علي صاحبِ (الوهْط)، واتفقنا بالسّادة بالوهطِ كلّهمْ، وجرت مؤانساتٌ ومذاكراتٌ.

وقبل (عدَن)، قد دخلنا (لحج)، قصَدْنا بيتَ آل باشراحيل، وزرْنا الشيخَ سفيان، ووصلَ إلينا فضْل، شيخُ العبادلةِ إلى بيتِ آل با شراحيل، وله عقيدَةٌ في أهل الخيرِ.

وسرنا من (الوهْط) برًّا إلى (المخَا)، وهلَّ علينا الشهْرُ المعظمُ رمضَانُ، ونحن

بـ(سُوقِ السبتِ). ثم سِرْنا وأمسَينا في (شَيخ الكراماتِ)، رأينا مسجِدٍ أحجار يتكُونَ عليهنّ في المسجد، فأمرناهُم يخرجلونهم، فأخرجوهنّ، ولم تزل الهمة تتزايدُ.

* * *

ولما سرنا إلى (المخَا)، عبرْنا (تعِز)، وسِرْنا منها، أبردنا في مكانٍ، فلما أردْنا أن نروحَ بعدَ الظهرِ في الصيفِ والحرِّ الشديدِ، تقدمتُ على عادتي ماشياً، إذا أرادوا يحمّلونَ، وعبرتُ في طريقٍ عندَ شجرةٍ، وتحت الشجرة رجلٌ عليه أنوارٌ، فسلمتُ عليه، وأظنّ أنه الخَضِرُ ﷺ، ولم أكلمْه، ناداني: يا سيد حسَن!، خذِ الطريق براحلتكَ، يا سيد حسن خذ الطريق براحلتكَ لا بهمتكَ، كرر ذلك (ثلاثاً)، فحالَما قالَ لي ذلكَ الكلامَ، سكنتْ بعضُ لوعَتي وشوقي الشديد، وكأنما رُشَّ على قلبي وجسْمي بماءٍ من كلامِه هذا، لكنّ همتي ووقتي مستغرقٌ بالله، مستعيناً به سبحانه عمن سواه، فلم ألتفتْ إليهِ، ولم أكلمْهُ بعدَ السلام، ولم أخاطبه بكلمة واحدةٍ.

ولما افتتحنا رمضانَ بـ(سُوقِ السبتِ)، ووصلنا إلى (شيخ الكرامات)، سافرنا الصبحَ صائمينَ في الحرِّ، لم نفطرْ في رمضانَ بسببِ السفَرِ، فطلعنا (عقبةَ النقْل)، وهي طويلةٌ جدًّا، والحمارُ الذي معنا طلعَنا مخفٌ بلا حملٍ، وفي (العقبةِ) قرَى، فلما طلعنا فيها سمعْنا صوتَ الأدياكِ يصرُخنَ في القرَى.

* * *

وسِرْنا منها إلى أن وصلنا إلى (المخَا)، وخرجوا يتعرّضُونا إلى تحتِ المخَا سادةٌ وخلقٌ، معهم الأخُ في الله، السيد الأجلُّ، حسينُ بن عبدالله بلفقيه، صاحب (هُود)، وابنه عبدالله معَه، والسيدُ محمد بن عبدالله الصليبيّة العيدروس، وجملة حضَارم مسافرين من أهلِ حضرموت، خرجُوا مع أهلِ (المخا) إلى المسجدِ، وفيه جابيةٌ وبستانٌ، ولا وصَلنا إليه منَ الحرِّ والريحِ السَّمومِ، إلا وقد تأذينَا.

فصَلينا في المسجدِ الظهرَ، واغتسَلنا من الحرِّ قبلَ الوضُوءِ، ولبِسْنا ثيابنا، ودخلنا مع الجمعِ المعارضينَ إلى (المخَا)، وززْنا بهم الشيخَ الكبيرَ، عليَّ بن عمر الشاذلي، بقُبّته، ومَن عندَه، والسيدَ حاتمَ الأهدل بزاويتِه في المكانِ المعظَّم، وصندلْ، والجازانيَّ، والعموديَّ، وأولياءَ (المخَا)، وقصَدْنا أولاً في البيتِ الذي فيه السيدُ حسين بلفقيه بطلبٍ منه، وإلا فهناكَ أخدامٌ لنا نقصِدُ عندهم. وطلبَ السيدُ علي عيديد وغيرُهم من أهلِ البلدِ النزولَ عندهم.

* * *

وفي كل بلدٍ يتفقُ بنا أكابرها وعلمائها وأخيارها، ولا يتخلفُ عن مواجهتنا إلا مَن لا يؤبه له، فقال لي الشيخُ عبدُالمولى بارجَا: هذا كله من بركاتِ والدكَ القطبِ عبدِالله الحدادِ، هذا الإقبالُ والاستمدادُ العظيمُ من الخلقِ، فقلتُ له: الماء بغَى مَسْقى، الوالد عبدُالله كالوادي العظيمِ، سواقي وجروب، حسْبما تقْدَر خُذْ ماءً لها من ذلك الوادي، ولا تخليه تعبُر فيه السيولُ الكبيرة ولا تنتفعْ بها، نحنُ جعلنا لنا سَواقي وجروبْ من ذلك الوادي، كلّ من أتى إلينَا زائراً وجَدَ عندنا من ذلك الوادي، إن أراد علماً، أو تسليكاً، أو إجازةً، أو غير ذلكَ، فسكتَ. ثمّ قالَ: صدقْتَ.

* * *

واتفقَ بنا في (المخَا) جُبارَةُ بن ياسرٍ، هو وابنه حاتمُ بن جبارَة، من آل (صُورْ)، حكماءُ الظاهريّة بفارِس، ولهما تعلقٌ وعقيدةٌ بالأخِ زينٍ في (الصَّير)، قالَ جُبَارةُ: وأعطاني قميصاً، إذا لبستّه في الحرْبِ لم يخرقِ الرصَاصُ، وله محبةٌ في أخينا زين. قالَ: لما رأيتُكَ عرفتكَ، لأن دُمَتكما واحدَة، ويشبهكَ، وعرفتُ أنه أخوكَ.

قالَ: «فقلتُ له: زين، ما لنَا اختيارٌ بإقامتِه بـ(الصِّير)، مرادُنا به يخرجْ إلى (حضرموت)». قالَ: فعرفتُ الكراهةَ في وجهِه، ما أرادَني أقولُ ذلكَ، لمحبّتهم فيه، ما

مرادهم خروجُه من (الصِّيرِ)، لقربِ محلّه لهم».

* * *

قالَ: «وأعطانا جُبارَة ثمانين قرش فرانسَهْ، وحصلَ من المحبينَ على يدَي السيدِ حسين بلفقِيه مائةُ قَرش، فأرسلنا ذلك للولدِ أحمدَ، وفيه بركةٌ، أمرنَاه يبني داراً لنا في (الحاوي)، في المكانِ الذي عيَّناه له، وقلنا له في الكتابِ:

«خلّ الرقَاد وَسيعاً، لأجل الجنازَةْ، وافعلوا محلاً لغسْلِ الميتِ، ومحضــرةً واسِعةً على ستةِ أسهُم، لأجل الوُفَّاد والقصّاد إلى (الحاوي)، تسـعهم في جموع الخيرِ، وعند موتِ الميتِ واجتماعِ سادَة تريم وأهل البلـد، وشـاور خالكَ عُمَر حامد، والسيد العلامَة طاهر بن محمد بـن هاشـم، والسـيد الأديب شَيخ بن محمد بن شهاب الدين».

فبنى الدارَ الذي نحنُ الآنَ فيه، ووسّعه، وكثّر مرافقَه، كان ذلكَ من التوفيقِ، لأن أولادَ أحمد كثُر، فوَسِعَهم كلُّهم معَنا.

* * *

«وبعد أن جبرْنا السيدَ حسينَ بالمقْصِد في (المخَا)، انتقلنا إلى بيتِ آل با فضْل، بطلبٍ منهم، ومدة أقامتنا بـ(المخا) نحوُ عشرة أيامٍ، وإذا طلبنا أحدٌ من المحبينَ جبرْنَاهُ بقهوةٍ، لأنّهم يتكلفونَ في الضيافاتِ، ويتفاخرون فمنعناهم.

* * *

ثم سرنا إلى (زبيد)، ونحن صيامٌ، برًّا، لأنّ الراحلةَ والحمارَ معَنا من (تريم)، لم نحتجْ مدّة سفرِنا إلى دليلٍ في الطريقِ، لكن يسيرون في الطرُقِ الخلْقُ، هذا جَائي وهذا رايح، وكتبوا لنا من (زبيد) إلى (المخَا) ناسٌ لهم تعلقٌ بالوالدِ، فأجبناهم بما طلبُوا من

النزول عندهم في البيتِ، لكن عارَضُونا قبلهم ناسٌ إلى تحت (زَبيد)، كتبَ لهم قرابةٌ بـ(المخَا)، أن يسبقوا علينَا، وننزلَ عندهم. رجعوا يترددون إلينا الذينَ لهم تعلقٌ بالوالدِ، وأخذْنا بخَاطرهمْ.

وكان الحرُّ في الطريقِ مع مسيرنا إلى (زبيد)، مع الصّوم مع طلوعي، لأسْوامها ونخيلها، وقتَ زرعٍ بجروبها، فأعجبتني، فبقيتُ أطلعُ سوماً وأخرجُ منه إلى الآخر، فما وصلتُ إلى قبة الحدادِ قرْبَ البلد (زبيد)، وعندَها شجرةٌ تحتها جملةُ دراويشَ، ذكور وأناث، هنودٌ أكثرهم، إلا وبي من التعبِ أمرٌ عظيمٌ.

فلما وصلتُ القبةَ، لقينا البابَ الخارجيّ الذي على الحوش مقلّداً، والقبةُ بابها مقلدًا أيضاً، فأردتُ أن أرجعَ إلى ظلِّ الشجرةِ، فكرهتُ المجلسَ تحتَ الشجرةِ، لأنهم نساءٌ ورجالٌ، فحركتُ البابَ، فانفتحَتْ جميعُ الأبوابِ، فدخلتُ القبةَ، ولم أقدرْ أزور، وسلمتُ على الحدادِ، ووضعتُ جنبي في القبةِ، ولحقتني ظمأةٌ شديدةٌ في ذلكَ اليومِ.

ثم زرتُ أبا بكرٍ الحدادَ، تلميذَ الإمام القطبِ الرباني عبدِالقادر الجيلاني، ومعي دورةٌ في الرأسِ، وعطشٌ شديدٌ، ومن تلك الظمأةِ والتعبِ ابتدأ المرَضُ، وأنا أسيرُ به وهو يزيدُ، والذي قصَدنا عندَهم بـ(زبيد)، عندهم طبيبٌ في بيتهم حاذقٌ بعلمِ الطبِّ، يداوي رجُلا به رياحٌ، لكن قدّر الله أني لم أعلمْه بالظمأةِ الشديدةِ والمرضِ الذي معي من (زبيد)، وزرْنا جميعَ أوليائها: الجبرتي، والإمام إسماعيلَ، وأحمدَ الصيادَ، والشيخ طلحة، وآل باب سهام، وكافة أكابرِها.

وجميعَ علمائها: كالمفتي يحيى الأهدل، والقاضي، وآل والمزجاجي، وعلماء (زبيدَ) كثيرٌ، ولهم تعلقٌ بالخيرِ، وكلٌّ يطلبُ منا إجازةً وإلباساً من علمائها، فأسعفناهُم بذلكَ، وخرجنا نطوفُ مسَاجدَ (زبيد) كلها بالليلِ، وكانوا من عادتهم ينوِّرونَ بالنّورة مساجدَهم في رمضَان، وكان غالبُ مساجدِهم يشْفعونَ فيها، يقرئون القرآنَ العظيم

في التراويحِ كلَّ ليلةٍ حزْبٌ، ويخلون واحد يستمعُ للإمامِ في المصحف».

* * *

قلتُ: وأعلمني الفاضلُ المدرّسُ، الشيخُ عثمان جُبَيلي، لما سَافرنا للحجِّ سنةَ ١٢٠١، واحدةٍ بعد المائتين وألفٍ، وجئنا إلى (زبيد)، قال لي: إني اتفقت بجدك الحسن لـمـا جاء إلىٰ (زبيد) قاصدا للحج، وأخذت منه إجازةً في أورادٍ وغير ذلك.

* * *

ثم سار سيدُنا الحسنُ من (زبيد) إلىٰ (بيت الفقيه)، قالَ: «وزرنا الإمامَ أحمد بن موسَى بنِ عجيلٍ، وخلّفْنا الراحلةَ والحمارَ بـ(بيتِ الفقيهِ). ولم يزل المرضُ يتزايدُ بي.

ثم وصَلنا إلى (الحدَيدةَ)، وزرنا أولياءَها، كالشيخ صديقٍ.

وسرْنا منها برًّا إلى (اللُّحيَّة)، إلى أن قرُبنا منهَا بيومٍ، لم أقدرْ أركَبُ على المركُوبِ، فأخذنا راحلةً وعليها سريرٌ، ونمتُ عليه راكباً، وقصَدْنا في (اللُّحيَّةِ) عندَ المحبينَ آل مكَاوِش، وزرْنا الإمامَ أحمد بن عمر الزيلعيَّ بـ(اللُّحيَّةِ)، ومَرِضَ عبدُالولي بارجَا، كأنه تحمّلَ من مرضي، لأنه من أهل الخيرِ، وماتَ بـ(اللُّحيَّةِ).

فسبحانَ الله! عند موته جاءتني همةٌ وقدرتُ أسيرُ، فقمتُ إلى عندِه لزاعجٍ بخاطري أزعجَني، فإذا به في النزعِ، وتوفِّي إلى رحمةِ الله وضوانه. قالَ الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، الآيةَ. وفي الحديثِ: «**يخلقُ الله ملكاً يحجّ عنه كلِّ سنة**». فظنّوا دولةُ (اللُّحيّةِ) أني متُّ، فخرجوا بالبيَارقِ والعلاماتِ، وأمورٍ يعتادونهَا في موت الظاهرين في بلدِهم، وحضر جمعٌ في جنازته عظيم، لأن أهلَ البلدِ ظنُّوهُ أنَا، لما عَلمُوا من شدةِ مرَضي».

قلتُ: وأعلمَني الشيخُ محمدُ بن أبي بكر بانافعٍ، قالَ: «تعِبَ سيدي الحسن على موتِ الشيخ عبد المولى بارجَا، حتى أني لم أسمعْ صوتَ سيدي بالبكاءِ، إلا عند مشاهدته والتزامه للحجَر الأسودِ، وعند موتِ الشيخ عبد الولي بارجا سمعتُ بكاءَه».

* * *

قال سيدي الحسن نفع الله به: «لم يزل المرضُ فيَّ، مع الإسهالِ الشديدِ في البطنِ، مع قلة الأكلِ إلا قليلُ ريبٍ آخذُه لا غيرَ، وركبْنا من (اللُّحيةِ) بحْراً، ولما وصلنا إلى (القنفُذة) طلَعُوا إلينا أهلُها إلى البَحْرِ، ورائحةُ خبز مِسَيبْلي روحْناهُ فيهَا، فأحسستُ نفسي طلبته، لكن خفتُ ثقلُه، لأنه ثقيلٌ في البطنِ.

فسرْنا في البحْر إلى أن قَرُبنا من (بندر جدّة) بيومينِ، خرَجنا من المركبِ، لأني رأيتُ رؤيا: كأني والوالد عبدالله الحداد، نفعَ الله به، في بيته في (الحاوي) الميمون، في الدرْعِ، وطلعتُ أنا والوالد عبدالله الرّقادَ، وهو قابضٌ بكتفي، فما تمينا الدرجَ إلا بشِدّة عظيمةٍ.

فقلتُ للنَّوخَذا، وركبتُ المركبَ: مرادي أخرُجْ. فقالَ النوخَذا: خروجُكَ كشفٌ منكَ، هذه ضربةُ ريحٍ، بانتوقفْ لها خمسةَ عشرَ يوماً في هذا المرْسَى».

قالَ: «فخرجنا إلى عند بدوٍ قد طلعُوا لنا إلى المركبِ بغنمٍ، فلما جاءوا لنا بجمَلٍ كبيرٍ مليحٍ، كأن الجملَ خبيثٌ، طرحُوا زنبيلْ على فمِه، وركبْنا فضَاق نفَسُه من الزنبيلِ، فرقصَ بنا، فكانتْ تلك الشدّةُ التي رأيتها في المنامِ.

لكن محمدَ بن أبي بكر بانافع فيهِ فطانةٌ ركضَ إلى عند الجملِ، وقطع الزنبيلَ بالسكينِ، فخرج نسَمُ البعيرِ فسكنَ، ولم أسقُطْ منه، إلا أني تعبتُ كثيراً لرِكّةِ جسمي، لأني جلدٌ على عظمٍ، من الضعْفِ والإسهالِ الشديد».

«وأحرَمنا من (السعْديةِ/ يلمْلَم) بحجٍّ إفرادٍ، بحمدِالله تعالى.

وأخذنا يومين إلى (جِدّة)، ونزلنا عند زَين أفندي، وقام بالخدمَة المقامَ التامَّ، وكان عازماً للحجِّ، وتأهب للحجِّ بما ينفقُه على نفسه وجماعتِه، فجلسَ عن الحجِّ، وأعطانَا جميعَ ما أراد ينفقُه في الحجِّ. أنفقناهُ، وطلعنا بالسادة آل أبي علوي الذينَ حجّوا كلهم الآفاقيونَ تلكَ السنة معَنا، ننفقُ عليهِم في الوقوفِ بعرفاتَ، ومنًى، وغير ذلك.

ولما وصلنا (جدّة)، وجدْنا السيدَ جلالَ ابنَ السيدِ علويّ باحسن، صاحب (الشحر) بـ(جدّة)، وجاء خبرٌ من مكةَ: أن الشيخَ محمدْ طاهِر، ولدَ الشيخِ حسين بافضْل تُوفِّي إلى رحمة الله، فشقَّ علينا ذلكَ. فقالَ السيدُ جلالٌ لنَا: لم يشُقُّ عليكَ، لو وصلتَ مكةَ وهو مريضٌ كلفُوكَ كرامةً مثلَ أبيكَ الحبيبِ عبدِالله الحداد، لما أعطى والدَه الشيخَ حسين بافضل من عمْره، واستوهبَ له من أعمارِ جماعتهِ، يقولونَ لكَ مثله: هبْ له من عمُركَ ومن أعمار جماعتكَ، مثل والدكَ الحبيبِ عبدِالله، فلما قدّر الله عليهِ الوفاةَ قبلَ وصُولك سلمْتَ من ذلكَ!. وكان جلالُ نويراً ويحبُّ المزاحَ.

وزرْنا العلويَّ، والمظْلومَ، وأولياءَ (جدّة) دهليزِ الحرمينِ، وترَدّدوا أهلُها، والوفّادُ للحجِّ علينا بها، والشيخ زيني أفندي أراني كتباً معه، وقالَ: خذْ منها ما استحسنتَه، فلم آخُذ إلا كتاباً واحداً، «شرْحَ أحاديثِ أحكام»، مرتبةً على أبواب الفقه».

* * *

«ثم عزَمْنا على بركةِ الله على الطلوعِ إلى مكةَ المشرفةِ، وحان حينُ الوصْلِ، وقرُبَ اللقاءُ، وطابَ الوصلُ، فسار معنا ناسٌ من (جدّة)، وفعلنا الأكملَ واجباً وسنةً، مع الضعفِ والوَنَا معَنا. ونزلنا [من] (جدّة)، ثم دخَلنا المدرَج (كَداء)، وتعرّضُونا جملةُ سادةٍ ومحبينَ قاطنينَ، وآفاقيينَ عند المدَّعى ندْعو، ودخَلنا من بابِ

السلامِ في جمعٍ عظيمٍ، وقرأنا الأدعيةَ المأثورةَ عندَ كلِّ موضعٍ ومحلّ مطلوبٍ. حتى رأينا البيتَ العتيقَ، فرأينا أمراً عظيماً، وعند الركنِ والاستلامِ، ما بقي كلامٌ، جادَ إلهي بالمرامِ».

* * *

قالَ الذين معه: من حينِ دخُوله الحرمَ، كأنه لا يعرِفْنا ولا نعرفْه، شغلاً بالله.
قلتُ: وقدْ تقدم هُنا، عن تلميذه الشيخ محمدٍ كلامٌ عندَ مشاهدةِ سيدي الركنَ الأسعدَ.

ومن نعمِ الله على الشيخ زيني أفندي، لما تأخّر عزْمُه عن الحجِّ، وأعطى سيدي الحسنَ كلَّ ما نوَى ينفقُه من النفقةِ الكثيرةِ في الحجِّ، رأوا ملكاً حجَّ في ذلك العام على صُورةِ الشيخ زيني، حتى ظنوا أهلُ بلدَة (جدّة)، ومن كان يعرفُه، بأنه حجَّ.

فلما تحققوا الأمْر تعجّبوا، فأعلمَهم بعضُ العلماء بقصّة عبدِالله بن المبارك مع الذي أرادَ الحجَّ، وأعلمه بما ينفقُه فيهِ، فضمِنَ له بالحجِّ، وأخذَ منه النفقةَ، ثم أنفقهَا، ورأوا ملكاً على صورتِه وقفَ بعرفات، كما هي مشهورةٌ.

ووقعَ للشيخ زيني ببركة الحبيبِ كذلكَ.

* * *

ثم بعدَ طواف القدومِ، وركعتي الطوافِ، وشربِ ماء زمزمَ قبلَ الركن، وخرجَ إلى الصَّفا لما بالعَهدِ وفَا، وسعَى ورمَل بين الميلينِ، ووصلَ إلى المروةِ، وحصّل قرّة العينِ، حتى تمَ سبعاً، فحصّلَ من فضْلِ ربه نفعاً.

ثم قصدَ المكانَ الذي قصدَه والدُه في رباط بافَضل المعروف، ليتبع الأدبَ في الخبر المألوفِ، فطلبَ شريفُ مكة مواجهتَه، فقال: قولوا للشّريفِ سعيدٍ، في مقَام

إبراهيمَ عند محلِّ القدَمينِ، يفتحْ لنا وله، ونتفقُ في محلّ المقامِ، ونشربُ في محلّ القدمينِ زمزمَ، وننوي الوفاة على دينِ الإسلامِ، ويمنُّ الله بجزيل الإنعامِ، وبالنعم التوامِّ، لنا وله ولمحبينا، والسلام.

فأعلموه بالكلام، فاغتنم إشارَة الحبرِ الإمام ابن الإمامِ، ودخَلا على بركة الله، وحظيَا بالمرامِ، وأقبلَ كلُ من كانَ بمكةَ عليه، متأدّبينَ بين يديهِ، حتى الأعيانُ من البلدانِ القاصدينِ الحجَّ في ذلكَ الآن، كلهم وصَلوا عندَه، وكلٌ منهم بلغَ قصدَه، حتى اشتهر الأمرُ، وعَظُمَ القدرُ، فطلبت نساءُ الأخيارِ، زيارتَه بالأستار.

* * *

قال نفع الله به: «سنةَ جِئْنا ونحنُ بمكةَ، شرفها الله تعالى، جاء إلى عندي ببيتِ محمد طاهرٍ، مفتي بلدِ السلطان إسْطنبول، لأنه حجَّ بأتباعِه على المحْملِ الشاميِّ، وكان رجلاً شيبة صاحبَ سعةٍ في الدنيا، ومعه ترجمانٌ عربي، يعرفُ لغتَه، يسايره، يعلمُنا بكلامه، ويعلمه بكلامي، فقال للترجمانِ: قُلْ للسيد حسَن، مرادُنا، نساءً من نساءِ السلاطينِ معنَا، ونساءَنا وبناتنا، ومن لهنّ قرابةٌ بنا، وهم معَنا من بلد (إسْطنْبُول)، قاصدينَ الحجَّ والزيارةَ لجدّك عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلام، مرادُهم فضْلاً منكَ، يلتمسون بكُمْ ويزورونكم.

قالَ: «فقلتُ للترجمانِ: قلْ له: لا يمكنْ إلا بالنيةِ، لا بالمواجهةِ، لأني ما أحبّ تدخلُ عندي النساءُ». قال سيدي الحسن فحينَما قلتُ للترجمان ذلكَ، قبل أن يعْلِمَه بكلامي هذا، رأيتُ وجْهه تغيّر، ففهِمَ كلامي قبلَ أن يعْلمَه ترجمانُه. فقام إلى عندِي ولدُ محمد طاهرٍ، وقالَ: يا سِيدي؛ قاعدةٌ، من عادَة نسَاءِ هؤلاء الكبارِ، إذا التمَسُوا بأهلِ الفضل كلّ واحدةٍ تجيبُ خمسَمائة حرفٍ أحمرَ، عن ألفِ قرشٍ فرانسَهْ، ما يُتركُ يا سِيْدي!.

فقلتُ له: «ولو تجيبُ الواحدَةُ مائةَ ألفِ أحمر»، بهيبةِ كلّمْتُه، فتأدّبَ.

لأن من عادتي ما أكلمُ النساءَ الأجانبَ أصلاً، ولا يدخلونَ عليَّ، فعرفَ المفتي صدْقَ عزمي، فما كثّرَ ولا تشفّعَ بالغير من السادة عندي، لما تحققَ أني لم أشفَعْ أحداً في ذلكَ، ولو فتحْنا علينَا هذا البابَ لتعبْنا كثيراً، وما الدنيا وما قدْرُها عندنا، ونحن عندَ الإحرام قد عاهَدْنا الله على تطليقِها هيَ والنفسَ، حتى نصل الرمْسَ، ونستعينُ بالله على ذلكَ، ونسأله الثباتَ إلى المماتِ، وكانت طريقتنا طريقةَ الوالدِ: التواضعُ.

كانت مدرسةُ والدي في (الحاوي) فرْشُها شَطفَةْ حِنِبْ، وهو نفعَ الله به، قد يفرشونَ له سجادَةً، ولا شي تكْية، ومجلسُه في المحضَرة على سِجادَة وتكية، إذا جلسَ اتكأ عليهَا، وإذا اضطجع على جنبه الشريفِ من كثرَة الجلوسِ ينامُ عليهَا، كالوسادة نفع الله به.

وقد حجَّ النبيُّ ﷺ حجّةَ الوداعِ على رَحْلٍ رثٍّ، وخطامُ ناقتِه ليفٌ، لا ضرْبٌ ولا طرْدٌ، مَا لنا وللمترفينَ من أهل إسْطنبولَ، ومِصْر، والمغرِبِ، والآفاقيينَ، الذي بايتقربونَ إلينا بدنياهم!.

عزمتُ شَا اقطع كـلّ أمـرٍ أرَى	في قطعِـه نيـلُ المقَـامِ الكـريمْ
وأرفـضُ الـدنيا الغَـرُورَ التـي	مَنْ حبِّها كانَ الحجابُ المقيـمْ

* * *

وقال سيدُنا الحسنُ: «من نعَمِ الله علينَا، كنا بمكةَ، والإسهالُ مع المرضِ معي من (اليمَن)، وبقي ونحنُ بمكةَ المشرّفة، إذا صليتُ العصْر والمغرب والعشاءَ في المسجد الحرامِ، توقفَ، لم أحسَّ معي حركةً للبطنِ، وإذا وصلتُ البيتَ هكذا، ما توقَف، المرة تتبع المرة، وإذا عبرتُ الدرجَ مع طلُوعي للمسْجد أحسّ النسمَ من التعَبِ والحركة يخرجُ من الآذانِ. وقد حصلَ على الوالد عبدِالله سنةَ حجَّ مرضٌ في طريقِه،

خافَ منه الانقطاعَ عن الحجِّ، فدخلَ عليه منشدٌ، فقرأ قبل أن ينشِدَ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]، فسرَّه ذلكَ، لأنه قالَ له: أنشدْ، ونيته التفاؤلُ بنشيدِه. ثم أنشدَ:

أبشِرْ بما سرّ أصحابَك على تمّ حالْ توصَّلوا بالسلامَةْ ثم نـالوا منَـالْ

إلى آخر قصيدَةِ العارف عُمر بامخرمة. والأخُ علوي بن عبدِالله الحداد، بدأ به المرضُ من (أبو عريش)، ولا طافَ إلا محمولاً على السريرِ، من شدة المرضِ والإسهالِ».

والوالدُ أحمدُ حصلَ عليه ما حصلَ قبل الحجِّ، من انكسارِ المركبِ، في (غُبةِ كتنبل)، كل ذلك للترقّي، مثلَ أولياء الله وأنبيائه. وقد قال البويطيُّ للإمام الشافعيّ لما كانَ يدرّسُ والطسْتُ تحته من الباسُورِ، قالَ له: عِدَّ هذا من نعَمِ الله عليكَ!، فقالَ له: إذن أسألْه الزيادَة، فقالَ له: لا!، فافهم.

* * *

وسمعتُ سيدَنا الحبيبَ الحسنَ، قالَ: «الذين خرَجْنا بهم نطعِمُهم مدةَ الحجّ من الساداتِ نحوُ سبعينَ، لكن قلنا لهم: الرزّ واللحْم والبرّ، لا غيرُه، أما الألوان التي يعتادُونها الآنَ أهلُ الحرمينِ ما نفعَلها، يكون عندكم معلوم!».

* * *

قال نفع الله به: «ثمَّ تحدثَ الناس برؤية شهرِ الحجّة، ووصَلوا إلى عند القاضي ناسٌ منهُم، ما قبلهم، فكان الوقفَةُ العامةُ بالسبتِ، لكنْ نحنُ وجملةٌ من المحرمينَ وناسٌ من الذين رأوه تقدَّمُوا إلى عرفاتَ، بل جَمٌّ غفيرٌ، ووقفْنا الجمعةَ والسبتَ، لأن

الحج عرفَة، وفي الحديثِ أيضاً: «**حجّكُم يومَ يحجُّ الناسُ**».

وعبّرنا بالوقوفِ بين يدي الله عز وجل، وفعلنا كلَّ مأمورٍ به ومطلوبٍ، وغلب علينا جانبُ الرجاء بالمغفرة للكلِّ، وشهودُ فضلِه العظيم، بل في «مناقب الإمام الغزالي»: أنه رأى النبيَّ ﷺ وقالَ له: إني أروي عنكَ كذا وكذا، وأريد أروي حديثاً سمعتُه عنك مشافهةً منكَ من غير واسطةٍ، فقال له النبيُّ ﷺ: «اروِ عني ثلاثة أحاديث صحيحةً، **أولها**: من جعلَ من أمتي في يدِه سبحةً كتبَ له أجرُ مسبِّحٍ **والثاني**: شجرةُ البن؛ من أكلَ منها استغفرت له الملائكة ما دامت رائحةُ البنّ في فيه **والثالثُ**: ذنوبُ أهلِ عرفةَ تصير غباراً، وتصعَد إلى السماء، ويسخر الله لها ريحاً فيسوقُها إلى أرضِ الحبَشة، فكل من قطَر عليه قطرةٌ من ذلك بعثَه الله من الظلماتِ إلى النور»، انتهَى، فإذا كان ذنوبُ أهلِ عرفةَ ينفعُ الله أناساً بها من خلقِه، فكيف بحسناتهم!».

* * *

وبعد صَلاةِ المغرب في الصخْراتِ، محلَّ وقوفنا، سرْنا إلى الخيمَة، ورفعنا الحمولَ، وسرنا، وبتنا مزدلفةَ، إزدلافَ القلوبِ، ونيل كل مطلوب، وأفضْنا إلى المشعَر الحرام، لنيل المرامِ، قائلينَ كثيراً: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

وبعد انتهاءِ المقاصدِ، سرْنا منًى لرميِ جمرةِ العقبةِ، وللحلقِ، ولإهداء بهيمة الأنعامِ، وبعدَما فعلنا ذلك، سرْنا لطوافِ الإفاضة، وقد تقدّم السعيُ، ثم عدنا إلى منًى في بيتٍ نزلناه مهيأً لنا، ومن معنا تلك الأيام، يا لها من أعيادٍ، مع أولياء وزهاد، من كل فج عميقٍ، حصلَ لنا منهم في مِنى المُنَى، وقد قال الوالد عبدُالله الحدادُ نفع الله به:

وحيّـى ليـالي الخيـفِ مـا كـانَ مثلهـا ... سوى مثـلِ طيـفٍ في المنـام دنَـا ونَـا
عسَـى وعسَـى أن تنثنـي وتعـودَ لي ... بفضْلِ عظيمِ الفضْل ذي الجودِ والثنا

ولما قلنا لبعضِ الخواصِّ: «بعدَ حجّتي هذه أرَى جُلوسي بتريم أحسَنَ لي من كلِّ الأقاليمِ، معاذْ أريدُ السفَر حتى إلى الحرمينِ الشريفين»، قال لي أما قال والدكَ:

* عسَى وعسَى أن تنثَني وتعُودَ لي *

قلتُ: الوالدُ مشرِّعٌ، والحجُّ فيه المَشاعرُ شرعَتْ ليجمعَ حضُورَ غيرِ أهل الحضُورِ، وأما أهل الحضُور يفرّقهم ذلكَ، فوقفةٌ بين يدَي الله عز وجلَّ لهم أفضَلُ من كَذا وكذا حجةً، لأن السفرَ والحركةَ يوجِبُ التفرِقةَ، هذا وهو معروفٌ في كتبِ القومِ، فليطلبه من أرادَ منهَا، فينزّه كلامَنا من اللّومِ، فسكتَ ذاك المحبّ من الخواصّ، لما تبين له في قولنَا الخلاص».

قلتُ: وسمعتُ سيدي العارفَ بالله، عمر بن زين بن سميطٍ، يقولُ: «سيد الحكماء من مشَايخنا العلماءِ، الحبيبُ الحسنُ بن عبدِالله الحداد، والحبيب طاهر بن محمد بن هاشم، لما وصَلا بعدَ حجِّهما وزيارةِ جدِّهما سيدِ المرسلينَ إلى تريم، قالا: لم نرَ أحسنَ ولا أكملَ للسيدِ من السادة آل أبي علوي من الوَطنِ له في (تريم)، حتى (الحرمينِ الشريفينِ)، فضْلاً عن (اليمَنِ) وغيره».

* * *

قال سيدُنا الحسنُ: إنا ركعنا في المسجدِ في منى، لأنه ورد فيه حديثٍ: أنه سبعينَ من الأنبياء قد صلّوا فيه، لأنه قديمٌ، وكذلك الغارُ في منَى، نزلت فيه على النبي ﷺ سورةُ المرسلاتِ، وأيام منى أنسٌ، ويقالُ: إنها خصَّتْ بخمسِ خصالٍ: الذبابُ فيها قليلٌ، ولا يقع على الجلود، والرمادُ مع كثرة الوقيدِ كذلكَ قليلٌ، والدخانُ مع كثرته ما يعلو على الناسِ، وأرياحُ الجيَفِ ما يروَحُونها أو قليل، والخامس: تسَعُ الناسَ كلّهم وإن كثُروا كاتساع الرحِم للمولودِ، بإذن الله يخرج.

ثم لما سرْنا من منًى صلينَا العشاء بالمحصَّبِ، ورقدْنا قليلاً فيه للسنَّةِ، ودخلنا مكة المشرفة نكثِر من الطوافِ والصلاةِ في الحجْرِ وغيرهِ. وأما صلاتنا الفرضُ فهو في المكانِ الذي لازمه الوالدُ عبدالله من الركنِ الأسعد الأيمنِ، فجاهدْ تشاهدْ، ونقول لمن معنا: لا تراقبونا في الحرمينِ، كلٌ يؤدي غايةَ اجتهادِه من الاعتمار والطوافِ والصلاةِ، والتراداد على المآثر المطلوبِ التبركُ بها كلها، وبزيارة سيدتنا خديجةَ الكبرَى، وتحت قبتها شيخُ والدِنا الإمام محمد بن علوي السقاف.

ولما حجَّ الأخ علويٌّ سنةَ ١١٥٣، بعْدَنا، حجتَه، توفي في سابعِ شهر صفر الخير سنة ١١٥٣، وقد كان الوالد عبدُالله الحداد يقولُ: «إذا حجَّ علوي ولدُنا استودِعوا منه وداعَ وفاةٍ»!، فقبر بجنبِ سيدنا محمدِ بن علويّ، ملاصقَ قبره.

* * *

قال سيدي الحبيب حسنُ: «واعتمرنا بعد الحج عمرةَ الإسلام الواجبةَ، ثم لم نزل نعتمِر راكبينَ، لما معنا من المرض والضعفِ، ونتملى بمكةَ ومآثرِها، إلى أن حضرْنا الفتوحَ في المحرم عاشُور سنة ١١٤٩، طفْنا للوداعِ عند خروجِنا منها، لعزمنا لزيارة سيد المرسلينَ، وحبيب رب العالمينَ، متمثلين بأقوالِ والدِنا عبدالله الحداد، نفع الله به، وهي هذه:

ألا يـــا رسُـــولَ الله إنـــا قرابـــةٌ ... وذريـــةٌ جئنـــاكَ للشَّـــوقِ والحـــبِّ
وقفنا على أعتابِ فضْلك سيدِي ... لتقبيلِ تُـربِ حبَّـذلك مـن تـرْبِ
وقمْنا تجاهَ الوجْـه وجـهٌ مبـاركٌ ... علينا به نسْقى الغمامَ لدى الجـدْبِ
أتينـــاكَ زواراً نـــرومُ شـــفاعةً ... إلى الله في محـوِ الإسـاءةِ والـذنبِ
وفودٌ وزوارٌ وأضـيافُ حضـرةٍ ... مكرَّمةٍ مستوطنِ الجودِ والخصْـبِ
وفي النفْسِ حاجاتٌ وثمَّ مطالبٌ ... نؤملُ أن تقضَـى بجاهِكَ يا محْبـي

توجّه رسـولَ الله في كـلِّ حاجـةٍ — لنا ومهـمٍّ في المعـاش وفي القلْـبِ
وإن صـلاحَ الـدينِ والقلـبِ سـيدي — هو الغرَضُ الأقصى فيـا سيدي قُمْ بي

* * *

غيره:

قـمْ يـا رسـولَ الله بي وتَـولني — واشفعْ إلى الـرّحمنِ في أوزاري
واسأله كشْفَ مهمتـي وملِمّتـي — وقضاءَ حاجَاتي وسَتر عوارِي
وصلاحَ حالاتي وحسْنَ عواقبي — وسـدادَ خـاتمتي وحـسْنَ جِـواري

غيره:

وللحـرَمينِ الأكـرمينِ سـؤالنا — منَ الله أمنـاً شـاملاً للمظَـاهرِ
وأن يستقيمَ الحقُّ والدينُ فـيهما — ويحيـي مـن الإسـلامِ كـلَّ الـدوائرِ

غيره:

يـا سـيدي يـا رسُـولَ الله يـا أمَـلي — ويـا غيـاثي ويـا كهْفـي ومـدَّخَري
عليـكَ بعْـد إلـهِ العـرْشِ معتمَـدي — في كلِّ خطبٍ ومرهُوبٍ من الضّـرَرِ
وكـــلّ حادثَـــةٍ مـــا لي بهـــا قبَـــلٌ — وكـــلِّ نائبـــةٍ خدّاشَـــة الظُفـــرِ
يا سيدي عبـدك الجـاني المقـصّـر قَـد — أتـاكَ منكـسـراً فـاجبر لمنكـسـرِ
ومـستغيثٌ لـشيءٍ قـد عنَـاه مـن الأ — مْـرِ المهـمِّ فـلا تمهِـلْ ولا تـذَر
وحاجـةٌ في ضـميرِ الـنفس واقفـةٌ — فسلْ تجبْ ثم قلْ تقْضَـى عـلى قـدَرِ
فأنتَ ذو الجودِ والجاهِ الوسـيعِ لـدَى — الربِّ الكريمِ عظيمِ الجـودِ والقـدرِ

* * *

«ولما أردنا (المدينةَ)؛ وصلَ الشريفُ ووزيرُه إلى عندِنا، ووصَّوا الجمالَة

وخوفُوهم أن يجري شيءٌ على قافِلتنا، والذي حصلَ من الشريفِ والوزير جعَلناهُ في سبيل الخيرِ.

وكان الإسهالُ في الطريق أتعبَني، كلما أردنا نركب، حتى وصلنا حضرةَ الحبيب المصطفى ﷺ، قصَدْنا الروضةَ الشريفةَ، وبعد الركْعتينِ قمْنا إلى حضْرة الرسَالةِ، في غاية من الاحترام والأدبِ، وسلمْنا على سيدِ المرسلينَ، وحبيبِ ربِّ العالمينَ، وعلى صاحبيه من بعده أبي بكرٍ وعمَر، رضي الله عنهما، وحضر زيارتنا خلقٌ كثيرٌ من السادةِ وغيرهم، خرجوا لعراضنا، أحَد منهم واجهنا في (النقّار)، وأحَد في (المناخة)، ثم دخلنا وإياهم السُّورَ، وحصل السرور.

نزولنا عند آل السمانِ، بيت الشيخ عبدالكريمِ، وابنه محمد صغيراً، قرأ علينا الشيخُ عبد الكريم في «البخَاري»، وعزم على بناية زاويته بالمدينةِ الشريفة، وطلبني أني أول ما أطرَح لهم السّاس بيدي، فطرحته على حسَب نيتهم، وأخذ إجازةً، وكذلك ابنه محمدٌ، إلا أن محمدَ شابٌ في ذلك الحينِ، يخرج معنا إلى أحُد، وقباء، والعرَيض، حاملاً سلاحاً كعادة أهل المدينة الشريفة. ثم بعدُ لازمَ المكاتبَة محمدٌ، وتوجّه في طريقِ القوم، وأخذ منا إجازةً بعدُ من حضرموتَ بالمكاتبة، فأجزْناه.

ومشايخَ كالشيخِ محمد حياة السندي، شارح «حِكَم الوالد»، والشيخ محمد سعيد طاهر، وكافة علماء المدينةِ، كالخليفتي العباسي، مفتي المدينة، الشيخ عبد الكريم أفندي بن عبدالله، وكذلك السادَة آل البرزَنْجي، وآل القشاشي، وجماعتنا السادة آل أبي علوي: السيد مشيّخ، والسيد السقاف، شيخ السادَة المتزوج على السيدة الصالحة علوية بنت عيدورس بن الحبيبِ عبدالله بن علي صاحبِ (الوهْط)، فجميعُهم أكثروا الالتماسَ، وقاموا بغايةِ الإيناسِ.

* * *

والأيام التي مرّتْ لنا بالمدينةِ أحسنُ أيامٍ لنا في سفرِنا، بل عمرنا، كلها أعيادٌ، وحصل لنا الخيرُ والمددُ من جدِّنا صلواتُ الله عليه وعلى صاحبيه، وكافة الصحبِ والعترة. وزرنا سيدَنا عثمان بالبقيع، والزهراء البتولَ في الموضِعَين: في محلّ بيتها في حجرة أبيها، وفي قبةِ أهلِ البيتِ، وزرنا إبراهيم ابنَ النبيّ ﷺ، والأزواجَ الطاهرات، وقبة بناته المكرماتِ، ومَن في البقيعِ من الصحابة والأكابر، نتردد مدّة الإقامةِ لنا بطيبة لزيارتهم، وزرنا سيدنا حمزةَ رضي الله عنه بأحُدٍ، كما زرنا العباسَ رضي الله عنه، وسيدنا أمير المؤمنين الحسنَ بن علي بن أبي طالبٍ، واستحضرنا الإمام عليًّا والحسينَ أخَاه.

وذكرنا كلام الوالد عبدالله بن علوي الحداد نفع الله به:

ولا تنسَ مولانا أبا الحسن الرِّضَى　　　وإن كانَ لم يـدفَنْ بتلـكَ المقـابرِ

وفي قبرِ سيدنا الحسنِ بن عليٍّ ثلاثةٌ: سيدنا زين العابدينِ، عليّ بن الإمام الحسين السبط، وابنه الإمام محمد الباقر، وحفيده الإمام جعفر الصادق.

وزرنا بحمْدالله جدَّنا عليّ العريضيَّ، أبعد من أحُدٍ، وزرنا أخاه إسماعيلَ بن جعفر الصادقِ، وكل المآثر، كقباءِ يوم السبت نخرجُ له، والآبار المشهورة، ومساجد الفتح، والقبلتين، وترددنا على تلك المآثرِ، والشأن كل الشأن مواجهةُ سيد المرسلينَ، وزيارتُه والصلاة في روضته ﷺ، قالَ الوالد عبدُالله الحداد:

زيارتُـــه فـــوزٌ ونجـــحٌ ومغْـــنمٌ　　　لأهلِ القلوب المخلصَاتِ الطّـواهرِ
بها يحصلُ المطلوبُ في الدينِ والـدُّنا　　　ويندفعُ المرهـوبُ مـن كـلّ ضَـائرِ
بهـا كـل خـيرٍ عاجـلٍ ومؤجّـل　　　ينـالُ بفضْـلِ الله فـانهضْ وبـادرِ

وأيامنا في المدينة أنيسة كلها والمدينة تشرفت به ﷺ، قال الوالدُ:

غــزالْ حــاجرْ بهجَــةَ المسَــامرْ ‏ ‏ ‏ ‏ فاقتْ على غزلانِ شعْب عامِرْ

* * *

وقد قالوا لنا مع مَسيرنا إلى المدينةِ نكْري لكُم مَرجعاً، قلنا: هذه كلمةٌ تشقّ علينَا، إلا اكرُوا جمالنا إلى المدينة، واصِلينَ إلى حضرته ﷺ، والأمرُ له.

فلما حصلَ الإذنُ منه ﷺ، استودعنا منه من غيرِ اختيارنا بذلكَ، لكن كما قال الوالدُ عبدُالله، رضي الله عنه:

ووددْنَــا طــولَ الإقامــة فيهَــا ‏ ‏ ‏ ‏ بــين تلــكَ الربــوعِ والآطَــامِ
ومغــانٍ تشــرفتْ واســتنارتْ ‏ ‏ ‏ ‏ وأضاءتْ من نورِ ماحي الظلامِ
غــيرَ أنّ مــن ورائنــا لشُــجوناً ‏ ‏ ‏ ‏ وشــئوناً جذابــةٌ بزِمَــامِ
ربّــما ربَّــما بهــا قــامَ عــذرٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ومــن العــذْر مسـقطٌ للمَـلامِ

* * *

ووصلنا (جدّة)، ومع المسير من (جدّة) ذكرنا الهديةَ، وإلا فما خطَر لنا شيءٌ مدةَ الحجِّ والزيارةِ، لكن يسّرها الله مع الزيارةِ، لأنا ذهلنا حتى عن أنفسِنا فضلاً عن أولادنا، وركبنا بحراً من (جدّة)، ومعنَا خاتمُ الوالدِ عبدِالله الحداد، فيه مكتوبٌ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، سقطَ علينا في البحْر ونحنُ نتوضّأ، فذكرنا سقوط خاتم النبي ﷺ على سيدنا عثمان في البئرِ، وكان مكتوبٌ فيه (محمدٌ رسُول الله).

ولم يشربوا التنباكَ أهلُ المركبِ، وتابوا منه من غير أن نكلّم أحد، بل عناية، إلا واحد بقيَ في البعْد يشربُ التنباكَ، ولم أتكلمْ، لكن سبحان الله! أرادَ يوماً يدخل

(الزُّولي)، فزلقَ في البحْر مع ريحٍ شديدةٍ، أرادوا يصرفونَ الشراعَ، ما صرفتهم الريحُ، سار المركبُ عنه فغرِق فيه، رحمه الله تعالى، وأنا ما أدعو على أحدٍ، لكن ينتقمُ الله لي، وطلع معنا رجل في المركب معظّمٌ نفسَه، ووافقَ اسمُه كاسمي حسَن، فضاقَ خلُقه وخرج من المركبِ لما رأى تعظيمَ أهلِ المركب الكثيرِ لي!.

ثم لما وصلتُ (المخَا)، أخذْنا فيه معَ رجوعِنا شهراً، ومنَّ الله بالعافيةِ، وانقطع الإسهالُ، وشفينا من المرضِ، وسرنا بحراً من (المخَا) إلى (عدن)، زرنا العيدروسَ الفخر أبا بكرٍ، وركبنا بحراً إلى (برُوم)، وخرجنا (غيل باوزير)، ولم ندخل (الشحْر)، لأن الوالدَ قال: أعطيناك الشحر، خفْنا من الإقامةِ عن (تريم) فيها، ووصلنا إلى (تريم) في شهر جماد، بحمدالله تعالى وتيسيره».

* * *

قلتُ: وبعد حجِّه نفعَ الله به، لم يسافر إلى مكانٍ أربعينَ سنةً، لأن ولادته سنة ١٠٥٩، تسعٍ وتسعينَ وألفٍ، وحجّه سنة ١١٤٨، ثمانٍ وأربعين ومائةٍ وألف، ووفاته سنة ١١٨٨، ثمان وثمانين ومائة وألفٍ، بتريم بمقبرة (زنبل).

وبـ(حاوي تريم) منشَأه الأولُ، وخاتمة عمره الأفضل، فكم له في هذه المدة من عزَماتٍ، وكم من مجاهداتٍ، حين سبقت من الله له العناياتُ، دعا لله عِبادَه، وبذل في نصحهم اجتهاده، حين تميز بالطريقةِ العمَرية الموسوية، فهدى الله به خلائق من الناس، وعدُّهم لا يدخل في القياس، لأن عدَّهم غير محصورٍ، طبقة بعد طبقةٍ، ونذكر منهم قليلاً من كثيرٍ في البابِ الخامس. ولم يزل مظهِراً اسمَه الظاهر، حتى نشر الله دعوته وأبان حجته، وأعظم هيبته وصولته، وعمّم بركته، وأجمع الحاضِرُ والبادِ، على أنه القطبُ الفرد في العباد، كما قيل في جدِّه:

محمـدٌ بشَـرٌ لا كالبشَـرْ　　　بل هو الياقوتُ بين الحجَرْ

وخليفتُه من آلِ المصطفى، الحامل السرَّ بعدَ جده، قالوا العلماءُ: «لم يزل الواحد من أهل البيتِ بعدَ الواحدِ، حتى لم يبق منهم واحدٌ».

هم الحاملونَ السـرَّ بعد نبيهم ووزّاثُه أكرمْ بهم مـن وراثـةِ

هـــم أمـــانُ الأرضِ فـــادّكرِ شـــبِّهوا بـــالأنجُمِ الزهُـــرِ

«قدِّموا قريشاً ولا تقدَّموها»، فهو إمامُ الأئمةِ، كما نقله وقاله الأئمة،

* * *

وإذا صحت له هذه المنقبةُ، كما بينا ذلك في خاتمة الباب الرابع، بأنه القطبُ الغوثُ، الذي تدور عليه الدوائرُ، وبيقينٍ لا عن تخمينٍ، فانظره مفصَّلاً، كما أشرنا إليه في البابِ المذكور. فلا درجة أعلى منها، فلنقصِرْ عنانَ القلمِ في هذا الباب، ونختم بذكر الوفاةِ، لما سبق في حكم الكتابِ، ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، فإنا لله وإنا إليه راجعونَ، وإنا إلى ربنا لمنقلبونَ، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢]، يحقّ فيه حقًّا ما قالَ والدُه في أمثاله:

مـن الـذينَ بعلْـمِ الله قـد عمِلُـوا واسـتغرقتْهم عبـاداتٌ وأورادُ

دعـــاةُ خـــيرٍ مهتـــدينَ رضَـــا مـن سـادةٍ مـا لهـم في الفضْـلِ أنـدادُ

حدَا بهم هـادمُ اللـذاتِ فـانطلقوا إلى مصـــيرٍ بـــه فـــوزٌ وإســـعادُ

برازخُ النورِ دهليزُ الجنانِ مـن الـــ ـفِرْدوسِ والعَدْن يا لله ما فَادوا

فـالموتُ للمـؤمنِ الأوابِ تحفتُـه وفيه كـلَّ الـذي يبغِـي ويرتـادُ

لقـاءُ الكـريم تعـالى مجـدُه وسَـما مع النعيمِ الذي مـا فيـه أنكـادُ

فضْـلاً مـن الله إحسـاناً ومرحمـةً والفضْـــلُ لله كـــالآزال آبـــادُ

وقال نفع الله به في الدارين آمينَ: «الحمدُلله الذي جعل الموتَ تحفةً لكلّ مؤمنٍ، وزلفةً لكل محسنٍ وموقنٍ، أعني به المتمكن المخصوصَ بالإدناءِ، وإنما كان مزلفاً له مع أنه قد كان قبله في عينِ الجمع والشهودِ، عاكفٌ بروحِه في حضرة المشهود، لشأنٍ وهو أن الإنسانَ، وإن كانَ من أهل العرفان، ما دامتْ روحُه في هذا الجسْم الظلماني الفاني، لا يتم له انكشافُ الجمالِ الرباني، ولا يتم تخليصُه إلا بالموت».

* * *

ومن العجيبِ والغريبِ: أن سيدَنا الوالدَ في مسْجد (الأوابين)، سنةَ ١١٨٨، في شهر رجبٍ الأصبِّ، يومَ الثلاثاءِ، آخر مدْرَسٍ فيه لسيدنا الحبيبِ الحسنِ، ختم عليه كتاب «تثبيت الفؤاد»، وفيه ختمَ بذكرِ وفاةِ القطب الحبيبِ عبدِالله الحداد، والد الحبيب الحسنِ، إشارةً إلى أن الولدَ سرُّ أبيه.

وكذلك وافقَ في آخر مدْرسٍ درّسَه في مسجد (الحاوي) بعد العصر، أقرأ في «تفسير البغوي» عليه، ابتدأتُ من أوله إلى سُورة يوسف عليه السلام، قرأتُ في آخر مدرس أول السورة في التفسير إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وكأن نفع الله أطلعه الله تعالى على مدة عُمره الشريفةِ، سمعُت أخته سلمى المتوفية قبله بيومٍ، تقولُ له: «إنكَ ما تراقب الناس!، إذا ماتَ ميّت من الأشرافِ وإن كان كبيراً، بعد الثلاثة الأيام تطْلِق الحزَن، فإذا ماتَ واحدٌ منا بايتبعونَ جنازته بالطبلِ!».

فأجابها: «أنا وأنتِ بانموتُ في مرضٍ عام، في الجمعةِ، وفناءٍ كثير، وهارّة تشْغَل كلاَ عن الطبلِ وغيره»، فكان كذلكَ، ابتدأت الأمراضُ بأهل حضرموتَ، خصوصاً بتريم، وسيون، وشبام، ونواحي تلك البلدانِ، وتوفي من (تريم) ونواحيها نحوُ ستةِ آلافٍ، جملة الفناءِ، في الصغار والكبار والنساءِ، وأعيان السادةِ آل أبي علوي.

أول من ماتَ ليلةَ الأربعاء الثامنِ أو التاسعِ والعشرينَ من شهر رجبٍ

الأصبّ: السيدُ علوي بن عمر الحامد العلوي، والمرضُ بالناسِ ابتداؤه من آخرِ شهر رجبٍ الأصبِّ، إلى أول شهر عاشور المحرّم، قد يدفنون في القبر من كثْرة الأمْوات ثلاثةً في قبر واحدٍ إلى القبلة، وواحد بالوسط، وبعده واحد، وقد يدفنون رابعاً، بعد أن يهيلوا التراب فوق اللبِن على المتقدّمينَ، وكان سيدنا كاشَفنا بذلك من أولِ سنةٍ في المحرّم عاشور سنة ١١٨٨، قال بعد ما هلَّ الشهرُ المحرّم: «هذه السنة شوها صماء وعمياء»، فكانتْ كما قالَ. ابتدأ الأمرُ بعدَ ستة أشهرٍ من كلامِه، آخرَ رجبٍ الأصبِّ من تلك السنةِ، مع أنه فيها رخاءٌ وأمطارٌ وأسعار رخيةٌ.

* * *

وكان نفعَ الله به، من كشفه واطلاعِه على الوفاةِ آخرَ وقته، قالَ للوالد أحمدَ، والفقيرُ حاضرٌ كلامَه، قالَ نفع الله به: «إذا مِتُّ لا تعلمونَ بموتي أحد، ولا ترسلون إلى البلدان تُعْلمونهم، ولا تفعلونْ ضيافة نهارَ الختم، إلا من علمَ أحدٌ من السادة وأهل تريم، فصلَّى وحضَر دفني، فلا ترقُبوا الجموعَ، وصل عليَّ يا أحمد، وادفنوني وافعلُوا الأكملَ في الغسل والكفن، وكفنوني في الذي مدَّخِره لنفسي من ثيابِ والدي عبدِالله الحداد، تمرَّضَ فيه وتوفي وهو لابسُه، فهو يكفي، أول ثوبٍ فاجعلوه ملامسَ بدني، اللفافتين الثنتَين بعده، ومرادي لا أحدَ يكلفُ الناس على الجمعِ على جنازتي».

فما صبرتُ أنا، فقلتُ له: أما أنتَ أرسلتَ لكافة أهل الجهةِ الأخدامَ راكبين على الخيل، يُعْلمون الناس بوفاة والدك الحبيبِ عبدِالله الحداد في البلدان، واجتمع عشرون ألفاً على الجنازة، وأضعافها نهارَ الختم، وفعلتم ضيافاتٍ، وأطعمتُم من حضرَ الجنازة والختم، فقال نفع الله به: «خلّ هذاك الفعلَ، ذا عبدُالله حداد، وقليلٌ في حقه ما فعلناه» فقلتُ: وأنتم كذلك، فقال: «لا!، الحذَر ما أريد الظهور قبل موتي ولا بعدَه».

فلما توفي؛ فالذي سار يُعْلم أهلَ علوَى، (شبام) و(خلع راشد)، و(الغرفة)،

و(سيون)، و(بور)، و(تاربة)، ونواحيهم من البلدان. فلما طلعوا إلى (المعْجاز) التوتْ أرجلهم، ولم يقدروا يسيرون ولم يرجعوا، حتى دفنَ، نفع الله به، افتكّوا.

والذي ساروا إلى (عينات) و(قسَم) ونواحيهم، سارُوا العشاءَ، وقد مضى نحو ربع الليل، أرادوا ينامون قليلاً بـ(المسيلة) في غرْفة السيد شيخ شهاب بـ(هرَّان)، ولم ينتبهوا إلى قريب العصر، وقتَ خروج جنازة سيدي من البيت، ولما أرادوا يفتحون المكان الذي فيه البرّ والرّز، يفعلون الضيافةَ لمن حضَر الدفن، المفتاحُ ما فتح المكانَ، ولا قدروا في فتح البابِ بحيلةٍ ولا بصيرةٍ، حتى كسَروا البابَ، كل ذلك من تواضعه لله، ومحبته للخمول، وأن لا يعرفَ، فاعجبْ من هذا الإمامِ، وإخلاصه وعزماته وصدقه!.

* * *

وقالَ لي قبلَ أن يبتدئ به المرضُ: «أمَا يجيءُ عمر وحامد في رمضانَ إلى عندنا من (نصاب)؟»، فقلتُ له: لا يمكنهما ذلكَ، فرأيته ما استحسنَ مني ذلكَ، فمات جدُّهما وهما بـ(نِصاب) من (أرض العوالق).

ومن المكاشَفةِ بالإخبار لنا بموته في صِحته، نفع الله به، من أول سنة ١١٨٨، يقولُ: «أقبلت الدنيا عندنا، بانتقل عنها»، فقلنا له: أمَا عليكم دينٌ؟، وأين الدنيا يا سيدي؟، فقالَ: «قرُب الموت، باتكثُر الدنيا، بانتحول عنها».

ومنها: في مرضِه قالَ: «فلانٌ من السادة يموتُ بعدي بأشهرٍ»، فكان كذلكَ.

ومنها: أنه قبلَ المرضِ، وصل إلى (عدن) من الأصناء عمر ومحمد زنبيلٌ فيه قشْرٌ مليح، فقالَ للوالد: «افتحوه الآن، إن أحد بايموت ما بايطعَمه إلا الآن»، فأخرجوا منه، وفعلوا قهوةً شربوهَا من القشر المذكور، وبقي الزنبيلُ وما فيه إلى بعدِ موته ما طعمه أحدٌ، إلا هو ومن حضر عند فتحه.

ومنها: أنه نفعَ الله به يقولُ في مرضٍ موته للوالد: «ما هو يا أحمد إلا الموت»، ويقولُ له: إذا قال له ما هذا الاصْطلامُ؟ يقولُ له: «ما هو إلا ذلك الموت».

ومنها: أنه في مرضه يقولُ: «هاتوا الحجز، اشتروا الحجز».

ومنها: أنه في مرضِه يلحّ على بعضِ بناته، ويسألُ عنها كالمترحِّم لها لما توفت بنتها، نور بنت الخالِ محمد الباقر، ولا أعلمناهُ بوفاتها في مرضِه المذكور.

ومنها: أنه صلى على أخته سلمى، توفيتْ قبلَه ليلة الأربعاء، وست وعشرين خلتْ من شهرِ رمضان المعظم، فقالَ للأخ عبدِالله بن أحمد: «ناد بالصلاة على الكريمة، الكريمة سَلْمى ماتت»، وكان كذلك، ماتتْ تلكَ الليلة، وهي آخر من توفي من بنات الحبيب القطب عبدِالله، وهو نفع الله به آخرُ من توفي من أولاد الحبيبِ عبدِالله المذكور.

* * *

وكان نفع الله به أولَ شهر شعبان سنة ١١٨٨، من الهجرة، وكنت جالساً في حضرته والأخ عبدالله بن أحمد، قالَ: «يا علوي؛ معاد بعد هذه السنة عمر لنا، زُرْ عنّا سيدَنا الإمامَ محمد بن علوي مولى مرباط، نيابةً عني لأني عازم على زيارتِه من زمانٍ قديمٍ، ومنعني بعدَ القضاء والقدر، قولُ الوالد عبدِالله لي: يا حسَن أعطيناك الشحر، أخافُ الوصول إلى الشحر فيحصلُ لي الإذن بالإقامة بها عن البلدِ (تريم)، ولما كشف للفخر أبي بكر عبدالله العيدروس يموتُ ويدفنُ بها، ولا يقبر بتريم، بكَى أسفاً، على أنه لم يقبر بتريم، حتى عميَ نظرُه من كثرة الأسفِ والبكاء، نفع الله به».

* * *

وكانَ نفع الله به، مع ابتداء المَرَضِ الشديدِ، لا يتركُ كلَّ عبادةٍ اعتادَها.

وابتدأ المرضُ لعشرٍ بقينَ من شعبانَ، إلى سبع وعشرينَ من رمضانَ، ليلة

الخميس أولَ العشاءِ، سنة ١١٨٨، كانت ليلةَ القدرِ، قال العلامة حامد بن عمر: «ظهرت لي أنها تلك الليلةُ ليلةَ وفاة سيدي الحسَن». وخروجُ روحُه الزكيةُ أولَ العشاءِ، في الشهر المعظّم رمضانَ، في الليلة المباركة ليلةَ سبعٍ وعشرين خلتْ منه.

* * *

ولما ابتدأ به المرضُ، يخرج إلى الصلوات الخمس قابضاً بالعصَا وبيدي، إلى أن يدخل المسجد، وكان آخرُ مخرجٍ له إلى المسجدِ صلّى الصبح بهم إماماً يومَ السبت، وبعد الصلاة والتسبيحِ بقيَ في القبلةِ، ويقرئون الحزْب وهو به حمّى نافض، وقع آخر مقرأ عندَه نفع الله به: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، فقرأ المقرأ إلى آخر السورة: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨- ١٢٩]، وقد قيلَ: إنها آخرُ آية نزلتْ على النبي ﷺ فلما أتمها مع الحمّى والنافضِ، بقي في المحرابِ، فشليناه منه إلى البيتِ، وكان آخر مخرجٍ له إلى المسجد.

* * *

ويومَ الثلاثاءِ، آخر ثلوثٍ في الشهر، مدْرَس (الأوّابين)، والوالد نفع الله به مرِضَ أول شهْرِ رمضانَ، وعمّ المرضُ جميع من في بيتِ الحبيب الحسن، الوالدَ، والأولادَ الجميعَ، وكافة أهل البيتِ، حتى الذين يخدمونهم أجانب، خدام البيت مرضوا، فلما قال له الوالدُ بعد الظهر يوم الثلوث: «هذا آخر ثلوث، والمسجد ملآن بالناس، أتأذنون لي أطلع للمدْرَس»؟ قالَ: «اطلعْ، وأنا بعدك»، وأمر بالمركوبِ.

فقام نفع الله به ونحن ماسكينه أنا والأخُ عبدُالله، فلبس عمامته وثيابه، فلما خرج من البيتِ وركبَ لم يتماسَك على المركوبِ من المرضِ، فأردناه يرجعْ فسكتَ، فلما سَار

به المركوب إلى قريبِ مسجد (الحاوي) قريبَ بيته، رأيناه لم يقدرْ على الركوبِ، ولم نقدر على مسْكه، فردّيناه إلى البيتِ بأمرهِ، نفع الله به في الدارينَ.

فما أشدَّ صبرَه، وما أكثر محافظته، وما أقوَى عزَماته على مآثرِ وعوائدِ ومدارسِ والده، وما رتّبه، وما أشد مواظبته على ذلكَ إلى المماتِ، وفي هذا السنّ الكبيرِ، والمرضِ ورِقّة البدن، فكان هذا آخر خروجٍ له إلى تحتِ البيت، ومذ دخَله لما رديناَه لم يخرُجْ إلا بعدَ موته، قدس الله روحه، ونور ضريحه.

* * *

ومرضُه مرضٌ خفيف، حمى يسيرة، مع نافضٍ، ابتدأ به يوم الخميسِ، بعد أن احتجمَ وهو بعافيةٍ، فلما قام من عند الحجام دخلَ عليه رجلٌ وعانَه، والله أعلم، فكان هذا السببُ، فحُمَّ ذلك اليومَ، فتعجّب الوالدُ أحمد، وقرّبَ الأجل، وقالَ: إن في «الجامع الصغير» للسيوطي: «**من احتجمَ يوم الخميسِ ومرضَ فيه، ماتَ فيه**»[1]، أي: في مرضه هذا، والعينُ حقٌ، فقد قال الحبيبُ عبدُالله الحداد: «أخافُ إلا من السهمِ والعَين»، فإنّا لله وإنا إليه راجِعون.

* * *

ثم في أولِ شهر رمضانَ خفّت عنه الحمّى، بل تشكّ في وجودِها، وانقطع النافضُ، بل مرضُه السيمَة عن القوتِ، والاصطلامُ، والاستغراقُ بحضرة الربوبيةِ، ويطالع في اللوحِ المحفوظ، ويظهر كراماتٍ ومغيباتٍ، ويبست البطنُ والمخروج، ثم تسهلت البطنُ بعد ذلك إسهالاً لطيفاً إلى المماتِ، ومن دخلَ عليه وكلمَه لم يسأله إلا عن المسلمينَ وعن حالهم، والوالدُ ابتدأ به المرضُ من أول شهرِ رمضَان، إلى فاتحة

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» وضعفه.

المحرم عاشور سنةَ ١١٨٨، لطفَ الله به، وكذلك أولادُه ابتدأ بهم المرضُ أولَ رمضان.

ولما مرض الوالد ألقى فراشه قريبَ والده بذراعٍ لا غير، فلما أراد الله تعالى للحبيب حسَن خروجَ النفس الزكيةِ في هذا المرضِ، لم يحبَّ الكلامَ، ولم يبتدئ به إلا في النادرِ، بل مصْطَلم، وإذا حركه أحدٌ أو مسّ ثوبه يتبرّكُ به يأمرْه بالرفقِ، نفع الله به.

ثم ليلةَ الخميسِ أولَ العشاءِ، الوالدُ وأولادُه: الفقيرُ، وعبدالله، ومحمد، وعبدالرحمن عندَ الحبيب الحسنِ، وحسينُ وعلي صغَار، ومعهم مرضٌ. حسينُ ابن نحو ثمانِ سنين، وعليٌ نحوَ الأربعِ، عرفَ الوالدُ أن والدَه في النزع، وأنا لم أعرفْ ذلكَ، لأني لا أراهُ يتحرك، ولا سالت له نفسٌ، والوالدُ يسترجع، ويقطّر الماءَ في فمِ والدِه بالقُطنةِ، والفقير ابتدأتُ بقراءة الفاتحةِ وآية الكرسيّ وخواتيم سورةِ البقرة، من ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] الخ، ثم سورة يس المعظمَة، حتى انتقلَ إلى رحمة الله في الليلةِ المذكورة، وهي ليلة الخميسِ، وسبعٍ وعشرينَ من رمضانَ سنة ١١٨٨، ثمانٍ وثمانين ومائةٍ وألفٍ.

ولم نعلمْ أحداً من أهل البيتِ، وأمرَنا أن أستدعيَ الخادم حمدون عكيمان، فأرسلنا له وهو في ختمِ مسجد (الهجِيرَة)، فخرجَ، وأمرني أن أكتبَ على لسَانه أوراقاً لمناصب الجهةِ؛ للحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، والحبيب عمر بن زين بن سميط، والحبيب سقاف بن محمد [بن عمر] بن طه السقاف، وكلّ السادة والأعيانِ بحضرموتَ، علوَى وحدْرَى، وكل من أرسلناه تصرّف فيه سيدنا الحبيبُ الحسنُ، ولم يقدروا يبلّغون الأوراقَ لهم على ما تقدّم.

* * *

فحضَر أهلُ تريم جنازتَه مع المرضِ الشديد معَهم، غالبُهم صلّوا جالسين في الجبانَة عليه، ولم يقدروا على المشْي إلى الجبانة، وبعضُهم من البيوتِ، ينظرون النعشَ، المرضُ الشديدُ مانعهم عن الحضُور، ونية المؤمنِ خيرٌ من عمله.

وسمعُوا عليه المسيِّدينَ ينادون في الهواء آخرَ الليل على سيدي، يندبونه قبل موته بأربعة أيامٍ، وواحدٌ من أهل البلد (تريم) في الليلِ ليلةَ الوفاةِ، رأى السماء انفتحت أبوابها عياناً، وتخرج الملائكةُ منها يريدون حضورَ جنازةِ سيدي، فغُشي عليه، وأعلمَني بذلكَ، وجارٌ لسيدي رأىَ رؤيا عظيمةً باهرةً، ستأتي في الباب الرابعِ، بأن والده والأولياء كافّة اجتمعُوا في مسجدٍ واسعٍ عظيمٍ، يرحبون بقدُوم سيدي عليهم، كما ستأتي مفصّلةً، وثانٍ رأى بأنهم اجتمعُوا وولّوه عليهم.

* * *

وغُسّل سيدي على الأكملِ، واجباً وسنةً، حضرنا الغسلَ، والخلقُ لم يخلوا الماءَ يطيح ويسقط في الأرضِ، كلٌّ يأخذ منه تبركاً، له ولأهله، وجعلنا ثوبَ والدِه كما أوصَى بذلكَ ملامسٌ بدنَه، لأن والدَه يقول: «لباسُنا عُدّة للنوائبِ»، وقال الوالدُ: لو كان لي مقدرةٌ من المرضِ على أن أغسّل والدي، لكان غسّلته كما غسّل هو والدَه الحبيبَ عبدَالله الحداد، نفع الله بهما آمين.

ثم اجتمعتِ الخلائقُ بعدَ الغسلِ، وبعد صلاة العصْرِ، خرجُوا بالجنازة إلى الجبانة، وصلى عليه الوالدُ أحمدُ، نفع الله به، ودفنَ شرقيَّ والدِه عبدِالله، محاذياً قبر أخيه الحسينِ، والذي دخل القبرَ من السادة: عبدُالله بن أحمد بن علوي، والحبيب عبدُالله بن علي بن علوي الحداد، رآه واسعاً ورأى أنواراً وأموراً وأشياءَ لم يطقْ حملَها، فمرِضَ وماتَ بذلك المرضِ بعد أيامٍ، بعد سيدي، نفع الله به.

قال الشيخُ عبدُالقادر ابنُ الشيخ محمدٍ باقيس بـ(دوعن): «ليلةَ وفاةِ سيدي الحسن، سمعتُ منادياً يعْلم بوفاةِ سيدي»، مع أن بيننا وبينه مسيرَ أربعةِ أيامٍ، وناسٌ علموا به من طريقِ أهلِ الخطوَة، أي: من أهل الكشفِ، كلٌّ يخبر بوفاته، معَ بعد المكانِ، ولا يمكن في قصَر المدةِ بلوغُ الخبر، وكلٌّ فعلَ ختماً وقراءةً على سيدي: في بلدانِ (حضرموت)، و(الشحْر)، و(اليمَن)، و(مكةَ)، و(المدينة الشريفةَ)، و(ظفَار)، و(الهند)، و(مليبار).

والسيدُ أبو بكر بن حسينٍ بلفقيه فعلَ ختماً عظيماً في (آشي)، وكلّ من له تعلقَ بسيدي، أو عقيدةٌ، فعلَ قراءةَ قرآنٍ، وصدقةً، وضيافةً، وأنفقوا أهلُ (دوعن) وأهل (أرض العوالق)، وخصوصاً السلطانُ العولقي، صالح بن فريد، أنفقَ مالاً، وضيف نهارَ الختمِ، لأنه حبيبه وشيخُه ومعتَقدُه، ولسانُ الحالِ يقول:

رعَـى الله أيامـاً برامـةَ قـدْ خلـتْ ... وأوقاتِ طيبٍ ما عرفتُ لها قـدْرا
أويقـاتُ وصـلٍ لـو تبـاعُ شَرَيتها ... بروحِي ولكن لا تباعُ ولا تشـرَى

* * *

وأنشدَ لسانُ الحال:

أسَـفي عـلى زمـنِ العقيـق وطيبَـةٍ ... مـع جـيرةٍ كـانوا لنـا بكثيبـهِ
زمـنٌ صَـفا مشـروبُه آهٍ عـلى ... ما فاتَ قلبي من صَفا مشْـروبهِ
أترَى أرَى الوادي ويشرفُ ناظرِي ... وأرى بحَضْـرته جمـالَ حبيبـهِ
وأرنّحُ الأعطـافَ مـن فـرحِ اللقَـا ... بشـرَى بطيـبِ نَسيمه وهبُوبـهِ

فيا لله ما أقصَر تلكَ السنين في حالِ صحته، نفع الله به، وما أطولَ الأيام في مدّةِ مرضِه، وما أنكدَ عيشَنا بعده، وكل مصيبةٍ إذا طالتْ هانتْ، وأرى مصيبتَنا به تتجدّد

تجددَ الأيامِ والأعوامِ، كما قال أبو تمامٍ:

كانتْ لنا أعوامُ وصلٍ بـالحمَى ... فكأنهـا مـنْ طيبهَـا أيـامُ
ثـم اعقبـتْ أيـامُ صـدٍّ بعـدَها ... فكأنهـا مـن طُولهـا أعْـوامُ
ثـم انقضَـتْ تلـك السنونُ وأهلُها ... فكأنهَـا وكـأنّهم أحـلامُ

اللهمّ اجبرْني في مصيبتي هذه بخيرٍ منها، فعسَى الله بفضله يجبر ما انصَدعَ من قلوبنا بفقده، ويجمعنا وإياه في دارِ كرامته، فأي عينٍ لم تسحَّ دموعُها عليه، وأي قلبٍ لم ينصدع لفراقه ويشتاقُ إليه.

* * *

وكان انتقالُه في محضَرته الكبيرةِ، عند الجدار الشرقي من الخلْفَة الشرقية البحرية ونجْد، لأنه تمرّضَ في ذلك المكانِ، والوالدُ في الغوظة البحرية الشرقية، ينام مدةَ مرَضِ والده فيها، ولم يعْلِموا أحداً بموته إلا بعدَ الفجر، أرسلوا إلى البلادِ، إلى مساجد السلفِ ليقرأوا له الفاتحةَ بعد الصلاةِ، فانقلبوا أهلُ البلاد ونواحيها، وأهلُ الحاوي في صيحةٍ واحدةٍ، وخرج الداعي من البلدِ (تريم) و(دمّون)، و(عيديد)، وخوراج البلدِ.

وكل أظهرَ الكمَد، وانقلبت الدنيا مرّةً، وأظلمت الأرضُ لهولِ مصرعه، وحُقّ لها أن تظلمَ، فالصابر المتمسكُ الذي يحمِدُ ويسترجع وهو يبكي، وما أظن عيناً لم تبْكِ لفراقه، ولا قلباً لم يحزَنْ عليه، فكم يومئذٍ ذلكَ اليوم من عينٍ باكيةٍ، وكم من أصواتٍ بالضجيج والعويل عليه، ولكن الحالَ كما وردَ: أنه ما نزلتْ مصيبةٌ إلا ومعَها من اللطفِ بقدَرها، فالحمدُلله على كلّ حالٍ من الأحوالِ. شعراً:

ومـنِ الـذي يرجُـو البقَـا بعـدَ أحمـدِ ... نبيِّ الهدَى مَن نورُه يخجِلُ الشـمْسَ

ووردَ: «**من أصابته مصيبة فليذكر مصيبته فيَّ**»، ﷺ.

والحمدُلله حيثُ منَّ بخليفته الجامعِ للشريعة والطريقة والحقيقةِ، ابنه والدَنا أحمد الثبات ابن حسن العَواقب والنياتِ. وقد أرخ موتَ والده بقوله:

وبليلةِ خميسٍ بعدَ عشاءٍ ... فاضتِ الروحُ قائلةْ يا عليّ

ولعِشرينَ ثمّ سبعٍ ولاءً ... ليلةَ القدر هُو بذاكَ حفيٌّ

إن تشأ تاريخه يا صفيّ ... هو قطبٌ عظيمٌ وليُّ

١١١ ١٠٢٠ ٤٦

ولابنه، أخينا عُمَر:

إن تشَأ تاريخَ نقلتِه ... (شمسُ وقتِهْ) لاحَ لا جدَلُ

ولغيره:

يحكي القريضُ تاريخَ نقلته ... يبشِر بنيلِ المنَى من ربِّه الصّمدِ

وللفقير تواريخُ أربعةٌ، أولها: (ولسوفَ يعطيكَ ربُّك أينَ تريدُ)، **ثانيها**: (جَواد يعطيكَ أبداً ويرضيكَ)، وثالثها الشطْرُ الثاني من هذا البيت:

تاريخُ الوفيّ عددُ منشدٍ ... الخيرُ بَقِي في أبي الأحمدِ

ورابعُها: (أبٌ خاتمُ الأقطابِ).

ولبعضِ السّادة شعراً:

ثلاثُ تواريخٍ ببيتٍ أتَى له ... لميلادِه والعمرِ والموتِ للأبدانْ

فميلادُه للأرض (وَبلٌ) وعمرُه ... (وليٌّ جَلي) والوفاةَ (يُسأل الرضْوانْ)

١٠٩٩ ٨٩ ١١٨٨

وقال السيدُ شيخ بن محمد الجفريّ، في كتابه «كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية»، في سلسلة طريقة شيخِه الحسنِ، وابتدأ به، كما تأتى في الباب الثاني، قال فيه: «وضابط موته:

تاريخُـه يحـصل بـالله العَـلي (حاوي تريم) نورُه لاحَ جَلي

وأيضا يجمعُه: «شيخُ كبير ولي»، رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار». قالَ: «وقلتُ مرثياً له، حسبَ ما أنا أهلُه لا حسبَ مقامِه الشريفِ، قلتُ:

يـا لقلـبٍ قـدْ تـولاه الحـزَنْ ومـلاهُ وَحـشاه بمحَـنْ
بهمـومٍ وغمُـومٍ لم تـزلْ فيـه تحرِقْـه بنـارٍ مـن مهَـنْ
وعيـونٍ بـدموعٍ قـد جَـرتْ كعيـونٍ سـائلاتٍ بـالوجَنْ
لفـراقِ الـسيدِ الـسنَدِ الـذي نعتُـه بـالخير سرًّا وعلـنْ
خطبُـه عـمّ الجـوارحَ كلهـا سيّما قلبـي بـه الحـزْنُ قطـنْ
فلـذا قلـتُ لـه يـا قلـبُ جُـدْ لي بـضابطِ عامِـه إن تحـسبنْ
فأجـابَ مـسرعاً لا ريـبَ في ما أقولُ عند أربـابِ الفطـنْ
قـد أتَـى التـاريخُ بـادٍ إنـه (جنة الفردوس قد حلَّ الحسنْ)
رحمـةُ الله عليـه دائـماً ما بإذنِ الله حُـرِّك مـا سـكنْ
وختَـامي بابتـدائي قـائلاً يـا لَقلـبٍ قـد تـولاهُ الحـزنْ

وأمر بكتبِ هذه الأبياتِ في الشاهدةِ على ضريح والدِه، شيخُنا الوالدُ العلامة أحمد، وهي هذه:

هذا ضريحٌ قـد حَـوى حـبراً عظـيماً كَـاملا

حسنُ اسمُه وصِفاته　　نجلُ لحدادِ العُلا
إن شئتَ عام وفاتِه　　(ضيفٌ بربّه نازِلا)
يا رحمةَ الله أمْطِري　　مثواهُ سحًّا وابِلا
واحلله يا ربِّ من الـ　　ـفرْدَوسِ قصراً عاليا
معْ آلِه وأحبابِه　　ربّ استجبْ يا وَاليا
ثم الصلاةُ على النبيّ　　وصَحبه والأولياءْ

قبرُه الترياقُ المجرّب، ما قصده أحدٌ إلا وقد أنجحَ، وأعلمني بعضُ السادة من طلبة العلمِ، شق عليه الصداعُ من المطالعةِ بالليل في الكتبِ، فتوسّل عند ضريحِ سيدي بدفْع الصداعِ، قال: فزالَ عني في الحالِ. وجرّبَ بسرعةِ الإغاثة لمحبيه والمستندينَ إليه، نفع الله وأعاد علينا من بركاته وأسراره، وجزاه عنا أفضل الجزاء، آمينَ.

وزيارتُه ولو هنيهةَ أو كحلبِ شاةٍ، أو كشجِّ بيضَة في النارِ، أو ساعةٍ من ليل أو نهارٍ، تقضى بها الحاجاتُ للمريدِ، كما قيل شعراً لبعْضِ الأولياء:

إن القسَاوةَ لا دواء لضُرِّها　　إلا زيَارةُ ساكنِ الألحادِ
ولربَّ زورَةِ عارفٍ أرْبَى الفتَى　　بها على العبّاد والزهّادِ
ولخيرُ أعمالِ العبيدِ جلوسُهم　　عندَ الوليّ هنيهةً للصادِ

فقبره معروفٌ بزنبل بتريم، رحمه الله عزّ وجل، إن ربي غفورٌ رحيم، وقد ذكرَ في كتاب «الفوائد السنية في فضل السادة العلوية»، لوالدنا: أن رجلاً من محبي والدِه الصادقينَ زارَه في أمرٍ مهمٍّ نزلَ به، فخرجَ مستغيثاً به، فخرج له من قبرهِ، فقام هارباً إلى البلدِ، ودفع الله عنه ما أهمّه، ورجلاً أعمَى من فقرائهِ زارَه، فأخرجَ له من قبره قرْصَ برٍّ حَارٍّ.

انتهى البابُ الأول في ذكر تاريخ مولده وما يتعلقُ بذلكَ،

ويليه البابُ الثاني.

* * *

البابُ الثاني

في ذكر شيءٍ من ثناءِ الأكابرِ من أهلِ عصْره

البابُ الثاني

في ذكرِ شيء من ثناءِ الأكَابر من أهلِ عصْره عليه نفعَ الله به

اعلمْ أولاً؛ أنا تقدمَ ثناءُ علماءِ عصرهِ وأقرانه عليه، وما ميزَه به، وما تكلمَ به فيه، ليكون كلامُهم كالدهليزِ لكلامِ والده، وتأييداً، إذ هم من أولياء الله تعالى، وأكابر علماء عصره وأقرانه، لأن المعاصر لا يناصرُ، فإذا شاهدوا عن عيانٍ، وهم من المقتدَى بهم، كما نبين لمن يعرفهم ببعضِ الإشارةِ، بمعرفة مقامِهم تبينَ له المتكلم.

وفي الحديث القدسي قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**»، إلى أن قالَ: «**ولسانه التي ينطق بها**». ذكره ابن حجرٍ في «شرح الأربعينَ الحديث».

* * *

فإذا كان كلامُ أوليائه المحفوظينَ منه تعالى، فاعلم أنا لم ندركْ من معاصِري سيدي أحداً، وإنما سمعنا الأقلَّ على لسانِ أولادهم ومريديهم الثقاةِ، وإن كنا عجَزنا عن الكلّ، فالقليلُ يكفي لمن خلي عن الحسد، وصار مرادُه اتباعُ مولاه الواحد الأحدِ.

وأما من استحكمت عليه الرسومُ واتباعُ شهواتِ النفوسِ، ولم يخلُ عن الحسدِ، فما قصدناه بالكلامِ، لأن الله لم يطهّره عن هذه الخبائثِ، فيبدأ بصلاحِ نفسه، ويجلو

مرآة قلبه، ثم ينظرُ في ذلكَ، فإذا هو من أهلِ الخطابِ، ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الرعد:١٩].

لأن الله سبحانه تفرّد عن مشابهةِ خلقه، وحدانيتُه ظاهرةٌ، وآياته باهرةٌ، وأما أولياؤه من البَشر فشكلُهم وشبههُم بأجسامهمْ كثيرٌ، وولايتهم خافيةٌ جدًّا، ما ينظرها إلا من استنار قلبه بنور الله، وإلا قالَ: هذا من البشَرِ،ولا درَى أن الياقوتَ من الحجر.

وقد تغلب النفسُ الأمارةُ والحسدُ على الآدمي، فيؤمن بالولي المتقدّم، ولا يصدقُ بالولي الذي في زمنه، لغلبة البشريةِ، أو لغلبة الحسدِ. كما وقع ذلك لنبينا محمدٍ ﷺ، فبعضهم ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ [البقرة: ١٤٦]، كما قالَ الله فيهم، ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

* * *

نعم؛ ومرادي من ذلك: الرحمةُ النازلة عندَ ذكر الصالحينَ، وهي رقةٌ تحدثُ في القلبِ عند ذكرِهم، فهي الرحمة المشَار إليها، وجزاءً لحقّ الشيوخِ، لأن حفظَ ذلك من آدابِ المريدِ. قال سيدُنا العلامة بالله محمد بن زين بن سميط، في الجزء الثاني من «اختصَار المناقب»، في ذكر من ماتَ وقد أخذَ عن سيدنا القطبِ الأوحد عبدِالله بن علوي الحداد: «ولم نذكرْ من الأحياءِ إلا قليلاً من الآخذينَ عن سيدِنا القطب الأوحدِ الحداد»، وترجَم لسيدنا الحسنِ بن عبدِالله الحداد نفع الله بهما.

ومع ذلك لم يأذن له يبسطُ في مناقبِه، لأنه كان يؤثرُ الخمولَ جدًّا، ويسعى في الخمول بكل سببٍ، حتى أن في «المناقب الكبرى»، ما يرويه عن والدِه يأمرُه سيدي محمدَ يقول: «قال بعضُ السادة»، والآ: «بعضُ الثقات»، ولم يصرّحْ باسمه إلا قليلاً، طلباً منه لذلك، نفع الله به.

* * *

قال سيدُنا محمدٌ في «كتابه المذكور»، لما ذكر أولادَ سيدي القطب عبدِالله الحداد، قالَ: «صحبوه مدةَ حياته، وأخذُوا عنه من علومِه وأسراره، وأشرقَ عليهم من أنواره، ولبسُوا منه الخرقةَ، وتلقنوا منه الذكر مراراً عديدةً، حلّ عليهم نظرُه الشريفُ، وتم اعتناؤه بهم. ولدوا كلهم بمدينةَ (تريم).

وأما علويٌ والحسنُ؛ فهما اللذانِ قامَا في مقام والدِهما بمكانِه، من تدريس العلوم النافعة، وإقامة رواتبه وحضَراته، وإطعام الفقراءِ المساكينَ، وإيواء الغرباء، وإيناس الطارقين والوافدينَ، وغير ذلك من وظائفِ الدين، التي وضعَها والدُهما، زادهما الله من الخيرِ، وأعانهما عليه وأدام النفع»، انتهى ملخصاً.

وقد جمع مجموعاً عدَّ فيه الآخذينَ عن سيدنا القطبِ عبدِالله الحداد، فقدم ذكر أولاده على التفصيلِ، كلَّ واحدٍ باسمه، ثم لما ذكر بحر المعارف قطب الزمن الحسن، قالَ: «كان سيدي الحسنُ ابنُ سيدي عبدِالله الحداد، نفع الله به وبوالده، وجزاهما خيراً، من أربابِ الجد والاجتهادِ، والعلم والعملِ، والتشميرِ في العبادة، والتبتل والزهادة، وكان ملازماً لوالدِه، مشمراً في خدمتِه، لا يكاد يفوتُه شيءٌ من مجالسِه ومدارسِه، ولا يفارقه في جميعِ أوقاته. قرأ عليه في العلمِ في جميعِ الفنونِ، فقهاً، وحديثاً، وتصوفاً، وسِيَراً، وغير ذلكَ مما لا يحصَى من الكتبِ، مع الاجتهاد في الطلبِ، من المطالعةِ، وبحثٍ، ونقلٍ، وتدقيقٍ، وتحقيقٍ، سيَّما في علم الفقهِ، أخذَ منه بحظٍّ وافرٍ.

هذا في حياة والده، وكذلكَ بعد وفاتِه، مع عمارة الأوقاتِ بالطاعات، والعمل بالصالحات المقرِّبات إلى رب البرياتِ، وإعراضٍ، وتغافلٍ عن الدنيا وأهلها، من جاهها ومالها، وقناعةٍ بالبلْغَة منها، ولزومٍ للأوراد، والأدعية والأذكار، وتوزيع الأوقات.

أخذ عن والده أخذاً تامًّا، ولبسَ عنه الخرقةَ، وتلقن الذكر شيئاً لا يحصَى. حجَّ

بيت الله الحرام سنة ١١٤٨، وزارَ نبيه عليه أفضلُ الصلاة والسلامِ بعد وفاةِ والده بنحو ستة عشر سنةً، وبقي بعد ذلكَ مكان أبيهِ، مع الاستقامة التامةِ، والإتباع في وظائفه الدينية، وأحواله العادية، والاشتغالِ بالفضائلِ عن الفضول»، الخ انتهى ما قاله.

* * *

وقال سيدُنا الوالد أحمدُ بن الشيخ الحسن المذكور: «لما حجّ الوالد وصلَ السيد المزهر، عبدُالله بن جعفر مدهر، لزيارة تريم، وطلبناه الصبحَ إلى بيتِ الوالد الذي بنيناه له في أيامِ سفره إلى الحج، وحضر العم علوي، والخال عمر حامد، والسيد محمد بن زين بن سميط، فلما اجتمعوا قالَ أحدُهم: إني رأيتُ كأن سيدنا الحبيب الحسن بن سيدنا عبدالله الحداد يطوفُ بالكعبة المشرفة، وهو مشمر عن ساقِ الجد، وينشد أبياتاً من قصيدة والدِه: «أقومُ بفرضِ العامريةِ والنفل»، ويرددها ويقف عندَ:

وأصلتُ من غمـد السـجية مرهفـاً عن العزْمِ ماضٍ قد تحاشَى عن الغلّ

ثم يكرر هذا البيتَ ويطوفُ بالكعبةِ، قال سيدي العم علوي والخال عمر: سمعنا من والده سيدنا عبدالله الحدادِ يقولُ: إنه ينتقشُ في ولدِنا حسنٍ شيءٌ بعد الحجّ، ما كان فيه من قبلُ، وقد قالَ والده: يكون له شأن عظيمٌ. وقد قال والدُه: إن طال عمره يصير حجةً على علمِه؛ فافهمْ هذه الكلمات العظيمةِ، بأنه يصير حجةً على علمه، وقد قال: حسنٌ حكيمٌ، وقد فسروا الحكيمَ: بأنه الجامعُ للعلم والعملِ، ويطرح الأشياء مواضِعها. وقد قالَ: إنه نائبٌ هو وأخوه علوي عن والدهما.

وقد قال والدُه له، كما أخبرني سيدي الحبيب الحسنُ، إشارة إلى زهده وتقشفه، بعد أن كانَ يخرج في كل فرض بثوبٍ: عادك يا حسَن تتركُ الرادي، فتركه تصديقاً لكلامِ والده من يوم حجَّ إلى أن ماتَ، فتركه أربعين سنةً لم يطرحْ رادي على ظهره، لا

في جمعة ولا جماعةً عند الناس أو في بيته، أينما كان حضراً وسفراً، تركه من حجه سنة ١١٤٨، إلى أن ماتَ نفع الله به، سنة ١١٨٨، وقد قالَ له والدُه القطبُ عبدالله الحداد أيامَ مرضِ موته: ما أسألكم إلاّ تدعون لابني الحسنِ، لأنه بايطول عمره، ادعوا له أن الله يعينه على زمانه وعلى نفسه، كما سمعنا من مريدِه الحبيب عمر البار، مراتٍ، أخبرونا أولادُه وتلامذته عنه.

* * *

وأخبرني سيدي بدرُ الدين الحسنُ المذكور، قال: إن الوالد أعلمني بما تصير إليه جميعُ أمورنا، وأمرني بالصبر، وعيّن لي جميعَ أعدائِنا، وقال لي: ما يصِلونكم بحالٍ، ما يرجع أذاهم إلا فيهم، وكيدهم في نحورهم، أبى الله إلا أن يكفيَ المؤمنين القتالَ.

* * *

وقال لي بعض خواصّ سيدي القطب عبدالله الحداد، قال: إن الحبيبَ عبدالله الحداد يحبّ سيدي الحسن حبًّا شديداً، ويميلُ إليه وكانوا كلهم ما يجون إلى حضْرة والدِهم إلا في بعضِ الأوقات: **أخوه علويٌ**؛ آخر عمْر الحبيب آثر الوحدَة، حالّ بـ(السُّبَير) في غرفة والده شتاءً وصيفاً هو وزوجتُه وأولادُه، كما ذكره الأحسائيّ في «تثبيت الفؤاد»، ويختلفُ في بعض الأحيان. **وأما زينٌ**؛ فتغلبُ عليه الوحدَة والروحةُ.

وأما الحسينُ؛ فأثقاله وأشغالُه كثيرة، وتعلقه بأحواله وأحوال الناسِ، وأحوالِ (شرْج بيت جبير)، وحرثٌ كبير معَه على السَّواني.

وأما سَالم ومحمدٌ؛ فقد تميزا عن والدِهما، واشتغلا بالأسفارِ. **محمدٌ** بيته في البلاد بـ(تريم)، وسَالم بـ(رَيدةِ المشْقاص)، وإذا جاءَ منها إلى بيته في (الحاوي)، فلا يحب إلا السكونَ والوحْدة.

وأما سيدي الحسنُ؛ فجميعُ أشياءِ والده بيدِه، وأضيافُه ووارديه والصادرين من

زيارته، ومعطيه والدُه أقاليدَ الصندوقِ الذي يوضّع فيه، وعادُه في المكتَب في العلمة، وسبحان الله! مع قوة جأشِه وجلالته يتأدب مع والدِه كثيراً، ووالدُه له عليه إدلالٌ زائدٌ على إخوانه كلهم، طارح نفسَه بين يدي والدِه كالميتِ بين يدي الغاسل.

وكان سيدنا الحبيبُ عبدالله بن علوي الحداد يحبّ علوي ولدَه، لكنّه يراقبُه كثيراً، لحدتِه وشدّة طبعِه. وكذلك يحب الحسنَ كثيراً، وزين كذلك يحبّه، ولا يحب أحد في جنابه يتكلمُ بشيء يكرهُه، لكن أراه يحبّ سيدي الحسنَ أكثرَ منهم، ويواليه ويطلعُه أسرارَه أكثرَ من الجميع.

* * *

ورأيتُ في وصْفِ سيدي الحسنِ، بقلم السيدِ العلامة عبدِالله بن جعفر مدهر، باعلوي، قال فيه: «هو العلم الأفخم السيد الحسن الأجل الأكبر».

وقال سيدنا العارفُ البار، عمر بن عبدالرحمن: «لا أفضّلُ علويَّ بن عبدِالله على الحسنِ بن عبدِالله، لأن الحسنَ زاد على علويٍّ بالعلمِ والعقلِ الكبير، والزهد، والحجّةُ على تفضيله على إخوتِه قولُه تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «للعلماء درجاتٌ فوقَ المؤمنين، سبعمائةِ درجةٍ، ما بين الدرجتين مسيرةُ خمسمائة عام».

وقال سيدُنا الحبيب العارفُ بالله ورسوله، الكامل القدوةُ، الشيخ العلامة الصوفي، عمر بن أحمد المنفر باعلوي، رضي الله عنه وعنا به، كما سمعتُ ابنيه حامداً وعلويًّا أخبراني بذلكَ، قالا: «قال والدنا: لو سَألني أحد من المشرقِ والمغربِ عن خليفة مولانا وشيخِنا عبدِالله الحداد، فلا أشك ولا أرتابُ أنه ولدُه الحسنُ».

وقالا: «قالَ أيضاً، لما طلعَ عنده يعودُه في مرضِه الذي ماتَ فيه، قال له: أسألك أن تجلس جلسةَ والدك التي في المدْرس، تجلس على كيفيتها، فجلسَ. فقالَ لأحد ابنَيه

الحامدِ أو علوي: قم هاتِ مرشّ الماورْد الملآن، وصبَّ على يدِ سيدي الحسنِ اليمْنى، وعلى ركبته المنصوبة، اليمنى، واليسرَى على الأرضِ، هذه جلسةُ والده.

فصبَّ الماورْدَ على اليدِ اليمنى، حتى سالَ على الركبَةِ والساقِ والقدمِ والأرضِ، وسيدي الحبيب عمر ينظر ذلكَ، ويقول: اسكُبْ الماورد. وكأنه ينتظر شيئاً في سيدي الحسنِ، ثم قالَ بأعلى صوتِه، بحيث يسمعُه من حضر: والله إني أشهدُ أنك في مقَام والدك القطبِ. وقالَ لابنيه الكريمين حامدٍ وعلوي: أوصيكُم بعدي بالانقيادِ لسيدي الحبيبِ الحسنِ، عليكم به، فإنه بارٌّ بوالديهِ، مسلّمٌ لقاءَ الله، فإنه توفي له أربعة من الأولاد، كل ليلةٍ يموتُ واحدٌ، ولم تدمع عينُه، وسلم الأمر لله، وأكثَر ما يرَى له: في صبره على موت أولاده الأطفالِ والكبار، وعلى برّه بوالديه، وصبره على ذلك مع رضَاهما عنه إلى أن توفيا، فهذا دليلٌ على رضَاء الله عليه»، انتهى.

* * *

ولما ماتَ ابناه الكريمان عبدُالله وحامد، مدَحه بعضُ الأخيار بكلامٍ في صَبره على موتهما وتسليمِه لقضاء الله، قالَ له: «ما بلغ صبري هذا مثلَ صبر حرْمةٍ ذكرُوها في الكتب الصحيحةِ: أنه وردَ ضيفٌ على زوجِها، ومعها من زوجها ثلاثة بنين صغار، فذبَح زوجها للضيفِ رأسَ غنمٍ، والأولادُ ينظرون. فخرج الكبيرُ منهم والذي يتبعه بالسنّ، وبيده شفرةٌ، وقال لأخيه: أتريد أن أريك كيف ذبحَ والدي رأسَ الغنم؟ قالَ: نعم؛ فنامَ تحت أخيهِ، وذبحه فمات، فلما رأى الدم خرج من حلقِ أخيهِ هربَ، وفزع، وهام في البرّيةِ، فعلم الزوج والزوجةُ بذلكَ.

فقالت الحرمةُ: أنا أصلّح اللحمَ وأطرحُه في القدر، وسر الحقْ بابنك، هاتِه لا يفوت مثل ما فات المذبوح هذا، فخرجَ يطلبه في البريةِ، ولا يجده، فمات الزوجُ من شدّة العدو في الحرِّ، مع حزنه بموتِ الابنِ الذي ماتَ، وفوْتِ الذي يطلبُه، ومات

الابن الهاربُ أيضا من العطشِ، فلما نضجَ اللحمُ وأبطأ الزوجُ عليها، خرجت الحرمة إلى تحتِ الدار، وخلفت الولدَ الصغير قده يحبُو على يديه، فلما خرجت سارَ يحبو، حتى جَاء إلى عند القدْرِ، وأكفأ جميع ما في القدر عليه فماتَ من المرقِ والحرارةِ.

فجاءها الخبرُ أن الزوجَ والابن الهاربَ ماتا، والأولي مذبوح عندها، فلما دخلتْ تريدُ تعطي الضيفَ اللحم، رأت الصبيَّ كفأ القدْر وطيّره عليه، وماتَ، فسلمت الأمر، وجمعت اللحمَ وقدمته للضيفِ، ولم تعلمْه بشيءٍ من ذلكَ، حتى خرجَ، نادت الجيران فدَفنوا ولدَيها، وسلمتْ لقضَاء الله، فمما صبري عندَ صبرِ هذه الحرمة؟!، فلما سمعَ هذه القصةَ، سكتَ هذا الذي مدَحه، فانظر كيف وعْظُه نفسَه بالقصّةِ.

* * *

وأعلمني سيدي الحبيبُ العلامة الحامدُ ابن العارف بالله عمر حامد، قالَ: «لما بلغ والدي كلامَ سيدي الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار، قولُه: إن الحبيب القطب عبدالله الحداد ألبسَني وأذنَ لي في الإلباسِ والتحكيمِ إذناً مطلقاً، قالَ: ولم يأذن لأحدٍ غيري فيما أحسبُ، إلا الحبيب أحمد بن زين الحبشي، باعلوي.

فغضب سيدي عمرُ حتى احمرّت عيناهُ، وقال: أفضَلُ وأعلا وأكملُ من ذلكَ، قولُ الحبيب عبدِالله لابنيه علويٍّ والحسنِ: أقمتكما مقامِي، وأنبتكُما عني، وأنتما خليفتَيَّ، وأدِّيا عنّي، فأين من أقامه مقامَ نفسِه، ومن وصفَ بشيءٍ وصْفَ خلقه؟ مثل قصة البار، ومن كان خارجَ (تريم)، وغير أولاده الكرام؟.

وإلا فسيدُنا عمر عارفٌ لهما القدْرَ الكثيرَ، بل ما سمعْنا مثل تواضُعِه لهما، وقرأ على سيدي الحبيب علويٍّ كتابَ «عوارف المعارف» الذي توفّي والدُه وهو يقرأ فيه، ولبس منهما بعد والدِهما، وقال لهما يوماً: كلّ ما معَنا فهو من جَنابكم، وجاء من عندكم، إشارةً من الحبيبِ عمَر إلى والدِهما».

وقال سيدي الحبيب محمد بن زين بن سميط في «مناقبه»، عند ذكر سيدي علوي: «وطلب منه السيد عمر البار أن يكمِلَ عنده كتاب «عوارف المعارف»، حيث توفي والدُه والسيدُ عمر يقرأ فيه، فأتمه عليه، ولما جاء السيدُ عمر البار في آخر زيارةٍ له، لم يقصِدْ إلا عندهما. وقالَ: ما نرَى نحن إلا أخدامْ أخدامِ عبدالله الحداد، فكيف بأولاده!. ولما أثنى عليه سيدي الحبيبُ علويٌّ في سفرِه هذا، وهو آخر زيارةٍ له لتريم، فقال له: من عندكم جاءَ، أي جميع ما معنا ولدَينا فهو من بركاتِ والدك».

قال سيدي الحسنُ بن عمر البار: «لما سار الحج سيدي علوي بن عبدالله الحداد سنة ١١٥٢هـ قال الوالدُ عمر: لو كان بايعود من الحج سيدي علوي لاستعدينا لضيافته والحمد لله الحبيب حسن بن عبدالله أفضل من أخيه علوي».

* * *

وقال سيدي الحبيبُ العارف عمَر بن حامدٍ، المتقدم ذكره، في قصيدةٍ أرسلَ بها لمريدِه الذي قرأ عليه الكتُبَ المفيدة وانتفعَ به، سيدي الحبيبِ محمدِ بن زين بن سميط، لأنه شكا إليه أحوالَ الزمانِ وأهله، في كتابٍ منه له، وخلّف بياض كثير تحتَ الورقة بلا كتابٍ، فجوّب عليه شيخُه الحبيبُ عمر فيه، ونظم له أبياتاً عدَّ فيها الأولياءَ الموجودين في زمنه، فقال في سيدي الحبيب علويٍّ، والحبيب الحسنِ ابني الحبيب عبدالله الحداد، نفع الله بهما:

* ونجمانِ في (الحاوي) يقيمانِ سنةً *

إلى قوله: «وأنت بها تدري».

وقال الحبيبُ عمر المذكور، عن والده: أنه سمعَ الحبيبَ عبدَالله يقولُ: «علم حسن حجةٌ على فلانٍ»، يشير إلى بعضِ إخوانه الذي هو أسنّ منه، فافهم قالَ: وكان

والدُه يقدمه على أقرانِه، وكان سيدي الحبيبُ عمر حامد لا يتقدّمُ على سيدي الحسنِ في إمامةِ الصلاة، ولا الدعاءِ، والقهوة».

* * *

وكان سيدي القطبُ أحمدُ بن زين الحبشي مع جلالة قدره، وكبر سنه، مع أن الحبيب حسن من الآخذين عن سيدي أحمد بن زين، فكان كذلك لا يتقدّمُ على سيدي الحبيب حسن، لا في صلاةٍ ولا غيرهَا، إذا وصلَ كل سنةٍ في حياةِ والده بطلابٍ من السيد أحمد للحبيبِ عبدالله والده في أن يرسِله إليه، ويأخذ عنده نصف شهر أو أكثر، كما حدثني بذلك سيدي الحسن.

قال: «ومرةً سِرْنا نحنُ والسيدُ العلامة عمر حامد، خال الوالد أحمد، إلى عند السيد أحمدَ بن زين الحبشي، في حياة الوالدِ عبدالله، فقال لي السيدُ أحمدُ يوماً من الأيام: مرادُنا نتبارك بالسيد عمر حامد يصلي بنا فرض من الفروضِ إماماً، قالَ: قلتُ له: قلْ له أنتَ، فإنه ما يطيع يتقدّم وأنا حاضرٌ أبداً. قالَ: فلما قالَ له، ما طاعَه أصْلاً. وكان سيدُنا الحبيبُ أحمد بن زينٍ يعظّم سيدَنا الحبيب الحسنَ، ويجله ويحترمه، ويشير إليه.

وإذا جاء سيدُنا أحمدُ إلى (تريم) يجلسُ في بيتِ الحبيبِ عبدِالله الذي هو قريبُ مسْجدِ باعلوي، ويطلعُ للقراءة عليه في كلّ يومٍ بأمر والدِه إلى عند السيد أحمد المذكور، إلى (الحاوي)، بين الظهر والعصرِ، وجدَ الحبيبَ الحسنَ وقاضي تريم عليَّ بن عبدِالرحيم بن قاضي يتدارسانِ في «تحفة الشيخ أحمد بن حجر»، فيحضرُهما، وإذا تعاشيا في مسألةٍ، يقولُ الحبيبُ أحمد بن زين للقَاضي علي بن عبد الرحيم: لا تعاشي حسن، فهمُه يزيد على فهمك، ولا يحصلُ من فهمك شيءٌ من فهمه».

* * *

وأخبرني العلامةُ الصوفي، تلميذ سيدنا الحبيب حسنٍ، محمدُ بن الشيخِ أبي بكر بانافع، قال: «قالَ السيدُ الإمامُ عمر بن حامد باعلوي: فتحَ لسيدي الحبيبِ حسنٍ بابُ المقابلة، ما يجيه أمرٌ إلا قابلَه بما يسكّنه، وما هو أوفق في مقابلته في الدين والدنيا».

قلتُ: وما كان سيدي العارفُ عمر بن حامد يعظّم سيدَنا الحبيب الحسنَ إلا لأنه مارسَه وعاينه، وهو من العلماء المكاشفين.

[ترجمة الحبيب عمر بن حامد]:

قال الحبيبُ محمد بن زين بن سميط في ترجمتِهِ لسيدنا الحبيب عمر بن حامدٍ، قالَ: «وكان الحبيبُ عبدالله يقولُ فيه: أنه من الواصِلينَ إلى الله، وأنه من الأربعين الذين بشَّر أنه يوصِلهم إلى الله ممن اسمُه عمر، فكان عمر هذا منهم، وقالَ له في مرض موته: إنك من الخلائفِ يا عمر، الله الله في أولادنا، وقد يحيل عليه في أجوبةِ مسائلَ فقهيةٍ، لعلمه بمكانته». قالَ الحبيب محمد بن زين بن سميط: «وكان الحبيبُ عبدُالله الحداد يشيرُ إلى سيدي عمَر بإشاراتٍ عظيمةٍ، ويؤمي بإيماءاتٍ جسيمةٍ، ويوصي به وبملازمته وبالقراءة عليه، وكان ذا كراماتٍ وكشوفاتٍ ومجاهداتٍ، وكان في أيام شيخِه الحبيب عبدِالله يدرّسُ العلوم النافعةَ بإشارته، وانتفعَ به خلائقُ لا يحصَونَ في العلومِ والأعمالِ.

كان على قدمٍ عظيمٍ من التمكينِ في حقائق اليقين، وكان سيدي أحمدُ بن زينٍ يثني على السيد عمَرَ حامدٍ، ويشير إلى أنه الخليفةُ بتريم، ويقول: إنه امتازَ بالمشيخة على آل أبي علوي، وجمعَ من العلوم الظاهرةِ ما جمعَه غيرُه من أعيانِ زمانه من أهل تريم، ثم لما انتسبَ إلى شيخِنا عبدِالله الحداد وضعَ عليه من إكسيرِهِ، فصيَّر جميعَ ما معه ذهباً».

قال السيد محمدٌ: «أخذ السيدُ عمر عن سيدِنا عبدالله الحداد من صِغَره أخذاً تامًّا، وصحبه ولازمه صحبة أكيدةً إلى أن بلغَ أربعين سنةً وهو كذلك، لبس منه الخرقة

الشريفةَ الفقرية الفخريةَ مراتٍ، وتلقنَ منه الذكر مراراً متعددةً، وأعطاه قبعاً من يده، وقد ألبسني بحمْدِالله هذا القبعَ بعينه، وكان لا يغيبُ عن شيءٍ من مجالسه ودروسه.

وكان جملةُ خطابه إذا كان حاضِراً إليه، خصُوصاً لما عندَه من العدّة وكمالِ التهيؤ والاستمدادِ، وفرط الذكاء والفطنة»، انتهى ما التقطناهُ.

لتعرفَ أنه من أهل الكمال، وأن كلامه المتقدمَ في سيدِنا قطب الزمنِ الحسن، عن حقٍّ وإطلاعٍ وكشفٍ، وأنه من الذين يعتمدُ على كلامِه، بل الواجبُ الأخذ بكلامه، لأنه من الصديقينَ. وإن شئتَ أن تنظُر إلى كراماتِه وخوارق عادتِه، وسيرته وكلامه، فانظر إلى ترجمته التي هي في النصفِ الأخيرِ من «المناقب الصغرى»، وكذلك ما جمعه ولدُه الحامدُ في كتاب مستقلٍّ تنظرُ العجبَ، وتحظى بالأربِ.

وسيدنا الحبيب الحسنُ تزوّج على أختِ الحبيب عمر المذكور، وهو خال جميع أولاده، وكان سببَ انقطاعِه وانقياده تحتَ قطب الدوائر عبدِالله الحدادِ كما أخبرني بذلك سيدي بدرُ الدين الحسنُ.

وكان أيضا سبباً في تصدّيه وتصديرِه لتدريسِ العلوم. قال سيدي الحبيب حسنٌ: «كان السيدُ عمر فيه أهليةٌ تامة للتصدّر والإفادة، ولكنْ كان يحاذر لأجلِ السيد العلامة عبدِالرحمن بن عبدالله بلفقيه، لأنه جارٌ له، ومتزوجٌ على أختِ عبدالرحمن المذكورِ».

قالَ: «فاستأذنت سيدي الوالدَ له في تدريسِ العلومِ، فأذن له، وأولُ ما قرأتُ عليه أنا، لأجل يقبلون الطلبةُ عليه، حتى تميتُ الكتابَ الذي بدأتُ فيه، واجتمعوا عنده طلبةُ العلمِ من ذلك الحين».

وأخبرني السيدُ العارف بالله عمر بن زين بن سميط باعلوي، قالَ: «قال السيدُ العلامة الإمام، شيخنا الحسنُ بن القطب عبدالله الحداد: قالَ لي السيد عمرُ حامد: ما

أحدٌ انتفعَ من آل أبي علوي بوالدِك الحبيبِ عبدِالله الحداد أكثرَ من السيد أحمد بن زين الحبشي، قالَ: قلتُ له: وأنت معكَ قسْمٌ من الانتفاعِ والسرِّ من الوالدِ، ولا أقولُ ذلك كشفاً مني واطلاعاً على ما أعطاكَ الله بواسطة سيدي الوالدِ، بل العلمُ والقرائِنُ».

فانظر أيها الناقدُ البصيرُ في هؤلاءِ الأكابرِ، كلٌّ يقدم صاحبَه على نفسه.

وعاش سيدنا الحبيب الحسنُ بن عبدالله نحوَ ثلاثٍ وثلاثين سنةً بعد وفاةِ السيد عمَر حامد المنفِّر باعلوي، فانظر أيها النحرير لما أعطيَ هذا الإمامُ قطب الزمن الحسنُ في بدايته فكيف في نهايته!.

* * *

وكذلك جميعُ أولاد سيدنا الحبيب عبدِالله الحداد وتلامذته، يرون له المزيةَ عليهم لجمعه العلومَ، مع خدمته لوالده، ومُطلعه على أمورٍ لم يطلعْ عليها غيرَه.

وقد تثبطوا السيد محمد الجفري، وزين العابدين الحبشي، وبقيةُ القراءِ الذي يقرأونَ على الحبيب عبدالله الحداد أن يقرأوا على السيدِ العلم الحبيبِ علويٍّ، لأنه ما درّسَ في حيَاة والده. قال الحبيب حسنٌ: «فلما رأيتُ تثبطَهم تميتُ كتابَ «سنن أبي داود» الذي توفي الوالد عبدُالله الحداد وأنا أقرأ فيه، تميتُ قراءتَه على الصنوِ علويٍّ، فلما رأوني قرأتُ عليه وابتدأتُ عليه، قرئوا جميعُ الطلبة عليه».

وقال سيدي قطبُ الزمن الحسنُ: «إن الصنوَ الأكمل الحسينَ، قالَ للصِّنوِ العارف علويٍّ: قُلْ للأخ الأفضل الحسنِ: مرادي أقرأ عليه في الفقهِ، وذلك بعد وفاة والدِه. فقالَ: فقالَ لي الأخُ علويٌّ: مرادي أنا والصّنو حسين نقرأ عليكَ في الفقه، فعيّنِ لنا وقتاً نقرأ عليكَ، وألحَّ عليَّ كثيراً، قالَ: فقلتُ له: سبحان الله!، أنتما أسنُّ مني، وقَد في الذي معَكما من العلمِ بركةٌ، وقد الصنو حسين قرأ على الوالدِ «البخاريَّ»، و«الإحياءَ»، و«تفسيرَ البغويِّ»، وكتبَ الوالدِ وغير ذلك، وقد درَّسَ سنة حجَّ في

الحرمِ الشريفِ سنةَ ١١٤٨[١]، وأنت قرأتَ على والدي كتباً كثيرةً، وقُدَكَ اليوم بعدَ والدي مدْرَس العصر عندك في المسجِد، تدرس للناسِ، فكيف لي أن أقرِئكُما، أو تريدُ أنتَ والحسين تعظِّماني وتفخِّماني عليكما، لا يكون ذلك أبداًا!». فانظر أيها الأخُ اللبيبُ؛ هل تجدُ مثلَ هؤلاءِ في زمانكَ؟ أو هلْ رأتْ عيناكَ مثلهم؟.

* * *

ومعلومٌ أن الولدَ سرُّ أبيهِ، ولا عجبَ أن يبدوَ عليه من السرِّ ما فيهِ، ولا غرْوَ أن يحذو الفتى حذْوَ والدِه ويقتفيه، وقد سئلَ أبو بكرٍ العدنيُّ: إذا ماتَ القطبُ الغوثُ، من يرثه؟ فأجابَ: «إن كانَ في أحدِ أولاده من أهليةٍ لها ورِثَ القطبيةَ، وإلا فالوارثُ لها المتأهلُ من غيرهم، وأما أسرارُه ومعاملاتُه، والمواهبُ التي منحَه الله إياهَا، فتقسَّمُ على أولاده»، انتهى بمعناه ملخصاً.

وقد قال سيدُنا الشيخُ أبو بكر بن سالم: «إن لم يكنْ في الأولادِ لها حاملٌ وأهلٌ لأسرارِ القطبيةِ، طرحناها في الكثيبِ»، أي: مكانَ قبره، «وإن كانَ للأسرارِ متأهلٌ من الأولادِ ورثَها»، فقدْ ورَثُوها وباركَ الله لهم فيها.

* * *

قالَ الإمامُ الواعظُ، محمد بن أبي الحبِّ التريميُّ، في «القوافي»، المشهورة:

وما حُزْنـاهُ مـن حِـلٍّ وحـزْمٍ　　　يوزَّعُ في البنـينَ وفي البنَـاتِ

وقال سيدُنا الحبيبُ المزهِر، عبدُالله بن جعفر مدهِر، نفع الله به، في المرثاةِ الدالية التي في سيدِنا الحبيبِ القطب عبدِالله الحدادِ، شعراً:

---

(١) في النسخة الثانية: سنة ١١١٨.

اللهُ ينفعُنَــا بـــه وبنسْــله وسرائــرُ الآبــاءِ في الأولادِ

وقالَ غيرُه من الأكابرِ، يرثي الحبيبَ عبدالله الحداد:

فــالله يرحمــهُ ويخلِـفُ بعـدَه ذريــةً والســرُّ فــيهم قُسِّــما

لازلتَ بالحـاوي أنيسـاً بعـدَه والنورُ في أرجَا فنائِـكَ خـيَّما

وقالَ السيد الأكبر، عمر بن عبدالرحمن البار، في المديحةِ التي في شيخه الحبيب عبدالله الحداد، رضي الله عنه ونفعنا بعلومه، آمين:

أبي حســنٍ شــيخُ المشــايخِ جملــةً إمـامٌ وبالحـدادِ يسْـمَى ويعـرَفُ

إلى أن قالَ في أولادِ شيخِه وأصْحابه:

له عصبةٌ سَادَتْ بــه وتشــرّفتْ كما بالنبيْ سَاد الصِّحابُ وشرِّفوا

كــأنهمُ في أبــرُجِ المجـدِ أنجــمٌ وبينهم البدْرُ الذي ليسَ يخسَـفُ

هـداةٌ ومهـديونَ نيـلُ رشَــادهم كــأنهم الأشــبالُ للأسْـدِ تخلـفُ

وقدمَ الصحبَ، لأن الأولادَ يدخلونَ مع الصحبِ، ويزيدون عليهم بالوراثة له.

وقالَ بعضُ الأكابرِ من علماء السادةِ، يمدح سيدنا القطب عبدَالله الحداد، نفع الله به وبعلومه، آمين:

يا شيخَنا الحـدادَ يـا أوحـدَ الـورَى فهيا بغارَهْ تدركُ العبْـدَ في الحـالِ

إلى أن قالَ:

فإنــكَ مــن بعْـدِ النبــيِّ إمامُنــا وقدوَتنا من غـير شـكٍّ وإشْـكالِ

فقد حزْتَ حالَ الأولياءِ جميعِهم فما لكَ من ندٍّ وضدٍّ وأشْكالِ

خليفةُ ربِّ العالمينَ بأرْضِه حياتَك وبعدَ الموتِ سرُّكَ في الآلِ

بنيكَ وخُصَّ البدْرَ منهُم هو الحسَنْ حَسِينُ المعَاني والصفاتِ والاحْوالِ

رَقى الرتبةَ العلياءَ عزًّا ورفعةً فليسَ له في ذرْوةِ المجْدِ أمثالِ

* * *

وقال الشيخُ الكبيرُ، العلامة محمّد صَالحِ المتفقي، ساكنُ (الصَّير) تلميذُ الحبيب الأوحَد الحداد، يرثيهِ ومن ذُكر معَه، بقصيدةٍ طنانةٍ، مع الثناء الكاملِ عليه وعلى أولاده، رضي الله عنهم، فلنأتِ بالقصيدة كلِّها برمتها، حفظاً لها، وقياماً بحقِّ منشئها، ومن أنشئتْ فيه، وهو أخذَ عن الحبيبِ عبدِالله الحداد بالمكاتبةِ، واتفق بابنِه زين العابدينَ وجملةٍ من تلاميذِ سيدنا عبدِالله الحداد، قالَ رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله الحكَمِ العدْلِ، الذي لا يظلمُ أحداً ولا يحيفُ، الدائم الباقي الحاكمُ بالموتِ على القويّ من خلقِه والضعيف، والعالم والجاهلِ والداني والشريف. والصلاةُ والسلام الأتمان الأكملانِ على عبدِه ورسولِه ذي الخلق العظيمِ والقدْر المنيفِ، سيدنا ومولانا محمدٍ الأحقِّ بالإجلالِ والتعظيمِ والتوقير والتشريفِ، وعلى آله الأبرارِ وأصحابه الأخيارِ الناصرينَ لدينِه والباذلينَ من دونه أموالَهم وأنفسَهم في كل نائبٍ مَخيف، وعلى التابعينَ لهم بإحسانٍ واعتقادٍ صالح وحبٍّ خالصٍ نظيف.

وبعدُ؛ فهذا مما أثارَته الأحزانُ المحرقة، والأشجانُ المقلقَة، لفراق الساداتِ الشرفاء، الكُرَماء الأجلّاء الأولياء، ذوي الأسْرارِ المصونة الربانية، والعلُوم الموهوبَة اللدنيّة، معادنِ المعارفِ واللطائف، ومنبعِ الفوائدِ والظرائفِ، سادَتنا وقادتنا الكاملين، الواصلين المكمَّلينَ الموصولين:

سيدي وسندي، وشيخي ورُوحِي، ومرهَمُ جروحي، السيدِ الشريفِ، العارف بالله، الحبيب القطبِ، عفيف الدين عبدِالله بن علوي الحداد، وسيدي وسندي، السيد الشريفِ، العابدِ الشهابِ، أحمدَ بن عمر الهندوانَ، المدفُونَين بالبلدِ المنور (تريم)، من بلاد (حضرموت)، وسيدي وسندي، السيدِ الجليل، الفاضل الشريف، علي بن عبدالله العيدروس المدفون بالمعْمُورة (سُورَتْ)، من بنادر (الهند). على أرواحهم المنوَّرة، وضرائحِهم المعطّرة، رحمةُ الله عليهِم وبركاتُه ورضوانُه وغفرانه وتحياتُه.

من نظْم خُوَيدِمهم ومحبهم المعتقِد، اللاجي الراجي المستمدّ، العبدِ المقصّر الواله الشجي، محمد بن صالح المتفقيّ. أفاضَ الله عليه وعلى كلِّ محبٍّ من بركاتهم وإمدادهم، وخيراتهم وإفادتهم، ومواهبهم ونفحَاتهم، ونفعَنا بهم وبكلّ ولي، مقرَّبٍ رضيٍّ، في القلوبِ والقوالبِ، والدينِ والدنيا والآخرة، وأعاذَنا بجَاههم من غمةٍ وندامةٍ، وتجارة بائرة، بفضْله ورحمه وكرمه ومنته، إنه أرحمُ الراحمينَ، وخير المنعِمينَ، آمين. قالَ جبر الله كسْره، وشرح صدْرَه، من البحْر الوافرِ، بهؤلاء الأكابر:

أكِسفٌ من سماءٍ ساقطٌ أمْ ... كسوفُ ضحًى عَشيّتُه خسوفُ
أم السيلُ العَريمُ طغَى فغطّى الأ ... ماكنَ فهو جرافٌ عَسوفُ
أم الساداتُ أعلامُ الهدَى قدْ ... توفّي منهم شيخٌ شريفُ
فما بالُ النهارِ دجَى ظلاماً ... وما للأرضِ يرجفُها الرجيفُ
وما لقلوبِنا فرقاً وخوفاً ... تطيرُ ولا يفارِقها الوَجيفُ
وما للحْلوِ في الأفواهِ مرٌّ ... ودمعُ العينِ ليسَ له جفُوفُ
أجيبوني فذا خطبٌ عَظيمٌ ... مهولٌ وقعُه وقعٌ مخوفُ
نعم ثكلتْكَ أمّكَ كيفَ لم تَسـ ... ـمعِ الناعي على الدّنيا يَطوفُ
يقولُ: ألا فمَنْ يَشأ فليمُتْ فا ... لمصائبُ والفواقم والظروفُ

جُرِعناهَـــا وذقناهَـــا جميعـــاً ... تقارِنُهـا الغصَـائصُ والحتـوفُ

لمـوتِ العـارفِ المـولى الـوليّ الـ ... ـمرَبي مـن معارِفُـه صـنوفُ

لفقـــدِ السـيدِ العلامَــة الكَــا ... مـلِ الحـدادِ فـاعلمْ يـا أسـيفُ

فحينَ سـمعتُ أنّ حبيـبَ قلبـي ... تغشّـى شـمْسَ مدّتِـه كسـوفُ

دهـاني مـا دَهـى فـذُهِلتُ كربـاً ... أنـادي يـا رحـيمُ ويـا لطيـفُ

وقلبــي صَـار منفُوشـاً كعهْـنٍ ... وإن العهْـنَ في التفسـيرِ صُـوفُ

وظلــتُ لمـا أصِـبتُ بـه كـأني ... سَـقيمٌ مـذْ خلقْـتُ كـذا دنيـفُ

جَفا الإغفاءُ جفْني بل تجافَى الـ ... ـمضَاجعَ جنبيَ الواهي النّحيفُ

* * *

وقبـلَ أشـهرٍ عنـدِي اكتئـابٌ ... وحزنٌ منه أهـلُ الجهـلِ عوفـوا

قـلَى قلبـي فـلا تسـألْ إذا مَـا ... أصـيبَ بقلبِـه المضْـنَى الهنيـفُ

لموتِ الفاضـلِ الشيخ الشّـريف الـ ... ـوليِّ وإنّــه نعـمَ الشــريفُ

أبي حســن عــليٍّ العيــدرُوسي ... هـو المشـهورُ والبحْـر المطيـفُ

وقـبلها الشّـهابُ وفاتُـه في الـ ... ـحشَا شـهبٌ لهـا لهـبٌ عنيـفُ

عنيـتُ الهنـدوانَ السِّـيدَ أحمـدْ ... لـه شرفٌ عـلى الجـوزاءْ يَنيـفُ

* * *

تراكمـتِ الغيـومُ عـلى فـؤادي ... وجسْـمي عـن تحمّلهـا ضَـعيفُ

فثـــانيهم لأولهـــم رديـــفٌ ... وثَـــالثهم لثـــانيهِم رَديـــفُ

ثلاثـــةٌ الشـــريعةُ أيّـــدُوها ... فهـمْ أبطالهـا وهُـمُ السـيوفُ

ثلاثـــةٌ العبـــادةُ حالفُوهَـــا ... عـلى صـومٍ يبـوحُ بـهِ الخلـوفُ

ثلاثـــةٌ الطريقـــةُ لازَموهَـــا ... وإن أضـنتهمُ وبَـدا النحـوفُ

أكابرُنــا الحقيقــةَ شــاهدُوها ... وللأمــلاكِ حــولهم حُفــوفُ
أئمــةُ اهتَــدوا وهَــدَوا وسَــادوا ... وهــمْ للعلــمِ أوعيــةٌ ظُــروفُ
أولــوا همــمٍ بهــا وصَــلوا ونَــالوا ... أولــوا كــرَمٍ بــه قــويَ الضــعيفُ
يضــيفونَ السّــخاءَ بالمــالِ للعلْــ ... ــم والتقــوَى نعمَّاهُــم يُضِــيفوا
لهــم خلــقُ الســماحةِ والحنيفيــ ... ــة الســمْحاءُ فيهــا لم يحيفُــوا

* * *

أيــا الحــدادُ بَعْــدكَ لــيسَ يَشْــفي ... غليلي النّــوحُ والــدمعُ الــذّروفُ
فراقُــكَ فــرقَ التركيــبَ منــي ... فجِسْــمي منــه منهَشــمٌ عَجيــفُ
حبيبــي منــكَ كنــتَ أشــمُّ شــيئاً ... بــه الأرواحُ تــنعَشُ والأنــوفُ
لفقدِكَ ماجَــتِ المهَــجُ اضــطراباً ... إلى طلــبِ الخــروجِ لهــا رَفيــفُ
بنفســي أنتَ لــو قُبــلَ الفــدا معْ ... تليــدِ المــالِ يتبعُهــا الطّريــفُ
لقــد خلفْتَنــا عطْشَــى حيــارَى ... لنــا في النفْسِ حاجــاتٌ تطــوفُ
فما لــك قــطّ مــن قلبــي غــروبٌ ... ونفسي عنــكَ لــيسَ لهــا عــزوفُ

* * *

بكتْـــكَ مؤلفـــاتٌ نافعـــاتٌ ... ونظــمٌ للقــريضِ هــو الشّــنوفُ
فوائـــدُها عوائـــدُها كثـــيرٌ ... زوائــدُها لهــا المعنَــى اللطيــفُ
حقائقُهـــا رقائقُهـــا تنــيرُ الــ ... ــقلوبَ وكلّهــا شيءٌ طَريــفُ
مواعظُ تكسِــبُ الهمَــمَ انتهاضــاً ... وتجذِبُ مــن بــه حجُــبٌ كثيــفُ
وعلمُــكَ زانَــه حفــظٌ وفهــمٌ ... وتقــوَى الله أنــتَ لــه حليــفُ
ومن حفِــظَ الكتــابَ بغــير فهــمٍ ... تشـــابهُهُ القماطِــرُ والرّفُــوفُ
ومــن لا علــمَ معْــه ولا استماعٌ ... لأهــلِ العلــم ماثلَــه الخَــرُوفُ

وهمتُــكَ الترقّــي في المعَــالي وهــمّ الغمْــرِ تمــرٌ أو رَغِيــفُ
وكــم أوتيــتَ مــن علــمٍ لــدُنّي تكشّـفُ سرّ غامضِـه الكُشـوفُ
ولا الأغيارُ غــارَتْ منكَ شيئاً ولــيسَ لهــا بباطنِـك الهتُـوفُ
بكتْـكَ (تَـريمُ) والـدنيا جميعـاً وفصْلُ شتّا وصيفٌ والخريـفُ
لأنــكَ غيثُهــا وغياثُهــا والــ ـذي بـك وجهُهـا نضِرٌ لطيـفُ

* * *

عفيـفَ الـدينِ لمـا كنْـتَ كنـزاً دفنْـتَ فأنـتَ ذخْـرٌ يَـا عفيـفُ
وروحُكَ قدِّسـتْ هي في رياضِ الـ ـجنانِ لهـا التـنعّمُ والخطُـوفُ
تشاهدُ ما تشاهِدُ من هبـاتِ الـ ـكريمِ لصفْوَةٍ صُـفّوا وصُـوفُوا
مقَــامٌ لم يزاحمــهُ التمنّــي ولم يــرَه الحكــيمُ الفَيلَسُــوفُ
وفي ذي القعدَةِ الشهرِ الحرامِ انْـ ـتقَالك فيــه إيْـماءٌ لَطيــفُ
إلى أنّ العــزَائمَ أقعِــدَتْ عَــن إقــامِ الــدّينِ يفهَمُــه الظريــفُ

* * *

أبــا حســنٍ حَــوالي دارِكَ النــا سُ ينظــرون كلهــم وقُــوفُ
إليك لهم حوائجُ كنـتَ نعْـمَ الــ ـمعينُ لهـم وكنـتَ بهـم رَؤوفُ
بسُورَتَ كنتَ نـوراً بـل وسـوراً منيعــاً لا تقاربُــه الزحُــوفُ
وسِرُّكَ في جميــعِ الهنــدِ ســارٍ وزادَ بأرضـها الخـيرُ اللفِيـفُ
ومنصَدعُ الأمـورِ بجَـاهكُم مـن صـحيحِ الحـبِّ ملتـئمٌ ثقيـفُ

* * *

وإن الهنــدوانَ مهنــدٌ مِــن ســيوفِ الله مَصــقولٌ رَهيــفُ
هــو القــوّامُ في صرآتِ ليـلِ الـ ـشّتا الصّوامُ إن وهـجَ المصيفُ

وأمــارٌ بمعــروفٍ وتقــوَى ونهــاءٌ عــن النكْــرِ صَـدوفُ

* * *

وكــلٌّ مــنهم شــيخٌ إمَــامٌ وليٌّ واصِــلٌ حــبرٌ عَــروفُ
رضيٌّ مَــرضيٌّ نــورٌ مضــيءٌ سَــخيٌّ محسِــنٌ بَــرٌّ ألــوفُ
نقُــودُ كلامِهــم في كــلِّ فَــنٍّ خَــوالصُ لم تمازجْهــا الزيُــوفُ
لأربــابُ الإرادَة والوفَــادة عــلى أبــوابهم أبــداً عكُــوفُ
فكـم ركِبـوا البحَـار وكابَـدُوها لهـا خبـبُ المسـيرِ أو القطـوفُ
بهـم شَـوقٌ لهـمْ ظمـأ إلى مَـا بـه منِحُـوا وخَصَّـهم اللطيـفُ
متى نفَحُوا المريدَ صفَا وصُـوفي وليسَ عن الوصُـول لـه وقـوفُ
فأين اليومَ يذهبُ مـن يريـدُ الـ ـسلوكَ وعنـد مـن تـأوي الضيوفُ؟
إذا وردَ المريــدُ يريــد شِربــاً وردَّ وقلبُــه ضَــامٍ لهيــفُ
لعمـري ثلمَـةٌ في الـدين كـبرَى لعمْــرِي طعنــةٌ نجْــلا تجيــفُ
تفتِّــتُ أكبــدُ العقَــلاءْ وإن لم إليهـا يهتـدي العقْـلُ السّـخيفُ
ألا إنّ السّـماء والأرضَ تبكـي علـيهم والمسـاجِدٌ والصـفوفُ
فهــم عمــدٌ دعَــائمُ ممسِــكاتٌ لبيـتِ الـدِّينِ أركـانٌ سـقوفُ
إذ الصُّــلحاء ذكــرتَ فحــيَّهلاً بهــمْ فمقَــامُهم فــيهم منيــفُ
منــاقبهم بحــورٌ زاخِــراتٌ لها هيهـاتَ تحصـرُها الحـروفُ
وتعــدادي لهــا غــرَفٌ ببحْــرٍ فهـلْ بـالغَرف يلحَقُـه نزيـفُ
عـلى الأرواحِ والأشـباحِ مـنهم وألحـادٍ ذكَـتْ نـورٌ عَكُـوفُ
ورضْــوانٌ وريحــانٌ مــدامٌ ورَوحٌ حَـولَ تُـربتِهم حَفُـوفُ
سقَاها صيبُ المزنِ الهتونُ الـ ـمريعُ النـافعُ الغـدِقُ الوَكُـوفُ

بــه نبتَــتْ ريــاضٌ نــاضِراتٌ	تُنَـافحُ زهرَهـا الثمَـرُ الوَرِيـفُ
وهــمْ في غنيــةٍ عــن نبتِهَــا إذ	مضاجِعُهم ذكَتْ فيهَـا العُـروفُ
وكــمْ مياسَــةٍ هيفــاءَ حَــوراءَ	تــزُفّهم لهـا وهــيَ الزَّفُــوفُ
بــدارِ الخلــدِ والولْــدانِ فيهـا	لهـم زفَـنٌ وقـد ضربَـتْ دفـوفُ
عــلى فــرحٍ بمقــدَمِهم إلــيهمْ	فهم لهمُ الوصَـائفُ والوصُـوفُ
وكم أخفـيْ لهـم مـن قـرَّة العَيــ	ـنِ ممـا لـيسَ يدركُـه الوَصـوفُ

* * *

وسـبحانَ الـذي أحكامُـه كلّــ	ــها بالعـدلِ تجـري لا تحيـفُ
قضى ما شاءْ وقـد فـرضَ الرضـا بالـ	ـقَـضاءْ والله بِـالراضي رَؤوفُ
ونـسألُ ربَّنـا حـسنَ العَـزا مـعْ	عظـيمِ الأجْـر إذ فُقِـد الأليـفُ
لكـلِّ فـروعهم ولآلهـم والــ	ــذي مـثلي بحُـبّهم شَـغيفُ
حمـاهُم رَبهـم مـن كـلّ سُـوءٍ	وممـا هــذِه الــدنيا تَـدِيفُ
وأرجــو أن سَــادتَنا الأجِــلاّ	بنـيهِمْ فـيهمُ خلَـفٌ عَطـوفُ
مفيــدٌ مرشِــدٌ أرِبٌ نَجيــبٌ	تقــي عــارفٌ ورعٌ خَــؤوفُ
يجـبِّر كـسْرَ أفئـدةٍ بهـا مِـنْ	تَــوالي مـا يهمّــشُها قَـصُوفُ
ولم لا والـصّلاحُ يفـوحُ مـنهُم	ومهْـما عاهَـدوا بالعَهْـدِ يوفـوا
ونــورُ الـصِّدقِ لـواحٌ علَـيهم	وكـلٌ قلبُــه صَــافٍ شَـغوفُ
وهم أغـصانُ تلـكَ الجـذْرِ حقًّـا	وفي الأغـصَانِ منبتُهـا القُطـوفُ
أفــاضَ الله مــن بركــاتِ كــلٍّ	علينَــا إنــه الــبرُّ الــرَّؤوفُ
توسّــلنا بهــم إن نــابَ أمــرٌ	ثقيـلٌ عـضَّ منـه أو خَفيـفُ
وأهـلُ الفـضْل للراجِـي كنُـوزٌ	وللاَّجـي المعاقـلُ والكهـوفُ

وألفي صَلاةٍ اتصَلتْ بألفَي ... سلامٍ والثنَا الزاكي أُلُوفُ
على أعلَى الورَى شرفاً وقدْرا ... نبيٍّ دينُه الدينُ الحنيفُ
وآلٍ ثمَّ أصحابٍ على سَا ... ئر العلَماء والصُّلحاء أنيفُوا
بهم أعمالُنا ختمَتْ بخيرٍ ... بلا خَوفٍ إذا قَومٌ أخيفوا

تمت القصيدةُ بعونِ الله تعالى وكملَتْ، جُعلتْ بفضْله من الأعمالِ التي قبلَتْ لما أقبلَتْ، وعلى ناظمِها الفقيرِ المسكينِ، الكسير الحزين، وله بالصِّلاتِ المتصلاتِ، والنفحاتِ الموصلاتِ، عادت ووصَلتْ، ببركاتِ أهل البركاتِ، الذين هم الأصلُ الباعثُ عليها، والسببُ الداعي إليها، وغيرِهم من سائر عبَاد الله الصالحينَ، وأوليائه وأحبابه المفلحينَ، عمّهمُ الله بأنوارِ رضْوانه، في مقاعد الصدْقِ من جنانه، ورحمنا وجميع محبيهم رحمةً تنفعُنا وترفعُنا، وفي زمرتهم تدخِلنا، بفضله وكرَمه وامتنانه.

آمينَ اللهُمّ آمينَ، وصلى الله على سيدنا ومولانا وأعلانا، محمدٍ، وعلى آله وأصحابه الأكرمينَ، وسلام على المرسلينَ، والحمدُلله ربِّ العالمينَ، وكان الفراغُ من نظْمِها سنة ١١٣٥، عدَدُها ١١٢ بيتاً».

* * *

وله أيضاً لما أعطَاهُ سيدُنا زين بن عبدِالله الحداد، لما وصل (الصِّير)، سبحةَ والدِه القطبِ الغوث عبدالله الحداد، وأظن الرسولَ بالسبحةِ الشيخُ العلامة علي المقيني، ساكن بلدَة (مفيس):

مساحبُ كفِّ سيدنا الحسَيني ... حبيبِ القلبِ نُور المقلتينِ
بسُبحته التِي أعْلا وأغْلا ... من الياقوتِ قدْراً واللجينِ
أقبّلها أعظمُها احتراماً ... وأدخلُها محلِّ الكُحْلِ عَيني
فكَم ذكِرَ الإلهُ بها ألوفاً ... مع الآلاف ألوفٌ مع مئِينِ

بقلبٍ حَاضر ولسانِ ذكْرٍ　　تخلّى ذاك عن عُجْبٍ ومَينِ
تلألأ نُور أنوارٍ وعلْمٍ　　وإلهامٍ منَ الرّوح الأمِينِ
أبو الساداتِ علويٌّ وسَالم　　وسيدِنا أبي العرفان زَينِ
ورابعُهم محمدٌ المعنَّى　　وصفْ حسَناً وأختمُ بالحسَينِ
محبّتُهم جميعاً لم تزايلْ　　حشَاشةَ مهْجَتي والكِليتينِ
بهم أرجُو الكرامةَ في حيَاتي　　وفي بعْثي وعندَ نزولِ حَيني
فبلغْهُم تحياتي وسَلهُم　　دعاءً صالحاً يا ابن المقَينِي
وصلّ ربَّنا أيضاً وسلمْ　　على طهَ إمامِ القبلَتينِ
وآلٍ ثمّ أصحابٍ كرامٍ　　عددْ متحَركاتِ الخافقَينِ

* * *

وله مدائحُ في سيدِنا عبدِالله الحداد، أطلعَنا عليها، ورأيناها خاصّةً، وكان يصف سيدنا الحبيب الحسنَ، ويمدحُه، وإن لم يره، بل يحفظُ سيرتَه من الحبيبِ زينِ العابدين بن سيدنا عبدِالله. وكان الشيخُ صاحبَ خوراقَ كبيرةٍ، منها أنه يرْوحُ ريحَ آل أبي علوي إذا أرادَ زيارتَه قبلَ أن يصل إليه، وإذا دخلَ بلداً يقولُ: أرْوحُ ريحَ فلانٍ، أخبروني بذلك الثقاتُ. ويظهر له سيدنا الحبيبُ عبدُالله الحداد كثيراً، وله معَه مناماتٌ عجيبة، رضي الله عنه.

* * *

[القصيدةُ الداعية إلى الهدَى الرادعة عن الردى]

ومن نظمه الرائقِ، وشعرِه الفائق، هذه القصيدة الجامعة، قال رضي الله عنه:

«هذه المنظومة، اشتملت على وصَايا ونصائحَ نافعةٍ، وزواجرَ عن المناهي رادعة، يقبلُ على استماعها والانتفاعِ بها من وفّقه الله ورحمه، ويعرضُ عما أمرَتْ به ونهتْ عنه من خذله الله وحرَمه، لأنها مأخوذةٌ من الكتابِ والسنة، ومحذّرةٌ من النارِ، ومشوّقة إلى الجنة، ولذلك سميتها «الداعيةَ إلى الهدَى، الرادعة عن الردى»، وجعلتها عظةً لنفسي، وللمقصرين من أبناء جنسي، ولم آلُ جهداً في مخاطبَة كلِّ عاصٍ وغافلٍ، بالتخويف المرغب والتقريعِ الهائل، على أني أعدُّ نفْسي من أعظَمهم خلافاً، وأفحشهم إسرافاً، فنسأل الله من فضله وكرمه، أن يوفقنا جميعا للتوبة النصوحِ، والعمل الصالح، والإقبال على طاعته، والامتلاء من خشيته، فإنه المتجر الرابح. وبحرُها من الطويل.

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قلــتُ لم أقصِــدْ جــدالاً ولا مِــرا	ولم أطلــبِ الــدنيا مريــداً تكَــاثُرا
ولا مدْحــةً أبغــي ولا ســمعةً ولا	ريــاءً ومــن راءَى يــرَدّ إلى الــورَا
ولكننــي أوتيــتُ قلبــاً يميــلُ للنــ	ــصَائح وعظــاً لي وللغَــير زاجِــرا
فأجعلُهــا في ســلكِ نظــمٍ أقيمُــه	عــلى منــبرِ التــذْكير بــالخيرِ آمــرا
لترشِــدَ مــن مــثلي إلى كــلِّ خَصْــلة	تحــبّ وتــرضَى باطنــاً ثــم ظَــاهرا
ألا إنّــما الــدين النَّصــيحةُ قالهــا	نبيُّ الهدَى المختارُ مـن أشرَف الـورَى
وقــد جَــاء في القــرآنِ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سبيــ	ــل رَبِّكَ ﴾ فاقرأْ أو فسل كــلَّ مــن قَــرا
دعــوتُ وإن كــانَ الزمــانُ يقــولُ لي	أتَــدْعو أناســاً طــبعهُم شــابَه الفِــرا

يفـرُّونَ مـن قـرْبِ المـذَكِّر أن تـلا ... علـيهِم وإن أمْسَـى لمـولاهُ ذاكِـرا

سـجيتُهم جمـعٌ ومنـعٌ وغفلَـةٌ ... جلاميـدُ لـيسَ الـوعْظُ فـيهم مـؤَثِّرا

فقلـتُ بـرَبي أسـتعينُ فـإنني ... نويـتُ لهـم خـيراً وإن كنـتُ قـاصِرا

نصبتُ شباكَ الـوَعْظ علّي أصيدُ مَن ... هدايتُـه حانَـتْ وإنْ كـانَ مـا دَرى

وذكّرتُ فالذكرَى كما في الكتـابِ تنـ ... ـفعُ المـؤمنينَ الله حسْـبي ونَـاصرا

ألا فاسْـمَعوا قَـولي وعُـوه فإنّـه ... بـدَا مـن شـفيقٍ قـد أتـاكُم مـذكِّرا

يخـاف علـيكُم مـن عـذابٍ يمَسّـكُم ... إذا مـا أقَـام الله وزنـاً ومحشَـرا

* * *

فيـا جـامعَ الأمـوالِ إن كنـتَ حـاكماً ... وإن كنـتَ زرَّاعـاً وإن كنـتَ تَـاجِرا

أتكنزُهَـا بيضـاً وصُـفراً ولم تـزَلْ ... تصـوغُ حليًّـا مسْـرفاً فيـه جَـائرا

وتأكلهـا حلْـوَى ولحـماً مسـمَّنا ... بهَـا طيْـبُ أنـواعِ الأبـازيرِ بـزِّرا

عـلَى خبْـزِ بـرٍّ مـعْ أرزٍّ مفلفَـلٍ ... لكثرَة مـا يُسْقى مـن السَّـمنِ غرْغَـرا

وتلبَسُـها حمـراءُ وخضْـراءُ نفيسـةٌ ... وتفرِشُـها مـن كـلِّ غـالٍ تكـبُّرا

وتبنِـي بهـا مـن كـلِّ عـالٍ مزخْـرَفٍ ... تشـابه كسْرَى في التعـالي وقيصَـرا

وتضـمَخُ بالطيـبِ المرفَّـعِ قيمـةً ... زبـاداً ومسْـكاً تبتيًّـا وعنْـبَرا

وتبسـطُ هـذي الـنفسَ في كـلِّ لـذّةٍ ... تبيـتُ قريـرَ العَـينِ مشـتهيَ الكَـرا

وحولَـك مـن بـاتُوا عـراةً وضُـمَّراً ... فما حالُ من قـد باتَـه الجـوعُ والعرَى

شـيوخٌ وعميـانٌ وفـيهِم أرامِـلٌ ... أيـامَى وأطفـالٌ يتـامَى فـما تـرَى

أتعـرفُ مـا هُـم فيـه في صرَّةِ الشِّـتا ... إذا هـبَّ ريـحٌ والسـما فيـه أمطَـرا

فأسنانهم تضْطكّ مـن حصْـرِ نـافضٍ ... بأحشَـائهم والجفـنُ قـد بـاتَ سَـاهرا

فأضْحَوا كـما أمسَـوا فـوا رحمَتـاهُ هـل ... تـرِقّ لهـم والكسْـرَ تصـبحُ جَـابرا

بإعطَائهم شيئاً يدافعُ عنهم الـ ـهلاكَ وتُعطَى أنتَ أجراً مكاثَرا
وتدّخر الإنفاقَ للموقفِ الذي تقومُ ذليلاً فيه سكرانَ صَاغرا
فقيراً إلى خيرٍ هناك ادّخرتَه فللهِ ما أغلا هنَاك الذّخائرا
أتتركُه للمستريحِ وأنتَ قد تعبْتَ به دهراً فكنْ ويكَ حاذِرا
أتبخلُ عن شيءٍ يسرّكَ دائماً وأنت تُرَى فيما يضُرّ مبادرَا
تداركْ كفيتَ العوقَ ما فاتَ قبل أن تعوَّضَ من بعدِ القصُور المَقابرا
وكن محسناً برًّا شفيقاً ملاطِفاً ولا تكُ للسُّؤال في الرّدِّ نَاهرا

* * *

ويا فقراءُ صبراً على الحالةِ التي أصبتُم بها يا فَوز من كان صَابرا
فإن لَكُمْ يومَ القيامةِ دولَةٌ تكونُون فيها أغنياءَ أكَابرا
فأدِّ فروضَ الله لا تهملنَّها ولا تعتَدوا حَدًّا وتبدُوا تضَجُّرا
فما أحسنَ المسكينَ إن كانَ صَابراً وأحلى غنياً محسناً ثم شَاكرا

* * *

ويا أيها الحكامُ رفْقاً فإنها لظًى حين تدْعُو من تولَّى وأدْبَرا
بيومٍ يُرَى أهلُ التكبر فيه قَد غدَوا مثل ذرٍّ ويلَ من قد تكَبرا
فلا تنظرُوا ما أنتمُ اليومَ فيه من جموعٍ وأموالٍ علوتُم بها الذرَى
سيبرأ كلٌّ منكُم من خليلِه إذا بعثَ الموتَى وقامُوا من الثرَى
ولا يحمدُ العقْبى سوَى المتقينَ لا أولوا الملكِ والأتباعِ والولْدِ والثراءْ
فعطفاً على حالِ الرعايَا ورحمةً ويسراً هدَى الرحمنُ عبداً ميسّرا
وحفظاً لدينِ الله بالعدْلِ والتقَى وجهداً لإستيصَال من كان كَافرا
هي الباقياتُ الصالحاتُ المآثرُ الأ وابِدُ لا تؤثرْ عليها مَآثرا

عظيمٌ عليها الأجرُ والحمْدُ ينشُر الـ ... ـخطيبُ ثناهَا حين يعلُو المنابرا
أقامَ إلهي رايةَ الحقّ دائماً ... ودكدكَ أهلَ الشركِ برًّا وأبحُرا
بإعزازِه نصْرُ الخليفةِ زادَه ... هدًى وانتصاراً قوةً وعَساكرا
ووفقَه للخيرِ يجريه دائماً ... ويحيي من المشرُوعِ ما كانَ داثِرا

* * *

ويا مَن تولى للقضَا إنّ ذا القضَا عظيـ ... ـمٌ كبحْرٍ سرْتَ فيه مخاطِرا
فإن تقضِ عن علمٍ بلا أخذ رشوَةٍ ... ولا رفَعِ ذي جاهٍ على من تحقَّرا
نجوتَ وإلا الذبحُ في الحلقِ منكَ لا ... ترَى فيه سكيناً تجرُّ وخِنْجَرا
ويا حاملي القرآنَ صونُوه عظّمُوا ... ولا تعكسُوا الأنباءْ وتعصُوا الأوامِرا
فأنتم أحقُّ الناسِ بالصَّون إنكم ... حملتُم كتاباً مكرَماً وموقَّرا
فدلوا عبادَ الله للخيرِ واعمَلُوا ... به واحذَروا الأطماعَ والكبْر والمراءْ

* * *

ويا فقهاءُ أنتمْ أدلاءُ قادةٌ ... وحُلّالٌ عقْدِ المشكلاتِ إذا طَرا
دوا الداءِ ملحُ المتتناتِ فإن يفُحْ ... من أفعَالكم نتْنٌ دواهُ تعسّرا
ألا فمرُوا بالحقّ وأتمِرُوا به ... ويلزَمكم تغييرُ ما كان منكَرا
وأن تستقيمُوا في الأمورِ جميعِها ... لأنكمُ الهادونَ في المدْن والقرَى
إذا لم تقولُوا الحقَّ من ذا يقولُه ... إذا نمتمُ أنتم فمن يحمَدُ السُّرى
ومن يخبرُ التجَّار عما رأيتُه ... أتى في أحاديث الرسُول مخبِّرا
بمعْنَى ألا من غشَّنا في تجارةٍ ... وقولٍ وفعْلٍ ليسَ منَّا بلا امْتراءْ
فويلكمُ ولا تحلِفُوا على الر ... ـرّواج يميناً يكتمُ العيبَ فاجِرا
فإن كانَ هذا منفقاً فهو ممحِقٌ ... ومن يكُ فيه رابحاً كانَ خاسِرا

وأهـلُ الربَـا لا بـاركَ الله في الرِّبـا لقَـد لعِنُـوا إذْ خبّثـوا البيعَ والشـراءْ
لقد أوذِنـوا بـالحربِ مـن رَبّهـم علَيـ ـه إن عاندوا جاءْ في الكتـابِ مسطَّرا
فـإن لم يـرُدّوا مـا اسـتفادُوا يعـذَّبوا بـما جمعُـوه مـن حـرامٍ تكـرَّرا
وآكِـلُ أمـوال اليتـامَى تعمّـداً وظلماً حشـي في البطْنِ جمـرا مسَـجَّرا
فـأظلمَ منـه الوجْـهُ والقلـبُ كلّـه ويصْـلى غـداً نـاراً لظاهَـا تسـعَّرا

* * *

ويـا ظـالم المسـكينِ والله إنّـه عليـكَ ثقيـلٌ كالجبـالِ وأكْـبرا
أتتركُـه يـدعو عليـك وقلبُـه يـذوبُ ومـاءُ الحـزْنِ في خـدّه جـرَى
وحـقّ الـذي يرعَـاه إن دعـاءَه عليكَ مجابٌ فاحذرَنْ شـؤم الاجْـتراءْ
وويلَـك منـه إذ يحـرّك في غـدٍ وهيهـاتَ أن تنفـكَّ أو أن تعـذّرا
وحـاكمكُم مـن لـيسَ يظلـم ذرة وبـالظلمِ لا يـرضَى عظـيماً وقـاهرا

* * *

ومـن لا يصـلي فرْضَـه مـا اعتـذارُه؟ وفـرضُ صـلاة الخمسِ كالشمسِ ظَـاهرا
فإن لم يتـبْ يقبـلْ ومـن كـانَ جاحـدًا لهـا راحَ مرتـدًّا لعِينـاً مكفَّـرا
سيسجدُ يـومَ الحشْـر كرْهـاً لـه عـلى صـفائحَ مـن نـارٍ سـجُوداً مكـرّرا
كـذاكَ زكـاةُ المـال فـرضٌ محـتّم إذا بلـغَ المـالُ النصـابَ المقـرَّرا
ومانعُهـا يـا ويلَـه مـن وعيـدِها سيكوَى بها في الوجهِ والجنبِ والـورَا
ومـن جـوّز الإفطـارَ في رمَضـانَ قـد غدا كـافرًا إن كـانَ يـا صـاحِ حـاضِرا
ولـيس بـه عـذرٌ يبيحُ وفضَّـلوا الـ ـصيامَ لمـن أضْـحَى بعيـداً مسـافرا
وحـجٌ لبيـتِ الله فـرضٌ ولازِم عـلى كـل حـرٍّ بـالغٍ صَـار قـادرا
فـإن لم يحـجّ البيـتَ إن شـاء مِيْتـةَ يهوديـةً كانـتْ وإلا تنصَّـرا

فـأعظِمْ بهـا أركـانٌ أربعـةٌ غـدَا ... بهـا دينُنـا بـين الاديـان مشْـعرا

وبَشّـر مؤديهـا أداءً مـتمَّما ... بنيـلِ الرضـا والأجْـرَ يعطَـاه وافِـرا

* * *

وشرَّابُ هـذا الخمـرِ نـادِ علـيهمُ ... جَعلـتمْ خـزيتُمْ شربـة السكْر سُـكَّرا

أمـا تنظـرونَ ألـوانكُم قـدْ تبـدّلت ... وأشْـداقكم ترْبَـدّ والوجْـه خنْـزَرا

عقـولكمُ غابـتْ وصرْتُـم كـأنكم ... بهـائمُ لكـنْ ضُرّكـم صَـار أكثَـرا

كلامكمُ العَـوراءُ وترمَـونَ بالحصَـى ... وعَـوراتكُم مكشـوفةٌ للـذي يـرَى

فهـل عاقـلٌ يـرضى بهـذا وفوقـه ... عـذابانِ جَلـدٌ ثـم نَـارٌ تقـرَّرا

* * *

ومـن ينـذِرُ الـزاني الفَسُـوقَ بأنـه ... غـدا دمُـه المعصـومُ في النـاس مهْـدَرا

فـإن محصـنٌ فـالرجْمُ يـا شرَّ قتلـةٍ ... يحـدّ بـه حتـى يمُـوتَ ويقـبرا

وإن كـان بكـراً فالسـياطُ يـذوقها ... وعـارٌ بـه في النـاس يبقَـى معـيَّرا

عـلى مـا عليـهِ مـن وعيـد مشـدّدٍ ... إذ النـارُ نـادَت أيـن أهـلي فأحْضِـرا

وهاجـتْ وماجَـتْ بـالأجيجِ تغيظـاً ... وأبـدَتْ شـهيقاً ثـم أبـدَتْ تزَفُّـرا

وسيقَ إليهـا كـلَّ مـن ضـلَّ واعتـدَى ... وألحـدَ في الـدينِ الحنيفـيّ وغـيَّرا

* * *

ومن سبّ صحبَ المصْطفى معدنَ الوفَـا ... هـداةَ الأنـامِ الأطيبـين الأطَـاهرا

عجبـتُ لـذا المخـذولِ فـيما يقولُـه ... فسُحقاً له سـحقاً فقـدْ ضـلَّ وافـترى

سـيجذَبُ مسـحوباً عـلى حُـرِّ وجهِـه ... فـأتعِسْ بـه شخْصـاً نحيسـاً مجرْجَـرا

* * *

ومـن قتـلَ الـنفْسَ المحـرّمُ قتلُهـا ... بعمـدٍ فقبّحْـه لعينـاً مـدَحَّرا

وجـرّوا لهـا مـن عـقَّ والـدَه ومـن　　شـــهادتَه كـــانَ افـــتراءً مـــزوِّرا
ومــن لم يتُــبْ بعــد ارتكــابِ كبـيرةٍ　　وكـــل مضِـــرٍّ يســـتديمُ الصَّـــغائرا

* * *

ومــا لأنــاسٍ بــالملاهي اشــتغالُهم　　طبــولٌ ورقْــصٌ يضــربونَ المزامِــرا
بلعـــبِ قـــمارٍ يقطَعُـــون زمـــانَهم　　ونــردٍ وشــطرنجٍ أتَــوا معــه ميْسِــرا
ألم يعلمُـــوا أن العـــذابَ مغلّـــظٌ　　على من عصَى‌ـ الـرحمن عمْـداً مجاهِرا
ســيركب كــلٌّ مــنهم الهــولَ في غَــدٍ　　إذا بلغَــتْ فيــه القلــوبُ الحنَــاجرا

* * *

وشـــاربُ ذا التنبـــاكِ لم أر مثلَـــه　　خَبــيلاً أراني منــه مــا زلــتُ حَــائرا
يمــصّ دخانــاً فيــه نَــارٌ وحرْقــةٌ　　ورائحَـــةٌ شـــبهتها ريـــحَ خَـــافرا
يخـدّرُ منــه العقْــلَ حتــى يكبّــه　　بكانونِــه يشْــويه لم يــدْر مــا جــرَى
ويورثُـــه وهْنـــاً عظـــيماً وضـــيقةً　　بأنفاسِــه والصــدْرُ يبقَــى محرْجَــرا
لـــه ســـعلاتٌ قـــبّح الله صَـــوتها　　بقــيءٍ وأنخَــامٍ يُضــاهي المرائِــرا
فــإن لم يتُــبْ عنــه ويتركْــه غــيرةً　　فقـــدّرْه مخبـــولاً جهُـــولاً مكَـــابرا
ســـيلقَى جـــزاءً سَـــيئا غيَّـــه إذا　　أري سائرَ الأعمال في الحشْــر محضَــرا

* * *

وقــلْ للنســاءْ إن كــنّ يبغــينَ راحــةً　　وعفْــوا لعــوراتِ المعايــبِ سَــاترا
ويخشــينَ نَــار الله نزاعــةَ الشَّــوى　　ويــرْجينَ رضْــواناً مــن الله أكْــبرا
يصــلّينَ يســتغفرْنَ يحفظْــنَ ألســناً　　يتــبْنَ ولا يــأتينَ مــا كــان مفْــترَى
يــؤدّينَ حــقَّ الــزّوجِ في كــلّ حالــةٍ　　ويصــبرْنَ إن أمسَــى فقــيراً معسَّــرا
ويغضُضْــنَ عــن كــلّ المحــارمِ أعينــاً　　ويمــنعْنَ عــن عــينِ الأجانــبِ منْظَــرا

فـإن هـنّ خـالفْنَ الـذي قـد ذكرتُـه ... فضِـحْن وأصْـلِينَ الجحـيمَ المسـعَّرا
أرى الهونَ يغْشَى من يخونُ احـذَروا احـذروا ... أيـا وكَـلاءْ يـا كـلَّ مـن كـانَ مـؤجَرا

* * *

ويـا جملـةَ العـمالِ يـا كـلّ صـانعٍ ... وكـلّ وديـعٍ والمنصّـبَ نَـاظرا
فمن غشَّ لم يغشُشْ سوَى نفسِه ومـن ... على النصحِ منكُم كان بالحمدِ ظَـاهرا

* * *

لعمْري لقد أسمعتُ مـن كـان ناجعـاً ... وأشـبعتُ تقريعـاً لكـم وزواجِـرا
وذا بعـضُ تهديـدِ القـرآنِ المجيـدِ والأ ... حاديـثِ فاسـألْ عالمـا متبحِّـرا
ولـو أنـزلَ القـرآنُ عـن أمـرِ ربّنـا ... عـلى جبـلٍ أضـحىَ خشـيعاً مكسَّـرا
ومـا ضُرِبـتْ للنـاس أمثالُـه سـدًى ... ولكـنْ لعـلَّ النـاسَ أن تتفكـرا

* * *

وهـاكُم خصـالَ الخـيرِ فاتصِـفوا بهـا ... لتصْـفوا ويغـدُو مظْلـمَ القلـبِ نـيِّرا
هـي التوبـةُ الخلصَـاءُ والـورَعُ الـذي ... يكـفّ عـن المنهـيّ مخـفٍ ومُظهِـرا
وصـدْقُ كـلامٍ في وعُـودٍ وغيرهـا ... وصمْتُ عن النطقِ الفضُولِ أو الهـراءْ
وكسـبُ الحـلالِ الصرْـفِ والجـودُ ... ونيـةُ خـيرٍ صـفْوها مـا تكـدَّرا
ومـا يرتضـيه الله مـنْ كـلّ طاعـةٍ ... يكـونُ بهـا الإخـلاصُ لله مضـمَرا
وتركٌ لما تـدعُو لـه الـنفسُ مـن هـوًى ... مخافـةَ مـن للعـرْشِ والفـرْشِ قـد بَـرا

* * *

رعى الله أزماناً مضَتْ مع رجَالهـا الـ ... ـكرامِ أولي الإحسانِ والجـودِ والقِـرا
أولي الحركاتِ الصالحاتِ التي جـرَتْ ... عـلى وفْـقِ مـا قـالَ النبـيُّ وأخـبرا
أولي العلمِ والحلـمِ المكـينِ الـذينَ هُـم ... رقَـوا رتبـاً عنهـا سـواهُم تقهْقَـرا

لقــد عَمــرُوا أوقــاتَهم وقلُــوبهم ... بــذكْرِ لمــولاهُم متــى دامَ عمِّــرا
وصــومِ هَجِـيرات الصّـيوفِ وأنهــم ... دمــوعهمُ في الليــلِ تنهــلّ أمطُــرا
فللــه درّ القــومِ يــا سَـعدَ ســالكٍ ... مســالكَهم بالصــدْقِ مــا ردّ مــدْبرا
فيــا راغبــاً في حــبّ مــولاه طالبــاً ... لمــا عنــدَه أقبِــلْ عليــه مشــمِّرا
وجــدّ وجاهِــدْ وابــذُلِ المــالَ مخلصــاً ... وأحي الليــالي واجعَــلِ الوقْــتَ عــامرا
بــــذكرٍ ودأبٍ في الــــتلاوَة دائــــمٍ ... فــإن كتــابَ الله مــن أوثَــقِ العــرَى
وســــنةَ طـــــه فاتبعْهــــا فإنّهــــا ... هــي الحــقُّ لا تتبــعْ سِــواها فتــدْحَرا

* * *

وصــمْ لا تكــنْ في كثــرَة الأكــلِ راغبــاً ... فقــاسٍ بليــدٌ كــلّ مَــن منــه أكثَــرا
وصُنْ ذا الذي مِن بين فكّيـكَ والـذي ... يضُــــمانه فخْــــذاك عــــن أن يبَــــادَرا
إلى مــا يجــرّ العــارَ والشــرَّ والــبَلاءْ ... فنطقُـــكَ مـــن شرِّ العَـــواثر عَـــاثرا
فــلا تــكُ مغتابــاً ولا تــكُ حاســداً ... ولا خادعـــاً بالمســـلمينَ ولا مَـــاكرا
ولا تقرُبِ الأمــرَ الــدنيَّ وجانــبِ المــر ... دي وحـــاذر عيبَـــه فيـــكَ أن يُـــرَى
تجمــلْ بــأثوابِ التقــى والقنــوعِ والــ ... ـــتواضُع لا تبطَــر وتظهِــر تفَــاخُرا
وكــلَّ مســاعيكَ اجعلنهــا حميــدةً ... صــلاحاً وإصــلاحاً ووِرداً ومصْــدَرا
وحبَّ المســاكينِ الضــعافِ وكــنْ لهــم ... على شهواتِ النفسِ والحـرص مُـؤْثرا

* * *

ووالِ جميــعَ الآل والصّــحبِ وانتحِــلْ ... محبَّــتهم واعقِــدْ عليهــا الضَّــمائرا
فهــم بــذلوا الأرواحَ في حفْــظِ ديننــا ... وهــمْ أظهــروهُ نصــرةً ومهَــاجرا
وهــم حملــوا آيَ الكتــابِ وســنّةَ الــ ... ـرَّسولِ وذا الشرعَ الشــريفَ المطهَّــرا

* * *

وكــن خادمــاً للصــالحينَ وسرْ عــلى | منــاهِجهم تصــبحْ ســعيداً منــوَّرا
وترفــعْ بغُرْفــاتِ الجنــانِ مخلَّــدا | بــدارِ نعــيمٍ عيشُــها لــن يكــدَّرا
بهــا عســلٌ صُــفّي ومــاءٌ غــيرِ آســنٍ | ومــنْ لــبنٍ في طعْمِــه مــا تغــيَّرا
وكثبــانِ مســكٍ نبتُهــا الزعفــرانُ والــ | ـحصَى إن ترِدْ درًّا وإن شئتَ جَوهرا
ومــا تشــتهيهِ الــنفسُ مــن كــلِّ لــذّة | تــدومُ فجاهِــدْ كــي تنــالَ وتظفَــرا

* * *

ويــا غــافلاً عــن ذكــرِ مــولاهُ سَــاهياً | .... لا يرتضــي أن يــذكَّرا
أفي صمَمٍ أذنَـاك عـن قـولِ مُنـزِلِ الـ | ـكتابِ عــلى طــهَ مقــالاً تــواتَرا
بأنّ لذي الإعراضِ عن ذكـر ربّـه الـ | ـمعيشةَ ضـنكاً طعمُهـا قـد تمـرَّرا
يقــيضُ شــيطاناً لــه في حياتِــه | ويحشَـرُ أعمَى بعْـدَ مـا كـان مبْصِـرا
ومــن نســيَ الآيــاتِ ينْسَــى فــأقبلَنْ | عــلى ذكــرِه بــل دُمْ عليــهِ مثَــابرا
لتظفَــر بــالفتحِ الإلهــي وإنّــه | لكنــزٌ عظــيمٌ قــدْره لــن يقــدَّرا

* * *

أتنفــقُ هــذا العمــرَ في غــير طائــلٍ | ولســت عــلى الــدنيا مقــيما معمَّــرا
لعمْــري لوقــتٌ فيــه لــو بيــعَ زائــداً | لكان بملْءِ العرْشِ والفـرشِ يُشْـترى
وأنفقْــه في ملــكٍ يــدومُ بــلا انقضَــا | بــهِ الأنبيــاء والصــالحينَ مجَــاهرا
وظنــي عــلى أهْــلِ الشــبابِ بــأنهم | يظنونَــه يبقَــى قويًّــا ونــاضِرا
فــيحملُهم فيــه الغــرورُ عــلى الهــوَى | وفي الغيــبِ أشــياءُ أمرُهــا قــد تسَــترا
أمــا ينظــرونَ الــزرْعَ آفاتُــه تجــيء | فتجتَاحُــه قــبَ التــداركِ أخْضَــرا
وأعجبُ منهم من ترَى الضعْفَ عمَّـه | وعارضُــه المســوَدُّ قــد عَــادَ أغْــبرا
وأســنانُه انقضّــتْ وفي ظهــرِه انحنَــاءٌ | ومحمــرّ ذاك الــدّمِ قــد صَــار أصْــفرا

ويلهُــو مــع اللاهــينَ لم ينتبــه لمــا ... أصيبَ بـه والعمْـرُ قـد تـمَّ وانـبرَى

* * *

فــوا عَجبــي منّــي وممــن أراهــمُ ... كمثلي وقـد أصبحتُ عبـداً مقصّــرا

نقــولُ ولا نعمــلْ بشــيءٍ نقولــه ... وإنــا لنحــدُو والأنــوفُ بهــا الـبُرا

إلى كـمْ كـذا في الشّـرِّ نرمـي نفوسَنا ... كأنــا لهــا أعــداءٌ فــماذا لنَــا اعــترى

ألم يــأنِ أن ننكــفَّ عــما يضُــرّنا ... وننقــيَ عرْضــاً طالمــا قــد تقــذَّرا

ونخلِــصَ لله المتــابَ النصــوحَ لا ... نعــودُ إلى نقْــضٍ كمــن راحَ غــادِرا

لعــل ذيــولَ العفْــو مــن ربّنــا عــلى ... جميــعِ خطايانــا تجــرُّ وتغْفَــرا

إلهــي اهــدِني فــيمن هــديتَ وعَــا ... فني من الزيغِ واجعلني تقيًّا وطَهّـرا

وهبْ لي رضـاً منك لا سـخْطَ بعـده ... فـما زلـتَ ذا فضـلٍ ومـا زلـتَ غـافرا

وعُــدْ بعمــيمِ الجــودِ والفضْــلِ راحمــاً ... مشــايخنا والوالــدينَ معطِّــرا

مراقدَهم بـالرَّوحِ والطُـفْ بكـلّ مـن ... إلينَــا انتمَــى أو كــانَ فينَــا مُصَــاهرا

وعــمَّ جميــعَ المســلمينَ برحمــةٍ ... ففضــلُكَ ربي لم يــزَلْ متــواترا

وصــلِّ عــلى خــتْمِ النبيــينَ أحمــدٍ ... نبــيٍّ أتانَــا منــذِراً ومبشّــرا

وآلٍ وأصــحابٍ عــلى الــدينِ رابطُــوا ... ومــا مــنهمُ مــن لا تَــراه مصَــابرا

إلهي ارضَ عنهُم وارضَ عنَّا بحقِّهـمْ ... وحمــداً لــربِّي أولاً ثــم آخِــرَا

تمتْ وكملَت، والحمدُلله رب العالمين، وكان الفراغُ من نظمها أربعةَ عشرَ في الشهر المبارك رَبيع الثاني سنة ١١٣٩، عددُ أبياتها مائةٌ وإحدَى وتسعون بيتاً».

* * *

وقال الشيخُ المكاشفُ الكبير، تلميذ سيدنا عبدالله الحداد، الشيخُ محمد بن ياسين باقيس الكندي، ساكن (دوعن) الميمون: «لو كنت في (تريم) ما يسَعُني إلا

تقبيلُ قدم سيدي الحبيبِ الحسن بن سيدي عبدالله الحداد، لأنه صاحبُ الوقتِ، وخليفة والده».

قال: «وكان يحبه ويميزُه على خواصّه. وقال لرجلٍ من المشايخ الزُّبْدَة، حالًّا في نخل (تريم): كم في اليوم تنظُر الحبيبَ حسَن وتقبلُ قدَمه؟ قال: «أنظرُه الا في الجامع يوم الجمعة بعد الصلاةِ، فأصافحه مع جملةِ الناس، قالَ: «ما هذا الغبنُ والرّكمَه الذي فيكم يا آل حضرموت». وقالَ الشيخُ محمد بن ياسين المذكور، مديحةً في شيخِه القطب عبدِالله الحداد، وهي فريدة عجيبة أولها:

وقفتُ ببابِ الفضلِ منتظرَ الإذْنِ ... ومَن سيدي مولايَ للبائسِ القنِّ

إلى أن قالَ:

نعَمْ، وأبو الأشبال لله درُّهمْ ... لقد شَربوا من منهلِ الفضلِ بالحفْنِ
وغاصُوا على الأسرارِ في بحْر دُرِّها ... واستخرَجوا المنظومَ منها من الكنِّ
وساروا على آثارهِ وسَبيله ... قفَوه بأقوالٍ وبالعمَل السُّنّي
منحْهم بأنوارٍ ومجدٍ وسؤدَدٍ ... فناهيكَ من أصْلٍ يسوِّدُ للابْنِ
هداةٌ ومهْديونَ طرْق رشادِهم ... بدعْوتهم تهمي السحائبُ بالمزْنِ
وتنتشر الخيراتُ من فيضِ فضْلهم ... بهم يرتجي الراجِي بهم قرّةُ العينِ
حباهُم إلهي بالسعادةِ والرضَا ... وجنّبهم كلَّ المكارهِ والغبْنِ
وأحياهمُ في خير عيشٍ يحبه ... ويرضَاه في لطفٍ وأمن وفي يمْنِ

* * *

وقالَ بعضُ السادة في مدحِ سيدنا:

يهنى قوماً لازمُوه ... حيث نَالوا ما أرادُوا

قـد علاهـمْ منـه نـورٌ　　وعلـــومٌ ورشـــادُ
كامـــلٌ نســلُ كــرامٍ　　للهدَى والدين شَـادوا

وقالَ بعضُ العلماء من السادة يرثي بقصيدة فريدةٍ، شيخَه القطبَ الأوحد عبدالله الحداد:

وأخلفَـه في أهـلٍ ونسْـلٍ وأنهـم　　فروعٌ لأصلٍ ثابـتٍ لـيسَ يقلـعُ
فـأخلاقُهم محمـودَةٌ وهبـاتُهم　　تمدُّ من البحْـرِ العظيـمِ وتجمـعُ
تراهُم كأمثـالِ النجـوم إذا بـدَتْ　　على أعلى منازلها تروحُ وترجِـعُ

* * *

وقال بعضُ مريدي سيدِنا الفرْد القطبِ، عبدالله الحداد، وهو سليمانُ بن عبدالله باحرمي:

فالســـرُّ مــودوعٌ باقيــاً في نسْــله　　هذا محققٌ واضحٌ يـا أهْـلَ العمَـى
يـا ربّ فـارفعْ شـأنهم ومكَـانهم　　كي يكبت الحاسدُ ويشـربَ علقَما

وهذا المريدُ الصادقُ؛ أخبرنا بعضُ ذويه أنه قالَ: سمع سيدنا القطب عبدالله الحدادَ، يقولُ: «عاده يقع لحسنٍ ابني شأن عظيم».

وهو الذي ابتدأ قراءة خبرِ مولدِ النبيّ محمدٍ ﷺ عندَ ضريحِ سيدنا عبدالله الحداد، بإشارة سيدي الحبيب علويٍّ، وسيدي حسنٍ، ابني الحبيب عبدالله الحداد، نفع الله بهما. وذلك أن الحبيبَ الحسن قالَ: «إنه خطر على بالي بعْدَ وفاة الحبيبِ القطب الغوث الوالدِ، أن نفعلَ عند قبره مولداً وجمعيةً كبيرةً، كما يفعلونَ ذلك في (حضْرموت) لزيارة نبيِّ الله هودٍ، على نبينا وعليه أفضلُ الصلاة والسلام.

حتى أنّ السيد زين العابدين بن مصطفَى العيدروس، هو الذي وقفَ المقْبرةَ

التي قُبر فيها الوالدُ، وقفها على الوالدِ وذريتهِ ومن يلوذُ به، طولها أربعون ذراعاً، وعرْضُها مثلَ طولها أربعونَ ذراعاً بذراعِ الحديد.

قال: «فلما كان نهارَ ختم الوالدِ بعد موته، يوم الرابع، اجتمعنا والسيدُ الملاذُ أحمد بن زين الحبشي، والسيد زين المذكور، والأصناءُ، في قبة سيدنا الأكبر عبدالله بن أبي بكر العيدروس، فقال السيد زين: مرادي أبني قبةً على قبر سيدنا الحبيب عبدِالله الحداد، فقال له السيد أحمدُ والأصناءُ: مليحٌ ذلكَ. وقلتُ له: مرادي تفعلُ قبةً، ويكون التقطيع البناءِ من كبر وصغْرٍ في القبةِ على نظَرنا، وإلا فخلّ ذلك، نبنيها على قياسنا، إن شاء الله.

قال الحبيب حسنُ: لأن مرادي أجعلها مثلَ قبة نبي الله هودٍ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لأجل في خاطري مَولد نفعلُه على قبره، ولا مرادنا القبّة إلا على السواري، لأجل ينظر الجمعُ إلى القبرِ الشريف من قرُبَ منه ومن بعُدَ سواءً.

فقال السيد زين: نفعلها على اختياركم، ورأيكم فيها وفي تقديرها من كبر وصغر. ومرضَ السيدُ زينٌ بعدَ الحبيبِ، وجرى ما جرى بينه وبين جماعته.

* * *

وقد رأى بعضُ السادة الأخيارِ من آلِ السقاف: أن الحبيب عبدَالله يقول: عاد حسن ولدي يفعل قبةً على قبري، أربعة شقوق، الله أعلمُ أيش مُراد الحبيب بالقبّة، هل هي الخيمة الواصِلة لسيدنا قطبِ الزمن الحسنِ سنةَ ١١٦٦، أو غيرها؟.

قلتُ: إن سيدَنا بحْر المعارفِ قطبَ الزمنِ الحسن، عازمٌ على قبةٍ على قبرِ والده، غير الخيمة التي وصّى فيها إلى الهند وفُعلت، تنصبُ يوم الوقفةِ لمولد الحبيب عبدِالله، ثالثَ جمعة في شهر رجبِ الأصبّ، في كل سنة مرةً، في الحول، من الشرق إلى قريب الزوالِ، يجتمعون من كل فجٍّ عميقٍ، من جهات (حضرموت) وبلدانها، آلاف مؤلفةً،

وجموعاً عظيمةً، وهي من أعظم النعَم والمناقبِ لمن تسببَ في هذا الجمعِ العظيمِ، على الزيارة للأقطاب بمقبرة (تريم)، وللاجتماع على ذكْر الله في هذا اليومِ الشريفِ، في الشهر الأصبّ رجبٍ، التي تصبُّ فيها الخيراتُ والبركاتُ من الأشهر الحرم. وأفضل الصيام بعد رمضانَ المعظّمِ صيامُ المحرّم عاشُوراء، ثم رجبٌ الأصَبُّ، ثم ذي الحجة، ثم ذي القعدة. كما ذكره تلميذُ ابن حجرٍ، المليباريُّ، في «فتح المعين بشرح قرة العين»، قال فيه: «فرعٌ: أفضلُ الشهورِ للصَّوم بعدَ رمضانَ الأشهرُ الحرم، وأفضلها المحرّم، ثم رجب، ثم الحجة، ثم القعدة، ثم شهر شعبانَ، وصومُ تسعِ ذي الحجةِ أفضلُ من صومِ عشر المحرمِ الذي ينَدَب صومُها»، انتهى.

* * *

وقد وقعت هذه الزيارةُ سبباً لزيارة الأكابرِ، حتى أن في سنة ١١٩٥، وصل من (شبام) السيد جعفر بن السيد حسن بن طه، والدُه تلميذ الأوحدِ الحداد الأكبر، لهذا المولد، وقد له في العمر نحْو خمسينَ سنةً، ولا يعرف (تريم)، ولا زار أجدادَه.

وكذلك وقعت سبباً لكثير من العرَبِ من سادةٍ وغيرِهم، صغار وكبار، من آفاق (حضرموت)، ما يعرفون تربة (تريم)، كما أخبرونا ناسٌ من أهلِ (وادي بن علي)، و(مدودة)، وغيرهم.

* * *

وفي السنة التي توفي فيها سيدُنا قطبُ الزمنِ الحسنُ بن عبدالله الحداد بعد صلاة الظهر في شهر شعبانَ، والفقير والصنو الأمجد عبدالله بن الوالدِ عند سيدنا الحبيبِ الحسن، قال لي: «يا علوي؛ مرادي أن تفعلَ قبةً على قبر الحبيب عبدالله كما وصفناها لكَ، قلتُ: إن الإمامَ الشافعيَّ تكلمَ في قبته الشيخُ ابنُ حجرٍ في «التحفة»، وقالَ: وددتُ من هدَمها. قالَ: كلامُ ابنِ حجر في المسألة في الأرضِ المطلقةِ غيرِ المعيَّنةِ، وهنا

معينةٌ، ومحصورةٌ على الوالدِ ومن يلوذ به». وقد ذكرتْ القبةُ والبناءُ في صيغةِ الوقف بحضْرة نحو أربعينَ من العلماءِ واللائذينَ بالوالدِ، **قلتُ له**: إن في قراءتي عليكُم في كتاب «الفتوحات القدسية في الخِرْقَة العيدروسية»، للسيد عبدِالقادر بن شيخ العيدروس: إني أحفظُ أن والدَه عمَّر قبةَ العيدروس وبناها، ولما علم القاضي أن والده أمرَه بذلك سكتَ بعد أن تكلّمَ، قال سيدُنا الحبيبُ الحسن: «إذا أردتَ العملَ، فالقبورُ التي باتقعْ عليها السواري والاسطواناتُ والجدرانُ إذا بليَتْ معادْ لها عندَ الفقهاء احترامٌ، ابحثوا إلى أن تصِلونَ الأرضَ الأصليةَ، لأنا حرَّينا بالبقَر على تربة الوالدِ، الطّينَ الرافعة التي يقبرُون فيهَا الآن»، **فقلتُ له**: ضربُ القبورِ أحسّه مشِقٌ على خاطري، فقال الصّنو عبدُالله لجدِّه: أنا أفعلها إن شاء الله.

أتينا بهذه الفائدة، لعلَّ بركاتها عائدة، لأن سيدَنا قطب الزمن الحسن بنفسِه يطلَعُ لهذا الجمع العظيم، من يوم أمر ابتدائهِ إلى أن توفي، ستّ وخمسون سنةً لم يتخلفْ من ذلك أبداً، ويكفي لأهل هذا الجمعِ فخراً بحضُور مثله في هذه الوقْفة العظيمةِ، فكيف وهو من أكثر المتنسبينَ في هذه الجمعيةِ، ويوصي بحضُورها كلّ سنةٍ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

* * *

وأعلمتني بنتُ سيدنا الحبيب عبدِالله الحداد، سلمَى، نفع الله بها وبأبيها، قالت: «إن السادة آل العيدروس منعُوا السيدَ زين العابدين أن يفعل قبة على ضريح الوالد عبدالله، فرأى في المنام أخي زينٌ: الوالدَ عبدالله يسير في الدار في (الحاوي)، وهو كالمغضب على الذين منعوا السيدَ زين العابدين العيدروس، وقالَ لأخي زين: «عادها تقع قبة على أربعة شُقوق».

ورأى المحبُّ المنوّر، سعيدُ موسى رزيق، في المنام شيخَه عبدَالله بن أبي بكر

العيدروس، ينبهه ليلةً ثلاثَ مراتٍ، ويضربُ على البابِ في المنزلِ الذي هو نائمٌ فيه، ويقول له: رُحْ قل للذين منعوا من القبّة أن تبنَى على قبرِ السيدِ عبدالله الحداد: إن لم ينتهوا وإلا بنيتُ عليه قبةً من السماء!. قالَ: وهو مغضبٌ عليهم كثيراً.

قالَ: وكنت ممن ساعدَهم، فانتهيتُ عن ذلكَ، قالَ: وأعلمتهم بما أمرني به العيدروسُ، فلم يوفّقْهم الله، والتوفيق بيد الله، فنسأله أن يوفقَ الجميعَ لما يحبّ ويرضَى، في خير وعافيةٍ إنه على كل شيء قديرٌ، وما ذلك على الله بعزيزٍ.

* * *

رجعنا إلى ما كنا بصدده؛

قال السيدُ الصنوُ العمدَة، سهل ابن السيد العارف بالله عبدالله بن سهل باحسن: «قال الوالدُ عبدالله بن سهلٍ في سيدي الحبيب الحسنِ: ما عندي أحدٌ الآنَ، يعني به وقته، أكملُ من حسنٍ، ما أحدٌ مثلَ حسنٍ، وينوّه بقدْره ويفخّمه.

قلتُ: وأولاد السيدِ عبدالله لهم اتصالٌ كبيرٌ، وأخذ من سيدنا الحبيب حسنٍ، لما يرون من تعظيم والدِهم لسيدنا الحبيبِ الحسنِ، نفع الله بالجميع.

* * *

وقال الشيخُ الإمام الصوفي، الصفوة القدوَة، محمد بن ياسين باقيس: «إنا نقولُ نحن وتلامذة سيدنا عبدالله الحداد في أيام شبابِ الحبيب الحسنِ: من أراد أن ينظر إلى شابٍّ من شبابِ أهل الجنةِ فلينظُرْ إلى سيدي الحسنِ بن الحبيب عبدالله، لأنه كان مواظباً على العلومِ والاجتهادِ، ورضا والديه، مع عبادةِ مولاه، وصلاة الجماعة مع والده، ومدارسته، ولبسه للثيابِ الفاخرةِ في كل فرضٍ، مع تضمخه بالمسك والأطيابِ الفاخرة كثيراً، حتى إنا نرْوَح المسك والطيبَ فيه وعاده خارجَ المسجدِ قبل أن يدخُل، والعميانُ ما يعرفونه إلا بالأطيابِ الفاخرة».

وقالَ في المرثاة التي رثَى بها شيخَه القطب الأوحد الحداد:

ونرجُـو منـه تعـالى أن يمُـنَّ لنـا — بـالخلف الصـالحِ الميمـونُ سرُّهـمُ
في العقَبِ المرضي المحمُودِ عاقبةً — أئمـةُ الفضـلِ أعـلامُ الهـدَى الـنجُمُ
أهل السوابقِ وأهـلُ الجـودِ لا برِحَـتْ — في حضْرة القدْسِ يسْعَى منهم القدَمُ
خيراتُهم نشرَتْ حالاتهم شُهرَتْ — مشـايخُ الكـلّ فـائضُ جـودهم ردَمُ
جمـالهم سـالمٌ والـزينُ ثـالثهم — مع الفتى علويٍّ والحسين سَـموا
أبقـاهم الله في أوقـاتِ طيبَـةٍ — في خـير عـيشٍ وأيـامٍ لهـم سَـلمُ
وزادهم مـن جميـع الـبر أحسـنه — وعمهم خـيره الفيـاض والكـرم
وردّ حاسَـدَهم في كيـدِه كمـدًا — فخصْمُهم من جميـع الخـير محـترَمُ
فهمُ إلى الله في الأخـرَى وسـيلتُنا — بحبهم نرجوا أن يُغْفَر [لنا] اللمَمُ

* * *

وقال الإمام الكبير، أحمدُ بن أبي القاسم الخلّي، في القصيدَة التي منه في سيدنا عبدِالله، قالَ في أولاد سيدنا عبدالله الحداد:

أبناؤه شُّرفوا بالفَضْل قد عُرِفوا — بسَيره اتّصفُوا هُم هُـمْ أئمتُنـا

* * *

وقال الشيخ جمالُ الدينِ، عمدة السالكينَ، محمد بن ياسين باقيس، في مديحةٍ لوالدِهم عبدِالله الحداد:

نعـمْ وأشـبالُكَ الغـرُّ القـرومُ هـدا — ةُ الخلـقِ والـدينِ أهـلُ الفضْـلِ والشـيمِ
وأصْـلِحُوا كلّهـم نُسـقَى بـدعوتهم — ويشْتفي كلّ ذي بأسٍ وذي سـقمِ
سارُوا بسـيرتكَ المحمـودُ سَـائرُها — ولازمُوهـا بعـزْمٍ مـاضيَ الهمـمِ

أبقَاهم الله في خيرٍ وعافيَةٍ ... كاملةٍ من جميعِ الداء والألمِ
وزادَهمْ من سنيّ الأحوالِ أشرفَها ... وخصَّهم من عطاهُ أوفَر القسمِ

وقال من أخرَى، جزاه الله خيراً، ونفع به:

له فروعٌ على منهاجِه سلكُوا ... في عقدهِ انتظمُوا كالسلْكِ للدّررِ
أئمّةٌ وهداةٌ كلهُم وبِهمْ ... تشْفَى السقامُ ويكفَى البؤسُ والضّررِ
وينزلُ الغيثُ من آثَار دعْوتهم ... فيصبحُ الناسُ في بِشْرٍ وفي يُسُرِ
إذا رؤوا ذُكِر المولَى لرُؤْيتهمْ ... أنوارُ طلعتِهم تغْني عن القمَرِ
أبقَاهم الله في خيرٍ ومكرُمة ... وردَّ حاسِدَهم بالغيظِ متّزرِ
فغارةً يا أهيلَ الجودِ تنقذُني ... فإنني في بحَار الذنبِ منغَمرِ

* * *

[ذكر الشيخ محمد بن ياسين باقيس]

فانظروا لكلام لهذا الإمام الكبيرِ، جمال الدينِ، صاحبِ المكاشفات العظيمة، محمد بن ياسين باقيس، إمامٌ يقتدَى به، أخذَ أخذاً تامًّا عن شيخه القطب عبدِالله الحداد، وألبسَه وحكّمه، ولقنه الذكرَ، ونصبه للإفادةِ والاستفادةِ في (دوعن)، وحلَّ عليه نظرُه، وهو الذي نشر الطريقةَ الحداديةَ بـ(زَبيد)، وإليه ينتمي علماء (زبيد) في الأخذِ، ولهم فيه اعتقادٌ حسنٌ. وكذلك أهلُ (الشحْر)، لأنه وصَلها، ونفع الله به خلقاً كثيراً لا يحصون لكثرتهم. وأما أهل بلدِه (دوعن) فاجتمعَ عليه خصُوصاً آخر زمنِه، الشريفُ والدنيءُ، ولم يتخلفْ عن الأخذِ عنه أحدٌ، ولهم فيه اعتقادٌ جازِمٌ، لظهور مكاشفاته، وحصول بركاته، وله في «مكاتباتِ سيدنا عبدالله الحداد» رسائلُ من سيدنا إليه كثيرةٌ.

وكان إذا وصلَ من بلده (دَوعن) إلى حضرة شيخه، تطولُ إقامته في (الحاوي) الميمون، يأكل في بيت سيدنا مع فقراءِ سيدي وتلامذته، وعدَّه سيدُنا محمد بن سميطٍ من المكثرينَ في الأخذ عن شيخِه الحبيب عبدِالله الحداد.

وزناه بحمْدِالله مع سيدنا الوالد شهابِ الدين أحمدَ بن الحبيب حسنٍ، لـمَّـا سافرنا لزيارة الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي وصالحي أهل واديه، زرناه ببلدَةِ (حلْبون)، بلد جدّه فارس باقيس، وألبسَني، وقرأتُ عليه في أول «رسالة المعاونة» في زيارتنا هذه، سنةَ ١١٨٠، وزرته بعدُ وحْدي سنةَ ١١٨٣، وقرأت عليه «النصائح الدينية» لسيدنا عبدالله الحداد، وألبسني قميصاً، وتوفي السنة المذكورة.

وله «سفينةٌ»، جمع فيها علوماً كثيرةً، مدحها سيدُنا الحبيبُ المزْهِر، عبدُالله بن جعفر مدهر، باعلوي، بأبياتٍ. ومدَحُوا الشيخَ محمد علماءُ أكابرُ، بقصائد طنانةٍ، فانظرها عند أقاربِهِ، نفع الله به، أتينا بقطرةٍ من بحْر مناقبه، لتعرف قدْرَه وقدر كلامِه، لحيثُ مقصودُنا الكلامُ في شيخِنا قطبِ الزمن الحسنِ بن سيدنا عبدالله الحداد.

* * *

وكان شيخُنا الحبيبُ إمام الزمانِ، وكل أوانٍ، الحبيبُ الأعظم، السيد أحمد بن عمر الهندوان باعلوي، يعظم شأنَ الحبيبِ الحسنِ كثيراً، ويفخِّمه، وينوّه باسمه وقدره.

وكان يشبهُ السيدَ أحمد في السّيرةِ، والزهدِ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قالَ سيدنا الحبيبُ الحسن: «كان سيدي وعمدتي الوالد عبدُالله الحداد، يأمرني بالزيارة والطلوع إلى البلاد (تريم) من (الحاوي)، إلى عند السيد أحمد بن عمر الهندوان، وكنت إذا وصلتُ إلى حضْرته يدنيني، ويميّل أكابر السادة الذين عنده، ويجعلني إلى جنبِه، ويخصني بالكلام.

ومرةً طلعت عنده للزيارَة، فقال: لا أحد يفتحْ البابَ للسيد حسن، حتى نجرّبَ صدقه، وكان وقتُ الظهيرةِ، والشمسُ حارة في وقتٍ صيفٍ، فدقيتُ على البابِ، فنادوني وأبطأوا الفتحَ، حتى تعبت من الشمسِ كثيراً، وبقيتُ واقفاً تحت البابِ. وكنتُ أطلع عنده متأدباً بلا خادمٍ وحدي، فلما رآني تعبتُ من الشمسِ، قال السيد علي باحسَن، تلميذ السيد أحمد: اخرُجْ افتح له، قالَ له: إني أخاف من السيد حسن، وأنتم أتعبتوه بالشمسِ وطول الوقوف، فخرج السيدُ أحمد الهندوان بنفسِه الشريفة وفتحَ لي، وقالَ: إنا أردنا أن نجربكَ، فوجدناك صادقاً في المحبةِ، صبّاراً، ثم أطلعني وأكرمني».

«ومرةً طلعتُ عنده في أيام عوادٍ، ومحضرتُه ملآنةٌ من السادةِ آل أبي علوي، فابتدأ يسألهم عن أنسَابهم هل هُم يحفظونها؟ فبعضُهم يحفظُ سبعةً من أجداد، وأحد يوصِلُ ذلك إلى النبي ﷺ، وأحدٌ أقلّ، وأحدٌ أكثرَ، ويتحرّى الذي لم يحفظ إلى جدّه المصْطَفى ﷺ، فلما أكمَلهم وأنا بجنبه، قالَ لي: وأنتَ، من أنتَ؟ ومن أبُوك؟ وهكذا يريدُ أن يسألني ويفعلَ معي كفعلِه فيمن حضَر من السادة، فقلتُ له: ابدأ بنفسكَ ثم بي، لأني ما بقيتُ إلا أنا وأنتَ، فقال لي: أنتَ وأنا أشياخٌ، فلم يأمرني أجيبَ ما لي من النسبِ، ولم ينتسبْ هو إلى جدّه المصطفَى كالحاضرينَ»، نفع الله به.

ويوماً من الأيامِ؛ طلعتُ لزيارتِه نفع الله به من الصبحِ، فأمر بغداءٍ وإدامِ لحمٍ، فلما قرّبَ الغداءُ المبارك، وفعل طعْمةً طيبةً، وقسّم اللحْم كعادة أهْلِ حضرموتَ على الآكلين على سفرته، وطرحَ تحتي لحماً كثيراً، فأكلتُ منه قدْر ما أردتُه، وبقيَ كثيرٌ، فأخذوا منه السادة الذين هم جنبي شيئاً وخلّوا ما بقيَ تحتي.

فنظر السيدُ أحمد إلى ما تحتي، فقالَ للحاضرين: ما أكلَ حسنٌ اللحْمَ الذي تحته وحدَه!، ردوا ما أخذتُم إلى تحتِه، فانكسرَتْ قلوبُ الذين أخذُوا، لأنه مؤدبهم

ومربيهم، ثم قال لهم: أتريدونَ البركة من السيدِ حسنٍ أنتم وحدَكم!، أما تعلمون أنّا نريد وجميعُ أهلِ البيت نتبركُ بالذي مسّته يدُه، ثم قسّمَ على الحاضرين من الذي تحتي قليلاً قليلاً، ثم أخذَ الباقي وضمّه يقسّمه على أهلِ بيته».

قال سيدُنا الحبيبُ الحسن: «وكان السيدُ الإمام أحمدُ بن عمر الهندوانَ، إذا طلعتُ لزيارته يخرجُ معي إذا أردتُ الخروجَ إلى قريبِ (الحاوي)، ويرجعُ، كان ذلك دأبُه في الغالبِ، وإذا قلتُ له: ارجعْ، قال: إنما أردتُ أتروّح المراغَة، يريد بذلك الحبيب عبدَالله، واجتماعَ الأولياء في حضْرة القطبِ الغوث عبدِالله بن علوي الحداد بالحاوي الميمون، وإذا عبر على دار بعْضِ السادةِ الذين يتردّدون عليه، مثل عُمر بنَحْسَن، وغيرهم، يناديه بصَوتٍ خفيفٍ، حيث يسمعُه من هو بجنبِه لا من بعُدَ عنه.

ولنا في مجالِسته خيراتٌ كثيرةٌ، لأنه جامعٌ بين الشريعةِ والحقيقةِ، ظاهرٌ بإرشاد الخلقِ إلى الطريقة السديدة، ولنا منه مددٌ، وانتفعنا به انتفاعاً تاماً، نفع الله به».

* * *

قلتُ: فانظر أيها الناقدُ البصير، والعالم النحريرُ، كلامَ سيدنا عبدِالله الحدادِ، وإقامته له في مرتبة المشيخَة، بل جعله شيخاً مربياً في حياتِه وبعد مماته، وكذلك انظر كلام الإمامِ العظيمِ هذا، بقوله: إنه شيخٌ، وتعظيمُه له، وناهيك بكلامِ الإمامين السابقين جميعَ من في عصْرهما بل وعصْرٍ تقدمَت قبلهما، رضيَ الله عنهما وعنا بهما في الدارين.

* * *

ومن «النفائس العُلْوية في المسائل الصوفية»، من فتاوَى سيدنا الحبيب عبدِالله الحداد: [١] «وسأله الشيخُ عبدالله باسعيد العمودي، رضي الله عنه ونفعنا به، عن قولِ الشيخ الكبير سعيدِ بن عيسى العموديّ، رضي الله عنه ونفعنا به: لا يكونُ الشيخ شيخاً حتى يعلمَ أصولَ الدينِ وفروعَه، ثم قالَ: والأصولُ سبعةٌ، والفروعُ سبعون؟.

فأجابه رضي الله عنه ونفعنا به: اعلمْ أن قولَ الشيخِ هذا قولٌ صحيحٌ محقّقٌ، وأما قوله: «حتى يعلم أصولَ الدين وفروعه»، فمعناهُ: لابدّ أن يكون للشيخِ الداعي علمٌ بأصولِ الدين وفروعِه على الإجمالِ، أو على التفصيلِ من طريق الكسْبِ والتعلم، أو من طريق الوَهْب والإلهامِ، كما وقع مثلُ ذلكَ لهذا الشيخِ، أعني: الشيخَ سعيد؛ فإنه كانَ أمياً، وكذلك جماعةٌ من الأشياخِ، مثل الشيخ أحمد الصياد، والشيخ علي الأهدل، والشيخ أبي الغيثِ، وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وأما قول الشيخِ رحمه الله تعالى: «الأصول سبعةٌ والفروعُ سبعون»، فلا يمكنُ التنصيص على ذلك بالتعيينِ، ربما يكونُ الشيخ قصدَ بقوله هذا شيئاً من معاني الدين الباطنةِ، تتأصل وتتفرع على ما ذكرَه. كما قال بعضُهم: لابدّ للشيخ من إقامةِ الفريضة والسنةِ، ثم قال: الفريضةُ محبةُ الله، والسنة الزهدُ في الدنيا، أو كما قالَ. أصلُ كلام الشيخ: أنه لابد للشيخِ من علمٍ بأمر الدينِ على الوجْه الأكملِ، في الباطن والظاهر، وقد وردَ: «**ما اتخذَ الله من وليٍّ جاهلٍ ولو اتخذَه لعلمه**».

[٢] وسأله الشيخُ الفاضِلُ عبدُالرحمن بن عبدالله عباد، رحمه الله، عما ذكره أيضاً في بعضِ رسائلِه، وهي «رسالة المريد»، وأنه قد يكونُ للمريدِ شيخٌ يربيهِ من حيث لا يشعر المريد به؟.

فأجابه رضي الله عنه ونفع به: هو كذلكَ، والمرادُ هنا: شيخَ الفتح الذي يربي المريد بحسنِ عنايته وسديد نظرِه، وثم شيخَان غيرُه، أحدُهما: شيخُ الرياضة والتهذيبِ والثاني: وهو دونه، شيخ التعليم والإفادة، ولابد في هذين من المعرِفَة في الجانبين، مع اعتقاد التعظيمِ والأهليةِ في الشخص المعيَّن. وأما شيخُ الفتح؛ فقد يكون على المعنَى الذي ذكرنَاه. فمن ذلك: قولُ الشيخ أبي الحسن الشاذلي لتلميذه أبي العباس المرسي أول ما أتاه: قد رفعْتَ إليَّ منذُ عشرةٍ، أو قال تسعةِ أعوامٍ.

ومن ذلك: ما وقع للسيدِ يوسفَ الفاسيّ، من المتأخرين، مع سيدي الإمام القطب الشهير أبي بكر بن سالم علوي، رضي الله عنهم وأمدنا بهم، من طوافه عليه وهو في بلدِ المغربِ، ووصفه له قبلَ أن يقدُمَ عليه إلى (حضرموت)، حتى أن السيد يوسف رحمه الله تعالى كان يطوفُ على مشايخِ المغرب من عدم تمييزِه لشيخِه الذي يلاحظُه منه هو، إلى أن حلفَ له بعضُهم: إنّ شيخك ليس في (غرْبنا) هذا، وحكايتهم في ذلك كثيرةٌ.

وقد تجتمعُ المراتبُ الثلاثُ من مراتبِ المشيخة لبعضِ الشيوخ على الندُور، وذلك هو الشيخُ المطلقُ، بل هو الإكسيرُ العزيز، والكبريتُ الأحمر الذي يُتحدَّث به، وقلّما يوجدُ، ولكن فضْل الله واسعٌ، وجوده شامل، وإن اندرسَت الطريقُ وغابت نجومها، فالقدرَة صالحةٌ، والإمكان واسعٌ، وغير مستحيلٍ أن يوجدَ في هذا الزمان المباركِ من يجمعُ الله تعالى له هذه المراتبَ، ويرشدَ إليه من يريد السعادة من عبادِه، ويوقف عليه من يريد إيصَاله إلى مراتبِ الولاية من خلقِه، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

فعليكَ وفقك الله سبحانَه بإمعانِ النظَر في هذا الكتابِ، فإنه نفيسٌ، وكنْ في حينِ إشرافكَ عليه ممتلئاً بالتعظيمِ، ومتحققا بالتسليمِ، وخالياً عن دعوَى العلمِ، ومتحلياً بالاعتراف والإفلاسِ عن ثاقبِ الفهْم، فبذلك ييأسُ الشيطانُ منكَ»، انتهى.

* * *

قلتُ: وممن جمع الله تعالى له المراتبَ الثلاثَ، الحبيبُ عبدُالله، وابنه الحسنُ، كما علمنا وشاهدنا، فإنّ الإحسائي أحمدَ الشجار، ذكرَ أن الحبيبَ يحميه قبل أن يصِل إليه، وكذلك محمدٌ المغربي، وكذلك الشيخُ إبراهيم، المؤذّن بجامع تريم، حصلت لوعةُ الإرادةِ وجذبَه الحبيبُ عبدُالله وعاده بالهند، فخرج إلى حضرموتَ وتقيد تحته، وانتمى

إليهِ، وانتفع به كثيراً، وهو شيخه وعمدته.

وأما سيدنا الحسنُ؛ فيحمي مريديه قبل أن يكبرُوا في حياتِه وبعد مماته، وأدلك بشاهد واحدٍ يكفي عن الكلّ، وهو ما أعلمتني به والدتي، قالت لي: إنك لما بلغتَ في السنّ قريبَ سنتينِ، وقعت لك سقطةٌ، وطحتَ لما طرحك بعض السادة في طاقةٍ، وسقطتَ من مكانٍ رافع إلى الأرضِ، وتعبتَ منها، وخرَج لك ثلاثين خُرَّاج مكافي، ولا عاد قدرنا نحملك من المرضِ الشديد والجراحة، وتعبنا من ذلك تعباً شديداً، فجئت بك إلى حضرة حبيبك الحبيبِ حسن، وقلتُ له: ادعُ له بالعافية، وإلا الموت أحسَن من هذا التعب، قال لها: لا تتمنين له الموت، إن لنا به غرَضٌ، وسينفعك الله به، فتعافيتَ أنت من ذلك المرض.

وكذلك عند خروجنا من (عَمان)، وذلك بعد وفاتِه وخروجنا في شهر صفر الأصبّ سنةَ ١١٩٥، لما كنا بـ(غبَّة قُمْري) في البحر، رأيته في الليل عند رأسي، وسيد ثاني ما أعرف اسمه عند رجلي في المنام، يقول للسيد: لا تخافْ على علوي، إنه قرأ عند طلوعه في البحر «دعاءَ ابن عباسٍ»، الذي من قرأه لا يغرقُ في البحرِ. فانتبهت فرحاً بهذه الرؤيا، فلما كان صبحَ يومِها، جاءت حوالي المركب الذي نحنُ فيها شَوحطة لحَم كبيرة، ويتبعُه مثلَه لحم كبير مثله، أو أعظم منه، وإذا تنفسَ الواحدُ منهما مثلَ المنارة الكبيرةِ تنفّسُه، ففزِعوا أهلُ المركبِ كثيراً، وعندهم طيرانٌ وسماعاتٌ للحضْراتِ، أرادوا يضربونها، وطرحوا فأس في اليمّة تحتَ الدقْل، يقولون: إنها لم تقرَبه إذا فيه الفأس خاصّة، والتجأوا أهلُ المركب إلينا، فقلنا لهم: قد حصلَ الأمان معنا من البارِحة، أبشروا إن شاء الله ما يصيبكم شيء، وأعلمناهم بالرؤيا فاستبشروا بها.

وكذلك في حياته الشريفة؛ لما سرنا لزيارة سيدِنا العدَني سنةَ ١١٨٢، حدثَ علينا مرضٌ بـ(أرض العوالق)، في الشهر المعظم رمضان، وأنظره بنفسي مع شدّة

المرض يدخلُ إلى المنزلِ الذي أنا فيه، ولابسٌ ثيابه التي يخرج فيها إلى الصلوات الخمس في مسجد (الحاوي)، ولما وصلنا (مرخة)، وقعتْ سرِقة على صاحب البيت الذي قصدْناه، فاستغثنا به، فردَّها السارق وطرحَها على الطريق الداخلِ إلى البيت، ورجعت.

ولما وصلنا إلى (نصَاب)، بعد رجوعنا من زيارة سيدنا العدني، وجدنا المحبّ عمر بن سالم باحلوان عَمي وكفَّ بصرُه، فالتجأ إلينا، فتوسّلنا بشيخنا الحسنِ، فرد الله بصره إليه عاجلاً بعد أن عميَ، فتعجبوا الناسُ من ذلك، وتعجبت أنا مثلهم، لعلمي أني خليٌّ من التصريفِ والبلوغ لهذه المرتبة، واشتهرتْ هذه الكرامة بـ(أرض العوالق)، فجاءوا إلى عندنا بدُو من آل علي، بواسطة الشيخ علي بن محمد بانافع، وأرادوا كرامةَ بئرٍ، نروّيهم إياها يبحثونها في رأسِ جبلٍ، ويظهر الماءُ قريباً، فاستبعدنا هذا المحالَ، فلما وصلنا إلى حضْرة شيخنا الحبيب الحسن إلى (حاوي الخيرات)، أعلمناه بذلك، فقال: هلا رأيتهم يبحثونَ، هل أنت إلا سببٌ، والتصريف مننا، ما هو مليحٌ منك ذلك، لا تعود تفعل ذلك، فقد قال الوالدُ عبدُالله: «حد يبرهن لنفسهِ، وحَد يبرهن له غيره».

* * *

قلتُ: والحمدُلله رب العالمين، إذا أشكلتْ عليّ مسألةٌ قد أراه يعْلمُني بها في النوم بعد وفاته، حتى إنا ليلةً بقينا نتذاكرُ تحريمَ التنباكِ. فقلتُ: إن الحبيب أحمد بن عمر الهندوان يصرّح بتحريمِه، وألّف في ذلك نُبَذًا.

وأما سيدنا عبدُالله الحداد؛ فقالَ الأحسائي في «تثبيت الفؤاد»: إن الحبيبَ عبدالله يقولُ: «الأصح في مذهب الإمام الشافعيّ أنه حرامٌ، لأن ما أسكرَ قليلُه حرُم كثيرُه»، وقد بسط الأحسائي في النقل فانظروهُ فيه. وقال الحبيبُ أحمد بن زين في «المسلك»: «إن الحبيب عبدالله لما سأله علماءُ الحرمين سنةَ حجَّ، أجابَ بالتوقّفِ عن

الحلِّ والحرمة، أي فيما عندَه نفع الله به، سألوه فأجاب بالتوقف. فلما نمتُ تلكَ الليلةَ، رأيتُ الحبيب الحسنَ في المنامِ عند رأسي، يقول: «هو حرامٌ، هو حرامٌ، هو حرام»، (ثلاثاً)، رضي الله عنه وأرضاه.

بل في غالبِ الأحوال إني أراهُ وإذا حصلتْ عليَّ شدّةٌ، أراه يحضر ويسرعُ قبلَ أن أدعوه، رضي الله عنه. وقد قالَ لي قبل وفاته: «إني بعدَ موتي ما أتخوّف إلا على تعبِك بعدي، وستبكي الدّم على فراقي»، أشار بذلك إلى غربتنا بـ(عمان)، خمسَ سنينَ بعد وفاته.

* * *

ورأى الحبيبَ الحسنَ في المنام خادمُه الخلاصَة، حمدون عكيمان، قالَ له: «أما تقرأ كما علوي كلّ ساعة، يقرأ ما تيسّر من القرآنِ، ويهدي بذلك إليَّ»، وكان سيدُنا يحبّ حمدون خادمَه هذا، ويقول: «لو كنتُ وإياه على قلّة جبلٍ، لم نحتج لأحدٍ من المخلوقين».

وكان حمدون صاحبَ همة عظيمةٍ، وأهلية الخدمة، له عقلٌ مع أدبٍ مع محبةٍ وعقيدةٍ، ومعرفة وفتوةٍ وبصيرةٍ في الأمور، وانظر في كلامِنا لذكر مريديه وتلامذته، وتعديدهم ومناقبهم، وذكر أولاده وما جرَى من حمايتِه وحفظه لهم، رضي الله عن الجميع، وعنا بهم.

* * *

فاحفظ يا أخي من الأمرِ الذي لم يقبلْه عقلُكَ، قال سيدُنا عبدُالله الحداد في «نصائحه»: «من يكذبْ على الأولياءِ يموتُ على سوء الخاتمة». نعَم؛ وقد اشتهرت كرامة الشيخ الكبيرِ عبدالقادر الجيلاني، لما وصل لزيارة الغوثِ، هو وابن السّقَّاء،

والرجل الثالث، فالذي با يمتحن الغوث قال له: تموتُ على الكفر،...[١]، قال له: تغرقُ في الدنيا إلىٰ أشحامِ أذنيكَ، وسيدنا عبدالقادر الجيلاني قال له: عاد قدمك يقع على رقبة كل ولي،لأنه جاء معتقداً خالصاً في عقيدته.

وقال الإمامُ الشعراوي في «المنن» الوسطى: «أخبرني شيخُ الإسلام زكريا الأنصاريّ شارح «الرّوض»، رحمه الله تعالى، قالَ: دخلتُ أنا واثنينِ على سيدي علي النبتيتي زائرانِ له، وكنا قد أضمرْنا قولاً لا يعلمُ به إلا الله تعالى، وذلك لأنني قلتُ في نفسي: لا أنكر على هذا الرجلِ ولا أعتقد. وقال أحدُ الشخصين: أنا منكرٌ له حتى يظهرَ لي كرامةً، وقال الثالثُ: أنا معتقدٌ فيه، ولو لم يظهر لي كرامةً.

فلما دخلنا عليه، نظر إلى المعتقدِ، وقال: جزاك الله خيراً عن أدبكَ مع الفقراء خيراً. وقرّبهُ منه، ثم نظَر إلى من طلبَ منه الكرامةَ نظر المغضَبِ، ثم نظر إليَّ، وقال: يا زكريا، مثلك يقولُ أنا لا أنكِر ولا أعتقدُ، وعن قريب تسير الركبانُ بكتبِك إلى سائر أقطار الأرضِ، قالَ: فقبلتُ رجله واعتقدته، فحصل لي به خير كثير. وأما من طلب منه كرامةً فشرِق بالخمْر فماتَ، فنسأل الله العافية».

وقال الشعراوي: «وقد خالف قومٌ من أهل هذا الزمانِ، وجعلوا سداهم ولحمتهم الإنكارَ على مشايخِ عصرهم، فمُقتوا، ووقفُوا عن الترقّي، وبعضُهم ذهبَ رونق الصلاحِ من وجهه، وماتَ على أسوأ حالٍ. ومما أنعمَ الله عليَّ به: تصديقي للصالحين في كلّ ما يخبروني به من الأمور التي تحيلُها العقولُ عادةً، فأصدّقهم ولو لم أتعقّله، وأجعَلُه من العلم الذي ما قرأته، وهذا الخلُقُ جعله الله لي من حينِ كنتُ دونَ البلوغ، فلا أكذب إلا فيما خالفته النصوصُ الصريحة، أو خرقَ إجماعَ المسلمين.

وقد تقدم في خطبة هذا الكتابِ قولُ الإمام أبي القاسم الجنيد، رحمه الله: لم يزل

(١) بياض بقدر كلمة في الأصلين.

عندي توقفٌ في قول بعض الصوفية: يبلغُ الذاكر لله تعالى إلىٰ حدٍّ لو ضرِبَ وجهُه بالسيف لم يحسَّ، إلى أن وجدْنا الأمرَ كما قال العارفون: كلّ من أنكر شيئاً أخبر به أهلُ الطريق حُرِمَ وصُوله إليه، ولو بلغَ الغاية في السلوك، لا يعطى ذلك الأمر، عقوبةً له على تكذيبِ أولياء الله تعالى، الذين هم آياتُه وعلاماته في الأرضِ، بهم يرزَقُ الناسُ، وبهم يمْطَرون، وبهم يدفعُ الله البلاءَ عن عباده.

وقد أخبرني سيدي علي المرصفيّ: أنه قرأ في يومٍ وليلةٍ القرآنَ العظيم كلّه ثلاثمائةِ ألفٍ وستينَ ألفَ مرةٍ، كلّ درجةٍ ألفَ ختم، فقلتُ له: إن الله على كل شيء قديرٍ، كما يحاسبُ الأولين والآخرينَ يوم القيامة في مقدارِ لمحةٍ.

وأفطر عندي الشيخُ أبو العباس الحرثيّ، في رمضانَ مرةً، فقرأ بعد صلاة المغرب وأكلِه الطعامَ القرآنَ العظيم خمسَ مراتٍ، قبل أذان العشاءِ، وذلك بمُلاحظتي له في قراءته السورةَ من أولها إلى آخرها.

وأحرمتُ أنا مرةً الصبح خلفَ الشيخ عمَر، الإمام بزاويتي، فقرأ سورة المزمل، فافتتحتُ خلفه من أول البقرة فلحقتُه في سورةِ المزمل قبلَ أن يركعَ الركعة الأولى، ثم سمعتُ قراءته إلى أن ركعَ، وهذا الأمر شهدتُه من نفسي، وآمنتُ به وصدقتُ به، فإن الإيمان بما يقعُ على يدِ العبد من الأكابرِ من الكراماتِ واجبٌ، كما يجب عليه الإيمانُ إذا وقع على يد غيرِه على حدٍّ سواءٍ، فالحمدُلله رب العالمين».

* * *

[ذكر السيد عبدالرحمن بن علي فقيه، باعلوي]

وممن كان يحبُّ سيدَنا الحبيبَ الحسنَ ويفخّمه، ويعجبه نباهته وحذْقُه، ويثني على نجابته، السيدُ الإمام المعظّم الكبير، وجيه الدين عبدُالرحمن بن السيد الكاملِ علي ابن عمر بن حسين بن محمد فقيه بن الشيخ علي بن أبي بكر.

قال سيدنا الحبيبُ الحسن بن عبدالله الحداد: «كان السيد عبدالرحمن يدنيني ويعلمُني بالأحاديثِ عن الرسولِ، وسني قريبَ الخمسِ السنينَ، قبل أن أتعلم القرآن العظيمَ في المكتبِ. ويوماً من الأيام خرَجْنا في أيام الخريفِ إلى عنده، وهو حالٌّ في نخلٍ لهم تحتَ البلد (تريم)، ومع الصنوِ علويٍّ رأسُ غنمٍ صغير، للسيد عبدالرحمن من الأخ علوي، وبيننا وبينه صلةٌ، لأنه حالٌّ في بيتِ الوالدِ وقتَ الشتاء، ومتزوج على الكريمة مريم، وجاءت بولد اسمُه محمد فقيه، ولما وصلنا عند السيدِ عبدالرحمن، وجدناهم يقرأونَ في كتابِ «مسند الفردوس»، وحفظتُ منه حديثين:

الأولُ: «**من قالَ عند رؤيته للجنازة، والميتُ فيهَا: لا إله إلا الله العافي بعد قدرته، لا إله إلا الله الباقي بعد فناء خلقه، لا إله إلا الله كلّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعونَ، غفر الله له وللميتِ، ولمن عندَ الجنازة**». وقال السيدُ عبدُالرحمن: إن أكثر الناس غافلينَ عن حفْظ هذا الدعاءِ. قال سيدي الحبيبُ الحسنُ: فحفظته من ذلك الحينِ وأنا صغيرٌ، قبل أن أقرأ القرآنَ. وإذا رأيتُ في الطرق التي هي قريب الحاوي من عبر بميت في الجنازة وأنا صغير، رحتُ إليها، وأنا قد أقرأ هذا الدعاء ثم أجيء إلى عند السيدِ عبدالرحمن المذكورِ، وأقولُ له: قرأتُ الدعاء، فيدعو لي ويفرَح بذلك.

قلتُ: ورأيتُ هذا الدعاء في «كتاب الدعوات»، لسيدي عمر البار باعلوي، ولم يذكر فضائلَه. ورأيتُ أيضاً سنةَ ١١٩١، ونحن بـ(ظفَار)، في فوائد منقولةٍ بخطّ العلامةِ زين العابدين بن السيد الكبيرِ عَقيل بن عمران، وقالَ: إنّه من كتاب «مسند الفردوس»، وذكر فضَائله أيضاً في الجزء الثاني من كتاب «القرطاس في شرح راتب سيدنا عمر العطاس»، للسيد العلامة العارفِ الفاضل، علي بن حسن العطاس باعلوي، نفع الله به، وجزاه خيرا وسأنقلُ ذلك منه.

قالَ: «وقال الفقيه أحمد بن علي السرددُي، حدثني الفقيهُ السيد محمد بن أحمد البختيج عن الفقيه الإمام السيد محمد بن يوسف الضَّجاعي، بإسناده، يرفعُه إلى النبيَّ ﷺ، قالَ: «**من قال خلفَ جنازةٍ: لا إله إلا الله العافي بعد قدرته، لا إله إلا الله الباقي بعد فناء خلقه، لا إله إلا الله كل شيءٍ هالكٌ إلا وجهه، له الحكمُ وإليه ترجعونَ، غفر للميتِ، ولقائلها، ولمن شيع جنازتَه، وللقريةِ التي خرجَ منها، وللمقبرة التي قُبر فيها**».

قالَ بعضُ العلماءِ: ورأيتُ في بعضِ التعاليقِ: أنه رويَ عن سيدنا عيسى عليه السلام: (مَن قال ذلكَ خلفَ جنازةٍ، غفر الله له ذنوبه ولو كانتْ كذنوبِ رجلٍ يخرجُ آخر الزمانِ يقالُ له عبدُالملك بن مروان، قيلَ: يا روحَ الله؛ ما ذنوبُ عبدِالملك بن مروانَ؟، قالَ: يخطئ خطايَا تملأ ما بين السماءِ والأرض)، ثم قالَ: وأجمعَ العلماءُ على أنها توليةُ الحجاجِ بن يوسُف»، انتهى، من كتاب «القرطاس».

وأما الحديث الثاني؛ الذي سمعه منه سيدُنا الحبيبُ الحسن، نفع الله به، فهو «من قالَ ثلاث مراتٍ يومَ الثلوثِ: اللهُمّ يا كافي البلاء، اكْفِنا البلاءَ قبل نزولِه من السماء، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله، (سبع مراتٍ في كلّ مرةٍ من الثلاث من ذلك)، لم ينزل عليه بلاءٌ إلى دورَةِ الثلُوثِ الثاني، يحفظ من الثلاثَاء إلى الثلاثاءِ»، وكان سيدنا الحبيب مواظبا عليه يوم الثلاثاء خصوصاً، بل وفي غير يوم الثلوثِ، أسمعه يقرأه ويوصينا بالمواظبة عليه.

ولما توفي السيدُ عبدالرحمن؛ أخذ الحبيبُ حسن سريرَه الذي ينامُ عليه بالمشترَى من تركته، ونزّل الحبيبُ عبدالله ابنَه الحسنَ بنَ عبدالله في المكانِ الذي نزّلَ فيه الحبيبُ عبدالرحمن، في المجلسِ الشرقيّ، لأن سيدنا الحبيبَ عبدَالله قريبٌ منه هذا المكانُ إذا نادَى مَن فيه سمعَه، فكان سيدُنا الحبيب يستعدّ فيه بالكتُبِ المفيدَة، كثيراً ما يجيء الحبيبُ عبدُالله ويسأله عن مسائلَ يدوّر لها في الكتبِ المذكورةِ.

حتى قالَ سيدنا الحسنُ: «أستعدّ بتكيةٍ وفرْشٍ باسمِ الوالدِ في المكانِ، لكثرة ما يجيء إلى عندي، وأنا فيه وَحْدي، وأما الزوجَة والأولادُ، فهما مدّة حياةِ الوالد في البلاد (تريم)، بدار السّادة آل الحامد أخوالهم، لأني ما خرجتُ بهم إلى (الحاوي) الميمونِ إلا بعدَ وفاة الوالدِ عبدِالله الحداد، لأني ما أريدُهم يشغَلوني عن خدمةِ والدي، وكلّ ما يكفيهم ويريدُونه من الطعَام وغيرُ ذلك مخلّيه عندَهم، ولا أطلعُ إلا بالليلِ، بعد أن يختلي الوالدُ عن الناسِ في (الحاوي)، أو عند أحدِ نسَائه الذي في مدينة (تريم).

إذا طلع إلى الدار الذي يريد يبيتُ فيه بعضَ زوجاته، أرجعُ من تحتِه إلى دارِ آل الحامد، وأطلع مع الوالدِ، ولا أصلي كلَّ يومِ الصبحَ إلا في (الحاوي)، شتاءً وصيفاً، إن حضَر الوالدُ صلى بهم إماماً، وآخرَ العمرِ أنا، وإن حضَر الصنو علويٌّ صلّى بهم.

ولنا وقت الصِغَر انتفاعٌ من السيدِ عبدالرحمن بن علي من جهة العلم، رحمه الله.

قلتُ: وبالجملة، لو طالَ عمر الحبيب عبدالرحمن بن علي، لكانَ هو من المتقدمينَ على تلامذة الحبيبِ عبدِالله الحداد، ولكنه توفي صغيرَ السنّ، عمرُه فوقَ الثلاثين، ودون الأربعين. وقال الحبيبُ محمد بن زين بن سميطٍ: «قالَ بعضُ الصالحين: ما سمعتُ صوت الحبيبِ عبدالله الحداد بالبكاءِ من وراءِ البيتِ على أحدٍ، إلا يومَ علِم بوفاةِ السيد عبدالرحمن المذكور بـ(تَعزّ)». وقد بسطَ الكلامَ فيه في «المناقب»، وفي عدّه للآخذين من سيدنا الأوحدِ الحداد، فلا حاجة للإطالة، لأنه مشهورٌ بالعلوم الواسِعة، والكرامات، حتى بعد موته رأوا قبرَه مدّ البصرِ لما دفنوه فيِه، رضي الله عنه.

* * *

وتزوجَ على الحبابة الولية الطاهرة، مريمَ بنت سيدي عبدِالله الحدادِ، بعدَ هذا السيدِ عبدالرحمن، السيد التقي، الحفي الزاهدُ، عبدُالله بن السيد عُمر بن فقيه بن

حسين بن فقيه بنِ الشيخ عليِّ بن أبي بكرٍ، بإشارةٍ من النبي ﷺ، كما ذكره الحبيبُ محمد بن زين بن سميط. وكان هذا السيد عبدُالله مطلقَ الثناءِ على سيدي الحبيب الحسنِ، ومفضّله على إخوانِه، لاتساعه في العلمِ، كما أخبرني من أثقُ به.

وكان سيدي الحبيبُ حسنٌ يتردّد إلى بيتِ السيد عبدالله الذي بناهُ بإشارةِ سيدِه وشيخه الحبيبِ عبدالله الحداد، وكان الحبيبُ عبدُالله أنزلَه أولاً في دارِه، ثم في دار ولدِه سالم بن عبدالله الحداد، ثم بنَى البيتَ بإشارة شيخِه.

قالَ الحبيب الحسنُ: «إني أختلف على عبدالله بن عمر فقيه، لزهده وانطوائه، وانقياده لسيدي الوالد، ونقرأ في كتُبِ أجدادِه في خزانةٍ عندَه. وأعطاني ورقةً فيها تنزيلُ الكتب حقّ أهله، أحفظُها عندِي، ويوصيني بأولادِه كثيراً، لأني خالُهم.

وإذا جاء الحبيب أحمدُ بن زين الحبشيّ إلى (تريم)، يطلبني وإياه يوماً من الأيامِ إلى بيته. قال سيدي الحبيبُ حسنٌ: ومن العجَب أنا قرأنا في بيت السيد عبدِالله على السيد أحمد بن زينٍ في بعضِ الكتُب، أظنّ أنه قال: كتاب «المستطرف»، وكان ولدُه جعفر معه، وجاء في الكتاب في صفة الذي هو على عينٍ واحدَةٍ ينظر بها، والثانيةُ ما ينظر بها، وكان جعفر أصيبتْ إحدَى عينيه وهو صغيرٌ، فلم ننتبه ونذُكر أنّ جعفر حاضَرٌ، إلا بعد ما قرأنا، فحصلَ معنا الأسف الشديدُ».

وأخبرَني بعضُ الثقاتِ: أن السيدَ عبدالله المذكور عند غُسْله بعد موته ضحكَ، ففزع المغسلُ منه، فأتم غُسْلَه سيدُنا الحبيب الحسنُ، وقال للمغسّل أما تعلم أنه عبدُالله بن عمر!. وكان يرَى النبيَّ محمداً ﷺ يقظةً، لأنه كثير الصّلاة على النبيِّ ﷺ، وورده «دلائلُ الخيراتِ» كلَّ يومٍ، حضراً وسفراً مرتينِ. ورأى الكعبةَ المشرفة جاءتْ إليه في اليقَظة. ذكره الحبيب محمد بن زين بن سميط، وأطنب في مناقبِه، عند عدّه الآخذينَ عن سيدنا الحبيب عبدِالله الحداد.

قال الحبيب محمدٌ: «وكان أخوه لأبيهِ، عيدروس بن عمر فقيه، أمه بهية، أختُ الحبيب القطب عبدالله الحداد، نفع الله به. وكان لا يحجبه في أكثَر أوقاتِه من حين صغرِه، وقرأ عليه جملةً من الكتبِ النافعةِ، وكان قويًّا على القراءةِ، ولبس منه الخرقة وتلقنَ الذكرَ، وجُذِب في آخر عمره، وسبب ذلك: بلغنا أنه لما كانَ بمدينة الرسول ﷺ، اتفقَ مع جماعةٍ، ومنهم قوالٌ، فسمع بقصيدةِ الشيخ السّودي عبدِالهادي:

وادِي المحبّةْ سَـالْ   والنّـــاسْ في وادِي

إلى أن قالَ:

وشرْحُ حَـالي طَـالْ   ولم أزلْ صَـــادي

فجُذبَ عند هذا، وجاء يعدُو إلى الحرم الشريفِ، وأراد يدخلَ الحجْرة الشريفة، فمنعه الحجّابُ، فأشارَ إلى الأقفالِ، ففتح البابُ. أخبرني بهذا أخوه عبدُالله.

وسمعتُ أن سيدي عبدَالله الحداد، نفعَ الله به، ناداه وهو في المهدِ، فقال له: لبيكَ!، ولد بتريمَ، وبها ماتَ. وكان له أخٌ من أبوَيه اسمه شيخ، ولد بتريمَ أيضاً»، انتهى كلام سيدي العارفِ، محمد بن زين بن سميط.

* * *

[ذكر زوجة الحبيب عبدِالله الحداد، التي رثاها في الديوان]:

وقد تزوجَ سيدُنا الحبيب عبدُالله الحداد على السيدَة الصالحة العابدة، خديجة بنت عبدالله بن عُمَر بن حسينٍ، من آل فقيهٍ، ذكرَها الحبيبُ محمد بن زين بن سميطٍ في «المناقب الكبرى»: أنها كلمتْ رجُلاً من قبرها.

ورثاها سيدُنا الحبيبُ بقصائدَ في «الديوان»، منها:

* سقَى الله بشاراً بوابلِ رحمةٍ *

إلى آخرها. **والثانية:**

* ما للفُؤادِ يفيضُ بالأكْدَارِ *

وهي أمّ ابنتيه: بهية، وفاطمة.

[١] **فأما بهية؛** فتزوجتْ على السيدِ عمر بن علي الحداد، عمُّه الحبيبُ عبدُالله الحداد. ولها كراماتٌ، منها: أنه استغاثَ بها بعضُ المعتقدينَ فيها، أصابته عُلَقَةٌ في حلقِه، ورم منها حلقُه، ومرضَ ولم يقدر يتحركْ، فرآها نوراً دخلتْ عليه إلى البيتِ، وأدخَلتْ يدَها في حلقه وخرّجتْ العُلقة منه، وتعافى ببَركتها.

ومنها: أن السيد العارفَ أحمد بن عبدالرحمن بن سميطٍ، صاحب (المحَيْضرة)، المكان الذي تحت البلد (تريم)، قال: أنه يريد أن يزور بعضَ أقاربِه من النساءِ بتربة (زنبل)، فعبر على قبر الشريفة السيدة بهية بنتِ الحبيبِ عبدِالله الحداد، فقرأ لها الفاتحةَ وما تيسر من القرآن العظيم. قال: فلما نمت تلك الليلةَ، رأيتُ القريبة هذه جاءتْ إلى عندنا إلى البيتِ، فقلتُ لها: اجلسي نجيبْ ما تيسّر من الطعام، قالتْ: مَا حاجة لطعامك، إني مضيفَة الليلة عند السيدة بهية بنتِ عبدالله الحداد، لأنك لما أردْتَ زيارتي عبرتَ عليها وقرأتَ لها الفاتحة.

وأعلمَتني الحبابةُ سلْمى بنتُ عبدالله الحداد، قالت: لما مرضَت الأختُ بهية مرضَ الموتِ، وتعبت كثيراً، طلع سيدي الوالد من (الحاوي) إلى (تريم)، إلى بيت زوجها عمر، ولدِ أخيه علي، فزارها وجلسَ غالب يومِه ذلكَ. فلما كان وقتُ العصْر، قال للخادم: شِدّ الفرس، فلما ركبَ عليه سيدُنا الوالد قبضَ بالمركابِ زوجُها السيد عمر الحداد، وقالَ: يا مولانا! أتخرج في هذا الوقتِ، وبهية على ما تَرَى من الشدّة والمرضِ، قال الحبيبُ عبدُالله له: أطلقِ المركابَ يا عمر، قضاءٌ مبرَم، وقضاءٌ تردُه

أحلام الرجالِ، فعلمَ عمرُ أنها ميتةٌ، فماتت عشيةَ ذلك اليوم.

[٢] **وأما فاطمة**؛ فتوفيتْ قبلَ أن تتزوجَ في حياة والدها.

* * *

وأخبرني بعضُ أولادِ الحبيب عبدِالله بن عمر فقيه: أن الوالدَ عبدالله بن عمر فقيه جميعَ المدارس والحضراتِ والرواتبِ مواظبٌ عليها في (الحاوي) في حياة الحبيب عبدالله الحداد، وأيام الأخوال علوي وحسن، وقلنا للوالد: إذا كان ليلةَ الجمعة تعشَّ قبل المغرِب، وإلا تعالَ إلى البيتِ قبل أن يتمُّونَ الحضرة، قال: تريدونا أضيّع الزّبْدَة وأحْضُر المخيض!، لا، ما يكون ذلك.

وأخبرني سيدي الحبيبُ الحسن بن سيدنا عبدِالله الحداد، قالَ: «إن الوالد الشيخ عبدَالله الحداد، يخرج كلّ سنةٍ إلى عندِ أولادِ العمَة بهية بنت الحبيب علوي الحداد، يحلون في دويرة قريب مسجد إبراهيم، ونخرُج نحن والأصناء والوالدُ، وآلُ عبدالله بن عيدروس، ويباتون عندنا في (الحاوي)، ويأخذون رأسْ وكَرْفَلِّه، أي: أطرافَ رأسِ غنمٍ من الليل، ويباتُ طولَ الليل، ويخرجُون به الصبحَ فوقَ الغداءِ، وهو عندنا مليحٌ، من زهد السادة آل أبي علوي.

ومرةً خرجَ الوالد والأصناء الجميعُ، وبقيتُ في الدار أقضي حوائجَ بيت سيدي الوالد، فلما وصل الوالدُ والأصناء والسادةُ آل عبدالله بن عيدروس إلى تحت الدار، قريب مسجد إبراهيم بن السقاف، تذكروا أنهم نسُوا الإقليدَ، فأرادوا يفتحُون بلا إقليد، فما انفتحَ لهم البابُ، فجلسوا في ظلالِ البيت، وقال لهم الوال: ما يفتح الباب إلا الحكيم حسَن، فلما وصلتُ وجدتهم جالسينَ في ظلالِ البيت، فقال الوالدُ عبدالله الحداد: أنت حكيم، افتحِ البابَ بلا إقليد، لأنهم نسوا الإقليد في البلاد. قال: فجئتُ إلى الباب، وجذبتُ القالودَة بيدي، فانفتحت من غير يتغيّر شيءٌ من الحناذيذِ القابضَة

للقالُودَة، فعلمت أن ذلك كرامةُ الوالد عبدِالله الحداد، أجراها على يدي.

قلتُ: وقد طال بنا الكلامُ فبسطناهُ، لفوائد كثيرةٍ، لذوي القريحة المستقيمة، وليقتدوا الذريةُ بالآباءِ، والله يتولى هدى الجميع بفضله.

* * *

[ذكر الحبيب حسين بن محمد بن شهاب الدين]:

وكان السيدُ الشريفُ، العارف بالله، العلامة حسين بن محمد بن شهاب الدين بن الشيخ علي؛ مطلقَ الثناءِ في سيدنا الحسنِ بن عبدالله الحداد.

سمعتُ بعض الثقاتِ يروي عن السيد حسين المذكورِ، قال: وقع غيثٌ وأمطار في بعضِ السنين، وكنا جلوساً عند سيدي بدر الدين الحسنِ بن عبدِالله الحداد، وهو مستبشِر بالغيثِ، فقلت له: ليس على (وادي بيت جبير)، ولا وادي كذا؛ أرى غيثاً، وأنت فرحَان بهذه الغيث!، فقال له سيدي الحسنُ: ما فرحتُ هذا الفرحَ إلا علمتُ أن الله بايعُمّ بالغيثِ جميع أوديَة حضرموت، ولا باتبقى دَحْقة لا في (وادي بيت جبير) ولا غيرُه، فكان الأمر كما قالَ. **قلتُ**: معنى قوله ذلكَ، أن الله أطلعَه على ذلكَ، وكان سببَ شفاعةٍ للناسِ عندَ الله، وعلمه القبول، والله أعلم.

ورأيتُ من كلامه بخطّه، في سيدنا الحبيب الحسنِ بن سيدي عبدِالله الحداد، ومنه نقلتُ، فقال: «هو السيدُ الشريف الفاضل، سليل الأفاضل، الإمام العلامة بدر الدين، ومحي سنةِ سيد المرسلين، أخي في الله، شيخ الزمن، الحسنُ بن سيدنا القدوة للعباد الحبيبِ الشيخ الأعظم، قطب دائرة أهل الإسلام، عبدِالله الحداد، نفع الله بهما المسلمينَ، وأعاد علينا من بركاتهما، آمين». ثم أرخ كلامَه، فقالَ: «وذلك ٢٥ من ذي الحجة الحرام آخر شهور سنة ١١٤٣»، وعاش سيدنا الحبيبُ بعدَ كلامِه خمسةً وأربعين سنةً.

وكذلك كلام المتقدمين من الأكابرِ، فإنه في بداية سيدي الحبيب قطبِ الزمن الحسن، فأما نهايته فما يقدِّر قدرُها، ولا أحدَ في وقته يصِفُ كنهها، لأنه على ما قالَ سيدي العلامة حامد بن عمر حامد باعلوي: «ما أحد يقدر يصف حالَ سيدي الحبيب الحسن، لأن أقرانه تفانوا، وبقي ناسٌ قليلٌ من مريديه، ما أحد يقدر يعبِّر عن حاله، لأنه ماله نَظير، وأقرَّتْ له جميع طوائفِ السادة بأنه أكبرُهم سناً وحالاً، وأنى مثله يوجَد في زمانه، وإنه كالغريبِ مع أهل هذا الزمنِ، كائنٌ فيهم بائنٌ عما هم فيه وعليه، ما يجد أخاً يحادثُه فيما هو فيه»، سمعتُ ذلك منه يخاطبُ به سيدَنا الوالد أحمد، ونحن في شعب نبي الله هود ﷺ، لما خلفْنا للنفرَة مع الوالد ومعَه، سنةَ ١١٨٥، قبل وفاة الحبيب الحسن بثلاث سنين.

وكان سيدُنا الحسينُ بن محمد بن شهاب الدينِ، من الآخذين عن سيدنا الحبيب القطبِ عبدالله الحداد، عده السيدُ الأكملُ محمدُ بن زين بن سميطٍ من الآخذينَ، وترجم له. وهو الذي شرحَ قصيدَة سيدنا الحبيب:

* مرْحباً بالشَّادنِ الغَزَلِ *

بإشارة الناظمِ، سيدنا القطب عبدِالله الحداد.

وكان في أيام الخريفِ يحلُّ في مكانه (الروضة)، ويصلي الصلوات الخمس جماعةً مع سيدنا الحبيب عبدِالله الحداد في مسجد (الأبرار)، وقد ضبطَ المسافة من داره إلى مسجد الحاوي خمسمائةِ خطوةٍ، وإذا حضَر المجلسَ عند سيدنا القطب عبدِالله الحداد بعد العصر، إذا ختموا الدرسَ، وقرأ سيدُنا ومن حضَر الفاتحة المعظمةَ، وجمع بهم للدعاءِ، كلٌ سارَ إلى مقصدِه، خصوصاً قراءة أورادِ المساء والاستغفارِ، لأن من أوراد الحبيب عبدِالله بعد مدرَسِ العصر: ألفاً من الاستغفارِ، كما نقله الأحسائي وغيره.

وكان سيدنا الحبيبُ الحسن والسيدُ حسينٌ المذكورُ، في الغالبِ، يخرجان إلى

(الروضة)، ويرجعانِ لصلاة المغربِ، ويتذاكران، ويتمانِ أورادهما، هكذا سمعنا من سيدنا الحبيب الحسنِ. وكان الحبيب الحسنُ يحضر عوائدَ وعاداتِ السيد حسينٍ، جبراً لخاطره، وقياماً بحقِّ الأخوةِ، لأنه دائم التردد إلى (الحاوي)، حسنَ العقيدةِ في شيخه القطب عبدِالله الحداد.

[ذكر الحبيب شيخ بن محمد بن شهاب الدين]:

وكان أخُوه شيخُ بن محمدِ بن شهاب الدينِ؛ كثيرَ التردد على سيدنا الحبيب الحسنِ، وكان شيخاً أديباً عاقلاً، ويحضر مجالسَ الحبيب الحسنِ في بيت السيدِ شيخ إذا طلبَه، فلما توسعَتْ عنده الدنيا قطَعه، وقال: «إنا لم نؤَاخِ من كثُرَتْ عليه الدنيا، والقلوبُ معمورةٌ». وأخبرني سالم با سالم، المؤذن بمسجد (الحاوي)، قالَ: إني أوصاني الحبيب حسن إلى عندِ الحبيب شيخٍ، فلما بلّغتُه الوصاةَ، قالَ: مرادي كرامة من حسن، الآن ضاعَ عليَّ فصُّ خاتمٍ، قيمته خمسون فرنسَه قرْش، اجلسْ للقهوة، قالَ: فعند حصُول القهوة قامَ وطلع في الدرَج، فوجد الفصَّ في إحدَى الدرج، فخرج فرحاً، وقالَ: حصلت لنا الكرامة، شي لله يا حسن بن عبدِالله.

قلتُ: وكان مكانٌ في (مسجد باعلوي) مجابٌ فيه الدعاءُ، فدعا السيد الإمام أحمد بن زين الحبشي فيه بسَعة العلمِ، وفتح الفهم، ورُزِقَ ذلك. وأيضا السيد شيخ دعا فيه لنفسه بسعة الدنيا فحصل له ما طلب والمكان المذكور عند السارية البحرية القبلية في أول صف بين الإسطوانة والجدار يخلي بينه وبين الجدار القبلي قدر الشاخص

قال سيدنا الحبيبُ الحسن بن عبدالله الحداد: «وإذا خرجنا (السُّبَير) والسيد شيخٌ معنا، إذا عبرنا على (باجبهان) وديارِ السادة آل بن يحيى في (باجبهان)، إذا رأى الأحمالَ تحطّ تحتَ ديارَهم لسعتهم في الدنيا، يقولُ: حتى وقدْ معي مال مثلَ مالهم، قالَ ذلك قبلَ أن تتسع عنده الدنيا، واتسعت عندَه من حينِ ولدَ ابنُه علي، فكان فيه بركةٌ

على نفسِه ووالديه، قال: وكان السيدُ شيخ كثيرَ اللحمِ، إذا سرْنا قبله نادانا: قِفُوا لي، لأن أفخاذَه تتلاحقُ من كثرةِ اللحْم.

قال سيدي الحبيب الحسن: «وكان آل شهاب مجلَّلين، ولا عليهم قلَم للدولة، لأنهم ما اتسعت عندهم الدّنيا إلا أيامَ شيخٍ ومن بعد، وكانوا قائمينَ على منصِب جدهم الشيخ علي، مع الخمولِ، على سيرة السادة آل أبي علوي. وكانُوا بنوا الشيخِ عبدِالله بن أبي بكر العيدروس يقعُ بينهم وبينَ آل الشيخ علي، هؤلاءِ في الظهورِ، وهؤلاء في مقام الخمول، ومرةً في وقت السلطانِ عمر بن جعفر، طرحوا على آل شهاب الدولةُ دَفعة، ولم يعتادوا ذلك، تسبب بعضُ حسّادهم على أذاهم، فخرج السيد شيخ إلى عندَنا وسرتُ حالَمَا خرج إلى (سيون)، ورفعنا قلمَ الدولة منهُم أصلاً، على عادتهم وعادة أجدادهم.

قلتُ: وكان السيد شيخ مطلَقُ الثناءَ إلى الغايةِ والنهاية في سيدِنا الحبيب الحسن، عند الخاص والعام، توفي بمدينة (تريم)، والحسين الذي قبله توفي بـ(تريم)، قبرا قربَ قبر سيدنا المعظم عمر المحضار، وجَدِّهما الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي، نفع الله بالجميع.

* * *

[ذكر الحبيب علي بن عيدورس]:

وابن عمهما علي بن عيدروس؛ وهو الذي له القصيدة البليغةُ في سيدنا القطب الغوث عبدالله الحداد أولها:

سَلْ سائلي إن تكنْ يا صَاحبي فطناً ... عمَّـن أحـبُّ وعـمَّا يجـلي الحزنَـا

وقد ألبسَه الحبيب عبدالله الحداد لباسَ القوم، كما رأيته بخط سليمان باحرمي التريمي.

* * *

[ذكر السيدين أحمد وعلوي آل سُميط، بالمحيضرة]:

وكان السيدان الأكملان، العارفان بالله تعالى، السيدُ العارف أحمد بن عبدالرحمن بن سميط، صاحب (المحيضرة)، والسيد العلامة القاضي علوي بن سميط، مطلقينِ الثناء بلا حدّ ولا وصفٍ في سيدنا قطب الزمن الحسنِ بن سيدي عبدالله الحداد.

وقال لي وللأخِ عبدِالله، سيدي الحبيب حسنُ، وعاد نحن في المكتب: «يطلع بكما بعض الأخدام إلى عند السيدِ أحمد بن سميطٍ إلى (المحيضرة)، يمسح على رؤوسكما، فطلعنا ومسحَ على رؤوسنا، وقرأ ما تيسر من القرآن العظيم عند مسحه على الرأس.

وكذلك قال: «اطلعا إلى عند القاضي هذا يمسحُ عليكما»، وقد احتجبَ لكبر سنه، وكفّ بصرُه آخر عمره، وقد طلعتُ إلى عنده في بيته، ومسحَ عليَّ.

وكان سيدنا الحبيب حسن، من وصلَ إلى حضرته من أهلِ الفضْل يدخِلُ عليه أولادَ ابنه أحمد، يمسح على رؤوسهم، ويدعو لهم بالبركة.

وقال لي الحبيبُ عمر بن سميط: إن الحبيب حسن بن سيدي عبدالله الحداد مرضَ بعد أن ماتَ السيدُ أحمد بن سميطٍ هذا، فلما دخلتُ لزيارته، قال لي: «هذا من تحمل بلاءِ الناس، تحملناه ولا عاذ لنا معاون، قد كان السيد أحمد بن عبدالرحمن صاحب (المحيضرة) معاون، فما بقي بعدَه بتريم لنا معاوِن»، رضي الله عنه وأرضاه.

وكان في هذا المرضِ ما يقدر يقوم ويسير، بل إذا جلس لم يقدر يقوم، لكن مع الصلوات يقوم سيدُنا الحسن، ويجلس وحده بنفسه، كأيام عافيته.

* * *

[ذكر آل سميط سكّان شِبام]

وكان هؤلاء السادةُ آل سميطٍ، قبيلةً واحدة هم وآل شِبام، السيد محمد وعمر ابني زين بن علوي بن سميط، ولهم كبقية قبائلِ السادة إنتماءٌ خاصّ إلى سيدنا القطب عبدالله الحداد، وخصوصاً زين بن علوي، وولداه محمد وعمر، بارك الله في ذريتهما.

ومما كتبَ به سيدي الحبيبُ محمد بن زين بن سميطٍ آخرَ عمره، سنةَ ١١٧٢، لأنه توفي رضي الله عنه لنصفِ خلَا من شهرِ ربيع ثاني سنةَ ١١٧٢، الكتابَ الذي إلى عند المحب سعيد بن صَالح البعو، إلى (نصاب) بـ(أرض العوالق)، وذكر في الكتابِ: أنا زرنا أهل (تريم)، وأظن أنها آخرَ زيارةٍ لنا، ووجدنا سيدَنا بحر المعارف والعوارف الحسنَ بن سيدي عبدالله الحداد، وزرناه، وهو اليوم حَاوٍ سرَّ والدِه ومقامه وحاله، رأينا ذلك عيانا ومشاهدةً، والله ذوي الفضل العظيم»، انتهى كلامه.

وتوفي السيد محمد بعدَ خروج المكرُميّ سنةَ ١١٧٢، لنصفِ شهر ربيع ثاني، وله تصانيفُ مفيدةٌ عديدة، وسيرَة حميدة. وكان يرى مولانا القطبَ عبدالله الحداد، والحبيب أحمد بن زين الحبشي بعد موتهما في اليقظَة، يراهما دائماً قبالةَ وجهِه، فلما قربت الوفاة بأيام لم يرَهما، فتعجّب، وأعلم بعضَ خواصّه، فقال له: «إنهما كانا قريباً منكَ، فصارا الآن فيك». ومثلّوا للحبيب عبدالله الحداد في علومه التي هي معجزةٌ عظيمة، بأبي الحسن الشاذلي، أعطى علومَه يحفظُها تلميذُه أبو العباس المرسيّ، ومثلوا بأبي العباس الحبيب أحمد بن زين، في تلقيه علوم القطب الحبيب عبدالله الحداد.

وتلقى علومَ أبي العباس المرسيّ وحررها في مصنفاته ابنُ عطاءِ الله الشاذلي، شارح «الحكم». ومثَّلوا الحبيبَ العلمَ جمال الدين، محمد بن زين بن سميطٍ، بابن عطاء الله، لتلقيه لعلومِ الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وتحريره لها في مصنفاته الفائقة.

ولو شئنا أن نجمعَ كل ما سمعناه من السيد محمد بن زين بن سميطٍ، وأخيه عمر، في سيدنا قطب الزمن الحسن، لطال بنا الكلامُ وخرجنا عن المقصودِ، لأن مقصودنا الإشارةُ لمن يريد البشارة، بمحبة الصالحين، وإن لم يرهم بالعين، وأما من رأى وجالسَ فما يحتاجُ لما جمعناه، لأن عنده أكثر مما هنا، والأرواح تعارف بعضها البعض.

قال الإمام الغزالي في «الإحياء»، في كتاب ذم الدنيا، عند ذكره لسيدنا أويس القرني وزهده في الدنيا، قال: «إن هَرِم بن حيان، لما التقى بأويسٍ القرني، رضي الله عنه، قال له هرمٌ: من أين عرفتَ اسمي واسمَ أبي، وما رأيتك قبل اليوم؟ قالَ: أنبأني العليم الخبير، وعرفت روحي روحَك حين كلمتْ نفسي نفسَك، إن الأرواح لها أنفسٌ كأنفسِ الأجسادِ، وإن المؤمنينَ ليعرف بعضُهم بعضاً، ويتحابون بروح الله تعالى، وإن لم يلتقوا، يتعارفون ويتكلمون وإن نأتْ بهم الديار، وتفرقت بهم المنازل»، انتهى من «الإحياء» باختصار. وقد ذكر الإمام الشعراوي في «الطبقات»: أن من طالع سيرهم وأقوالهم وأحبهم في الله، كمن رآهم وجالسَهم، بل وعند ذكر الصالحينَ تنزل الرحمة، كما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله ونفع به.

* * *

[ذكر الحبيبين زين العابدين، وعبدالله بن علوي، آل العيدروس]:

وكان السيدانِ العظيمانِ، زين العابدين بن مصطفى العيدروس، وكذلك السيد الأكملُ، عبدالله بن علوي صاحب (بور)، يثنيانِ على سيدي قطب الزمن.

قال سيدنا الحسن: «إن السيد زين كثير التردد إلى عند الوالد، وكنا نتذاكر وإياه، ويميل بخاطره إليَّ، لما يرى من الفهم عندي، فطلبتُ منه قبعاً مخيَّطاً من (الهند)، لأنه يجيب أقباعاً مخيَّطات، ومرادي ألبسُه يوم الزينة مثل الوالد. فكتب للوالد يسأله: هل بِشَوركم أم برأيه؟ وهل تريدني أعطيه؟ فجوّب عليه الوالد: أعْطِه، فأعطاني، ولبستُه يوم الزينة، ولم يلبَسِ القبعَ قبلي أحدٌ من الأصناءِ، ثم ثاني زينةٍ بعدَ هذه الزينة لبس قبعاً أيضا الصنو علوي، ولما مرِضَ السيد زينٌ مرضَ الموت، وطلعنا نزوره، أمر العبد يغلق الأبوابَ، ثم أعلمني بوقائع أطلعه عليها الوالدُ، وقال: ما أرَى للسرِّ أهلاً غيرُك، وكان من أكبر الآخذين عن الوالدِ عبدِالله، المنطوين فيه».

«وكذلك السيد عبدُالله بن علوي صاحب (بور)، وكان عاقلاً كريماً، وفي كل زيارة لنا إلى (شعبِ أحمد) لابد يعلمْ بنا ويرسل لنا، ونجتمعُ وإياه، ومرةً حضرتْ مائدةٌ نأكل منها عندَه، وأذّن المؤذن لبعضِ الصلوات، فمسكتُ يدي، ومسكَ هو والحاضرون لما رأوني رفعتُ يدي من الطعام، وأجبنا المؤذن، فقال السيد عبدُالله: أما نحن معذورون لأنا قد ابتدئنا في الأكل قبل الأذان؟، فقلتُ له: هل إذا أذنت توصّي عبدك يسمع لكلامكَ وتكلمه، فراح يكلم غيركَ حين تكلمه، وإن كان يسمعُ لكلامكَ كله، هل تغضب عليه؟ قال: نعم قلتُ له: فكذلكَ الأمرُ، يغضَب ربك حينَ تسمعُ مناديه ولا تشتغلُ بجوابه.

وكان سيدي الحبيب الحسنُ إذا سمعَ الأذان وهو مضطجعٌ على جنبه جلسَ حتى يتم الأذانُ المؤذنَ، ويجيبه، وإذا سمع الأذانَ وهو يسير قامَ يجيبه، حتى يسمع حي على الصلاة، فيسير ويقولُ: «إن بعض الصوفية كان يعملُ ذلك، فلما ماتَ وحملوا جنازته أذن المؤذنُ للصلاة المفروضة، فلم يقدروا يحملوا جنازته حتى أتمّ المؤذنُ الأذانَ، لأنه في حياته يفعل ذلك».

وسيأتي إن شاء الله في زياراتِ سيدي إلى (شعب الشيخين) أحمد بن عيسى وأحمد حبشي، في آخر البابِ، الذي هو باب الخصوصيات، أبسَطُ من هنا.

* * *

[ذكر الحبيبين علي بن أحمد، وسالم بن عمر، آل الشيخ أبي بكر]:

وكان السيدان الإمامانِ، السيدُ علي بن أحمد ابن الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم علوي، والسيد الأنور، سالم بن عمر ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، يعظمان سيدنا قطب الزمن الحسنَ كثيراً.

وقال الشيخُ علي: إني بعد وفاة الحبيب عبدِالله الحداد رأيتُ الحبيب عبدالله الحداد بنفسِه دخل عليَّ المحضرة، وسيدي ابنه الحبيب الحسن معه، وذلك لما جاء لزيارة الشيخ أبي بكرٍ، وطلع إلى بيتنا، وكنت أستشيره لما أرى من علمِه وعقله. فقلتُ: إني رفعت جملة أقلامِ الدولة في أيام يافعْ، وإني مثلتُ لذلك مثلاً، وذلك: أن مطرا عظيمةً وقعت في برّيةٍ في أيام شتاءٍ، ووقع ذلك المطرُ على الناسِ في البرية، ومعي منزل يسع البعضَ منهم، فأخذت البعضَ إلى ذلك المنزلِ وحفظتهم فيه من المطَر والبردِ، أما لي ثوابٌ بذلك؟ فقال الحبيب الحسنُ: ما هذا؟، مثالُك أن مائةَ نفرٍ حاملين حصاةً كبيرة على قدرهم، فأخذتَ أربعين منهم، وبقي التعبُ على الستين، هل إذا جبرتَ المذكورين من أقلامِ الدولة يرتفعُ ما يأخذونه، أم يردونه على من بقي؟ قال: يردُّونها قال له: كذلكَ الأمر!. وبينه وبين السيد هذا وقائعُ كثيرةٌ، وأخوة أكيدة. كما أخبرني بذلك سيدي الحبيب حسن.

وأما السيدُ سالم؛ فكان مطلقَ الثناء على سيدي الحبيب الحسن، وقال: إني كبرت على ناس من مناصب حضرموتَ أربع تكبيراتٍ، لقربهم من يافع والدولة، إلَّا سيدي بدر الدين الحسن، فلم يقرب أحدٌ إلى خدمته، دولَة ولا غيرهم من الغوغاء، بل هو

مطردهم عن بابه، ويهابونه أكثر من بقية المناصب.

وكان لسالم المذكور ترددٌ إلى عند سيدي الحبيب الحسنِ بعد وفاة الحبيب عبدِالله، لأنه هو والشيخ علي المتقدّم ذكرُه من تلامذة سيدي القطب عبدالله الحداد، وقد عدّهما السيد محمد بن سميط من الآخذينَ.

* * *

[ذكر السيد عيدروس بن سالم الحامد]

وكان السيد عيدروس بن سالم الحامد ابن الشيخ أبي بكرٍ، مطلقَ الثناءِ كثيراً عند الخاص والعام على سيدي الحبيب الحسن، ويقول: هو الإمام المطلق.

ولما توفي أخ السيد عيدروس هذا، كتب له خطًّا يعزيه بوفاة أخيه، فكان السيد عيدروس يقرأه دائماً، ومن جاء يزوره يقولُ له: اسمعْ كلام سيدنا الحبيب الحسن، ويقرأ الخط بنفسِه على الحاضرينَ. وكان إذا زار تربة (تريم)، يصل إلى بيت سيدي ويزوره بـ(الحاوي)، كما أخبرني الوالدُ أحمد، نفع الله به.

* * *

[ذكر العلامة طاهر بن هاشم باعلوي]

وكان السيد العلامة، الحبر المِصْقَع، طاهر بن محمد بن هاشم علوي، نفع الله به، يعظّم شيخَ الزمن، الحبيبَ الشيخَ الحسن ابن سيدي عبدالله الحداد، ويثني عليه كثيراً، ومطلق المحبة والانتساب ظاهراً وباطناً، حتى أنه في أيام الصّندوق فعلَ سُؤالاً، يردّ على الذين قالوا لا تطرحُوه على قبرِ الحبيبِ الأوحد الحداد الأكبر.

قالَ سيدي الحبيب الحسن: «وكان بيننا وبين السيدِ طاهر مذاكراتٌ ومحاضراتٌ، في علومٍ كثيرة، عزيزة جليلة».

[ذكر بناء بيت الحبيب حسن الذي في الحاوي والمحضرة الكبيرة]:

وكان سيدي قطبُ الزمن الحسن، لما أراد ابنه العلامة أحمدُ أن يبنيَ له بيته الذي في (حاوي الخيرات)، قال له: شاور في تقطيعِ الدار ثلاثةً، خالك عمر حامد، والسيد طاهر بن محمد بن هاشم، والسيد شيخ بن محمد بن شهاب الدين.

قال الوالدُ: أما الخال عمر، قالَ: كثِّروا المرافق، يعني المنازلَ، لحديثٍ في ذلك، وعادكم ترونه. وأما السيد شيخُ ابن شهاب فأريتُه تقطيعَ الدار في ورقةٍ، جلتُ فيها في تقطيعه بفكري، فاستحسنه جدًّا، وقالَ: ما على هذا مزيدٌ، وإني أريد أتشرف عن والدك بشيءٍ من الرأي، فلم أجد فوق هذا مزيد.

وأما السيد طاهر بن هاشم؛ فكان يخرجُ أيام البناء غالباً، وقال لنا: افْعَلوا الخلفَة النجدية في المحضَرة الكبيرة، وقال: إنكم وسعتموها خمسةَ أذرع ونصف عرضاً، وقريب واحد وعشرين طولاً، من أين الفرُشُ الذي تملي هذه المحضرة؟.

قلتُ: بحمْد الله ملأها الله بالقطُفِ الروميةِ غيرَ الهندية، وكان سيدنا الحبيب الحسن إذا فرَشُوا المحضرة، قال: خلّوا بُقْعة ظاهرَة، حتى يتمّ كلام طاهر.

وقال سيدُنا الحبيب الحسن: «إنا في وقتِ الخريف على العادة كل سنةٍ نخرُج بطِلابٍ إلى عند السيد عبدالله بن سهل، وخرج في ذلك السنةِ السيدُ طاهر، فلما وصلنا عند السيد عبدالله وجدناه غسَّل ثيابه، فخرَج متحزِّم بالعمامة، وهو يقول: مرحباً بكم، يرددها جدًّا، فقال له السيد طاهر وهو قابضٌ على عينيه: اسْتُر عورتك، استُر عورتك، لأنه رأى البشَرة من عَرْضِ العمامة!، رضي الله عن الجميع.

وقال الوالد أحمد: إن الوالد الحسنَ والسيد طاهر، خرجَا إلى بعض بيوت السادة للنزهة، ومعهما ناسٌ من محبيهما، فجلس السيد طاهر في مكانٍ وقفًّا ظهرَه بجدارٍ مكتوبٍ عليه من القرآن آية، فقال له الحبيب الحسن: ميّلْ ظهرك، إن في الجدار

كتابٌ، قال له: ميّله من قفَاي، قال له الحبيب الحسن: إن لم تقدرْ تميل من عنده ميّلناه، وإلا أنت مخاطبٌ بالميل عنه، فتميلَ السيد طاهر.

ولما جاء السلطانُ محسن بن عمر بن جعفر بقومٍ، وغار على (دمّون) ونواحي (تريم)، خرج السيد طاهرٌ إلى عندِ سيدي الحبيب الحسنِ، وقال له: إن الذنوب في أخذ أموالِ الناس عليكُم، لم تردون مالهم من هذا الظالم، لحيث ما لأحدٍ كلمةٌ مسموعة عنده إلا لكُم، فخرج سيدي الحبيبُ الحسن، وتبعه السيد طاهر، وردَّ الذي أخذه.

قلتُ: واستعرتُ من ولدِ السيد طاهرٍ، حُسين «مجموعاً» لوالدِه، فيه أوراد كثيرة بخطّه جميعها، وسؤالاتٌ عجيبةٌ، ومرائي صالحة، قرأتُ في ذلك المجموع على سيدي الحبيب الحسن، فتعجبَ منه كثيراً، وقد عدّه السيد محمد بن سميطٍ من الآخذين عن سيدي الحبيب عبدِالله الحداد، وقالَ: «إنه مات سنةَ ١١٦٣، ولا أعلمُ أنه يومَ ماتَ أحدٌ أعلمَ منه في الأرض»، انتهى.

قلتُ: وأرى سيدي الحبيبَ الحسن وابنه أحمد، إذا دخَلا لزيارة الفَقيه المقدّم في المقبرة على طريقِهما قبرُ الحبيب طاهرٍ، فيقرءانِ له الفاتحةَ عند عبورِهما بلا وقوفٍ، سائرينَ لزيارةِ سيدنا الفقيه المقدم، محمد بن علي علوي.

* * *

[ذكر ثناء الحبيب علي بن عبدالله السقاف، صاحب سيون]:

وكان السيدُ الإمام العارف بالله، علي بن عبدالله السقاف، صاحب (سيون)، من المكثرين الثناءَ جدًّا بما لا يحتملُه إلا عقلُ ذوي الإيمان واليقينِ، الذي قاله الجنيدُ رحمه الله: «الإيمانُ بعلمنا هذا ولايةٌ».

فكان إذا مدحَ أتى بمخدّعَات الأسرار من صُدور الأحرار، قذفتها ألسنُ الفصَاحة بالكلام المكسوِّ بالأنوار، كان لا يرَى في الوجُودِ أفضلَ منه، وأنه عين زمنه

ووقته، وأنّ من زار (تريم) ولم يزره ما شيء من زيارته، لأنه البابُ الذي يخرجُ منه المَدَد، من الله الواحد الأحد، وقال له سيدنا الحبيب الحسنُ، لما جاء لزيارته التي هي آخر زيارةٍ للسيد نور الدين علي: «إذا تقدمتَ إلى الدار الآخرة فالوَصية منّا لك أن تسلمَ على رسُول الله ﷺ، وعلى الوالد القطب عبدِالله الحداد، وأكابر السادة، وإن تقدمْنا استوصينا لكَ بذلك». فماتَ السيد علي قبلَه سنةَ ١١٨٣، وتخلفَ الحبيب الحسنُ بعدَه بخمس سنين، رحمهم الله ولا حرمنا بركاتهم.

وقال لي العمّ علوي بن عمر حامد، وهو من أكابر السادة آل أبي علوي العلماء: «إني مارستُ سيدي الحبيب حسن خمسَ سنين، وعرفتُ ما عرَّفني الله من حالِه، والذي أعتقدُه، بل وتبينَ وتحققَ لي، أنه في المقام الرابع»، رضي الله عنه.

قلتُ: والمقام الرابعُ مقامٌ عظيم وأيُّ عظيمٍ، وسنبين لكَ ما فيه من «شرح العينية» لسيدنا الإمام القدوة الكامل، أحمد بن زين الحبشي علوي، عند شرح البيت من قصيدة سيدنا القطبِ الغوث عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، لما ذكر الأئمة الأربعة: أبوحنيفةَ، ومالك، والشافعيَّ، وأحمدَ، قالَ:

تلك الأئمة والـدعاةُ إلى الهـدى والحقِّ من أهـلِ المقَـام الرابـعِ

قال في «الشرح»: «المقامُ الرابع؛ أي الدرجةُ الرابعة العالية، من العلمِ بالله والمعرفة به، والعبادة له، والخوف منه، والإخلاصُ، والصدق في عبوديته وتوحيده.

«بهم»، أي: أهلِ المقام الرابع، يحفظُ الله حجّته، هجمَ بهم العلمُ على حقيقة الأمْرِ، فباشروا أرواحَ اليقين، واستلانوا ما استوعَر منه المترفونَ، وأنِسُوا بم استوحشَ منه الغافلونَ، صحِبوا الدّنيا بأبدانٍ أرواحُها بالمحلِّ الأعلى، أولئك أولياء الله من خلقه، وعماله في أرضِه، والدعاة إلى دينه. بهذا وصفَهم وأمثالهم أميرُ المؤمنينَ، وإمام المتقينَ، علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ثم قالَ: «واشَواقاهُ إلى رؤيتهم».

والمقام الرابعُ في التوحيدِ مقامٌ وراءَ لبابِ التوحيد، أن يرى الأمورَ كلَّها من الله، رؤيةً تقطعُ التفاته إلى الوسَائط، وأن يعبده عبادةً يفردُه بها، فمن اتّبع هواه، أو سخط على الخلقِ، خرجَ عنه، وهو من مقاماتِ الصديقينَ. والمقام الرابع درجةٌ فوق هذا.

وهذا المقامانِ من مقاماتِ صفْوة الله من عباده، وموضع نظره، ومعادن أنواره، وخزائن أسراره، قال شيخُنا الناظم نفع الله به في كتاب «الدعوة التامة»: «ومنهم وعنهم تؤخَذُ أسرارُ الدينِ وحقائقُه، من الإخلاصِ والصدْق والزهدِ والتوكل، وأشباهها من مقاماتِ الدينِ ودرجات اليقين. فمنهم من جمعَ الله له بينَ الظاهر والباطنِ، ونفْع الخاصّ والعام، والجمعِ بين الشريعة والطريقة والحقيقة، مثل الإمام زين العابدين، وولده الباقر، والحسن البصري، ومثل الحارث المحاسبي، والجنيد.

ومثل صاحب «الرسالة» القشيري، وحجة الإسلام الغزالي، وصاحب «العوارف»، ومثل سيدنا شيخ الشيوخ، السيد الفقيه المقدم محمد بن علي التريمي، والشيخ المعظّم السقاف، وولده القدوة المحضار، والقطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأخيه الجامع علي بن أبي بكر السكران، وغيرهم من السادة الأشراف الحسينين آل أبي علوي، كثيرٌ يطولُ عدّهم، كشيخنا ومولانا شيخِ الإسلام عبدِالله بن علوي الحداد، صاحب النظم»، انتهى.

قلتُ: وكذلك ابنه الحسَنُ، كما تحقق وقال بِه العلماء في النظم والنثر، فمن ذلك: ما قاله الحبر المصْقَعُ الخبير به، ابنُه أحمدُ، شعراً:

يـا صـاحبي إن شِـئْتَ تعـرفْ نعتَـه ... فاصْغِ بقلبك واستمعْ بـه وانصـفِ
ذاك الــذي حــاز مقامــاتِ العــلى ... حالَ الشباب مع الشيوخة فـاعرفِ
فعلومُـــه وأحوالـــه قـــد أبهـــرَت ... كل الورَى فاسـمعْ هـديتَ وشـنفِ
أســماءَ قــومٍ خُلّفــوا مــن بعــده ... مــن أهــلِ ودّ أو محــبٍّ ملهــفِ

بمناقبِ الحبر الإمام المجتبى ... قطبِ الزمن ذاك الحسنْ ذاك الصفي
ذاك ابنُ عبدالله سلطان الملأ ... وارثْ علوم الأنبياءِ المقتفي
حاز علومَ الأولين بلا مِرا ... والآخرين فسرُّه لا ينْطفي
لقّبه والدُه حكيماً فانظرَنْ ... فيما حوَى إن كنتَ بالعلم حفي
عمَر المساجد والمدارسَ مخلصاً ... لله من طلعاتِه لا يَشتفي
داعٍ إلى الله العظيم بحالِه ... ومقالِه وعلومِه بتلطفِ
برٌّ رحيمٌ بالخلائق كلهِم ... لا فظّ في قولِه ولا بمعنّفِ

وقال في أخرى، لله درُّه، ورضي الله عنه:

يا قلبُ لا تحزن على فرقاك من ... دانتْ له غلبُ الرقابِ الكمّلُ
وألقتْ أعنّة أمرها في حجرِه ... يسقيهمُ نهلاً ووقت عللُ
ذاك الذي فخَر الزمن بوجوده ... والقطر صار بنوره مشتعلُ
نفعُه شمل كل العباد وعمهم ... وسحابُ جودِه دائماً مسترسلُ
ذاك ابن عبدالله فرْد زمانه ... ذلك الحسن اسماً ومعنى فاعقلوا
والده سماه حكيماً حبذا ... كلمة لأسرارٍ عظيمة تشملُ

ومن أخرى له في وصف شيخه ووالده:

هو العلم النحرير من قَد ... حوى كل المراتب وارتَقاها
إذا عرضتْ له رتبُ المعالي ... أبَى أن يرتقي إلا عُلاها
بطاعةِ ربّه فيها دؤوباً ... فلا أحدٌ له في ذاك ضاها

* * *

وأرسل السيد الفاضل زينُ بن السيد الولي الكامل علي بن محمد با حسن علوي، بقصيدة فريدة يمدَح بها سيدنا الحبيبَ قطب الزمن الحسن ابن سيدنا عبدالله الحداد، ويستغيثُ به لأمرٍ نزل به، أول القصيدة:

أشكوا إلى سيدي لي ينقذ الغرقانْ   هو صَاحب الجودوالمعروف والإحسانْ

فأجابَ إمامُ الوقت الخليفة العلامة الأستاذ الوالد نفع الله به:

أبشر أخي أتاكَ الغوث والنقدان   من الذي تشتكي من كثرةِ الأحزانْ
فقد ركنْتَ إلى ركنٍ عظيم الشأن   صدر المحافل حسَن لي يدرك اللهفانْ
غوث الورَى وارث الأسرار والعرفَانْ   عديم الأمثال في القاصِي كذا من دانْ
عليك به يا أخي في السرّ والإعلان   فاشدُد يديك به تصفو لك الأزمانْ
فالصيد جوف الفَرا والناس في إنسانْ   والحج عرفة فكك هذه الأوزانْ

إلى آخرها فانظر لقوله العظيم الذي فيه جوامع الكلم، في قوله: «الحج عرفة»، وفي قوله: «الناس»، أي: الأكابر، «في إنسان»، أي حامل أسرارهم، يعني قطب الزمن الحسن، و«الصيد جوف الفراء»، مثلٌ بين الورى، يفهمه من قرأ ودرى.

* * *

وقال السيدُ العلم، الصدر الأفخم، زين المذكور في قصيدةٍ يمدح بها قطب الزمن الحسن، أولها:

نسنسْ علّيّ نَود النسيمْ   ذكرني العهدَ القديمْ

إلى آخرها.

فأجابَ العلامةُ العارف، سيدي الوالد نفع الله به، بقصيدةٍ على رويّها، إلى أن قال فيها:

وقـد قـرا الأبيـات مـنكم　　شـيخُنا الحـبر الحكـيمْ
صـدر المحافِـل بركـة الإ　　سْـلام ذو القلـب السليمْ
علامـةُ الوقـت الخليفَـة　　صـاحبُ السـرّ العظـيمْ
أعظـمْ بـه لقـبٌ حـوَى　　كـلّ الفـضائلِ يـا نـديمْ

* * *

[ذكر السيد علي بن محمد باحسن جمل الليل]

وكان والدُ زين هذا؛ السيد علي بن محمد باحسن جمل الليل باعلوي، من الأكابر الزهاد، وكان بينه وبين الحبيب صحبةٌ وأخوّة أكيدة. وكان السيد علي هذا إذا أطلقَ في الثناء على الحبيب الحسنِ، لم يبالِ بزيد ولا عمرو، وكأنه اطلع على شيء من أسراره، لأنه ممتلئ القلبِ بتعظيمه، كما أخبرونا المشاهدون له.

وكان السيد الحبيب علي يخدم سيدَنا الشهاب أحمد بن عمر الهندوان، ويقرأ عليه، ووظيفته يدهِن له كل ليلة بدُهنِ القرْع المعروف، وكان الحبيبُ قد يملي منه جباباً بالدّهن، كما أخبرني بذلك سيدي الحسن. قالَ: ويفعل في أذنيه قليل قُطن، وفيه وسَطه حبة فُلفل. وقال الحبيب أحمد للوالد عبدالله: افعلوا ذلكَ، إن فيه نفعاً للآذان[1] وللسمع، فقال له الوالد: نخلّي ذلك على الله. قالَ: وأراده يفعلَ للدماغِ دواءً.

وكذلك أيضاً زين العابدين بن مصْطفى، قال للوالد: عسى تلقون طعام بر يخبز، ثم يتيبّس في الظل حتى ييبس، ثم يطحَن، ويجعل فيه سكّر، للمدّ رطلُ سكر،

---

(١) في نسخة أخرى للأذنين.

ويخلط بسمنٍ مليح، ويؤخذ على الريقِ وعند النوم. فقال له الوالد: «أمورنا كلها على التوكل، ولا لنا شهية للطعام».

قلتُ: وكان الحبيب حسن يفعل ذلك كلّه على ما كانَ يعملُ عليه الحبيب أحمد بن عمر الهندوان، إلا أنه يدهن بالزّبد في الأغلبِ، خصوصاً آخر عمره، رضي الله عنه.

ولهم طريقٌ في ذلك حسنةٌ، كما قالَ الحبيب الأكبر عمر بن عبدالرحمن البار: «حاذِرْ على الصدَفِ لأجل الجوهر»، يعني بالصدف: الجسم، والجوهر: العقل، وثبات القلبِ، وصحة الدماغ.

* * *

قال سيدنا حجّة الإسلام الغزالي في كتاب ذم الدنيا من «الإحياء» قال: «وقد عرفتَ بما سبق في بيان الدنيا، ومن سيرة الأنبياء والأولياء، أن حدّ الدنيا كلُّ ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء، إلا ما كان لله تعالى من ذلك، وضد الدنيا الآخرة، وهو كل ما به وجهُ الله تعالى، فما يوجدُ بقدْر الضرورة من الدنيا لأجلِ القوة على طاعة الله عز وجلَّ ليس من الدنيا. ونبينُ هذا بمثالٍ، وهو: أن الحاج إذا حلفَ أنه في طريقِ الحجّ لا يشتغل بغير الله، بل يتجرد له، ثم اشتغل بحفْظ الزاد، وعلَف الجمل، وخرز الراوية، وكل ما لابد للحاج منه، لم يحنث في يمينه، ولم يكن مشغولاً بغير الحجّ، فكذلك البدنُ مركَبُ النفْسِ، يقطع به مسافة العمر، فتعهّدُ البدنِ بما تبقى به قوته على سلوك الطريقِ، بالعلم والعمل، هو من الآخرة لا من الدنيا»، انتهى كلام الإمام الغزالي.

* * *

وأما تركُ سيدنا الحبيب عبدالله لذلكَ، فإن سيدنا أعرفُ بنفسه منهم، وهو عالي المقدار والمنار، جميعُ مقاماته عاليةٌ، وأفعاله سامية، ووراثةٌ محمدية، وإن كان يوصي بحفْظ ذلكَ، وما يناسب كلَّ فصلٍ من الأقوات، كما ذكره تلميذه الأحسائيّ، لأنه

مشرّعٌ، نفع الله به. قال سيدنا الحسنُ: «الوالد ينهانا عن رفع الصوتِ، فضلا عن غير ذلكَ، يومَ الحجامة، لكل من احتجمَ، وكذلك ينهانا عن الرّياح البارِدَة بعد المطر، لئلا تضرَّ الجسم»، انتهى. قلتُ: وسيدنا الحبيب عبدالله روحٌ مجرّدة، ولكلٍّ مقامٌ، وكلٌّ له طبيعةٌ غير طبيعةِ الآخر، فلهذا كان الحبيبُ أحمد الهندوان، وسيدي الحبيب الحسن، يتعهدان البدنَ بما تبقى به الصحةُ.

* * *

قال سيدي الحبيب الحسن: وكان السيد علي با حسن من الزاهدينَ، وكان يدهن كل ليلة بدهنِ القرْع للحبيب أحمد بن عمر الهندوان، وكان إذا دخلَ أيام الخريف في بيته بـ(وادي دمّون)، نمرّ يوم الأحد وإياه إلى بيتِه. وتوفي في بيته بـ(دمّون) على سلقَة شطْف حبّ، ما يوجد له فِراش، رحمه الله تعالى.

وكان ولده زين سافَر بعد وفاة والده وتوطن بـ(مليبار)، وسافر في المراكب نوخَذا[1]، وأوشَر مركباً لنفسه، بارك الله في الجميع.

* * *

[ذكر السيد حسين بن عمر بلفقيه]

وكان السيد الأنور، الصوفي الصفوة، الأمجد العابد، العلامة حسين بن عمر بلفقيه، ناظر قبة النبي هود عليه السلام، يطنب جدًّا في تعظيم سيدنا قطب الزمن الحسنِ ابن سيدي عبدِالله الحداد، ويقول بتقديمه واحترامِه، بما لا يكاد يوجد في هذا الزمانِ، بل ولا أحدٌ أطنب مثله في سيدنا من الإخوانِ، ولا أرى سيدَنا الحبيب الحسن يثني على أحدٍ مثله، ويقول: «إنه قام بحقّ الأخوّة، وإنه خدمَنا في أيام سفرنا إلى الحجّ، وجدناه

---

(١) في النسخة الأخرى: ناخوذا.

في (المخا) واعتنى بها يصلحنا اعتناءً تاماً، والذي حصلَ من المحبين على يديه وقع سبباً في بناء الدارِ الذي بناه الولد أحمَد، سنةَ حجّينا سنة ١١٤٧».

وكان السيد حسين بن عمر بلفقيه، إذا جاء من السفر لا يقصِد إلا عند سيدي الحبيب الحسن، قبل أن يصل إلى بيته، ولا يسير إلا بإذنه، وجميع ما يفعله في أمر الدنيا والدينِ يستأذنُ فيه سيدنا الحبيب الحسن.

وقالَ لي ولده عبدالله: إنا والأهل لما رأينا الوالد يطيلُ الجلوسَ ويكثر الاختلافَ على سيدنا قطب الزمن الحسن بين سيدي عبدالله الحداد لمناهُ على كثرة ذلكَ، لأنا نحتاج له في أمورنا في البيت، فقال لنا: لا أحدَ يذكر عندي سيدي الحبيب الحسن إلا بالجميلِ، ولا تنهوني عن ذلك، أنا أعلم بصلاحي منكم.

وقال سيدي الوالدُ العلامة شهاب الدين أحمد: «لما كان الوالد في أول عمره ينزل بنا في بيته في النخل، من عادة السيد حسين هذا في أيام الخريف يزورُ مع الوالد المقبرة عصرَ يوم الجمعة بتريم، ويبات ليلةَ السبت عند الوالد بنخْل (وادي ثبي)، بالمكان المسمى (قصعان)، ويتعشّى كل سبتٍ عندنا، ويتذاكران غالبَ الليلِ، وينام آخرَه، ويصلي مع الوالد الصبحَ، ويسير إلى بيته في (الصالح) شرقيَّ (الحاوي). ويوم الأحد يخرج السيد الحسينُ مع الوالدِ، ومع طلوع الوالد يعبر هو وإيّاه إلى دار السيد الحسين هذا، ويتغدى عنده مدة الخريف».

وكان الحبيب القطب عبدالله الحداد يختلفُ إلى بيت السيد الحسين، كما ذكره الأحسائيّ في «تثبيت الفؤاد»، وكما ذكره الحبيب محمد بن زين بن سميط عند عدِّه للآخذينَ، قال: «ومنهم السيد الفاضل، الصالح الناسك، الحسين بن عمر بلفقيه علوي، نفع الله به. كان من الآخذينَ عن سيدنا الشيخ القطب عبدالله الحداد والملازمينَ له مدة عمره، وممن لبس منه الخرقة والقبع مراراً كثيرةً. وتزوج سيدي بابنة

أخيه، فكان يتردد سيدي إلى بيته من أجلها، وكان يخدمه في بيته، ويقرأ عنده في الكتبِ النافعة.

وكان عظيم الاعتقاد فيه، شديد التعلق بجنابه، ويحفظ من كلامه ووقائعه وكراماته شيئاً كثيراً، لكثرة ملازمته له، وكان واقفاً عند إشارته في أحوالِهِ، وكان هذا السيد من أهلِ العبادة والقناعة في الدنيا، والزهادة، وكان كثير التردد إلى الحرمين الشريفين. ولد بتريم، وتوفي بمدينة الرسُول ﷺ»، انتهى كلامُ سيدي الحبيب محمد.

وخلّف ولدَين: **عبدُالله**؛ توفي بتريم وخلف ابنا موجود الآن. **والثاني**: صاحبُ (آشي)، **أبوبكرٍ**، ولدُ الحسينِ بن عمر، المشهور المذكور. وأبو بكر هذا مشهورٌ بخوارقِ العادات والكرامات، وعظيم الهبات والصلات، وإطعام الطعام ونفع الأنام. بشّر والدَه به الحبيبُ القطبُ عبدالله الحداد، وقال له: «سيأتيك ولد اسمه أبو بكرٍ، كاسم الشيخ أبي بكر بن سالم، وجاهه كجاهه، ولكن في غير هذه الجهة».

وكان كثير اللهَجِ باسم الله الودود، توفي سنة ١١٩٦، ببندر (آشي)، أول بنادر (جاوة)، وخلف بناتٍ ولم يعقبْ ابناً، رحمه الله، حجَّ بيت الله الحرامِ، وزارَ رسول الله ﷺ معَ سيدي الوالد سنة ١١٥٧.

* * *

[ذكرا لحبيب حسن بن علي الجفري]:

وكان السيد العلامة الصوفي ساكن (القرَين) تحت (تريس)، يعظّم سيدنا قطب الزمن الحسن كثيرا جدًّا. سمعت من لسان محبه عبدالله بن أحمد بن حميد، يقولُ: «قال الحبيب حسن بن علي الجفري: ثلاثُ خصالٍ اجتمعتَ في سيدنا الحبيب الحسن بن سيدنا عبدالله الحداد، منها: أنه أعلمُ أهلِ وقته، ومات له ابنانِ شابان فغسّلهما بيده، ولم تقطفْ عينيه بالدموع، بل راضي بقضاءِ الله ظاهراً وباطناً، والثالثةُ: أنه ولد القطب

الغوث عبدالله بن علوي الحداد».

ولما عدّد في بعضِ قصائده الأولياءَ، أحياءً وأمواتاً، قال:

مثـل الوجيـه ونـور الـدين قـدْ بـرَّا   وابن الشجاع الأشم الطـاهرِ الشـيم

فيعني بنور الدين: سيدَنا الحسن، كما سمعته منه، والله أعلم.

* * *

[ذكر السيد علي بن الجنيد، باعلوي]

وكان الولي علي بن الجنيد باعلوي، يقول: «مثلك يا حسن إذا مددْتَ يديك قبضتَ بها ما تريد»، يشير إلى قربه من والده، نسباً وعلماً ومعرفةً.

وقال بعضُ العلماء من سادة تريم: ما اجتمع لأحدٍ من أهل تريمَ، من سادةٍ وغيرهم من السبق والتقدمِ بالسنِّ والعلمِ والولايةِ والزهد؛ ما اجتمعَ للحبيب الحسن.

وقد رأى بعضُ السادة الأخيار، كأن السيد الحسن نورٌ كله، وكأنه ارتفع فوق طاقةٍ وقطع رأسُه الشريفُ، وبقي محلّ القطع نوراً كله، ولم يخرج دماً، فأولوه: بقطع الرياسةِ التي آخر ما تخرج من رؤوس الصديقين.

ورأى بعضُ طلبة العلم في المنامِ، أيام بدايةِ سيدنا الحسن، بعضَ الأكابر، فسأله عن سيدنا الحسن، فقال: هو من الأربعين.

وقال بعضُ العلماء عن سيدنا الحسن: أنه قطع العقابَ السبعَ، التي ذكرها الإمام الغزالي في كتاب «منهاج العابدين»، وآخرها عقبة الحمد والشكر. وقلتُ له: أعجبني في «الإحياء» ربعُ المهلكاتِ، فقال لي: «وأنا أعجبني كتاب الحمد والشكر».

* * *

وقد نظم ذلكَ سيدي الفاضلُ العلم، شجاع الدين عمر بن سيدي الوالد، في المديحة الآتية في الباب السابع، الذي يمدح بها جدّه قطب الزمن الشيخ الحسن، بعد أن ذكر جدَّه المصطفى ﷺ والزهراءَ، وسيدنا علي بن أبي طالب والسبطين والآل وآل أبي علوي، ثم قال:

قد حوى أسرارَ من سَلفوا	ومضَوا من سادةٍ أولِ
ابن عبدالله قدوتنا	نجلُ حدادِ القلوب ولي
حسنُ الأخلاق ذو كرَمٍ	باذلٌ في الخصْبِ والمحَلِ
كافلُ الأيتامِ مكرُمهم	هادي الخلقِ إلى السبلِ
رافضُ الدنيا وزخرُفَها	بعملْ أخراه مشتغلِ
همه مرضاةُ خالقِه	ذو رجاءٍ خائفٍ وجلِ
والرضَا والصبر شيمتُه	وبذكر الله مبتهلِ
قد فني ثمّ بقي وقطعْ	للعقابِ السبع في مهَلِ
حجةُ الإسلام بينها	ضمن «منهاجه» بوجه جلي
قد رقَى في كل مرتبةٍ	مالَه في الخلقِ من مثَل
مطمئنُّ النفسِ زاكيها	لجميع الخلق مبتذلِ
قد شمل نفعُه جميعَهم	كلّ من في السهلِ والجبَلِ
شمسُه في الأرض شارِقةٌ	دائمةْ في الأفق لم تفُلِ
قطّ لا يحصى مناقبُه	لا بتعدادٍ ولا جملِ
فهو قطبُ الوقتِ جامعُ لا	شكّ في ذاك ولا جدلِ
كم نجَا به صارخاً لهفا	أدركه غوثُه بلا مهلِ
من توسل به ظفِر وبلغْ	غاية المقصُود والأملِ

عصـــرُه تــاهَ بــه جــذَلاً　　وعــلى مــا خلفــه يطــلِ

إلى آخر القصيدة الفريدة،فجزاه الله خيراً، ونفعه ببركات جدّه.

* * *

ومن أثناء مديحة قلتها فيه ستأتي أيضا في الباب السابع:

هــو الحســن الحــبرُ أبــو العــلا　　هــو ابــن العفيــفِ تمــت فضــائلُه

فيــا ابــن حــداد القلــوب حبيبنــا　　ويــا شيخ قطبُ الوقـتِ للسـرّ حاملُـه

ويــا مقتفــي آثــارِ آبائــك الأوَلْ　　بني علــوي والمجــدَ والجهــدَ باذلــه

ويــا عــاملاً بــالعلم متبعــاً لــه　　ويــا عارفــاً أسرارَه ودلائلُــه

ويــا قــائماً بــالفرضِ لله خالصــاً　　ويــا طائعــاً لله مكثِــر نوافلــه

ويــا زاكيــاً أصــلاً وفرعــاً ونسبةً　　إلى خــير خلــقِ الله طابــتْ مناهلــه

ويــا داعيــاً لله ترشِــدُ خلقــه　　إلى مــا يقــربهم ويحمَــد آجلُــه

وفيهم بني علوي كمْ صــوفي وكــم　　علــيم فقيــهٍ لا تجــدْ مــن يماثلــه

فمــنهم إمــامٌ ذاك مقــدام قومِــه　　وعلــوي وابنَــاه كثــير فضــائله

وسقافهم محضَــارهم عيدروسُــهم　　وحدادهم وابنه حسنْ ذاك شــامله

ولا زالَ هــذا الســر فــيهم وراثــةً　　وحــدْظــاهرٌمــنهم وحــدكــان خاملــه

عســى الله يهــدينا ويصــلحُ أمرنــا　　ويختــم لنــا بــالخير والعفْــو نأملــه

* * *

وقال السيد الأديب، العاقل الفاضل النجيب، صاحب التفنن والقريحة الوقادة، سيدي الصنو العفيف عبدالله، في مديحةٍ ستأتي أيضاً في البابِ السابع، يمدح بها جدّه الحسن، قال فيها بعد أن قدم أبياتٍ عجيباتٍ، ثم قال:

لم أكـن أهـلا لنعـتِ أوصـافه ما على العشّـاق عتابـاً يـا أخـي
حـالي التقْصـير والتسـويفُ في صـالحِ الأعـمال ربّ انظـر إلي
أنا آمل من لطـائف سـتركَ الــ ـضافي المكنـونِ تسـبله عـلَي
متشـفعْ متوسّـلْ بالـذي أشرقـت أنـوارُه في كـل حَـي
صـاحب المجـد المؤثـلْ وارثٌ أب عن جـدّ إلى خـيرة قُصَـي
قـرَشيّ هاشـميٌ كامـلٌ كهفُ للملهـوف والمضـني وفي
نونُ عين أعيان أهل الشأن هـم رادعون الخلقَ عـن ميـل وغَـي
حسـنتْ أوصـافُه مثـل اسـمِه حسنٌ مـن صُـنبرَةْ نخبـةْ لـؤَي
نجـلُ عبـدِالله سـلطان المـلا جـامعِ الأسرار منشُـورا وطَـي
ذاك حـدادُ مجـلٍ للصـدى بصـقالِ العلْـم مـن عشـقٍ ولَي
لقلـوبٍ قـد قسـت مـن رينهـا وكذا كم قد شفي بصـراً عمـي

إلى آخرها، وهي عجيبة فريدة.

وقال من أخرى له، كان الله له، وبلغه أمله في الدارين، وألحقه بآبائه الأجلاء الكبار، وإيانا والمسلمينَ، آمين:

حادي المطيّ لا تـكُ بالكسـلانِ وذرِ الجـمال تسـيرُ بالأضْـعانِ
واسلك طريق الجزْع في آثـارهم واسألْ عـن السـكّان والقطـانِ
أقبـل عـلى أطـلالِ بشّـار التـي قـد حـلّ فيهـا أفخَـر الأعيـانِ
وانثـر عـلى الـرُّوسِ ثراهَـا إنـه شـافٍ لـداء القلـبِ والأبـدانِ
يا ساكني بشـار هـل مـن مخبر عـن خـير داعينـا إلى الـرحمنِ
بشـراكم يـا زائـرينَ ضريحـه بـالقرب والتقريـبِ مـن ديـانِ

إلى أن قال فيها:

إن شــئت تعــرفْ اســمه | هــو غــير محتــاج إلى تبيــانِ
قطــبُ الــزمنْ بــدرٌ حسَــن | بحر العلوم والعارفُ الربـاني

وقال الأخ عمر مدحاً من أثناءِ مرثاة في البابِ السابع:

لموتُ القطب ابن القطـب حقًّـا | وغـوثِ المسـلمين لهـم ضـياءُ
حسن ذاك ابن عبـدالله مـن قـد | جمـع مـا قـد حـواه الأوليـاءُ
حبــاهُ ربــه علــماً لــدني | فجـلَّ الله يعطـي مـن يشـاءُ
له التصــريفُ في وقتـه ودانـتْ | لــه غلــبُ الرقـابِ الأصـفياءُ
وألقــتْ لــه أعناقهــا وذلــتْ | فأوصــافهم إلى أعــلى عــلاءُ
وألبسَــه الجلالـةَ ربـه والمهابـة | بعــد مــا أعطــي المنــاءُ
أقــيم في الظهــور كوالــده ثــ | ــمّ بعـده مـن أقـيمَ ولا خفـاءُ

أشار بإقامته للتسليكِ ولتصفية القلوب، وانعقاد الإجماع على ولايته وظهورها عند الخاص والعام، والمحب والشانئ، والصديق والعدو، وشهودهم بفضلها.

كما قال القائل:

وفضائل شـهد العـدو بفضـلها | والفضل ما شهدت به الأعداء

من حين الصغَر إلى أن توفيَ، ظاهرةٌ عنايةُ ربه عليه، فصار من الذين إذا رؤوا ذكر الله، ثم كانَ بعد ذلك من الذين إذا ذكروا ذكِرَ الله، فكيف وطينته عجنتْ بماء الوحي، وغرستْ بماء الرسالة، فهل ينبع منها إلا مسكُ الهدى، وعنبر التقى.

فهو، جده المصطفَى محمد سيد المرسلينَ ﷺ، وعلي الرضَا، والزهراء والحسن والحسين، وآباؤه الأكابر أهل البيتِ المطهر، ورباه أب الروح والجسد، شيخ الإسلام،

صاحب الصديقية الكبرى، الإنسان الكامل، القطب الغوث، عبدالله بن علوي الحداد.

فكيف والشبل ابن الأسد، وهو الذي يقول: «إن والدي يحميني من الصغر، وإني في السن قريب السبعِ سنين، قال لي الخادم إبراهيم مِغَيربان: هنا سماعٌ ولهوٌ قريبَ (الحاوي)، مجتمعون عليه تريدني أروحُ وإياك إليه؟، فهيأ لي المراحَ، فصرف الله كلامه من قلبي، ولم أسر معَه، ولا أحد عندنا غير الله، فلما أصبحنا ودخلَ الخادمُ إبراهيم هذا يصبّح على الوالد، قام له الوالدُ بالنعالِ حتى أوجعه، وقالَ له: «تريد تغير عيالنا!»، وأعلمَه، كشفاً منه، بما قال لي.

* * *

وقال سيدي الحسن أيضاً: «إن والدي يحميني وأنا صغير بالحالِ دون المقال، ولما ولدتُ ليلة السبت، أول ليلة من شهر رجب سنة ١٠٩٩، بعد صلاة العشاء، في محضرة الوالد، وأهل المسجد يقرأون راتبَ الوالدِ قبل أن يعلمونه هل هو ذكرٌ أو أنثى، فقالَ لهم، لما سمع صوت المولود: «ولِدَ صاحبُ (الحاوي)، فمن ذلك الوقت استوطن (الحاوي) الوالدُ شتاءً وصيفاً، بعد أن كان يحله ويسكنُ فيه صيفاً، والبلد تريم شتاءً. وقد ذكر الحبيبُ محمد بن زين بن سميط: أنه استوطنه في تلك السنة المتقدم ذكرها، ذكَره في «المناقب»، فانظره.

وقد طال عمرُه، كأنه في حياة القطب الوالد عبدالله الحداد قائماً بمن يقصد إلى (الحاوي) عند والده ثلاثٌ وثلاثون سنة من عمره مع والده القطب، وخلف بعد وفاة والده، في المدارس والتسليك وإطعام الوافدينَ، خمسٌ وخمسون سنةً.

فافهمْ أيها الناقدُ البصير المنصف، جميع ما تكلمَ به والده فيه وهو في أيام البداية فكيف بأيام النهاية!، وقد بسطنا الخصوصياتِ الآتية بما تنوَّر به البصيرة، لأهل

المحافظةِ والسريرة، وأما من أوغر بالحسد فما ينفعُه ويبرّد ما في خاطره إلا زوالُ نعمة الواحدِ الأحد، وهو معترضٌ على الفرْد الصمدِ، في إعطائه لعبده جميع هذا المدد، ولكن لولا النار لما عرف ريحُ الدخون والعنبر، قال الإمام البوصيري في منظومته «الهمزية»، التي يمدح بها خير البرية:

لو يمسُّ النضارَ هـونٌ مـن النــ ـارِ لما اختير للنضَـار الصِّـلاءُ
كــم يــدٍ عــن نبيِّــه كفَّهــا الله وفي الكفْــر كثــرةٌ واجــتراءُ

انتهى. فإذا ما يزيد كلام الحساد وفعلهم إلا رفعةً، كما قال القائل:

وإذا أتتكَ مذمتي مـن نـاقص فهي الشـهادة لي بـأني كامـلُ

* * *

ومن كلامه مما سمعته منه، من باب الإذن، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، قال نفع الله به: «إني في زماني فردٌ، وواجبٌ على الكلّ اتباعُ كلامي وما آمر به»، وقد قال مشيراً إلى القطبية: «إني أنا الباني وحدي والبقية يهدِمون»، وقد قال رضي الله عنه: «أنسي في عبادة خالقي، ومن الصغر أتركُ كل ما يلهِي ورائي». وقد قال: من أتى بحروقته يابسةً قبَسْنا له فيها سَمحْ، ومن أتى بحرُوقته مبلولةً فيتعبنا في سلوكه».

وقد قال يوماً بعد صلاة العصر، وهو يركبُ يريد التربة عشيةَ الجمعة: «لو علموا بمن على الدابة لقبّلوا قدَمها»، أي تعظيما لها، لأنه راكبها.

وقد قالَ: «ما عاد أحد معَاونني الآن في حملِ ما ينزل على الناسِ من البلاء عن الخلق»، وقد قال مراتٍ رضي الله عنه: «إني وحيدُ عصري في طريقي وفي قصدي، وفي جميع ما أنا فيه، ويشهد لي بذلك الفقيه المقدم»، وقد قالَ: «ما يناسبني إلا كلام الوالدِ

المنظوم والمنثور، وصرتُ كالإحياء وكالمنظوم والمنثور من كلام الوالد».

وقد قرأ «الإحياء» أربعينَ مرةً، وقرئتْ عليه كثيراً، الوالد أحمد ولدُه قرأها عشر مراتٍ، ومدارس العَصْر والقراءة لازمة في «الإحياء» مطلقاً، وفي مدارس العصر خاصةً، إلى أن ماتَ، رضي الله عنه، وقدس روحه ونور ضريحه.

* * *

وقد مدح وأثنى على أشقائه من إخوانِه، الحسين، وعلوي، وزين العابدين، بحضور السادة من تلامذته. وذلك ليلة ختم مسجد والده المسمى (مسجد الأبرار) بـ(حاوي الأنوار)، ليلة تسع وعشرين في رمضان المعظم وذلك سنة ١١٨٦، ثم قالَ: «الحمدُلله الذي فضّلني عليهم»، ردَّدَها مراتٍ، لأنه العالم المحقّق الأوسعُ علماً منهم، ولأنه حظي بطول العمر في طاعة الله وكثر نفعه لعباد الله، حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وتحقق وظهر فيه كلام والده بقوله: «يا حسن، أعطيناك الشحر»، فظهر أنه كـ(الشحر)، بندرُ القاصدين من كل الجهاتِ، فانظر إلى هذه الإشارات، ولطيف العبارات.

* * *

وكان أولادُ سيدي عبدالله الحداد كلهم يرون الفضلَ لبعضِهم البعضَ، كل واحدٍ يرى الكمال لأخيه عليه، تواضعاً واحتراماً، ومن ذلك ما أرسله الحبيبُ زين بن عبدالله إلى إخوانه الأشقاء حسن وعلوي وحسين من (ظفار)، لما سافر بعد وفاة والده الحبيبِ عبدالله سنة ١١٣٣، أرسل إليهم قصيدةً فريدة، أولها:

البارحَـــة حـــرّك القلـــبِ المـــلانْ	ســجُوع قمـري عـلى البانِـه ينـوحْ
أجـرى دمُـوعي كـما طـشّ المـزانْ	وشـــبّ في بـــاطني نَـــار اللفُـــوحْ
ناديـت يـا طَـير خـفْ ربّـك وكـانْ	معنـــاك نكّـش خفيـاتِ الجـروحْ

فان بك شـجَنْ مـثلي وقلبَـك ظـمانْ — جوِّبْ وكُـن بالـذي تبـدي نصـوحْ
جـــوّب لي في سَـــاعة لـــوانْ — وقـال خـذها بـدَا لـك قبْـل رُوحْ
عنـدك كـما عنـدِي المكنُـون بـانْ — فاطلـبْ مـن الله نصـرهُ والفتـوحْ
لا حـول مَـا قـدْ قضَـاه الله كـانْ — والغـمّ يـا طـير لا بـدّه يـروحْ

إلى أن قال:

وبعْـد يـا طـير يـا حُلـو البيـانْ — يـا ذي عـلى أغصـان باناتـك تنـوحْ
يـا حـائماً تحـت بـرْج الزبرِقَـانْ — تسـجَعْ ومـاواك طبقَـات الصّـفوحْ
عسـاكْ يـا طـير تأخُـذ لي بيـانْ — أبيـات زينَـات يـبْرَين الجـروحْ
لا عنـد الأصْـناءْ حصُـوني والكنـانْ — أبـو عـلي طيّـب القلـب النصُـوحْ
حُسَـين ذي خصّـه البـاري وزَانْ — بـالعلمْ والحلـم والعقْـل الرجـوحْ
الزاهـدِ العابـد البحْـر المـلانْ — كـريمِ الأخـلاق بإحسَـانه صَـفوحْ
وعلـوي المشـتهر نُـور المكـانْ — صَـافي مصـفًّى صـفَا قالـبْ ورُوحْ
حميـد الأفعـالْ والقلـبِ المصـانْ — عـن كـلّ فعـلٍ دني مائـلٍ جَنـوحْ
أيضـاً وذي دافـعَ أهـل الامتحـانْ — واظهـر بعلمِـه دلـيلاتِ الوضـوحْ
صَـدْر المحافـل حسَـنْ نـورِ المكـانْ — السـيدِ الجيْـد والـبرّ السَّـموحْ
ركـنِ الشـريعة رقَـى في كـل شـأنْ — عمـرُه لأهـل المـذاهبْ والفتـوحْ
ملـيح الافعَـال هـو شَـيخ الزمـانْ — حكـيم اسـمُه كلقـمانٍ ونُـوحْ
بلـغْ سَـلامي إلـيهمْ كـلّ أوانْ — وبالمسَـاءْ والعشـية والصـبوحْ
وقـل لهـم صِـنوُكم مـا كـانْ ظـانْ — أن شَـوقكم في فـؤاده مـا يـروحْ
فالشـوقْ يـزدادْ والخـاطِر مـلانْ — بـالودّ فـيكم عـلى حسْـب الفتـوحْ
والله مـا غـابْ شَـهر أو فَجْـر بـانْ — إلا ذكـرتُ المرابـعْ والسـفوحْ

وقلتُ لا زلتَ يا الحاوي كنانْ   وطالع السعْد من فوقَك يلوحْ
معاد جانَا خبركُم واستبانْ   لي حالكُم بعد عزْمي والسروحْ
فان قد دخلْ عندكم حاسِد وشانْ   هذا والحصُون المنيعةْ والصروحْ
قصدُه يخرّب بنَاكم كيفْ كانْ   تمسي المرابعْ على أهليها تنوحْ
وان اجتمَع رأيكُم قاصي ودانْ   ما عاد خِفْتم تراجيفَ الصيوحْ
ولا ارتفعْ للمعاند قَطّ شأنْ   ببركَة المصْطَفى وآدمْ ونوحْ
وبالذي شيخنا قطْب الزمَانْ   حامي الحمَى بالصّوارم والرمُوحْ
أبو حسَن ذي رُفِعْ فوقَ الزيانْ   قدرُه وفوقَ الثريّا والنطوحْ
بل فوق ذا حسْبما جَاءْ في القرانْ   للأولياء من الكراماتِ تلوحْ[1]
الله يسكنه في أعلى الجنانْ   ويخلفُه بالعطايَا والمنوحْ
واختم بمَن قالَ للشيء كنْ فكانْ   الواحدِ الفرد وهابِ الفتوحْ
وبالنبي جدِّنا ما فجْر بَانْ   أو سالتِ الريحْ بأغصَان السِّموحْ

انتهت القصيدة.

* * *

وقال العمّ حسين بن محمد بن عبدالله: «قال العم زين العابدين لي، لما زرته بـ(الصَّير): لولا حسن أخونا أقامَه الله لنا بعد والدنا بالحاوي، وظهر بالعلم، ودافع أهل الامتحان، وبذل المجهود، وإكرام الوفود، لما استقامَ لنا منصبٌ بتريم، لكن ببركة الحسنِ أخينا أقامَ الله لنا المنصب، والا كلنا إخوته، حتى علوي ما مع أحد منّا آلة، وهو الأصل».

---

(١) لعله: (كم كرامات تلوح) أو بحذف لام التعريف تأمل.

قالَ: «وسمعت عن سادة تريم، منهم شيخ بن محمد بن شهاب وغيره، يقول: لولا حسن لما قام لكم منصِب يا آل الحداد، لا يقدر علوي ولا غيره على ما تحمّله حسن من الأمور الخاصة والعامة، والمشاق الجسيمة، لأن الحسين توفي والده وهو مريضٌ، وزين صغير، وعلوي مائلٌ عن تدبير ما الناسُ فيه، ولكنه صاحب عبادة. وأما الحسَن؛ جمع العلوم والعملَ والعبادَة ورجحانَ العقل، مع كمال الفتوة والبلاغة، مع ما جلله الله به من الهيبة، فدافع الحسَّاد وأهلَ العناد، ونفع الله به الحاضر والباد»، انتهى.

* * *

وقد كان أخوه في الله، العلامة علوي بن شيخ الجفري، ساكن (الحاوي) هو وأجداده، فأجداده بنَوا فيه قبلَ أن ينزله سيدُنا الحبيب عبدُالله الحداد، وصار لهم وطناً ومحلةً أيامَ الخريف، فلما نزل فيه سيدُنا بالإشارة الربانية، وحل فيه، وقد تزوج سيدنا عبدُالله بنتَ حسن بن علوي الجفري، عمة علوي هذا، فهو علوي بن شيخ بن حسن بن علوي الجفري، فكان هذا العلويّ يدرّسُ العلومَ في الفقه في دهليز سيدنا عبدالله الحداد بإشارته، ثم أذن بعدَه لسيدنا قطب الزمن الحسَن،كما أخبرني سيدي بقصته.

* * *

وكان بين السيد علوي وسيدي الحسَن محبةٌ أكيدة، وصحبة مفيدة، وكذلك أخوه محمد بن شيخ الجفري، وزين بن علوي الحبشي، مصرِّحينَ بأن له المزيةَ والفضيلة على الجميع، وقد قدمنا أنهم لم يقرأوا على الحبيبِ علوي بن عبدالله الحدادِ إلا بعد انتهاء سيدي الحسَن، ويقولونَ: هو المتبوعُ، وعارفين أفضليته على إخوته.

قال سيدي الحسَن: «لما طلب الحسينُ وعلوي وإخوتي، أن أتصدّر وأقومَ بعد والدي في المجالس والمدارسِ كلها، قلتُ لهما: أنتما كلٌّ فيه البركة، وأنا نفعي في الأمور

التي ما تقدرون عليها، خصوصاً مدْرَس الفقه ونحوه مما لم تتأهلونَ له، وكذلك تدبير المعاش والضيف، ومن كان يقصِد الوالد». فقال الحسين: لم أقدر على أن أجلسَ مجلِس القطب الغوثِ أصلاً، وكان معظِّما جدًّا لوالدِه، فقلتُ لعلوي: اجلسْ للناس في مدارس العصْر، لأنها في كتب القوم، وأنا أكفيكم جميع الأمور، والحمدُلله حيث أعاننا الله على ذلك».

* * *

وكان السيد علوي الجفريّ إذا وصفَ سيدنا الحبيبَ الحسن يتعجّبُ من عزماته العالية، وعلو همته: «والله لو أني خارج (الحاوي) الميمون، ورجعت إليه،وعارضني واحدٌ في طريقي، وقال لي: إن سيدنا الحبيب الحسن بن عبدالله الحداد هدَم بيتي، حتى أوصله الساس، لصدقتُ ولم أكذبه، حتى أنظر بيتي بعيني سالماً، لأني أرى من عزماته ما تزولُ به الجبال، ولا تهوله الأهوال».

وقد كان يتمثل كثيرا بهذه الأبيات:

على قدر أهل العزْمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدْر الكرامِ المكارمُ

ويكبر في عينِ الصّغير صغيرُها ... وتصْغر في عين الكبير العظائمُ

ويتمثلُ بشطر البيت أيضاً:

* وعادتُنا من ربّنا الجودُ والوفاءْ *

* * *

وكان من الصّغَر في غايةِ الانتباه وعلو الهمة، حتى كان يضرب به المثل عند الناس، سائراً عند الملأ بأن همته أعلى من الثريّا والسّها، وأنه صاحب العزمات. قال

سيدُنا الحبيب جعفر بن الشيخ أحمد بن زين الحبشي، في قصيدته المشهورة في عدِّ مشايخه:

كذا الحسن صادق العزمات من ... به معالي العلا والمجد والكرم

وقد رأوه الأكابرُ سنةَ حجَّ، كما تقدم، ينشد بقصيدَة والدِه عند الكعبة، ويطوف بها:

أقوم بفرْضِ العامرية والنفْلِ ... وأصدُقها في القصْد والقول والفعل
وآتي إلى ما تشتهيهِ وإن يكُنْ ... مريراً وجدتُ المرَّ مثلَ جنَى النحلِ
وأمضِي إلى ما تبتغيه وإن غَدا ... ومن دونه البيضُ الصوارمُ والنبلِ
وأمنحُها ودِّي وأحفظُ عهْدَها ... وأرقبها في حَالي الوجْدِ والقلِّ
قضيتُ شَبابي في قضَاء حظوظِها ... وهذا مشيبي قد تهيأ للنزلِ
ولم أرَ منها مذ علقْتُ بحبلها ... سوَى الغمْطِ والإصرار والبخل بالبذل
سأمضي لشأني واطّرحْها وشَأنها ... فشغلي بها قد بانَ من أقبَحِ الشغلِ
وأصلتُ من غمْدِ السجيةِ مرهفاً ... من العزْم ماضٍ قد تحاشَى عن الغلِّ

فبقي يكرر لهذا البيت كثيراً، وهو يطوف بالبيت العتيق.

وقد قالَ والدُه عبدالله الحداد: «في ابني حسن ينتقشُ شيءٌ بعد حجِّه، ما كان فيه من قبلُ»، فطلق الدنيا من ذلك الحينِ، وقطع الأسباب من سنةِ حجَّ ١١٤٨. بقي بعد الحجِّ أربعينَ سنةً في مقامِ التوكل، تركَ الأسبابَ كلها، بل يدعو في دعائه دائماً: «اللهم زهدني في الدنيا وأهلها وجاهها ومالها».

* * *

وقد قال: «إني لما سرتُ الحجَّ، معي همةٌ قوية، وعزمة صادقة، وودت أن أطوي ما بين (الحاوي) و(مكة) من المسافة في ليلةٍ واحدَةٍ، وغالبُ الطريقِ أسير والأخدام يركبون. وكنت من صغري صاحبَ همةٍ، وأقوم بالأمرِ وإن كان كبيراً، وهمتنا زينة في كل شيء، وأعطاني الله، وله الحمدُ، السياسةَ والحكمةَ، وآتي كلَّ شيءٍ من بابه، فلذلك سماني الوالد حكيماً. وكنتُ من صِغَري لا أرقبُ أحداً إلا الله الواحدَ الأحد، وأدور مع السنة المحمدية في الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، والكلام والصمْتِ، ولا أخاف في الله لومةَ لائمٍ، كائناً من كانَ، وجبلتُ على ذلك من صغري، ومن طبعي أني لا أتكلمُ إلا لله، ولا أسكتُ إلا لله، فلذلك قبلَ الله كلامَنا. وأما الهيبة التي كسانيها الله عز وجلّ التي تفطرَتْ قلوبُ الخلق منها فإنما ذلك من الله، ألبسني الجلال والجمالَ لتصفو لي أوقاتي من الناسِ، ومانعاً منه تعالى حتى يحترمونَ ويعظمون المقام، ولا يسكن أحدٌ إليَّ من أهلِ الطغام والعوامّ، خصوصاً أهلُ زماننا، فهم ناكبون عما يراد بهم».

وقالت لي أخته سلمَى: «إن هيبةَ الوالدِ عبدالله مثلُ هيبة ابنِه حسن، فانظروا هذه الهيبة العظيمة، هل أحدٌ يقدر ينظرها»، انتهى.

قلتُ: ويشهد لذلك أيضاً، أني رُبِّيتُ في بيت سيدي الحبيب الحسن، رباني والإخوانَ الجميعَ في حجره، وتحت نظره، فوالله إني لم أقدرْ أن أحدّقَ النظر في وجهه من هيبته، وإذا علمنا به خارج من البيتِ يريدُ مكان، ملنا مِنْ على طريقه، حتى لا ينظرنا، هيبة منه. وإذا خرج من المسجد، خصوصاً بعد المغربِ والعشاءِ، فمن هو خارجَ المسجد في العُصْبي إذا أحسُّوا بخروجِه، الرجال والصّغار، انهزموا رعباً وفزعاً، وإن كان لا يكلمُهم، لكن غلبت هيبته على القلوبِ، ويتعجب الإنسانُ العاقلُ ممن يقدِر يلازم ويخالطُ ذلك الإمامَ، وإذا صَلوا قفاهُ المأمومينَ وكبَّر في صلاته، تفطرت القلوب من سماع صوته، لأنه بحضُور وهيبةٍ، حتى أن القبلة دائماً يشتقّ الجدارُ الذي

قبالةَ وجهه في المحرابِ، ويصلحونه، وهكذا، من عَظيم تكبيراتِه وحضُوره فيها، وهيبته من الله، وخوفه منه. وكذلك والدُه الحبيب عبدُالله؛ يشتقّ جدارُ المحرابِ الذي في (الحاوي) في مسجدِه، وانظر لهذه الهمم العوالي، واقتد بهما إن كنت باتلحَق أيها التالي.

ووصلَ إلى حضرته زوارٌ من أهلِ الفضلِ من غير أهل بلدِه، فلما طلعوا معه من (الحاوي) يريدُ صلاةَ الجمعةِ، فرأوا الزوار أن سيدنا إذا أقبلَ في شوارعِ البلدِ وفيها خلقٌ انهزموا، وتواروا خوفاً منه، فقال له بعضُ الزوار: ما لأهل بلدِكُم يخافون منكم، وأنتم رُبِّيتم بها؟ فقالَ: «ذاك من أدبهم وحسنِ عقيدتهم».

وقد قال درويشٌ عليه أثرُ النور، سائحاً في الأرضِ، وصل إلى حضرموت وجاء إلى حضرة الحبيب، وقالَ: «إني لم أر أهْيبَ منه في الأرضِ، وهو أمة وحده».

* * *

[غيلة الحداد وشعب النعير]:

وقال سيدي الحبيب الحسن: «إن سيدي الوالدَ يعجبُه صاحبُ الهمةِ كثيراً، وإذا رأى مني ما جبلتُ عليه من الهمةِ والعزماتِ، استحبَّ مني، ولذلك ولّاني أمورَ بيته وأطلعني على أسرارِه. وأيام حدّة الإرادة عمرتُ طريقَ الشيخ (مولى الرّاكة) في الجبل النجدي، حذاءَ البلد تريم.

وأطلع إلى (النِّعَير) أتعبد فيه كثيراً، حتى أني أنا الذي عمرتُ المكان الذي يسمونه (غَيلة الحداد)، وكان ملآن أحجار، فشليته منه وأخرجته، وصار ظلا ظليلاً، ومكانا منيراً، وفعلنا فيه محراباً للصلاةِ، وجصّصْناه بالنورة، وقد طلع الوالد عبدالله الحدادُ إلى ذلكَ المكانِ، وأما السيدُ أحمد بن زين الحبشي فإني أخرجُ أنا وإياه فيه كثيراً، لأن السيد أحمد يحبّ النزهة في الجبالِ، وإذا جاء تريم يأخذ شهراً أو أكثر، ويقول في

كل مرة يصِل إلى تريم من بلده، يقول لي من الليل: غداً مرادنا نصِل (الغَبرة)، والا مرادنا (النعير)، هكذا يعدد مآثر حضرموت، مثل (وادي عيديد) وغيره، ونخرج أنا وإياه إلى المكان الذي سماه بإشارةِ الوالد، وتعجبه همتي كثيراً، ويقول: سبحان الله!، أنا أعلم منكَ وأسن منكَ، وهمتك عاليةٌ على صغرِ سنك، لا تتوانَى من أمرٍ، ولا يهمك شيءٌ».

قلتُ: لأن صاحبَ الهمة يحبُّ صاحبَ الهمة.

* * *

ولما وصل السيدُ العلامة شيخُ بن العارفِ بالله محمد بن شيخ الجفري باعلوي، سنةَ ١١٨٧، إلى (تريم)، وقصد (الحاوي)، محلّ ووطن آبائه وأجداده، لزيارة شيخه قطب الزمن الحسن بن سيدي عبدالله الحداد، ولزيارة آبائه وأجدادِه بجنانِ (بشّار)، وللتبرك بحضرموتَ وأكابرها أحياءً وأمواتاً، فلما عنَّ له الاستيداعُ، ورويَ وشرب نهلاً بعد علٍّ من البحرِ العذْبِ المورود، الخاصِّ والعام، من فرْد العصر وإمامِ وقته، الحسن بن الأستاذ القطب عبدالله الحداد، وطلب الإلباس من شيخه الحسَن المذكورِ المشهور، فألبسَه بحمْدالله، وأرسل له مع سفره بكرّاسةٍ فيها إسنادُ الخرقةِ من الأشياخِ، فنظمَ ذلك بقصيدةٍ فريدةٍ، ستأتي بجملتها في آخر البابِ الخامس، ثم شرحها سنة ١١٩٩، في جزأينِ كبيرينِ، بسط فيه، أي الشرحُ، وسماه «كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبية»، وابتدأ بذكر شيخه الحسنِ، فقال نظما ونثراً:

أَلبسني شيخي على الوجْه الحسَنْ ... أعني ابْنَ عبدالله مولانا الحسنْ

المذكورُ هنا: شيخنا وقدوتنا، ومن بهذا الطريق عمدتنا وعدتنا، فقيهُ فقهاء الزمان، وصوفي صوفية الأوان، وسري سراةَ المعاصرينَ من الإخوان، وأعلمُ علماءِ الوقت المناظرين من الأقران، لاسيما بـ(وادي حضرموت) المستور الفائزِ بالساداتِ

الأشراف، بسرِّ شرفِ الظهور، سيدنا وسندِنا بالباطن والباد، القطب الحسن ابن الحبيب القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد.

كان رضي الله عنه كما تقدمَ فقيهاً صوفياً، قائماً بأوامر الله تعالى بالأمنِ والخوفِ، ناهياً منتهياً عما نهى الله، مواظباً دائماً على طاعة الله، لا يفتر عنها بحسَب الاستطاعة، لم يترك فرضاً من الفروضِ بغير الجماعة، بل هو الإمام فيها وفي غيرها من الطاعة، يسعى إلى الجمُعة بالتبكيرِ في أول ساعَةٍ، يقتدي به في ذلك النادي الخاصُّ والعام، وسواه مأمومٌ به إذ هو في وقته الإمام، الملازم للتدريسِ بالمسَاء والصباحِ، مدرّسُ كل من أتاه لوجه الله لاسيما المسومونَ بالصلاحِ، مع هيبةٍ وحلمٍ ولطافةٍ ووقارٍ، موقراً مهاباً لدى الكبار والصغار، ينعَتُ بكلّ نعتٍ من النعوتِ محمودٍ، من الذين جاء في حقهم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ينحُو إلى نحْوه لإغاثته المظلوم، وينصـرف عنه بصرْفِ تصريفِ الله الظلومُ، حاوي ما حواه غيرُه من الخيرِ، زائداً على ذلك الغير، بعدمِ الضّير، منصوبٌ منذ فتحَ الله عليه، مرفوعٌ بالفاعليةِ بما ضَمَّ من العلوم لديه، خافضٌ بالكسرِ لمن ناواه، جازمٌ بالسكونِ لمن عاداه، شادٌّ مادٌّ في مراضي الله، حتى أتاه اليقينُ منذ كلفه الله، بل هو شابٌ ما صبَا، وجوادٌ ما كبَا، ولم أقفْ على ما له من أخبارٍ غير ما ذكرته، لكثرةِ بعد الدار عن الدار، لأنه نفع الله به بحضْرموتَ، وأنا بمليبار، وقِلّة أشواقي لتطلعِ الأخبار.

ولادتُه رضي الله عنه سنة ١٠٩٩ من الهجرةِ، حسبما سمعَ عنه في مرضِه الذي ماتَ بِهِ من عنه ذَكرَه، عندما جرَى هنالكَ ذِكْرَه، قالَ: إنه سمعه في مرضِه المذكور رضي الله عنه يقولُ: قد زاد سني على سنِّ والدي بستةِ أشهرٍ، قال نفع الله به: تاريخُ ولادتنا ليلة السبتِ أولَ ليلة من شهرِ رجبِ الأصبِّ، سنةَ تسعٍ بتقديم التاء المثناةِ فوق وتسعين بتقديم التاءِ أيضاً وألفٍ من الهجرة النبوية، على مشرِّفها أفضل الصلاة والسلام، فهذا أوان القفولِ. وقد توفي نفعَنا الله به والمسلمين ليلة الخميس لسبعٍ

وعشرينَ في رمضان من شهورِ سنةِ ١١٨٨ من هجرة سيد الأنبياء والمرسلينَ، فعلى هذا يكون عمره حسبما تقدّم تسعينَ سنةً، سوى تسعة أشهرٍ، بوأه الله بحبوحَ الجنة.

لأن والده تغمّده الله برحمته، كما ستراه واضحاً في ترجمته، ولد ليلة الاثنين لأربع خلت من شهر القعدة الحرام سنة ١١٣٢، فيكون عمره الشريف ثمانٍ وثمانينَ سنةً إلا قليلاً من الشهورِ، أي إلا ثلاثة أشهر، ويكون عمر شيخنا على هذا القياس تسعونَ سنةً إلا كثيراً من الشهورِ، أي إلا تسعةَ أشهرٍ، فحصل من مجموع المذكور هذا ما تراه بالمزْبورِ ضابطَ عامِ ولادة شيخِنا الحسَن بفضل الله الكريم، بزيادة واحدٍ، إن قلت (لاح»، وإن قلتَ «حلَّ» فلا زيادةَ، وهو هذا تاريخه «لاحَ نورٌ جوَى حَاوي تريم».

وعمرُه الشريف «طائعٌ»، وضابط موته يحصل بالله العليّ تاريخُه «حاوي تريم نورُه لاحَ جلي»، وأيضاً يجمعُه قولك «شيخ ولي»، رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقلت مرثياً له، حسبما أنا أهله لا حسبَ مقامِه الشريف، حيث قولي كيفما كانَ ضعيفاً، شعراً:

يـا لَقَلْـبٍ قـد تـولاهُ الحـزَنْ	ومــلاهُ وحشَــاهُ بمِحَــنْ
مــن همــومٍ وغمُــوم لم تــزلْ	فيـه تحرقُـه بنَـارٍ مــن مَهــنْ
وعيــونٍ بــدمُوعٍ قــد جــرَتْ	كعيــونٍ سَــائلاتٍ بــالوِجَنْ
لفــراقِ السـيد السـنَدِ الـذي	نعتُــه بــالخير سرًّا وعلَــنْ
خطبُــه عــمَّ الجــوارحَ كلَّهــا	سـيما قلبِـي بـه الحـزْنُ قطـنْ
فلـذا قلـتُ لـه: يـا قلبُ جُـدْ	لي بضــابطِ عامِــه إن تحسَــبَنْ
فأجـابَ مســرعاً لا ريـبَ في	مـا أقـولُ عنـد أربـابِ الفطـنْ
قَــد أتــى التــاريخُ بــادٍ إنّــه	(جنّـةَ الفـردوسِ قـدْحـلَّ الحسنْ)

رحمــــةُ الله عليــــه دائــــماً ... مـا بـإذنِ الله حُـرِّكَ مـا سَـكنْ
وختَــامي بابتـــدائي قَــائلاً ... يـا لَقَلْـبٍ قـد تـولّاه الحـزَنْ

انتهت الترجمةُ من «كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية الغيبيةِ لساداتِ مشايخ الطريقة العلوية الحسينية الشعيبية»، للسيدِ العلامة شيخِ بن محمد الجفري باعلوي.

* * *

وأما علماءُ (مكة) المشرفةَ، و(المدينةِ المنورة)، ففي أوراقِهم من المدْح لسيدنا الحسنِ ما يبهِرُ اللبَّ، وكذلك من غيرهم من علماءِ الآفاقِ، يمناً وشاماً، وغيرِ ذلك، خصوصاً علماء (حضرموت)، فلم آتِ بذكر كلامِهم، لأنه يحتاج إلى تطويلٍ، وكلام السادة آل أبي علوي من بني جنسِه وقبيلتِه وبلده المطلعينَ على ذلك يقيناً لا تخميناً وظناً، بل مشاهدةً، وليس الخبر كالعيانِ.

وقد طلب الولي العارفُ محمد السمانُ المدنيّ، المشهور بالتسليك بالمدينة، الإلباسَ للخرقة والإجازةِ فيها وفي غيرها من الكتبِ والأوراد، وكان قد أخذ عن سيدي الحسن سنةَ حجَّ الحبيبُ الحسن أيضاً، لكنه في ذلك الحين عادُه كهيئة أهل بلدِهِ، حمل السلاح وغير ذلك، وسنةَ حجَّ طلبَ والدُه أن أولَ ما يطرحُ لهم البناءَ في زاويتهم بالمدينة الحبيبُ الحسنُ، تبركاً به، فأسعفهم بذلكَ، ويفتخرون بذلكَ إلى الآن.

* * *

وأما الذين أخذوا عن سيدي قطبِ الزمن الحسنِ، من سادةٍ وغيرِهم من العلماءِ، لو كتبنا ما قالوه فيه، مما رأوه، لكان أمراً عظيماً، ولكن القليلَ يكفي عن الكثيرِ، والناقدُ بصيرٌ، لأنا لم ننقلْ إلا ما تحققَ عندنا نقلُه من الثقاتِ، ليكون فيه متعة المتمتعِ.

ويكون فيـه للربـوعِ وأهلهـا　　　أنسٌ ونفعُ الطالـبِ المتنفّـعِ

كما قال سيدُنا عبدُالله الحداد.

وإذا وقع الإجماعُ من أهلِ عصْره على أنه صاحبُ استقامةٍ تامةٍ، وأنه أكبرُ السادةِ بتريم سنًّا وحالاً، وأن أهل الجهات الشاسعةِ كذلك اعترفُوا وأجمعُوا على ذلك، فاجتماعُهم حجةٌ، وفضلُ الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم.

وكما قال الإمام سفيان: «إذا جمع الله النسبَ في أحدٍ من أولاد الحسنينِ، مع السنةِ والجماعةِ، فهو الكبريتُ الأكبر»، انتهى بمعناه.

* * *

وأما زهدُه واستقامتُه وخدمتُه لوالدِه ومشايخه، وسعةُ علمه، وحسن فهمه، وتوزيع أوقاته، لكونه لا يخلو وقتٌ عن عبادةٍ، من نشر العلومِ، أو صلاةٍ، أو ذكرٍ، فهو ملازمٌ لذلك ملازمةً تامةً مدةَ العمر الطويل، الذي ورد فيه وفي أمثالِه: **«خيركُم من طالَ عمرُه وحسُنَ عمَله»**.

* * *

وأما خوارقُ عاداته، وشهرتُه بأنه لا توجد فيه رائحةُ اعوجاجٍ في استقامته، ولا ذرةٌ واحدة في قولٍ أو لبْسٍ أو أكلٍ وعملٍ، وفي أخذٍ وعطاءٍ، ونَومٍ ويقظةٍ، وسكون وحركةٍ، ودخولٍ وخروجٍ، وعبادة وزهادةٍ، وزيارةٍ وحضُورِ حضرةٍ ومدرسٍ، وإلباس وتلقينٍ، وخلوة وفكْرٍ، فكذلك. بل كلُّ عباداته وعاداتِه على السنة المحمديةِ، كما في «الأذكار النووية»، وعلى طريق السادة العلويةِ، لا يخرج عن الطريقَة الحدادية التي سلكَ والدُه عليها، بل كان عاملاً وملازماً غايةَ الملازمةِ والعملِ على ما رأى والدُه يعملُ به، ويأمرُ بذلك بقوله وفعله وحالِه، جميعَ من أخذ عنه، ويحضّه على ذلكَ، وعلى العملِ بما علِمَ، وعلى قيام الليلِ، ولزوم الصلواتِ في الجماعاتِ، والعلمِ والطلبِ له

ونشره دائماً إلى المماتِ، والصبر على الأذى من القراباتِ، وغيرهم من أهل بلده وجاره الأدنى، اتّباعاً لسيد المرسلينَ ﷺ والصالحينَ.

ويأمر بالتقلّلِ من الدنيا، ويقول كثيراً: **«ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»**، وقالَ: «زهدي في الدنيا كزهدِ الوالد، اختياريٌّ ما هو اضطراريٌّ، تقبلُ الدنيا وننبذُها نبذَ الأقذارِ، قال والدي فيها:

* تنحَّي تنحَّي لا سلاماً ولا رضًا *

وأنا أدعُو في كل دعاءٍ: «اللهم زهّدني في الدنيا وأهلها وجاهها ومالها».

قلتُ: ولما وصلتْ إليه أنذارٌ وصِلاتٌ في آخر سنةٍ من عمره، قال لابنه والدنا أحمد: «أرى الدنيا أقبلتْ علينا، بانتقل عنها إلى الدار الآخرة»، فمات في تلك السنة.

ولما أرسلَ سيدي الأخُ عبدالله بحصانٍ من (أحْوَر)، مركوباً لجدّه، فلما وصلَ (نصاب)، قال سيدي: «يموتُ الحصَان، ما أنا راكبٌ إلا على الدابةِ، قد ركبنا أولَ العمر، مركوبُنا الخيل، فمن وقت الحجّ لنا ما أخذْنا دابةً للركوبِ إلا وقتَ الضعف».

* * *

وكان يحذّر من تولِّي الأوقاف واليتامى جدًّا، ينهى عن ذلك خصوصاً خواصَّه، ولم يتولَّ وقفاً ولا على يتيمٍ، قال: «وإذا ابتليتَ مثل ما قدَّر الله لنا بأن احْتصَر علينا في وصيةِ الوالد فينَا بعد الأخ علويٍّ النظرُ، جعلنا ذلك من تحت نظرِنا من نثقُ به، ولا مرادي أنا ولا من تعلقَ بي من ولدٍ ومريدٍ أن يتولى وقفاً، وإن ابتلي فليجعلْ من تحت نظره من يثقُ بديانته وعلمِه ومعرفتِه بالمصلحة والمصْرَف، كما أمر الواقفُ، مع نماء الوقفِ، وسيرتنا عمريةٌ كما الوالدِ، توزيع الأشياءِ، فنأخذُ بخيرِ الخيرينِ، ونترك شرَّ الشرينِ»، انتهى.

[الهمةُ وحسْنُ الظنِّ]:

ولنذكرْ إن شاء الله كلاماً في الهمّة وحسنِ الظنّ، لأن بها أدركَ الأكابرُ ما أدركوا، ووجدوا بذلكَ ما أمّلوا، فمن كتاب «غاية القصد والمراد»: «قال الله عزَّ وجل: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥-٩٦]، وقال الله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فتأمل هذه الآياتِ وتفهّمْ معانيها، تعرفْ بذلك شرفَ الهمةِ وعلوَّ قدرِها، ولله درُّ القائل:

وأشرَفُهم من كـانَ أشرفَ همـةٍ ... وأكثرَ إقداماً على كـلّ معظَـمِ

وقال بعضُهم: إن النظرَ في حكاياتِ المواهب والكراماتِ، ومعارف العلوم الإلهياتِ، يثير الهمَم إلى طلبِ المراتب العالياتِ، ويرفعُها عن حضيضِ مقاعد قواعدِ الخوالفِ، إلى أوج أفلاك فوائد من القرون السوالف. وكان الفقيه العلامة عبدُالله بن محمد العمودي يقول كثيراً: «الهمةُ والعزمُ يأتيانِ برسلِ التوفيق».

* * *

ومن كلام الإمام عليٍّ عليه السلام: «قليلٌ من التوفيقِ خير من كثيرٍ من العقل».
وقال بعضُهم: «اعلمْ أن قوةَ ونفوذِ العزْمة أصلُ السعادةِ، ومنبع المجاهداتِ، لأنها من جنودِ الله يمِدُّ بها الله من أرادَ سبحانه». وقال الشيخ زَرُّوقُ: «من علت همّته ارتفعتْ رتبتُه، ومن أنفذَ عزيمته دامتْ هدايته».

وقال بعضُهم: «بالجدّ والاجتهادِ تبلغُ غايةَ المراد، وبالعزَماتِ الصحاحِ يشرقُ صباحُ الفلاحِ، وما حصَل الأماني بالتواني، ولا ظفر بالأمل من استوطأ فراشِ الكسل،

وإياك أن تقولَ: إن قدّر شيءٌ وصلَ، وإن في الغيب مقضيٌ حصلَ، فبالحركات تحصل البركاتُ، وبالهزِّ يسقطُ التمْر، وأمّ العجْز أبداً عقيمٌ:

بقــدْر الكــدِّ تكتَســبُ المعــالي ... ومن طلبَ العلا سَهِر الليــالي

تــرومُ المجــدَ ثــمَّ تنــامُ لــيلاً ... يغوصُ البحْرَ من طلبَ اللآلي

وقال الشيخُ إسماعيلُ الجبرتي رحمه الله: «ما تفاوتَ الناسُ إلا بالهمم». وقال معاويةُ: «هموا بمَعالي الأمورِ، فإني هممتُ بالخلافةِ وما كنتُ أهلاً لها، فبلغتها».

وذكر حجةُ الإسلامِ رجلينِ عابدينِ، متساويين في العبادَة، إذا دخَلا الجنة رفع أحدُهما في الدرجاتِ العلى على صاحبه، فيقول: يا ربّ! ما كانَ هذا في الدنيا أكثرَ مني عبادةٍ، فرفعتَه عليَّ في عليين!، فيقولُ الله عز وجلَّ: «**إنه كان سَألني في الدنيا الدرجاتِ العلَى، وأنت كنتَ تسألني النجاةَ من النارِ، فأعطيتُ كلّ عبدٍ سُؤاله**»، وهذا يدلّ على أن العبادةَ على الرجّاء أفضلُ، لأن المحبة أغلبُ على الراجي منها على الخائف، ولذلك أمرَ الله بحسن الظنِّ، ولذلك قال النبي ﷺ: «**سَلوا الله الدرجاتِ العُلى، فإنكم تسألون كريماً**»، انتهى.

* * *

قلتُ: كان سيدي أحمد بن سيدي الحسن عند قراءة الحديثِ عليه قال: «فافهم لقول الإمام الغزالي الأول: «عابدَين» ولم يقلْ: جاهلينِ، أما سؤال الدرجاتِ العلى مع البطالة فهي من الغباوةِ والضلالة، والاستهزاء بالدرجات، وأما العبادة والتهيؤ للطريق التي تبلغك الدرجاتِ العلى فمليحٌ منكَ، وإلا فقفْ عند حدكَ، إنه لا يحب المعتدين.

لأن بعض الصحابة سمع بعضَ أولاده يسألُ الله القصْر الأبيضَ، فنهاه أبوه، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**سيأتي بعْدي أناسٌ يعتدونَ في الدُّعاء**»، ذكره

الإمام السيوطيُّ في تفسيرِه «الدر المنثور»، عند قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، انتهى كلامه رضي الله عنه، ومتع لنا بحياته.

* * *

ثم قال سيدي الحبيبُ محمد بن سميطٍ في الهمّة: «قالَ ابنُ الأشكل، رحمه الله: سمعتُ شيخَنا، يعني الجبرتيَّ، يقول: اطلُبْ من الله وإن أعطاكَ خلَّةَ إبراهيم، ومكالمةَ موسى، فاطلب ما وراءَ ذلك». وقوله هذا أبلغُ مما قيلَ في علوِّ الهمة شعراً:

لـه همـةٌ لا منتهـى لكبارِهـا   وهمته الصغْرَى أجلّ مـن الـدّهرِ

وقال السهروردي في «العوارفِ»: «مقدوراتُ الحق ومواهبُه غير متناهيةٍ، لهذا قال بعضُهم: لو أعطيتُ روحانيةَ عيسى، ومكالمة موسَى، وخُلة إبراهيم، لطلبتُ ما وراء ذلكَ، ولا يعطاها إلا الأولياءُ، ولكن هذا إشارةٌ من القائلِ إلى دوامِ تطلُّعِ العبدِ وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيه من أمرِ الحقِّ تعالى، لأن سيدَ الرسلِ نبه على عدَم القناعةِ، وقرع باب التطلبِ، واستنزال البركة والمزيد، بقوله ﷺ: «**كلَّ يومٍ لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في صبيحَةِ ذلك اليوم**»[1]، وفي دعائه عليه الصلاة والسلام: «**اللهم ما قَصُـر عنه رأيي، وضعف عنه عملي، ولم تبلغه نيتي وأمنيتي، من خيرٍ وعدته أحداً من عبادكَ، أو خيرٍ أنت معطيه أحداً من خلقكَ، فإني راغبٌ إليك فيه وأسألُكَه**». حتى تعلمَ أن مواهب الحق لا تنحصر والأحوال مواهب وهي متصلة بكلمات الله التي ينفد بحرها دون نفادها وتنفد أعداد الرمال دون إعدادها والله المنعم والمعطي انتهى. وفي الحديثِ: «**إذا دعَا أحدُكم فليُعْظِم الرغبةَ، فإن الله لا يتعاظَمُه شيءٌ**».

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط.

شعراً:

لا يؤيِسنّكَ من مجدٍ تباعدُه   فإن للمجْدِ تدريجاً وتدريبَا
إن القناةَ التي شاهدْتَ رفعتها   تنمُو فتنبتُ أنبوباً فأنبوبَا

وقال الشيخُ محيي الدين ابنُ عربيٍّ رحمه الله تعالى: «قال الله عز وجلَ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، مع كونه حاصلاً على علومِ الأولين والآخرينَ، وأوتي جوامعَ الكلمِ، فإنه لا يتعاظمُ شيءٌ على الله تعالى طُلِبَ منه، فإن المطلوبَ منه لا يتناهى، فوسّعْ في طلبِ المزيد إن كنتَ من العلماءِ بالله، واجتهد أن لا تتهيبَ لسؤالِ شيءٍ من أنواع الخيرِ، وإن بعُدَ عنك فليس ببعيدٍ عليكَ كلُّ ما يمكن أن يكونَ لبشرٍ مما لا يقعُ النصُّ بانسدادِ بابه، كالنبوةِ، إذ من شأن الكمَّل من الرسلِ والأنبياء والأولياءِ أنهم لا يرَونَ شيئا متعذرَ الحصولِ عليهم، بالنسبة إلى قبولهم على الإطلاقِ، إلا ما أخبرَ الحقُّ باستحالةِ حصُولِهِ، فإذا رجوتَ الله في أمرٍ فلابدَّ من ذلك الأمرِ، إلا أن يكون لك أو مثلَه، فلا تستبطئ ذلكَ، فإن الأمور عند الله تعالى موقوتةٌ، فإذا جاء الوقتُ ظهرَ الأمر، وكن على ثقةٍ من الله تعالى، لابد لك أن تحصّل ما تعلقتْ همتُك بتحصيلِهِ، أو مثله، أو أعظمَ منه، ولا يحملكَ تأخير ذلك والاستبطاءُ على تركِ العمل.

وقال بعضُهم: «من شقَّ عليه ركوبُ الأهوال لم يرتقِ إلى معالي الأحوال، ومن لم يرتقِ إلى معالي الأحوالِ، لم يبلغْ مبلغَ الرجال». وقال الشيخ زروقٌ الشاذليُّ نفع الله به: «كل معنًى تتوجّه إليه مع انحلالٍ في القوَى، وتلكّؤٍ في الهممِ، فأثره بعيدٌ، بخلافِ العكسِ، فاجمع قلبكَ، واطلبْ ربكَ، وفارق ذنبكَ، يحصلْ لك مقصُودُك».

* * *

[ذكرُ شيءٍ مما جاء في حسن الظنّ]:

ولنختم بذكر شيءٍ في حسْنِ الظن؛ ولأني أتيتُ بها عندي من ذكر أحوال الحبيب الحسنِ للفائدةِ التي حصلتْ معي، ولا زلت أتأثر بمواقعِه ومآثرِه وأقواله وأفعاله، لأنا شاهدناه وانتفعنا به، بل هو وسيلتُنا إلى الله وإلى رسوله، وإلى السلفِ الصالحِ، خصوصاً والدُه القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد.

ومن لم يتأثر بها ذكرناهُ، لأنه ما رآه ولا مارسَه أو ما له ولا في أمثاله عقيدةٌ، أو غلبَ عليه الحسَدُ له أو لي، لأني جمعتُ ما صحَّ لديَّ، وما أرجو به الوسيلةَ إلى الله والقربَ منه، ولأداء حقوقِ الأشياخِ، نفع الله بهم، لأنه واجبٌ على المريد نشْرُ فوائدِهم وعلومهم وأحوالهم، لينتفعَ بها من لم يرَهم، من حسن الظنِّ، قال سيدنا الحبيب عبدُالله الحداد:

حسّنْ ظنونكَ بالمولى ترَ البُشْـرى فالربُّ عند ظنـونِ العبـدِ فلتـدْرَ
جاء الحديثُ بـذا فاصْـغِ إلى الـذّكْرَى

وعمدَةُ هذا الطريقِ خصوصاً حسْنُ الظنّ، وقد قال المشايخ العارفونَ ما معناهُ: «ما بلغْنا ما بلغناهُإلا بحسنِ الظنّ».

وكان الشيخُ العارفُ بالله سيدُنا أبوبكرٍ السكرانُ بن عبدالرحمن السقاف باعلوي، نفع الله بهما، يقولُ: «ما نلتُ إلا بكثرَةِ حسنِ ظني في الصالحينَ، وجميعِ المسلمين».

وقالَ الإمامُ أبوبكرٍ بنُ عبدالله العيدروس: «ما خسرَ صاحبُ حسنِ الظنِّ، وإن أخطأ فإنه غير ملوم، حسْنُ الظنِّ كنزُ الله الأكبر، والاسم الأعظم». وقال بعضُهم: «حسن الظنّ والمحبةُ يُلحِقَانِ الأصاغرَ بالأكابرِ، في أعالي المقامات العاليات».

وقال رسولُ الله ﷺ: «**لو اعتقَد أحدُكم في حجَرٍ لنفَعه**»[١]، قال بعضُهم: فحسْنُ ظنك مؤثرٌ لا محالةَ، فكن محسنَ الظنِّ، ومحققَ الاعتقادِ، ومجموعَ الهمةِ فيما تعمل، فإنك تصيبُ ولا تخطئُ أبداً إن شاء الله، فحققْ في نفسك ووهمكَ أن الشيءَ الذي تفعله واقعٌ وكائنٌ لا محالةَ، واعتمد على ذلكَ فإنه أصلُ هذا البابِ، والله الهادي للصواب، قاله أهل المعرفة والتحقيق»، انتهى. وقال بعضُ العارفينَ: «كان عندي في بدايتي تشوقٌ وطهارة، فكنتُ أعتقد الحجارة إذا رأيتها أولياءَ احتجبتْ عني بالصورَة الحجرية، وكانت تأتيني الإمداداتُ والبركات منها».

ويروَى أن الشيخ إسماعيل الجبرتي اليمنيَّ دخلَ على بعض أشياخه، فرآه يفلي القمل من ثوبه، فاعتقد في نفسه، أي إسماعيل، أنه يتشاغل بالفَلْي عن الحقيقة التي يخشى ظهورَها عليه، قال: فحصلَ لي بذلك الاعتقادِ خيرٌ كثير، وحالة عالية. ثم إني سألت الشيخ يوماً آخر: هل كنتَ ذلك اليوم تتشاغلُ عن الحقيقة؟ فقالَ: لا؛ إنما أفلي ثوبي مثلَ الناسِ، ولا شيء مما ظننتَ، ولكن قد حصلَ المطلوب»، انتهى بمعناه.

تعرف بذلك أن مدارَ الطريق إلى التحقيقِ محضُ حسنِ الظنِّ، والقبولُ بالإيمان والتصديق، وأنه إذا كان يُعمَل بالأحاديثِ الضعيفة في فضائلِ الأعمال، فمن باب أولى التصديقُ بأحوالِ الأولياءِ ووقائعِهم العوال، فإنها حاملةٌ على العملِ، ومنعشة لهمم الطالبينَ القربَ من رب العالمينَ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**من بلغَه عن الله شيءٌ فيه فضيلةٌ فأخذَ به إيماناً ورجاءَ ثوابه، أعطاه الله ذلك وإن لم يكنْ كذلك**»، انتهى.

وأصلُ التصوفِ ومنبعُه، كما قالَ الشيوخُ، حسْنُ الظنّ.

وقال سيدُنا الإمام عبدالله بن أبي بكر العيدروس، رضي الله عنه وعنّا به: «عليكَ بحسن الظن في الصالحينَ، ومحبة محبِّ محبهم، فهو من أعلى المراتبِ، وأعلى

---

(١) الصحيح أن هذه المقولة ليست بحديث نبوي، ولا أَصل له.

المواهب، ولصاحبِه سابقةٌ وعنايةٌ وتخصيصٌ وهدايةٌ، وسوءُ الظنِّ مذمومٌ مطلقاً».

وقال نفع الله به: «عليك بحسنِ الظنّ في مواضعِ الصالحين وذراريهم، ولا تظنَّ بنفسك خيراً، واعتقده في سائرِ المسلمينَ، وعليك بحُسنِ الظن في ذراري الصالحين ولو شَطُّوا، واحترمهم واستر عوراتهم».

وقال بعضُهم: «ما لنا وسيلةٌ إلا حسنُ الظنّ في أولياءِ الله». وقال بعضُهم: «عليك بحسن الظنّ، فإنه دليلٌ على نورِ البصيرة، وصلاح السريرة، وكفى به سبباً لحصول السعاداتِ، ونيل الدرجات. ومنافعُه كثيرةٌ.

منها: أن يرزقَ لذّةَ الطاعة، ويذوق حلاوة الإيمان، ويقبل على مطالعة الكتبِ المزهِّدة في الدنيا، المرغِّبةِ في الآخرة، والدخول في حرز عنايتهم، ومستجابِ صالحِ دعواتهم. فقد قيلَ: إنّ دعاء الصالحين يصلُ إلى ذرية المدعوِّ له.

ومنها: استعطافُ خواطرِهم، واستمدادُ بركاتهم. فهم الذين يرحم الله بهم العبادَ، ويغاثُ بهم البلاد، ويرضى لرضَاهم الملكُ الجواد.

ومنها: حضورُ مجالسِهم المعمورة، فهم الذين لا يشْقى بهم جليسُهم.

ومن فوائد حسن الظن: فائدةٌ تندرِجُ فيها كلّ فائدةٍ، وهي: أن حسنَ الظنِّ فيهم يورثُ حسْنَ الخاتمة، وثمرتُه قد لا تظهَر إلا عند خروج الروحِ، فيفضي بصاحبه إلى السعادةِ الكبرى، المتضمنة ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر.

فحسنُ الظنِّ بابُ الولوجِ إلى الأخلاق العظيمة، والصفات الكريمة، وليس في سوء الظن فائدةٌ قطّ. وأقلُّ عقوبةِ المنكرِ: أن يحرمَ بركتهم، بل قيلَ: إن سوء الظن يورثُ سوءَ الخاتمة والعياذُ بالله. وقد لا يظهر إلا عند خروج الروحِ.

فاحذرْ يا أخي من الوقيعةِ في أهل الله، تسقطْ من عينِ الله، وتستوجب المقْتَ من الله إذ يقولُ: «من عادَى لي وليًّا فقد آذنتُه بالحرْب»، فالوقيعةُ في أولياءِ الله تورِثُ السّلْبَ»، انتهى كلامُ العيدروس.

ثم قال: «واعلمْ أن الغالبَ على أكثرِ العامة حسنُ الظنّ بمن سلفَ من المشايخِ والعلماءِ، وإظهارُ الثناء والاعتقادِ لهم، والإدبار عن معاصِريهم وسوءِ الظنِّ بهم، ولا شكَّ أن ذلك بمجرَّد الحسدِ المحبطِ، والحرمان الظاهر، كما قال أبو الحسنِ الشاذلي: «ما هي إلا إسرائيليةٌ!، آمنوا بمُوسَى وعيسَى وكفرُوا بمحمّدٍ ﷺ».

* * *

وقال سيدنا القطبُ الغوثُ عبدُالله بن علوي الحداد: «عليك بصحبة الأخيار والتأدبِ بآدابهم، والاستفادة من أقوالهم وأفعالهم، وبزيارة الأحياء والأمواتِ منهم، مع التعظيم البالغِ لهم، وحسنِ الظنِّ الصادقَ فيهم، فبذلك يحصلُ الانتفاعُ للزائرِ، ويفيض المَدَدُ من جهتهم. وإنما قلَّ انتفاعُ أهل الزمانِ بالصالحينَ من حيثُ قلةُ التعظيم لهم، وضعفُ حسنِ الظنِّ بهم، فحُرِموا بسببِ ذلك بركاتهم، ولم يشاهدوا كراماتهم، حتى توهموا أنّ الزمانَ خالٍ عن الأولياءِ، وهم بحمد الله كثيرونَ، ظاهرون ومخفيّون، ولا يعرِفُهم إلا من نوَّر الله قلبه بأنوار التعظيمِ، وحسَّنَ الظنَّ فيهم، وقد قيلَ: المَدَدُ في المشهد».

* * *

خاتمةُ البابِ الثاني

في ذكرِ قُطْبانيتِهِ وبلوغِهِ رتبةَ الكَمالِ

أخذَ في القطبية سنيناً عديدةً، وذلك حسبَ علمي، وإلا فقد تقدم كلام السيد الكبير العارفِ عمر بن حامد المنفِّر باعلوي، في أول هذا الباب، بعد نحو ثلاث ورقٍ، أنه قالَ: «والله إني أشهدُ أن سيدنا الحبيبَ حسَن، بلغ مقام والدِه». وعمِّر سيدي الحبيب قطب الزمن الحسن بعدَ كلامه هذا ثلاثٌ وثلاثون سنةً.

وكان رضي الله عنه إذا كتب له أحد في الأوراقِ إلى القطبِ الغوث، يقولُ أولاً قبل أن يليها: «كذِبٌ!». ثم بعد أن أقيمَ فيها يصدِّقُ بذلكَ، ولا يتكلمُ. وقد قال يوماً: «إني فريدُ وقتي، ووحيد عصْري، بحمد الله تعالى». وقد قال يوماً من الأيامِ: «واجبٌ على الناس اتباعُ كلامي وما آمرُ به»، وقد قالَ: «لو علموا بنا لكنَّا أحقَّ بأموالهم منهُم»، يشير لأهل حضرموتَ، وخصوصاً بلدَة (تريم).

وقد كان يتمثلُ بكلامِ والده، ويشير بذلك إلى نفسه:

.... وحيـدٌ فريـدٌ في طريقـي وفي قصْـدي

أمــورٌ وأحــوالٌ تعِــنُّ ولم أجِــدْ عليها معيناً وهــي تَقعُـد بــالفرْدِ

ويتمثلُ بهذا البيتِ:

ولو ألفُ بانٍ خلفَهـم هـادمٌ كفـى فكيـفَ بـبـانٍ خلفَـه ألـفُ هَـادمِ

ومرةً صرحَ بأنه القطبُ الغوثُ، بقوله نفع الله به يوماً من الأيامِ، أراد زيارةَ (كَودَة عيديد) على عادتِه وعادةِ والده كلَّ سنةٍ، وكان بعضُ من يعتادُ معه الخروجَ إلى (الكودة) معهم خوفٌ من الحكَامِ، فقال لبعضِ أخدامه، وأنا حاضرٌ عندَه والخادم: «اعلمُوا أني القطبُ الغوثُ، والأمر لنا، لا يخافون من أحدٍ من الخلق». بل قد رأى جملةٌ من السادةِ في وقته النبيَّ محمّداً ﷺ في المنامِ على صورتِه، حتى في الثيابِ، وذلك أن صاحبَ الوقت يراهُ الناسُ على صورة رسُولِ الله صلى الله عليه وصحبه وسلّم، ولا يتمكنُ ذلك في غيرِه، كما حققه الأشياخُ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد قال الإمام الكبير أحمدُ بن الحسين بنِ الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، للذي قال له: رأيتُ في المنام النبيَّ ﷺ على صورةِ الإمام أحمد بن علوي با جَحْدب، قالَ له: «لو رأيته على صُورتي لأعطيتُكَ نصْفَ مالي».

قلتُ: وآخرُ وقتِ السيد أحمد بن الحسين، قيلَ: إنه تولى القطبيةَ، والشيخ معروف باجمال في الانفراد، صرَّح بذلكَ في كتاب «مواهب البَرِّ الرؤوفِ في مناقب الشيخ معروف»، شعراً:

لكــل زمــانٍ واحــدٌ يقتــدَى بِــه　　　وهذا زمانٌ أنتَ لا شكَّ واحدُه

وقد قال لي بعضُ الأولياءِ المكاشَفين، وأخذ مني عهداً أني لا أصرّحُ باسمه، قال لي: إني أراك دائماً عند سيدي الحبيب الحسنِ بن عبدالله الحداد، وأشهدُ بالله لقد رآه من لا يكذِبُ بعرفات، في أيام الحجِّ، في غير السنة التي حجَّ فيها، وقال لي: لا تعلم بذلك أحداً، وهو الفردُ في هذا العصْرِ، ومركز دائرة الولاية، وإنما قلتُ لك لا تخبرِ الناسَ لئلا ينكِروا فيخسَروا.

وقد قال السيد المكاشفُ، علوي بن محمد باصُرّة باعلوي، لما حصلَ عليه الجذبةُ النورانيةُ، وصار يحدّثُ بالمغيَّباتِ، وبما في خواطر من حضَر عنده ومن غابَ، بل إنه إذا

طلعَ إلى الدرجِ من يريدُ يزورُه في الجذبة هذه، ينادي باسمِ الطالعِ، [ويحكي بما جرى للطالع][1] من أول عمره من خيرٍ أو شرٍّ، حتى من فعلَ شيئاً لم يجيءْ يزورُه.

ودخلتُ عليه يوماً، فقال لي لما أمرته يخلّي ما لديهِ وعندَه من الاطلاعاتِ، قالَ بأعلى صوته: سقاني القطبُ الغوثُ شيخي الحسنُ بن عبدالله الحداد، وحملني الأحوال، وأهلُ هذا الزمان ما حرِمُوا مواهبَه إلا لضَعفِ عقيدتهم ونياتهم.

وقد قال الحبيب قطب الزمن الحسن: «إن هذا السيد جاءَ بحروقته يابسةً، وقبسْنا فيها، وستبدو عليه أحوالٌ»، فكان كما قالَ.

ولما توفي وصلى عليه شيخُه الحبيبُ الحسن، قالَ: «أرجو أن يشفعَ في أهل قرنهِ، مثلَ الشابِّ الذي ذكرَه الإمامُ اليافعي في «روض الرياحين»: أنه يشفعُ في أهلِ قرْنه».

* * *

وقد تقدم القولُ أن سيدنا من أهلِ المقام الرابعِ، الذي هو أعلى المقاماتِ، وقد تقدم أنه رضي الله عنه قد قطعَ العقابَ السبع حقًّا، وهو في عقبة الحمْد والشكرِ، وقد بينها الإمام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»، الذي قيلَ: إنه آخرُ مصنفاته.

وقد قال الأخ عمر من أثناء مديحة في جدّه سيدنا قطبِ الزمن الحسنِ، شعراً:

قـد فنـي ثـم بقِـي وقطـعْ ... للعقـابِ الـسبع في مهَـلِ

حجـــةُ الإســـلامِ بينهَـــا ... ضمْنَ منهَاجه بوجْـه جـلي

* * *

وقد قالَ بعضُ علماء السادة آل أبي علوي من الباطنِ والظاهر، في سيدنا الحسنِ، قالَ: «هو السيد الإمام، العالم العلامة، الحبر الفهامة، الجامع للشـريعة

---

(١) سقطت هذه العبارة من النسخة (أ).

والطريقة والحقيقة، الفقيه الصوفي، الصفي الصفوة، الجامع للفضائل والفواضل، إمام زمانه وشيخ وقته، قطب الزمن، الحسن الاسم والمعنى والذات والصفات، والعواقب والنيات، ابن الإمامِ المطلَقِ، خاتمة الأكابر، وشيخ مشايخ الإسلام، الأستاذ الأعظم عبدالله بن علوي الحداد باعلوي».

وقال سيدي الوالدُ أحمد شعراً، في سيدنا قطب الزمن الحسن، ويوصي بعضَ السادة بذلكَ، وستأتي في ديوانه:

عليك به يا أخي في السرّ والإعلانْ ... فاشدُد يديكَ به تصْفو لك الأزمانْ

فالصيدُ في جوفِ الفرا والناس في إنسانْ ... والحجّ عرفةْ فكّك هذه الأوزانْ

وقال أيضاً نفع الله به:

نفعُه شملْ كلَّ العبادِ وعمَّهم ... وسحابُ جودِه دائماً مسترسلُ

ذاكَ ابنُ عبدِالله فردُ زمانِه ... ذاك الحسنْ اسماً ومعنًى فاعْقلوا

وقال من أخرَى، أدام الله بوجوده:

ذاك ابنُ عبدالله سلطانُ الملا ... وارثْ علومِ الأنبياءِ المتقفي

حازَ علومَ الأولين بلا مِراءْ ... والآخرينَ فسرُّه لا ينطفي

لقبه والدُه حكيماً فانظرَنْ ... فيما حوَى إن كنتَ بالعلم حَفي

عمَر المساجد والمجالسَ مخلصاً ... لله من طاعاتِه لا يشتفي

داعٍ إلى الله العظيم بحالِه ... ومقاله وعلومه بتلطفِ

بر رحيم بالخلائق كلهم ... لا فظّ في قوله ولا بمعنفِ

ومن أثناء قصيدة قلتُها مدحاً فيه، وستأتي:

حبرٌ مكينٌ راسخة أقدامُه ... أعلا مقامٍ والمحلّ الرافعِ

كنـزُ اليقـينِ وعينُـه وبحقّـه ... متحققـاً صـدقاً بـه لا مـدّعي
غـوثُ الأنـامِ وقطـبُ دائـرة الـورَى ... عـمّ العـوالم نفعُـه المتوسـعِ
شيخ الزمنْ وهو الحسنْ المجتبَى ... وهو ابـنُ عبـدالله زاكـي المنبـعِ
ورثَ الأمانـةَ كـابراً عـن كـابرٍ ... لا عن كلالةْ بل وراثـةْ فاسْـمعِ
حاملْ سرائرِ من سبقْ من أهلِـه ... مـن زاهـدٍ أو عـارفٍ متضـلعِ
جـامع لأسرارِ الفقيـهِ محمـدٍ ... مـع نجلـه وابنيـه والمسْـتودعِ
سـقافِهم محضَـارهم سـكْرانهم ... والعيدروسِ كـذا أخيـه الأورعِ
والشـيخِ عبـدالله حـدادِ العـلا ... وبنـيهِم مـن كـلّ حـبرٍ مصْـقَعِ
قد يجمعُ الأقطابَ قطبٌ واحـدٌ ... السـرّ فـردٌ والبشَـر متنَـوعِ
فـوو الخليفـةُ والإمـامُ المنتقَـى ... عن أهـل وقـتٍ كلّهـم والمربـعِ
الله أظهـرَ نـورَه في عبـدِه ... الله أكـبرُ لا أحـيطُ بـما رُعـي
سرٌ سرَى فيه خصوصـاً جامعـاً ... قصْرى حديثي فيـه أنـه جـامعِ

وقد وافقَ تاريخُ وفاته قدسَ الله روحَه ونور ضريحه: «هو قطبٌ عظيمٌ ولي»، وقد نظم ذلك سيدي الوالدُ نفع الله به فقال:

إن تشـأ تاريخـه يـا صَـفي ... هـو قطـبٌ عظـيمٌ ولي

* * *

ولما كان في بعضِ السنينَ، في شهر شعبانَ، بعد ما صلى بالناسِ سيدي قطبُ الزمن الحسن صلاةَ الظهرِ، ورجع إلى بيته، لما طلع في الدرَج يريدُ المحضرَة، قال له الوالد أحمدُ: فعلنا أمرَ كذا وكذا، وبانستشيركم في الأمرِ المذكورِ، لكن وقع فلانٌ من السادة عندكُم، فقال له والده قطب الزمن الحسن: «كرامة ما شاورتموني في هذا الأمرِ، لأني ما أريدُه، وربما تفعلونه إذا أمرتكُم بتركهِ فتأثموا، لأني الآن إذا تكلمتُ بكلامٍ

وخالفَني أحدٌ فيه أثِمَ، أنتم أو غيركُم، لأن كلامي الآن واجبٌ متابعتُه على الكلّ»، انتهى كلامه بحروفه، سمعته أنا وسيدي الوالدُ نفع الله به، وهذه صفةُ القطبِ كما ذكرَه الأئمةُ في كتبهم، وقال نفع الله به: «نحن الملوكُ على الحقيقةِ، لنا التولية والعزلُ، ويشهد لي بذلك الفقيهُ المقدم».

* * *

وأعظمُ من ذلكَ، وأبْيَنُ مما هنالكَ، الحكايةُ الأولى الذي في باب الكرامات، وذلك:

من عادةِ الحبيب قطب الزمن الحسن، يزور مقبرة أجداده الأكابر بتريم، في الأسبوع مرتين كعادة والده آخر عمرِه، الأولى بعد عصْر يوم الجمعة، والثانية بعد عصر يوم الثلوثِ ليلةَ الربوع. وفي الزيارة الثانية هذه وقعت للفقيرِ خارقةٌ ظاهرة بينةٌ، ولذلك قلتُ كما تقدّم: «أخذ في القطبية سنيناً عديدة على حسبِ علمي»، بالواقعة هذه.

وذلك: أني زرتُ معه على عادتي بعد عصْر يوم الثلوث، طلعنا من (حاوي الخيرات) معه ممن يعتاد الزيارة من الأولادِ والأحفادِ والطلبة والزائرين والقاصدين، جمعٌ مبارك عظيم، وقصد أولاً سيدَنا الفقيه المقدّم محمدَ بن علي، وابنه علويًّا، ومن عندهما، إلا أنه في هذه الزيارة يستكفي بالوقوفِ قائماً عند ضَريح سيدنا الفقيه المقدم، ويستحضر عنده ابنه علويًّا، وفي زيارته عصر يوم الجمعة يخصُّ سيدي علويًّا بزيارة وحدَه، وذلك اتباعٌ لما كان يفعَله والدُه، لأنه في هذه الزيارة يزورُ وهو قائمٌ هو ومن معه، وفي زيارة الجمعة يجلسُ مشاهداً قبر الفقيهِ المقدم. ثم لما زار سيدنا الفقيه وابنه علويًّا سارَ إلى عند قبرِ سيدنا المقدّم الثاني الشيخ عبدالرحمن السقاف ومَن عنده، كوالده محمد بن علي مولى الدويلة، وجده علي ابن علوي خالع قسَم، وغيرهم.

وعند مواجهته لسيدنا السقاف عبدالرحمن خطر على بالي من هو القطبُ الغوث

اليومَ؟ فقلتُ في نفسي: إن الحبيب عبدَالله الحداد والدَ الحبيب الحسن متظاهرٌ بالقطبيةِ والصديقية الكبرَى، عند الخاصّ والعام، ولا أعلمُ أن الحبيب الحسنَ فيها الآنَ، ولعله قريباً منها، أو أحدُ الإمامينِ الذين يكتنفانِ القطبَ، فحينَما خطر هذا الخاطرُ، اشتبّت نارٌ في باطني من رأسي إلى قدَمي، وكنت قائماً فجلستُ وأرْتجَ عليَّ حتى ما قدرتُ أتكلم، وظننت أنه الموتُ، فاستغثت بسيدي السقاف في خاطري، وتشفعتُ به عند سيدي قطب الزمن، وتحققتُ أنه هو اليومَ القطبُ الغوثُ، فعوفيتُ مما بي في الحالِ، فزرت معه سيدي السقاف ومن عنده، ثم سار يزور الشيخينِ: مشيخ بن عبدالرحمن السقاف، وشيخ بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأهل الرّصَّة، ومن يزوره في ذلك المقامِ، ويخصُّه بالتحية والسلام، قبل الشيخ أبي بكر السكران، والشيخ أحمد بن علوي باجَحْدب، والسيد العارف عمر حامد، والإمامين اللذَينِ في قبر واحدٍ في الرّصة: الشيخ أحمد بن عبدالرحمن، والشيخ محمد بن علي مولى عيديد. فلما قرأتُ الفاتحة وما تيسر من القرآنِ، خطر في بالي بعضُ ما تقدم، فجرى لي مثلُ الأولِ فتشفعتُ بهؤلاء الأكابرِ، وحصلَ الفرجُ واليقين، وتحققت أنه الغوثَ.

فلما خرجنا من هذه الزيارة قريبَ غروبِ الشمسِ، ودخل وقتُ المغرب والعشاء، وصلى بالناسِ في كل وقتٍ منهُما إماماً، وحضر راتبَ والده كعادته بعد صلاة العشاء ونوافلها، ثم رجع إلى بيته، وتقدمتُ إلى البيتِ أعارضُه بماءٍ يشربه تحتَ محضرته الذي ينامُ فيها، فشرب هو والوالدُ على العادةِ، ودخل إلى قريبِ بابِ المحْضَرة هذه.

وأما الفقير فسرتُ إلى المكانِ الذي قبليّ المحضَرة، في المادِ القبلي، وخطرَ ببالي ما جرَى في تلك الزيارة، وقلتُ في خاطري: إن كان ما هو القطبُ فهو في مقامِ القربةِ التي هي منزلةٌ فوقَ القطبِ، وقد وعد الحبيبُ عبدالله الحداد أحمدَ بن زين الحبشي بمقَام القربةِ، وإلا القطبية. وقد ذكرها ابن عربي في كتابٍ ألفَه فيهَا، وبقي الخاطر معي وأنا في الماد، فإذا به نفع الله به عندي قائمٌ، فقلتُ له: يا سيدي مالكم خرجتم من

المحضَرة إلى هنا؟ قالَ: «أخرجتني خواطرُك!، أما تستيقِن وتترك الوسْوَسة هذه؟»».

وعليه من المهابة والجلالةِ ما حيَّر به العقلَ مني وأدهشَ اللبَّ، فحينئذ تيقنت بحمْدالله، وزال الشكُّ، وعلى ما قال القائلُ:

وإذا لم تــــرَ الهـــلالَ فســـلِّمْ   لأنــــاسٍ رأوهُ بالأبْصَـــارِ

ولله الحمدُ والمنة على هذه النعمةِ الكبيرة العظيمة، التي هي بعد نعمة الإسلام أكبرُ من كل نعمةٍ.

* * *

وقد تحققتُ على ما قالَ به بعضُ العلماء من أكابرِ السادة: «أن جميع أوصاف القطب التي ذكرَها القطب الحبيب عبدُالله الحداد في قصيدته التي أولها:

* أهلاً وسهلاً بالحبيبِ الواصِلِ *

حقًّا وبياناً في ابنه الجامعِ للشريعة والحقيقة، الزاهد العابدِ المحْض، الرحيم بخلق الله، يرعَى الوجودَ باللطف الشاملِ، الذي أفعاله وأقوالُه وأعماله ممتدةٌ من بحر النبوة، سيدُنا وعمدتنا ووسيلتنا إلى الله قطبُ الزمن الحسنُ، نفع الله به، وأدام علينا في كل وقتٍ إمداداتُه وبركاته الشاملة لكل موجود، آمين، آمينَ، آمينَ.

قلتُ: وقد أمعنَ في وصفِ القطبِ في «كتاب المائتينِ» الشيخُ الإمام اليافعيُّ، وكذلك سيدي الحبيب عبدُالله بن علوي الحداد.

ثم قال نفعَ الله به: «القطبُ ينعَتُ بصاحب الصديقية الكبرَى، والصديقُ هو المستجمعُ لجميعِ مراتبِ الصدْقِ وأحوال الصديقينَ على الوجْه الأتمِّ الأمكنِ، من غير تزلزلٍ ولا تلوينٍ. والصدّيقُ من قامت به هذه الصفةُ، ورسخت قدَمُه في هذه المرتبة، وهو عبارةٌ عن المؤمن الكاملِ في إيمانه ويقينه وإقباله على الله تعالى، وعمله له، ودعوته

إلى الله تعالى بلسانِ حاله ومقاله»، انتهى. وهذا الوصفُ والنعتُ بغير شكٍّ ولا ريبٍ عند أهلِ المعرفَةِ في سيدنا قطب الزمن الحسنِ، مثلَما كانَ هذا الوصفُ في والدِه القطب عبدالله الحداد.

* * *

وقد قالَ للحبيب الحسنِ الحبيبُ العارف بالله عمر بن حامدٍ المنفّر: «والله إني أشهدُ أنكَ في مقام والدِك، برج الوصول»، وهو مقام سيدنا عبدالقادر الجيلاني والحبيب عبدالله الحداد، قالَ نفع الله به:

هبت نسيماتُ الوصَالْ	من جانبِ القدْسِ العليّ
واستغرقتْ أنوارُها	عوالم القلبِ الخلي
عمّا سوى معبُودِه	الواحدِ الحقِّ الولي
وكوشِفتْ أسرارُه	وحلَّ في برج الوصُولْ
الله حسبي وكفَى	قلْ ما تشَاءْ يا ذا الفضُولْ

وقد كتبَ سيدنا محمد بن زين بن سميط لبعضِ محبيه سنةَ ١١٧١، وقالَ له: «إنا زرنا سيدنا الحبيبَ الكامل، شيخَ الوقت والزمن، الحسن بن عبدالله الحداد، ووجدناه اليوم حاوي سرَّ والدِه ومقامه وحالِهِ، رأينا ذلك عياناً ومشاهدةً، والله ذو الفضل العظيم». وقال السيد الولي عبدُالله بن سهل باحسن جمل الليل: «ما أحدٌ أكملُ من سيدي الحبيب الحسنِ من أقرانه أبداً». فيكفيكَ كلامُ أولي المعرفة والبصيرة.

وقال السيد العلامة الحسنُ بن محمد الجفري: «ما أحدٌ في هذا الوقتِ أفضَلُ من سيدي الحسن بن عبدالله الحداد»، أخبرني بذلك المحب عبدالله بن حميد.

وقال بعضُ الثقاتِ من أولادِ الحبيبِ العارف بالله عمر بن عبدالرحمن البار: «قالَ الحبيب عمر البار: الحسنُ أفضَلُ من إخوته وغيرِهم، وزادَ عليهم بالعلمِ الكثيرِ

والزهد»، وينوّه باسمِ سيدي الحسنِ كثيراً.

* * *

وقال في كتاب «مواهبِ البرِّ الرَّؤوف»، نقلا من «كتاب المائتين»، قالَ في أوصاف القطب الغوث: «ومن صفات القطبِ: قولُ سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلاني، نفع الله به، وأعاد علينا من أسراره: وأنَّى للواصِف أن يبلُغَ وصْفَ القطبِ، ولا مسلكٌ في الحقيقةِ إلا وله فيه مسلكٌ مكينٌ، ولا درجةٌ في الولايةِ إلا وله فيها موطئٌ ثابتٌ، ولا مقامٌ في النهايةِ إلا وله فيها قدمٌ راسخ، ولا منازلةَ في الشهودِ إلا وله فيها مشربٌ هنيء، ولا معراجَ إلى مراقي الحضْرة إلا وله فيها مسرًى عليٍّ، ولا أمرٌ في الملك والملكوت إلا وله فيه كشفٌ خارق، ولا سرٌّ في عالمِ الغيبِ والشهادةِ إلا وله فيه مطالعةٌ، ولا مظهر لوجود إلا وله فيه مشاركةٌ، ولا فعل لقوي إلا وله فيه مباطنةٌ، ولا نورٌ إلا وله فيه قبسٌ، ولا معرفةٌ إلا وله فيها نفَسٌ، ولا مجرًى لسابقٍ إلا وهُو آخذٌ بغايته، ولا مَدٌّ لواصلٍ إلا وهو مالكٌ لنهايته، ولا مكرُمة إلا وهو إليها مخطوبٌ، ولا مرتبةٌ إلا وهو إليها مجذوبٌ، ولا نفَسٌ إلا وهو فيه محبوبٌ.

هو حاملُ لواءِ العزِّ، ومنتَضي سيفَ القدرة وحاكمُ دَسْت الوقتِ، وسلطان جيوش الحبّ، وولي عهد التوليةِ والعزلِ، لا يشقَى جليسُه، ولا يغيبُ عنه مشهودٌ، ولا يتوارى عنه، لا مرقًى للأولياءِ فوق مرقَاهُ، ولا معنًى فوق معناهُ، ولا وجْدٌ أتم من وجدِه، ولا مشهودَ أظهرُ من مشهودِه، ولا اقتضاءَ للشرْع أشدُّ من اقتضائِه. إلا أنه كائنٌ بائن، متصلٌ منفصل، أرضيٌ سماوي، قدسي عيني، ما يقَع له حدٌّ ينتهي، ووصفٌ ينحصِر فيه، ولولا أن جملته وتفصِيلَه، وأولَه وآخرَه، منطوٍ في حواشي تمكينِ المصطفى ﷺ، وممزوجٌ رحيقُه بتسنيمِ نسماتِ رعايته، ومحمودٌ في قبضَة أمرِه إقبالاً وإدباراً، وجمعاً وتفرقةً، لخرق سهْمُ القدَرِ أشباحَ الحكم، إلا أنه مستترٌ باتصاله عند جمعِه في مواقع

نظراتِ الأزَلِ، عن عينِ التفرقَة بين الهيبةِ والأنسِ، بارزاً بانفصَاله عن تفرقتِه في سماعاتِ المشاهداتِ، لتباين الصفاتِ بين أضْعاف الجلالِ وأنفاسِ الجمالِ، مع لزوم وصْفِ المقام وزوال نعْتِ الحال، لما أحبَّ انفرادَه بالأسْرار، بادٍ على غيره ظهوره بالآثار، في خفاءِ اقترانِ حكمِه بالأمر، وإلا لما استطاعَ ظهورَه بالبسْط المتولّي في حيز الأينِ من بسْط القبضِ، ولولا أن عالم الملكِ والحكمَة لا يظهرُ فيه شيءٌ من عالم الغيبِ والقدرةِ، إلا في قِشْر الحجابِ، وإشاراتِ قيد الحصْر، لشاهدَ أهلُ الكونِ من هذا الأمر عجباً، ولو خلقَ لهذا الأمرِ الذي نشيرُ لسانٌ؛ لسمعتُمْ ورأيتُم عجباً»، انتهى من «كتاب المائتينِ»، للشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي، نفع الله به.

* * *

وفي «لطائف المنن»: «قال الشيخُ أبو الحسنِ الشاذلي، رضي الله عنه ونفعَ به: للقطبِ خمسةَ عشرَ كرامةً، فمن ادّعاها أو شيئاً منها فليبرز مدد الرحمةِ، والعصمة، والخلافة، والنيابة، ومدَدُ حملةِ العرشِ العظيم، وليكشْف له عن حقيقَة الذاتِ، وإحاطة الصفات، ويكرم بكرامة الحكْمِ والفصلِ بين الوجُودَينِ، والانفصال الأوّل عن الأول، وما انفصلَ عنه، إلى منتهاه، وما ثبت فيه، وحكْم ما قبلَ، وحكمِ ما بعْدَ، وحكم ما لا قبلَ له ولا بعدَ، وعلمُ البدْءِ، وهو العلمُ المحيطُ بكلِّ علمٍ وبكل معلومٍ، بدءاً من السرِّ الأولِ إلى منتهاه، ثم يعود إليه. فهذا معيارٌ أعطاهُ الشيخُ، يختبر به من ادَّعى هذه الرتبةَ العظيمةَ، القائمة بكفالة الأسرارِ، والمحيطَة بمَدد الأنوار»، انتهى ما ذكره.

* * *

ومن كتاب «النفائس العلوية والمسائل الصوفية»، فتاوَى سيدنا عبدالله الحداد، جمع تلميذِه الحبيب أحمد بن زين الحبشي، قال: «**وسأله العلامة عبدالرحمن بن عبدالله**

الخطيب بارجاء، رحمه الله، عن القطبِ، هو الغوثُ أو هو غيرُه؟، وكذا عن الأوتادِ والأبدالِ وغيرهم من أهلِ الله تعالى.

فأجابه: اعلمْ يا أخي أنّ في البابِ أخباراً ترفعُ إلى رسول الله ﷺ، وآثاراً تسندُ إلى أولياءِ الله تعالى، وسأقتصِرُ من ذلكَ على ذكرِ خبرٍ، أو أثرٍ، أو أطرافٍ أخرى.

روى اليافعي رحمه الله تعالى في «رَوضِه»، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: **«لله تعالى في أرْضِه ثلاثمائةٍ، قلوبُهم على قلبِ آدمَ ؑ، وأربعونَ قلوبهم على قلب موسى ؑ، وله سبعةٌ قلوبهم على قلب إبراهيم ؑ، وله خمسةٌ قلوبُهم على قلب جبريل ؑ، وله ثلاثةٌ قلوبهم على قلبِ ميكائيل ؑ، وله واحدٌ قلبه على قلبِ إسرافيلَ على نبينا وعليهم الصّلاة والسلام، فإذا ماتَ الواحدُ جعل الله تعالى مكانه من الثلاثة، وإذا ماتَ من الثلاثةِ جعلَ الله مكانه من الخمْسةِ، وإذا ماتَ من الخمسة جعلَ الله مكانَه من السبعة، وإذا ماتَ من السبعة جعَل الله مكانه من الأربعينَ، وإذا ماتَ من الأربعين جعَل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا ماتَ من الثلاثمائةِ جعلَ الله مكانَه من العامة، بهم يدفعُ الله عز وجلَّ البلاءَ عن هذه الأمة»**.

قال اليافعي رحمه الله تعالى: «وهذا الواحدُ الذي على قلبِ إسرافيلَ، وهو القطبُ الغوثُ، ومكانته من الأولياءِ نفع الله بهم بمنزلةِ النقْطَة من الدائرةِ، التي هي مركزُها، به يقعُ صلاحُ العالم. وعن الخضِر عليه السلام قالَ: ثلاثُمائةٍ هم الأولياءُ، وسبعونَ هم النجباءُ، وأربعون هم أوتادُ الأرضِ، وعشرةٌ هم النقباءُ، وسبعةٌ هم الوفَاء، وثلاثةٌ هم المختَارونَ، وواحدٌ هو الغوث. وعن الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى: أن الأبدالَ سبعةٌ. وعن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى: أن الأوتادَ أربعةٌ. وعن الشيخِ محمد بن عربيٍّ رحمه الله، قالَ: «يكتنفُ القطْبَ رجلانِ، يقال لهما الإمامانِ، أحدُهما عن يمينه، ونظرُه إلى عالمِ الملكوتِ، والآخر عن شمالِه ونظرُه إلى عالم

الملكِ، فإذا ماتَ القطبُ جعلَ مكانَه الذي عن شماله»، انتهى بمعناه.

ثم ذكر عن ابن عربيٍّ: أن الأفرادَ لا يدخلونَ تحت دائرة القطبِ. قال نفع الله به: «وفيه احتمالٌ، وفي كلام الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى ما يدلُّ على أن الأفرادَ وغيرَهم كلُّهم داخلونَ بأمر الله تحت أمر الغوثِ». وسيدنا مؤيدٌ لكلامِ الشيخ عبدالقادر الجيلاني في مواضعَ من الكتابِ المذكورِ، فانظره.

ثم قالَ: «وقد اجتمعَ في وقتِ الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله تعالى من الأولياءِ اثنا عشر ألفاً، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وأما القطبُ فليسَ إلا واحداً في كلّ زمانٍ، الفردُ الجامعُ، ويدعى عند القوم بالخليفَة، وبالإنسان الكاملِ، وينعت بصاحبِ الصديقية الكبرَى، والولاية العظمى. وقد ذكر سيدي محي الدين عبدُالقادر رحمه الله، نبذةً من أوصافِه ومواجيدِه في كلامٍ نقلَه اليافعيُّ رحمه الله تعالى في آخر حِكايةٍ من «كتاب المائتين»، فانظروه».

ثم قالَ رضي الله عنه: «والقطبانيةُ بمعنَى السيادةِ، ولذا يطلقُ اسمُ القطبِ مجازاً على من له سيادةٌ خاصةٌ على أهلِ مقامٍ أو حالٍ، فيقال قطبُ المتوكلينَ، وقطبُ الراضينَ، إلى غير ذلك. ولعله يقالُ لصاحبِ الصديقية الكبرَى: القطب الغوثُ، مع الاكتفاء بلفظ القطبِ في تعريفِه، احترازاً عن هذا المجازِ، فهذا القدْرُ من البيانِ كافٍ في هذا البابِ، وبين القوم خلافٌ في أسماءِ هذه المراتبِ وأعدادِهم، وإذا اعتبرته وجدته لفظياً».

ثم قالَ رضي الله عنه: «وأما غير القطْبِ من الأولياءِ، فلا يحيطُ إلا بمَن هو في رتبته أو دونَه، وله إشرافٌ على من هو أعلَى منه، من غيرِ إحاطةٍ. وعلى الجملة؛ فهذه المسألة من الأمورِ التي لا يقنعُ فيها بدونِ الكشْف والعيانِ، فمن أراد ذلك فعليه بتهْذيب أخلاقِ نفسِه، وتلطيفِ كثافتها، بالرياضَة البالغةِ الماحقة للرعوناتِ النفسانيةِ،

القاهرة للحظوظِ الشهْوانية، المزيَّنة بالحضُور الدائمِ مع الله تعالى، بوصف حسْنِ الأدبِ، على بساط الذلة والانكسَارِ والاضطرارِ والافتقارِ، تحقيقاً للعبوديةِ، ووفاءً بحقِّ الربوبية.

فإذا حكم العبدُ هذينِ الأصلينِ، الذين هما: الرياضَةُ، والآخرُ: كمالُ الحضورِ، انهتكَ حجابُ قلبهِ، وأبصر غيبَ ربِّه، فعند ذلك يشاهِدُ الأولياءَ على مراتبِهِم ومناصبهم القدسيةِ، أرواحاً مجردةً، فحينئذٍ يستغني عن الوصْفِ، ويرتفعُ من حضيضِ التقليدِ إلى أوج الكشْفِ»، انتهى.

* * *

قلتُ: وهذا الكلامُ الرفيع مناسبٌ له دعاءٌ لسيدِنا القطب الغوث عبدِالله بن علوي الحداد، نقله سيدنا عمر البار، عن سيدنا أحمد بن زين الحبشي، عن سيدنا الأوحد الحدادِ، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله خضوعاً لقهرِهِ، وانقياداً لأمره، وتعرّضاً لرحمتِه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه، هداةِ الدينِ وأئمته.

اللهُمَّ أعني واهدني، ووفقني لتهذيب أخلاقِ نفسي، وتهذيب كثافاتها بالرياضَة البالغة، الماحقة للرّعُونات النفْسانية، القاهرة للحظوظ الشهوانيةِ، المزيَّنةِ بالحضُور الدائمِ معَ الله، بوصف حسنِ الأدبِ، على بساط الذلّةِ والانكسارِ والاضطرارِ والافتقارِ، تحقيقاً للعبودية، ووفاءً بحقّ الربوبيةِ، إنّكَ على كل شيء قدير».

* * *

وقال سيدُنا في موضعٍ آخرَ من هذا الكتابِ، لما سُئلَ عن حدِّ الصديقيةِ والصديقِ، فقالَ رضي الله عنه: «فالصديقُ هو المستجمعُ لجميعِ مراتب الصدْقِ وأحوالِ الصديقينَ، على الوجْه الأتمّ الأمكنِ، من غيرِ تزلزلٍ ولا تلوينٍ. والصديقية من قامتْ به هذه الصفةُ، ورسختْ قدمُه في هذه المرتبةِ.

وهو عبارةٌ عن المؤمنِ الكاملِ في إيمانه ويقينِه، وإقباله على الله تعالى، وعمله لله، ودعوته إلى الله بلسانِ حاله ومقالِه، وأهلُ هذه المرتبةِ متفاوتون فيهَا، من كاملٍ وأكملَ، إلى أن ينتهي الصديقُ إلى أوائلِ مراتبِ النبوة، فتلك نهايةُ الصديقيةِ.

وهل بين النبوة والصديقية مرتبةٌ أخرَى؟ يتردد الأمر في ذلكَ النظر، فذكر الشيخُ العارفُ محمد بن عربيٍّ، صاحب «الفتوحاتِ»: أن بينهما مرتبةٌ تدعى بمرتبةِ القرْبةِ، وله في ذلك مؤلفٌ لطيفٌ، وقد رأيناه وقرئَ علينا بـ(تعزّ) من بلاد اليمنِ، قرأه رجلٌ من أهل العلم والتصوفِ، يسمى يوسفَ الجاوي، وهو من أصحابنا.

والذي نقولُ به: أنه ليسَ بين النبوةِ والصديقيةِ مرتبةٌ على انفرادِها ولا مقامٌ، وهذه المرتبةُ التي أشار إليها ابنُ عربيٍّ هيَ أعلى مقامٍ في الصديقيةِ، وهي من خصوصيات بعض أهلِ هذه المرتبة الشريفةِ، كالخلةِ، والكلامِ، والروحيةِ، ونحوِها من مقام النبوةِ والرسالة مخصُوصةٌ ببعضِ أهلِ هذه المرتبة الساميةِ. وقد جمع الله كل ذلك لنبيه ﷺ، فسادَ به جميعَ الأنبياءِ والمرسلينَ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعينَ.

ويقولُ الشيخُ ابن عربيٍّ: إنّ في هذه المرتبةِ، التي هي مرتبةُ القربةِ، الخضِرُ ونحوُه، فإنه فوقَ الصديقينَ ودون الأنبياءِ، ومن هو في مثلِ حاله، كذي القرنينِ، ومريمَ عليهما السلام. والحقُّ عندَنا ما قد ذكرنَاهُ، وهو ظاهرٌ في كلامِ حجة الإسلام وغيرِه من المحقّقينَ لمن تأمله، ذكر ذلك في «الأربعين الأصل» وغيره»، انتهى من

كتاب «المسائل الصوفية»، لسيدنا القطبِ الغوث عبدِالله بن علوي الحداد، جمع السيد العارف بالله أحمد بن زين الحبشي.

* * *

فإذا تحققَ لك عظَمُ هذه المرتبةِ السامية، وأن سيدنا قطبَ الزمن الحسن، أقيم فيها من فضلِ الله تعالى، علمْتَ حاله ومقامه، وأن جميع المقاماتِ يحتوي عليها صاحبُ مقامِ القطبيةِ، والإنسان الكامل، القطب الغوث، صاحب الصديقية الكبرى، ومما يدل على وراثته للقطبيةِ الكبرَى من المرائي المنامية، رؤيا كثيرٍ من علماءِ أهل عصْره النبي ﷺ في صورته، رضي الله عنه.

فمن ذلك: ما سمعته بأذني مراراً وتكراراً، من الحبيب العارف بالله عمر بن زين بن سميطٍ، قالَ: «لما مرض الحبيبُ الحسن في أيام جُدَريٍّ بالناسِ، وذلك بعد وفاة السيد أحمد بن عبدالرحمن بن سمَيط، صاحب (المحيضرَة)، رأيت كأني بـ(خلع راشد) المعروف، وكأن النبي ﷺ في بيتٍ في (خلع راشد)، وكأن الصحابةَ كلّهم تحتَ البيتِ، فصافحتُ من قدرتُ عليه، وقيل لي: إن أردْتَ النبيَّ محمداً ﷺ فهو في هذا البيتِ، فطلعت البيت، فلما دخلت عليه صلوات الله عليه، فإذا صورته صورَةُ سيدي قطب الزمن الحسنِ بن عبدالله الحداد، سواءً حتى ثيابه. فعلمتُ أنه الوارث للمقام المحمدي.

قلتُ: وكذلك رأيتُ في المنامِ في الشهرِ المعظم رمضانَ، في أيام حياة سيدي، كأني في منزلٍ رافعٍ في بيته الذي بالحاوي، وكأنّ عندي في ذلك المكانِ سيدَنا أمير المؤمنين عمر بن الخطابِ، رضي الله عنه، ورجل آخرُ لم أعرفْه. وكأنه يخاطبه في مكانٍ قريبٍ مني، ولم أفهم كلامه. ثم دخلَ النبيّ ﷺ، وقام في وسَطِ المنزلِ، وهو على صورة الحبيب قطب الزمن الحسن، جميعها، حتى أن لحيته شيبٌ مثله، وجوخٌ أصفر لابسُه

سيدي، فرأيت مثله سواء لابسه ﷺ، والكوفية بيضاءُ مثل كوفيته.

فلما رأى النبي محمدٌ ﷺ سيدَنا عمر بن الخطابِ، قال للرجل: قم بنا نصافحْه، فقاما فقبلا يد النبي ﷺ، سيدُنا عمر، ثم الرجلُ، ثم الرائي. ثم قال سيدنا عمر للنبي ﷺ: يا رسولَ الله؛ صلى الله عليكَ، إن هذا الرجلَ يطالبني بأربعين ألفِ دينارٍ، يشير إلى ذلك الرجل الذي معَه. فقال له النبي ﷺ: أدّها وعسَى تنجو يا عمر، فلما سمعتُ قوله ﷺ: أدّها وعسى تنجُو، فزعْتُ، ودخلني رعبٌ كثيرٌ. **وقلتُ**: مثلَ عمر بن الخطابِ يقول له صلواتُ الله وسلامه عليه مثلَ هذا الكلامِ!، فكيف بنا وأمثالنا؟. ثم **قلتُ**: يا رسول الله، عندي الأربعينَ الألفَ دينارٍ، أنا أعطيها للرجُلِ. فقال للرجل: قبلته؟ قالَ: نعم.

فلما انتبهت فرحاً بما منَّ الله عليَّ بهذه الرؤيا، وهبت لذلك الرجلِ أربعينَ ألفاً معي من لا إله إلا الله. **وقلتُ**: هي عوض الأربعينَ الألفَ الدينار، بل أعظم وأجلّ، والله أعلم. ولنكتفِ بهذه المناماتِ عن غيرها، لأن مرادنا الاختصَارُ.

* * *

قال في كتاب «مواهب البرِّ الرؤوفِ»: «قال الكيلاني في «الإنسان الكامل»: وقد اجتمعت به ﷺ، وهو على صورَة شيخي إسماعيلَ الجبرتي، وكنتُ أعلَم أنه الشيخُ، وهذا من جملةِ مشاهدَ شهدتُه فيها بزبيدَ سنة ستٍّ وتسعينَ.

فالأديبُ إذا رآه في الصّورة المحمدية التي كان عليها في حياته، فإنه يسميه باسمه، فإذا رآه في صورة مّا من الصُوَر، وعلم أنه محمدٌ ﷺ، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسمَ على الحقيقةِ المحمديةِ، ألا تراه ﷺ لما ظهَر في صورة الشبليِّ قالَ الشبليُّ لتلميذِه: أشهدُ أني رسُول الله!. وكان التلميذُ صاحبَ كشفٍ،

فعرفَه، وقالَ: أشهد أنك رسولُ الله، وهذا أمرٌ غير منكورٍ، وهو كما يرى النائمُ فلاناً في صورة فلانٍ.

وأقل مراتب الكشف: أن يسوغ به في اليقظَة ما يسوغُ في المنامِ، لكن بين النوم والكشفِ فرقٌ، وهو أن الصورة يُرى فيها النبي ﷺ في النوم لا يوقَعُ اسمُها في اليقظة على الحقيقةِ المحمدية، لأنه عالم المثالِ، يقع فيه التعبيرُ، فيعبَّر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقةِ تلك الصورَة في اليقظةِ. بخلاف الكشْف؛ فإنه إذا كُشفَ لك عن الحقيقة المحمديةِ، أنها متجليةٌ في صورةٍ من صُوَر الآدميينَ، يلزمك إيقاعُ اسمِ تلك الصورة بأدبكَ على الحقيقةِ المحمدية، ويجب عليك أن تتأدبَ مع صاحبِ تلك الصورةِ بأدبك مع محمد ﷺ، فلا يجوزُ لك بعدَ شهودِه أن تعاملَها بما كنتَ تعاملها من قبلُ».

ثم قالَ: «وقد جرَتْ سنته ﷺ أنّه لا يزالُ يتصور في كل زمانٍ ومكانٍ بصورةِ أكملِهم ليعلى شأنَهم، ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهرِ وهو في الباطنِ حقيقتُهم»، انتهى.

* * *

وليلةً بعدَ وفاته بليالٍ، رأى بعضُ المنوَّرين من أهل (نوَيدرة تريم)، في ليلةٍ مباركة، قالَ: إني رأيتُ كأن أبوابَ السماءِ فتحَتْ، وخرج منها جمعٌ من الملائكة، وكأن أهل مقبرة تريم الأمواتُ اجتمَعوا بعدَ أن خرجوا من قبورِهم. ورأيتُ أنواراً هائلةً، ونظرتُ وسمعتُ خاناتٍ تضرَب من فوق، من السماواتِ، وكذلك عندَهم. فقلتُ لمن هو قريبٌ مني: ما هذا الأمر؟ قالَ: إن أهلَ البرزخِ لما قدمَ السيد القطب الحسنُ بن عبدالله الحداد ولَّوه عليهِم، لأنه أعرف بالأمور، وجعلوه على الكلّ والياً. قالَ: فانتبهتُ فرحاً. قال سيدي العلامةُ حامد بن العلامة عمر بن حامد المنفّر لما علمَ

بالرؤيا، قالَ: «لأن سيدَنا الحبيب الحسن أعرَفُ بأهل زمانه، ولا أحدٌ صبرَ صبره فيما سمعنا، فلذلك ولوه»، رضي الله عنه.

* * *

وقد رأى ليلةَ وفاةِ سيدي ليلةَ الخميسِ وسبعٍ وعشرينَ خلتْ من الشهر المعظم رمضانَ سنةَ ١١٨٨، بعضُ الجيران، وهو علي بن عبيد شفار، كأنه في مسجدٍ كبير جدّا، وكأن فيه منبر ومنارةٌ، قالَ: ورأيتُ الحبيب عبدالله بن علوي الحداد طلع إلى المنارة ونادَى بالناسِ، فاجتمع أكابرٌ من كلّ الجهاتِ، عليهم من المهابة العظيمةِ والنور الباهر ما أدهشَ العقل مني، بعدما كنتُ زاكيه. ورأيتُهم اصطفوا صفوفاً في المسجدِ الكبير من الجدارِ إلى الجدار، وكأن وجوهَهم مثل القمرِ، وقاموا قياماً، فخرج الحبيب عبدُالله الحداد من المنارَة، وهو يترنم بأبياتٍ في وصف ولدِه الحسن، ويقول:

هو القطبُ الغوث فـردُ الـزمنْ　　　ذاكَ الإمام الحـقّ ذاك الحسَـنْ

وينشد أبياتا مدحاً في ابنه. وعلى سيدي الحبيبِ عبدالله هيبةٌ عظيمة، وثياب فاخرةٌ، ثم سلم على الجميعِ، وطلع على المنبرِ.

ورأيتُ ابنه الحبيبَ القطب الحسن، عند طلوعه آخذاً بيدِه، وأوقفه عنده إلى جنبه على المنبر، ثم رحب بقدومِ سيدي الحبيب الحسَن، ورحب الحاضرونَ، ثم أمره أن يتكلمَ وهو على المنبرِ، فسلمَ على الجمعِ، ووعظَ. وخرج والدُه إلى عندِ الجمع. ثم بعدما تكلم خرجَ هوَ، وكأن ثيابه فاخرةٌ، وعمامته خضراء، وعليه نورٌ باهر، وجميع الجميع عمائمُهم وثيابهم بيضٌ نقيةٌ فاخرة.

قالَ: فلما انتبهتُ، ومعي من الرعْبِ، لعظم ما رأيتُ ما لا يعلمه إلا الله، وحسيت بنافض وحمّى في بدَني من شدّة ما حصَلَ من الفزعِ، فدثّروني أهلي بالثيابِ، ومرضتُ أياماً وعوفيتُ، وإذا ذكرتُ الرؤيا وتخيلتُ ما رأيته فيها، لابدّ وأحسُّ في

قلبي مهابةً منها، والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد النبيِّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلم.

انتهى البابُ الثاني في ذكر شيءٍ من ثناء الأكابرِ من أهل عَصْره

ويليه: البابُ الثالث وهو باب الحكايات.

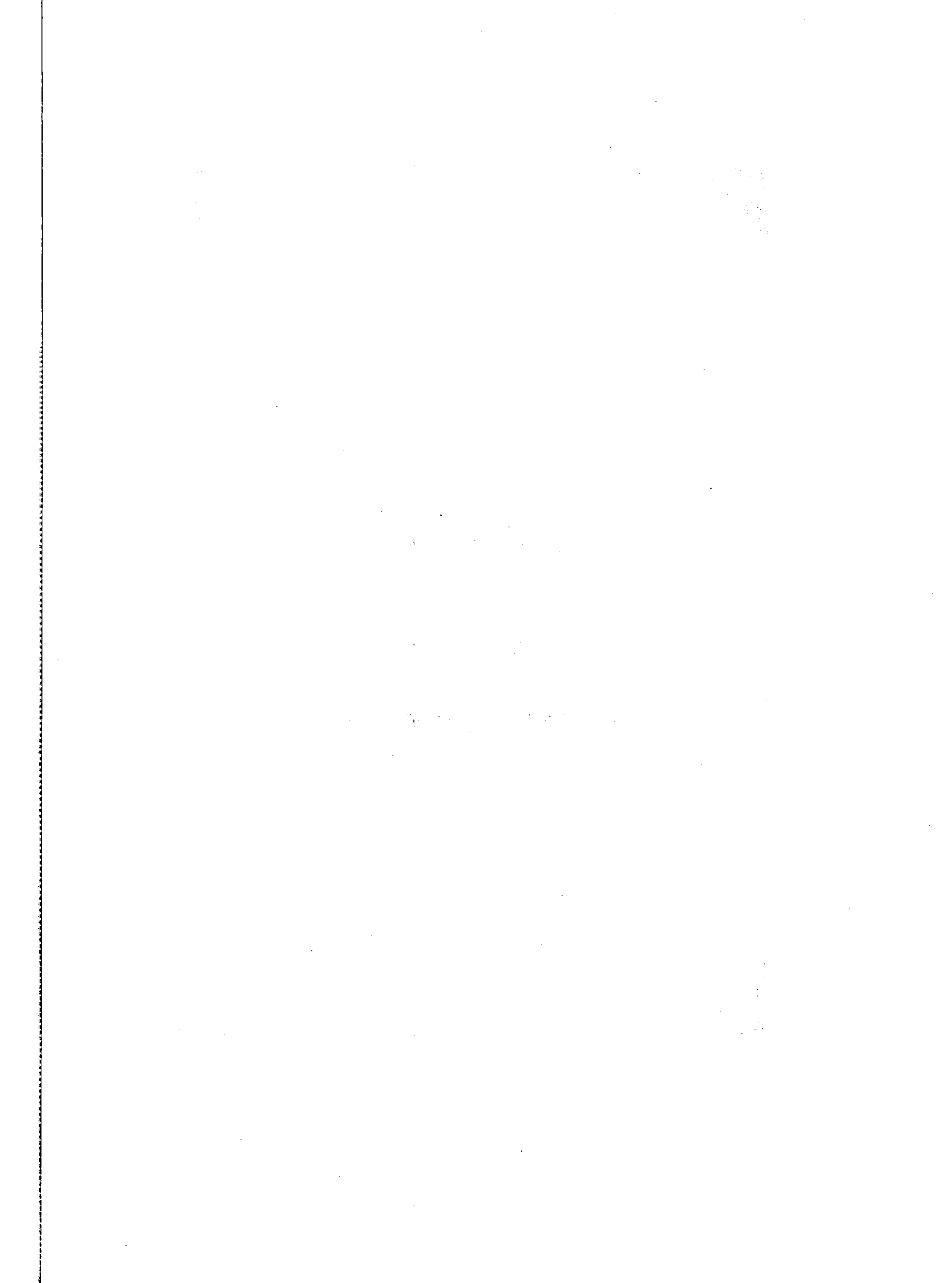
* * *



البابُ الثالثِ

بابُ الحكَاياتِ

التي فيهَا خوارقُ العاداتِ



البابُ الثالثُ

وهو بابُ الحكاياتِ التي فيهَا خوارقُ العاداتِ

وهذا بحرٌ لا ساحلَ له، لأنه طالَ عمره نفعَ الله به، وكلٌ يروي من ذلكَ، ولا كرامة أعظمُ من استقامته المشهورة التي أطبقَ عليها الناسُ، من سعة علمه، وتوزيع أوقاته، وورعه وزهده، وتواضعه في رفعته، وحسن سيرته، وعظم دعوته إلى الله، وكثرة من أوصلهم الله على يديهِ، ومع ذلك يكرهُ الشهرةَ والصيتَ، ويحب الخمولَ جبلةً، والشهرةُ التي أشهَره الله قهراً، لأن شجرةَ والدِه بقيتْ على الظّهور، فجاءتْ أغصَانها كذلكَ، فالأغصانُ الأولاد والتلامذةُ.

كما قال الحبيبُ عمر البار في الحبيبِ عبدِالله الحداد:

لـه عصـبةٌ فـازَتْ بـه وتشـرفَتْ　　　كما بالنبيْ فازَ الصحابُ وشرِّفوا

* * *

واعلمْ أن سيدَنا الحسنَ يكرهُ نسبة الكراماتِ، ولا يحب من يجمعها، زُهداً منه، ولئلا يغتر المتعلقُ به من الجهّالِ، ويحضّ على السلوكِ، ويقول: «التعلق بالكرامات شأنُ فرَّاكاتِ المغازل»، أي: النساء. فلهذا اقتصرنا هنا على نحو مائة كرامةٍ، والقليلُ يكفي عن الكثيرِ، وأسردُها على غير ترتيبٍ، وذلك من خوفي منه، لأنه في حياته كثير الكراهةِ لنسبة الكراماتِ إليه، فلهذا اقتصرتُ على القليلِ، وفيه على الكثير دليلٌ.

[١] **الحكاية الأولى**: وبالله الإعانة والتوفيقُ، والتسديد للصوابِ، ولا حول ولا

قوة إلا به جلَّ وعلا. لما كان سنةَ ١١٧٧، زار سيدُنا الحبيب قطب الزمن الحسن ابن سيدي عبدالله الحداد باعلوي على عادَته وعادة والدِه بعدَ العصر يوم الثلوثِ، أجداده بمقبرة زنبل جنان بشار ومن عادته أيضاً كوالده يزورُهم بعد عصْر يومِ الجمعة في خلائق عظيمةٍ من أولادهم وتلامذتهم ومحبيهم، فلما زاروا يومَ الثلوث العصْرَ كعادتِه، وزار أولا كعادته وعادة الأسلافِ، البدءُ في كل زيارة بسيدنا الفقيه المقدم محمد بن علي، ومن لم يزُرْه أولا نصُّوا الأسلاف في كتبهمْ: أنه لا تقبلُ له زيارة. ويقال إن أروحهم أيضا تجتمعُ عندَه، فزاره ومن عندَه أولاً، ثم زار المقدَّم الثاني سيدَنا عبدالرحمن السقاف، ووالدَه محمداً مولى الدويلة، وجدّه علي بن علوي، ومن عنده هو والجمع العظيمُ معه. فقلتُ في نفسي: من هو القطب الغوثُ الآن؟ فحينَ الخاطر أوريَ في باطني نارٌ عظيمةٌ جلستُ منها وأسكتُّ، وحسيتُ أنه الموتُ، ثم تشفعت بسيدنا السقافِ عند سيدي الحسنِ، واعتقدتُ جزماً أنه القطبُ الغوث، فعوفيتُ في الحال.

ثم خطر ثانياً عند الشيخين: شيخِ بن عبدالرحمن السقاف، وشيخ بن عبدالله العيدروس، مع سيدي، فعاد لي مثلما كان قبلُ، فتشفعت بهما عندَه، فكأنما نشطتُ من عقالٍ. ثم مساءَ تلك الليلةِ في البيتِ وحدي، في مكانٍ، فخطر لي هذا الخاطرُ، فجاء سيدي الحسنُ إلى ذلكَ المكان، ولم يعتد المجيءَ إليه، فقلتُ له: سيدي ما جاء بك؟ قال: جاءت بي خواطرك، أما تستيقنُ وتتركُ الوسوسةَ. وعليه من الجلالةِ أمرٌ عظيم، فاعتذرت وتبتُ، وتيقنت أنه القطبُ الغوث، وقد تقدمتْ هذه الحكاية في خاتمة الباب الثاني بأبسطَ مما هنا، والله أعلم.

[٢] **الحكاية الثانية**: فمن عادةِ سيدي الحبيب القطبِ الحسنِ بن سيدنا الأستاذ الأعظمِ القطب عبدالله الحداد علوي، كل سنة يزور (وادي عيديد) و(كودته)، والمسجد المباركَ، والغارَ المشْهور بـ(غَار الخضِر)، نسبةً للخضر عليه السلام، لكثرة تردّده فيه، وكان سيدنا الأستاذ الأعظم الحبيب عبدالله بن علوي الحداد يزور كلَّ سنةٍ،

فبقي سيدنا الحبيب القطب الحسن على عادةِ والده، كما هو مواظبٌ على جميعِ عوائد والده العبادية والعاديةِ، فلما زار بنا المسجدَ المباركَ للشيخ محمد بن علي عيديد، وركع فيه هو وأولادُه وناسٌ من المحبينَ المعتقدين غايةَ الاعتقادِ في الحبيب الحسنِ، نفع الله به، وجلس الحبيبُ ومن معه في المبْرَدِ من المسجدِ ونجْد، فلما كان وقتُ صلاة الضحى، قال سيدنا الأستاذ الحبيب الحسن: هل مرادُكم ترونَ الخضر عليه السلام؟ فقال المحبّ المبارك علي عبدون: أنتَ الخَضِر برأسك، فما لنا والخَضِر!، فما تم كلامه إلا وظهر علينا رجلٌ عليه قميصٌ أبيضُ، وعمامةٌ ورادي أبيضانِ، شبيهٌ بالشيخ المنوّر الورع أحمد بن علي باحرمي، نائب الجبانة. فما شكّوا الحاضرونَ أنه الشيخُ أحمد علي، وكان نائبَ مسجد عيديد المذكورِ أوّلاً، فلما خرجَ سيدنا الحبيب القطب الحسن ومن معَه، وجدوا المحبّ الشيخ أحمد علي نائبَ الجبانةِ في الطريق، وسألوه الحاضرون مع الحبيب الحسن: هل جئتَ عندَنا اليومَ لما طلعْتَ مسجد عيديد؟ فقال لهم: ما طلعت اليومَ، وحلف لهم قَسماً، فتبين لهم كلامُ سيدِنا الحبيب حسن، وتأسّفوا الحاضرون حيث سيَّبوا الخَضِر وقد جاء إلى عندهم. وكان الحبيب الأستاذ الحسن يطْلع إلى الوادي المباركِ من وقْتِ الشرق أو قبيله، ويجلس هو ومن معه فيه إلى قريبِ الغروبِ، نفع الله به وأعاد علينا من أسراره وأنواره آمين.

وقد رأى المحبّ علي عبدون المذكورُ، سيدي الحبيب القطب الحسن بعد موته، ويقولُ له: قم يا علي وولدي أحمد إلى (وادي عيديد) نزوره. وكذلك رأى سيدي أحمد ولدَ عليّ أحمد المذكور، يقول له: هيا يا أحمد نزور شِعْبَ الشيخ أحمد بن عيسى والشيخ أحمد بن محمد الحبشي نفع الله بهما، وزار هو ووالدُه ومولانا الحبيب حسن، وانتبه من رؤياه فرحاً مسروراً، أعاد الله علينا من سرِّه في لطفٍ وعافيةٍ، في الدنيا والآخرة آمينَ.

[٣] الحكاية الثالثة: طلعَ مولانا وشيخُنا الحبيب الأستاذُ الحسن بن سيدِنا عبدالله الحداد نفع الله به (وادي عيديد) على عادته، وكان بين قبائلِ تريم: آلِ همام

ويافع حربٌ شديدةٌ، واعتادَ كلٌ من الجانبين أذَى رعيةِ عدوِّه، واستمرَّ بينهم ذلك مدةً، وكفى الله شر المؤذيين عاجلاً، آمين. ومن عادة المحبّ علي عبدُون وولدِه أحمد: يحضران مجلس سيدي في (وادي عيديد) المبارك، وخاف علي وولدُه من آل همام أن يقبِضُوا عليهما، وطلبا ربيعاً منهُم إلى أن يصِلا إلى (عيديد)، فأجابوهما.

فلما علم سيدي بذلك أرسلَ لهما خادمَه حمدون عِكَيمان، وقال له: قل لهما لا تأخذا ربيعاً من آل فلانٍ، إن نفعَكما في الدنيا ما نفَعكما في الآخرة، اخرُجَا بلا ربيعٍ، فسمعا كلامه وخرجَا بلا ربيعٍ نهاراً، وكلموهما الذي يخافانِ منهم لما رأوهما في الطريق، وقالوا: هل لكما في ربيعٍ من عندكما يعبّركما، فقالا لهم: قد معنا ربيعُ الحبيب حسن بن عبدالله الحداد، فصمتوا ولم يتكلموا، وعبرا على كثيرٍ من الذين يريدُونهما وهم يرونهما، ولا منعهم من ذلك إلا القدرةُ الإلهيةُ، بشفاعة سيدي قطب الزمن الحسن بن سيدنا الأستاذ الأعظم عبدالله الحداد نفع الله بهما آمين.

[٤] **الحكاية الرابعة**: ومن عادة سيدِنا الأستاذ الحبيب الحسن بن سيدنا القطب عبدالله الحداد، يزور المبرَدَ المسمّى (مبْرَد بافرج)، فخرج مرةً سيدي والفقيرُ وأخي عبدالله إلى المبردِ المذكورِ قبلَ الناسِ، فلما جلسْنا ساعةً، فإذا بتمرٍ مبسل نثْر، شغل (عَمان)، يخرُج علينا من السقْف، الله أعلم من أينَ يأتينا ذلك؟، وجعلتُ ألتقِط التمْرَ، والأخُ عبدُالله، فإذا برجلٍ عليه هيبةٌ عظيمةٌ، ولابسٌ مرقعةً، وبيده عكازٌ ورَكْوَة، وجلس يحادثُ قطبَ الزمن الحسن بن سيدنا الأستاذ الأعظم عبدالله الحداد، بأدبٍ مع سيدي، فلما جاء سيدي الوالدُ العلامة، ومعه قهوةٌ، غلبَ الرجلُ صاحب المرَقّعة من شربِ القهوة، وقال: من عادتي أني لا أشربها، واستخلفَ من سيدي وقامَ.

فلما خرجَ قال لي سيدي الحبيب الحسن: «هذا الخضر». فقمتُ أنا والأخ نراه ذاهباً نحْو البلاد ونحن ندعُو خلفه، ونحن صغار عادَنا نطلَع المكتب للعلمَة نتعلم

القرآن العظيمَ على المعلم عُمر بن عبدالله باغريب. فاعلم أن هذه الحكايةَ جمعتْ كرامتينِ: الأولى:التمر المذكور من بركاته، واطلاعه على الخضر.

[٢] **الحكاية الخامسة**: زار سيدنا وبركتنا قطبُ الزمن الحسن ابن الأستاذ الأعظم القطب عبدالله الحداد، (مبرَد بافرج) المشهور، وقد كان هناك بناءٌ مسقوفٌ قريباً من المبرَدِ جدًّا، طوله ستةُ أذرعٍ، وعرضُه ذراعانِ، يخرُجون أهلُ تريم إليه بصاحبِ الحمَّى ينام فيه فيحصلُ الشفاءُ ببركةِ صاحبِ المبرد. وجرَّبوا ذلكَ، ولكنه خربَ هذا البناءُ، ولا عاد أحدٌ بناهُ ممن يتوَسّمُ فيه الخير والصلاح، فبقي المبرَدُ وحدَه سالم من الخراب، والناس يوصُّون للمَبرد صفَةَ النذرِ، فلم يزل معمُولاً.

فلما خرجَ سيدي الحبيب الحسنُ ابن سيدنا عبدالله الحداد إلى (المبرد) المذكور، ورآه السيد الفاضلُ عبدالله بن السيد العارف حسين بن شهاب الدين علوي من محلّته المكان المسمى (الروضَة)، قريبَ (المبرد) المذكور من جهة القبلةِ، فخرجَ إلى عند سيدي إلى (المبرد)، وطلبه إلى بيته هوَ ومن معه للضّحَى، فأجابه سيدي جبراً لخاطرِه، وللحقّ الذي لوالده الحسينِ، فإنه أخُ سيدي في الله، وبينهما صحبةٌ أكيدَة.

فلما دخل سيدي بيتَ السيد عبدالله، قالَ سيدي عبدُالله لسيدي: مرادنا اليوم يامولانا كرامة!، قال له: ما هي؟ قال: إن الولد حُسَين فيه طبيعة سوداء، وقد تأتيه وهو في الطريقِ فيسقُط، وهاهو عندكم. وأخذ بيد ابنه الحسينِ إلى عند سيدي، وتفل عليه سيدي، وأمّل السيدُ عبدالله لسيدي بجملةِ دراهمَ إن حصلَت العافيةُ، وحصلت العافيةُ عاجلاً للولد الحسين، ولم تعد له السوداءُ أصلاً، والحمدُلله، جميع ذلك ببركات سيدي. وأتى بالنذْر المذكور ابنه حسينٌ، وكان السيد حسينُ بن محمدٍ، والد السيد عبدالله شرحَ قصيدة سيدنا الأستاذ الأعظم عبدِالله بن علوي الحداد:

* مرْحباً بالشادن الغزِلِ *

شرحا مختصراً، في كرامةٍ بإشارة سيدنا عبدالله الحداد، وكان له ترددٌ إلى سيدنا عبدالله وقراءة، وكانت صلواته كلها إذا حلّ (الروضةَ) أيام الخريف في (مُصلّى الحاوي). ويحضر درْسَ سيدي بعد العصر، وكان ابنه محمد المذكورُ عابداً ناسكاً فاضلاً، له أفعالٌ جميلةٌ، وسيرة سديدة، وله العقيدة الكاملةُ في سيدي قطب الزمن الحسن بن سيدنا عبدالله، وأجاز سيدي محمدَ المذكورَ في «الورد الكبير» لسيدنا الأستاذ الأعظم عبدالله الحدادِ إجازةً عامةً، توفي الحبيبُ المذكور سنة ١١٨٨، من هجرته ﷺ.

[٦] **الحكاية السادسة**: قال المحبّ الأفخم، السلطان صالح بن فريد بن عوض بن صالح العولقي، كانَ ببلدةٍ معي هارِش، حنشٌ أفعَى كبيرة جم، لم تر عيني مثله، مع أن أرضَنا كثيرةُ الحياتِ الكبار، وكان هذا الهارش لا يخلّي أحد يقرُب هذه الأرض، وفزع الناسُ منه، وكنت أخرجُ إليه مراراً وأضربه بالبندُق، وقد يصيبه ولم تضرّه الرصاصة، وأخذتُ أنا وإياه مدةً مديدةً، وتسلط على الأرضِ المذكورة.

وبعدُ؛ رأيتُ أني لم أقدرْ عليه بحيلةٍ ولا بقبيلةٍ، استغثت بسيدي وشيخي الحبيب الحسنِ قطب الزمن بن عبدالله الحداد، وجعلتُ له شيئاً في الأرضِ المذكورة نذراً إن كفانا الله شرَّ هذا الثعبانَ، فمن حين نذرتُ لسيدي كفانَا الله شرَّ هذا الهارشِ الكبير ببركاته، ورجعتُ أمرٌ عندَه ولم يكلمْني ولا يتحرك، وكذلك عمالُ الأرضِ الذين يحرثونها ما يؤذيهم أصْلاً، ويراهم ولا يتحرك، وإذا جاء غريبٌ إلى هذه الأرض وليسَ من أهلها يعتدي عليه، ولا يخليه يدخلها أصْلاً، ورجع حارساً لنا، ونافعا لنا، بعد ما كان عدوًّا ضارّا، فسبحانَ المسخِّر الحكيم، الذي وهب أولياءَه التسْخير لما يشاءُ من خلقِه، ألا إنه على كل شيء قدير.

[٧] **الحكاية السابعة**: قال السلطانُ صالحُ المذكور: لما خرجتْ علينا قبائلُ النَّسيِّينَ سنةَ ١١٨٦، بـ(مرْخَة)، وكان هؤلاء القبائلُ من رؤسَاءِ أرضنا، وأقوى

وأشجع قبائلنا، وقد كان جدّي السلطان عوَض، ووالدي السلطان فريد، لم يقدر يخرجهم من الأرضِ لمنعَتهم وقوّتهم وشدّة بأسِهم، فلما قتلوا واحداً من أولادنا، الدَّولة المنصَّر، وهو حالٌ ساكنٌ عندهم، خرجتُ عليهم بقبائلِ العوالقِ، وأنا في قلبي منهم لقوتهم.

فحين أردتُ أخرج عليهم، وخيمتُ تحتَ البلد (نصَاب)، أجمعُ القبائل عليهم، وصلتْ لي ورقةٌ من سيدي قطب الزمن الحسن بن القطبِ الأستاذ الأعظم عبدالله الحداد، جوابَ ورقةٍ سبقتْ مني إليه له، نفع الله به، وطلبتُ منه حرْزَ النصْر والفتحِ، فوصل لي الجوابُ الشريفُ، والحرز المبارك. واعتقدتُ في سيدي وتفاءلتُ بالحرز المبارك، واعتقدتُ النصر من جهة سيدي، واستغثتُ به، وتوسلتُ به إلى الله.

وخرجنا على القبائلِ، وحملنا على حصُونهم ثمانيةَ عشر حصناً، مبنيةً بالحجارة، والماء في الحصون عندَهم في آبارٍ مبحُوثة، لأنها حصونُ حربٍ، وطردناهم من الأرضِ أذلاء مقهورينَ، فهذه أعظمُ كرامةٍ للحبيبِ الحسنِ. لأنهم أهلُ قوةٍ، تجتمع معهم خيلٌ، وملبَسين درُوع، وعربٌ مشهورينَ بالشجاعةِ، يرجعون إلى بني هلالٍ، وكانت قوتهم إلا على النهب في الفلوات والطرُق، ويهوشُون على أهل (الجوف) ومُرَّة. كفى الله شرّهم وشر المؤذيينَ وقطاع الطريقِ الجميعَ.

قالَ: وكمْ لسيدي الحبيب الحسن من كراماتٍ، فإن أحد أولادي باتَ على فراشه واهترَى باسم سيدي الحبيبِ، ونام فلما أصبحَ وجدُوا عقرباً تحت الفراشِ، فاعتقدنا أنه من بركاتِ سيدي وبركات والده الحبيبِ عبدِالله الحداد، لأن لنا فيهم العقيدَةُ، ولأهلنا المتقدمينَ.

قلتُ: وكان هذا السلطانُ معتقِداً في سيدي قطب الزمن الحبيب حسن غايةَ الاعتقادِ. ولما سافر الأخ شجاعُ الدين عمَر، سنةَ ١١٨٨، إلى زيارة القطب الغوث

الشيخ أبي بكرٍ العدَني ابنِ الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وعبَر على هذا السلطانِ، قام به غاية المقام، واستسْقَى به. قال له الأخ عمر: بطل المنكرات وأزلها، التي بأرضك، والمجْبَى الطعام الذي أحدثتَه أنتَ، على الحِمْل الطعام نحوُ ستّةِ مصاري، فأجابَه إلى ذلكَ. واستسقوا به، وحصلت السقايةُ به في جميع (أرض العوالق) و(أحور)، شِربٌ لم يعهد مثلُه، بحسن نيةِ هذا السلطانِ وتوبته، وصدق توسّله، في نجم سُهَيلٍ وقتَ الخريف.

وأعجبُ من ذلك: أن واديا للدولةِ المذكورة يسمّى (ضِرَا) لم يشْرَبْ، فخرج بالأخ عمر إليه عشيةً هو وإياهُ وجملةً من أعوانه، ولم يكن شيء غيثْ على الوادي المذكور حالَ خروجهم، فلما كان وسطَ الليلِ خرجوا على (الوادي) ولم يروا مطراً ولا سيلاً، إلا بروقات تبرُق على أوديةٍ أخرَى، فاشتغلوا غايةً ونهايةً، واشتغل الأخُ عمر كذلكَ، واهترا بجده الحسن بن عبدالله الحداد، وقال: يا جَدّ؛ إن كان شيء كرامة منكَ لي هي الليلة، فأجابه الله إلى ذلكَ بشفاعة سيدي نفع الله به.

وطلعوا إلى البيتِ الذي هُم فيه ومرادهم النومَ، لأن الوقتَ آخرُ الليلِ، فلما طلعوا البيت لم يأتهم نومٌ من الشُّغال، وخرج واحدٌ من الحاضرين من البيت إلى (الوادي) المذكور بعدَما طلعوا، فرأى السيلَ، قد أقبل سيلٌ كبيرٌ هني، لم يعهَد مثلُه، لأن السيل الكبير عندهم يقطّب الأسْوام، وهذا السيلُ على كبره لم يقطّب سوماً، ولم يغير شيئاً، وباتوا يسقون به إلى الصباحِ، والحمد لله رب العالمينَ.

فهذه الحكاية تحتوي على ثلاثِ كرامات: **الأولى**: نصرُه على القبائل النسبين ببركة سيدي واستغاثته به،**والثانية**: حماية الولد من العقربِ، **والثالثة**: حصولُ السيل الهني باستغاثتهم بسيدي، خصوصاً الأخ عمر، لأنه الواسطَة في الاستغاثة بجدّه، نفع الله به، آمين.

[٨] **الحكاية الثامنة:** حدثني الشيخُ الفاضل، محمد بن الشيخ عبد الجبار ابن الشيخ مزاحم، ببلدة (أحْوَر)، سنةَ ١١٨٣، لما سِرْنا لزيارة العارف القطب أبي بكر بن عبدالله بن أبي بكرِ العيدروس، وكذلك حدّثني بهذه الحكاية ناسٌ كثيرٌ من المشايخِ آل الشيخ مزاحم، والمشايخ آل بانافع، وهي كرامةٌ مشهورة عندَهم.

قال الشيخ محمد المذكور: لما سرنا من (أحور)، الوالد عبد الجبار، والفقير، والأخ جنيد، وابن العم الأخ محمد بن عبدالله، وجملة ناسٍ معنا، خرجنا من (أحْوَر) إلى بندر (المكلّا)، قاصدينَ زيارةَ سيدنا وشيخِنا، ومن عليه بعد الله ورسوله معتمَدنا، الحبيب قطب الزمن الحسن بن سيدنا الأعظم عبدالله الحداد، وزيارة سادتنا آل باعلوي، سيدنا الفقيه المقدم، وسيدنا عبدالله الحداد من الأمواتِ، وسيدنا الحبيب الحسن من الأحياءِ، وما انطوى في ضمْن ذلكَ فهو تبعٌ لهم.

فلما وصلنا حضرةَ شيخنا وسيدِنا الحبيب الحسن، حصلَ لنا منه القبولُ التام، والسرور العام، ونور البصائر والأبصار، بمشاهدتنا لرؤية طلعته البهية، وأخلاقه الرضية، وأنفاسه الزكية. وبلغنا بذلكَ أرفعَ المقام، وحصلنا أبلغ المرام، وطالت مدتنا عنده في شَهر الحجة الحرامِ، ونحن بحضرته في (الحاوي) الميمون، وبقية ثمانية أيام في عشْر موسَى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، استشار والدَي عبدُالجبار سيدي الحبيب الحسن في المسيرِ إلى (أحْوَر)، فأذن له، ووالدي مشتغلٌ لأجلِ عيد عرَفة، لأنها باتقع في الطريق والوالدُ عبد الجبار في بلده (أحْور) عليه أثقالٌ كبيرة، لأنه يعول خمسةً وستين نفراً، غير الضيفانِ والواردين من أيّ الجهاتِ، لأنه منصِبُ (أحور).

فلما علم سيدي الحبيب حسن بكَثْرةِ تشاغُلِ الوالدِ، قال له الحبيب الحسن: لا تخافْ، سيروا على بركة الله إلى (شبام)، وتلحقون قافلة ملّاحة سائرين إلى جهة (الصَّوط)، إلى أن يصّلونكم بلاد (يشبم) بأرضِ العوالق، وتسيروا من (يشْبُم) إلى

(الحاق)، ولا تصلّون العصر ليلةَ عرَفة إلا بالمسْجدِ الجامع بـ(أحور).

قال محمد: فسرنا إلى (شبام)، فلحقنا قافلة ملّاحَة سائرةً، كما قال سيدي، وأخذْنا من (تريم) إلى (يشْبُم) ستة أيامٍ، ومن (يشبم) إلى (الحاق) يوم، ومن (الحاق) سرَيْنا وبيتنا في مكانٍ يسمّونه (الخضِر)، وسرنا منه الصبحَ، ودخلنا بلدنا (أحْوَر) وقتَ العصر ليلةَ العيد. وقال لنا الوالد: تعالوا كلكم نصَلي في الجامع، تتميمْ لكلام الحبيب قطبِ الزمن الحسن ابن سيدنا عبدالله الحداد، فصلينا العصر في الجامعِ، ورجعنا إلى البيت. وتعجبنا منه هذه الكرامةَ العظيمةَ، وإن كانت ما تنكَر من هذا الإمام الكبير، شيخ الوقت، فإن هذه الأيام ما تسعُ إلا مكتّبْ جَلدٍ، مما تشقّ عليه الطريق، فيمكنه يبلغ ذلك، ولكن على سبيلِ الندور، وتيسرتْ لنا الأسبابُ كلها في مسيرنا، ولا تعبنا في الطريقِ، وكل ذلك من بركاته، نفع الله به في الدارين، آمينَ.

قلتُ: فهذه القصة تحتوي على خمسِ كراماتٍ، منها: أنه اطلع على الشيخ عبدالجبار أنه مشتغلٌ من قلّ حضور عيدِ عرفة ببلده، ومنها: قوله إنكم تلحقون القافلة بشبام سائرةً، ومنها: أنكم تأخذون من تريم إلى أحوَر ثمانية أيام، ومنها: أنكم تصلّون العصر ليلة عرفة بجامعِ أحور، ومنها: أنهم ساروا إلى أن وصَلوا أرضهم بعافيةٍ، لم يتغير عليهم حالٌ، ولا ضاعَ عليهم شيءٌ، ببركته نفع الله به آمينَ.

[٩] **الحكاية التاسعة**: قال الشيخُ الأنور، علي بن عبدالجبار بن مزاحم: أصابت رجلي جراحةٌ كبيرة أقلقتني، وأتعبني الوجعُ الشديدُ منها، حتى طردتْ النومَ مني ليلاً ونهاراً، وبقيتُ مدةً على هذه الحالِ الضرير، أصيح منها، يسمعُ صوتي الجيران، ويتأذون بذلكَ، فلما كان ليلةً من الليالي: رأيتُ الشيخ قطب الزمن الحسن ابن سيدنا عبدالله الحداد في المنام، فلما رأيته شكيتُ عليه من الوجَع الشديدِ برجلي، قال لي: رُحْ إلى عند والدك عبدالجبار، وقل له: يقول لك الحبيب حسْن أعطِنا الثمانيةَ الأذرُعِ

البيضِ من عمامته التي أعطاكَ إياها، فخذها واطرَحْها على الجراحةِ، تبرأ سريعاً إن شاء الله.

فلما انتبهتُ أتيت والدي عبدَالجبار، وقلتُ له: حوالة عليكَ لي من سيدي الحبيب حسن، قال: ما هي؟ فحكيتُ له بالرؤيا، فأجابني إلى ذلك وأعطاني إياها، وهو ضنينٌ بها جم جمّ، ولكن لم يجد له محيصاً من إشارة شيخه الحبيب حسن نفع الله به.

فلما أخذتُ الثمانيةَ الأذرع حقّ الحبيب نفع الله به، عصبتها على الجراحَة، فشفيتْ رجلي سريعاً، ونمَتُ حالما طرحتها، ولا عاد آذتني أصلاً، ولا خرّجت الثمانية الأذرع من العمامةِ حقّ الحبيب إلا وقدْ رجلي صحيحة، وكنا نتعجّبُ من هذه الكرامة غايةَ التعجب، لأنها في المنام ليسَ في اليقظة منها شيءٌ، ولكن لله الأمر، والتصريف والمعونة والولاية منه لأوليائه، نفع الله بهم آمينَ.

قلتُ: وهذا الشيخُ عبدالجبار غايةَ في التواضع، وله السيرة السديدة، والأفعالُ الحميدة، وكان سخيَّ النفسِ، كريماً حليماً معمِّراً أوقاته بالطاعات والعبادات ونفع الخاصّ والعام، والقريب والبعيد، والغريبِ والقاصد، والقاطن بها أي جِهة (أحْوَر)، لأنه منصبُ الأرضِ المذكورة، وله الشفاعاتُ الكثيرة عند دَولة (أحْوَر).

وله الكراماتُ الكبيرة، وكانت صلواته الخمس كلها جماعةٌ، يصلي بهم إماماً في القرية المسماة (الحوطة)، وبدعَ لهم الحزُوبَ المعروفة بعْد المغربِ والصبحِ.

وبالجملة؛ فترتيبه في مسجد (الحوطة) بجهة (أحْوَر) على ترتيب سادتنا في (الحاوي) المشهور، (حاوي تريم)، وكان هذا الشيخُ إذا صلى الصبحَ يجلسْ في المسجدِ إلى قريب طلوع الشمسِ، ثم يقوم بأمر العمال الذين يخدُمونَ الأرض لأجلِ السيلِ على عادتهم بجهتهم، ثم يطلعُ بيته، ويفرش سُجّادته مقابل بها القبلة، ويجلس هو مواجهٌ

القبلة إلى أن يركعَ الشروقَ والضحى، ويدرّس لأهلِ محلته بعد صلاة العصر في الكتُب المشهورة مثل كتبِ الإمام الغزالي، وكتب الإمام مولانَا الحبيب عبدالله الحداد وغير ذلك، وكذلك بعد صلاةِ الجمعة في بيته. وكان هذا الشيخُ عظيمَ الاعتقاد، كبير المشهد، كثير الاحترام لسيدِنا ومَن عليه بعد الله ورسوله معتمدنا، قطب الزمن الشيخ الحسن ابن القطب عبدالله الحداد، وكذلك أولاده وأقاربه وأصحابهم وأولادهم.

وبالنسبة فهذه الشيخ كان داعي أهلِ جهته ومن وصلَ إليها إلى شيخِه المذكور، جعله الله داعي لشيخِه الحسن، كالشيخ عبدالله بن صَالح باكثير داعي للحبيبِ الأستاذ الأعظم عبدالله الحداد لأهل (شبام)، وتصلُ لسيدنا الشيخ الكبير العارف بالله قطب الزمن الحسن، من النذور الكثير من الشيخِ وأولاده وأقاربه وأهل بلدِه وبدو أرضِه، حتى في أرضهم (أحْور) جعلوا له أراضي معروفة، بارك الله لهم في ذلك وتقبل منهم.

وتوفي هذا الشيخ سنةَ ١١٨٣، من هجرته ﷺ، في شهر رمضانَ المعظّم. وكان قريب موته ينادِي عليهم، أي أهل بيته: قوموا لسيدنا عبدالله الحداد وولده شيخنا الحسن، تراهُم دخلوا عليّ هذه الساعةَ، ويلحّ باسم شيخه الحبيب الحسن.

وقال الشيخ عبد الجبار المذكور: قال لي الحبيبُ حسن إذا نابكَ شيءٌ قمْ إلى سطح بيتكَ ونادِ عليَّ باسمي، يأتيك الفرجُ سريعاً، فكان ذلك مجرباً.

ولما جاء إلى الزيارة قال له شيخه: لا تخفْ أنت ولا أولادُك، قدنا معهم، ومن نحن معه لا يخافُ. وكان هذا الشيخُ مستبشراً بهذه الكلمةِ غايةَ الاستبشارِ والفرحِ، وطال الكلام، ولكنه في جنابِ هذا الشيخِ قليلٌ، لما له من الإحسانِ والاعتقاد في شيخنا، نفع الله بهم آمين.

[١٠] **الحكاية العاشرة:** حدثني الرجلُ الصالحُ الثقة، الذاكر العابد، محمد ابن

الشيخ عبد الجبار باجبير، قالَ: حدثني رجلٌ، أظنّ قالَ من أهل الكشفِ، قالَ: وأخذ علي عهْد أن لا أحكيَ باسمه، وأنه لا أحكي بهذه الكرامَة إلا لمن له غايةُ الاحترام والتعظيمِ في سيدنا قطب الزمن الحسنِ بن سيدنا عبدالله الحداد، لئلا ينكر ذلك احد من المغرورين والمستكبرينَ عن آيات الله، أعاذنا الله منهم والحاضرينَ آمين.

وحدثني بذلك سرًّا وهو كالخائفِ أن يطلع عليه أحدٌ يسمع كلامه، قال: حدثني رجلٌ من الصالحين، أنه لما حجَّ شاهد الحبيب الحسن بن سيدنا عبدالله الحداد في عرفَة يومَ الموقف، رآه عياناً. وكذلك رآه ناسٌ آخرون في يوم الموقفِ بعرفة يقيناً لا ظنا، وذلك في غير سنةِ حجِّه نفعَ الله به، فناهيك من منقبة عظيمةٍ، وذلك قليلٌ من إكرام الله لأوليائه من التجزّي والتشكلِ، فإنه سبحانه جزيل العطاءِ، كثيرا النوال لعبيده الصالحينَ، ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٣٤]. وجملةٌ رأوه في غير سنة حجّه كذلك عياناً لا شك في ذلك، كغيرها من الكرامات.

[١١] الحكاية الحادية عشر: لما كان سنة ١١٨٤، دخلنا بلد (نصاب) بجهة أرض العوالق، حضروا عندنا جملةُ ناسٍ، وأعلمونا أن بعض الأخدام من المحبين عميَ ولا عاد ينظُر من عيونه، وطلب منا المجيء إليه، فرحنا إلى عنده بعد العصر نحنُ وجملة من المحبينَ، وأمرناه بالاستغاثة بسيدنا قطب الزمن الحسن بن الحبيب عبدالله الحداد، فاستغاث به وأحسنَ العقيدة والاستغاثة به، نفع الله به، وخرجنا من عند الرجل المذكور، وهو المحبّ عمر بن سالم باحلوان إلى البيتِ الذي نحنُ فيه قريبَ غروب الشمس، فلما أصبحنا إذا بالمبشّر أتى إلى عندنا يعلمنا بأن المحب عمر باحلوان رجع إليه بصرُه على العادة، وأتى إلى عندنا الرجل المذكور، ورأيناه صحيحَ النظر بعد أن لم ير الشمْسَ ولا غيرها، فسبحان المصرف الحكيم.

ومما يناسب هذه الحكايةَ قال سيدي شجاعُ الدين الأخ عمر، لما سرنا لزيارة

سيدنا العدني أبي بكر بن عبدالله العيدروس نفع الله به سنةَ ١١٨٨، نحن والأخ الجمال حامد، ووصلنا قرية تسمى (مِشَيط) قريب (يبعِثْ)، خرجوا إلينا أهلها، وبتنا عندهم، وأتوا إلينا بجملٍ كبير عميَ، واستغاثوا بنا في رد بصره، وألحوا علينا في ذلك غايةً، لأنهم بدو وجهال، ولكن لهم عقيدةٌ، فلما رأيتهم لم يتركونا نسير إلا بردّ عيني البعير، استغثتُ بجدي الحسن بن عبدالله الحداد وضربتُ الجمل برجلي، فقام يسير وعيناه بخير، كأن لم يكن بهما شيء، فعجبنا والحاضرون من ذلك. ثم لما علموا برْء العمَى وصار باحلوان ينظر بعيونه على عادته، طلبوا بدو من آل علي بأرضِ العوالق: أن نروّيهم في جبلٍ لهم بئر يبحثونها ويسهل عليهم بحثها ويظهر لهم الماء، فحصل مانعٌ مني، لأن الجبل كبير والماء بعيد، فأعلمت جدّي الحسن لما وصلتُ إلى حضرته بطلبهم مني، فقال لي: هلَّا روّيتهم بئر في الجبل، ورَى الكرامة عليك؟ الكرامة علينا، قال الوالد: حد يبرهن لنفسه وحد يبرهن له غيره، نفع الله به وأعاد علينا من أنواره وأسراره أينما كنا، آمين.

[١٢] **الحكاية الثانية عشر**: لما كان سنة ١١٨٦، خرج ناسٌ رَعاع من يافع، وفعلوا حصوناً على الطريقِ التي تجيء إلى البلاد، ومنها فعلوا مجبًى واشتغلوا أهل حضرموت، حصن تحت التربة، وحصن (السُّبَير)، وحصن لآل بن مهدس، وحصن بن قرموص، وحصن الغزيل، وحصن بن يماني، خصوصاً أهل (تريم) لأنها بلدهم، وقعت هذه البدع المنكرَة وهي سبعة حصُون تجبي أموالَ أهل حضرموت، وفعل بعض الخوارج المذكورين حصن قريبَ المكانِ المسمى (السُّبَير) بأعمال (دمّون) لمولانا الأستاذ الأعظم عبدالله الحداد، والمكان قدُه من قديم لأجدادِه السادة آل حدّاد، عطية مَن صاحب (حصن جِيد)، والحبيب عبدالله الحداد وشيخنا الحبيب الحسن ابنُه يخرج إلى المكان المذكور المشهُور (السبير) يومَ الأحد، ويحضرون جمعٌ من السادة وغيرهم على عَادة الحبيب عبدالله نفع الله به، آمين.

فلما رأوا الحصنَ قريبَ مكانِ سيدي، تأذَّوا منه، واشتغلوا كثيراً، وألحوا الحاضرين على سيدي يومَ الأحد، وطلبوا منه الشفاعةَ، فلما أكثروا عليه الكلام، قال لهم: إن شاء الله ما نخرج دَور هذا اليوم الأحد إلا وقد خرِب الحصنُ هذا، والحصونُ المؤذية كلها، بقدرة الله. فلما أخذوا خمسةَ أيام في حصُونهم، خرجوا يافع أصحابُهم عليهم بعدَ صلاة الجمعة محاربينهم، وبدأوا بالحصن الذي بـ(السُّبير)، وقتلوا صاحبَه ليلةَ الأحد، وخرّبوا الحصن، ولا خرج يوم الأحد الحبيب قطبُ الزمن إلا وقد الحصن كَودة كأن لم يكن، ولكن استمروا على الحصُون، حتى خربوا الأربعة حصون بعد هذا، وقطع الله دابر أهلها وبدّدهم، وارتفعت المنكرات من المجَابي، خمسة حصون أخربوهن من حصون يافع، وثلاثة حصُون لآل تميم، رفعوا المجبى، وبقينَ الحصُون، ولا بقي إلا واحد من حصون يافع يجبي، فعسى إن شاء الله يقطَع المجبَى منه قريب، آمين، والحمدلله رب العالمين.

فاعلم أن في هذه الحكايةِ ثلاثُ كراماتٍ، منها: أنه اطلع على خراب الحصن في مدة ثمانيةِ أيام، ومنها خرابُ الحصونِ الثلاثة بعده، ومنها: رفع المجابي من حضرموت ببركته، نفع الله به وأعاد علينا والمسلمين من أسراره وأنواره، آمين.

[١٣] **الحكاية الثالثة عشر**: لما خرج حسن بن هبةِ الله المكْرُمي سنةَ ١١٧١، بقومٍ كثير من يَام وغيرها على حضرموت وحصَر (شبام)، وارتجّت حضرموت لمخرجه، وفزعوا الناس من ظلمه وجوره، وتعبوا الناس تعباً كثيراً، كفاهم الله شرّ ذلك، وجلس هو وقومه محاصر (شبام)، وأرسل إلى عند سيدي قطب الزمن الحسن بن عبدالله الحداد: إني ما خرجتُ إلا لإقامةِ العدلِ وإظهار الشريعة، وكلم الرسولُ الحبيبَ الحسن بعد صلاة الجمعة، وأرادَ من سيدي ورقةً جواباً للمكرُمي، فقال له سيدي: «مَا شي جواب، ولا عاد يتعدّى (شبام)، ولا يتولى على (حضرموت).

وقال سيدي لأهل (تريم): «لا تخافون من المكرُمي، إنه ما يجيء تريم ولا يدخلها، ولا يتعدى سيون». قال لهم ذلكَ لما رأى منهم شدّة الخوفِ الشديد، وخرجوا أهل (تريم) وأعيانها بما معهم من المالِ إلى (الحاوي) الميمون، حوطة الحبيب عبدالله الحداد، بل وتحوطوا فيه ناسٌ كثير من أهل (تريم)، فبقي الحبيب الحسن يؤمّنهم، ويقول لهم: «ما يتعدى سيون»، فكان الأمر كما قالَ سيدي، فإنه بقي محاصراً (شبام) مدةً، وصالحوه أهلها، ورجع من (شبام) إلى أرضه هو ومن معه مكسوراً، وسلّمَ الله أهل حضرموت من شرّه، والحمد لله رب العالمين.

فاعلم أن هذه الحكاية جمعتْ كرامتين: **الأولى**، أنه قال لهم: «لا يتعدى شبام ولا سيون»، وكان الأمر كذلك. **والثانية**، أنه قال: ما هو بوالي على حضرموت ولا يتولى، وكان الأمر كذلك.

[١٤] **الحكاية الرابعة عشر**: لما خرج المكرُميّ سنةَ ١١٧١ على حضرموت، هربوا جملة ناسٍ من (تريم) بأموالهم إلى حَوطة سيدي عبدالله الحداد المسمى (حاوي تريم)، ووصل إلى عند سيدي الحسن رجلٌ من أهلِ تريم يسمى غوَاص، وقال لسيدي: إن معي كذا وكذا قهاولْ جلجِل، مرادي أنكم تتفضّلون تطرحونه في بيتكم، فقال له سيدي: إن البيت ملآن أموالَ سادَة ومحبين وأخدام، ولا بقي في البيت عندنا إلا ميْسَمه بلا بابْ، نطرح فيها الخيمَة الكبيرة، خيمة الوالد عبدالله الحداد نفع الله به، فقال له: نِعْم ونِعْم!. قال له سيدي الحبيب: لكن بشرط أن نشل جُعل للصّغار منه كلّ يوم، وتقع البركة في الجلجل، فقال له: شلوا منه ما أردتم فكان سيدي يعطي الصّغار جُعل كل يوم على عادة والدِه الحبيب عبدالله الحداد، وشلوا من الجلجل المذكور كلّ يوم على طولِ المدة، فكان شيء كثير. فلما شلّ الجلْجِل المحبّ غواص وكالَه بالمكيال، قال: وجدته لم ينقص من كيلي الأولِ ولا مثقالَ ذرةٍ، وطرح الله في قيمة الجلجِل البركةَ

الظاهرة، واستفدتُ به في مالي ببركةِ سيدي قطب الزمن الحسن بن عبدالله الحداد، نفع الله به آمين.

[١٥] **الحكاية الخامسة عشر**: من عادة سيدي يقسّم جُعل الدُّجْر المقْلي، والحنظَل المقلي، وفِحيطْ من الجلجل، أو غير ذلك، يقسّمه على الصبيان الصّغار كلَّ يوم بعد صلاة الصبح قريبَ الشروق، وفي غير الوقت، فحدّثني من أثقُ به، قال: وجدتُ وعاء الجعل فيه شيءٌ من الجلجِل حقّ سيدي، واحتجت إليه فشليتُه، فلما خرج سيدي إلى المكان الذي فيه الجعل لم يلحَق شيئاً منه، فقال الأخ عبدُالله لجده: أين الجعل؟ وكانَ وكيلا على الجعل، فقال له سيدي: مع فلان أخذه، أراد أن يحكي، والا قدْها مكاشفة، فقال الرجل المذكور: فلا أحد عندي يوم شليت الجلجِل أصلاً، فبهتُّ من ذلك وأقررتُ بها هنالك، ورضي الله عن أولياء الله وعنا بهم أجمعين.

[١٦] **الحكاية السادسة عشر**: أخبرني السيد الفاضلُ، تلميذ شيخنا، وهو السيد العارف، عمر بن سيدي زين العابدين بن سميط، قال: أمرنا سيدي بالخروج معه إلى (بيت جبير)، محل سلفه المشهور، فخرَجْنا وجملةً من فقرائه وذويه للاستستقاء، وكانت سنة مجدبةً، فقرأ مولد الرسول ﷺ كما هي عادته، بنيةِ الرحمة للمسلمينَ، وكان الذي يقرأه نجلُه البارع في فنون العلوم عبدُالله، فما كان صباحَ اليوم الثاني قصَّ على سيدنا الحسن ولدُه المذكور قال: رأيتُ رؤيا، كأن خالي عمر بن حامد ترنَّم ببيتِ السويني الرجلِ الصالح، ويكرره، وهو البيت المذكور:

يــا الله بليلــة مــن ليــالي الغُفْــر تنجي السّوَيني من سناوَةِ الكُفْر

قال سيدي: «قد قبل الله الدعاءَ، وحصلت الإجابة، ويحصل السقيا في النجم المذكور»، فما هو إلا أن مرت أيامٌ قلائل، وحصل السقيا العام رضي الله عنه وأرضاه.

[١٧] **الحكاية السابعة عشر**: قال السيدُ عمر المذكور: ومرةً خرج سيدي إلى الوادي المذكور لطلب السقْيا، فخرجتُ أنا معهم، ومعي عبدون بن قُطْنه، وقرأوا على العادة، وصلينا المغرب مع سيدي في (بئر بَحْمد) بـ(وادي بيت جبير)، وبعد الصلاة كلنا نسير هو ومن معه، وصلينا النوافلَ البعدية والأوابينَ ونحن نسير، ونؤمئُ حتى الركوع والسجود، تقليدا للإمام الغزالي، وقال لنا: إن طريقة آل أبي علوي غزالية.

ثم وصلنا إلى (الحاوي) وأذّن المؤذن للعشاءِ، فدخل المسجد وصلى بالناسِ، وعلمنا أن الطريقَ انطوتْ لنا كرامةً منه، نفع الله به، ثم أرسل الله ببركته سيلا عظيماً وشربَ الوادي قريباً، نفع الله به آمين.

[١٨] **الحكاية الثامنة عشر**:وهي آخِر سنةَ ١١٨٨، لما خرج السلطانُ صالح بن السلطانِ ناصر بن أحمد الرصَّاص على (حضرموت)، قصدُه في الظاهر لزيارة صالحيها والباطن تملكها، وكان لا يصلح لأهلها ولا لتوليةٍ عليهَا، لجهله وعتوِّه، والسيد المنور أحمد بن علي بن عمر المحضار ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، قالَ:

لما كان ليلةٌ من ليالي رمضان، وأنا إذ ذاك بـ(حبَّان)، وقد انتشر الخبر بخرُوج الرصَّاص المهتمي إلى حضْرموت، وهو بأرضِه يحشُد إليها، رأيت كأني في بيتٍ لا أعرفه، وكأن جدي السيد الصالح الحبيب محمّد بن طالب بن الشيخ أبي بكر، ووالدتي، وناس محارم لها، والجميع قد ماتوا قبل الرؤيا، يتحدثون فيما بينهم وأنا معهم، إذ سمعنا ضجّة،فخرجت لأنظر، فإذا رجلٌ في الدرج أخضَر اللون أدعَجَ العينينِ ربعةً من الرجال، وعليه جوخٌ، ومن فوقه شاشْ عالٍ، يرى من عرْضه، وعمامةٌ ورداءٌ فاخر، وبدأته بالكلامِ. وقلتُ: من أنت؟ قالَ: أنا عمك أحمد بن الحسن الحداد، أستأذن لسيدي الحبيب الحسن وجملة من سادة تريم، فرجعتُ طالعاً لجدي، فأخبرته فقامَ في عراضِهم، واحتجبت والدتي عنهم، فإذا سادة كثيرين وامتلأتُ رعباً لهيبة

سيدنا الحسن، وأنا مهموم حيث لم يحضر والدي يلتمس من شيخه الحسن.

فبينما هم كذلك يتفاوَضون الحديث، إذ قال بعضهم: إن صالح بن ناصر خارجٌ على حضرموت ليتملك على أهلها، فبقي فيهم نافٍ ومثبتٌ، وسيدنا الشيخ ساكت، حتى تمّ كلٌ منهم حديثه، فأدخل يده في جيبه، وأخرج نمْشَةً نصَالُها تبر أحمر، وحديدُها فضة نقية، وأشار إلى الحبيب محمد بن طالب أو غيره من عُظماء السادة الحاضرين: بأن صالح بن ناصر لا يخرُج إلى حضرموت، وإن خرج قتلتُه بنمْشَتي هذه، أو ما حصل شيء، وخذوا في وفَاء قولي نمْشَتي هذه، فأمسكها السيدُ المذكور.

فما هو إلا أن قرعَ البابُ، فخرجتُ لأنظر، فإذا فارسٌ يستأذن، قد خرج من متن فرسِه، وعليه غبارُ آثارِ السفر، فقلتُ: من أنت؟ فقالَ: أنا جدُّك الشيخ أبو بكر بن سالم، استأذنْ لي على الحبيبِ الحسن والسادة، فطلعت فقام شيخُنا وقاموا السادَة في لقاه، فاستوى جالساً فخرّجَ أوراقاً مختوماتٍ، وطرحَها في حجْر الحبيبِ الحسن، ففضّ ختمهن سيدُنا الشيخُ، ونظر ما فيهن، وقال للسادة: أرأيتم قولي وصدْقَه، انظروا إلى الأوراق، فنظروا فإذا أخبارٌ مغيَّبة من شأنِ الرصَّاص، فأخذ سيدي نمْشَته.

وانتبه السيد مرعوبا باكياً لجحاً، لما رأى، فأخبرهم الخبر صبيحةَ ذلك الليلة، فما هو إلا أن أخذ سلطانهم الأعظَمُ بندقاً ليضربَ به، فافتضَّ ذلك البندُق في يده، وتفاءلوا بالانفضاضِ، وخاير صالحُ بن ناصر من الخروج، حتى عزم بعدُ، ورجعَ خائباً، وتبددوا هو وأصحابُه، وضلَّ في الرمل زادُه من الرَّصَاص والبارود جملة أحمالٍ، ومات بعضُهم، ومرض بعضُهم، وكان من أمره ما كانَ.

[١٩] الحكاية التاسعة عشر: أخبرني من أثقُ به من السادة الفضلاء، من ذرية العارف بالله عمر بن عبدالرحمن البار، قالَ: سمعتُ الوالد عمر يقُول: لما آن خروج روحِ الإمام القطب الغوث عبدالله الحداد، وكان الحبيبُ الحسن حاضراً، إذ أشرق

المحلّ الذي الحبيبُ عبدالله فيه كالشمْس، واضمحلَّ نورُ السراج، وهبّتْ ريحٌ باردة كالنسيم، وإذا بطَيرٍ أخضَر وقعَ على طاقة القَصر، يقول بصوتٍ عالٍ بليغ: أجزتُ الحسن عن أبي الحسن، وطارَ. فناهيك بهذه الواقعة.

[٢٠] **الحكاية العشرون:** أخبرني بعضُ فضلاء السادة، قالَ: أخبرني رجلٌ من المشايخِ آل بانافع من مريدي سيدي الشيخ، قالَ: خرجتُ زائراً لسيدي الشيخ للقراءة عليه، ووصلتُ إلى حضرته الشريفة، وأذن لي بالطلوع إلى عندَ السيدِ الفاضل الحامد بن عمر للتبرك، فقال لي الحبيبُ الحامد: نريد نزور وإياكَ عشية الثلوثِ هذه الليلة، فقلتُ: منائي ذلك، وأنسيتُ طلوعَ الحبيب الحسن، فلما خرجتُ، قلت في سرّي: كيف لي وقد وعدتُ الحبيبَ المذكور، فنادي سيدي: زر الليلة أنتَ والسيد حامد سادتَنا آل باعلوي، فبعدَ ساعةٍ أخبرني رسولُ سيدي الحامد: أن الزيارة الليلة لم تتمكّن، فناداني سيدي: أن زُرْ معنا الليلة مكاشفةً منه، رضي الله عنه وأرضاه.

[٢١] **الحكاية الحادية والعشرون:** أخبرني الشيخُ صالح بن علي بن ناجي اليافعي، قال: خرجتُ سنةً من السنين زائراً لسادتنا آل باعلوي بتريم من بندر (الشّحْر) المحروس، فاتفق أني وافقتُ الحبيبَ الحسن بن عبدالله الحداد مع أتباعه بالتربة يزور شيخنا الغوثَ عبدالله، فلما وقع بصري عليه امتلأتُ رعباً، وأخذتُ في التقبيل ليده الشريفة، وطلبتُ منه الفاتحةَ على النية الصالحة، فقرأها هو ومن حولهُ من السادة والأخدام، وأنا عليّ نذرٌ لسيدي عبدالله، وعلمتُ أن سيدي حسن لا يأخذ شيئاً من أموال الجنْدِ، فتحيرتُ: هل أخبرُه وأطلقُه عليه؟ أو أسكتُ عنه؟. فناداني باسْمي أن أعملَ مفارش حَول ضَريح سيدي عبدالله، وأعط الدارهم فلاناً يصنعنهنّ، وكان رجلا يصنع هذا الحصير حاضِراً، فأعطيته شيئا معلوماً على أن يبسُطَ الحصير على جميع نواحي قبر سيدِنا الشيخ، ففعل. فتعجبتُ من مكاشفة سيدي، قال: وكنتُ أردت أن آتيه إلى بيتِه ومحلّه المشهور لزيارته، فمنعتني الهيبة.

قلتُ: وكنت أنا حاضراً اتفاقه مع سيدنا، وكلام سيدنا له، ولكني لم أعلم ما في باطن الأمر، حتى أنه سمعَ بمكاني وأنا مسافرٌ وهو كذلكَ، فأتاني وأخبرني بقصته، وقال: والحاجة التي طلبت الفاتحة من أجلها قضيتْ.

[٢٢] **الحكاية الثانية والعشرون**: عن بعضِ المتعلقين بسيدنا الحسن المنوّرين، قالَ: نذرتُ لسيدنا بكبشٍ من ضَأنة كانتْ لي، ولم أعلم بها أحداً، فخرجتُ ذات يوم بوصاة من عند بعض السادة، فلما وصلتُ إلى حضرته وأكببتُ لتقبيلِ يده الشريفة، ناداني باسمي، وقال لي: أين جاء الكبش الذي لنا عندك؟، فامتلأتُ رعباً حين كاشفني، وقلتُ: ها هو يا سيدي تحت أمه، فقال سيدي: أتت أمه باثنين!، فقلتُ: نعم يا سيدي، فقالَ: شارك بالآخر، ودعْ كبشَنا تحتها، فقلتُ: حبًّا وكرامةً، كل ذلك مكاشفة من سيدي رضي الله عنه وأرضاه.

[٢٣] **الحكاية الثالثة والعشرون**: أخبرني بعضُ الثقاتِ، وكان من خدام سيدي، قالَ: كان من عادة شيخنا الحبيبِ الحسن يأتي من محلّه مع حدّةِ الإرادةِ للطلب إلى شيخِه الحبيب أحمد بن زين الحبشي، بطلابٍ من الحبيب أحمد لسيدنا عبدالله أن يفْسَح لشيخِنا في الوصول إليه للقراءة عليه، قال: جاء سيدنا على عادته أيامَ الخريفِ، فأرسل إلى جدّي بأن يخرُج في عراضِه بجلَبٍ وآلةِ المخْرجِ للتروّح إلى (مَسيلة جِعَيمِهْ)، هو والحبيب أحمد بن زين، فخرجنا في لقْيا سيدي، وذبحنا الجلَب، فلما كانَ وقتُ شويها، صنعنا مِضْباة،على عادة أهل (حضرموت) لضَبي اللحم، فلما خمدت المضْباة، أتى إلينا ثُعرٌ هائلٌ، ذا مطر كثيرٍ، فقام سيدي وخطّ خطًّا برجْله على محلّ مجلسِنا والمضْباة، وحرك شفتيه، فإذا المطَر من كلّ ناحيةٍ بنا، والمحل الذي نحنُ فيه حافٌ، كأن لم يكن بجواره مطر، حتى ضَبينا اللحْمَ وأكلنا، وهدأت المطر بعدُ، فأعظِمْ بها من خوارق عاداته، رضي الله عنه وأرضاه آمين.

[٢٤] **الحكاية الرابعة والعشرون**: أخبرني بعضُ خواصّ أصحابه، قال: لما كان يوم الخميس في شهر رجبٍ، كنتُ حاضراً بحَضرة سيدنا الحسن، وفي ذلك اليوم تأتي أكثر الوفود لحضُور قراءةِ المولد عند ضريح الحبيب عبدالله يومَ الجمعة الثالثة في الشهر المذكور، وكنتُ بين يديه والوفود تأتي لمشاهدته وتقبيلِ يده الشريفة، للالتماس لسر نفحاتِه وعظيم لحظاته، من كل جهة من بلدان حضرموت، وكان منهم من يتبرك مع سيدنا بوضْع شيء مما نواهُ من الدراهم على البسَاط الذي بين يديه، فمنهم واردٌ، ومنهم صادرٌ، من صبح يوم الخميسِ إلى الجمعة، فدخل وقتُ صلاة الظهر، فخرج سيدي للصلاة إلى المصلَّى والدراهمُ موضوعة مبدَّدة، ولا نظر إليها سيدي، ولا هو حازر لها، لاستغراقه عن ذلك، فبعد خروجه من المحْضَرة استخلفني لتقبيضِ بعْضِ أواني القهوة، وأدركتُ الصلاة خلفه فأخذتُ بعضاً من الدراهم شيئاً قليلاً، لا يكاد يعرف، وأخفيتها في محلّ، فرجع سيدي إلى مجلسه، فقال: أين بعض الدراهم؟ فقلتُ: وكم هي؟، فأخبرني بها، وهو الذي أخفيته منها، فقلت: ما زاغ من محله. ونظرتُ إلى المحل ورددتُها من غير شعورٍ، فتبسمَ، وقال: رددتها، فعلمتُ عند ذلك أنه يبصِر من خلفه كإبصَاره من أمامه.

فعند ذلك استأذنَ عليه في الدخول الحبيب العلمُ جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، هو وخلقٌ كثير من السادة والعرَب، فأذن له هو وجملةً من أصحابه من السادة والعرب.

أخبرني بعضُ من أثقُ به: أنهم عدّوا الذين صحبةَ السيد المذكور مع رجُوعه من الزيارة، نحو الألف، وكان ذلك اليوم مشهوداً، فعند خروج السيدِ المذكور، استأذن سيدنا أن يقبلَ بطْن قدمه، فامتنع سيدنا، من ذلك فشقَّ على الحبيبِ جعفر منعُ سيدنا، فأذن له مع حضُوره في مجلسٍ عام، واستأذنوا سيدي كافةُ السادةِ، فسمح لهم، رضي الله عنه وأرضاه.

[٢٥] ومن كراماته نفع الله به: أن بعضَ محبيه هو عبيدْ سالم، نزل عليه أمرٌ أتعبه من الدولة، فنزل من البلد لزيارتِه وأهلَ (بشّار)، فلما زاره بعد أن زارَ من كان قبلَه، التجأ إلى جنابه، وأطرقَ ساعةً، ثم قرأ من القرآن العظيمِ ما تيسّر، وشرع في قراءة سورة يس، فلما بلغ إلى قريب ختمها رفعَ رأسه فرأى سيدنا الحسنَ خارجَ قبره جالساً عليه، متكئاً على شاهدة قبره النجدية، مقابلاً بوجهه القبلةَ، فلما رآه قامَ فزعاً شارداً من المقبرة، يركض، ممتلئاً من الفزع، قاصدا إلى البلدِ لم يلتفتْ إلى وراءه من شدّة ما رآه فمِن بعدِ ذلكَ كفى الله عنه شرَّ من آذاه، وحظي بما تمناه.

[٢٦] ومن كراماته نفع الله به: أنه طلعَ هو وهذا الخادم المذكور أولا إلى (كودة عيديد)، فلما وصلوا (المبرد) بعد أن ركعوا في المسجد، قال له: تريد ترى الخضر؟ قال: وددتُ به لأسأله عما أنا طالبُه فيدعو لي به، قال له: أنا الخَضِرُ!، فادع بما في نفسكَ، قال له: لم أدعُ، أستحي أن أخبرَكُم بجميع مطلوبي، فبينما أنا أحادثه إذ أقبل سيدٌ أعرفه من أهل (عيديد)، اسمه أبو بكر سالم، حامل قهوةً مطبوخةً، فدخل على سيدي وحادثه ونكبتُ القهوةَ لهما، وشربتُ منها، فاستودع بعد تمامها وخرجَ.

فلما خرج قال لي سيدي: هذا الخَضِر نسأله لكَ الدعاء، فقلتُ له: إنما هو السيد فلان، فضحك نفع الله به. وأنا خفت أنّ السيد الذي قال أنه الخَضِر أعلمَه لما في نفسي فيعلمُ الناس بكلامي، لأنه بيّاع مشتري عامي، فلما خرجنا بعد أن جاء أولاً سيدي ومن معهم إلى (كودة عيديد)، وجدت السيد المذكور جاء من مكانٍ بعيدٍ، فصافح سيدي والجماعةَ، واعتذر بقلِّ الوصولِ إلى عند سيدي إلى (الكودة)، بأنه ما علم أنه خرجَ إليها، فبهتُّ، وعلمتُ أن ذلك الخَضِر تصوَّر على صورة السيدِ، فسألت أخدامه عنه، فأعلموني أنه من صبح ذلك اليوم عندَهم ولم يفارقهم. فحصل معي الندم والأسفُ حيث لم أسألِ الدعاءَ من الخضر، لكن فرحْتُ بدعوةٍ من سيدي ذلك اليوم، أرجو بركتها وعائد ثمرتها في الدنيا والآخرة.

[٢٧] **ومن كراماته العظيمة**: أنا سافرنا إلى (عُمان)، سنةَ تسعين بتقديم التاء المثناة فوقَ ومائةٍ وألفٍ، فلما كان سنةَ ١١٩٣، وقع علينا دَينٌ بسبب إكرام أضيافٍ، وتعلقاتٍ من زواج بغير اختيارٍ، ولا بيدنا حالَ الساعة ما يفي بذلكَ، فرأيته في المنام هو وسيدي الوالد أحمد، وقال لي الجد نفع الله به: لا تخف شفنا ما سيبناك، فلما انتبهتُ حصلَ جميع المقصود بل ما يزيدُ على المطلوبِ في أيام قلائلَ، من غير كدٍّ ولا تعبٍ ولا نصب، ببركته حصل المقصود والأرب.

ورأيته في ذلك السفر يسألني في مناماتٍ كثيرةٍ عن جميع أحوالي الدينية والدنيوية، حتى وقعت علينا مسألةٌ بعد صلاةِ العشاءِ، وبعد قراءة الراتبِ، في التنباكِ، وقول بعضهم: أنه حرامٌ، وقول بعضهم: إنه مكروهٌ، وقولُ بعضِهم: ليس بمكروه. وذكرت قول الحبيب العارف بالله أحمد بن عمر الهندوانَ وغيره فيه، وقلت للحاضرين: سبحان الله! ما سألتُ شيخنا الحسنَ بن عبدالله الحداد عما عنده فيه، فلما نمتُ رأيته واقفاً عندي قائماً، وقال: تريد تسألني عما عندي في التنباك؟ هو حرامٌ، هو حرامٌ، هو حرام.

وقد رأيته في منامٍ أخبرني بموتِ بعض السادة بعدَ وفاته بقريبٍ، فكان كما قالَ، مات ذلك السيد بعدَه بثلاثة أشهرٍ وأيام قلائل.

[٢٨] **ومن كراماته نفع الله به**: أن السلطانَ فريد بن عوض بن صالح، رأى شيخه الحسن بن عبدالله الحداد في المنامِ، وأعطاه إقليدَ (حِصن أم قيد)، وقال: قم وخذ الحصونَ، فانتبه من نومه، وأرسل عبيدَه وأهلَ حاشيتِه، فأخذوا الحصن على أهله من غير أن يعلَمُوا إلا وقدهم فيه، ورأوا مالا قِبلَ لهم به، فخرجوا منه مقهورينَ، لما كانوا طاغينَ، وملك الحصْنَ بعد طلبه وطلبِ أصحابه له، فلم يحصّلوه بقوةِ خيلِهم ورجلهم بل ببركة ذلكَ السيد الإمامِ، فلما جاءوا بالمفاتيحِ إليه وجدَها الذي رآها بعينِه

في منامه، فاستبشر وعلم بما ظهر في اليقظَة أن ذلك من عنايةِ إمامه به، وغرر لياليه وأيامه.

[٢٩] **ومن كراماته:** ما أخبرني السيدُ الفاضل، أبوبكر بن عبدالقادر بن علي بن عبدالله السقاف، ساكن (سيون)، قال: لما زرتُ الحبيب الحسنَ بن الحبيب عبدالله الحداد، قلتُ: حاملْ سلام لكُم من السيدِ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عمر بن قطبان، قال لي: عليكَ وعليه السلام، وقل له القرْش النذْر الذي لنا، أنسيته، أرسله لنا، قال: فلما بلغتُ عبدالله السلامَ وأعلمته بالقرْشِ، بكى. وقالَ: إني نسيته فذكّرني شيخي وملاذي الحسنُ بذلك.

وأعلمني السيدُ الفاضل، الحسن بن سقاف بن محمد، ساكن (سيون)، قالَ: لما كنتُ أنا والصنو علوي بتريم، وجلسنا في دُويرَةٍ قريبَ مسجدِ باعلوي، ونختلف على سيدنا الحسن بن عبدالله الحداد، قالَ: فيوماً من الأيام حصلَ في الدُّويرة بيننَا وبين من حضرَ مماراةٌ ومجادلة، حتى طلع الغضبُ على كلٍّ منا، قال: فلما خرجنا إلى (الحاوي) اطلع على ما وقع لنا وكاشَفنا في ذلك الحبيبُ الحسن، وقال: كذا وكذا جرى منكُما، وتريمُ وطلبُ العلم يحتاجان إلى أدبٍ، وإن ما حصلَ منكما الأدبُ فبلدُكم أحسَن لكم من إقامتكم هنا، قالَ: وكاشفنا بأشياءَ كثيرةٍ، نفعَ الله به، وأعاد علينا من بركاته وأسراره.

[٣٠] **ومن كراماته:** ما أعلمني بعضُ المحبينَ، قالَ: لما سافر سالم سعيد بن قحيدان من (تريم) إلى الحجِّ وزيارة سيد المرسلين ﷺ، خرجتُ أنا وإياه للاستيداعِ من سيدنا الحسن، نفع الله به، قالَ: فاطلع على خوفٍ في قلب سالم بن سعيد بن قحيدان من الموتِ في سفره هذا، قالَ: فأعطاه الحبيبُ الحسن الكوفيةَ التي على رأسه الشريف، وقال له: احتفِظْ بها وتروح وترجع إلى بلدك سالماً غانماً، لا تخافْ.

وكذلك استودعَ منه سعيد زِرَيق، محب العم حامد بن عمر، وله فيه حسْنُ عقيدةٍ، فعند الاستيداعِ قالَ له: ترجع إلى بلدي وتتفقْ بنا، فكان إذا حصلتْ ضربةٌ في البحر قال لهم: لا تخافون من ذلكَ، فإن سيدي الحسن قال لي: ترجع إلى بلدك وتتفق بنا، فرجعَ واتفق بسيدي نفع الله به.

وكذلك أحمد بن محمد بن حميد الأعْمَى، صاحب (سيون)، لما أراد الحجَّ استودع من سيدِنا، فرأى معه خوفاً من أحوالٍ شتى، منها أن يرجعَ من الحجّ والزيارةِ مسروراً في عافيةٍ، فكاشفه بجميع ذلكَ، فكان كذلك رجعَ سالماً مسروراً، وسمعته لما صافحه ثانياً بعد الجمعة قال له: هذاكَ استيداعُ الحجّ، وهذا استيداعُ الزيارةِ للنبي ﷺ.

[٣١] **ومن كراماته**: أنه قالت له أختُه سلمَى: يا سيدي، إنك إذا مات أحدٌ من أهل الفضلِ أو غيرهما تمسك النساءَ من الطبلِ إلا ثلاثةَ أيام، ثم بعد الثلاث تطلقُ الحزَن، فإذا متّ أنا وأنتَ، جميعُ أهل البلد ما يحزَنون علينا، وبايضربون الطبلَ حتى نهار الجنازة!، فقالَ لها: أنا وأنتِ ما بانموتُ إلا في هارَة ونازلةِ مرضٍ على أهل الجهة، ما بايقدَرون على طبلٍ ولا غيره، فكان كذلكَ، فاعجب لعظم مكاشفته هذه وغيرها.

[٣٢] **ومن كراماته العظيمة**: ما أخبرني أحمد بن سَالم بالؤلؤ، قالَ: خرج الحبيب الحسن بن عبدالله الحداد لزيارة الشيخ الكبير مولى (لَوْسط)، ومعه جملة من أتباعه، ومعنا أوعيةُ الغداء وإدامه، فلما وصلَ نفع الله به ومن معَه وزارَ الشيخ مولى (لَوْسط) رجع إلى (المبرد)، فقالوا كافةُ الحاضرين: نسينا الحطب!، فقال لهم الحبيبُ: الآن يجيكم، فما تمّ كلامُه إلا أقبلَ رجلٌ على هيئةِ حرثِ البلاد الضعفاء، حامل الذي يطيقه، حطب على ظهره، والسعف اليابس فوقه، ومعه تيسٌ مليحٌ خاطمُه، فجاء إلى عند سيدي وأعطاه الحطبَ، وقال له: اربُطِ الرأسَ، فربطه قريباً منهم، ثم راح يزور الشيخ فلما فارتِ القهْوة وأرادوا يشربونها، وكذلك الغداء لما نضج أرادوا يعطون الذي جاء

بالحطبِ، فقال لهم سيدي الحسن: لا تعطوه إنه لا يشرب قهوتهكم ولا يأكل قوتكم أبداً، فسمعوا وامتثلوا، ثم أذنَ الحبيبُ للرجل أن يسير، فاستودع وسار، فلما أرادوا أن يصلوا مع خروجِهم إلى محارثِ (دمّون) بـ(تريم)، قالوا لسيدي: فضلاً تعلمْنا من هذاكَ الذي جاءَ بالحطب؟ فقال لهم: ذاك الخَضِر عليه السلام، فقالوا: لم لا أعلمتنا! قال: ما طلبتم إلا الحطَب، ولقد جاءكم الحطبُ والرأسُ الغنم، فاعجب بهذه وغيرها من مكاشفاته رضي الله عنه.

[٣٣] **ومن كراماته**: أنه خرجَ لزيارةِ الشيخ عبدالرحمن با جَلْحَبان، ومعه أتباعه، فلما استقرَّ بهم المجلسُ، قال لهم: تريدون الخَضِر؟ فسكتوا، فبعد تمام كلامه رأوا رجلاً دخل المسجدَ، فلما أبطأ فيهِ دخلوا له، ولم يروه فيه، فعلموا أنه الخَضِرُ، لأنه لو خرج منه علمُوا به، لأنهم تحت المسجد لا يعزب نظرهم عنه.

ومرةً زار الشيخَ المذكور، ويقول: إنه مكرمٌ زائرَه، فطلب من الشيخ أمراً عيّنه، فقالَ له ابنه أحمد: اطلُبْ عادك أكثر من هذا، فقالَ: لا!، يكفي. فجاء المطلوبُ بعد ساعةٍ وهم حضور عند الشيخ.

وفي مرضِه الذي تحمّل فيه من أهلِ البلد بسبَب الجدَري، أي: القطيب، كما تقدم ذكره، فقال للسيد عبدالرحمن بن محمد بن شيخ الجفري علوي: زُرِ الشيخ عبدالرحمن باجَلْحَبان بنية الشفاء لنا، وقل له: أول مخرج من الدار مع العافية إلى زيارتكْ، فشفي سيدي، فلما عبر سيدي سَواقي (ثِبي)، رآها هو ومن معه يابسةً، والنخل ظمآن، فطلبوا من سيدي السقيا لـ(وادي ثبي) ونخيله، فأرسِلَ على الوادي السيلِ ذلك اليومَ، فسال (وادي ثبي) بماء كثيرٍ، فأسقاه ونخيلَه، ببركاته ذلك اليوم نفع الله به.

[٣٤] **ومن كراماته لمن تعلقَ به**: أنه رأى ابنه أحمدُ بعد وفاته في المنامِ يقولُ له:

عمر بن أحمد بانافع بأرضِ العوالق بـ(يشبم)، تعالق وتنازعَ هو وجماعتُه وتضاربوا، وحصل صوبٌ في عمر بن أحمد بانافع، لكنه ما يضره، حضرنا بينهم، ما يقع بأس، فكان الأمر على ما في الرؤيا في ذلكَ اليومِ الذي رآه فيه ابنه، نفع الله بهما آمين.

[٣٥] **ومن كراماته**: قال المؤذنُ بمصلًّى (الحاوي) سالم با سالم، خادم القطب عبدالله الحداد قال: وصّاني الحسن بن عبدالله الحداد إلى عند الحبيب شيخ بن محمد بن شهاب، فلما وصلتُ إلى بيته خرج الحبيب إلي بنفسه، وأعلمته بالوصاة من سيدي، فقال لي: مرادنا كرامة من حبيبكَ الحسن بن عبدالله اليوم، إن لي فص خاتم ضاع قيمته خمسون قرشاً، وعليه اسمي مكتوب، وقد تعبنا مدّة في تدويره. فقلتُ له: شي لله يا حسن بن عبدالله، قال: فطلع السيد المذكور وأمرَ بقهْوةٍ لي، وخرج بها ابنُه علي، فصبها لنا في الفناجين، وشربناها، ثم طلع الحبيب شيخٌ إلى بيته ورجعَ عندنا ووجدَ فصّ الخاتم في مكانٍ قد دور عليه فيه، فعلم أنها كرامة من الحبيب الحسن حيثُ استعقدنا فيه وتوسلنا به في رجوعه إليه، وقال لي: أظهر الكرامة حبيبك لنا في الحال، له ولأبيه الكرامات، نفع الله بالجميع انتهى.

[٣٦] **ومن كراماته الكبار، وعظيم تصرّفاته لمن استند إليه**: أنه نفع الله به خرج يوماً في ابتداء أمره إلى (وادي بيت جبير)، ومعه ذويه وخواصّه، فلما وصل إلى الوادي المبارك، لقي مبارك بن سلمان القصيري التميمي، الذي تزوج الحبيب الحسينُ أخُ سيدنا الحسنِ بأختِ مبارك المذكور، وأولد منها بأولادٍ، وعاش من أولادها ابنٌ وبنتٌ، طال عمرهما وبقيَ نسلهما إلى الآن، وبارك الله في الجميع ورحمهم.

فأعلمني بعضُ أولاد مبارك بن سلمان المذكور، قال: لما وصل الحبيب الحسن وأنا حاضِر، قال لأبي مبارك: مرادنا نشتري رأس غنم سمين من غنمك هذه، وكانت الغنم حاضرات عند كلامهما، فقال له أبي: إن مرادك برأس غنم سمين بلا قيمة، فهذه

طفيلة عميت من زمان، والآن هي عمياء نقودها، ما تهدي نفسَها إلى الطريق، وأنا ملتجئ إلى الله ثم إليكَ في رد بصرها عليها، قالَ: فلم أعلم صدق نية أبي، قال له: أرني البنت المذكورة، فأتى بها إليه، فقرأ عليها ما شاء الله من القرآن، وتفل عليها، وأعطاه أبي الرأس السمينَ، فأخذه بعض أخدام سيدي الحسن، وكان مع سيدي الحسن الحبيب الفاضل علي بن العارف بالله أحمد بن عمر الهندوان، وكان مزَّاحاً، فقال لوالدي: الرأسُ أخذوه عليكَ، ونأكله معهم بلا قيمة، وإيش يرد البصَر إلا تصريفٌ عظيم، وأنى لك بذلك؟ فقال له والدي: له وأبيه التصريف العظيم، وأنا واثق بردِّ بصرها من بركاته، قال فلما سار الحبيب الحسن من عندنا ردَّ الله بصَر أختي، وصارت تنظر كأحسن ما يكونُ، وطال عمرها وتزوجت بعد ذلك وأتت بأولادٍ، وبقي نظرها معها إلى المماتِ، فأعظم بهذه الكرامة العظيمة.

وأخبرني السيد علي بن محسن الجفري ساكن (يشْبم)، قال: لما زرتُ الحبيب الحسن نفعَ الله به، كان بي وجعٌ عظيم في رقبتي منذ أيامٍ، والتوى عرقُ رقبتي وآذاني، ولا أقدر على الالتفات، فحين جلستُ عند قبره توسلتُ به إلى الله في شفاءِ ما بي، بصدقِ نيةٍ، فما قمتُ من عند قبره إلا وكأنّ ما بي شيئاً من الوجع أبداً، وصرتُ متعجباً جدًّا من عظم غارته، فبقيت ألتمسُ الوجعَ في رقبتي فلم أحسَّ له ألماً، وبقيتُ أتلفتُ، ولم يشغلني شيء، من بركاته نفع الله به في الدارين آمين.

[٣٧] **ومن كراماته، نفع الله به في الدارين**: أن بعضَ السادة الذين عنده مراده في نفسِه ونيته أن يبنيَ مسجداً في (الحاوي)، لأنه لا يوجد فيه إلا المصلَّى المشهور، فكاشفه وقال له: لا تبن مسجداً، لأن مسجد الوالد المصلَّى يكفي، وقد بنوا ناسٌ حواليه مصلياتٍ وهدمتْ، ثم عدّها.

[٣٨] **ومن كراماته**: أن بعضَ أحفادهِ قالَ له: اقْرأ كتاب «آداب القضاء» للغَزِّي

ومختصره «عماد الرضا» للإمام زكريا، عادك تحتاج له. فلما سافرَ إلى (الصَّير)، احتاج إلى ما ذكرَه له جده، فكان معه، فانتفع به ونفع غيره، لأن جميع أهل جهات (الصّير) و(جو عمان) و(الباطنة) قريب (سَحار) يرجعون إليه في مهماتهم الدينية والدنيوية، وقد اطلع جدّه على ذلكَ، وإنه أقامه في تلك الجهة، قال: ثم أنكر الجدّ فعلَ بعض السادة الفضلاء ممن حلّ (الصير) حيثُ فعل جنبيةً وشلَّ السيف، وبقي يذكره المرةَ بعد المرة. قالَ: فلما سافرتُ إليها بعد وفاته علمتُ أن ذكرَه لذلك السيد الجليلِ إشارةً إليَّ ألاَّ أفعلَ مثل فعله، وأن أبقى على ظاهر الطريقة العلوية النبوية، نفع الله به آمين.

[٣٩] **ومن كراماته نفع الله به:** أنه طلبَ علويٌّ بن عبدالله بن علويٍّ الإلباسَ، فبقي يواعدُ، فلما كان يوماً من الأيامِ والمذكورُ يقرأ في المدْرَس على ابنه العلامة أحمد، قال لي: ناد عليه لنلبسَه، فطلّعه إلى المحضَر،ة فحين طلوعه وفدَ السيدُ الفاضل عمر بن سقاف صاحب (سيون) مع جملةٍ من سادة وغيرهم، زائرين لسيدي، وفي نيتهم الإلباسُ، فأخَّر ذلك الرجل إلى أن وصَلوا السيدُ عمر ومن معه إلى بلده ذلك اليوم، وقال: حصل لنا القبولُ بإلباسِ سيدي لنا، والحمد لله رب العالمين.

[٤٠] **ومن كراماته:** ما أخبرني بعضُ الملازمين له من السادَة، قال: أخبرني بجميع ما بايجري عليَّ بعده من القريبِ والبعيد، وأمرني بالانفراد عنهم لعُظْم ما بايتعدّون به عليّ، قال ذلك السيدُ: ووقع ما أخبرني به، وصبرتُ صبراً عظيماً على الكلِّ، معونة من الله تعالى، لما علمتُ أن الذي جرى منهم في حقّي قدُه سابقٌ في القدم. ومن العجبِ، قالَ: إني وقفتُ في قراءتي عليه في مدْرَس العصر في «معالم التنزيل»، تفسير الإمام البغوي، في سورة يوسف، في أول مقرأ على ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

[٤١] **ومن كراماته:** ما أخبرني العارفُ بالله، عمر بن زين بن سميط، تلميذ

سيدي الحسن، قال: وصلتُ من (شبام) قاصداً زيارة شيخي الحسن وتربةَ تريم، فلما وصلنا، ورَدْنا التربةَ، وخرجتُ إلى عند سيدي منها، فلما وصلتُ حضرته الشريفة وحصل البشْرُ والبشرَى، وخير الدين والدنيا والأخرى، وكان سيدي طلعَ في بيته منازلَ بنوها لاحتياجِ أحفاده إليها، فخطر ببالي أن أنظر تلكَ المنازل، فحين خطورِ ذلك الخاطر كاشفَني، وقال: قم يا عمر أنتَ والأولاد، شف البناء الجديد، أنت والأولاد، فقمتُ أنا وسيدي العلامة أحمدُ وأحفادُ سيدي، وأعجبتني تلك المنازل، بارك الله فيهم.

[٤٢] **ومن كراماته:** أن بعضَ ذويه مرضَ مرضاً شديداً من عينيه، حتى خشي على ذهابِ النظر منهما، فكان سيدي يوماً من الأيامِ بعد صلاة الصبحِ، وقراءة أوراده وحزبه، وصلَ إلى داره من المسجدِ، وأعلمهم بأنه دعا بالشفاءِ لذلك المريضِ في صلاة الصبح، ورأى أثر الإجابة، فكانَ كذلك عوفي ذلك المريضُ من ذلك اليوم، ببركاته نفع الله به.

[٤٣] **ومن كراماته وعظيم تصرفاته:** لما خرجُوا جملةٌ من (جبلِ يافع)، من القبيلة المسماة بيافع، سنةَ ١١٧٩، أفسدوا في الأرض فساداً بيناً، ونهبوا، حتى أنهم ينقلون الخبز من التنور على الضّعفاء، وعاثوا في خوارجِ البلد، حتى في (بيت جبير)، ووصلوا إلى قريب قبةِ الحبيبِ محمد بن علوي، وطلعوا البيت الذي حوالي القبة، وفيه بعض السادة، فأكرمهم فبعدَ إكرامهم هاشُوا غنمَه ونِشْرة حرثه، من بقر وحمير، وكان هناك دارٌ لسيدي الحسن في (الصّومعة) قريبَ القبة، فطلعوا إليه، فأعمَى الله أبصارهم عنه، فإذا رأوه من تحتِ الجبل طلعُوا إليه، فإذا وصلوا لم يروه، كما أخبروا بذلكَ، وكان فيه آلةُ العَمالة إذا جاء السيل في (وادي بيت جبير)، وخَدَّام حالّ في الدارِ، وفيه قشُّه وصَوغ أهله ومتاعهم، فسلم الجميعُ، ببركات سيدي نفع الله به.

[٤٤] **ومن كراماته**: ما أخبرني سيدي الصنوُ علوي بن علي الحداد، قال: لما قدمتُ من بعض أسفاري وزرتُ أولَ زيارةٍ مع الحبيب الحسن إلى (مقبرةِ تريم)، فخفف الجدُّ حسن جدًّا تلك الزيارة، فقلتُ: كيف الجد خفّفَ ذلك الزيارة، وهي أول زيارةٍ لي بعد قدومي من السفر؟ فكاشَفني حالَ حضُور ذلك الخاطر، وقال لي: قيلَ إن وقوفك عند الولي ساعةً أفضلُ من عبادةِ سبعين سنةً، وفي بعض المناماتِ للأكابر عنه ﷺ: كشَجِّ بيضةٍ، أو كحلبِ شاةٍ أفضلُ من أن تتقطّع في العبادة إرباً إرباً، والساعةُ المباركة خير من كثيرٍ من الساعاتِ التي تمرّ سهواً وفي غفلةٍ عن العمل الصالح.

قال علوي المذكور: وفي حفْظي له من الكراماتِ والمكاشفات لي ولغيري، وكذلك النفع الدنيوي والأخروي، وإذا توسلتُ به إلى الله في حاجة تقضَى وغير ذلكَ مما ينيفُ على ثمانين كرامةً له، نفع الله به في الدارين. **قلتُ**: وفاتتْ بموته تلك الكراماتُ الثمانين، لأن علوي المذكور توفي قبلَ أن نسأله عنها.

[٤٥] **ومن كراماته**: ما أخبرني علويُّ بن سقاف بن محمدٍ، قاضي (سيون)، قالَ: وصلنا لزيارة الحبيبِ الحسن من الصبحِ، وأردنا عنده قهوةً ولا نتغدّى، قالَ: فلما وصلنا حضرته طلبتُ الماء لأجلِ يعلمونَ أنا قد تغدّينا، قال: فكاشفني، وقال: أنتم ما تغدّيتُم،والماء ما لكم طلب به، لا تعطونه ماء، ونحن ما بانغدّيكم بعدَ القهوة، اطلعوا إلى الدُّوَيرة وتغدوا فيها.

ولما قرأتُ عليه أنا وأخي الحسن، فأما الحسنُ أتمَّ كتابه، وأما أنا لم أتمّ كتابي، وعزمنا على السفر، فحصل معي حسرةٌ، فكاشفني وأعطَاني باقي قهْوةٍ من الفنجانِ الذي شربَ منه، وحصل المدد، نفع الله به، وزال التحسّر بالبشَارة منه، نفع الله به.

وأعلمني الحسنُ عن أبيه سقاف بن محمد بن طه: أن والده دعا بثلاثِ دعواتٍ عند قبر النبي هودٍ عليه السلام، فأجابه الله بشفاعةِ النبي هودٍ، منها: أي الثلاث، أن يسلَم لآل

طه السقاف ما زادَ عن السبعةِ من الأولاد الذكورِ، فإنه قاعدةٌ فيهم الجميع، إذا جاء الثامن من الذكور ماتَ واحدٌ من السبعةِ الذين قبله، حتى أنهم إذا منحَهم الله سبعةَ ذكورٍ ثم جاء الثامنُ من البطون أنثَى، فرِحُوا وعظّموها أكثرَ من الولد. فأجاب الله دعائه، وسَلِم لهم، أي لآل طه السقاف الثامنُ وغيرُه، بشفاعة نبي الله هود ﷺ. قالَ: فلما وصلتِ الزيارةُ إلى عند الحبيب الحسن، قال لي: يا سقاف زيارتك مثلوثةٌ أثلاثاً، مكاشفاً لي بدعواتي الثلاثِ عند الضريح المعظّم، وأنها قبلت.

[٤٦] **ومن كراماته**: ما أخبرني بعض أخدام سيدي الصادقين، قال: استدان بعض الناس مني ديناً كثيراً، ثم قالوا لي ناس: إن هذا الرجل ما عاد يؤدي إليك دينك، فضقت من ذلك، واستغثت بسيدي الحسن، فعند استغاثتي في ذلك الحين، وصل إلىٰ بيتي بنصف ما عنده لي، ثم في ذلك اليوم وصل بالنصف الآخر، فعلمت أنه من تصرف سيدي حفظه الله، ومتع بوجوده، آمين.

[٤٧] **ومن كراماته**: أنه وقع في سنةٍ من السنين حربٌ بين يافع (تريم)، وبدوها الخارجين عنها، وكان من عادة سيدي في شعبانَ: يأمر جُعَلاءَ يقطَعون حطباً كثيراً من (وادي جبير) من السُّمر، فخرج لهم من بيت سيدي بعضُ أخدامه بالفُؤوس وقوتهم وجَعالتهم، فمرَّ على اللصوص القاطنينَ للطريق فلم يروه في كلّ مكانٍ يمرُّ على أحد منهم، فلما رجعَ ولم يكن بيده شيء، رأوه الجميعُ، فتخبروه: من أين عبرت؟ فأخبرهم، فتخبروه: من وصّاك؟ وما الذي وصلته؟ فأعلمهم، فتركوه، وعلموا أنها كرامة من سيدي.

[٤٨] **ومن كراماته في أيام الحربِ المذكور**: أنه كانتْ له دراهمُ وعسَل مرسلٌ الجميعُ إليه من بعضِ المحبين، وبقّاه الأمينُ في (تاربة) لأجل لأنه وقتُ حربٍ، كلٌّ يأخذ ما وجدَه، فأرسل سيدي بعضَ أخدامِه وأخذ الجميعَ، فقال له الأمينُ: من

ربيعك في الطريق؟ قال له: سيدي الحسن. وكان ذلك اليومُ يومُ الجمعة، فقال له: نِعْمَ الربيعُ معك، وعرف حسْنَ ظنه في حبيبه، فأعطاه. قالَ: فوصلتُ بعد العصر، وقلتُ: سيدي الآن في التربة، فقصدتُ إلى ضريح والده، فرأيته ومن معه يزورونه، فصافحته، وجئت لأعلمه بما جرَى لي، فأسكتني، وقال: قدنا دارين بذلك، فكاشفني بعد ذلك في الطريق مع خروجي بين التربة معه إلى (الحاوي)، نفع الله به آمين.

[٤٩] **ومن كراماته**: أنه كان يوماً من الأيامِ متكئاً في محضرته الكبيرة، وكنتُ عنده، فدقّ داقٌّ على بابِ الدار، فقال سيدي مطّلعاً على الداقّ: هذا فلان، جاء مكتِّب من (دوعن) من عند الولد عمر، ومعه خطوط، وفيها كذا وكذا. فخرجتُ إليه فكان كذلكَ، نفع الله به. ثم قال لي: اطلع لزيارة الوالد عبدالله واقرأ عليه الأوراقَ، لأنه قالَ لنا: إذا نابكم أمرٌ فاطلعوا إلى عند قبري وأعلموني، لأن نفعي لكم بعد موتي كحياتي.

[٥٠] **ومن كراماته**: أن بعضَ نساء السادة معَها أولادٌ تحتاجُ إلى تربيتهم ومعاهدتهم، وكانوا ثمانيةً ذكوراً، غير الإناث، وغير الذي توفّوا، فدعَا لها بالبركة في يدها، بأنها ترقّبْ لهم إذا سقَطوا، وتكويهم إذا احتاجوا للكيّ بيدِها، وغير ذلكَ مما أمرها به لهم ولغيرهم، وتفعل الأدويةَ لهم ولغيرهم، وقال لها: «يدّش دَواء، وريقش شِفاء»، ولم تكن من قبلُ تعرفْ شيئاً، بل أمرها بحسَب ما تجتهدُ فيها عقلها، وأشار بذلكَ، وأن يكون بغير طلبٍ منها، بل تفعل ذلك لمن جاءَ إليها على حسَب نيته، فأخذتْ بقوةٍ، فكان في يدها الشفاء، وفي قولها الدواء، حتى شُهِرت عند أهل بلدها، ويأتونها من خارج البلد، فكم حصلَ بها النفع العام للمسلمين ببركاته نفع الله به آمين.

[٥٠] **ومن كراماته وتصرفاته**: أن بين عسكر تَريم آل همّام ويافع، كلّ من لقي خادم قبضَه، وكان المحبّ قنَم من سكّان (تريم)، داره قريب مسجدِ السقاف، سيدنا عبدالرحمن، في (الحوطَة)، خرج إلى عندِ سيدي الحسن، وكان من المعتقدين فيه كثيراً،

وقال له: أنا في حمايتك من شرِّ آل همّام، يريدون القبْضَ عليّ، قال له: أنت في رقبتي ولا تخافْ منهم، ولا من غيرهم، وصلّ جماعةً في مسجدِ سيدنا السقاف. قالَ: ففرحتُ بكلامه، وعلمت أني حُرِزتُ وحميتُ منهم، فكنتُ أخرج عليهم وأنا لابسٌ شُقَّتي، أريد الصلاةَ، وأنا أراهم ولم يروني، وتارة يحسَبوني رجُلاً آخر، تنقلب صورتي في أعينهم. قال: وكنتُ أفتح المخزَن، وأبيع وأشتري فيه، فيوماً من الأيامِ أزعجني خاطرٌ قوي أخرجني من المخزَن، ولم يجدوني، فلما رجعتُ أعلَموني أنهم وصَلوا يريدون قبضي، ولم يجدوني. فعلمتُ أن قوة الخاطر الذي أقامَني من المخزَن من تصرّفات سيدي، ولم أزلْ في حفظ الله ببركات سيدي، وعُظم شفاعته لمن تعلق به في الدارينِ.

حتى أن بعضَ المتعلقين به من أهل السّوقِ مرِضَ مرةً مرضاً شديداً، فأغمي عليه، فرأى حالةَ الإغماءِ أنه ماتَ وغسّلوه وكفّنوه ولقنوه وطرَحوه في الجنازةِ، وصلوا عليه، فلما وصَلوا به المقبرةِ أدلَوه في قبرهِ، فرأى في القبر عند رأسِه الحبيبَ الحسن، وابنه أحمد عند رجُوله، ويقول سيدي الحسن لابنه أحمد: تشفعْنا له، وزيد له في عمره، فأفاقَ من غَوبته، وتعافى من مرضِه الشديدِ، وعاش معافًى، وها هو يعيشُ الآن بشفاعة سيدي نفع الله به في الدارين، آمين.

[٥١] **ومن كراماته العظيمة وتصرفاته الباهرة:** ما ذكره الوالدُ في كتابه «الفوائد السنية»، وما سمعته من صاحبِ الحكاية، وهو المحبّ عبدالله الدَّوعني الأعمى، وكان ثقةً من الحفاظ للقرآن العظيمِ، قالَ: حضرتُ تهليل في مسجد آل أبي علوي بتريم، ثم بعد التهاليل لم أنَمْ في المسجد المذكورِ، بل بقيت مستيقظاً حتى قامُوا لقراءة ربع القرآن العظيم وحزْب السدسِ بعدَه، حتى طلع لفجر، وصلى بنا العلامة الحبيب حامد بن عمر حامد، إمام المسجد. وبقي يقرأ أوراده إلى الشروقِ، وقريبَ الشروق أخذَتني عيني ونمْتُ، ولم أوحِي إلا بحرارة الشمس في الضّاحي قربَ المنارة، بعد مضيّ أول النهار، وقريبَ الزوال، فتوضأتُ وخرجتُ قاصداً التربة، وأعطيتُ من يدلّني إلى

التربة شيئاً معي من الدارهم، فزرتُ سيدنا الفقيهَ المقدم ومن عندَه، وأطلت الزيارة، وزرت أكابرَها على الترتيبِ، حتى خرجت من قبة سيدنا عبدالله بن أبي بكر العيدروسِ بعد أن زرتُه، وجئت إلى زيارة سيدنا وشيخي الحبيب القطب عبدالله الحداد فزرته، وقرأت بعد الفاتحة آيةَ الكرسيّ وخواتيمَ سورة البقرةِ ويس، ثم سورة المزمّل والمدَّثر والإخلاص والمعوذتين، ووهبتُها له، ودعيتُ عند ضريحه، ثم ختمت الدعاء.

وقرأتُ عند ضريحِ ابنه الحسن مثلَما قرأتُ عند ضريح والده، نفع الله بهما، وكان معي نفحاتٌ ودعواتٌ من سيدي الحسن أيامَ زيارتي له في حياته، فبعد أن تميت زيارته ودعيتُ، قبضتُ على شاهدته، وقلت له: أريد كرامةً بعد موتِك كما كنت كثير الكرامات أيام حياتكَ، وضربتُ على الشاهدَة، فأخرج لي من قبره قرْصَ برٍّ حارّ، كأنما أخرجَ من التنور، فيه قياسُ مدّ نبوي، فقلتُ له: بيض الله وجهك، حصلت الكرامةُ، لكن شمسْ حارّة عند قبرك، أريد آكله في قبة العيدروس، ورحتُ وأكلته في القبة وطَعْمُه من قوت الآخرة!، فكان ذلكَ من أعظمِ تصرفاته وأعظم كراماته، نفع الله به.

[٥٢] **ومن كراماته العظيمة**: أخبرني عبدُالملك بن عبد الجبار بن مزاحم، قالَ: إن والدي زار مرةً الحبيبَ الحسن، من (أحور) إلى (حاوي تريم)، وسار مع خروجه من (أحور) ركب بحراً إلى (المكَلَّا)، وحدثتْ ضربةٌ قريبَ المجْدَحة، تعبَ فيها، ونادى بأعلى صوته باسْم شيخِه الإمام الحسن، وتكلم عليه بكليمةٍ لما تعبَ، فحصل الفرجُ في الحالِ، فلما وصل إلى حضرته، رحل له مكاشفةً مراحِله من يومِ خرجَ من بلده إلى (الحاوي)، وعاتبه على الكلمَة التي تكلّم بها في البحر، فبهتَ من ذلكَ وتحيّر واستغفر بحضرته من كلمته، نفع الله بالجميع.

[٥٣] **ومن كراماته العظيمة**: أنّ ابنَ ابنه عمر، طلبَ الإجازة في أوراد الحبيب

عبدالله الحداد وكتبه من جدّه الحسن، وكنت عنده وقتَ الطلب من أخي لجدّه، فنويتُ لعله أن يجيزَني بما طلبَ، لأني لستُ أهلاً لطلبِ الإجازة، فأجاز عمر المذكور بما طلبَ، وخرج فرحاً مسروراً بالإجازةِ من المكان الذي فيه سيدي، وهو المحْضَرة الكبيرة، وكاشفني سيدي بما نويتُ، وقال لي: بل أجزتك في جميع ما أجازني الوالد الحبيب عبدُالله الحداد، نفع الله به، فاستعظمتُ الإجازةَ المطلقةَ بقلبي، فكاشفني وخاطبني بخطابٍ وكلامٍ فيه بشرَى لي، حقق الله ذلكَ بكرمه وجوده، في عافيةٍ، آمين.

[٥٤] **ومن كراماته وعظيم مكاشفاته**: ما أخبرَني بعضُ الثقاتِ الأخيار من أهل بلد (ثبي)، وأقسمَ بالله، قالَ: وقع عليَّ وعلى إخوتي دينٌ، وكنا معاً، فلعُظْمِ مقام الحبيب الحسن الحداد وإشراقِ نورِ ولايته، قلنا: ما لهذا المهمّ إلا هو، فحددنا له حدًّا من الأيامِ، ونذرنا له نذراً إن أوفَينا الدَّين في الوقتِ المعلومِ، فأوفينا قبلَ تمام الوقتِ المعلوم، كرامةً منه. ثم وصلَ إلى بيتنا السيد حامدُ باعبود من (بور)، قاصداً زيارةَ الحبيب الحسن، فأعلمناه بالنذرِ الذي عندَنا للحبيب حسن، وأنه نفعَ الله به حصلتْ منه كرامةٌ عظيمة، لم نقدر نصِفَها، لما رأينا عياناً أنه متعسِّر الوفاءِ للدَّين، لكثرته، ولا عندنا شيءٌ نوفي به الدَّين، فيسر الله وفَاه ببركاته.

قال السيدُ حامد: نطلع وإياكم، والنذْرُ اطلعُوا به. فلما دخلنا البلد (تريم) اتفق السيدُ شيخ بن محمد بن شهاب الدينِ، بالسيد حامد، فعزمه للعشَاء، فلما خرجنا إلى (الحاوي)، إلى حضرة الحبيب الحسنِ، كاشفَني، وقال: اعْطِ الولد أحمد النذر، فأعطيته إياه، فقال للسيد حامد باعبود: تعشُّوا عندَنا الليلة، لأن الإدام اللحْم مع الرز والبر، كله يسّره الله، فقال له السيد حامد: مرحباً الفضلُ لكم، ولا وصلنا إلا لزيارتكم.

قالَ: فترك السيد حامد عشاءَ السيدِ شيخٍ، قالَ: وأنتم يا أحفاد الحبيب عادكم في المكتب صِغار تتعلمُون القرآن، الكبار منكم، ولما قالَ الحبيبُ الحسن: عشاكُم فتحَ

الله به اليوم، ورأيتُ ابنه ما أرادَه يقولُ لنا: فتح الله به اليومَ، فلما قام لحاجةٍ ورجَع، قالَ للسيد حامد: أحمدُ كرِهَ أن نقولَ لكم اليوم تيسَّر عشاكُم، فأما أنا لا أودّي الظهور، والظهور لأحمدَ وأولاده، وإذا لم تدخُل عليه الدنيا من الخلافِ وعلى أولاده، فأقول لهم كما قالَ سيدنا المحضار عمر لما بنَى مسجده: إذا ما كفى نفسَه يهدِمُوه بالمزاحي، وأنا إنْ ما تمّ كلامي، يطلعُون إلى عند قبري يهدِمونه بالمزاحي. فقد تمَّ بحمدالله، تممَ الله كلامه وزيادة.

* والخلافُ: الطاقاتُ، الفتحاتُ يفعلونها في البيوتِ للمهَبّ، والإضاءةُ بها في المنزل، وينظرون منها إلى خارج البيتِ.

وكان إذا تكلم ابنه وأرادَ أمراً يفعلُه والدُه من الأمور المباحة، فيقول له: إذا جاء وقتك وزمانك افعَله أنت. ويقول: ابني أحمدُ إن شاءَ في وقتِه بايقتدي بجدّه الحبيب، وإن شاء يقتدي بي وبعمّه علوي.

وكان العلامة عبدالله بن الحسين بن عبدالله الحداد يقولُ: في سفري إلى (الحرمينِ)، رأيت في المنام وأنا في دهليزِ الحرمين ببندَر (جدة)، سيدنا عبدَالله الحداد دخلَ عليَّ، وقال لي: يا عبدالله أما علمتَ أنا أخفينا ظهُور حسَن إلى وقتِ ابنه أحمد، فلما انتبهتُ وكنت متعجباً من حالِ الحبيب أحمد، وتصرف الوجود له، وقيامه بها لا تقدر عليه إلا الملوكُ والدول، فلما رأيتُ الرؤيا، علمتُ الأصلَ والقاعدةَ، فإن جدَّه ووالدَه اعتنوا به عناية تامةً.

[٥٥] **ومن كراماته**: أنه وصلَ زائرينَ إلى حضرتِه، السادة آل بن سميط من (شبام)، وألبسَهم يوماً من الأيامِ القبْعَ الشريفَ، قُبْعَ والده، وكان سنّي قريبَ البلوغِ، فخرجت إلى تحت المنزلِ الذي كان سيدي مع آل بن سُمَيط فيه، وسألتُ الله أن يلبسَني مثلهم، فناداني بأعلى صوته: يا علوي ادخُل!. وألبسني مثلهم.

ويوماً من الأيامِ، في خلوةٍ أنا وإياهُ في محضَرته، فخطر على بالي الإلباسُ والتلقينُ وحدي وإياه، ويكون الإلباسُ خاصّ بي، فكاشَفني، وقال لي: هاتِ القبع، وكان معلقاً في المحضَرةِ عنده، فأتيتُ به وألبسَني ولقنني الذكرَ.

ويوماً من الأيامِ وأنا أقرأ عليه، إذ دخل الأخُ عمر ابن الوالد أحمد، وطلب منه الإجازةَ في كتُبِ سيدي الحبيب عبدالله الحداد وجميعِ أورادِه، فأجازه في كتب والده وأوراده كلها، فقلت في نفسي: عسَى سيدي يجيزني مثله، وإني إن طلبته الإجازة لم أكن أهلاً للطلبِ، فكاشفني، وقالَ: علوي أجزتك في جميعِ ما أجازني الوالدُ عبدالله الحداد، وأجِزْ من طلب الإجازة منكَ إذا كان أهلاً، ففرحتُ بذلكَ، وداخلني أنسٌ عظيم، فحمدتُ الله على ما وهبني من هذا الحبرِ الحكيم، فقامَ نفع الله به إلى منزلِ ورجعَ، وقالَ لي بكلامٍ عرفتُه من فضْل الله وإحسانه، وذلكَ من توفيق الله لي ومعونته، فله الحمدُ حمداً كثيراً على جميعِ الأحوالِ، وعلى ما تفضلَ علينا من النعم العوالِ.

[٥٦] **ومن كراماته**: أنه سنةَ حجَّ بيتِ الله الحرام، وزار جدَّه عليه أفضل الصلاة والسلام، ركب بحراً من (اللُّحيَّةِ) إلى (اللِّيثِ)، وكان ناسٌ في المركبِ يشربون التنباكَ، فتركوهُ كلهم إلا واحداً بقي يشرَبُه في خُفيةٍ في المركبِ، فيوماً من الأيامِ، مع شدة الريح سقطَ الشاربُ للتنباكِ من المركبِ، وغرق في البحر وماتَ، لأنهم أرفَوا الشراعَ وأرادوا نجاته من الغرق، فلم يقدِروا يصِلوا إليه، لأن سيدي مقامُه الجلالُ والهيبةُ، كسيدي عمر المحضار.

[٥٧] **ومنها**: أن رجلاً من يافع، أراد أن يستولي على بعضِ نخلِ نساءِ بعْضِ السادة بعد موتها، وهي من آل بنَحْسَن، وكان نخلُها خلْطَ نخلِ الحبيب الحسن، ولم يميِّز اليافعي نخلَ الشريفةِ من نخل سيدي، فخطر على قلبِ اليافعي أن بعدَما يخبِّر سيدي الحسن نخْله، يخرُج يأخذْ خريفَ الشريفة، ويعرف أن المخبَّر لسيدنا الحسنِ،

والذي ما هو مخبَّر للشريفةِ. فترك سيدي تخبيرَ تلكَ السنةِ، كشفاً منه، لأنه تشفع عند اليافعي لوَرثة الشريفةِ، فأبَى، فلما انبهَم الأمرُ على اليافعي، ولم يعلم أيُّ نخلِ الشريفةِ من نخل سيدي الحسن، قطعَ من نخلِ سيدي ثمرةً مع ثمَر نخلِ الشريفة، فلما طلع من النخلِ ذلك اليومَ إلى البلدِ، قتله في ذلك اليومِ آلُ همامٍ تحتَ حصنِ البلد (تريم)، وذلك كرامةً من سيدي، وترك سيدي مالَه من تلك السنةِ، لأن يد الظالم قد قطعَه، وزهد فيه، وكان ذلك المال بنخلٍ يسمَّى (البِرَيكة) من (أرض الجِرَب)، بنواحي تريم، فاعجب لزهدِ سيدي الحبر الحكيم.

[٥٨] **ومن كراماته**: أنه يوماً من الأيامِ لما خرجَ بعد صلاة الجمعةِ هو ومن معه قاصداً بيتَ والدِه للحَضْرة المعروفةِ بعد الصلاة إلى العصر، التي يشلونها بعدَ وصوله من الجامعِ بمن معَه بعدَ الصلاةِ، فلما خرجَ سيدي عندَ أول بيتٍ تحتَ الجامعِ، ناوله رجلٌ دنا فيه ماءٌ، وقال: يا سيدي رجلٌ مريض، ولم يعين له اسمَه، اقرأ على الماء بنية الشفاءِ، عسى ببركاتكم يشفيه الله، فقرأ شيئا من القرآنِ على الماءِ، وناوله الرجلَ.

فلما شربه وكان من يافع، شفاه الله في الحين، ولكن سيدي من حين ناول الرجُلَ الدنَّ بقي ينفثُ الدمَ من عند بيت الرجلِ إلى أن وصل بيت والدِه الذي يشلون فيه الحضرةَ، وهو ينفث الدم مدةَ الطريق، ثم لما طلعَ البيتَ للحضرةِ سكنَ الدمُ، ولم ينفث. فخرج الرجل إلى (الحاوي) إلى عند سيدي، وقال له: إني نذرت لك بنصف فرَسي، فأبى سيدي من نذْرِه، وقال له: أعطها حبايبك آلَ الشيخ أبي بكر بن سالم.

فقال له الرجل اليافعيّ: يا سيدي؛ إني رأيتُ في المنام كأن ثلاثةَ بيوتٍ كبارٍ مبنية حوالي نهرٍ عظيم، فطلعتُ أولَ بيتٍ فقلتُ لهم: لمن هذا البيت؟ فقالوا للنبي محمد ﷺ، وكأن فيه أوعيةٌ للماءِ معلقةً في سلاسلَ، وتحته نهرٌ، إذا أردتَ الماء من النهْر أدليتَ الوعاء بالسلسلة، وتشربه، فلما أدليتُ الوعاءَ لأشرب طلعَ، فلما شربته فإذا هو أحلى

من العسلِ، فلما طلعتُ البيتَ الثاني أدليتُ الوعاءَ مثل الأول، فإذا هو أحلى من العسل، فسألتُ عن صاحب البيت؟ فقيل لي: هو للحبيب عبدالله الحداد، فلما طلعتُ البيت الثالثَ أدليتُ الوعاءَ مثل الأول والثاني، فلما شربتُ فإذا فيه بعضُ ملوحةٍ، فسألت: لمن هذا البيتُ؟ فقيلَ لي: للشيخ أبي بكر بن سالم وأنا متعجبٌ من ملوحةِ الماء، ولم يكن مثل الأول والثاني! فقال له الحبيبُ حسن: هذا منكُم يا قبائلَ يافع، تنذرون من أموالكم للشيخِ أبي بكر وفيها حرامٌ، الملوحَة منكم، فعرفَ الرائي تفسيرَ ما رأى، والله أعلم.

[٥٩] **ومن كراماته**: أنه أطلعه الله على طولِ العمر له، وأنه يلحق الأحفاد بالأجداد، وأسمعه مراراً يقولُ: «عمري كعمر والدي»، أو كعُمْر عبدالله باعلوي، لأن سيدنا عبدالله باعلوي، بلغ من العمر خمساً وتسعينَ سنةً، أو قريبا منها.

وقال: «فكنتُ أسأل الله أن يكونَ أولادي أشقاء، وأن يرزقني الله امرأة من الأشرافِ ولوداً ودوداً صالحةً، يكون عمرُها قريباً من عمري، ولا يتفرقون أولادي على زوجاتٍ شتّى». فكان كذلكَ، تزوّج على أمّ أولادِه كلهم، وطال عمرها قريبا من عمره، ولم يتزوج على غيرها، وكانت ولوداً ودوداً، صالحةً كثيرةَ العبادة، سيأتي لها ذكرٌ في الباب السادس.

[٦٠] **ومن كراماته العظيمة**: أن اطلعَ على عمر ولدِه أحمد، وأنه يصير له شأنٌ وشهرة عظيمةٌ، وأنه يقوم بمنصب الإمام جدّه عبدالله الحداد، وبمدارسه وأحواله العادية والعبادية، فقال لسيدي العمّ محمد بن عقيل بن الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم: يا محمد؛ فلانٌ من أولادِ إخوته، وسماه، قالَ: «إنه يظنّ أنه يقومُ بمنصبِ الوالد كله، ولا يقومُ به إلا ابننا أحمد، وإذا قام به أحمدُ إن شاءَ أن يقتدي بجدّه الوالِد، وإن شاء أن يقتدي بي أو بعمّه علوي». وكان ابنه أحمدُ إذا كلمَ والدَه في أمرٍ يريدُ والدَه

يفعله، يقول له: «افعلْه أنتَ، لكن اصبر حتى يجيء».

[٦١] **ومن كراماته العظيمة:** أنه اطلعَ على أنه هو أو ولدُه أحمدُ يعمِّرُ مسجدَ والده ويوسعه بـ(الحاوي)، وذلك أنه قال: أرادوا يقسمون هو وإخوته النخْل بـ(الحاوي)، التي ورثوها من والدِهم، قالَ: اجعلوا في سهمي النخلَ الذي قبليّ مصلَّى والدي، فأعطوه سهمَه ذلك، وقال: لأني في نيتي أعمر مسْجدَ الوالد وأوسّعه، ولكن يقع على يد ولدي أحمد، إن شاء الله، فكان كذلك بحمدالله، فوسعه، وفعل له منارَة وزاوية ومياضي، وأرخَ في أبياتٍ عمارتَه فقالَ في التاريخ: «نطلبُ المجيدَ يرْضَى»، سنة ١١٩٠.

[٦٢] **ومن كراماته:** أن والدتي أخبرتني، قالتْ: إنه حدثَ بك مرضٌ وجراحاتٌ وأنتَ ابنُ سنتينِ، حتى رحمتكَ من المرضِ العظيمِ والجراحاتِ الكثيرة، فأتيتُ بك إلى عند جدك الحسن، وقلتُ له: إما كرامةٌ منك ظاهرة، يشفي الله هذا الولدَ من مرضه العظيم، وأما أن يريحه الله منه ويتوفى إلى الدار الآخرةِ قريباً، فقالَ لها: إنه له شأنٌ عظيم، وإنه سيطول عمرُه، وتنظرون منه البرَّ ما لا تنظرونه من إخوته، إن شاء الله.

قالتْ: فكان كذلكَ، بأن ريقَكِ شفاءٌ، ويدَكِ دواءٌ، وعادش با تلبسين الحريرَ إلا من ابنك هذا علوي.

[٦٣] **ومن كراماته:** أنه دخل إلى حضرته في أولِ شهر رمضان رجلٌ من أحفاده، أعطاه دراهم معونةً في خرْجِ رمضانَ، وقال له: إني وجدتُ رجلاً في الطريقِ أعطاني لكم هذه الدراهم، تبسم سيدي نفع الله به في وجهِ حفيده، وأعلمه أنه عرفَ بحقيقة الأمرِ، قال الحفيدُ المذكور: وكاشفَني بأمورٍ، منها: أنه أمرني بأمرٍ فلم أعرِفْ

وجه الشرع في ذلكَ الأمر، فكاشفني وأظهر لي وجهَ الشريعة في ذلك الأمر، نفع الله به.

[٦٤] ومنها: أن ابن بنتِه علويَّ بن علي بن علوي الحداد، مرضَ سنةً، فأطلع الله سيدي أن مرضَه ذلك يموتُ فيه حفيدُه، فاشتغل سيدي وأكثر من التردد إليه، وكان والدُ علوي قربَ مرضِ علويٍّ مستغيظاً على ابنه علوي هذا، فلم يجئْ عند ابتداء المرضِ، فشق على سيدي الحسنِ ذلكَ، وكان الولدُ في الحقيقة محقّ، ولا لائمةَ عليه، لكن حقوق الوالدين عظيمةٌ، فتصرف سيدي الحسن في والدِ علوي، فجاء إلى عند ابنه ولازمَه ورضيَ عنه، ففرح الحبيبُ حسن، وقال: إن حقوق الوالدين عظيمةٌ، فلهذا تصرفنا في عليٍّ، ورضي على علوي.

قلتُ: وهذا علوي؛ رباه جدّه الحسنُ، وله به عنايةٌ تامة، وقرأ على جده وخاله أحمد ولم ينتفعْ على أحدٍ سواهما ولم يطلْ عمرُه، وإلا صار إماما في العلوم كلها، أعقبَ ابناً، توفي والدُه وأمه ترضَعُه، [فسموه باسم والده][1]، أنبته الله نباتاً حسناً، آمين.

[٦٥] ومن كراماته: أنه يقولُ في ابنِ ابنه، عبدالله بن الوالد أحمد: «عبدُالله موفقٌ»، فكان كذلكَ، وفقه الله لمكارمِ الأخلاقِ، وتفنن في العلوم، وصارَ له اليدُ في فنون العلم، مع فصاحةٍ عظيمةٍ، وأدبٍ وافرٍ، أحبه الخاصُّ والعامّ، ثم آخرَ عمره سدّده الله ووفّقه وفعلَ وصيةً عند موتِه، فيها أفعالٌ جميلة، وصدقاتٌ كبيرة، ورأوا عندَ موته وبعدَ موته مكاشفاتٍ وخوارق عادات.

[٦٦] ومن كراماته العظيمة: أن ناساً ثقاتٍ من أهل الخير والصلاحِ، أعلموني أنهم في اليقظَة رأوا سيدي الحسنَ في آخرِ الليلِ بعد موتِه، خارجاً من مقبرة تريم، راكباً على مركوبه الذي يعرفونه، وقصد مسْجدَ الأوابين حقّ والده، ثم صلّى فيه، ثم خرج

---

(١) سقط من النسخة (أ).

منه وركبَ على مركوبه إلى (الحاوي)، وقصد مسجِدَ والده المصلَّى، وركعَ فيه، ثم بعد صلاته فيه رآه راكباً طالعاً نحْو البلد (تريم)، أو إلى (المقْبرة)، قالَ: فرجعتُ عنه.

وقال بعضُهم: إني رأيته في اليقظَة في الليـلِ، بعـد مضيِّ النصفِ الأول داخـلاً إلى مسجد (الحاوي)، فلـم أصـافحْه، ولم أجـيء إلى قربـهِ، فخفـتُ أنـه لم يـرضَ بقـربي، فاحترمته وتأدبتُ معه، نفع الله به آمين.

[٦٧] **ومن كراماته:** أنه في وقت مَوسمٍ في (وادي بيت جبير) خرج هو وأولاده وقرابته وتلامذتُه ومحبيه إلى (وادي بيت جبير)، فقال له وهو راكبٌ بعضُ السادة، كان يسير تحتَه، هو والخادم عَلوان با عِكَيم: يا سيدي هل لعلْوان ذريةٌ من صلبه؟ قالَ: لا يأتيه ولدٌ إلا من صلبِ حمدون، فأتى حمدون أخاهُ ولدٌ ورباه علوانُ المذكور، ونفع عمّه وأوصى له بداره وبعضِ ماله، وصَار كأنه ولده، لا يجيء بيتَ والدِه وأهله إلا كالغريب!.

وفي ذلك اليومِ خرجَ بعضُ أحفاد سيدي وسنّه قريبَ البلوغِ، ومعه الأخدام، فأمرهم يجمعون القَضْب من الآبارِ التي حوالي (بيت جبير) للمراكيبِ التي مع من خرجَ مع سيدي، وكان لابسٌ لباسَ سوادٍ، وفيه حريرٌ أحمر، ومتحزّم على خنْجَر فيه فضّة، مغطّي عليها بثوبِه لئلَّا يراها أحدٌ، فقال له عجوزٌ كبيرة من القبائلِ، من آل حِفَي: ما أنتَ من آل عبدالله حداد!، أنت إلا من آل فلان، وردّدتْ عليه الكلام ثلاثاً، فلما وصل هو والأخدامُ إلى عندِ سيدي، ومن معه جالسينَ متأدبين، فلما أراد أن يصافحَ جدَّه تبسّمَ في وجهه، وكاشفه، وقال له: صدَقَت الحرمة فيكَ، وأعلمه بكلامها، فتركَ ذلك اللبْسَ من ذلك الحين.

[٦٨] **ومن كراماته:** أنه سنةَ ١١٨٣، لما أمرَنا بزيارة الفخْر أبي بكر بن عبدالله العيدروس، ساكن عدَن المحروسة، حدث عليّ مرضٌ في شهر رمضانَ بـ(نِصاب)

و(عبَدان)، بجهة (أرض العوالق)، فرأيته مراراً لا تحصَى يدخلُ عليَّ المنزلَ الذي أنا فيه، لابسا لباسَه الذي يخرجُ به إلى الصلواتِ الخمس في (الحاوي)، وقالَ لي: إنا ما نسيناك. ولما طلبوا قبائلُ آل عليّ بئراً يكون فيها ماءٌ يبحثونها، ونريهم مكانها فوقَ جبلهم، فاستعظمتُ الأمرَ، فقال لي لما علم بذلكَ: لم لا روَّيتهم مكاناً يبحثونَ فيه بئراً لهم، ما عليكَ إلا الإشارةُ، والبرهان على غيرك!، أما سمعتَ كلامَ الوالد: حد يبرهنُ لنفسه، وحد يبرهن له غيرُه.

ويشهد لقولِ الحبيب عبدالله الحداد: حد يبرهن إلى آخره ما وقع لأخينا عبدالرحمن لما سافر إلى (أرض العوالق)، أنه رأى بعضُ أهل بيتِ الحبيب حسن في المنامِ يسأله عنه، فقال له: ما تركناه، وفعلنا له كرامةً، جعلنا بئراً يظهَر الماءُ فيها في (الكَودة) عند حصن سُلطان بن صالح بن فريد، فكان كذلكَ. وظهر فيها الماءُ، لأن الماء في (أرض العوالق) في بلد (نِصَاب) بعيدٌ في آبارها، بعيدٌ جدًّا، لعمقِها وتعرضُ جبالٌ لهم في حَفْر الآبار، وهذه يسرَها الله، وأظهر ماءها قريباً.

[٦٩] ومن كراماته، سنةَ حجَّ: لما وصلَ وهو صائمٌ في رمضان قبةَ سيدنا أبو بكر الحداد، تلميذ الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وكان وصلَ سيدي وقتَ القائلة نصفَ النهار، في غاية الحرِّ الشديدِ، وسيدي أتى برًّا من (المخَا) هو ومن معه، وهو في غالب الطريق لا يحبُّ الركوبَ، إلا جماعته تركَب، فوجد سيدي أبواب القبة مغلقةً، ودراويشُ تحت ظل الشجرة التي تحت القبة، فحرك الأبوابَ فلم تنفتحْ، فأشار إليها فانفتحَتْ كلها مرةً بلا مفاتيح.

وكذلك لما وصل قريبَ (اللِّيثِ)، ورأى رؤيا: كأن والدَه هو وإياه في (الحاوي) طالعينَ من الدِّرْع في الدّرج، وسيدنا والدُه قابضٌ على كتفِ سيدي، وكأنه أتعبه مع الطلوعِ، فخرج من المركبِ برًّا إلى (جُدّة)، فقال له النّوخَذا: هذه ضربة ريحٍ بانجلسْ

أيام كثيرةً، فكشفَ الله لكَ ما نحنُ فيه، فخرجتَ برًّا، وتقدمتْ في حجِّه ذلكَ بأبسطَ مما هنا، نفع الله به.

[٧٠] **ومن كراماته الكبيرة العظيمة**: أنه لما وصلَ (بندر جدة) أيامَ حجِّه، قصدَ بيت زيني أفندي، وكان الشيخ زيني قد استعدَّ للحجّ تلكَ السنة، وتأهب له من الخَرْجِ وغير ذلكَ، وكانت دائرتُه واسعةً، فلما وصل الحبيبُ الحسن ومن معَه يموّنهم وقائمٌ بنفقتهم، نوى الشيخُ زيني أن جميعَ ما استعدّ به للحجّ، وتأهبه من الخَرْجِ وغيره، أن يعطيه سيدي الحسنَ، فأعطاه جميعَ ذلك كله، فلما كان تلكَ السنة بعرفاتٍ، رأوا الشيخ زيني أهلُ مكة وجدة،ومن يعرفُه من بقية الجهاتِ، بعرفاتٍ حجَّ مع الناس، ورأوه في تلك المواقفِ كلها، فلما وصلوا (جُدّة) هنأوه بالحجّ، فأعلمهم هو ومن لم يحجَّ تلك السنةِ من أهل (جدّة): أنه لم يطلع الحجَّ تلكَ السنة، فعرفوا أنه هذه ببركةِ سيدي حسنٍ، سخر الله ملكاً يحجُّ عنه لما قصَد الحجّ واستعدَّ له، وأعطى جميع ما استعدّ به سيدَنا الحسن، نفع الله به آمين.

وكان الحبيب الحسنُ نفع الله به من عُظْمِ الشَّوقِ، وعلو همته، أراد يطوي الأرض هو ومن معَه، فكاشفه الخضِرُ في الطريق، وقال له: يا سيد حسن! خذِ الطريق براحتِكَ لا بهمتِكَ، وكررها ثلاثاً، قالَ: فكأنه سكبَ قِرْبةَ ماءٍ عليَّ، فعرفته، نفع الله به.

[٧١] **ومن كراماته**: أنه مرض مرضاً تحمل فيه عن أهل بلدِه وجهته ما نزلَ بهم من مرضِ الجدَري، فكان إذا دخلَ وقتُ الصلاة دخلَ يهادَى بينَ الوالد أحمدَ ابنه، وحمدون عِكَيمان خادمِه، وإذا دخل للصلاة وأحرمَ صلَّى كأنه شابٌّ لم يشتكِ شيئاً، وإذا سلم من الصلاةِ كانَ نفع الله به كالثوبِ الملقَى، لا يقدر يقومُ بنفسِه، ولا يسير إلا يُهادَى بين ابنه أحمد وخادمه عكيمان. وحدث في هذا المرض له أحوالٌ، ويقول: «كان أناسٌ من السادة في البلدِ يعاونونَنا في التحمّل، فماتوا».

وكان نفعَ الله به لم يتركْ شيئاً من عباداته ومدارِسه في هذا المرضِ، إلا إن غلبه مانعٌ قويٌ، وكان يتنقلُ من منزلٍ في بيته إلى منزلٍ، وله تطوراتٌ وأحوالٌ مغيباتٌ، جعلنا الله من أهل العنايات، ثم ظهرَتْ عروقٌ في رجِيله، ويخرج منها دمٌ كثيرٌ، من التحمل عن الخلق. ورأى الحبيبُ عمر بن زين بن سميط النبيَّ ﷺ على صُورة الحبيب الحسن خليفتِه، سواءً، وكانّ به جُدَريٌ، إشارة إلى أن الحبيبَ الحسنَ خليفتَه عليه الصلاة والسلامُ، وأنه يتحملُ بسببِ ما نزل بالناسِ من الجدري.

[٧٢] **ومن كراماته في حياته:** أن والدَه يأمره كلَّ سنةٍ يسيرُ إلى (خلع راشد) يزور العارفَ بالله أحمد بن زين الحبشي، ويقرأ عليه، ويعطيه والدُه ثوباً لباساً للحبيب أحمد، قال: ومرةً من السنينِ في زيارتنا للحبيبِ أحمد، عزَمْنا على التجريدِ بمن معَنا لزيارة النبي عَسْنب، بلا زادٍ ولا ماءٍ، فلما وصلنا الحضْرة المعظّمةَ، إلا وبنا من التعبِ والجوعِ والعطشِ لطولِ المدّة والسيرِ شيءٌ كثيرٌ، فحالَ وصولنا جاءتْ امرأةٌ بدويةٌ بكبشٍ سمينٍ، وقالتْ: يا حبيب حسن؛ لي مع زوجي سنينَ عديدة، ولم أحمل منه له، ومرادي كرامةً منكَ أحملُ منه بولدٍ ذكرٍ، ويعيش لنا. فقُلنا: إن شاء الله يأتيكِ الولدُ، فجاءَها الولدُ ذكر، وعاشَ ذلك الولدُ وطالَ عمرُه ببركة الحبيبِ.

[٧٣] **ومن كراماته:** أنه كانَ في مخرجٍ وجمعٌ من السادة وغيرِهم معَه في (وادي الغبرة) من أعمال (دمّون) بتريم، فتذاكروا الهمّةَ، فقال سيدي الحسنُ: عزمنا على بركة الله من هذا المكانِ أن لا ندخُلَ بيوتنا إلا بعْدَ أن نصلَ إلى (حريضَة)، وهي نحو ثلاث مراحلَ من (الغبرة) إلى (حريضة). قالَ: ونزور الإمام الحسين بن عمر العطاس.

فعزموا كافةُ من معَه، وساروا معه مشياً على الأقدامِ، فلما وصَلُوا (حريضَة) وكان في وقت جدبٍ، طلبوا من سيدي السّقْيا والغيثَ العاجِل، فسقى الله ذلك اليوم ببركته سقياً عامًّا، وزار بمن معه الحبيبَ الحسينَ، وحصلتْ بينهم مذاكرةٌ ومؤانسَةٌ،

ورجع في الحينِ بمن معَه، وجعلها زيارةً مجردةً، فوافقه على نيته الحبيبُ الحسينُ، وزورَةُ العارف ولو هنيهةً، ووقعةً لطيفةً، من أفضلِ أعمالِ البرّ، لأن بعضَ الواردين يأخذُ من الشيخِ ما يكفيه مدّة عمره، والإمداداتُ على قدر الاستعداداتِ.

[٧٤] **ومن كراماته:** لما توفي الحبيبُ علوي بن عمر حامد، تمنيتُ حاله، فلذا طلبته، لأنه قيلَ: إن حالَ علويٍّ بن الفقيه دائماً في رَجُلٍ من آل أبي علوي، ويقالُ: إن العمّ علوي حامد قائمٌ بهذا المقامِ، ووارثٌ حالَ هذا الإمام، فلما وصلتُ (الحاوي) لأعلم الحبيبَ الحسن يطلَع لجنازةِ العمّ علوي ليصليَ عليه بالناس، قال لي كشفاً منه، لما تمنيت أين يعطيني الله حال علوي المذكور، فقال لي: حالُ علوي حامد لغيرِكَ، ويقع لك خيرٌ من حاله، فرجوتُ الله أن يتممَ كلامَه، إنه المعطي الجوادُ، آمين.

[٧٥] **ومن كراماته:** اطّلع على موتِ علوي بن الحامد بن عمر حامد، فلما طلع إلى الأوابينَ آخرَ ثلوثٍ في شهرِ رجب، كان الجمعُ العظيمُ في المسجدِ بحَضْرته يستعجبون منه، لأنه مستغرق كالمبهُوتِ في أمرٍ نازِ،ل ولم يأمر بالنشيد، على عادته في خلالِ القراءة في الكتب النافعةِ يأمر من يشاء من المنشدينَ.

فلما خرج إلى (الحاوي) صفورَ الشمسِ، عرفْنا الأمر، فتأدبنا، فلما كانَ بعد صلاة المغربِ رجعَ بعد صلاة النافلةِ وبعد صلاةِ الأوابين إلى بيتِه، قالَ لابنه أحمد والفقير والأخ عبدالله: اسْألوا الله العافيةَ، وردّدها علينَا مراراً، ثمّ كان بعد صلاة العشاء والراتبِ وما يعتادُه من النوافلِ والأورادِ، ينامُ في محضرته، والفقير وحدَه ينامُ عندَ رأسه. رأيته تلك الليلة ما قرَّ له قرارٌ، وكلَّ ساعة يقول: ما بعدْ خرَج والدك إلى المسجد ويقومون الناس؟ فقلتُ له: عاده ليل طويل، ولم يزل في شجَنٍ وأمرٍ عظيمٍ، حتى صلى بالناسِ صلاةَ الصبح في المسجدِ جماعةً، فبعد السلامِ من الصلاةِ خرجَ إلى تحت المسجد، ولم يسبّحْ، ووقف ساعةً وأنا معَه تحت المسجدِ كالمبهوتِ.

ثم رجع إلى المسجد فلما أتموا الحزْبَ من القرآنِ ودعا بهم، وخرج إلى البيتِ، والوالدُ وأولاده يتبعون سيدي، فلما وصلَ هو وإياهم إلى البيتِ، ضرب رجلٌ على البابِ، فقال الحبيب الحسنُ قبلَ أن يعلمَه أحدٌ بالوفاة: «لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ»، واسترجعَ، وكان الحبيب الحسن يحبّ علويَّ هذا كثيراً، ويشير إليه بالولايةِ ورُجْحان العقلِ، ويثني عليه ببرِّه لوالديه، رحم الله الجميعَ، وأعاد علينا من أسرارهم آمين.

[٧٦] **ومن كراماته:** أنه خرجَ الأحدَ على عادتِه لمدْرسَه في (السُّبَير) من أعمال (دمُّون)، ويحضُر الجمعُ العظيم للمَدْرس، فلم تمَّ المدرسُ وكان في الطريقِ راكباً يكلمه المحبّ أحمد علي عبدُون، فقال لسيدي: يا حبيب حسن، زوجتي عندها حمل، وأطلبُ منك أن يرزقني الله من هذا الحمل ولداً ذكراً، فأطرقَ سيدي، وقال له: خُلقَ هذا الحمل في بطنِ زوجتك أنثَى، وستحملُ بعد هذا الحملِ بولدٍ، ويعيش، وسمّه سالماً، ويتزوج ويبقَى بعدك. فكان كذلكَ، ولدت بنتاً، ثم بعدَه حملت بالولدِ، وسماه سالماً، وكبر وتزوج وبقيَ بعد وفاةِ والده، فسبحان الملك الودود، المطْلعِ أوليائه على عين الشهود.

ومنها: أن رجلاً من السادةِ كان نازلاً بـ(سيون)، وله قرابةٌ في (تريم)، خرجت منه كلمةٌ على وصية الحبيب عبدالله الحداد، بأنها ما ثبتتْ عند القاضي، بل بإقرار أولاده كلهم، فغضبَ سيدي، فقال: «هذا الرجل يسيرُ إلى بلدهِ ويموتُ ليلة زفافِ بنته،ولا عاد يصل إلى تريم بعدَ هذا المجيء»، فكان كذلكَ.

فقال له عبدون: لمَ على كلمةٍ أدبتَ فلاناً؟ يعني المتقدّمَ، وفلانٌ جرَى منه في حقّك أكثر؟ قال: «إنه ذو أولادٍ، إذا دَعينا عليه مَنْ لأولاده من الخلق؟»».

[٧٧] **ومن كراماته:** كان ليلةً خارجاً من البيتِ ليصلي بالناسِ العشاءَ على عادته في كل صلاةٍ، وصلى بهم إماماً، وتقامُ الصلاة بعد أن يسلمَ عليهم سلامَ

الداخلِ، ويتقدم إلى المحرابِ، لأنه يتنفلُ النوافلَ القبلياتِ في البيتِ، فلما خرج ماسكاً بيدي على عادته آخِرَ عمره، لدغتني عقربٌ، فاستغثتُ به فلمْ تضرَّني أصْلاً أبداً من بركاته.

ومرةً لدغتني وحْدي، فجار التعبُ، ولم أقرَّ قراراً من شدةِ الوجعِ، ولم ينفع الدواءُ والرَّقى، فجئتُ إلى عند الجد الحسنِ وأعلمتُه، فمسحَ بيده الشريفةِ على الوجعِ فسكن في الحالِ، كأن لم يكنْ بي وجعٌ، ببركاته نفع الله به آمين.

[٧٨] **ومن كراماته:** اطلاعُه على ما منحَ الله به الحبيبَ شيخ بن محمد بن شيخ بن حسن بن علي الجفريّ من المراتبِ والمقاماتِ، فإنه لما وصلَ الحبيبُ شيخٌ إلى حضْرتِه زائراً، قال لي سيدي: «إن السيدَ شيخ يبلغُ مرتبةَ كذا، ويطول عمره، ويكون مظهر والده وأجداده». فكان كذلكَ. وزيارتُه هذه محاذيةٌ لأذانِ إبراهيمَ أبو الرسُلِ، حين أمرَه الله بقوله: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، فمن أجابَ مرةً رزق الحجَّ مرةً واحدةً، وإن أكثَر فأكثر، وكذلك الرسل والأكابر، زائرهم يدْعَى فيجيبُ، وكذلك ذكر الله، لن تقدر تذكرَ الله إلا إن ذكرَك أولاً. والشيخ شيخٌ هذا دعوةُ سلفُه ومشايخُه فأجاب، وخرج من (مَليبَار) قاصداً زائراً، وطلب الإلباسَ و الأخْذَ من سيدنا، فألبسه وأخذ عنه. كما قالَ في «منظومته» التي شرحَها:

ألبسني شيخي على الوجْهِ الحسَنْ ذاكَ ابنُ عبدِالله مولانـا الحسَـنْ

وستأتي هذه «المنظومة» برمَّتها آخرَ البابِ الخامس.

وكذلك والدُه وأجدادُه آل علوي، إلى جده الثالث، كلهم أخذوا عن الحبيب عبدالله الحداد وحلَّ عليهم نظرُه، وكذلك عمه علوي بن شيخ، وإخوانه عبدالرحمن وأحمد وعبدالله، الذي بشَّر به الحبيبُ عبدالله قبلَ وجودِه، وسماه عبدَالله، كلهم أدركوا الحبيب عبدَالله وأخذوا عنه، فكان الحبيبُ شيخٌ بعد زيارتِه وأخْذه، قطعَ الأسبابَ،

وانفتحتْ له الأبوابُ، ببركة سيدنا، لما حصَل منه من التوجّه التامّ، وبلغَ الرتبةَ التي أشار إليها سيدُنا فيها أظنُّ، لما تحققتُه من أخبارِ الواصلينَ إلى حضرته، وكلٌّ يروي ويحدّثُ بما رأى لا بما سمعَ، حتى بلغ حدَّ التواترِ لا الآحادِ، وهو الآن لم يزل في ازديادٍ، ويفيضُ عليه الإمدادُ من ربِّ العباد، والحمد لله رب العالمينَ.

[٧٩] **ومن كراماته العظيمة**: أن الأخَ عمر بنَ أحمد؛ فعل هو والسيد حسين بن طاهرِ بن هاشمٍ، وعلي بن محمد الكاف، وجملةٌ من السادَة مخرجاً في (النِّعَير) فسحةً، فقال لي سيدي: ما تحبُّ مثلهم الفُسَح!، بل تحبّ القراءة علينا. ثم تكلمَ بكلامٍ بشّرني به، ثم أشار إلى أن عمر أخي سيدَرّس في المسجدِ بعد العصر، وغير ذلكَ، بعد الوالد، فطالت الأيام، وامتدّت الليالي بين كلامه وتدريسِ الأخ عمر، ثم بعد ذلك درّسَ كما قالَ، فأعظِمْ لإشارته هذه مع طُولِ السنينَ، كغيرها من مكاشفاته نفع الله به.

[٨٠] **ومنها، وهي أجلُّها**: أنها كثيراً تحدثُ له الغَوبةُ من عظْمِ الحالِ، وخصوصاً بعدَ الوضوءِ، ويتكلم بكلامٍ من المكاشَفاتِ. ومرةً في رمضان رأيته وقْتَ العصرِ يرفع رأسَه إلى السماءِ ويضَعُه، ورأيت في المنام ذلك اليوم كأن سيلاً كالوسخ أسودُ خرجَ من البلدِ إلى (الحاوي)، فقلتُ: هذه ذنوبُ أهل البلدِ.

فلما توضأ سيدي لصلاة العشاءِ والتراويحِ وأراد الركوعَ لسنةِ الوضوءِ، فلم يقدر، وحصلت عليه الغَوبةُ الشديدة، والتحمّل العظيم، فأخرَجنا الوالدُ من عنده، لأنه يتكلم بمغيباتٍ وكشوفاتٍ عظيمة، ثم إني قلتُ: هذا سيدي، والحال الذي به مؤذنٌ بنُقلته، لشدته، ولا يعيشُ منه. فلما طالَ الانتظارُ على أهلِ المسجد أرسَلُوا يطلبون سيدي يصلي بهم، فخرج الوالدُ أحمدُ يصلي بالناسِ، ودخلنا على الحبيب حسَن، فحينَما دخلتُ قالَ لي: توقعتَ علينا أننا نموتُ من هذا؟، عاد عُمْري يبلغ عمْر الوالدِ أو عمر عبدالله باعلوي، ثم ذكر أناساً بالبلدِ أنه من أهلِ السرِّ، كالسيد عمر بن

محمد بلفقيه، وقالَ: إنه أكبرُ حالاً من أخيهِ عبدالله الأعمى، المعتقدين فيه أهلُ البلد (تريم).

ورأى السيدُ الأنور، علوي بن إسماعيل بن أحمد العيدروس، صاحبُ المنصبِ ببلد (تاربة)، كأنه في برّيةٍ بيضَاء نقية، وأقبلوا فيها يسيرونَ أربعةُ نفرٍ معاً، الأوسطُ طارحٌ يدَه اليمنى على واحدٍ، واليسرَى على الثاني، والرابعُ يدور على الأربعةِ، فلما قربوا إلى عند السيد علوي، رأى عليه نوراً ساطعاً، وهيبةً عظيمةً، فقال له الذي يدور عليهم: هل عرفتَ هؤلاء؟ قالَ له: ما عرفتُ إلا الأوسطَ، الحبيب الحسن بن عبدالله الحداد، فقالَ له: والذي طارحٌ عليه يدَه اليمنى الفقيهُ المقدم محمد بن علي، والذي طارحٌ عليه يدَه اليسرَى جدُّك عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وأنا والدُه. فلما انتبه من هذه الرؤيا قصدَ سيدي للزيارةِ، فلما وصل قريبَ البيتِ، قال سيدي مكاشفاً: افتَحُوا للسيد علوي بن إسماعيل، جاء زائراً، فما دخل على سيدي وأديرتِ القهْوة، نوَى السيد علوي أن يشرب سيدي من الفنجانِ بعضَ القهوةِ ويعطيه الباقي، فشرب سيدي البعضَ وأعطاه الباقي كشفاً منه، نفع الله به.

[٨١] **ومن كراماته نفع الله به:** كان إذا وُضعَ بين يديه مريضٌ أو عليلٌ فنفثَ عليه أو مسحَ على العلةِ برئَ بإذن الله، وهذا شيءٌ واسعٌ، رأيناه عياناً في كثيرٍ من أهلِ الأمراضِ، يأتيه صاحبُ الصداع، أو الحمّى، أو رياح، أو جراحة، أو رَمد، أو غير ذلك، فينفث عليه، أو يمسحُ على العلةِ، فيبرأ بإذن الله. ولو كتبنا ما أرِينا من ذلكَ، لا ما سمِعْنا من ألسنةِ الناسِ لخرجَ عن الحصْر.

ويصدقُ فيه كلامُ سفيانٍ الثوريِّ، قالَ: «من اجتمعت فيه صفتانِ من هذه الأوصافِ لم يفضُله أحدٌ من أهلِ زمانه، وهي: الشريف السني، والفقيه الصوفي، والعالم الزاهد، والغني المتواضع، والفقير الشاكر». بل اجتمعتِ هذه الأوصافُ في

أستاذنا، وإن **استُشْكِلَ** الغنَى والفقْرُ، لكونهما ضدَّينِ، **فقد يجابُ**: بأن المرادَ اجتماعُهم في زمانينِ، فيصدقُ اجتماعُهما في سيدي قبلَ حجّه وبعدَ حجِّه إلى قريبِ المماتِ، لما طلقَ الأسبابَ، فلما كان آخرَ عمرِه وكثُرتِ الصّلاتُ، وكبر أحفادُه، وحصل منهم النفعُ، إلى حالِ الغِنى أقربُ. ويحتملُ: أن الغِنَى غنى القلبِ، والفقر فقرُ القلبِ، كما قال بعضُ العلماء، قال ﷺ: «**إنما الغِنَى غِنى القلبِ، والفَقْر فقْرُ القلبِ**». والحمدُلله الذي خصَّنا بمشاهدةِ هذا الحبر الحكيمِ، كما قال النبي ﷺ لأبي هريرةَ: «**حكيمُ هذه الأمة**»، ووالدُنا السيد الحبيب عبدُالله لقبَ ابنه حكيماً، فيقولُ كثيراً: «حسنٌ حكيم».

[٨٢] **ومن كراماته**: أنه وصلَ إلى حضرته سيدٌ زائرٌ، قد طاف البلدانَ، وسار إلى الجهات البعيدة من (هندٍ) وغيرها، ويعرف لغةَ فارِس، والقلم الفارسيَّ، فقال لي سيدي قطب الزمن الحسن: «يا علوي؛ تعلم لغةَ فارِس، عادك تحتاجُ لها». فقلتُ له: ياسيدي أهلُ حضرموتَ ما يسيرونَ إلا إلى نحْو (الهند) و(السواحل)، وأما (فارس) قليلٌ أنّ أحداً منهم يسير إليها. فتبسّمَ، فعرفتُ أني سأدخلُها.

فلما قدّر الله لنا بعد وفاةِ سيدنا الجدِّ الحسن، بإذن الوالد أحمد، سافرنا إلى (الصّير)، وصلَ إلينا العلامة عماد الدينِ بنُ أحمدَ زائراً المرةَ بعد المرةِ، هو وتلامذته، وطلب منا السفَر نحنُ وإياه إلى (أرض فارس)، لأجل تقْوية أهلِ السنة من شُبهِ الشيعةِ الأرفاضِ، وقالَ: إن السادةَ القتَّالية الحسَنية يتبعونَ لكلامكَ أكثرُ، فلما رأيته وصلَ إلينا، وكثَّر في الإلحاحِ، أسعفْناهُ، وقلنا له: تقدّمْ إلى الجزيرَة الطويلةِ قبلنا، وسِرْنا بعدُ بمَن معنا، ولا يعرفون لغةَ فارسَ، فلما وصلنا بعْضَ بلدانِ الجزيرةِ، أعلمُونا أن الشيخَ عماداً سافرَ قبلنا إلى فارسَ، فعزمْنا على الرجُوعِ إلى (الصّير)، فلما وصلنا قبلَ طلوعِ الشمس بعضَ بلدان (الجزيرة)، رأيناهم مجتمعينَ لعِراضنا كلهم، فتعجبْنا، لأنا لم نعلمْهُم بأنا واصلينَ إلى بلدهم، فقالوا: إن شائباً في سنِّ المائةِ في بلدِهم كان يقرأ راتبَ الحبيبِ عبدالله الحداد بعدَ العشاء كلَّ ليلةٍ في البرْشَة الرَّحماني، حقّ علي شاه والي

العَجَم، رأى في اليَقَظة بعدَ قراءة الراتبِ جدَّك عبدَالله، وقال له: غداً قبلَ الشروقِ يصلُ إلى بلدكم بعضُ أولادنا، فسلمْ عليه منَّا، وقل له: يقولُ لك جدُّك: نحنُ معكَ، لا تخافْ ولا تستثقلْ من مَعك من الناسِ، اعْزم على سفرِ (أرضِ فارس).

فلما عزمنا، ووصَّلنا خُمَيِّر، رأينا قافلةً بها ضاعَ منذ ثلاثة أيامٍ بعضُ ركَّابهم، وفيهم كثيرٌ من يعرفُ العربيةَ والفارسيةَ، قال والي البلد: إن الحبيب عبدَالله الحداد تصرّف في ركابهم فلم يجدُوها، واليومَ لما وصلتم سيجدونَ ركابهم، حتى السفر يتيسّر لكم معَهم فكانَ كذلكَ، وجدوا ركابهم ذلكَ اليوم، وسافرنا (أرضَ فارس)، ومن بلدِ السادة القتالية (قَودَة)، وجدْنا فيها الشيخ عمادَ الدين منتظرَنا، فلما سمع بنا والي تلكَ الجهاتِ الشيخ محمد سعيد، طلبَ منا أن يزورَنا إلى بلد (قودة)، بلد السادة القتالية، فقال الشيخُ عمادُ الدين: مجيءُ الحاكمِ إلى بلد (قَودة) فيه ضرورةٌ وتعبٌ على أهل البلدِ، لكن نسير أنا وأنتَ إلى بلدِه (بسْتك)، لأنه سمعَ بقول الحبيبِ عبدالله الحداد: «ناظري وناظر ناظري في الجنة»، وأنت نظرتَ جدَّك الحسنَ، فسرْنا نحنُ والرسولُ الذي أرسلَه، ولا علم بنا إلا تحت البلدِ (بسْتك)، وأخذنا أربعةَ أيامٍ ببلدِه، وتذكرْنا كلامَ جدِّنا: «تعلمْ لغَة فارس، عادك تحتاج لها»، لأن الترجمانَ الذي يعرِفُ العربيةَ والفارسية معَنا، ولو تعلمنا لغةَ فارس حيثُ احتَجْنا لها خصوصاً في مواجَهتنا للعلماءِ وتآليفهِم، ولم يعرفوا العربيةَ، وإذا أنشد منشِدٌ بالفارسيةِ طربتُ له، وأنسَ خاطري به، وودتُ أن لو كان عرفتُ كلامَ أهل فارس، فاعجَبْ لهذه المكاشفةِ وغيرها من مكاشفاته، فإني لو أراد الله لي أن أكتبَ مدّةَ وقوفي بين يديه، لجمعتُ أسفاراً، ورويت جملة أخبار.

[٨٣] **ومن كراماته**: أنه زارَ هو والسيدُ علي بن عيدروس بن شهاب الدينِ، صاحبَ المديحة، في سيدنا عبدالله الحداد:

سَلْ سائلي إن تكنْ يا صاحبي فطِنَا   عن من أحبُّ وعما يجلي الحزَنا

إلى أن قال:

هو المسـمَّى بعبـدِالله بـن علـوي الـ ـــحدادِ ملجَانـا إن خطـبٌ ألم بِنَـا

وألبسه سيدي. وكان هو ابنُ عمِّه الحسينُ بن محمد، وأخوه شيخ بن محمد بن شهاب الدين، وعلي باحسن، وحسين بن عمر بلفقيه، صاحبُ هودٍ، وغيرهم من السادة، زاروا مع الحبيب الحسن الشيخَ (مَولى الراكة)، شماليَّ بلدِ سيدي (الحاوي).

فقال السيد علي بن عيدروس: كلٌّ يظهرُ كرامةً منكم يا سادة يا حاضرين، وأنا هذا خاتمي يسيرُ بنفسِه، ورماه فسارَ بنفسِه بينهم، ثم طاحَ الخاتمُ، فقال سيدي الحسن: «لا تمسكه»، فقالَ له: إن خاتمك يسيرُ بالخدّام الجانِّ، ما هو بحالكَ وتصريفكَ تسيّره، لأن السيدَ علي بن عيدروس صاحبُ ملكٍ في الجانّ، ثم رمى سيدنا الحسنُ هَرمُوز، سكيناً، من خَلفَة (مولى الرَّاكة) إلى تحت الجبلِ، فطلعَ سكينُ الحبيب الحسنِ يمشي بنفسِه طالعاً، إلى أن دخل عند السادَة وسلمَ عليهمُ السكينُ!، فقال سيدي للسيدِ علي: هذا التصريفُ بالحالِ لا بالجانّ، فتعجبَ من حضَر من هذِه الخارقة العظيمة الغريبة!.

[٨٤] **ومن كراماته**: ما أخبرني الفقيهُ محمد بن أبي بكر بانافع، وكان حجَّ مع سيدي الحسن سنةَ ١١٤٨، قالَ: دخل سيدي (مكة)، وعارضَه الأكابرُ من السّادة والعلماء وغيرهم، ودخلوا إلى بلدِ الله ثم المسجدِ الحرام، ودخلَ من باب السلامِ وهم معه، وكان لا يعرفُ مَن على يمينه ويسارِه، مستغرقاً في الحضُور والمشاهدة، فلما أراد أن يستلمَ الحجرَ الأسود صاحَ بأعلى صوتِه وبكى، ورأوه كأنه يخاطبُ رَجُلاً ويكلمُه، ويقبله، **قلتُ**: فذكرتُ عند ذلك كلامَ الإمامِ ابن عربيٍّ، أن الركنَ الأسعد تصوَّر له صورةَ رجلٍ وصَافحه.

ومن عجيب الخوارقِ: أن سيدي مدةَ إقامته بمكةَ معهُ داءُ الإسهالِ، إذا كان في الرباطِ الذي نزلَ فيه والدُه، حيثُ هو جلسَ فيه، لا يقفُ عنه الإسهالُ، بل يدخل

الخلاءَ المرةَ بعد المرة، وإذا دخل المسجدَ الحرام من صَلاة العصر إلى بعدِ قراءةِ راتب والده بالحرَم في المسجدِ بعدَ العشاءِ، لم يخرجْ منه ولم تتحركْ بطنه، رضي الله عنه، وهذا من لطفِ الله به، رضي الله عنه ونفع به.

[٨٥] **ومن كراماته وسرِّ نفَسِه الشريف**: أخبرني تلميذُه حسينُ بن أبي بكر بانافع، قالَ: إذا أعيتْ علينا مسألةٌ من المسائلِ الغامضَة في الفقه، ولم يظهر لنا معناها، فإذا كنا في الدرْسِ وحضَره سيدُنا وقرأنا عليهِ وأردْنا أن يعرِّفنا بتلكَ المسألةِ، فيلهمُنا الله بسرِّ نفَسِ سيدي معنَى تلكَ المسألةِ بعينها إذا قرأناها عليهِ، من غَير أن يكلمَنا ويعرّفنا بها، بل من سرِّ نفَسِه يلهمُنا الله من غير أن يكلمَنا ويعرّفنَا، بل من سر نفَسِه يلهمُنا الله معنى كلِّ ما تعوَّص علينا معناه، وهكذا كلُّ من قرأ عليه من الطلبةِ، إن لم يعرف معنَى بعضِ المسائلِ لغمُوضها، إذا افتتحَ على شيخِه في القراءة يعرفُها قبل أن يعْلِمَه بها، بل من سرِّ نفَسِ شيخه، فلما أعلمتُ والدي بكلام الفقيه الشيخ حسين، قال: الأمر كذلكَ وأعلى من ذلكَ، إنه يربي مريديه تربيةً لا يعلمُ بها إلا في الدار الآخرة، وبعضُهم يعرِفُها في هذه الدار، نفع الله به.

[٨٦] **ومن كراماته العظيمة**: أن من استندَ إليه يراهُ عندَ الشدائد يدركُه، وإذا ضاق الخناقُ بأحدٍ[1] من جماعتِه أدركَه في الحالِ من غير مهلةٍ، حتى شبّهوهُ بالشيخ عمر المحضَار، جلاليُّ الحالِ، لاسيما إذا ضاق المجالُ.

وكان رضي الله عنه مجابَ الدعْوةِ، دعا لأناسٍ فكانَ كما دعَا، ومن تعلقَ به حتى في البرزخِ يحضُر عنده. توفي رجل من الزُّبدَةِ، اسمُه أحمد بن محمدٍ، فرآه في المنام بعضُ الأخيارِ، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقالَ له: أردتُ أن أهلكَ، ولكن شي لله يا حسَن بن عبدالله، تشفعَ فيَّ فشفعَه الله، وعفا عني.

---

(١) وفي نسخة (إذا ضاق الخناق بامرئ من جماعته).

بل أعجبُ من ذلكَ؛ ومن أعظمِ اعتنائه: أنه في أيام حياته نفعَ الله به، كان يركبُ على دابة صَنْعانيةٍ مليحةٍ، وتعمرتْ بعدَ وفاته، وأتت من نسلها بجملةٍ من الدوابّ، وفي مرةٍ من المراتِ وقتَ الولادةِ، كان وقتَ القيلولة، ولا أحدَ عندَها في درعها، وولدَتْ، فنبّه سيدي خادمَه علوان با عِكَيم من المنامِ، وقال له: قُمْ إلى عند الدابة في الدّرْع، ولدتْ، ولم يعلم بولادتها أحد، فانتبه مرعوباً، وسارَ إلى عند الدابةِ فوجدها ولدتْ وحْدَها، كما قالَ نفع الله به، فسار وأعلمَ حبايبه برؤياهُ، فاعجَبْ لهذا الاعتناءِ، والحمدُلله رب العالمين.

[٨٧] **ومن كراماته العظيمة**: أنه آخر عمره يأمرُني أن أنامَ في المنزلِ الذي ينامُ فيه، فأراه في آخر الليل يكلمُ من لم أرَه، وبعض الليالي أسمعُ للذّكر زَجَلاً، ولقلبه زئيراً بالذّكرِ كالمرْجَل، وغالبُ الليالي تردُ عليه مواهبُ وهْبياتٌ وجزيلُ عطياتٍ، وأنوارٌ ساطعاتٌ، حتى إني يصيبني من ذلكَ طلٌّ من ذلك الوابلِ، فتثقل أعضائي كلها، وبدني، حتى اللسانُ ما أقدر أنطقُ بها، والعينان أنظر بهما، وأحمدُ الله على ما ألهمَ وعلمَ، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ، وأهل بيته المكرَّم.

[٨٨] **ومن كراماته**: أن سيدي آخرَ أربعاءَ في صَفر، يخرجُ باللائذين به والمتعلقين به وأناسٍ من المحبين يفعَلُ فسحةً طولَ اليومِ، في أنسٍ وقراءةِ كتبٍ من كتبِ الأدَب، ودواوين أهل الذوقِ، وبعد الظهْر إلى العصْر يقرأونَ المولد النبويَّ بحَضْرته، ويحصل في ذلك اليومِ من سيدي لبعضِ الناس دعواتٌ صالحاتٌ.

قال السيد أحمد بن أبي بكر مطهَّر: حضرتُ في بعض السنين المخرجَ هذا مع سيدي، فخطر في بالي بحَضْرته عسَى تحصلْ لي نسخةٌ من «نصائحِ» سيدنا عبدالله الحداد، ونسخةٌ من «ديوانه»، فكاشفني الحبيبُ الحسن، وقال لي: يا أحمد، يحصل لك «الديوان» و«النصائح»، فكان كما قالَ، يسّر الله لي «الديوان» و«النصائح» مكتوباتٍ في

مجلدٍ واحد، ودخل بهنّ رجلٌ عليَّ وأنا بمكةَ، فأخذتُ المجلدَ المذكورَ المبشَّر به من الحبيب الحسن، نفع الله به.

وأعلمني بعضُ المحبينَ الصادقين، وأقسم يميناً: أني بعد وفاة الحبيب الحسن خرجتُ مع ابنه العلامةِ أحمد المذكور، لمدادِ الرّبوعِ آخرَ أربعاءَ من صفر الخير، على عادة أهلِ البلد، فلما دخلتُ المكانَ الذي أرادوا فيه الجلوسَ للفسْحةِ، رأيتُ الحبيب الحسن جالساً، فبهتُّ ثم غابَ عن عيني، نفع الله به آمين.

[٨٩] **ومن كراماته العظيمة وهباته الجزيلة:** أنه وفد زائرٌ له من (دَوعن)، السيد علوي بن السيد محمد بن شيخ باصرة علوي، وهي آخرُ زيارةٍ له، فلما وصل (الحاوي) إلى عند[١] الحبيب الحسن، قال: إن علويًّا هذا جاءَ بحُروقتِه يابسَة، فقدحنا له فيها، فسيحدث عليه حالٌ ولا يطيقُ لحملِهِ، فيموتُ في ذلك الحالِ.

فكان كذلكَ، بدت شئونٌ غريبةٌ لهذا السيدِ، وسمع المخاطباتِ من رجال الغيبِ، واطلع على المغيباتِ، ثم إنه طلب السياحةَ فلم يحصُلْ له الإذنُ، فبقي يكابد المنازلاتِ، حتى ضاق عن مجالسةِ الغافلينَ جدًّا، وكاد يطيرُ إذا رأى أحداً منهم، ثم إنه اختلَى بشيخِه الحسن، وحصل له أزيدُ مما ظنَّ، وترادفت عليه المننُ، فرأيتُ وجهَه نوراً، وترك الأكلَ من الطعامِ إلا نادراً، واقتصر على شرب قهْوةِ القشْـرِ، وفيها سكّرٌ على العادة الحضرمية، ثم إنه زاد عليه الحالُ وصرعَه، ولم يقدر عليه، وبقي في حالةٍ عظيمةٍ، ستأتي عند ذكره في الباب الخامسِ إن شاء الله، وتوفي إلى رحمة الله، رحمه الله رحمة الأبرار آمين.

[٩٠] **ومن كراماته:** أن أكثرَ نظرِه بعَين قلبه، كما قال والده عبدالله:

مناظرُ للنّواظرِ من قلوبٍ … مطهّرةٍ زكياتٍ نقيّةْ

---

(١) وفي نسخة (إلى حضرة الحبيب).

فكان ينظرُ إلى قلوبِ الحاضرينَ، ويعطي من سأل ما في خاطرِه، وإن لم يتكلم، ويتفرّسْ في بعضِ الناس، نظُنُّ فيه الميلَ، فترى السيدَ يشيرُ إليه بالخيرِ، فيكون آخرَ عمره من أهلِ قيام الليلِ، وأناسٌ نظنُّ بهم الصلاحَ، فيكون آخرُ أمرِهم، لما أنّ سيدي لم يقبِلْ عليهم، تظهَرُ منهم أمورٌ قبائحُ، ومن اعتنى به في البرّ والبحر يلحَظُه ويحميه.

وفي سنةٍ من السنينَ، مع خروجنا من (عمان) إلى (حضرموت)، ونحن في (غُبّة قمَر) في البحر، رأيته نفع الله به في المنامِ عند رأسي جالساً، وسيداً آخرَ لم أعرفْه عند رجلي جالساً، وأنا نائمٌ، وقال سيدي للرجلِ الذي عند رجْلي: لا تخف عليه إنه قرأ دعاء ابن عباسٍ عند ركوبِه في هذا المركبِ، فانتبهتُ، فلما كان وقتَ الصبحِ وطلعتِ الشمسُ، رأينا شَوحَطتين كبيرتينِ جدًّا، وصلتا إلى قريبِ المركبِ الذي نحنُ فيه، وتعبوا وخافوا أهلُ المركب كثيراً، وأنا لم أهتمَّ، لقول سيدي للرجل: لا تخف عليه.

فأعلمتُ نوخَذا المركبِ بالرؤيا وأهلَ المركب، ففرحوا ثم درْن بنا ثلاثاً كالحلقة، ثم ذهبنَ عنا بحمدالله، ولم يضرّنا منهنّ شيءٌ ببركاته.

[دعاء ابن عباس]

ودعاءُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما، رأيته في «كتاب المدِّ والجزْر»، وفي كتاب «المصباح» وغيرهما، وسأنقله من خطِّ والدي أحمد:

«بسم الله، الملك لله، اللهُمَّ يا من له السمواتُ السبع طائعةٌ، والأرضونَ السبعُ خاضعةٌ، والجبالُ الشامخاتُ خاشعةٌ، والبحارُ الزاخراتُ خائفةٌ، احفظني وأنتَ خيرٌ حَافظاً وأنتَ أرحمُ الراحمينَ، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، الآيةَ، ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [هود: ٤١] الآيةَ».

قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: «من ركب البحْرَ ودعَا بهذا الدعاءِ عندَ ركوبِهِ،

فغرقَ، فعليَّ ديتُه»، قال الراوي: «فركبتُ (سِنجاراً)[1] مع نحْو عشرينَ مركباً، فحصلتْ ريحٌ علينا، فغرقَتْ كلها إلا المركبُ الذي كنتُ فيه، وقد دعوتُ بهذا الدعاء عندَ الركوبِ»، انتهى، والحمد لله رب العالمين.

[٩١] **ومن كراماته**: ما أخبرني سَعْد بن عبدالله بن سُمَير، قالَ: زرتُ مع الحبيب حسينِ بن طاهرٍ، والحبيب علي بن عبدالله الكاف، سيدَنا القطب الحسن بن عبدالله الحداد، تبركاً به وطلباً منه صالحَ الدعاءِ، لأنا والحبيبُ علي مرادنا نسَافر إلى (جاوة) ونستودع منه، وطلب الحبيب الحسينُ وعلي الكاف الإلباسَ، فألبسهما القبْعَ ثلاثاً، وألبسني بعدهما مرتينِ، وقال لي: مرادك تجيب من جاوة قليل كثير من الدنيا، فإنْ ألبسناك ثلاثاً لم تجيبك الدنيا، فلما خرجنا من عنده أعلمَني بأني أرجعُ بعد سفري إلى وطني، فإذا مرضتُ أو وقعتْ لي شدةٌ في برٍّ أو بحرٍ اطمأن خاطري وأيقنتُ بتمام كلامه، فلم أهتمّ لما قد أصابني من مرضٍ وغيره.

فرجعتُ، كما قال، إلى وطني بخيرٍ وفي خيرٍ، فلما وصلتُ لزيارته بعد رجوعي، قالَ لي نفع الله به: تزوجْ ما زلتَ تصلُ حبالك، فعلمت أن ما حصلته من (جاوة) بـايفُوت عليّ في حضرموت، فتزوجتُ، ثم إن ما جمعتـه، كـما أشـارَ، لم يثبـت معـي، كـما قـال: «مازلت تصل حبالك».

[٩٢] **ومن كراماته**: كما أخبرني السيد علي بن عبدالله بن حسين السقاف: أن من أهل سوق (تريم) رجلٌ كان يدانُ منه سيدي الحسن بن عبدالله، فكثُرَ على صاحبِ المخزَن الدَّينُ، فخرج يطلب دَينه من سيدي الحسن، فوجده في دهْليز بيته، فطلب قضاءَ دَينه، فاعتذر سيدي بأنه يرجو فتْحَ الله ويوفيه، فتكلم صاحبُ الدَّينِ بكلمةٍ جافيةٍ، فغضب سيدي، وقال: اقرُبْ، وكشف له عن الفراش الذي جالسٌ

---

(١) وفي نسخة (فركبت إلى سنجار).

عليه، فرأى تحته ما يوفّي دَينه بسواءٍ، فبهتَ صاحبُ الدَّين من ذلك، وبقي يتحدث بذلك.

[٩٣] **ومن كراماته:** أني أقرأ على سيدي الحسن في كتاب «الجوهر الشفاف في مناقب السادة الأشراف»، والقراءة وصلتْ إلى مناقبِ بعض الخطباء من أهل (تريم)، وأنه تأتيه زوجتُه بعد مماتها على لَونِ الحُور العين، ويقع له معَها ما كان يعتاده في حياتها من الوقاعِ، فلما تزوجَ كانت تأتيه ولا تمكّنه منها، فيوماً من الأيام رآها في المنامِ على عادته وهو في المسجد، فأرادَها، فأبت فجذَبها فجذبتْه، فانتبه من نومه وسمعَ خلخالها وهي تسير خارجةً من المسجدِ، فتعجبتُ من ذلك كثيراً. فقال لي سيدي الحسن: «لا تتعجب من ذلك، هذه كرامة سهلة، وسيحصل لك مثله».

وكان كلامه لي قبل وفاة زوجتي الأولى، فلما توفيتْ حصلَ لي معها مثلَ ما حصل للخطيب مع زوجته المتقدّم ذكرهما، فلما تزوجتُ بـ(عُمان)، امتنعتْ مثلَما امتنعت زوجة المتقدم ذكره، وقال لي الحبيب الحسن: إن جدّتك سلمَى بنت السيد حامد تأتي إليَّ بعدَ موتها، مثل حكاية الخطيب المتقدم ذكره.

[٩٤] **ومن كراماته:** أني قبلَ قراءةِ «الورد الكبير» صبحَ كلِّ يوم أقرأ المنجياتِ سرًّا، وجعلتُها من أعمالِ السرِّ، فكاشفني سيدي الحبيب الحسن، وقال: أنت تقرأ المنجيات قبل «الورد الكبير»، اقرأ أولاً «وِرْد حبيبك عبدالله»، وأتمه، ثم اقرأ المنجيات، لأن وقتَ التلاوةِ ليس محصوراً بوقتٍ، والأوراد محصورة بأوقات.

وكان سيدي الحبيب الحسن في وقتِ الشتاء، إذا قام يصلي في الليلِ، وآخرَ عمره الفقيرُ معه في المنزل، وأراه إذا دخل وقتُ الصبحِ يركع ركعتي الفجْر، ويأمرني بركعتي الفجر من حيثُ لا يعلِمُه أحدٌ بالوقتِ، ولا يأمر من يخرج ينتظر الفجر: هل طلع أم لا؟، بل يرْوَح ريح الجنة التي تهبّ عند كل وقتٍ من الأوقاتِ الخمسةِ عند دخول

الصلوات المفروضات، وقد جاء في الحديث: **«أن ريحاً تهبُّ من الجنّةِ عند دخُول الصلواتِ الخمس»**.

* * *

وكان سيدي الحسن إذا زارَ أكابر أجدادِه بمقبرة تريم المسمّى (زنبل)، جنَان (بشّار)، أراه عند الزيارة يحدّد نظره عند رؤية قبرِ بعض الأكابر، كأنه ينظره في القبر ويكلمه، وقد قال رجلٌ: إني سلِبتُ حالي بسبب إساءةٍ حصلتْ مني، وتقصيرٍ في حق سيدي عبدالله الحداد، ومرادي ابنيه علوي والحسن يشفعَان لي عنده، وإن كان سيدي قد ماتَ، فإنهما يسمعانِ كلام والدهما، فزارا والدَهما وتشفعَا للرجل عنده، فأمرهما أن يتلو قصيدةً من قصائدِ سيدي، وهي:

بشِّـر فـؤادَك بالنصـيبِ الـوافي   من قرْبِ ربّكَ واسعِ الألطَافِ

إلى قوله:

وأنِـبْ إلى دارِ الكرامَـة والبقَـاءْ   وعنِ الدنيّة كنْ أخي متجَـافي

ويكرر البيتَ هذا، فاستعمل ما ذكره له، فردَّ الله عليه حاله، أو غالب حاله، كما أعلمني بذلك بعضُ الثقات.

* * *

والكرامةُ الكبيرة، هي الاستقامة، وكانت استقامةُ سيدي على الكتابِ والسنة كنارٍ على علمٍ، استقامةً تامة، يشهد له بذلك الصديقُ والعدوّ، والعالم والجاهلُ، قال المعلم الأنوَر عمر بن عبدالله با غريب: إني إذا قمتُ في قيام الليل وأتفكّرُ في معاني الآيات القرآنيةِ في تلاوتي وترتيلي، وكذا في غير الصلاة، مثل قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]،

وجملة من أوصاف المؤمنين، أرى سيدي الحسن بن عبدالله الحداد متصِفاً بها كلها.

وكان ما يأخذُ بالمفتَى به، بل يأخذُ بالأشقِّ على النفسِ، ويأخذ بأعلى مراتب الزهدِ، من المبالغة في الورع الحاجزِ، مع الحبِّ في الله والبغْض في الله، واللسانِ الذاكر، مع القيام بالأمر والنهي، وبذل العلُومِ ونصْح أهلِ الإسلام، والنفع العامّ، المتعدي لخلق الله تعالى، بل أجمع أهلُ وقتِه أنه أكبرُ آل أبي علوي سنًّا وحالاً، وعلما وزهداً.

* * *

وورِثَ أباه قطبَ الأقطابِ عبدالله الحداد، ونشَر طريقته، وألحق الأحفاد بالأجدادِ، وصار مظهرَ والدِه، وكان والدُه في مرضِ موته في السَّحر أربعينَ ليلةً يدعو له ثلاثاً: «يا حسن حسَّنَ الله عافيتك»، وذلك بعدَما يقرأ الفاتحةَ.

وكان يقولُ في ترتيبه:

«الفاتحةَ؛ أن الله يغفرُ الذنوبَ، ويستر العيوبَ، ويصلح أمور المسلمين، ويكفينا وإياكم شرَّ الطاغينَ، وشرَّ الباغينَ، وشرَّ الحاسدين، وشرَّ المعتدين، وشرَّ المستكبرينَ، وشرَّ الغاصبينَ، ويرحمَ المسلمينَ، ويفرِّجَ على المسلمينَ، ويشفي أمراضَ المسلمين، وأن يوفِّقَنا لما يحبُّ ويرضَى، ويختم لنا بالحسنى، ويجمعنا وإياكمْ في مستقرِّ رحمته، مع اللطف والعافيةِ وإلى حضرة النبي محمد ﷺ».

ثم يقولَ بعدَ قراءة الفاتحةِ كما تقدّم، يشير بإبهامه إلى ابنه، ويقول له: «يا حسَن حسَّنَ الله عاقبتك»، ثلاثاً، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم وأسْرارهم في الدارينِ، آمينَ.

انتهى البابُ الثالثُ، وهو بابُ الحكاياتِ

ويليه الرابعُ، في الخصوصيات.

* * *



البابُ الرابعُ

في الخصوصياتِ التي اختصَّ بها من والدِه

البابُ الرابعُ

في الخصوصياتِ التي اختصَّ بها من والدِه

وبعضُها مفرقةٌ في هذا الكتابِ على الأبواب الثمانية، وكلامُ والدِه وشيخه ومربيه وما خصَّه به، أرفع وأعلا من كلامِ غيره، فهو القطب الكبير، والغوث الشهير، حجة الإسلام، وخاتم الأكابر والأعلام، من جمع الله له العلمَ والعملَ، والحقيقة والشريعة، والكرم والجود، وإمام زمانه على الإطلاق، حتى لو حلف حالفٌ بالطلاقِ أنه أعقَلُ الناسِ، وأصبرُ الناس على الأذَى والبلوى في زمنه، وأعظم الناسِ مجاهدةً، وأنِ لا نظير له في وقته ما حنثَ. ولو سُئلنا عن ذلك لقلنا له: إنك صادقٌ. والله إني ما رأتْ عيني مثله، كان عاملاً بالحقِّ، آمراً به، لا يخافُ في الله لومةَ لائمٍ، ولا بطشَ سلطانٍ وظالمٍ، حتى كان يعرَفُ بذلك عند الخاصِّ والعام، أنه آمرٌ بالمعروفِ، مؤتمر به وناهٍ عن المنكر ومنتهٍ عنه، وكانَ والله شديدَ الخشيةِ والقوة في دينِ الله، لا يطمعُ فيه القوي، ولا ييئس منه الضعيفُ، صوّاماً قواماً، كثير العبادة والمراقبة، موزّعاً لأوقاته كلها.

وأما اجتهادُه في رمضانَ، وخصوصاً آخرَه، فأمرٌ لا يقدَّر قدره، ولا يوصف بوصفٍ، حتى قد يطيحُ على الأرضِ وهو في صلاة النفلِ قائماً، وتأخذه غوبةٌ ساعةً، الله أعلمُ هو من تفهُّمِه في معنَى ما يقرأه، أو غير ذلك. ومع كثرة عباداته واجتهادِه العظيمِ، لا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً، يتواضعُ للكبير والصغيرِ، وكان عاملاً بالسنة النبوية جميعِها، متبعاً للحقّ، يدورُ معه حيثُ دارَ، لا يراقب أحداً من الناسِ في ذلك،

القريبُ من قرابته في الحقِّ عندَه كالبعيدِ.

وكان والله ذا هيبةٍ عظيمةٍ، رزقه الله الجلالَ، فكان لا يراه أحدٌ من الناسِ إلا هابَه، كائناً من كانَ، قالتْ أخته سلمَى: «هيبة حسنٍ مثلَ هيبة الوالدِ القطب عبدالله، كنا لا نخافُ إلا منهُما، بخلاف بقية الأصناءِ».

وكان صاحبَ جدٍّ واجتهادٍ، وحكمة من صغره، حتى سماه والده حكيماً، واشتهر بهذا الاسم كثيرا، وحقق الله له معناه، فهو أي الاسمُ هذا أولُ خصوصياته، قال الإمام البغوي في «تفسيره»: «الحكيمُ من جمع الله له العلومَ جميعَها وعملَ بها كلها»، وقالَ في سورة لقمان: «الحكمة العقلُ والعلمُ والإصابةُ في الأمور».

* * *

وكان سيدُنا القطب الغوث عبدُالله الحداد، والدُه، يخصُّه بخصوصياتٍ كثيرةٍ زائداً على إخوته، وينوِّهُ بوفُورِ علمه وعقله، وأنه سيقعُ له شأنٌ عظيمٌ. أخبرني المحبّ علي باحرْمي، أنه قيلَ للحبيب عبدِالله الحداد: إن ولدكَ الحسنَ يحبّ الخروجَ إلى (حيالِ تريم)، ويستريح بالخروجِ فيها، قال لهم: خلّوه يفعل ذلكَ، عاده إن طالَ عمره يقعْ له شأنٌ عظيم. فقد تمَمَ الله كلامَ والدِه، طال عمرُه ووقعَ له شأنٌ عظيم، فهو من خصوصياته.

وقال والدُه سيدنا القطبُ عبدالله الحداد فيه أيضاً: إن طال عمر حسَن يصيرُ حجةً على علمِه، وإن قصُر عمره علمُه حجةٌ عليه، فقد طالَ والله عمرُه كعمرِ والده، يجمع تاريخَ عمْرهما: «وليٌ جلي»، عدا تسعٍ وثمانين سنةً وثلاثةَ أشهرٍ، زادَ على عمْر والده بثلاثةِ أشهرٍ، وقد طالَ عمره وتمَمَ الله قولَ والده، وصار حجةً على علمِه الواسع، فهذه من خصوصياته.

وقال سيدُنا عمر بن حامد المنفِّر، تلميذ الحبيب عبدالله الحداد: إن بعض إخوان الحبيب الحسنِ تكلمَ عليه في أمرٍ، فلما سمعَ الحبيبُ عبدالله قالَ: علمُ حسن حجةٌ عليكَ، لأنه لا يعملُ إلا على مقتضى العلمِ.

وكان بعد وفاة والده أرادَ أخواه الحسينُ وعلويٌّ يقرءانِ عليه في الفقهِ، الحسين وصَّى له علويًّا، فكلمه علويٌّ، وقال له: نريد أنا وحسين نقرأ عليكَ في الفقْه، فعيّنْ لنا وقتاً نخلو فيه، فأبى الحبيب حسَن، وقال: الذي معكما من العلمِ يكفيكُما،لأنهما أسنُّ منه،وتواضعَ لهما،لأنه كان ماقتاً لنفسِه، يبغضُ الجاهَ والصيتَ والشهرةَ من صغره،جبلةٌ جبلَ عليها.

* * *

وأخبرني تلميذُه الشيخ سعيد بامحمد العمودي، قالَ: إن سيدي الحبيب حسن، قالَ: صليتُ صلاة الاستخارةَ مراتٍ على أن أفعلَ شرحاً كبيراً مبسوطاً على «حديث جبريل»، كما أوعدَ به الوالدُ، لكن فكرتُ: لو تكلمَ عالم في مسألةٍ حررْتُها وأثبتُّها في الشرحِ المذكورِ، هل تقومُ نفسي أو تقولُ: هذا خرج بنيةٍ صالحة ولا يقومُ الغضَب من النفس؟، فإذا نفسي ما أمنتُ عليها أن تقومَ، فتركتُ الشرحَ لدخول النية.

قلتُ: لأن أهلَ الله جميعُ عباداتهم ما يفعلونها إلا إذا حضرتِ النيةُ الخالصةُ، ولهذا ابنُ سيرينَ: لما ما حضرتْ له النيةُ الخالصَة لم يصلِّ على جنازة الحسنِ البصري، لعدم حضور النية عندَه. وقالَ سيدنا الحبيبُ العارف عمَر حامد: أعطي الحبيبُ الحسن بابَ المقابلة، ما يجيء من أمرٍ ولا حادثٍ إلا قابلَه بما هو أحسنُ منه، كما أخبرني بلك تلميذُه محمد بن أبي بكر بانافع.

* * *

وكان أيامَ المجاهدةِ والطلبِ كثير الاجتهادِ، قليل القوتِ، حتى قالَ: إن والده

ينهاه عن ذلكَ، ويقول له: ما حصّلنا الذي حصّلناهُ بمثلِ مجاهدتك، بل بالتدريج، أشفقْ بنفسك. قال نفع الله به: وكان معي حدةٌ في المجاهدَة وطلبِ العلم، وأيامَ المجاهدة أظلي من بكرةِ النهار إلى أن أسمعَ الظهر من مسجدِ باعلوي أتعبدُ بأنواعِ العبادَة في (غيلة الحداد) التي بـ(جبلِ النّعير)، الوادي المبارك، وفي أيام حدّة الطلب بنينَا الرّقاد الشرقي حقّ الشيخ (مولى الراكَه)، المعروف بتريم، في الجبل النجدي شمالي (الحاوي)، كان سيدي وكانَ الحبيب عبدُالله يقول: في خَلَدي أن اسمَه مسرورٌ، أنه من ذرية سيدنا عبدالقادر الجيلاني، رضي الله عنه.

* * *

وكان الشيخ علي بن عبدالرحيم، قاضي تريم، فقيهاً محرِّراً، وكان يخرج كلَّ يوم إلى (الحاوي) وقتَ الخلوة والصفْوة إلى المسجد، ويطالعُ هو وسيدي الحبيب الحسن في «تحفة ابن حجر»، ويحضِـران الكتبَ المعتمدة، وتطول بينهما المذاكرة والمباحثة هو والقاضي علي المذكور، وقد يجيء إلى عندهم العلامةُ الكبير أحمد بن زين الحبشـي، وإذا سمعَ مباحثتهما يقولُ للقاضي: لا تعَاشي حسَن، فهمُه يزيد على فهمك.

وإذا جاء الحبيب أحمد بن زين الحبشي إلى (تريم)، يأمره والده بالقراءة عنده صبحَ كلّ يومٍ في كتب الفقه في دار والدِه القطب عبدالله الذي بـ(تريم)، وقد يأمره والده تارةً، وتارةً قد يطلبه الحبيبُ أحمد المذكور بالمسير إلى (خلع راشد) كلَّ سنةٍ، ويأخذ عندَه نصف شهرٍ أو أكثر، حتى الدار الذي يجلس فيه سمّوه (دار الحداد). وكانت تحصل بينه وبين الحبيب أحمد المذكور المذاكراتُ والمحاورات والمجاهدات.

قال سيدي الحبيب الحسن: كان الحبيبُ أحمد يحب القراءة والمذاكرةَ كثيراً جدًّا، حتى أني أقرأ عليه في «منهاج النووي» في الفقهِ ونحن في زيارة نبي الله هود ﷺ، ويوماً من الأيام في شعب هود ﷺ أقرأُ عليه، فحصل له ذوقٌ، وقال: أريدك تقرأ

جميع «المنهاج» وتختمه في هذه الجلسة.

* * *

وكان سيدنا عبدالله الحداد والدُه يأمره كثيراً يطلع إلى (تريم) من (الحاوي) إلى عند الحبيب أحمد بن عمر الهندوان، وكان الحبيب أحمد الهندوان يحبه كثيراً جدًّا، ويميل إليه، ويقدمه ويعظمه، كالسيد أحمد بن زين الحبشي فكان الحبيب أحمد الهندوان إذا رفع يديه للدعاء، أو جاءت القهوة، لا يتقدم على الحبيب الحسن، وكان سيدنا الحبيب الحسن من محبته في الحبيب أحمد الهندوان، كان يشبهه في كثير من أفعاله وأقواله، وسيرته وأحواله، وله معه وقائعُ كثيرة.

* * *

وكان رضي الله عنه جلُّ انتفاعِه واستمداده من والدِه القطب عبدالله الحداد، لا يقدّم عليه أحداً من سابقٍ ولاحق، إلا جده المصطفى محمدا ﷺ، وآله الكرام وأصحابه، وإذا ذكر والدَه ذكره بتعظيمٍ واحترامٍ، وهيبة ووقارٍ، حتى يقول القائلُ: هذا من أعظم المعتقِدين والمريدينَ الذين كُشفَ لهم عن أحوال ومزايا القطبِ الأعظم عبدالله الحداد، لا يشك في ذلك أبداً.

وقرأ عليه كتباً كثيرةً، فقهاً وتصوفاً وحديثاً، لا تعد ولا تحصى، وخصَّه بخصوصياتٍ عظيمةٍ، فمنها: قال العلامة الحبيب محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد في مناقب القطب الغوث الحبيب عبدالله الحداد»، قال: «قال الحبيبُ الحسن بن عبدالله الحداد: كنتُ أقرأ على والدي بعد صلاة الظهر في الفقْه وحدي في الدار أنا وإياه، قرأت كتباً عديدةً، منها المنهاج للنووي، والوجيز للغزالي، والتنبيه لأبي إسحاق الشيرازي، والإقناع للشربيني، وغير ذلك. وآخرُ ما قرأته عليه شرحُ المنهاج للمحلي، وكنت أطالع عليه وحدي كتباً كثيرةً، من شروح المنهاج وغيرها. فإذا قرأتُ

على والدي نفع الله به أفادَني فوائدَ كثيرةً، وبحوثاً غزيرةً، وقواعدَ ومسائل عجيبةً غريبةً، لم أجدها في الكتبِ المذكورة». وكان يخصه والده بهذا الدرسِ وحدَه.

* * *

ومما خصه به أيضاً: مدارسة القرآن العظيم هو وإياه وحدَهما مع الشروقِ، أو قريب الشروق وبعده، قال سيدنا الحبيب الحسن: «نقرأ والوالد عبدالله كل يوم نصف جزء بترتيلٍ وتفهم، ولما جاء الأخ حسين من الحج سنة ١١١٨، أراد أن يقرأ معنا في المدارسة للقرآن، منعه الوالد عبدالله، وقال: اقرأ يا حسن، وكنت أقرأ أنا وإياهُ مقراً بمقرأ، إلى أن يتم المدرس المذكور».

قلتُ: ومما أنعم الله به عليَّ أنه خصّني آخر عمره نحوَ أربع سنين، أن أقرأ معه وحدَنا على عادة والده نصفَ جزءٍ مقرأ بمقرأ، أنا وإياه، وتوفي ووقفنا على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، الآية.

* * *

ومما خصّه ومّيزه به والده القطب الحبيب الأوحد عبدالله الحداد: هذه المرتبة العظيمة في أيام حياته، ورآه لها أهلاً، وهي توليته له التدريسَ في كتب الفقه والنحو واللغة وغير ذلكَ من العلوم النافعةِ، وكان والدُه يدرّس في العلوم المذكورة وغيرها من كتبِ القوم ودواوين الرجالِ أهل الذوق والشوق كلَّ يومٍ في الضَّيقة، إلا يوم الخميس والاثنين، فيخرج إلى دهليز الضيقة المذكورة أيضاً، فلما رأى من نجابته وثقوبِ فهمه وغزارة علمِه، أمره أن ينوبَ عنه فيها دون إخوته، وميزه عليهم.

وحدثني الشيخ صالحُ بن محمد بانافع، تلميذ سيدنا عبدالله الحداد، وكان آخر من توفي من تلامذته، كانت وفاته سنة ١١٩٦، قال صالح المذكور: كنتُ وجميعَ تلاميذ

سيدي الحبيب عبدالله الواقفين ببابه، الطالبين منه العلوم، نقرأ على الحبيب الحسن في العلوم النافعةَ بأمر والده، فإذا أراد أحدُنا يختم الكتابَ الذي قرأ فيه على الحبيب حسن ناداه الحبيب عبدالله، وخلاه يختم عندَه أولاً، ثم يختم على ابنه في المدْرسِ.

ومرة ختمتُ على الحبيب الحسن «شرح الرحبية» للإمام الشنشوري، فناداني والدُه، وكان يجلس في الدّكّة التي في الدرج، عند البابِ المسمى البوني، بحيث يسمع كلام ولدِه، والطلبةُ في الدهليز المباركِ الذي فيه التدريسُ، فلما قمتُ إلى عنده، قبلت يده، قال: أردت تختم كتابك؟ قلت: نعم. قال: اقْرأ. فقرأتُ عليه، فإذا قرأتُ: «فلانٌ ماتَ وخلفَ كذا وكذا»، قالَ: رحمه الله، وإذا كانوا جمعاً، قالَ: رحمهم الله. ثمّ ختمتُ ثانياً على ابنه بدر الدين الحسن. وكان الحبيب عبدُالله إذا سمع مذاكرتَنا في مسألةٍ وطالَ الكلام فيها، أعلمَنا بما عنده فيها، فنتبع ما يقول.

وكان الحبيبُ الحسن آيةً في الفهم، لأن له ذهناً وفهماً خارقاً، وكان يحضر درسه من أهل المعرفةِ والعلم كثيرٌ، قال لي الحبيب حسن: «إنهم يباتون في بيوتهم واجتماعاتهم يدوِّرون في مدْرَسي المسائلَ الغريبة». وكنت أطالعُ كل ليلةٍ جملةً من الكتبِ، وأحشِّي على هامش نسْختي التي كتبتها بيدي من «المحلي» من ثمانية عشر كتاباً.

وقد قال لي سيدي الحبيب الحسن آخر عمره: «المسائلُ التي سألني فيها الحساوي احفَظها الآن، لا يراجعني[1] فيها كثيراً».

وكان الحبيب الحسنُ آيةً في الحفظِ، لأنه ما يسمع شيئاً إلا حفظَه، ويحفظ من المتون والمسائلِ وأبيات الشعر في الحكمةِ، وغير ذلكَ، شيئاً لا يقبله الذهن، آلافاً مؤلفةً، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم.

قال الحبيبُ الحسن: «إني آلي على نفسي أن لا أنامَ إلا وقد طالعتُ في «إحياء

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: لأنه يراجعني، ليستقيم الكلام.

علوم الدين» فصلاً، وفصلاً في «التحفة» للشَّيخ أحمد بن حجر، وكنت أطوّل في المطالعة فيها، وتحبّ وترغبُ نفسي لذلكَ، وكنت أطرحُ عندي وقتَ المطالعة قصعةً فيها سكر ولوز، وآلي على نفسي أن لا تطعمَ شيئاً من السكّرِ واللوزِ إلا بعد أن تحقِّقَ وتدقق الفصلَ الذي أطالعُه، وهكذا أسارقُ نفسي وأرغّبها.

وقال الحبيب الحسن: «اتخذت في المنزلِ الذي أجلسُ فيه في بيتِ سيدي عبدالله الذي في (الحاوي) تكيةً ومكاناً لسيدي الوالد عبدالله، لكثرة ما يأتي إلى عندي كلَّ يومٍ، ويسألني عن الكتابِ الفلاني، وأعطيه إياه، ويقول لي: افتَحِ الفصل الفلانيَّ، وانظر في المسألة الفلانيةِ، فأفتحُ وأنظر إلى المسألة، وكنت أجمعُ الكتبَ عندي لأجلِ ذلكَ»، رضي الله عنه. وكان بعضُ خواصّ تلامذة الحبيب عبدالله يقولُ: سمعت الحبيب عبدالله يقولُ: «علمُ حسن، يعني ولدَه، حجةٌ على فلان»، ويشير إلى بعضِ إخوان الحسنِ، وكان أسنَّ منه.

وقال الحبيب الحسن: «لما سافرتُ للحجّ سنةَ ١١٤٨، ما ادعيتُ العلمَ، ولا أظهرتُ أني أعرف شيئاً أصلاً، وإنما أظهرني الله عندَ الناس إرادةً منه لي، وأما أنا فما أريد الظهورَ، وأحب أن يصفو وقتي من الخلق».

* * *

وكان نفعَ الله به قرأ «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي رضي الله عنه أربعينَ مرةً، وقرئ عليه أكثرَ من ذلكَ، وقرأ من الكتبِ ما لا يحصى تعدادُه، وانظر في الباب الأول شيئاً من ذلكَ، وأما كتبُ الفقه فكثيرٌ جدًّا، لأنه أمعنَ في علم الفقهِ حتى شُهِر بذلكَ من أيام حياةِ والده باتساعه في علم الفقه، حتى كان من أولِ عمره إلى آخرِه إلى أن توفيَ يعمل على الأرجحِ من الأقوالِ في جميع أفعالِه وأعماله وإفتائه.

وكان يترك الزبادَ ولا يمسُّه، فقلتُ له: مالكَ منه؟ قال: «إن فيه قول، وإن كان

ضعيفاً، أنه نجسٌ، فتركته»، وكان في حقِّ نفسه مشدداً عليها، ويكلفها من الأعمالِ ما لا تطيق. قال الحبيبُ سقاف بن محمد [بن عمر] بن طه: «ما سمعنا بأحدٍ مثلِه من الأكابر في دحْقِ النفسِ وتهذيبها، وأنا أشهدُ أن نفسَه قد ماتتْ، وأنها مطمئنةٌ».

وكان آخرَ عمرِه يقومُ في الفرض والنفلِ، ينتفضُ انتفاضَ السبولة. قيلَ له: فعسى أن تقعُدَ في النفل، فقال: «إن الإمام زكريا الأنصاريّ آخر عمرِه يقومُ في الفرضِ والنفل، ينتفض انتفاض السبولة»، فقيل له: في الفرض قمْ، والنفلُ قد وسعَ الله لك، قال: «أكلفتُها على النفلِ، وأخافُ إن أطعتها في النفلِ طالبتني بالقعُودِ في الفرض».

وكان سيدُنا الحبيب الحسن ما تركَ شيئاً من عباداته مع كبر سنه، حتى يدخل العصَا معه إلى قبلة المسجد، وعند القيام يعتمدُ عليها وهي على الجدار، يقومُ قليلاً قليلاً، حتى أنه رضي الله عنه سنتينِ ما قدَر يقومُ من الكبر لا بعَصا ولا غيرها، فيصلي بالناس جالساً في المسجد، ويخرج كلّ صلاةٍ إلى المسجدِ يهادَى به اثنينِ، أو واحدٍ والعصَا بيده الأخرى.

* * *

ومما خصّه به والده قطبُ الإرشاد: ماحدثني سيدي قطبُ الزمن الحسن بن سيدي الأستاذ الأعظم عبدالله الحداد، قال: «فمن كراماتِ الوالد عبدالله، وخوارق عاداته: أني أيام الصِّغر إذا صافحتُ الوالد عبدالله بعد صلاة الصبحِ والعصرِ، وهو في القبلة، يأخذ بيدي ويدْخِلني القبلةَ في المحرابِ عندَه، أقعد بجنبه. وكان بعضُ الإخوانِ أسنَّ مني، وبعضُهم أصغر، وخصَّني من بينهم، إشارةً إلى أني أقومُ مقامَه بعد موته، وتطول مدتي في ذلكَ، فإني أدرّسُ في حياته نفع الله به صبحَ كلّ يومٍ بعدَ وفاته.

وأما مدْرسُ العشية بعدَ صلاة العصرِ، فمن بعدِما توفي الأخُ علوي، سنة ١١٥٣، والحمدُلله، جميعُ ما رأيتموني أفعَله في العاداتِ والعباداتِ رأيتُ الوالدَ يفعله،

إلا فرشَ السجّادة بعد الراتبِ، فإنها فرشتْ لي وللأخِ علوي عَرْضاً، وقد كانت تفرش للوالدِ طولاً، وقد أضاعفُ بعضَ الأذكارِ، رجاءَ أن يبلغ ذلك ما كان عليه الوالدُ عبدالله، وقد كان الوفائي يصنع قهوةً كل يوم، ويأتي بها للوالد عبدالله بعد صلاة الصبح، ويشرب الوالد فنجان، والثاني يشربُ منه قليلاً، ويعطيني إياه.

* * *

ومما يخصه به والده الحبيب عبدالله: ما حدثني به جماعةٌ من الثقاتِ، وسمعتُ ذلك من سيدي العارف الكارع من بحر المعارف، الحسن بن سيدي عبدالله الحداد، قال: إذا جاء طالبُ التلقين للذكر والمصافحة، يجعلني الوالد واسطةً بينه وبين الطالب للتلقين والمصافحة، فيأخذ بيدي الوالد وآخذُ أنا بيد الطالب للتلقين والمصافحة، ويلقنني الوالدُ وألقن الطالب، هكذا من يومِ نشأتُ يخصني بذلكَ، رضي الله عنه.

* * *

ومنها: توكيلُه في قبولِ عقد النكاح لوالده، قال الوالد أحمدُ عن والده الحسن: أن جملةَ عقد الحبيبُ عبدالله بأزواجه يوكِّلُ ولده الحسن يقبلُ له عقدَ التزويج، لبركته وصيانته وأمانته، واتباعه لأمره، لأن الحبيب عبدالله تزوج بنيفٍ وثلاثين امرأةً، أربعةَ عشر شريفة، والبقية من بيتِ أهل العلم والصلاحِ والعرب.

وكان الحبيب حسن يقول: «إني معتقدٌ ومتيقنٌ، بل محققٌ ظاهراً وباطناً، أن الوالد على الحقّ المبينِ في جميع أمره ونهيه، ولو أمرني أقتلَ واحداً من الأصناءِ لقتلته وعلمتُ حقًّا ويقيناً أنه على الصوابِ، ولو ظنَّ أهلُ الرسُومِ أنه خالفَ هذا الأمر ظاهرُ الشرعِ، لقصور أهل القصور عن ذلكَ، وإنه على الحق المبين».

* * *

ومما يخصّه به والدُه القطب الغوثُ عبدُالله: ما حدثني به الحبيب حسنٌ، قال:

«إن الوالد عبدَالله خصّني في شهرِ رمضانَ خصوصاً، يأمرني أن أصَلي عن يمينه في التراويح وفي كلّ فريضةٍ يصلي مأموماً إذا حضَر علوي، وإلا فأنا أصَلي بهم إماماً في آخر عمْر الوالدِ، نفع الله به، آمين. وكذلكَ: يأمرني أجلسْ بجنبه مدةَ «الوِتْرية»، ويخصني بجميع ذلكَ في شهر رمضانَ، ولا أعلم سرَّ ذلك، أعاد الله علينا من بركاته».

وحدثني الحبيب محمدُ بن حسين بن زين الحبشي، قال: قال الوالدُ حسين بن زينٍ، وهو أخُ الحبيب أحمد بن زين الحبشي، قال: إن الحبيب عبدالله الحداد ما رأيتُه يجلس مجلساً، ولا يدرّسُ مدْرَساً، ولا يخرجُ من بيته، إلا والحبيب حسن ولدُه معه، كائناً ما كان، لا يفارقه طرفةَ عينٍ، وإذا ركب والدُه على الفرسِ سارَ ابنه تحتَ الرّكاب.

ومرةً عثرت الفرسُ، وعليها سيدي عبدالله، فمسك الحسن بالحزامِ، ورفَعها هي وسيدي عبدالله، من قوته ونباهته، ما سقط سيدي منها.

وحدثني الشيخُ الأنور عبدالله بن محمدٍ الخطيبُ، وكان شيبةً منوراً، قال: إن مما نظرتُ بعيني الحبيبَ عبدَالله الحداد، وعاشرته، فما أرَى أحداً من أولاد سيدنا عبدالله ملازماً له أكثرَ من ابنه بدر الدين الحسن، وعلوي. وأما حسنٌ؛ فهو أكثَر، ولا أحدَ اليوم على طريقةِ الحبيب عبدِالله ويشبهه في جميع أفعاله وأقواله وعاداته وعباداته إلا الحبيب حسنٌ، قال ذلكَ، وكان سيدي في الحياةِ، نفع الله بالجميع، ورحمهما الله وألحقنا بهما في خير وعافية.

* * *

ومما خصَّه به والدُه عبدالله الحداد: ما سمِعْنا به من أولاد الحبيب عمر البار وتلامذتِه، عن الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار، قال الحبيب عمر: إن سيدي عبدالله الحداد في مرض موته أمرَ بطلوعي وطلوعِ عمَر بن عبدالقادر العمودي، وسيدي الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وكلِّ مريدٍ منتفعٍ، على واحد واحدٍ، إلى عنده، وإذا طلع

أحدُنا أمرَ بالماءِ، فتوضأ ويجمعُه في وعاء، ويقول للمريد: «اشْربه، ولا أطلبُ منكم إلا أن تدعوا لحسنٍ، أن الله يعينه على نفسه وزمانه، فإنه بايطول عمره، ويلقى من زمانه شدّةً»، ويترحّم على حسنٍ ابنه، ويدعو له كثيراً، ويأمر مريديه للدعاءِ له، محبةً منه له، ومزيةً له، وشكراً له على خدمته ونيته الصالحة.

قال سيدنا الحبيبُ عمر حامد، تلميذ الحبيب عبدالله الحداد، ومن أكبر المنتفعين به، قال: إن الحبيب حسَن أنعمَ الله عليه بنعمةٍ عظيمةٍ، وهي برُّ والدَيه، والقيام بحقهما، وما أوجبَ الله عليه لهما، أي قام ببرِّهما قياماً تاماً كاملاً، كما أمر به شرعاً، بحيث لا يطيق القيامَ بذلك أحدٌ مثله في هذا الزمان المبتور، إلا من وفقَه الله.

ولما توفي أمر ولديه حامداً وعلويًّا بملازمةِ سيدي الحسن، وقال لهما: إنه بارٌّ بوالديه، وأشهدُ أنهما ماتَا وهما راضيان عنه.

ولما سمعَ من سيدي الحبيب عمر البار يقولُ: «ما أعلمُ أن الحبيبَ عبدَالله أجاز أحداً إجازةً مطلقةً إلا الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي وأنا». غضبَ سيدي الحبيب عمر حامد، وقال: وأين هو من كلمة سيدي الحبيب عبدالله لولديه علوي والحسن: أقمتكما مقامي، وأنبتكما عني، وجعلتكما خليفتيَّ، وأديا عني، مثلَ أبي بكر الصديق، لما قال النبيُّ ﷺ للمرأة: «**إن لم تجِديني فأتي أبا بكرٍ**». **قلتُ**: ولعلّ سيدي الحبيب عمر البار أرادَ به تلامذتَه الذي خارجَ (تريم) بلد سيدي.

وسمعتُ أن سيدي الحبيبَ عبدالله الحداد قال لابنيه علويّ والحسن: «أنتما كهاتين، وأشار بإصبعيه، أشَار لخدمتهما لمقامِه بعد موته».

* * *

ومنها: هذه المنقبةُ العظيمةُ، والخصوصية الكبيرةُ، تولية والده له تمريضَه في مرضه الذي ماتَ فيه أربعينَ ليلةً، حتى أنه مرةً أراد أن يقعُد من منامه، وعنده أولاده

بالنهار، والحسن نام قليلاً، لأنه طولَ الليل باتَ ساهراً في خدمة والده، فقال لهم والدُهم: لا أحدَ يقْعدني منكم، نبهوا الحسنَ، لأنه أشفقُ بي منكم، فنبهوه فأقعدَه، كما أخبرني بذلك ابنُه المذكور المشهور، ولما أقعدَه قال له: «بارك الله فيك يا حسن».

وقال سيدي الحبيب محمد بن زين بن سميط في «المناقب الكبرى»: «إنه، يعني الحسنَ، هو الذي تولى تمريضَه، وحظي به دون غيره، وأخبرَه بوقائعَ ستقعُ، وبأمور قريبةٍ وبعيدةٍ في مرضِه المذكور، وأخبره بما يؤول إليه أمرُهم، وعيَّن له أعداءهم، وأنكم ستكْفَون شرَّهم، كما أخبرني بذلك». وأخبرني ببعضِ الوقائع المشَار إليها.

* * *

ومنها: توليته غسْلَه وتكفينَه والقيامَ بأمورِ ختمه، من الأثقال الكبيرة، والإنفاق في إطعام الطعامِ للآلاف المؤلفَة، كل ذلك بنفسِه وحدَه، وأعظم وأكبر من ذلك: حضُورُه الوفاةَ عنده وحْدَه، وما وقع فيها وفي تلك الليلةِ من الأمورِ الكبيرةِ.

قال سيدي الحسنُ، وسمعت من لفظه، وكذلك سيدي محمد بن زين بن سميط في «المناقب الكبرى»: «ابتدأ به المرضُ سادسَ عشر رمضانَ، وامتدَّ به إلى ليلة السابع عشر من شهر القعدة، وأخبرني ابنه الحبيبُ الأجلّ الحسن، وهو الذي تولى تمريضَه، وحظي به دون غيره، قال: كان في مرضه ذلكَ كثيرَ الذكر واللهَجِ بهذه الكلمات النبوية: «**كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ، ثقيلتان في الميزان، حبيبتانِ إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»، وهي آخر حديثٍ في «صحيح البخاري».

قالَ: «وكان يكررُ في مرضِه الذي قبلَه هذه الآيةَ الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، نفعَ الله به.

ولما قرُب خروجُ روحِه الزكية، رأيت بارقةً من نورٍ عمّت المنزلَ الذي هو فيه جميعَه، من الجهات الأربعِ، ومن جهة الفوق والتحت، وآنستُ إذ ذاك بنسيمٍ هبوبٍ

باردٍ، كاد السراجُ يطفأ منها، وأرياحٌ طيبة، فعند ذلكَ خرجت روحُه الطاهرة، وأكلتُ ما خرج من فمِه الطاهر الطيب، ومصصت لسانه».

قال سيدي الحبيبُ الأكبر، عمر البار: قال سيدي الحبيبُ الحسن: وخرج طائرٌ كبير ووقفَ على الطاقةِ فوقَنا أنا والوالد بعد وفاته، وتكلم بكلام فصيح ثلاثَ مراتٍ، وقال: أجزْنا الحسنَ عن أبي الحسنِ، أجزنا الحسن عن أبي الحسنِ، أجزْنا الحسن عن أبي الحسنِ، وكان الحبيبُ عمر البار يفتخِر بذلكَ لما أخبره سيدنا الحبيب وحْدَه بذلك، لعُظْمِ عقيدته، كما سمعْنا عن أولاد سيدي عمر البار.

قال سيدنا الحبيب الحسن: وكان ذلكَ الوقتُ ثلثَ الليل الأول، ليلةَ الثلاثاء، لسبع مضتْ من شهرِ ذي القعدة، سنةَ ١١٣٢، قالَ سيدي الحبيب الحسن: «ثم تخرق ذلك النورُ مثل الذرِّ، ثم مثلَ الدرهم، وهكذا حتى راحَ، وظهر السراجُ وضوؤه، لأن النورَ غطى السراجَ وضوئه».

فأعظِمْ، أيها الناقدُ البصيرُ، بهذه الخصوصياتِ العظيمة، والهبات من المولى الكريم الجليلة، والحمد لله رب العالمين.

* * *

ومن أعظم ما اختُصَّ به سيدي الحبيب الحسنُ كثيراً، عند الخاص والعام، حتى ما يشكّ شاكٌ في ذلكَ ولا يرتابُ، بل بحمدالله ظاهرةٌ إجابةَ هذه الدعوةِ، وهذه الخصوصية، وكانت هذه الخصوصيةُ من أعظمِ النعَمِ، وأسمعه كثيرا يحمد الله عليها، وهي: أن سيدي الحبيب قطبَ الوجود عبدَالله الحداد، كما سبقـ أخذ في مرض موته أربعينَ ليلةً، ومن عادة سيدي قطبِ الإرشاد عبدالله عندَ قيام الليلِ كلَّ ليلةٍ يفعلُ قهوةً بنفسِه، ثم استعانَ لما أعجزَه الكبر بغيره، وفي أيام المرض أربعين ليلةً يفعلُها سيدي الحبيب الحسنُ ابنُه له، نفع الله به.

قال سيدي الحبيب الحسن: «كنت أفعلُ له القهوةَ، يأمرني بصبِّها، ويقرأ الفاتحة، ويقول: هذا الذي أنا مرتبه دائماً، وهو:

«الفاتحةَ؛ أن الله يغفرُ الذنوبَ، ويستر العيوبَ، ويصلح أمور المسلمين، ويكفينا وإياكم شرَّ الطاغينَ، وشر الباغينَ، وشر الحاسدينَ، وشرَّ المعتدينَ، وشر المستكبرينَ، وشرَّ الغاصبينَ، ويرحمَ المسلمينَ، ويفرِّجَ على المسلمينَ، ويشفي أمراضَ المسلمينَ، وأن يوفقنا لما يحبُّه ويرضَاه، ويختمَ لنا بالحسنَى، ويجمعَنا وإياكم في مستقرِّ رحمتِه، مع اللطف والعافيةِ، وإلى حضرة النبيِّ محمدٍ ﷺ».

ثم يقرأ الفاتحةَ، ويشير إليَّ بإصبعِه المسبحةِ، قائلاً (ثلاثاً): «يا حسَن، حسَّنَ الله عاقبتك»، ويقولُ: «الله الله في ذيَّ»، يشير إلى مِغَيْرْبَان، لقَبُ رجلٍ، ثم يشربُ القهوة قليلاً، ويعطيني باقيه. وقد أشار بعضُ تلامذة سيدي الحبيبِ الحسن بهذِه الفائدةِ العظيمة، بقوله في قصيدةٍ في شيخه المذكور:

وبحُسنِ عاقبةٍ دعَا لـه والـدُه   وخصَّ بها في نسِله المتفـرِّعِ

فحسَّنَ الله له العواقبَ والخواتمَ، من فضل الله، فله الحمدُ كثيراً، لا نحصي ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسِه، يا ربنا لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وجهكَ وعظيمِ سلطانكَ، الحمدُلله ربّ العالمين حمداً يوافي نعمَه، ويكافئ مزيده، فالله يجزي رسُولَ الله، والحبيبَ عبدالله الحداد، والحبيب الحسنَ، عنَّا أفضلَ الجزاءِ، بحقِّ محمد ﷺ، والحمدُلله رب العالمين.

* * *

ومن الخصوصياتِ التي لم يشاركْه فيهَا أحدٌ غيرَ أخيه علوي: قال الحبيب الحسنُ: «آخر عمْرِ سيدي الوالدِ يصلي مأموماً في الفريضَة، نحو سنتينَ، وإذا دخل

المسجد سلمَ وأقيمت الصلاةُ، لأنه يتنفلُ في البيتِ، ثم إن حضر الأخ علويٌ يصلي بالناسِ إماماً، وإن لم يحضر قدّمني، وكان الأخ علوي نازلاً وحالاً آخر عمر الوالدِ هو وأولاده في (السُّبَير) بـ(وادي دمُّون)، في بيت والدِه، وكان حضورُه الصلواتِ الخمسِ قليلاً، لبعد المكانِ، والغالبُ أني أنا الذي أصَلي بهم، وإذا سلمتُ من الفريضَة أنا أو علوي، نرجع إلى المكان الذي صلى فيه الوالدُ عند الساريةِ التي بحريَّ المحرابِ، ويدخل الوالدُ القبلةَ، يأتي بالأذكار والتسبيحِ الذي بعد الفريضةِ، ويجمع بهم للدعاءِ، وبعدَ ذلك يقرأ الفاتحةَ وآية الكرسي، و ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، إلى قوله تعالى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧]، ثم ما كان يعتاده من الأذكار والدعوات».

قال سيدي الحسن: «إن بعضَ المحبينَ قال لسيدي الوالد: أما تأمرونَ سيدي علوي وسيدي حسن بالسَّفر ليستفيدوا ويفيدوا؟ فغضبَ سيدي الوالدُ، وقال له: مرادنا بهما ينتفعانِ بنا لا بغيرنا، ويغتنما حياتنا، فسكتَ الرجل».

قال سيدي الحسن: لما سافر الأخ علوي إلى (دوعن) في حياة الوالدِ، كتب لوالده: عسَى تأذنون لنا نقعُد نقرأ في الفقه على مريدِكم الشيخ الفقيه عبدالله بن عثمان في (الدُّوفة)، فلما سمعَ الوالد ذلك وقعَ في خاطرِه كثيراً، حتى رأيت عينيه تهملانِ بالدموع، وقال: سبحان الله! علوي يختارُ علينا عبدَالله بن عثمان العمودي؟، قلتُ له: ما قال ذلك للاختيارِ عليكم، ولكن لخلوِّ المسافر من الأشغالِ، بخلاف ما هنا، قال: مليحٌ كلامُك هذا، ثم قال: يا حسن؛ علويّ يحب (دوعن)، أعطيناه (دوعن)، وأنت أعطيناك (الشّحْر).

قلتُ لسيدي الوالد أحمد: ما معنى كلمة الحبيب عبدالله بقوله لابنه الحسَن: «أعطيناك الشحر»؟ قالَ: إشارةً إلى أنه باتطولُ حياته، وبايكثر الأخذ عنه من جميعِ أهل الجهات القريبة والبعيدة، لأن (الشّحر) بندَر كبير، كلٌ يصل إليه، ويعبر حَواليه

من لا يريدُ الوصول إليه، فاعجَبْ لهذه الخصوصياتِ الكبيرةِ العظيمة من الإمَام الكبير.

وقال الشيخُ شاهُ بن شجاعٍ الكرماني: «ما تعبدَ المتعبدونَ بأكثر من التحبُّبِ إلى أولياء الله، لأن محبةَ أوليائه دليلٌ على محبته». وقال الشيخُ إسماعيل الجبرتي، نفع الله به: «السعادة للمريدِ: قبولُ قلوبِ المشايخ له».

* * *

إذا علمتَ ذلك وفهمتَ ما هنالك وما سيأتي، علمتَ أن سيدَنا امتازَ على أقرانه وإخوانه بخصوصياتٍ كبيرةٍ، الواحدةُ تكفي عن الأخرَى، فكيف بجميعها!. وإن أردت أن ترى العجبَ العجابَ، فانظر إلى مناقبه كلّها التي ألفناها من فضل الله تعالى.

وبالجملة؛ فجميع ما قيلَ فيه، وما مدحَ به، وما نقلناه، لم يبلغ عشْرَ معشارِ ما عند الوالد أحمد، وكذلك تلامذَة سيدي الحبيب عبدالله الحداد، وتلامذتُه يحفظون من ذلك الشيخ الكثير.

وقد رأيتُ في المنامِ بعد وفاته، سنةَ ١١٨٩، لتسعٍ وعشرينَ في شوال، كأنه جالسٌ في دهليزِ بيته، وهو يصِف في تربيته لولده العلامة أحمد واعتنائه به، وآخرُ كلامه قالَ لي: هذا من بركاتِ الحبيب الوالد عبدالله، وبقيت منصتاً لكلامه، متلهفاً عليه جدًّا، فلما رآني، قال لي: «لو كان المياهُ مدداً، والأشجارُ أقلاماً، ما تقدر تحيطُ ما وهبني الله، إلا إن هداكَ الله». وأرجو من الله الكريم أن يهديَني لذلك، وأن يوفق للصوابِ، وأن يتقبل ذلكَ، إنه على ما يشاء قدير.

* * *

ومما خصَّه به والدُه حجةُ الإسلام من سنةِ ١١٢٩: أن يزورَ بالناسِ بعد عصر

الجمعةِ كلَّ يوم جمعةٍ، لأن سيدنا عبدالله كان يزورُ كلَّ ليلةٍ في أول عمره مقبرةَ (تريم)، ثم بعدَ ذلك اقتصر على الزيارةِ بعد عصر الجمعةِ، وعصر الثلوث، ولما أعجزه الكبَرُ يأمرُ ابنه بدر الدين الحسن بالزيارةِ، فكان بعد حضْرة والدِه بعد صلاةِ الجمعةِ، يخرج بالناس على عادة والده، بعد أن يسْمعَ الأذان في مسجد باعلوي، يخرج وتلامذة والده ومن حضَر، ويصلي بهم العصر في (مسجِد الهجيرة)، ويخرج بهم إلى المقبرَة، ويقصد الفقيه المقدمَ، وهكذا قطباً بعد قطبٍ، كما يفعل والده.

ثم إن كان هناك أضيافٌ واردين عند والدِه خرجَ بهم إلى (الحاوي) الميمون، ورجع إلى عند والده، وإن لم يكن هناك أضيافٌ رجعَ من التربة إلى عند والده إلى المحْضَرة، وقد يبيت والدُه عند بعضِ زوجاته وفي الأكثر في دار البلادِ المشهور، كما أخبرني بذلك كلّه سيدي الحبيب الحسن، قال: «والأخ علوي والسيد عمرُ حامد وغيرُهما، يقرأون عليه بعد العَصْر كلَّ يومِ جمعة».

قال: «ومما يخصُّني به آخرَ وقته: زيارةُ مقبرة تريم وأكابرِ سلفه، لما أعجزَه الكبر عن الزيارة العامة صبحَ كلّ يوم سبتٍ قبلَ طلوع الشمس أنا وإياه، وإن باتَ عند زوجته وبيّتُ أنا بالحاوي، يأمرني بالطلوع من (الحاوي) إلى البيت الذي هو فيه، وأزور أنا وإياهُ وحدَنا، وخادمٌ معنا».

أخبرني بعضُ الثقاتِ عن تلميذ الحبيب عبدالله الحداد، عوَض بن صَبَّاح، قال: لم يقمْ أحدٌ من أولادِ الحبيب عبدالله ببرِّ والدِه أكثرَ من ابنه الحبيب الحسن، حتى أنه طلع والده من (الحاوي) للمبيت عند بعْضِ زوجاتِه، يطلعُ معه الحبيب الحسن وخادمُ الفرَسِ عِكَيان، يسير تحت الحبيب والدِه وهو راكبٌ، وإذا دخلَ والده البيتَ الذي يريدُه، جلس الحبيبُ حسنٌ إلى أن يخرُجَ والدُه، فيسير تحت المرْكابِ إذا ركب والده.

* * *

وقال الحبيب حسن: مرةً زرنا معَ الوالد تربةَ أكابرِ سادات آل أبي علوي، وحضر السيد علي عيديد، صاحب (الشحر)، وكان رضي الله عنه ماسكاً بيده اليمنى يدِيَ اليسرى، وبيده اليسْرَى يدَ السيد عليٍّ اليمْنَى، وخرج إلى موضع قبره الشريفِ، وضرب على موضع قبره، وقرأ قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، الآيةَ، ففهمنا لذلكَ ـ أي: فهمنا من ضربهِ على الموضعِ وقراءَتِه الآيةَ: أنه يقبر هنا ـ فقالَ السيدُ علي عيديد: إذاً نجعلُ عليكم قبةً، قال: «القبّة ما يفرحون بها إلا آلُ العيدروس»!، ثم قال له: نجعلُ عليكم صندوقاً كصندوقِ الشيخ أبي بكر بن سالمِ؟، قالَ: «لو علِمَ الشيخُ أبو بكرِ بن سالم أنهم بايفْعَلون عليه صندوقاً لنهاهم عن ذلكَ»، وذكر هذه الواقعةَ عن السيد عليٍّ عيديدِ الأحسائيُّ في كتاب «تثبيت الفؤاد».

* * *

ومنها: أن شيخَ الإسلام والدَه سنةَ ١١٢٩، لما اطلعَ عليه، أنه يقومُ مقامَه بمدارِسِه وعوائده الصالحةِ ومجالسه المنوّرة بعدَه في حياتِه، يخرجُ يوم الأحدِ إلى (السُّبَير)، فكان مواظباً على ذلكَ ثلاثَ سنينَ، وهي باقي عمرِ والدِه، ويقرأون عليه في الكتبِ النافعة.

وقد كان سيدي الحبيب عبدالله يخرج صبحَ كل يومِ أحدٍ، ويأمر أناساً معروفين يخرجونَ معه، ثم لما ضعُفَ وكبر، أمر سيدي الحبيب حسن، كما أخبرَني بذلكَ.

وقال: «مخرجي إلى (السُّبَير) يومَ الأحدِ، لثلاثِ خصالٍ: لأجلِ أمر الوالد، ولأجلكم تنتفعونَ، وأنا أستريحُ بذلك». وكان يحتسبُ سيره في مخرَجِه هذا، وكان يكلف نفسه السَّير، ويحضرُ بحضورِه الجمُّ الغفير، فكم هدَى الله به في هذا الدرسِ من ضالٍّ، وكم رجع من غيه زالٌّ، حتى نالَ ببركة هذا الإمامِ ما نال، مما لا يخطر على بال.

وكان يركع الشروقَ والضحى في مسجد والِدِه بـ(السبير)، ويكنسُ المسجدَ بيدِه، فلما ضعُفَ يأمر من حضَر عنده، ثم يقوم إلى المكانِ الذي يدرِّسُ فيه والدُه فيدرّسُ فيه، ولا ينهَى أحداً عن حضُور مدْرَسه، وكانَ سيدي الحبيب عبدالله الحداد ولِدَ بالمكان المذكور المأثور. ولما رآه سيدُنا العلامة سقاف بن محمد، ساكن (سيون)، آخرَ عمرِه، ويسير مع طلوعِه إلى (السبير)، قال: سبحانَ الله! ما يرحمُ سيدي نفسَه، فأنا أشهدُ أنها مطمئنةٌ. ثم لما ضعفَ أحدث الركوبَ مع الخروجِ، ثم بعد ذلك يركبُ مع الطلوعِ من عند مسجدِ (زنْبر)، ثم بعد ذلك لما كبر وضعُفَ ركِبَ من تحت المكانِ الذي يدرِّس فيه، رضي الله عنه وأرضاه، فما ترك مدّة حياته شيئاً من عوائدِ والدِهِ ومدارسِه، حتى توفي، وأقام الله مقامَه الخليفةَ الكبرى، ابنه أحمد المبشَّر به، فقام بحمدالله بجميع ذلك، متعَ الله لنا بحياته في عافيةٍ، آمين.

* * *

ومما خصَّه به والدُه قطب الوجود عبدالله، سنة ١١٢٩، آخر عمرِ والدِه: يأمره على عادته يطلع بعد صلاة الظهرِ آخرَ ثلوثٍ من كلّ شهرٍ، يدرِّس في (مسجد الأوابين) الذي بناه الحبيب عبدالله الحداد، ولما بناهُ، كما سمعنا من الوالد أحمد، وكما ذُكِر في بعض مناقبِ الحبيب عبدالله: أنه عندَ تسويسِ الساسِ للبناء، وتشخيص القبلةِ، جاء النبيُّ سيدُنا محمد ﷺ وقامَ في المحرابِ حقّ المسجد المباركِ، والأئمة الأربعة بكلِّ ربعٍ منه، وكان سيدنا الحبيب عبدُالله يطلع كثيراً إليه.

ثم بعد ذلك آخرَ ثلوث من كلِّ شهرٍ، ثم لما كبر أمرَ سيدي الحبيب حسن، قال: «وإني إذا رتبتُ شيئاً ووزَّعته أواظبُ عليه ولا أتركه أبداً، وتظهر بركةُ الوقتِ عند ذلك، وإني أشد مواظبةً من سيدي الوالدِ»، وكان يحضرُه جمعٌ كثير من سَادةٍ وغيرهم من أهل (تريم) وخوارجها، ثم يصلي بهم العصْرَ ولا يخرجُ إلا قريبَ الصُّفور. قال:

«وأمرني الوالدُ بذلك من سنة ١١٢٩، وأنا ملازمٌ ذلكَ بحمدالله، وكذلك أمرني أخرُج إلى (السُّبَير) يومَ الأحد في السنة المذكورة».

* * *

ومما خصّه به والده هذه المزيةُ، وهي: أمْرُه له بملازمتِه وعدَم مفارقتِه لما أعجزهُ الكبر، كما أخبرَني بذلك سيدي الحسنُ، قال: «زرت مع الوالدِ نبيَّ الله هوداً على نبينَا وعليه أفضل الصلاة والسلام، سنتينِ، ثم بعد ذلك خلَّفني عن الزيارة، وأمرَني أجلسْ عنده لما أعجزَه الكبر، وكان يأمرني أن لا أفارقَه في حضرٍ ولا سفرٍ، ويأمر الإخوانَ وكافة الطلبةِ والمتعلقينَ به يسيرونَ ويحضرونَ الزيارة المعظمة في شهر شعبانَ المشهورة بحضرموت، حتى أن سيدنا القطبَ عبدالله بن علوي الحداد، لما سمع في بعض كتب الإمام ابن عربيٍّ: أنه التقَى في الملأ الأعلى بالأنبياءِ، على نبينا وعليهم أفضل السلام، ونبي الله هودٍ عليه السلام، بشَّ به كثيراً، قال ابنُ عربي: ولا أعلمُ لأي سببٍ! قالَ الحبيبُ عبدُالله الحداد: لأن هذه الأمةَ المحمدية تزورُه، فخصَّه بالبشاشةِ، لأنه من صالحي الأمة المحمديةِ، بل من أكابرها، نفع الله بالجميع.

قال سيدي العلامة الحسن بن سيدي الحبيب عبدالله الحداد: «ثم بعد السنتين اللتين سرتُ معه فيهما، تخلفَ في البيتِ لضعفٍ قويٍّ، وخلَّفني معه، لأنه موليني أمورَ بيته وجميعَ ما هو قائمٌ به من عادةٍ وعبادةٍ وأضيافٍ وواردينَ وصادرينَ، وعمارة الأوقات عليه بالقراءةِ، فكانَ لا يتركني أفارِقْه حضراً ولا سفراً.

وإذا أهلَّ عاشورُ المحرّمُ يأمرُني بزيارةِ نبي الله هودٍ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فكانت زيارتي في المحرَّم عاشور عشرينَ زيارةً في عشرين سنةً، منها خمسةَ عشر سنةً في حياة الوالد، وخمسَ سنين بعده. ويأمرني الوالدُ نأخذ ثمانيةَ أيامٍ عند القبر الشريفِ، ويأمرنا نشلّ الختمَةَ الكريمة معنا، ونقرأ فيها، ويأمر بعضَ السادة

والطلبة من أهلِ المعرفة يسيرونَ معنا، وتقع في زيارتنا هذه في عاشُور وقائعُ غريبةٌ، وخوارق كبيرةٌ من تصريفِ الوالدِ ومن بركة النبي هودٍ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وزرناه بعدَ وفاةِ الوالد عبدِالله سنين كثيرةً في شعبانَ، مع الجمع العظيم».

قلتُ: لأن الحبيب عبدالله كان يزورُ بالجموعِ الكثيرة من الناسِ، كما هو مذكور في مناقبه، ثم بعد وفاته يزورُ الحبيب حسنُ وأخوه علويٌّ، يسلِّمُ علويٌّ على البئرِ المعطَّلة، الذي يقالُ: إن أرواح الأنبياءِ فيها، ويسلمُ الحبيب حسن عند النبيِّ قريبَ ضريحه، ثم بعد وفاة أخيه علويٍّ زارَ بالناسِ، ويسلم عندَ البئر وعند القبرِ الشريف، ثم لما أعجزه الكبر تخلفَ، وقد يزور في عاشُورَ آخرَ عمرِه، مع التأني في الطريق.

* * *

وكان رضي الله عنه من علوِّ همته وعظْمِ اجتهاده في العبادة، في جميع زياراته العشرينَ التي في عاشُور، يسير ماشياً على قدميه، ومن معه يسيرونَ ويركبونَ، لأن بين (تريم) والمكانِ الذي فيه النبيُّ هودٌ، على نبينَا وعليه أفضلُ الصلاة والسلام، اليومَ، مرحلتانِ، كما أخبرني بذلك الوالدُ أحمد، والعم حامد بن عمر حامد، لأن الطرُقَ طالتْ وفيها دوراتٌ، وقد كانَ من أول من (كُحْلانَ) إلى (شعب النبي هود) عليه السلام مرْحَلتين، لأن الطريقَ كانتْ أقربُ.

وكان سيدي الحبيب الحسنُ يأمر ابنه أحمدَ يخلفْ عندَه لما أعجزَه الكبر، لأنه ما يفارقه، بل قال مراتٍ: «يشقّ عليَّ فراقُ أحمد، لأن أمورنا كلها بيده، وقائمٌ بالمدارسِ والجائي والرايح إلى عندنا في (الحاوي) الميمون، وفيه اتساعٌ لذلك أكثرُ منّا».

وفي سنة ١١٨٥، قبل وفاته بنحوِ ثلاثِ سنينَ، أمر ولدَه أحمد الثباتَ، يسيرُ في شهر شعبانَ لزيارة نبي الله هودٍ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فسار بنفسه، وزار بالناسِ، وخلفَ للنفرَة هو وولدُه الفقيرُ علويٌّ، وقدَّم جميعَ من يلوذُ به إلى

(الحاوي)، وخلفَ في تلك السنةِ العمّ حامد بن عمر، وانتفعتُ بهما في تلكَ الزيارة كثيراً، وخلف السيدُ محمد بن شيخان بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وكان سيداً منوراً، والسيد مطهّر من آل قسم، والخادمُ المبارك حمدون عِكَيمان، وثمانية رجال أخدام.

قلتُ: وجرت في شعبِ النبيّ هودٍ ﷺ، واقعةٌ للفقيرِ في هذه السنةِ، وهي: أني استغثتُ لأمر عظيمٍ بسيدي السقافِ عبدالرحمن، وولده إبراهيمَ، فحضَرا، وحصل بهما النفعُ، فلما كان بعدَ العشاءِ وأنا بين المنامِ واليقظةِ، أتيا إلى عندي وقالا لي: شُفْنا ما سيَّيناك، فقلتُ لهما: أحسنتما، هكذا ثلاثَ مراتٍ، ينبهاني ويقولانِ ذلكَ، حتى أني من التعبِ الذي معي قلتُ لهما: أحسَنتما، وجزاكما الله خيراً، خلّوني أنام إني تعبٌ، فراحَا.

وفي هذه السنة أيضاً، سنةَ ١١٨٥، أحدثَ سيدي الحبيب الحسنُ حملَ العَصا مع خروجه إلى المسجدِ في الصلوات الخمسِ، وذلك في شهر رجبٍ، يمسكُ العصَا بيده اليمنَى، وبيده اليسرى يمسكُ بيد الفقيرِ، وإذا دخلَ المسجد أعطاني العصَا، وأطرَحُها في المسجدِ، وآخر عمرِه يدخلُ بها معَه إلى القبلةِ، ويتكئ عليها عند القيامِ في الفرضِ، فلما عجز عن القيامِ لسنتينِ بقيتَا من عمره، صلَّى جالساً إماماً بالناس.

* * *

وفي هذه السنة، سنةَ خمسٍ المذكورة، أذن للأخِ عمرَ بالمسير للحجِّ، وسار حتى وصل (دَوعن)، وزار الشيخَ سعيدَ العموديَّ، وحدث به مرضٌ، فرجع إلى (الحاوي)، فما جاء ووصلَ إلى حضرةِ جدِّه الحسن، قال له: عادك تحجّ في أحسن الأوقاتِ وأبركِها، فتتمّمَ الله كلام جده، فحجَّ هو والأخ الجمالُ محمد ابنَي الوالد أحمدَ، سنة ١١٩٦، وكانت حجةَ الجمعةِ، وزارا جدَّهما محمداً ﷺ، في ولاية سرُورٍ الميمون، وصدقَ رضي الله عنه، فهي أحسنُ الأوقاتِ لأمورٍ كثيرةٍ، تركنا ذكرها اختصاراً.

* * *

وفي السنة التي بعدها، سنة ١١٨٦، في شهر ذي القعدة الحرام، سلخَ الشهر المذكور، حدثَ شبهُ الرمدِ على عيون الحبيب الحسن، وأخذَ به نحو نصفِ شهرٍ، ومنَّ الله عليه بالعافية، ولله الحمد والمنةُ، وقيلَ: أنه باينزل على الناسِ شيءٌ وتحمله سيدي، ومع ذلك ما تركَ الجمعةَ، يطلع لها، ويطرح على عينيه ثوباً، رضي الله عنه.

وقال لي بعضُ السادة من ذويهِ، نفع الله به: إن سيدي معه حمّى في جسدِه يومَ الجمعة في وقت الصيفِ وحرارة الشمس، ولم يترك صلاةَ الجمعة، طلع يسيرُ على رجليه مع كبر سنه والحمّى التي في جسدِهِ إلى الجامعِ لحضُور الجمعةِ، وصبر على المشقة الشديدة.

وحدثني بعضُ السادةِ، قال: إنه مع طلوعِه للجمعة بعدَ الزوال مع بُعدِ المكانِ وكبر سنه، إذا طلعَ (عتُوم جَارود)، عقبةٌ متوسّطة في طريقِه، أنظرُه يلهفُ ويتعب من الطلوع والنزولِ، مع حرارة الشمس وكبر السنّ، فلما ضعُفَ عن المسير ركبَ من (الحاوي) إلى دار البلادِ، وسنه إذ ذاك خمسٌ وثمانونَ سنةً، نفع الله به، سنةَ ١١٨٦.

* * *

وأحدثَ في هذه السنة المذكورةِ: الركوبَ من دار البلادِ إلى الجامعِ، ومن الجامع إلى دار البلاد، ومن الدار إلى الهجيرة، ومنها إلى زيارة أهل (زَنبل) أكابر أسلافه الطاهرين.

وكان أولاً يركبُ لما أحدثَ الركوب: من التربة مع الخروجِ من المقبرة، ثم لما كبر وضعف يطلعْ إلى دارِ البلاد راكباً، مع الخروج من الهجيرة، لأنه مع كبر سنه يحثُّ على الجمعةِ ويواظبُ عليها، ويقول: «إن سيدنا عبدالرحمن السقاف يحملانِه اثنانِ لما ضعُفَ، ويحضر لصلاة الجمعة ولا يتركها». وقد كان بعضُ شيابة آل أبي علوي لما ضعفَ وشقَّ عليه حضُور الجمعةِ أراد تركَ الحضور، فلما رأى سيدي وتحمُّله للمشاقِّ

مع بُعدِ المكان، وظهوره وكثرة ازدحام الناس على تقبيلِ يديه وركبتيه، تحمَّل السيد المشاقَّ، وقال: ما خلَّى سيدي الحبيب حسن لأحدٍ عذْراً يعتذرُ به عند الله، لأنه القدوةُ للناسِ، وتجبُ القدوة به، لأنه أعلمُ الناسِ، وأكبرُهم حالاً وسنًّا.

وكذلك أحدثَ في هذه السنةِ، سنةَ ١١٨٦، خروجَه إلى (السُّبَير) يوم الأحد راكباً إلى تحت المنزل محلِّ الدرسِ، ومع طلوعه من مسجد (زنبر) إلى سنةِ ١١٨٧، في شهر عاشور ركبَ من تحت المنزلِ الذي يدرّسُ فيه، نفع الله به وأعاد علينا من أسراره.

* * *

ذكرتُ ذلك لتعرفَ اجتهادَه في العبادةِ مع كبر سنّه، لأنه وهو ابنُ خمسٍ وثمانينَ أحدثَ هذا، ومع ذلك يشقُّ عليه الركوبُ، خصوصاً في السنينِ الذي قريبَ الوفاةِ، ولا ترك شيئاً من عاداته وعباداته إلى الوفاةِ، رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

وكان والدُه ما يكلفُ على نفسِه حضورَ حضرةِ ليلةِ الجمعةِ آخرَ عمره، مع أنه عمِّر عمر والده، مع زيادة أشهرٍ، حتى أنه في مرضِه الذي أظنُّ في حدودِ سنة سبعينَ، يخرج إلى الصلواتِ الخمسِ إلى المسجد، ويصلي إماماً، يهادَى به بين اثنين: الوالد والخادم حمدون عكيمان، ونحن صغارٌ، وكان ما يقدر يقوم إلا إن قوّموه المذكورانِ، لشدة التعبِ وركة الجسمِ.

ومن خَوارق عاداته في مرضِه هذا: أنه إذا دخلَ بالإحرام وكبَّر، أتم الصلاة قياماً وقعوداً بنفسه كأنه بعافيةٍ، وإذا سلمَ كأنه ثوبٌ ملقًى، لا يقدر يتحرّك ويقوم ويجلس إلا إن قوّموه وأجلسوه، كما أخبرني حمدون المذكور وغيره.

ثم إنه لما ضعفَ جدًّا، وحصل عليه وجعُ العروق في مرضِه هذا، صلى في البيت، ويجيئون الطلبةُ إلى البيتِ، ولا ترك الدرس في العلوم النافعةِ، على شدة ما به،

وكان فيه صبرٌ وتجلد عظيمٌ، ما سمعنا بمثلهِ في التحمل.

ورأى سيدي الحبيب عمر بن زين بن سميط، كما أخبرني بذلك، قال: إني رأيتُ في مرضِ شيخي هذا كأني بـ(خلْع راشد)، وكأن النبيَّ ﷺ ببيتٍ في (خلع راشد)، وكأن الصحابة كلهم تحتَ البيتِ، فقيل لي: إن النبي محمداً ﷺ في هذا البيتِ، فطلعت البيت عليه، فلما دخلتُ عليه ﷺ فإذا صورته على صورة سيدي وشيخي الحبيبِ الحسن سواءً، حتى ثيابه كثيابه، وإذا به ﷺ جدريٌ. وكان في ذلك المدة جدريٌ بالناس بحضرموت، فانتبهتُ. وجاءنا خبر سيدي الحسن أنه مريضٌ، فجئت من (شبام) وهو بـ(حاوي تريم) مكان والده، فلما دخلت عليه في المكان الذي هو فيه، قال: «يا عمر، حملوني ما لا أطيق، قد كان في (تريم) أناسٌ يحملون البلاء عن الناسِ، ولا عاد بقي أحد، كان يعاونّا السيد أحمد بن علي بن سميط صاحب (المحيضرة)، فلما توفي حملوني إياه، ولا عاد بقي من يتحمّل غيري». ثم بقي مرضُه المذكور يخرجُ من عروقِ رجليه صديدٌ، ومَدّةٌ كثيرة، يعلم الإنسان ويتحققُ أنه بسبب التحمل.

ولما مِرض مرضَ الوفاة رضي الله عنه، يخرج إلى الصلوات الخمس مع كبر سنه وضعفِ القوى من المرض والكبر، حتى كان آخر خروجِه إلى المسجد صلّى بالناس الصبح وجلس للحزب على عادته، وجاء عنده آخرُ مقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، إلى آخر السورة، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]، فلما أتمه غشيَ عليه، وشليناه إلى الدار، وكان في مرضه تحدثُ عليه الغَوبة، وهذه الآية ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾، إلى آخرها، قيل: إنها آخر ما أنزلت على النبي ﷺ ومات بعدها، والله أعلم.

وكان رضي الله عنه في مرضه لا نعلِمُه بشيءٍ من عوائد والده، كآخر ثلوث وغير ذلك، لئلا يتكلفَ، فسمع مرةً من غير الفقيرِ أنه آخرُ ثلوثٍ في شهر شعبان، فقال للوالد أحمد: اطلع، وأنا شدّوا لي المركوبَ، وكان به مرضٌ شديد، ولا يقدر على الجلوس ولا على المركوب، ولكن كان على عادته يرتكبُ الأخطارَ، وهمته عالية في كل شيء، ولا يهمه أمرٌ، فلما حملناه حتى ركبَ لم يثبتْ على المركوب من شدة المرض، فقال له الأخ عبدالله: يا سيدي، ما تقدرون وأنتم في هذه الحالة تطلعون إلى (الأوَّابين)، فرديناه إلى الدار، نفع الله به وأرضاه، وجعل الجنة مسكنه ومثواه.

فما ترك شيئاً من العادات والعباداتِ، حتى أنه في آخر عمره ما ترك صلاة التسبيح في قيام الليلِ كلَّ ليلةٍ، وقال: إني مواظبٌ عليها من الصغر، فما أتركها مع الكبر، وهو الذي يقول ما صليتُ فرضاً منفرداً، ولا مستعجلاً، ولا في غير أول الوقت، ولا تركتُ غسل الجمعة حضراً ولا سفراً، ولا نمتُ على جنابةٍ أبداً، ولا تركتُ صلاة الاستخارة من صغري في كلّ أمرٍ أفعلُه أو أتركُه، حتى لو أردتُ أخرجَ إلى (وادي دمون)، ولا تركت صلاة التسبيح عند قيام الليل والوترِ، ولا تركتُ شيئاً من عادات الوالد عبدالله من العبادات والأذكار، إلا أني قد أزيدُ في الأذكار رجاءَ أن يبلغ ثوابٌ الوالدَ، ولا تركتُ شيئاً من عوائد الخير مما كانَ يعتاده الوالد، وجميع ما رأيتموني أفعله فإنّ الوالد كان يفعله، إلا فرش السجادة عرْضاً، فرشتْ لي وللأخ علوي.

وكان الوالد سيرته عمريةٌ، انتباه في كل الأمور، ويتبع خيرَ الخيرينِ، ويترك شرَّ الشرين، لأن الوالد سار على سيرة السلف الصالح، ونحن نقتفي أثرَه، ونتبعه، وهو وسيلتنا إلى الله وعمدتنا، والقدوة لنا ولغيرنا، بارك الله لنا فيه إن شاء الله، والحمدلله رب العالمين.

ومنها؛ أي الخصوصيات العظيمة الذي اختُصَّ بها، وميزه بها كلَّ سنةٍ: إنابتُه منابَه في زيارة الأكابرِ، وجعْلُه أهلاً للنيابةِ. قال سيدي الحبيب الأكبر، الحسن بن عبدالله بن علوي الحداد: «يأمرني الوالدُ وأنا صغيرٌ إلى أن توفي، بزيارة الإمام أحمد بن عيسى وأحمد بن محمد الحبشي بـ(شِعْب بني مخدّم) المعروف، ويأمر أناساً يزورون معي، وقد يسيِّر معي بعضَ الإخوان معَنا، ويرتِّبُ ويرحّل الطريقَ.

ويقول: سيروا من (الحاوي)، ومبياتكم بسيدنا علوي بن عبيدالله بن أحمد بن عيسى، وزوره واستمدوا منه، وباتوا عنده، وسيروا من عنده الصبحَ، واحضروا حضْرة الشيخ أحمد الحبشي يومَ الجمعة، لأنا مسيرنا غالباً ما يكونُ إلا على هذا الترتيب لأجل نحضُر الحضرَةَ، ونزور الإمامين أحمد بن عيسى وأحمد بن محمد الحبشي، وذلك آخر جمعةٍ في شهر عاشُور كلّ سنةٍ. ثم يقول لنا الوالد عبدالله: لا يقع وقت الزّوال إلا وأنتم في (حوطة الزبدَة)، صلوا وزورُوا الشيخَة العارفة بالله سلطانة بن علي الزبيدي، قال الحبيب الحسن: وزيارتي لها نحوُ أربعينَ مرةً، كل ذلك مع عبورنا لزيارة الإمامين أحمد بن عيسى، وأحمد بن محمد الحبشي، في حياة الوالدِ وبعد وفاته، وقد نزور الإمامين بالشعب المذكور، ولا نزورها.

قلتُ: الحمدلله آخر زيارةٍ له إلى (شعب الإمامين أحمد بن عيسى وأحمد بن محمد الحبشي)، وسيدنا عبيد الله بن أحمد، وولده علوي بـ(سُمَل)، زرتُ معه مع جمعٍ من أقاربه ومحبيه، وكنت راكباً مع الوالدِ أحمد على راحلته التي هو عليها، وكنتُ صغيراً قبل البلوغِ، وهي أول زيارة لي للإمامينِ أحمد المهاجر وأحمد الحبشي، وأول زيارة لسيدنا عبيدِالله وولده علوي، نفع الله بالجميع.

قال سيدي الحبيب الحسن: ثم قال لنا الوالد عبدالله الحداد: وبعد صلاة الجمعة وزيارة سلطانة سيرُوا لزيارةِ نبي الله حنْظَلة ﷺ، وصاحبه حنظل، وباتوا عندهما

واسرَحوا من عندهما، وزوروا سيدنا عبيدالله بـ(العَرْض)، واعبروا على الشيخ عبدالرحمن با جَلْحَبان، وثالث ليلة وقدْكُم عندنا في (الحاوي)، قال الحبيب الحسن: وكنا نفعلُ ذلك لا نخالفُ ترتيبَه أصلاً، نفع الله به.

* * *

قلتُ: وفي سنةِ ١١٨٧ من الهجرة، آخر زيارة لسيدي الحبيب الحسن للشيخ عبدالرحمن با جَلْحَبان، خرج من البيت ومن معه قبلَ الفجر، يومَ الثلوثِ وثمانية عشر ربيع الأول، إلى (بَيتْ جبير) الوادي المبارك، وكان فيه موسماً وزراعةً مليحةً، وقريبَ الغروب سارَ بمن معه إلى حضْرة الشيخِ عبدالرحمن باجَلْحَبان، ولما طلع من (المسيلة) وواجهَ في الجبلِ الشيخَ المقبور فيه، بحريِّ الشيخِ عبدالرحمن المذكور، قرأ له الفاتحة، وقال: يقالُ: إنه من المكاشفين، وأنه كشف له عن أحوالِ آبي أبي علوي فاستعظمَ كثيراً ما وهبهم الله، وخرج من بلده رجاء نظرةٍ في (تريم) وفيهم، فلما كان قريبَ الجبل المذكور حصلَ عليه النزعُ، وداخلته أماراتُ الوفاةِ، فقال: ارْفَعوني إلى الجبل، وأراد ينظر إلى (تريم) وضرائح ساداتها، فطلّعوه ونظرَ، وتوفي ولم يدخل البلادَ، قَصُرت به المنيةُ، رحمه الله، ودفن هناك في الجبلِ، فوقَ الشيخ عبدالرحمن با جلحبان.

ثم وصل سيدي إلى حضْرة الشيخ عبدالرحمن ومن معَه من السادة وأولاده وكافة الطلبة، وباتوا عنده، وخرجوا فقراءُ (ثبي) بكرةً يوم الربوع، وحضروا زيارة سيدي، وأقاموا يومهم عند الشيخ المذكور، وذبحوا أربعة رؤوس غنم، وتعشَّوا عنده بعد العصر، وركب وسارَ بمن معه إلى (الحاوي)، وهو متوضئ، ووصل إلى (الحاوي) وقت صلاة المغربِ، فما خرج من المركوب إلا تحتَ المسجد، وصلى بالناس المغربَ، ورجع إلى البيت بعد الصلاة.

* * *

وقال سيدي الحبيب الحسن: سرنا مرةً ونحن صغارٌ، أنا والأخ علوي، وعادنا في المكتب نتعلم القرآن، بأمر والدنا عبدالله الحداد لزيارة الإمام أحمد بن عيسى، وقال لنا: اعبروا على السيد علوي بن إسماعيل العيدروس صاحب (تاربة)، وقدِّما قبلَكما رسولاً إليه، فقدمناه، فخرج أولادُه يعارضونا، وخرج هو رحمه الله إلى تحتِ الدارِ على الدكَّةِ، متجرداً بمئزرَةٍ، أصلعَ بلا كوفية، وبيده إبريقٌ وفيه ماءٌ، ويرش في الدكة بالماءِ ويدحّقه برجليه، ويقول بأعلى صوته: مرحباً مرحبا، أهلا وسهلاً، فلما وصَلنا إليه صافحناهُ، ودخلنا بيته، وجعل يكلمنا بكلامٍ مليح لأجل الأنسِ، ونجوّب عليه المرة بعد المرةِ، فقال: مالكم؟، انبسطوا، ما فعلت الذي فعلتُ إلا لأجل تنبسِطُوا ولا تحاذروا، فإني طرحتُ الكساءَ وخرجتُ حاسِرَ الرأسِ، ومعنا أكسية رفيعةٌ ما لبستُها لأجلِ الأنس والانبساطِ، ومرادنا بكم تبيتون عندنا، وتسيرون الصبح للشعب، وتزورون الإمامين أحمد بن عيسى وأحمد بن محمد الحبشي، فقلنا: إن الوالدَ أمرنا أن نبات بالشعبِ، ولا نقدر نخالفه، فقالَ: وأنا كذلك ما أقدر أخالفه، فقالوا له أولاده: إنا قد ذبحْنا رأسَ غنمٍ، ومرادنا بالسادة يجلسون، قال لهم: من أمرَكُم بذلك؟ كلُوه وحدَكم، هاتوا الحاصلَ ذا الحين، ولا نقدر نخالف سيدنا القطب عبدالله الحداد، لأنه قال لهما: خذوا قهوة عند السيد، ولم يأمرهما بالمبيت إلا بالشعب، ثم قدم طعاماً، كُشْري مطبوخ، ونفذْنا من عنده، وبتنا بالشعب على كلام الوالد، وزرنا الإمامين أحمد وأحمد.

* * *

ومرةً أمرني الوالدُ عبدالله الحداد أسير بزوجتِه من السادة آل العيدروس إلى (شبام)، وللسيد علوي بن أحمد العيدروس بها قرابةٌ، فلما وصلنا قريبَ (تاربة) خرجَ السيد علوي وأولاده في عراضِنا، وأقسمَ عليَّ أني لا أنزلَ من على الفرَس، وصافحني هو أولاده وأنا راكبٌ، فشقّ عليَّ ذلك، لكن لما أقسمَ ما أمكن مخالفتُه رحمه الله، ما

أحسن أخلاقه المرضية، وكان كلَّ جمعةٍ يصليها في (تريم)، أيام كان نازلاً بها، وإذا جاء إليها يصلي هو وأولادُه في (مدين)، ويجلس فيه إلى أن يخرجَ الوالد عبدالله الحداد، يجيء يصافحه هو وأولاده، ولا يرتدي إلاَّ بشُقّة ألفية بيضاءٍ، تواضعاً منه، رحمه الله.

* * *

ومن الخصوصيات الإلهية، التي سبقت بها القدرة الأزلية، لتعرف أن الأمر من فوقُ، وأن العناية سبقتْ، وأن الألطاف من الله من كلِّ الوجوه توجهت: مشابهةُ الحبيب قطب الزمن الحسن في العلم لوالدِه، وفي الصورة، واللون، والقامة، والجسم، والمواجهة، إذا واجهته، وإذا قفَّى شبيهاً بوالده جدًّا، كما أخبروني كثيرون من رأوا والده، وقالوا لنا: إذا أردتم تنظرون الحبيبَ عبدالله فانظروا الحبيب الحسن ابنه، فإنه يشبهه في الصورة.

وقلتُ لسيدي: سبحان الله قد أحكمَ الله طبيعتكم، إذا حصل لكم الفرحُ والبشرَى، والراحة والعافية، أو المرض والسقَمُ، يظهر على الكلّ في جسدكم، قال سيدي: كان الوالد عبدالله كذلك. حتى قال السيد تلميذُ الوالد زين العابدين العيدروس، وكان له معرفةٌ بعلمِ الطبّ، قال لسيدي الوالد: تعجبتُ من طبيعتكم غايةَ العجبِ، من حسنها واعتدالها، إذا بكم بعضُ المرضِ يظهر على البدن كله، وإذا حصلت العافية تظهر على البدن كله، ما رأت عيني مثلَكم في اعتدالِ مزاجكم وحسْنِ طبيعتكم.

قلتُ: وسيدي الحبيب الحسن كذلكَ، يعرف ذلك من خالطه ورآه في أحواله كلها، نفع الله به ورضي عنه.

* * *

ولما كان قطب الزمن الحسنِ يشبهُ والدَه في الصورة والسيرَة، وفي العلوم

واتساعها، وطول العمر، وفي الأفعال والأخلاق المحمودة، فيحسنُ أن نأتيَ بشيء من أوصافِ والده، قال السيدُ الأكبر، والعلم الأشهر، عبدالرحمن بن علي بن بن عمر بن حسن بن الشيخ علي بن أبي بكر، علوي، في «منظومته للإسنَاد»، في شيخه القطب الأوحد عبدالله الحداد:

ذاكَ ابنُ علويٍّ هو الحدادُ — العالم النحريرُ والجوادُ
فهذبَ الطريقةَ السنيةْ — وقوّم الشريعةَ العليّةْ
عمَّ الإلهُ بنفعه الأنام — وصار كالشمسِ لدَى الظلامِ
فهاهو اليومَ الإمامُ الأكبرُ — وقطبنا الغوثُ الشهيرُ الأنوَرُ
فعلمُه كمثل بحرٍ مزْبدِ — وسرّه مطهَّرٌ من حسدِ
وليسَ في زماننا يا صاحِ — شبهٌ له في الفضْلِ والصلاحِ
له التواضعْ خلقةٌ سجيّة — ونفسُه عن الدَّنا أبيّةْ
وهو على ظالمه حليمُ — وقلبُه على الورَى سليمُ
وجودُه أزرَى بجودِ الطّائي — وفضْلُه على الأنامِ سَامي
وخلقُه متسعٌ عظيمُ — يشبهه التسنيمُ والنّسيمُ
قد جمعَ الله له الفضَائلاَ — فصار للخَلقِ ممدًّا نَائلا
مستوياً في الخلقَةِ العظيمَة — أعضاؤُه معتدلَةْ سَليمةْ
لا بالطويلِ البائنِ الكَثيرِ — ولا الدنيِّ القاصِر القَصيرِ
ووجهُه كالبدْر في التمامِ — أو مثلَ نورِ الشمس في الظلامِ
ويسقطُ الدرُّ إذا تكلّما — بالوَعْظ أو بالعلمِ حيثُ علَّما

وكنتُ أقرأ في أوصَاف صورة المصطفى ﷺ، وأنظرُ سيدي الحبيب الحسنَ، فأراه يشبهه كثيراً، كان كثَّ اللحية كوالده، صحيحُ الوجه، ضحكه التبسمُ، ما رأته

عيني مع كثرةِ مجالستي له إلا يتبسّمُ بالضحك، ولا سمعتْ أذني أبداً ضحِكَه، وكان والده كذلك، وهذه من أوصاف النبيِّ صلوات الله عليه وسلامه، وكان يمشي إذا مشَى كأنما ينحطُّ من صببٍ، بل كان ينهى كثيراً من لم يمشِ كذلكَ، ويلوم من يسحَبُ رجليه عند المسير إلا لعذرٍ، وكان أكثرُ جلوسِه كوالدِه متربعاً بطونَ قدميه على الأرض، وناصبَ ركبتيه، وكان والده كذلك.

بل لما قرأتُ على سيدي في المناقب الكبرى «غاية القصد والمراد»، قول سيدي العلامة الحبيب محمد بن زين بن سميط: «أكثر ما رأيتُ الحبيب عبدالله الحداد في جلوسه ينصب ركبتيه اليمنى، ويطرح فخِذَ اليسْرى على الأرض»، قال سيدي الحسنُ: يفعل ذلك الوالد في جلوسهِ للدرس، وأما أكثر جلوسه في غير الدرس فناصبٌ ركبتيه جميعاً. **قلتُ**: وكان سيدي الحسن ينصبُ الركبة اليمْنى في جلوسه، ويجعل اليسرى على الأرض، نفع الله بالجميع ولا حرمنا بركاتهم.

* * *

وكان في سيدي الحبيب الحسن زيادةً على والده: كثرة الشعر في ظهره وصدره، حتى قال: لما أمرني الوالدُ بالحجامة دخلتُ على الحجام، والوالد يحجُم تحتَ الحجام، فقال الحجام للوالد: «إن سيدي الحسن كثيرَ الشعر، قال الوالد عبدالله له: إن في الحديث عن النبي ﷺ: «**إن الله يحبُّ الرجلَ الأزبَّ ويبغِضُ المرأة الأزبَّة**»[1]، والأزَبُّ في اللغةِ: كثيرُ الشعر»، انتهى.

قلتُ: وقد رأيتُ هذا الحديثَ بحمدالله في بعض الكتبِ، ونقله باكثير تلميذ

---

(١) نقله السيوطي عن «مجمع الغرائب» للشيخ عبدالقادر الفارسي، وسكتَ عليه، ينظر: «كشف الخفاء»: ١/ ٢٥١.

سيدنا الحبيب عبدالله الحداد في «كتاب الطب» له، رحمه الله تعالى، وبعضُ الخصوصيات ستأتي مفرقةً في أبوابِ الكتاب الثمانية.

* * *

وأعظمُ الخصوصياتِ: طولُ عمره، ففي الحديثِ النبويّ: «**خيركُم من طالَ عمُره وحسُنَ عملُه**»، فلنفرِدْ هذه الخصوصية المتعديةَ النفعَ للعبادِ ببابٍ، ونذكرَ فيه بعْضَ الآخذينَ، نعدُّهم لا على الترتيبِ الأقدَمَ فالأقدم، بل على حسبِ ما جَرى به القلم، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الباب الرابعُ في الخصوصياتِ التي اختُصَّ بها من والدِه

ويليه البابُ الخامسُ من الخصوصياتِ العظيمة

رضي الله عنه ونفعنا به آمين(*)

* * *

(*) **خاتمة النسخة (أ)**: «فقد تمّ بحمدالله وعونه، نقل هذا الكتاب، سلخ شهر رجب الأصب، سنة ١٣٦٤ هجرية، بقلم الفقير إلىٰ رب الناس، سالم بن محمد بن عبدالله بن محسن بن سالم بن عمر العطاس، لطف الله به». **وخاتمة النسخة (ب)**: «بحمد الله وعونه وحسن توفيقه تم تحبير الجزء الأول من المواهب والمنن في مناقب القطب الحسن بن الحبيب عبدالله الحداد، وذلك عصر يوم الخميس و٩ في شهر ربيع الأول الأنيس سنة ١٣٧٩، بقلم الحقير الفقير إلى كرم الله وعفوه راجيا من الله تعالى الفوز في الآخرة بالمغانم غانم بن محمد غانم غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ولمن دعا لهم بالمغفرة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين آمين».

المواهب والمنن

في مناقب قطب الزمن الحسن

وهو مناقب الإمام الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد

١٠٩٩ - ١١٨٨هـ

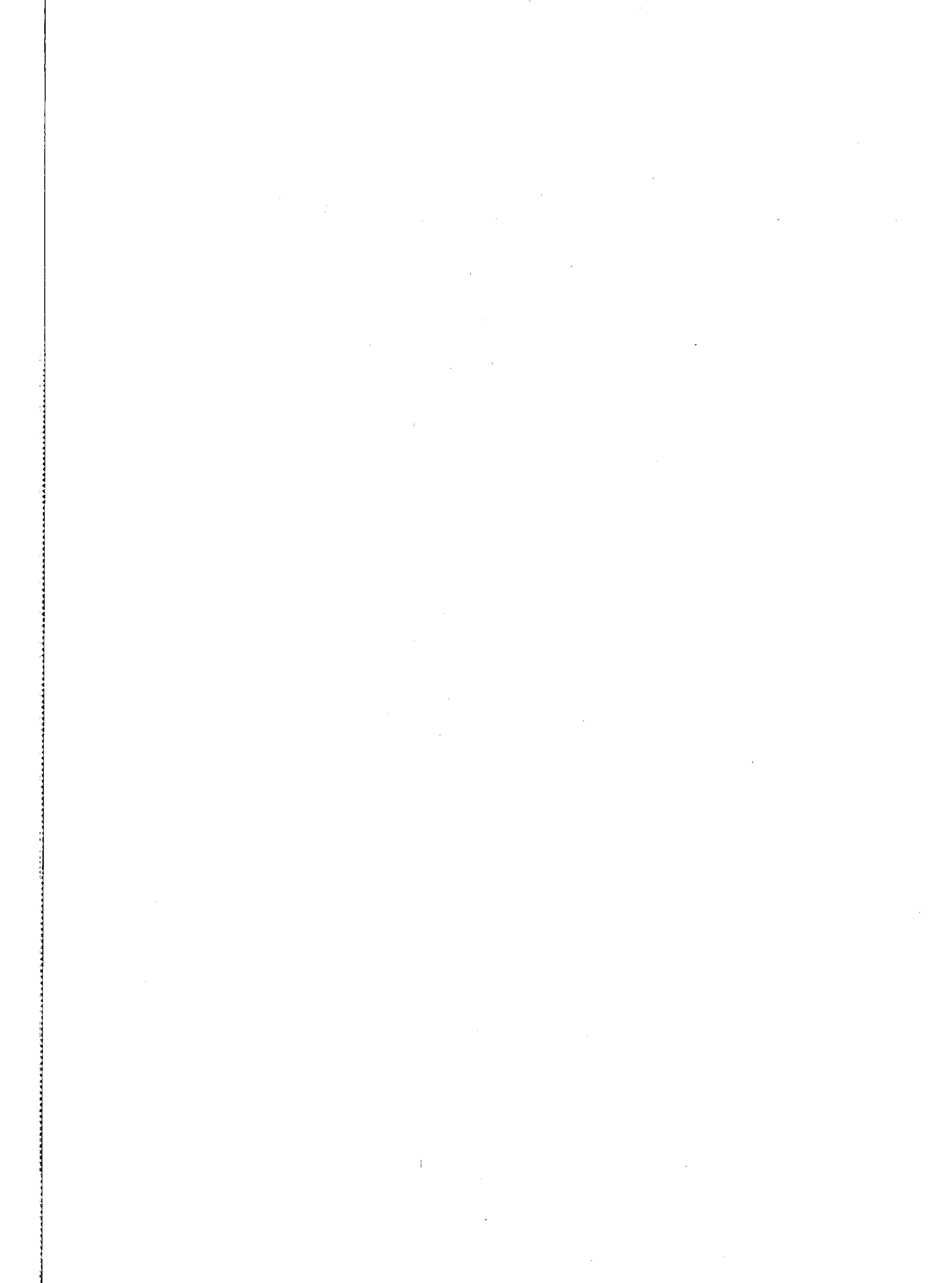
تأليف حفيده العلامة

الحبيب علوي بن أحمد بن الحسن الحداد

ت ١٢٣٢هـ

الجزء الثاني





البابُ الخامسُ

في ذكْرِ بعضِ الآخذينَ عنه

الباب الخامس

في ذكر بعض الآخذين عنه

اعلم أنه أخذَ عنه خلائقُ لا يحصَونَ من كل الجهاتِ، بل جميع الذين أخذُوا عن والدِه جاءُوا أولادُهم يطلبونَ منه ويستمدون منه، ويلبسون منه القبعَ، ويطلبون منه الإلباساتِ الكثيرةَ، وتلقين الذكر والمصافحةَ، ومن تعذّر عن المجيء لعذرٍ بينٍ، كبعدِ الديار والمكانِ كانَ طلبُه بالمراسلةِ والمكاتبة، وهذا شيءٌ لا يحصَى، كما ستأتي رسالةٌ له خاتمةِ هذا البابِ، وقد أخذَ عنه من غير أهل بلده أناسٌ كثير لا يحصَون لكثرتهم على الإجمالِ، فكيف على التفصيل.

وأما الطالبون منه العلومَ الفقهية والأدبيةَ واللغوية والنحويةَ، والسيرة والحديثَ والتصوفَ وعلمَ الحقيقةِ، وعلمَ أسرارِ أهل الطريقةِ، فخلقٌ كثير، أنّى لمثلي أن يقدر على عدِّهم، بل أناسٌ ممن كانَ يقرأ على والدِه قرأ عليه وانتفعَ به.

وإذا كان سنُّه من بعد العشرين سنةً إلى أن توفي وهو في مقامِ والدِه في تدريس العلوم النافعة، أخذ قريب ثمانٍ وستون سنةً وهو متصدّر في تدريس العلوم، وقد أعطي فيها المنطوقَ والمفهومَ وفصاحة اللسان وقوة الجنانِ، مع إقبال الخلائقِ عليه من كلّ مكانٍ، ومحبتهم له، ولقوله وفعله، وأمره ونهيه، فأنّى لمثلي ذكرُ عُشْر عَشيرهم، إلا أنه نجبَ وظهر عند الخاصِّ والعام من تلامذته خلقٌ كثير، فتح الله عنهم لحسنِ طويتهم، وعظم اعتقادِهم فيه، واجتهادهم في العلوم وطلبها.

[ذكر ابنه العلامة أحمد بن حسن الحداد]

مثلُ الوالدِ أحمد، متع الله لنا بحياته، قرأ عليه كتباً لا تعدُّ ولا تحصى، آلافاً لا مِئينَ، منها: «التحفة» شرح ابن حجر على «منهاج الطالبين» للنووي في الفقه، قرأها على والده أربعَ مراتٍ، ومن كتبِ الفقه شيئاً كثيراً جدًّا على والده، قرأ «إحياء علوم الدين» عشرَ مراتٍ، بل غالبُ كتب الغزالي، وقرأ «تفسير البغوي» سبعَ مرات أو ستَّ مراتٍ، وقرأ «تفسير الرازي»، و«الدر المنثور»، و«الجامع الكبير» و«الصغير» للسيوطي، وقرأ غالبَ كتبه، قرأ كتبَ الستةِ في الحديث للبخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه، و«موطأ مالك»، مراتٍ عديدةً، وكتُبَ الحبيب عبدالله الحدادِ جميعِها.

بل من جميع أصناف العلوم، أدباً، ونحواً، وصرْفاً، وفقْهاً، وتصوُّفاً، وحديثاً، وحقائقَ، وسِيَر، وتاريخَ، من الكتبِ ما لا يحصَى بعدٍ ولا يحدُّ بحدٍّ، لأنه من صِغره إلى أن توفي والده وهو ملازمُه ليلاً ونهاراً، من بعد أن خرجَ من المكتبِ إلى أن توفي والدُه، نيفاً وخمسين سنةً وهو مواظبٌ على القراءةِ على والدِه، مع حفظه وفهمِه، وجمعه للعلومِ، وهو مع ذلك يصنفُ المصنفاتِ المفيدة، وهو دائماً يقرأ على والده نفع الله بهما.

* * *

وقد طولنا في مناقبه عندَ نقلنا لديوانِه، فانظرْه هناكَ ترَ العجب، وتحظى بنيل الأربِ، وكذلك إن شاء الله، نختم به وبأولاده الفضلاء الأعلام، لأنهم أحق بالبداءة والختم، لأنهم هم الذينَ حظُوا بسيدي الحسنِ دونَ غيرهم، ولم ينالَ الذين لم نذكرْهم عشر معشَار ما حصّلوه منه، وتربوا على يديه وهم في المهد، وحنكهم وسماهم وربّاهم، وحطَّ عليهم نظرَه، وشملتهم حياطتُه، وقرءوا عليه كتباً لا تحصَى، فانظره عند ذكرهم في الخاتمة.

[ذكر الحبيب عمر بن زين بن سميط]

وممن قرأ على الحبيبِ الحسن وانتفع به، سيدي الإمامُ العالم، الفاضل الصوفي الصفوة، القدوة العمدة، شجاع الدينِ عمر بن زين بن علوي بن سميط. ولد رضي الله عنه بـ(الغنّا تريم)، سنةَ ١١٢٠، وتوفي بـ(شبام) ليلةَ السبتِ في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٢٠٧، وسيأتي زيادةً على ما هنا عند ذكر ترجمة أولاده.

ألقى قيادَه إلى الحبيب الحسن، وصار بين يديه كالميتِ بين يدي الغاسل، وهو أخُ سيدي محمد بن زين بن سميط الذي جمع المناقب الكبرى المسماة «غاية القصد والمراد»، وكنتُ لا أرى الحبيب الحسنَ يميلُ بعد الوالدِ إلى أحدٍ من تلامذته أكثرَ من الحبيب عمر بن زين بن سميط، وينبلج وجهُه له نوراً، ويقبل عليهِ ويحادثه، وكان سيدي يثني على مريده المذكور، ويحبه ويميلُ إليه.

قرأ عليه كتباً كثيراً لا تحصَى ولا تعدّ، منها «الإحياء»، وغيرها، فقهاً، وحديثاً، وتصوفاً، ومناقبَ الصحابة وكبار السلف، والتواريخ، وشروح الحديث، والمؤلَّف الذي ألفه أخوه محمد، وقال له لما قرأه عليه: «هذا المؤلف لمن لم ير الحبيب القطب عبدالله الحداد، وأما من رآه ونظره ومارسَه فهو قليلٌ مما يعلمُه مثلي وأمثالي، مما شاهدناه وتحققناه منه، والذي أعجبني في مؤلَّفِ أخيك هذا البابُ، ـ أي: الباب السادس ـ الذي لخص فيه ما في كتبِ الوالد، وما التقط من كلامه»، أخبرني بذلك سيدي عمر المذكور. وكان الحبيب عمر بن زين المذكور يحفظُ من كراماتِ ووقائع وأحوالِ وسير شيخه الحسن المذكورِ ما لا يحيطُ به هذا المسطور، وما يحتاجُ إلى مجلد كبيرٍ مستقل، وقصدُنا الإشارةُ هنا.

فكانَ سيدي عمر من حينِ توفي شيخه الحبيبُ الحسن سنةَ ١١٨٨، وسمعَ بموته، إلى سنة ١٢٠٧، لم يطرحْ جنبه على الأرضِ نائماً أبداً، لا بالليل ولا بالنهار، إلا

إن أخذته خفقاتٌ من النومِ، وينتبه مذعوراً. فهو متكئٌ على الجدارِ، أو على تكيةٍ خلفَه، نفع الله به، وصار أكبر آل أبي علوي آخرَ عمرِه الشريف، كراماتُه شهيرةٌ، وخوارق عاداته كثيرة، تركناها لشهرتها وكثرتها، وكان رضي الله عنه من الأئمّةِ المقتدَى بهم، سيأتي له ذكرٌ عند ذكرنا لأولادِه وأولاد أخيه محمد.

وكان سيدي عمرُ بن زين بن سميط زاهداً في الدنيا، يضرَبُ به المثلُ، أويسيَّ زمانه، وجنيديَّ أقرانه، وحداديَّ إخوانه، ولي الله بلا نزاعٍ، عند ذكره تنزل الرحمة، وعند رؤيته يسْعدُ الرائي سعادةً لا شقاوةَ بعدها، إذا ذُكر ذكَرَ الله، وإذا رأيتَه وحّدْتَ الله، لا يشقى به جليسٌ، ولا يوجد مثلَه أنيسٌ، وإذا رأيتُ الحبيب الحسنَ في المنام أراه يتبعُه خلفَه، ويقفوه على أثره، ومتابعَه في وِرْدِه وصدْرِه. **وبالجملة**؛ فما قصْدُنا تعديدُ مناقبِه ومزاياه، بل ذكرَ اسمِه وبعْضَ ما قرأه على شيخِه الحسن، والقليلُ يكفي عن الكثير، للرجل البصير، وعلى الله توكلتُ وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

[ذكر السيدينِ حامد وعلوي آل حامد، باعلوي]

وممن انتفعَ بسيدنا الحسن، وحظي بالقبول منه والمحبة الظاهرةِ، والمودة الباطنة: إماما مسجد باعلوي، العلامتان مولانا الحبيب حامد بن عمر المنفر، وأخوه الفاضل علوي بن عمر المذكور.

كان لهما اتصالٌ خاصٌ بسيدي الحسن في حياة والده الحبيب عبدالله الحداد، كان أولاده وزوجته عمتهما في بيت أجدادهم المعروف لما قربت وفاة والدهما أمرهما بملازمة الحبيب الحسن فلازماه إلى أن توفي رحمه الله وهو راض عنهما كثيرا وكانا لا يفعلان أمرا أي أمرٍ كانَ إلا استأذناه في ذلك.

ولما سار سيدي حامدٌ المذكور للحجّ سنة ١١٨٧، وزار جدَّه المصطفى ﷺ

استأذن سيدي عندمَا خطر بباله المسيرُ، فأذن له وألبسه عند ذلكَ، فقال سيدي حامد لشيخه الحسن عند الإلباس: «خاطرك بالدعاءِ، أن تخرجَ مني الرياسةُ والأمور المخالفة للأفعال المحمودة»، ولما رجعَ من الحج قصَد عند شيخه أولاً قبل أن يصِلَ إلى بيته، وسيأتي بعض ذكره عند ذكر أولاده.

وأما سيدي علوي؛ فتوفي قبلَ شيخه الحسنِ بقليلٍ، في شهر رجب، ليلة الربوع لثمان أو لتسع خلتْ منه في السنة التي توفي فيها سيدي الحسن، سنةَ ١١٨٨، وجرَتْ من سيدي مكاشفاتٌ بموتِ علوي المذكورِ، وكان يحبه كثيراً.

منها: أنه لما طلعَ إلى مسجد الأوابين كعادته آخرَ ثلوثٍ في كل شهرٍ، كان ذلك اليوم آخر يومٍ من عمر سيدي علوي، وآخر ثلوثٍ طلعَ سيدي لما جلسَ في القبلةِ، والوالدُ يقرأ عليه، والبقية يستمعون، جلسَ مبهوتاً مستغرقاً، والتعب والحزنُ معه ظاهرٌ، ومن عادته يأمر من كان يحفَظُ من أقوالِ الصالحين ينشِد، وحضروا منشدون، فلم يأمرهم لاستغراقه فيما هو فيه. **ومنها**: أنه لما كانَ بعد صلاة المغربِ ورجع إلى الدار، وهو جالس في الدكان، وعنده الوالد والفقير والأخ عبدالله، قال: اسْألوا الله العافيةَ، ورددها علينا مراراً على خلاف عادتِه، وهو المتوقَّعُ لأمرٍ ينزلُ، فتعجبنا من ذلكَ، واهتمينا لما هنالك، وسألنا الله العافية.

ومنها: أنه ليلة الربوعِ المذكور في نصفِ الليل، نبهني، ومن عادتي أنامُ عنده كل ليلةٍ آخر عمره، نحو أربع سنين. فقال لي وهو حزينٌ: قدْهْ وقْت صلاةِ الصبح؟ فقلتُ له: ما بعَد جاء، وعاده ليل، فنبهني مراراً عديدةً تلك الليلة، لأنه ما قرَّ له قرار، وأظن أن ذلك الوقتَ حين وفاةِ سيدي علوي. فلما جاء الوالدُ في الوقتِ الذي يعتاده، خرج سيدي وجئتُ له بالوضوء، فلما آذنوه يخرجْ يصلي بالناس الصبحَ، بعد أن ركع سنة الصبح، خرج فصلى بالناس في المسجد، فلما قامَ وأخذ بيدي والعصَا، ولم يسبح كعادته، فلما خرج إلى تحت المسجد وقفَ قليلاً كالمبهوتِ تحت، ثم رجع.

فلما جاء الخبر من عند أهل بيتِ سيدي علوي بوفاتِه، خبَّر الرسولُ الوالدَ بذلك، فما أعلم والدَه، كأنه قد علم، فلم ينزعج، وسلمَ الأمر للعليم الحكيم.

وكان سيدي علويٌ كثيرَ المجاهدة في العبادة، سخيَّ النفس، يضرَبُ به المثلُ، راجحَ العقلِ، صمُوتاً وقوراً، لا تستفزه الأحوال، ولا يكترث لنزول الأهوال، كأنه جبل راسي، يهابه القريب والبعيد، لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ.

وكان به مرضُ الباسور ويتعبه جدّا، ولم يتركْ ملازمته لمسجد القوم مسجد باعلوي، حتى أنه من أعظمِ كراماته وحسن استقامته: ليلة وفاته، وكان عندهما ضِيفَان، وكان إذا حضَر أخوه الأسنّ منه حامدٌ المذكور أولاً، صلَّى بالناسِ إماماً، وإذا لم يحضر يصلي بهم علوي المذكور، وكانت نيابةُ المسجد معهما، كما أخبرني بذلك سيدي الحسن نفع الله به، جلس سيدي حامدٌ عند الأضيافِ، وطلعَ يصلي صلاة العشاء بالناس في المسجد المبارك المذكور، مع شدة ما معه من الألم، فصلى بالناس إماماً العشاءَ، وحضر الرواتب التي تقرأ في المسجد المذكور، منها راتبُ الحبيب عبدالله الحداد، ورجع إلى الدار، وطافَ على أولاده محمد وعبدالله وهما نيام، ثم رجع إلى المنزل الذي في المحضَرة تحته، يسمونه مجلساً، وعنده خادمه علي باحشوان، كبس رجليه، ثم أمره ينام في المحضرة تحته، وتوفي رحمه الله تعالى تلك الليلة.

وقد أتعب الناسَ فراقُه، لأخلاقه الحميدة، وأقواله السديدة، وأفعاله الجميلة، وصلى عليه شيخه الحسن المذكورُ إماماً على جنازته، وحضر جمعٌ كثير من سادةٍ وغيرهم من أهل البلد (تريم) ونواحيها. وخلّفَ ولدين ذكرينِ، محمداً، وعبدالله، أمهما وأمّ أختهما علوية: رقيةُ بنت الحسن ابن عبدالله الحداد، وخلف بنتاً أمها من السادة آل البيتي، وكان قد تزوج قبلَ رقية: بهية بنتَ الحسن المذكور، رحم الله الجميعَ، وجزاهم عنا أفضل الجزاء، فقد انتفعنا بالجميع واستمدّينا من بركاتهم.

وسمعتُ أن حالَ سيدنا علوي ابن الفقيه المقدم يرثُه في كل زمانٍ واحدٌ من آل أبي علوي اسمه علويٌّ. وسمعتُ بعضَ الفضلاء يقول: سيدي علوي بن عمر المذكور هو حامل حال جدّه علوي في حياته.

وكنتُ قبلَ وفاة سيدي علوي المذكور، رأيتُ كأني أطلب حالَه في المنام، فلما توفي طلعتُ مع الوالد مع القراءةِ عليه، وعاده في البيت، ذكرتُ الرؤيا، طلبت حاله كثيراً بالدعاءِ من الله، وحضرت عند غسلِه، وغسله المحب المعلم سالم بن محمد باحرمي، وقال لي عندَ وضوئه له: هل أمسحُ الرقبة؟ قلتُ له: امسَحْها، إن سادتنا آل أبي علوي وضوؤُهم على ما في «بداية الهداية» للإمام الغزالي، فمسحَها، فلما أتمَّ غسله، خرجت إلى عند الحبيب الحسن أعْلمُه ليطلعَ إلى الجبانة يصَلي عليه بالناس، فلما وصلتُ إلى حضرته كاشفني، وقال لي: «طلبتَ حالَ علوي حامد!، يقع لك خيرٌ منه، وحاله لغيرك»، رضي الله عنه.

وقد قرأ الحبيبُ حامد وأخوه علوي على الحبيبِ الحسن، وألقيا قيادَهما له، فأما الحبيب حامدٌ فكانَ بعد الوالدِ والحبيب عمر بن سميطٍ، فرْدَ العصر، وإمام الوقتِ، وحامل راية الصوفية، وتجمعتْ فيه المقاماتُ العرفانية.

وكانت وفاته ليلةَ النصف من شعبان سنةَ ١٢٠٩، بغتةً وفُجْأةً، على كمالٍ واطّلاعٍ على الأجل، والنقلةِ إلى حضرة الله عز وجلّ، وذلك: أنه زار نبي الله هود عليه السلام في الليل، وصلت أنا وأخي عبدالرحمن إلى حضرته، فقال: الحمدلله لما وصلتَ، مرادنا نستودع من نبي الله هود عليه السلام، ومرادنا حاجةً منه، وبانستشفع بكَ إليه. قلتُ له: الله يمتعنا بحياتكَ، أنتم الأصلُ، ونتوسل بكم عنده، لنا وللإخوان والأولاد والمسلمين.

فطلع راكباً إلى قريب القبة، ثم نزل من المركوب، وقبضناه اثنانِ يهادَى، إلى حضرة الرسول عليه السلام، وسلمَ غالبَ التسليمِ المعتاد، وجلس وجلستُ بجنبه بأمره، ثم

قرأ الفاتحةَ، ويس، وتبارك، وآية الكرسي، و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة :٢٨٥]، وإحدَى عشر من ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، والمعوذتين، وصلى وسلم على نبينا محمدٍ، ونبي الله هود، ثم قال: الفاتحة.

فقرأنا الفاتحة مع جمعٍ، فقال لي بعد الفاتحة: اجمعْ للدعاء، وألَحَّ كثيراً إلحاحاً لا نعتاده منه، فعرفت عند ذلك أنه مستمدٌ من الحبيبِ عبدالله الحداد والحبيب الحسن في أمرٍ عظيمٍ، بأن يستشفعانِ له فيه هو طالبه، لم نعلمه، وجعلنا كالواسطة، وتحققتُ ذلك منه لكني ما قدرتُ أرفع يدي قبله، فقلتُ له: اجمع أنت بالدعاء، وتوسلْ بالأجداد ومن حضَر من السادة وهم يتوسَّلون بكَ، ولكل امرئٍ ما نوَى، فرفعَ يديه، ورفعنا معه، فنازله حالٌ حتى بقيَ يرفع يديه، حتى رأينا بياضَ إبطيهِ، وأطال جدًّا، ثم وضع يديه تلقاءَ وجهِهِ مدةً، ثم رفع ثانياً، واستغرقَ في الدعاءِ حتى نعسَ بعضُ الحاضرين، مَن لا ذوق معه ولا نازله شيءٌ من الحضُور، سئِم من كثرة الدعاء وطوله، ثم لما رأى مطلبه قد قضَاه الله، نازله الفرحُ والسرورُ، ثم مسح بيديه على وجهِهِ، وقام وقمْنا معاً، وسار إلى المكان النازلِ فيه، وسرى آخر الليل إلى (تريم).

فلما وصل إلى بيته جمعَ أهل بيته ذكوراً وإناثاً، وآنسهم كالمستودعِ، ثم صلى العشاء جماعةً، والنوافلَ المعتادة، وقراءة راتب الحبيب عبدالله الحداد، وطلع إلى المكان الذي يرقُد فيه وعنده زوجتُه وصغارُ أولاده، فجلس يتحدّثُ ويتكلم بكلامِ أنسٍ، ويصف كيفية رحلته في زيارة نبي الله هود ﷺ، وقام مسرعاً إلى محل الوضوءِ، كأنه يتوضأ، ثم رجع إلى سطح البيتِ، وطلب ولده عبدالرحمن وأولادَه وابنَ أخيه محمد بن علوي، ودعا لهم وأوصاهم بما أرادَ، ثم طلعتْ روحُه الشريفةُ على غاية الكمالِ، رحمه الله رحمة الأبرار. وقد رأى المحبّ الأعمى عبدالله بن تميم الزبيدي: لما أراد القراءة على الحبيب حامدٍ في الفقه رؤيَا صالحة، وهي أنه قال: رأيتُ كأن عَتْمينِ من لبنٍ يجريانِ من (حاوي تريم)، حوطة الحبيب عبدالله الحداد، ويصبانِ في مدرسة الحبيب حامِد

وعلوي ابني عمر حامد، كل عتم فوقَ رأسِ كلّ واحدٍ منهما، فلما أعلمتُ سيدي الأكبر سنًّا وحالاً، الحامدَ، بالرؤيا قالَ: رؤيا حقّ، المددُ لنا من سيدي عبدالله الحداد بلا شكّ ولا ريبٍ، وكل ما نحنُ عليه من بركاته. وسيأتي ذكرُ أولادِه عبدالرحمن وعلي ومحمد في هذا الباب، رضي الله عن الجميع.

* * *

[ذكر السيد عبدالله بن حسن الحداد، ابن صاحب المناقب]

وممن انتفعَ وتخرجَ بسيدنا، ونال ما نالَ، مما لا يخطر على بالِ أحدٍ، سيدي الفاضل العاقلُ: عبدُالله بن الحسن بن عبدالله الحداد، انتفع بوالده كثيراً، وتربى على يديه، ولبس منه الإلباسَ، وحصل له الفتحُ الكبير، مما لا يخطر على خاطر الناس، لصغر سنه، وثقابة فهمه، قرأ عليه كتباً كثيرةً، فقهاً، ونحواً، وأدباً، وتصوفاً، وحديثاً، وسيراً، وتفسيراً، ومناقبَ الصالحين. ورأيت بخطه رحمه الله ومنه نقلتُ:

«**بيان الذي قرأتهنّ من الكتبِ على سيدنا الوالدِ، نفع الله به:**

مختصر بافضل الصغير، وشرحه للرملي، والكبير، وشرحه لابن حجر، وأبي شجاع، وشرحه لابن القاسم، والإقناع للشربيني، والوجيز للغزالي، والقلائد لأبي قشير، وشرح المنهج لزكريا، وشرح العدة والسلاح لبامخرمة، والقول التمام في أحكام المأموم والإمام لابن العماد، وشرح المختصر الكبير ثانياً.

والتصوف: بداية الهداية للغزالي، ورسالة المعاونة، ورسالة المريد، ورسالة المذاكرة، والدعوة التامة للحبيب عبدالله الحداد، ومقال الناصحين، وإيضاح أسرار علوم المقربين لمحمد العيدروس، وحلية البنات والبنين، والحديثة الأنيقة لبحرق، والتبيان للنووي، وروض

الرياحين، والمائتين لليافعي، وبهجة المحافل للعامري، ومختصر البخاري للمنذري، وشرح العينية للسيد أحمد بن زين الحبشي، والتصحيح للبغوي، وأحاسن المحاسن لليافعي، ومجموع الأعلام في مباني الإسلام لبعض الحنفية، وجواهر القرآن، والأربعين الأصل للغزالي، والزواجر لابن حجر، وشرح الحكم لابن عباد، والجامع الصغير للسيوطي، وعيون الأخبار للإمام الأندلسي، والإرشاد لليافعي، ومن «الإحياء»: أسرار الزكاة، وأسرار الحج، وآداب تلاوة القرآن، والأذكار، وترتيب الأوراد»، انتهى من خطه رحمه الله.

وحصّل جميع هذه العلوم وغيرها على والده المقدّم ذكره، لأنه أحقّ بالتقديم، لأنه وارثُ مقام جده ووالدِه، وانطوى فيه ما انطوَى فيهما، حتى كان يبشَّر بوراثةِ جدّه قديماً من بعض الصالحين، فحقق الله له ذلك.

وكان العم عبدالله بن الحسن من الذين يمْشُونَ على الأرض هَوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وكان من آيات الله الباهرة، ولم تعرفْ له صبوةٌ من حينِ الصغر، إلى أن بلغ وظهر، وبقي على ذلك واستمر، حتى اختار الله له أحسن المستقرّ.

وكان عاقلاً لبيباً، ذا سكينة ووقارٍ، ومجاهدة ومكابدةٍ وعبادةٍ، آناء الليل وأطرافَ النهار، كثير التلاوة والاستغفارِ، وخصوصاً عند الأسحار، اقتفى آثار والدِه، وكان يحبه ومعجباً به، حتى نال بركاته ما نالَ، مما لا خطر لأحد على بال، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأما مطالعتُه في الكتبِ المفيدةِ، فشيء لا يقبله العقلُ بل الإيمان، وذلك فضلٌ من الله وإحسان، فجميعُ الكتب التي في خزائنِ سيدنا عبدالله نظرَها وخطّه بقلمه على غالبها، وينقل من الفوائد الجمة على حواشِيها وهوامشِها، وفي البياض الذي بجوانب

الكتب.

أخبرني بعضُ جيرانه، قالَ: إنه يطالعُ في الكتب النافعة الليلَ كله، ولا يطفئ له سراجٌ، وذلك ظاهر جلي، يعرفه من سايره وراقبه وسبر أحواله، وذلك ظاهر في أفعاله، فقد رأينا من الفوائد بخطّه ما هو جديرٌ أن يوصفَ بهذه الأوصاف، ولو طال عمره لصارت إليه في التدريس والإفتاء ولايةُ جميعِ بلدان الأحقاف، فكيف لا؛ وهو في هذا السنّ وقد صار مجتهداً في التأليفِ، حتى ألف كتاباً حافلاً في «بر الوالدين وصلة الأقارب والأرحام»، جمع من كتبٍ شتى، يعرفُ ذلك من قرأ فيه وطالعَه، فهو كتابٌ جليل، جزاه الله أفضلَ الجزاء.

قال الوالد نظماً في مدح أخيه:

ذاك الصفي الوفي الأخُ من جمعتْ ... له المزايا على الأقرانِ من صِغرِ

عزيز نفسٍ سليمُ الصدرِ ذو أدَبِ ... وعزلةٍ حسنُ الأخلاقِ والصورِ

منشاه في طاعةِ الرحمن مجتهداً ... وتاركاً لفضولِ القولِ والنظرِ

فهو من السبعةِ المذكورِ ظلّهُم ... بعرْشِ ربٍّ كما قد جاءَ في الخبرِ

عبدالله ابن صفيّ الدين والِدِنا ... وشيخِنا حسنِ علامَة زهرِ

نجلٌ لحداد قطبِ الوجودِ فيا ... فخراً لنا ولمن يعرِفه يا وزري

فافهم لقوله: إنه من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله، لحديثٍ ورد في السبعة عن النبي ﷺ منهم «**شاب نشأ في عبادة الله**»، وفي حديثٍ: «**عجبَ ربُّك من شابٍّ لا صبْوةَ له**». وقد وصّى الوالدُ أخاه بوصيةٍ نظماً، فانظرها في ديوانِ الوالد، المسمى «نزهة القلوب وفسحة المكروب».

وكان بارًّا بوالديهِ كثيراً، مترحِّماً عليهما، لا يخالفهما في أمرٍ أبداً، وأراده والده أن يتوكل على بعض أمورِ بيتِ والده، فقال له: بشرط أن لا أخالفَ أمر الوالدةِ في كل ما

تريدُه مني أعطيها إياه. وكان عفيفاً حقًّا، وسماه والده باسمِ جدّه عبدالله بن علوي الحداد، توفي صغيرا[١] وبقيَ في خاطر الحبيبِ الحسن شجنٌ، وبعدُ حصلتِ البشارة العظمَى، والكرامة الظاهرة لسيدنا، والمترجَم له حملٌ، كما أخبر الحبيب الحسن والده، وكذلك الوالدُ أخوه، قالا: أن المحب عبدَالجبار، رجل من أهل بلد (شبام)، طلع من (الحاوي) إلى مسجد الأوابين يركعُ الضحَى فيه، فوَجد في المسجد المذكور درويشاً عليه أثرُ الصلاحِ، قال له: يا عبدالجبار، سلم على حبيبك الحسن بن عبدالله الحداد إذا خرجتَ إلى (الحاوي)، وقل له: الولد الذي يأتيك قريباً سمِّه عبدَالله باسمِ الذي قبله، فما أعظمَ من هذه البشارة، أنه ولدٌ ذكرٌ، وسماه قبل وجوده.

حفظ القرآن العظيمَ على المعلمِ عمر بن عبد الله باغريب، وكان كما أخبرني الوالدُ أحمد: يحبُّ الوحدةَ والخمول، قال: وكانت تغلب عليه الحدّةُ، وهي تعتري خيارَ هذه الأمة، كما في الحديث عن النبي ﷺ، وكان يغلبُ عليه الخوفُ من الله جدا والهيبة، حتى كان يقيء الدمَ من شدة ما ينازلُ باطنه من الخوفِ والهيبة لله عزّ وجل.

سافر بإذن والدِه لزيارة الشيخِ سعيد العمودي، ومن بالوادي المبارك من الصالحين، أحياءً وأمواتاً، وأخذ شهرا في زيارته هذه، وأحبوه الناسُ وتعلقوا به كثيراً، وانتفع به جمٌ غفير من أهل ذلك الوادي، ويحفظون منه أشياء كثيرةً، ولا رآه أحد في أيام حياته إلا ورأيته إذا ذكَره يتأثرُ عليه جدًّا، لنورانيته وحُسنِ أخلاقه وخلُقِه وعشرته.

وزار أيضاً بأمر والده سيدَنا أبو بكر بن عبدالله العيدروس ببندَر (عدن)،

---

(١) هذه العبارة تحتاج إلى مراجعة، لأنها توهم القارئ أن المترجم له هو الذي توفي صغيرا، وإنما السياق يبين أن هناك ابنا آخر للحبيب الحسن، سماه عبدالله، ومات صغيرا، ثم جاء بعده عبدالله المترجم هنا، اهـ مصحح.

وتزوج بعد مجيئه من سفرِه، ولم تحمل زوجته. ورأيت بخطه رحمه الله: «سافرنا إلى عدن لزيارة الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس سنةَ ١١٦٠، سلْخَ شوال، ورجعنا سلخَ جماد الأول سنةَ ١١٦١، فصار مدّة السفرِ سبعة أشهر».

وكان صاحبَ استقامةٍ عظيمة، زار نبيّ الله هود مراتٍ عديدةً مع والده ومع الناس، في شهر شعبان وأما زيارتُه لجنانِ (بشّار) فكل جمعةٍ، وليلة الربوع مع والده، وفي غير هذين الوقتين المذكورين لا تعَدّ ولا تحصَى، وزار صاحب (عِينات) أبوبكر بن سالم، وسيدنا أحمد بن الفقيه المقدّم في (العجُز)، وسيدنا جمَلَ الليل محمد بن أحمد بن عبدالله باعلوي مقدم (تُرْبة المصَف) بـ(قسَم)، وزار وحدَه ومع والدِه الشيخَ أحمد بن عيسى وأولادَهما.

وبالجملة؛ فلا تحصى مناقبُه، ولا تعد مواهبه، وكانت ولادته سنةَ ١١٣٩، ووجدتُ بخط والده الحبيب الحسن: «الحمدُلله؛ ولد المولودُ المبارك السعيدُ، إن شاء الله، عبدالله بن الحسن، الملقب بعوَض، ابن الشيخِ عبدالله بن علوي الحداد، سلخ ربيع الثاني سنةَ ١١٣٩ من الهجرة النبويةِ، جعله الله سعيداً معمَّراً، مع اللطف والعافية»، انتهى ما وجدت مكتوبا بخط والده نفع الله به.

ووجدتُ بخطّه، ومنه نقلتُ، يؤرّخُ والدَه وإخوانَه، هو وإياهم، ويذكر طبائعهم، قال: «ولادة سيدنا الوالد الحسنِ، حفظه الله سنة ١١٠٠، وتاريخ ولده أحمد: «نظيفُ البدن»، سنةَ ١١٢٧، وتاريخ الفقير، ولده عبيدالله: سنةَ ١١٣٩، «جَلا ظهَر»، وتاريخُ ولده حامد: «أعظِمْ بسعدٍ»، سنةَ ١١٤٧. **معرفة طبائع المذكورين:** الوالد حفظه الله: الحمَلُ، ناريٌّ، والصنو أحمد: الجوزاء، رياحي، والفقير: الحمل، ناريٌّ، والصنو حامد: السرطان، مائيٌّ»، انتهى من خطه نفع الله به.

وتوفي رحمه الله في شهر الحجة، لنصفٍ خلا منه، سنةَ ١١٦٤، وعمره نحو خمسٌ

وعشرون سنةً، قدس الله روحه، آمين. وكانت وفاته فجأةً قريبَ صُفورِ الشمس، ورثاه الوالدُ بمرثاتين عظيمتينِ، يرقِقانِ القلب، ويظْهرانِ كوامنَ أحزانه، لأنّ ما خرَج من القلب صادَ القلب، قال في واحدةٍ منهنّ:

يقـول الهاشـمي دمعُـه تحـدّر | على الخـدين مِـن فُرْقَـا حبيبـه
ونارُ الحزْن وسْطِ الجوفْ تـدْهَرْ | وقلب .... مـن لفـح اللهيبـةْ
ولكـن قلـتُ يـا قلـب تصـبَّر | فجيعـه جـات بغتتهـا مصـيبةْ
دهتْنـا داهيـةْ لي مـا تقـدَّرْ | تشيب الراس من قبل المشـيبةْ
وفـاة الصِّـنو عبـدالله الازهـر | قد استوْفَى مـن الـدّنيا نصـيبهْ

إلى آخر ما قالَ فيها، فانظرْها في ديوانه هي والأخرى.

وقال في الأخرى مؤرخاً فيها لوفاته:

خطبٌ جرَى في الورَى يا قلبُ فاصْطبر | وارضَ بمـرِّ القضَـاءْ تـنجُ مـن الحـذر
لـيسَ لمـا قـدْ قضَـاه الله مرتجـعٌ | ولا مـردّ لمـا قـد فـاتَ فـادّكرِ
وسلمِ الأمـرَ تحـظَ بـالثوابِ غـدًا | وبالسلامةِ في الدنيا من الضّـجرِ
فليس في الجزَع المـذكورِ مـن دركٍ | لما مضَى فاتعظْ يـا قلـبُ واعتـبرِ

إلى أن قال :

شهرُ ذي الحجـة كـانَ انتقـالُ لـه | في ليلةِ الأربعاءْ والنصف منه عَـرِي
أربعْ وستونَ بعد الألفِ مع مائـةٍ | من السنينَ مضتْ عن هجـرة الطهُـرِ
بين العشـائينِ فـاضَ الـروحُ وارتفعـتْ | إلى رحـيمٍ كَثـيرِ الجـود مقتَـدرِ
جنـاتُ خلـدٍ مآلُـه إن تعـدّ تجـدْ | تاريخه ثابتـاً وهـو بـذاك حـرِي

وأخبرني من حضر وفاته: أنه رحمه الله تتراءَى له منازلُه في الجنةِ، ويقولُ وهو

رافعٌ طرفَه إلى السماء، كالذي ينظر إلى شيءٍ: هاتوا من ثمَر هذه الشجرة، بأسمائهنّ، ويطلب من أثمارها، رحمه الله.

ورأيتُ جملة من الأذكار مرويات عن النبيِّ ﷺ، من واظبَ عليهنّ لم يمُتْ حتى يرَى منزله من الجنة، ولعله واظبَ عليها، لأنه كان عابداً خاشعاً لبيباً أديباً، تغلبُ عليه الوحدَة ويستأنس بها، كما أخبرني الوالد أحمد.

قال: ورأيته بعد وفاته بليلةٍ، وهو بحالة مرضيةٍ، داخلاً منزلَ والده، المجلِس، ويطلب صابوناً يريد يغسل ثيابه التي توفي فيها، وكان بها نقط دمٍ من القيء الذي خرجَ منه قرْب وفاته، والتهوا بموته عن غسْلها حالاً رحمه الله، وغسّله والده الحسنُ بيده، ويقول جهراً عند غسله، له: «**اللهُمّ** ما كان عليه من الحقوقِ لنا وقصَّر فيها عفَونا عنه، فاغفر له ذلك، وأنت أكرمُ منا، **اللهُمّ** اغفر له ما قصَّر من الحقوق التي لكَ عليه يا أرحم الراحمين»، وبقي يردّد هذه الدعوةَ العظيمة عند الغسل له، وقال الوالد أحمد: إني تمنيت لما سمعته يدعو بهذا وقلت : يا ليتني مكانه رحمه الله.

وكنتُ أسمعُ كثيراً سيدي الحسن يدعو لعبدالله المذكور، ولأخيه حامدٍ في الصلواتِ وبعدَها، وفي كل زيارةٍ يزورها لجنانِ (بشّار)، عند كل قطبٍ وولي، إذا قرأ الفاتحة وما تيسر بعدَها من القرآن لذلك الوليّ أشركَ معه ولديه الأنورَينِ، ويدعو لهما كثيراً.

[ذكر حامد بن الحسن]:

وكان الحامدُ بن الحبيبِ الحسن؛ تخرَّج على والده، وقرأ عليه، وانتفع به.

قرأ عليه جملةً من الكتبِ، وحصَّل بقلمه بعض الكتب، ورأيت منها بخطّه كتابَ «الدعوة التامة» لجده عبدالله الحداد، وقرأ على أخيه أحمدَ خصوصاً في علمِ الفقه، والنحو، وتوفي وهو ابنُ عشرين سنةً.

وكان شريفاً ماجداً، أديباً عاقلاً، ذا فتوةٍ وفطانةٍ، وأمانةٍ مجتهداً في طلب العلم من حينِ خرج من المكتب، وهو دون العشر السنينَ، حتى نال سعادة الدارين، ورضا الوالدين، والدوب في العبادة مدةَ حياته، حتى توفاه الله على حالة مرضيةٍ. شبهُ الطارقِ حدثَ عليه، فأخذ أياماً وتوفي، وكان كأخيه تتراءى له الجنة رحمه الله، كما أخبرني بعضُ كرائمه، وكانت وفاته لتسعٍ في شهر صفر سنة ١١٦٧. وكانت ولادتُه على ما رأيته بخط والده الحسن، ومنه نقلتُ: «الحمدلله، ولد المولود المبارك السعيدُ إن شاء الله، محمد حامد بن الحسن بن عبدالله الحداد، ليلةَ الجمعة عاشر شوال سنة ١١٤٧، جعله الله من عباده الصالحين المعمَّرين البارينَ مع اللطفِ والعافية».

وقد أرخه بعض السادة في أرجوزةٍ، إلى أن قال:

إن تريـــــــدُوا أرِّخُـــــوهُ   واحسـبوا «أعظِـمْ بسَـعْدِ»

انتهى. ونشأ نشوءًا حسناً، مواظباً على الصلوات مع الجماعاتِ، وللمدارس والزيارات، زار مع والده وأخويه أحمدَ وعبدِالله نبيَّ الله هوداً ﷺ، ومن في طريقهم من الصالحينَ، والأصل زيارة نبي الله هود ﷺ، ومعهم الحبيب أبوبكر البار، وعبدالله بافارس، وعلي بن محمد بانافع، في شهر رجب وذلك بعدَ رجوع الوالد من زيارة العدَني، والمذكورون وصَلوا معه من بلدانهم.

تعلم القرآنَ على المعلم الذي علّم أخاه عبدالله، وقد لبسَا من والدهما لباسَ القوم، وحط عليهما نظره، ويترَحَّم عليهما كثيراً، ويكثر الدعاءَ لهما لأجلِ الترقِّي أعلى الدرجاتِ لهما، لأنهما ماتا وقتَ الشباب، وإن كانا على أكملِ حالةٍ وأرفع منزلة، لأن طالب العلم شهيدٌ، كيف وقد سلكَا طريق آبائهما الصالحين، وتربيا تحت نظرهِ.

قبرا في مقبرة جدهما القطب عبدالله الحداد، عبدُالله بجنب عمّه الحسين بن عبدالله الحداد إلى شرقٍ، والحامدُ بجنبِ أخيه عبدالله المذكور إلى شرقٍ، وكان قبر

الحسين من جهةِ البحر والنجْد سواءً، هو وسيدي الحسن أخوه، قبر الحسين حذاءَ رِجْلي الحسن، ومواجهة قبرِ سيدي الحسن من القبلةِ سواءً، والده القطب عبدُالله الحداد بينهما قريبَ ذراعينِ، رحم الله الجميعَ، ولا حرَمَنا بركاتهم ورزَقنا الأدب معهم.

* * *

[ذكر أم أولاد الحبيب الحسن]

وأمّ سيدي الوالد أحمد وإخوانه عبدالله وحامد، والأولاد الذكور والإناث، قريبَ عشرين بين ذكرٍ وأنثى وسقطٍ، أمهم الجميع الشريفةُ العابدة، العفيفة الطاهرة، الزاهدة في الدنيا وأهلها وجاهها ومالها، رصينةُ العقلِ والدين، الولُود الودودُ، سلمى بنت العارف بالله حامد بن علوي المنفّر باعلوي.

كانت رابعةَ زمانها، وسلطانةَ أوانها، صاحبة عبادةٍ في صرَّاتِ الشتاء والهواجر، وسليمة القلب جدًّا، لها حظٌ وافر من الخيرِ والصلاحِ، تكره الغيبةَ وتفِرُّ منها، وإذا حضَر لديها ولو أكبرُ كبيرٍ واغتابَ أحداً من الناسِ ولو بكلمةٍ زجَرته، وكانت سخيةَ النفس جدًّا، وراثة جدّها عمر بن أحمد المنفر، والشيخ عبد الله باعلوي، ولا تبالي بالدنيا قليلاً أو كثيراً، وإذا لم تجد شيئاً باعتْ من أمتعةِ البيت، وباعتْ جميع حليها في أوجُهِ الخير وفعْلِ المبراتِ، وكذلك ما ورثته من والدِها، مع أن سيدي قطب الزمن قائمٌ بها وبكلّ ما ينُوبها، لكن للعطاء والإنفاقِ عندَها حلاوةٌ. ولما علم سيدي زوجها الحسن صحة نيتها، وقصدها بذلك وجه الله والدارَ الآخرة، تركها تفعلُ ما أرادتْ أن تفعله في بيته، وأنفقت ما أنفقته برضَاهُ، رحم الله الجميع.

فما جلس مجلساً بعد وفاتها إلا وترحّم علَيها كثيراً، ويذكر أفعالها المحمودةَ، وعند كلّ قهوةٍ يقرأ لها الفاتحةَ، وقال: «إني من حال الصغر لما سمعت الوالد عبدالله الحداد يقول لي ولإخوتي: ما رأيتموني أفعله من العبادات والعاداتِ افعلوه، إلا كثرة

التزويج لا تفعلوه، لأني مأمورٌ بذلكَ، قال الحبيب الحسن: فمن حينِ سمعتُ ذلك من والدي عزمتُ أن لا أملكَ في عقدي من النساءِ إلا واحدةً، وكنت في كل ركعةٍ مفروضَة وسنةٍ أدعو أن الله يرزقني امرأةً سيدةً صالحةً، عابدةً ميمونةً قانتةً، كاملةَ العقلِ والدينِ، ولوداً ودوداً، وتطولُ حياتها، فرزقني الله ذلكَ، فكانت كذلك».

وكان لا يثني عليهَا في وجهها في أيام حياتها، فلما توفيتْ يثني كثيراً، وقال الحبيب الحسن يوماً لسيدي سقاف بن محمد [بن عمر] بن طه، صاحب (سيون)، لما جاء زار إلى (الحاوي) بعد وفاتها، وبقي زوجها سيدنا الحسنُ يصف فيهَا أخلاقَ المؤمنين الكاملين، وقال له: «من يوم أخذتها ما سمعتُ منها كلمةً واحدة غير مليحةٍ، إلا مرة واحدةً، تكلمتُ عندها بكلام على بعضِ النساء من أهل بيتها، قلتُ لها: إنها تريد الزواجَ، فقالت لي: «أنت ما تشوَر تتكلم»، هذه الكلمة وحدَها، وكانت جواباً، قال الحبيب سقاف له: كم نسمع من نسائنا!، الله الله، ما غير هذه الكلمة!، لكلمةٍ تكرهُ ذكرَها النساءَ، فرحم الله الجميع ورضي عنهم وعنا بهم.

وكانت لا تفترُ لسانُها من ذكرِ الله، وكانت مسلمةً للقضَاء والقدر، لا تعترضُ أبداً مثل ضعَفةِ النساء، قالت لي بعضُ بناتها: إني أتعجبُ من والدتي إذا مرضَ مريضٌ منا أو ماتَ لم تنزعجْ لذلك مثل النساءِ، وتنام وقتَ المصيبة وعند المرضِ، ما كأنها متحملةٌ بشيءٍ من ذلك، مع كمال ثباتها وجأشها.

وكانت كثيرةَ العبادةِ، تطيلُ الصلاةَ جدًّا، خصوصاً السجود في كل فرضٍ، وكنت أتعجبُ من ذلك، ما يتعبها ولا يشغلها رأسُها، ويجي الجائي ويروح الرايح إلى بُعْدٍ ويرجعُ وهي في سجدة واحدة، فسبحان العليم الحكيم، يمن على من يشاء بالمراد، وأقربُ ما يكون العبدُ من ربّه عند سجودِه، قربُ مواصلةٍ وقبولٍ، لا قربَ مسافةٍ، تعالى الله الملك الحق عن ذلك.

وفي اليوم الذي توفيتْ فيه؛ بعد أن صلى عليها الحبيبُ الحسن بالناسِ نهاراً بعد الشروقِ، وخرج من التربة وقْتَ الغداءِ، فلما وصل الدار جئتُ له والحاضرينَ، الوالد والإخوان، بالغداءِ، قال: سبحان الله! كالحزين يا علوي، تموتُ أمّك سلمَى وتأكلْ القوت قريبَ دفنِها، أيستأكل لكم ذلك؟، فحسّيت عند كلمتِه هذه كالجمرة على قلبي، وإذا ذكرتها تألمتُ من ذلكَ.

ومن عجيبِ الاتفاق، أني ليلةَ وفاتها في أيام الشتاءِ ونحن نيامٌ والأصناء في الميسَمة، المنزل الذي كان في الدهليزِ، وقد مرضَ فيه سيدُنا الحسن مرضَه الأول، عند وسط الليل أو آخره، انتبهتُ من النوم مرعوباً، وأتعبتني عيناي تعباً شديداً، كأن بهما رمداً، ولم أكن قبل ذلك أحسّ بهما شيئاً، ثم زال التعبُ من ساعته، ونمتُ ما كأن بي شيئاً من ذلك، وأظن أن ذلك حين وفاتها، والله أعلم.

وكانت وفاتها على غايةِ الكمالِ، بعد أن صلتِ العشَاء طلعتْ إلى المنزلِ الذي تنامُ فيه هي وبناتها، ونامتْ على عادتها، ثم توفيت فجأةً، بسبقٍ عليها قبلَ الوفاة عليها من داء الاستسقاء، مرضتْ وتعافت من ذلك، وغسلها ابنها أحمدُ بنفسه، وصلى عليها زوجها سيدنا الحسن، وقبرها بجنبِ أمه الصالحةِ، فاطمة بنت محمد الباقر باعلوي، في مقبرة القطب عبدالله الحداد بجنان (بشّار)، وكانت وفاتها في شهر شعبان سنة ١١٨٠.

ورأى سيدُنا العمّ الحسين بن محمد الحداد بعدَ وفاتها، كأنها في حالة مرضيةٍ، وكأن الحبيب الحسن عند قبرِها ويقرأ عند القبر قصيدَة والده التي يرثي بها زوجتَه الصالحة، خديجة بنت عبدالله بن عمر بن حسين، التي مطلعها:

سـقى الله بَشَّـاراً بوابـلِ رحمـةٍ   تجودُ عليهَا بالصبَاحِ وبالإمسَا

الخ. وكان سيدي بعد ذلك يتأثرُ بهذه القصيدةِ إذا أنشدتْ بين يديه.

وأعلمني جدي زوجُها، أنها بعد موتها تأتيه في المنامِ على لون الحور العينِ، ويقع له معها ما يقعُ للزوج مع الزوجة. وأعلمني سادةٌ ومحبونَ أنهم رأوها في المنامِ برؤيا صالحة عجيبة، وكأن لونها لونُ الحورِ العين، وغالب محبيها رأوها، تركنا ذلك اختصاراً. وقد انتفعنا بها وبمشاهدتها لأن فيها علامةُ الأولياءِ، إذا رأيتها ذكرتَ الله، ولو جمعنا مناقبها ما سمعناه من سيدنا الحسن وحدَه في تعديدِ خصَالها الحميدة لطال بنا الكلامُ، وخرجنا عن مقصودنا من الاختصار، وخير الكلام ما قلَّ، وعلى المطلوب دلّ، جمعنا الله بهم في جنة الفردوس في خير وعافية آمين.

وقد أعظم الله لها السعادة بأن جعلَ زوجَها قطبَ زمانه، ومقدمَ أقرانه، وجعل أولادَها أكابرَ أخياراً، علماءَ أبراراً، وقد شاهدتْ ونظرتْ قطب الدوائر عبدالله الحداد، والحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فرحمَ الله الجميعَ رحمةَ الأبرار، وأسكنهم جنة تجري من تحتها الأنهار، وألحقنا بهم في خير وعافيةٍ، آمين.

* * *

[ذكر أبناء السيد سالم بن عبدالله بن علوي الحداد]

وممن انتفع بسيدنا الحسن أولاد أخيه سالم؛ وهم: إبراهيم، وعلي، وعلوي، بنو سالم بن عبدالله الحداد. أما إبراهيم فأجازه إجازاتٍ في الإلباسِ والأورادِ والقراءةِ ونشر العلمِ، وكان رجلاً جليلاً محدِّثاً، يكاد يحفظ «البخاري»، نفع الله به خلائقَ لا يحصونَ في الهندِ ببلدِ (سُورَتْ) وغيرها. وأما علي فكانَ متفنناً في العلمِ، جلُّ حياتِه مع عمه زين العابدين بـ(الصّير)، توفي بـ(المخَا). وأما علوي فكان صوفيًّا صاحبَ عباداتٍ وسياحةٍ، وقد ذكرناهُم عند ذكرِنا القصيدةَ التي رثَى بها والدَهم الوالدُ أحمد، رثى عمّه سالماً، وأتيا ببعض سيرة سيدنا سالم هناك.

* * *

[ذكر أبناء السيد الحسين بن عبدالله بن علوي الحداد]

وممن انتفع بسيدنا الحسَن: أولادُ أخيه الحسين؛ محمد الباقر، وعلي، وعبدالله.

أكبرُهم السيدُ الشريفُ، الخال محمد الباقر؛ كان من أهلِ السرِّ المصونِ، والنور المكنون، له تصريفٌ نافذٌ، من الصابرين الشاكرين المنيبينَ، إذا رأيته ذكرتَ الله، نورُ الصدق لواحٌ عليه، وعين الله ناظرة إليه، من الذاكرين الله كثيراً، ولقبوه بالباقر، فلذلك من ناداه في حياته وذكرَه بعد مماته قالَ: «محمد الباقر».

وكان سخي النفس جواداً، ينفق ما حوت يداه، حتى كان يضرب به المثل عند أهله وجيرانه، سماه جده الحبيب عبدالله الحداد، وتربى في (الحاوي) الميمون في حياة جده، وحطّ عليه نظره، وكان والده يحبه ومعتني به، لأنه أكبر أولاده، هو وأخوه أحمد أمُّهما من السادةِ آل خرِد.

حجّ حجاتٍ كثيرةً، وزار صالحي اليمن، ويسمع خطابَ الأمواتِ، كما أعلمني بعضُ الثقات بوقائعَ له. وزار الشيخ الكبيرَ محمد بن علي مولى (مِرْباط)، وزار الشيخ سعيد العمودي، وأولياء (دوعن) مراتٍ، وزار نبي الله هود عليه السلام مراتٍ عديدةً مع والده وأعمامه، وكان صاحبَ عبادة وسريرة صالحة.

ظهرتْ على يديه كراماتٌ، حدثني بها من نظرها، منها: أني لما زرتُ الشيخ أبو بكر العدَني سنة ١١٨٣، وعيدنا عيدَ عرفة عنده بعدَن، وكانت زيارتنا بإشارة سيدي الحسن بن عبدالله الحداد، ولما رجعنا آخرَ شهر ذي الحجة، ودخل عاشور سنة ١١٨٤، ونحن بأرض (مرْخَه) من (أرض العوالق)، كنا عند النَّسيِّنَ، قبائل مرْخَه، نسمعهم ينادون: محمد الباقر؛ قلنا لهم: من هذا الذي سميتُوه محمد الباقر؟ قالوا: هذا سميُّ خالكم الحبيبِ محمدٍ، إنه في سفره مرَّ إلى (وادي مرْخَه) هذا، وقال: من يُعطِي شَدَّ بعيرٍ، أي: شرْخاً، بولدٍ!، وكان واحدٌ من جماعتنا ولدَتْ له زوجته بخمسِ بنات

حياتٍ، غير من ماتَ، ولم تحملْ له بولدٍ ذكرٍ، قال للسيد محمد: مني الشرْخُ ومنكَ الولد!، قال له: نعم؛ فجاءتْ له زوجته بهذا، كرامةَ السيد محمد، فسموه باسمه، ونذروا له بأرضٍ.

ومنها: ما أخبرني بعضُ الفضلاءِ، قال: سرتُ مع سيدي محمد الباقر، ومراده زيارةَ أولياء اليمن، حتى وصل إلى عند السيد علي الأهدل، فلما زارَه، قال: إن في نيتي أن أزور الأولياء حتى نصل إلى أبوعَريش، وإن السيد الأهدل أمرَنا بالرجُوع من حضرته إلى (تريم)، قالَ: فاستأذنه سيدي محمدٌ ثلاثاً، فلم يأذن له، وكان يخاطب الأموات.

وأخبرني بعضُ المحبين: أنه سافر هو وإياه إلى (عمان)، لزيارة عمّه زينِ العابدين، فقال لهم: مرادُكم لحمَ صيدِ الليلةَ؟ فقالَ له رفقته: نعم؛ فعند المحطّ وصلَ إليهم ظبيٌ، فقبضوه بأيديهم وذبحوه، ولم يقدر يسير عنهم، كرامةً للسيد محمد الباقر.

وأخبرني بعضُ الكرماءِ، ممن كان تأتيه الضيوف، قال: قال لي السيد محمد الباقر: قسِّمِ اللحْمَ على الضيوف بيدك، تنزل البركة، لأن الكريمَ إذا قسَّم تباركَ ذلك الشيءُ، فكان الأمر كذلك، يتبارك مِنْ قال لي ذلك، نفع الله به.

قرأ على سيدي قطبِ الزمن غالبَ «إحياء علوم الدين» وغيرها، ولم يزل خصوصاً آخر عمرِه مستمداً للبركاتِ والخيراتِ من شيخِه وعمه الحسن، وتزوج بابنة عمه، شِفاء بنت الحسَن، وتوفي وهي معه، وكانت وفاته من وجعِ ذات الجنبِ، فهو شهيدٌ.

أمه وأم أخيه أحمد وإخوانه، زهراءُ بنت زين خرد، وخلفَ بنتاً اسمُها نور، أمها شفاءُ المذكورة، توفيتْ نورُ المذكورة في شهر رمضان سنة ١١٨٨، ولم تعْقِبْ.

[ذكر الشريفة نور بنت محمد الباقر الحداد، زوجة المؤلف]

تربتْ نور في حجْر والدِها وجدّها الحبيب الحسن، وقدر الله الزواجَ عليها سنةَ ١١٨٥، بإشارة جدّها وخالها والدي أحمد، ورأيتُ في المنامِ كأن والدَها الخال محمد المذكور بدهليزِ الحبيب عبدالله الحداد، الذي يدرِّس فيه في مكانه (الحاوي)، وهو جالسٌ في مكان جده، مقابلَ خزانةِ الكتب، فسلمتُ عليه، وقبلْتُ يده، وأعطاني كتاباً ظنيتُ أنه مصحف، من أوله إلى آخره، ففرحتُ بذلك كثيراً في المنام، وخرجت من عنده وجئتُ إلى بيت سيدي الحسن، فلما دخلتُ الدهليز الذي يدرّس فيه سيدي الوالد، ففتحتُ الكتابَ فإذا هو ديوان سيدنا عبدالله الحداد من أوله إلى آخره، المسمى «**الدر المنظوم في الكلامِ المقسُوم لذوي العقولِ والفهُوم**»، فعلمتُ أنها مباركةٌ، وأنها هي الديوان. وكانت وفاتها حسنةً، قالت لمن حضَر: هذا ملكُ الموتِ جاء بلونٍ حسنٍ، أرسلوا لخالي أحمد وإلا فلان يعينني يحضُر وفاتي، وبقيتْ تذكر الله حتى توفّت، أول شهر رمضان كما تقدمَ قريباً، وكفنت في ثيابِ سيدي الحسن، كنتُ أدخِرها لنفسي فآثرتها به، رحمها الله.

وكنت أراها في المنامِ على لون الحُور العينِ، ويقع بيني وبينها كما تقدمَ في باب الحكاياتِ في الحكاية الثانية بعد المائة، في آخر البابِ، ولما سافرتُ لزيارة سيدنا محمد بن علي صاحب (مرباط)، ووصلنا إلى (الصّير) لزيارة سيدي زين العابدين بن عبدالله الحداد سنةَ ١١٩١، وأخذْنا ثلاث سنين عندَه، لإحياء مآثره، ولجبر أولاده الخالِ علي وأحمدَ ابني الحسين بن عبدالله الحداد، سمعنا قريبَ خروجِنا إلى (مَسْكت) قاصدين (حضرموت) قائلاً بالنهارِ من وراء البيتِ، يقولُ: مالكَ مخرجٌ من (عَمان) حتى تتزوجَ، فأعلمتُ الأخ حامدَ بن الخالِ علي بـ(جَزيرةِ زِعَاب)، التي سيدي زين العابدين فيها.

ثم عزَمْنا على السفرِ، ووصلنا (مَسْكت) في آخر شهر عاشور، وركبنا في مركب رجلٍ من آل بلد (الرّمس) من (أرض الصّير)، وأخذنا نحو ثمانية عشر يوماً، وردَ المركبَ الريحُ والمايه بتقدير الله، ورجعنا إلى (مَسْكت).

* * *

وطلعْنا منها إلى (جَوّ عمان) بطلابٍ من أهلها، ووجدنا السيدَ المكاشف الولي البُهْلول الملامتيَّ نور، وأخبرني بما سيقعُ لي في الجهةِ، وقال لي: إنها مكتوبةٌ لك زوجة في هذه الأرضِ، وهو من ذرية سيدنا عبدالقادر الجيلاني، له كشوفاتٌ عظيمة، وله كراماتٌ كثيرةٌ وخوارقُ عاداتٍ، يحتاج معها إلى مجلد مستقل.

كان هذ السيدُ كاسمه، نوره جاهر، ولا يركب على دابة أصلاً، ولا يطرح في رجليه نعلاً، ولا ينام إلا عند القبور، ويحدّث بما سيقع فيقعُ، ولا يخرق ثيابه الرصاصُ الحامي، يدخل في الحروب ولا يضره شيء، وإذا غلبه الحالُ أكلَ الجمْر الكثير ولا يضره، وينظرونه أهل (اليمن)، و(فارس)، و(البصرة)، وهو بـ(عَمان)، ويحدثنا عن حضرموتَ بلاداً بلاداً، ومدينةً مدينة، ويصفُ كل بلادٍ، ويجيء في وصفه كما نعرفه ونختبرُه، وإذا حضروا عندنا الناسُ يجيء بكلامٍ ما يفهمونه الحاضرون، بل يستهزئون به، وإذا قاموا جاء بكلامٍ يحير الألبابَ، ولا تجده في كتابٍ.

* * *

فقدر الله لنا الزواجَ على بنت السيد حسن بن هادُون بن شيخ العطاس، والسيد حسنٌ أخذَ عن الحبيب حسنٍ بن عبدالله الحداد، ووصل إليه من (عمان) مرتين، وأخذ أيضاً عن الحبيبِ زين العابدين بن عبدالله الحداد، وجاور بـ(مكّة) سنةً، وقراءته على الحبيب عبد الله بن جعفر بن مدْهر، وقد تزوج سيدي زين بن عبدالله الحداد بأخْتِ حسن بن هادون المذكور، اسمُها صالحة، وأولد منها.

وهادون هو الذي أمرَه الحبيبُ عبدالله الحداد يسكن (جَوّ عمان) لنشر السنة، فقدر الله الزواجَ صلةً للمودة القديمة، وللأمر الذي أراده الله من غير اختيارٍ منَّا ولا طلبٍ، فكانت نور بنت الخال محمد؛ إذا أنا في بيتِ الشريفة وعندَها ما أراها، وإذا سافرنا إلى مكانٍ آخر نراهَا، فاعجب لهذه الغيرة حتى في نسَاء البرزخ!.

[ذكر الدرويش نور الجيلاني (ت١١٩٤هـ)]

وكان المكاشفُ بالمغيباتِ، السيد نور، الذي هو من رجال الخطوة، إذا جاء إلى عندنا يبلغنا السلامَ من أكابر أمواتِ أهل الجهة المقبورين فيها، ومن عجيبِ ما وقعَ لي معه سنة ١١٩٢، ونحن في قبة العارف بالله زين العابدين بن عبدالله الحداد: أنه دخل علينا، وفرحنا به، وذلك أول اجتماعٍ بيننا وبينه، فقال له الأخ حامد بن الخال علي الحداد: مالكَ شلَّيت الشالَ الأخضَر الذي على قبر الحبيب زين العابدين بن عبدالله؟، قال له: أهل القبور ما يحبون هذا الذي يطرحُونه فوقَ قبورهم من الكساء.

وكان السيد نور يشلّ الكساء الذي على قبورِ الصالحين بتلك الجهة، ولم يتصرفون فيه، لأنه عند إذنٌ، ويتصرفون في غيره، لأن رجلاً قبله قد شلَّ هذا الشالَ بالليل من فوق قبرِ الحبيب زين، فحيره تحتَ القبة إلى الصبح، ما قدر يسير ولا يتحرك، حتى أخذوه منه، ولم يتصرف في السيد نور.

فلما اتفقنا به وصافحناه، زار الحبيب زين العابدين، وقرأ له الفاتحة، فلما أتم الزيارة جاء إلى عند الفقير ببشْتٍ أبيضَ، وقال لي: هذا إلباسٌ من الحبيب عبدالله والحبيب زين لكَ، فقلنا له: معنا غيرَها، ومرادنا منك إلا الدّعاء، فلما صلينا صلاة العصْر وصلَّى معنا زرْنا الحبيب زينَ العابدين، فألبسنا ذلك البشْتَ الأبيض عند المواجهة للحبيب زين، فتأدبنا وقبلناهُ وألبسناه الثوبَ الذي علينا، فلما نمتُ تلك الليلة، وعندنا في المكان الذي نحن فيه جملةٌ من السادةِ والمحبين، والفقير نائم على

سرير رأيتُ النبيّ محمداً ﷺ في المنزل الذي نحن فيه، وبيده البشْتُ الأبيضُ الذي ألبسنيه السيد نور، مطبقُه وحامله ﷺ، فخرجتُ من فوق السريرِ، وقبلتُ يده وركبته، وناولني البشْتَ وطبقه. وقال: هذا إلباسٌ منا لكَ، فأصبح مطبقاً، ففرحتُ به، وأخذته.

فلما انتبهتُ أعلمتُ المحبينَ الصادقين بذلك، فبلغ السيد نور، وزاد اعتقاد الناسِ فيه، فلما رأى زيادةَ اعتقادِهم سار من عندِنا إلى البلادِ التي هي قريبةٌ منا، بلاد المشايخ حكام الجهة المسماة بـ(رأسِ الخيمة)، وسرقَ برْقعاً فيه مشاخِص ذهبٍ، لتجّارِ أهل تلك البلدة، وبقي حامله ظاهراً، فعلموا الناسُ، فأخبروا الدولةَ فأخذوا البرقُعَ منه، فلما جاء إلى عندنا وقد علمنا ما جرى منه قلنا له: لا تحسبْ أن عقيدتنا فيكَ تتغير.

وقلنا له: فعلت الذي ذكره الإمام الغزالي في «الإحياء»، سرق ثوبَ من هو أطولُ منه ولبسَه تحت ثيابه، لينظرونه الناسُ، وبقي يسير في المسجدِ، فأخذوا منه الثوبَ، ومراده سقوطه من أعينهم، ثم حصلتْ لنا بهذ السيد معرفةٌ وخلطة كلية، وأعلمني بأحوال غيبية حتى أنه يعرفُ حضرموتَ من طريق الكشفِ، كأنه تربى بـ(تريم)، يخبر عن أحوال أكابرِها، ويقول: فلانٌ يتصرفُ في مكاِن الفلاني، وفلان في قبره، وفلان في بلده، وإذا ذكر الحبيب عبدالله الحداد استغرقَ فيه كثيراً، ويقول : ما هي ولايةٌ، وإنما هي وراثةٌ نبوية، وطنب فيه جدًّا، ما سمعته يفخم أحداً مثله.

توفي سنة ١١٩٤، ببلد (ضنك) من جهة (عمان)، وبني عليه قبةٌ، والنور على قبره ظاهر، ولا يحلف على قبره كاذبٌ إلا عُجلَ بالعقوبة، ولنا منه إمداداتٌ كثيرة والحمد لله رب العالمين، توفي وسنه فوق الثلاثين، وظهرتْ ولاية الله له وهو طفلٌ، وكان من أمرِه ما كان، من تصرفٍ في الوقت والزمان، له وبلوغ أعلى مكان.

[ذكر السيد عمر بن عبد الله بن عمر فقيه]:

وكذلك من عجيبِ ما وقعَ لنا بعد خروجنا من جهة (عمان)، ووصولنا إلى حضرة الوالد أحمدَ، وكان وصولنا لخمسٍ وعشرين خلتْ من ربيع الأول سنة ١١٩٦، وسفرنا من (الحاوي) ليومين خلتْ من ربيعِ الأولِ، سنة ١١٩٠، كما تقدم فكانت غيبتنا خمس سنين وخمسة وعشرين يوماً، وذلك أمر الوالدِ لنا بالزواجِ على بنتِ السيد عمر بن عبدالله بن عمر فقيه.

وكانوا حالين في (الحاوي) بإشارة النبي ﷺ لعبدالله، والدِ عمر المذكور، أن يخرج إلى عند الحبيب عبدالله الحداد ويلقي قيادَه إليه، كما ذكره الحبيب محمد بن زين بن سميط في «المناقب الكبرى»، فزوجه الحبيب القطب الغوثُ على ابنته الصالحة مريم، وكانت لها كراماتٌ منها : أنهم خرجوا إلى نخلة من تركة أبيها من ذكور النخل في قسمها فأعلموها ..... هي تنقلب يتيمة من إناث النخل فانقلبت كذلك خلفت مريم المذكور من عبدالله المذكور ولدين، وهما : عمر، وعلي، وبنتاً.

فعمر هذا؛ تربى في الحاوي في حجر والده وأخوله وقرأ بعض الكتب على خاله الحبيب الحسن منها رياض الصالحين للنووي وكان متعلقا بالتجارة لأجل القوام والقيام بالأهل والأولاد حج بيت الله الحرام وزار نبيه عليه السلام وتوفي على رجوعه من الحج والزيارة في بندر جدة وله ابن اسمه محمد قرأ على الحبيب الحسن والوالد أحمد وجد واجتهد. **وأما علي**؛ فكان عابداً، قرأ على خاله مثلَ أخيه، وهو أصغر منه سنًّا.

ومن عجيبِ الاتفاق: أني رأيتُ رؤيا مرتينِ، مرةً قبل سفري إلى (عمان)، ومرةً بعد رجوعي منها، وهي أني رأيتُ زرتُ التربةَ، وابتدأت بالفقيه المقدم على ترتيب الزيارة، وكأنّ معي السيد علي بن شيخ بن شهاب، فلما زرنا الشيخَ علي بن أبي بكر، كأن الشيخ علي ناولَ السيد علي بن شيخٍ مصحفاً من قبره. وسرنا إلى القبةِ لزيارة

العيدروسِ، فلما وصلنا إلى الباب النجْدي أعطاني المصحفَ، فلما فتحته وجدته كتاب «بهجة المحافل» للعامري، على خلافِ ظني أنه مصحفٌ، ففرحتُ به كثيراً لكونه من الشيخ علي.

فبعد ذلك حصل الزواج على بنت السيد عمر بن عبد الله بن عمر فقيه، وكانت أمها من ذريةِ الشيخ عبدالله العيدروس، والدها عبد الله بن محمد مولى (طَعِيرة)، لأن الكتابَ ما أطلقه حتى وصَلنا قبره عند درجِ قبة الشيخ عبدالله العيدروس جد المذكور، نفع الله بهم، فعلمتُ الاتصالَ وأنه سابقٌ في الأزل.

* * *

وكانت السيدة نور بنتُ الخال محمد لم أرَها في المنام وأنا مع الزوجةِ الثانية المذكورة غيرةً منها لما تقدم قريباً في بنت السيد حسنٍ بن هادُون العطاس، فسبحان العليم الخبير، وكان الخال محمد يحبها، ويخرج بها وهي صَغيرة مع جدّها الحسن يتفسَّحون في نخل (تريم).

* * *

[ذكر الشريفة شفاء بنت الحسن، صاحب المناقب]

وكانت أمّها شفاء من الصالحات الكبار، كثيرة الصيام والقيام، قد أعطيت من الصبر أعلى مقام، ما رأتْ عيني مثلها في الصبر على الأفعال المحمودة، حتى أني أسمعُ كثيراً جدي الحسن يقول لها: رتبي عند النوم التسبيح الذي علمه النبيُّ محمد ﷺ سيدتَنا فاطمةَ وعليًّا رضي الله عنهما، سبحي الله ثلاثاً وثلاثينَ، واحمدي الله ثلاثاً وثلاثينَ، وكبري الله أربعاً وثلاثينَ، تمام المائة، كلَّ ليلةٍ.

وكانت تأتي بالماء لوضُوء والدها، وتملي الحوض للوضوء في دار أبيها لأجل الثواب، ولا تخلِّي الأخدام يفعلون ذلك، ووالدها يكثرُ الثناءَ عليها، توفيا وهما راضيان عنها. وقربَ وفاتها أمرتْ الفقير يصِل إلى المكانِ الذي هي فيه، لأن الجميع وإياهـا في بيت والدها الحبيب حسن، فلما وصلتُ إلى عندِها قرأتُ عندها الفاتحةَ، وآية الكرسي، و﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ويس، وتبارك الملك، والإخلاص، والمعوذتين، وكانت تحفظ هذه السور، ثم وصَّتْ، وكان ذلك في النصف الأخير من الليل، وهي ثابتةٌ.

ثم قالتْ: هذه تاسع صرخةٍ للديك الذي تسمعُه قريباً للدار، ثم قالت: هذا ملكُ الموت جاء وسلم، ثم قالت: هو في الرجُول، ثم الركب، ثم البطن، ثم قالت: أخرجوا الوسادَة التي تحت الرأس، وفرغَتْ وهي تذكرُ الله، رحم الله ذلك الوَجْه النَّوير، فما رأيتُ مثل ثباتها عند الموتِ، ولا أنوَر منها بعدَه، تغمّدها الله برحمته، وأسكنها فسيحَ جنته، مع والدها الإمام، وزوجها القمقام.

* * *

[ذكر السيد أحمد بن الحسين بن عبدالله الحداد]

وأما أحمدُ بن حسين بن عبدالله الحداد؛ فكان ممن تربَّى في حِجْر والده وجدّه عبدالله الحداد، وكان جدّه يحبه ويميل إليه.

قال الشيخُ أحمد الشجار الأحسائي في كتاب «تثبيت الفؤاد بذكر كلام مجالس القطب الغوث عبدالله الحداد»: «وأراد رضي الله عنه يومَ الجمعة ثاني ذي القعدة يركبُ معه إلى البلادِ، وإذا بمكتّبٍ طارشٍ، جاء بأوراق من (الشّحر)، فصافحه وناوله الأوراقَ، وناوله قرشاً مرسَلاً به من (الشحر)، فقال لأحمد: أترجع وتأخذ هذا القرش؟ قال: نعم، فأعطاه إياه ورجع، فسار سيدنا قليلاً، ثم قال يخاطب الخادم:

كأنك حزنتَ عليه، تريده للجَعْلاء؟، أي: الفلاحين، ما قلنا لك: قُلْ يا فتاحُ يا رزاقُ فأبيت!، فقلتُ أنا: إن لم يقبل الإشارَة فأنا أقبلُها، وأقول ذلكَ.

ثم بعد قليل ونحن سائرين قال: لو كنا نخبّي وندَّخر لغيرنا من الأهل والمحتاجين، فطريقُنا عمريةٌ، إنما هو تقديرُ الأمور وترتيبها، ووضعُ كلّ شيءٍ في محله، وإن كنا لا نحفلُ بها، فإن عمرَ كان يرتبُ ويقرِّر لأبي بكرٍ، إذ أبو بكر من أرادَ له وجهٌ في أخذه أعطاهُ إياه، وعمر ينظر من هو أولى منه، وكان له قوةٌ في تقريرِ ذلك، إذ لا يريد شيئاً منه لنفسهِ، ولو كنا متجرِّدين من الأهلِ والعيال لكنا لا ندَّخر شيئاً، ولا نبيتُ على معلوم.

فقلتُ له: من فضل الله أنهم رأوا النبيَّ ﷺ ومَنْ بعدهم رأوهم، وهكذا إلى زماننَا، وفي نفسي أننا أيضاً رأيناكم، فقال: نعم، والأولياء موجودون الآنَ، وما عُدِموا، ولكن يخفّونَ ويقلّون، وظهورهم وخفاهم بحسب صلاح الزمان وفساده، لكن انقسم الناسُ فيهم إلى محبٍّ غالٍ يكادُ يعبدهم من دون الله، كما كان ذلك في حقِّ سيدنا علي، ومنهم عدوٌ شانئٌ حتى لعَنوه على المنابر، ولكن المبغضون لم يزلْ أمرُهم يضعفُ ويتلاشَى، وأمرُ الآخرين يقوَى حتى وقتنا هذا، منهم المطبوعُ لنا على المحبةِ والتعظيمِ، ومنهم العدوُّ القالي، وإن أظهر المحبةَ، حتى إن أحدَهم لم يطَّلعْ لنا كتاباً، وإذ سمع لنا نظماً ضاقَ منه، مع مجاورتهم لنا في النسَبِ والبلدِ، فلا هم ربَّوا دنيا، ولا نسب رياسة، ولولا انقباضُنا عنهم وعدم مخالطتنا لهم كان آذونَا وأشغلونا.

فذكرت له حينئذٍ رؤيا وقعتْ لي البارحةَ، وهي أني قلتُ له: رأيتكم البارحة وأنا معكم، جئنا من مكانٍ، وإذا بكم تقولون: سِرْ بنا إلى المكانِ الفلاني، وكأني ثقُل عليَّ ذلك لعسر فراقكم عليّ، فلم تعذروني في الترك، فلما رأيتُ منكم العزْمَ، قلتُ: فإذاً

أكون معكم في الدنيا والآخرة، فقلتم: نعم، ففرحتُ لما قبلتم مني ذلك، فقال ذلك لتعلقك بالسلسلة.

* * *

ولما بلغَ أحمد المذكورُ سبعَ سنين، وألبسه حبيبه عمامةً، فجاء فرحاً بها إلى أبيه الحسين فأخذَها منه، فرجع إلى حبيبه باكياً، فلامَ أباه في أخذها، فكتب أبوه الحسينُ إلى أبيه أبياتاً يعتذر فيها إليه، ويقول: «الكبير أولى بالعمامة من الصغير»، فكتب إليه والدُه هذه الأبيات جواباً له على نمطِ أبيات: «بسم الله، والحمدُلله:

وليس على أحمد لكم ملامةْ ... وتعذرُه الولادَةُ والرحامَةْ

وحسبكَ قولُ من سأله كسرى ... من الحكماءِ أربَاب الزعامَةْ

وحبَّ المصطفَى المختارِ صلّى ... عليه الله ما درَّت غمامةْ

لابنيهِ حسينٍ وأخيه ... بني الزهراءِ فاطمةَ الكرامةْ

وكلّ تابعٌ للكلّ منهم ... لأنهمُ مَصابيح الإمامةْ

وبعد وفاة الحبيبِ بأيامٍ، قال لي أحمد المذكور: رأيتُ البارحة كأني دخلت على حبيبي عبدالله في قبره، وكأنه أعطاني عمامةً ودعَا لي»، انتهى ما نقلته من كلام الأحسائي.

لأن فيه دلالةٌ على مقامِ أحمد المذكور، ومحبة جدّه له، ولتعلمَ أن من تكلم على ما نقلناه في هذا «المجموع»، إنما حمله الحسدُ على ذلك، فإذا كان مثلُ سيدنا مع كبرِ حاله حسَدوه حتى ما طالعُوا له كتاباً، وتضيق صدورُ حاسديه من نظمه وكلامه، فما ظنك بغيره!، **اللهُمَّ** إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، واقبض أيديهم وأرجلهم وألسنتهم عنّا، بقوتك وقدرتك يا أرحمَ الراحمين.

* * *

وكتب الوالد في هامش «تثبيت الفؤاد» الذي بقلمِه، على قول سيدنا: «وحسبك)»، الخ: «هو: غيلانُ الذي أسلمَ على عشرةِ نسوةٍ، فأمره النبيُّ ﷺ باختيار أربعٍ منهنّ، وذلك أنه وفدَ على كسرى، فقال له كسرى: أيهما أحب إليك من ولدك؟ قال له: الغائبُ حتى يقدم، والمريضُ حتى يبرأ، والصغير حتى يكبر، وهذا الخبَرُ هو مرادُ سيدنا بقوله: «وحسبك»، الخ، فيما أظن».

* * *

قلتُ: ثم سافر أحمدُ هذا بعد وفاةِ والده إلى عند عمّه الولي زين العابدين بن عبدالله الحداد بـ(الصّير)، وأدّبه وعلمه، وتربى على يديه، وطرح عليه نظره، وكان يحبه لسخائه ونورِ قلبه وسلامةِ صدره، وأرسله إلى (الأحساء) و(البصرة) و(فارس)، ورجع إلى عنده. وأنفق جميع ما حصَل له من الأموال الكثيرةِ كما أخبرني من سارَ معه، خادمه محمد بن إبراهيم مغيربان.

قالَ: ثم كتب إليه سيدُنا زين العابدين بالوصول، لأنه سمع أنه تزوج بـ(فارس)، وآلى عليه أن يطلق الزوجةَ، فطلقها ووصلَ إلى عند عمه، وأعطه جارية يتسرَّرُها، ومع سيدي زين العابدين جارية حبشيةٌ تربتْ بالبصرة، قارئةٌ للقرآنِ مباركةٌ، متسررها سيدي زين العابدين.

ولم يُردِ الوطنَ بـ(الصّير)، وبقي هو وأولادُه وإخوانه أحمدُ، وأخوه علي، وعلي بن سالم، ما يريدُهم يسكنون إلا (حضرموت) محلَّ آبائهم، ولا يمر موسمٌ إلا ويقول: في هذا الموسِم نسافر، حتى جرَى ما جرى له من خوارقِ العاداتِ، وإشاراتِ والده عليه في المنامِ، بالتخلُّفِ والمقام.

فرجع من (مسْقط) بعد أن خرج قاصداً حضرموت، رجع إلى (جو عمان)، وتزوج بها، وأحمد ما يفارق عمّه حضراً ولا سفراً، وحملتْ له السُّرِّية بولده الحسين بن

أحمد بن الحسين بن عبدالله الحداد، وتوفي أحمد في (الحيق) في (الصير)، سار إليه مع عمه زين العابدين أيامَ الخريفِ، وصلى عليه عمُّه زينُ العابدين هو وخلقٌ كثير، وتعب عليه عمه جدًّا، لأنه كان نافعه ومتبع لإشارته، ولا يخالفه، وقبر في (الحيق)، المكان المعروف تحت بندر (رأس الخيمَة)، عند النخيل الكثيرة، وعنده شيخٌ مقبورٌ، يعتقدون فيه أهلُ الجهة، لظهور خوارق عاداته، رحمه الله رحمة الأبرار.

* * *

وحدثني المحبُّ الصادقُ الثقة، منصور بن مقبل الزِّعابي، قال: كنا والحبيبُ زين العابدين بن عبدالله، وابن أخيه أحمد بن الحسين، والأخ مانع بن مقبل الزعابي، وجملة، بعد صلاةِ الظهر جالسينَ على حافة حوضٍ ملآن ماء، فوقه أشجار، مستظلين بها وقتَ الخريف في (الحيق)، البلد المذكور، قال: وكان سيدُنا زين العابدين يعاتبُ ابنَ أخيه أحمد، ويقول له: يا أحمد فيك دماثةً أخلاق، تكلمُ الصغيرَ والكبير، والحر والعبدَ، والذكر والأنثى، وأنت شابٌّ أخافُ عليكَ، ما أنت إلا ضيعْتَ طريق جدك الحبيب عبدالله الحداد، قالَ: وعند كلامِه والقهوةُ يدار بها، قال له أحمد: ما ضيعتُ طريقَ جدي، قال له: إن ما ضيعتها أطلقِ الفنجانَ، وهو ملآنٌ قهوةً، إلى عند الجدارِ الذي على حائطِ النخلِ، وأمُرْه يرجع ولا يتطيّر ما فيه من القهوة.

فأخذ أحمد الفنجانَ ورمَى به الجدار ولم تخرجْ منه قطرةٌ من القهوة، وقال له: ارجع، فرجع الفنجان بنفسِه إلى عند أحمد المذكور فأخذه، وأخذ زين العابدين فنجاناً ملآن قهوة ورمَى به إلى فوق، ولقفه بيده، وأخذَ مراتٍ يفعل ذلك، ولا خرجت قطرة من القهوة الذي فيه، فقام شيخُ زِعاب وزعيمها الأخُ مقبل بن مانع، وكان يحبه، فقبّل على ركبةِ الحبيب زين العابدين، وقال لهم: كان يكفي، نخاف أن يقعَ أمر أعظمَ من ذلك مما لا تحمله عقولنا فنهلك.

وأخبرني المعلم محمدُ بن إبراهيم مغيربان، قال: في أيام بدءِ أول الخريف، جاء رجل بعِذْق فضْحٍ بلَحٍ، قد رجع أحمراً بعد الخضرة، هو وخِيلٌ كبير، وكانَ الذي يطعمهم سيدي زين العابدين من الآفاقيين كلّ يومٍ وليلةٍ، غير أهل بيته وأضيافه، أربعونَ رجلاً حاضرين عنده، قال: فلما جاء الرجّالُ بالخِيل، كلٌّ أخذ منه من يد سيدي زين العابدين قليلاً قليلاً، وقسّمه، ولا بقي إلا ثلاثُ حباتٍ أعطاها أحمد، فقال أحمد لكافة الحاضرين: مرادي لي يكفي الصّغار الذينَ في البيت، ردوا من عندكم، لأنه فاكهة اليوم، ما يوجَد هنا بـ(الحيق)، إنما هو من بلد (دُبَى)، جاء هديةً لسيدي العمّ زين، فأبوا فأخذ الخِيل وهم ينظرون، ودار به وهو بيدِه قابضاً على أطرافه إلى جهَة أعلى رأسِه، فرجع ملآنا كله فضْحاً أحمر على عادته، فتعجّب الحاضرونَ من ذلك. وراح به فأعطاه الصغار، لأن النبيَّ ﷺ أمر بالباكورة أن تعطَى للصغار، وكان له خوارقُ غير ذلك.

توفي في بلد (الحيق)، عند النخيل، تحت بندر (رأس الخيمة) في (الصّير)، ودفن هناك، وصلى عليه عمه زين كما تقدم. وأردنا نفعل قبةً له على قبرِه، وقد جاء بعض المحبين وأرادَ أن يبذُلَ جميع ما نبني به القبة، فتصرف في ذلك، ولم تبنَ عليه، فعلمنا أنه لا يريدها.

* * *

[ذكر السيد الحسين بن أحمد بن الحسين الحداد]

وأودعَ أسراره ابنَه الملامتيَّ، الحسين، فإنه في الناس معتقدٌ عند الخاصّ والعام من صغره، وقد ذكر في «تثبيت الفؤاد»: أن له خوارقُ عاداتٍ، منها: أن آل بن قرص بـ(رأس الخيمة) ما أعطوه النذْرَ جميعه الذي على المركبِ، فلم يقدروا على خروجِه من على الساحل، واجتمعوا نحوُ الألفِ، ولم يقدروا على أن يحركوه من مكانه، فلما عجزوا

ساروا إلى عنده وأوصَوه، فجاء بنفسه وخَلّى أناساً قليلاً يمنعونه من جوانبه، ويضربه بالعصا، وهو يسير بنفسه، حتى دخل البحر».

قلتُ: وله كراماتٌ كثيرة غير ذلك، منها: وهو صبيٌّ قالَ لبعض أولاد السادَة آل بافقيه: اقتل هذه البقرة، وكانت بقرةٌ عندهما، وقال له: إن قتلتها أحييتها، وإلا فأنا أقتلها وأحيها أنتَ، فقتلها الصبيّ من أولادِ السادة آل بافقيه وأحياها هو، قال: قومي بإذن الله، وضربها بعصاه.

وكان أهلُ جهته ينذرُون له على كلّ مركبٍ، وحياة والي البلاد، رَحْمة بن مطَر[1]، لما أراد أن يخرجَ مركبه للسفَر في البحر، قال له السيد حسين بن أحمد المذكور: ما تخرجُه حتى تعطيني كذا وكذا من المشاخِصِ، فأبى الشيخ رحمة، فلم يقدروا أهلُ جهته على خروج مركبه، وجمع له قبائل جهته فلم يقدروا على إخراجه، بل وقع بين بعضِ القبائل حربٌ، وهم العَوانات وزعاب، فأصلح بينهم الشيخُ رحمة، وعلم أن لا حيلةَ ولا وسيلةَ إلا رضَا السيد الحسين، فلما دوروا له لم يلحقوه، وقال لهم لما لحقوه بعدَ أيامٍ: إن رحمة يجعَل أن قوَّتَه أغلبَ من قوَّتنا، المركبُ ما يخرج من مكانه، فتمم الله كلامه فلم يقدروا على إخراجه، واشتروه، وأخرجوا سُفَره.

وركبَ يوماً في السبنوق من بلد (رأس الخيمة) إلى بلد (المحارَة)، ومنها برًّا هو وجماعة إلى الجبلِ الذي فيه النخيلُ وقبرُ والده، قاصدين النخْل في أيام الخريفِ، وكان حرًّا شديداً، فأحرقته الشمسُ، فقال للجماعة: يعطيني بعضُكم نعاله، قالوا له: ما نقدر على الشمس والرمضاء، فركبَ على جدارٍ حوله، وساقه بعصاه، فسار الجدارُ يمشي به حتى وصل إلى النخل!.

وطلبه مرةً رجلٌ مريض يأتي إلى بيته ليقرأ عليه ويدعوَ له، فما جاء إلى عنده قالَ

---

(١) توفي الشيخ رحمة بن مطر القاسمي سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م. مصحح.

له: إنك في مرضك الأول نذَرْتَ بمحمّديةٍ ولم تتكلم بها، وعافاك الله ولم تعطيني إياهَا، ومرضْت الآنَ ومرادك الشفاءُ ولم توفِ بالنذر، فتذكر الرجلُ المريضُ ذلك، واعتذر بالنسيان، وأخبرني المريضُ أنه ما تكلمَ من لسانه بالنذْر بل اعتقدَه بخاطره، ولم يعلِمْ أحداً، فلما أعطاه النذْر شفيَ من مرضه.

ولما كنا بالصّير سنةَ ١١٩٢، نازلين في بيت الصنو الأمجدِ، حامد بن علوي بن الحسين بن عبدالله الحداد، أيامَ كان بـ(رأس الخيمة)، وكان جاراً لنا قريبَ البيت عيسَى أبو بادي، كان رجلاً حادياً ومنشداً، يحفظ القرآنَ، سار نَوخَذا في بعضِ المراكب، وجاء من (العالي) يريد (البصرة)، فقال له السيد حسينُ بن الخالِ أحمد: هاتِ نذر (العالي) الذي على المركب، ونذر (البَصْرة) يوم تجيء من (البصرة)، فاعتذر إليه، ودخل هو وإياه إلى عندِنا، فقلنا للحسين المذكور: خلّه في هذه المرة، ويعطيك الجميعَ مع رجوعه من (البصرة)، فسكتَ، وكان يحترمنا ويحترم مجلسنا، فلما طلع عيسَى المركبَ، وجد الدَّيرَة قد تكسّرت من غير سببٍ، فرجعَ إلينا فإذا السببُ قد تقدَّم، قبلَ أن يصلوا إلى عندنا.

وكان ما يصلي جماعةً، بل في غالبِ الأوقات ما ينظرونَه يصلي، فلمْنَاه على ذلكَ، وقلنا له: الناسُ لهم الظواهرُ من بابِ الشريعةِ، ويقولون أنك ما تصلي الجمعة، فقال لي: مرحباً، معكم أنا أروح أصلّي، فلما صلَّى جمعتينِ أو ثلاثَ، قال لي: أما تنظُر إلى قلبِ الإمامِ في أي وادي يروح؟ أنا مانا مصلّي قفَا هؤلاء، ومن فضْلِ الله إذا كنّا في البيتِ أو في مسجدٍ يصلي وراءَنا مأموماً.

واستغثتُ به في (مَسقط)، فرأيته كأنه على سِترة البيت الذي نحنُ فيه يقظةً لا مناماً. وكان إذا جاء الناسُ من السفر كلُ من نذرَ له يبتديه قبلَ أن يحادثَه: هاتِ النذر الفلاني في المكان الفلاني، في وقت كذا نذرتَ بكذا وكذا.

وأنا وأناسٌ من أهل اليمنِ، لما قربوا من (صُور) نذرُوا له بسبحةٍ يُسْرٍ وكوفية، وكذا وكذا دراهم، لما حصلتْ عليهم شدةٌ في البحرِ، مرادهم (البصْرة) تجاراً، فلما وصلوا على طريقهم على جهَة (الصّير)، ووصلوا (رأس الخيمة)، قال لهم وهم لا يعرفونه: هاتوا النذْر كيتَ وكيتَ، قبل أن يعْلِمُوه أو يعلمَ أحدٌ من الناسِ، فأعطوه.

وبالجملة؛ فخوارقُ عاداته كثيرةٌ متواترة ظاهرةٌ، وعنده أولادٌ ذكور أربعةٌ، وبنات، بارك الله في الجميعِ، وحفظهم، وأخرجَ منهم الكثير الطيبَ، وألحقهم بآبائهم الصالحين، آمين.

* * *

[ذكر السيد علي بن الحسين بن عبدالله الحداد؛ خال المؤلف]

وأما الخالُ الولي، والعقل الزكي، والخلق المرضي، الفاضل الجليل المثيل، علي بن سيدنا أميرِ القوم، المتقتفي لهم في الليلة واليوم، العارف بالله الشيخ الحسين بن القطب عبدالله بن علوي الحداد، فقد انتفع بعمِّه وشيخِه الحسنِ بالمكاتبة، وأرسل له بالإلباسِ لما طلبه الكوفيةَ المعروفة بالطاقية والقلنسوة، وانتفع كثيراً أيضاً بعمه زينِ العابدين بن عبدالله الحداد، وهو الذي صلى عليه بعد أن حضَر الوفاة، وعند غسله ودَفنه، وبنى عليه قبةً عند القبر، وجعل القبر شمسياً، تخرجُ له من القبةِ، عليه دائرُ بناءٍ كرَحْبةِ الضّاحي الذي في المسجد، بوصيةٍ من سيدنا زين، قال: اجعلوني شمسياً.

وقام بجميع أثقالِ سيدنا الحبيب زين العابدين وزوجاتِه وبنتِه وعبيدِه وخدمه ومن يعولُه، وعمَر المقام أحسنَ عمارةٍ، لا يترك حزبَ الأسبوع بعد المغربِ ووقتَ السحر في المسجدِ، وجميعُ صلواته الخمسُ في المسجدِ جماعةً، ويجلسُ في المسجد إلى الإشراق، ثم يصلي ركعتي الإشراقِ، ثم يخرجُ إلى بيته، وكان محافظاً على قيام الليلِ،

وعلى صلاة الأوابينَ بعد صلاة المغرب عشرين ركعةً، أعلمُونا بذلك الذين عاشَروه مدةَ حياته.

وقالوا لنا جملةٌ من المحبين أخدام الحبيبِ عبدالله الحداد: العَوانات، قبيلة بـ(الصّير) ما يحلفون إلا بالحبيب، ولهم فيه اعتقادٌ عجيب. قالوا: حصلت علينا سرقة في صَوَغ كثيرةٍ، واتهمنا بها البدو، نعيم، فسرنا لسيدنا علي بن الحسين، وطلبنا منه يطلعْ معنا إلى بلدهم (القابل)، بـ(جو عمان)، بيننا وبينهم أربع مراحل. فلما وصلنا إلى حضرته تكلفَ على الطلوع معَنا لأجل أنّا لَوِيَّة بجدِّه، ومن خدامه، وكنا نسير في الطريق وعلينا الخوفُ، لأن علينا طِلاباً للقبائلِ بدمٍ، ونحن رؤوسُ عربٍ، نخاف على أنفسنا، ولا يظنون بدْو الجهة أنّ السيد علي معنا، ولا يعلموا به إلا بعد ما يجري فينا ومنّا، ومع هذا الخوف كان إذا صلينَا المغرب يجلس يركَع حتى يتمّ الأوابين عشرينَ ركعةً كلَّ ليلةٍ، قلنا له: نحن في أرض خوفٍ، قال لهم: الحبيب عبدالله يحمينا وإياكم بإذن الله، وأنا مانا تارك عادَتي فتأخذها النفسُ عادةً عليّ، قال: وردَّ الله لنا ببركته جميعَ الذي أخِذَ علينا من الصَّوغ.

وأعلمونا أهلُ جملة من الثقاتِ: أنه لما حارب إمام (مَسْكت) (الصّير) في وقت مطرِ بن رحمة القاسمي الهولي، شيخ الجهة وواليها، أخذت عليه جميعُ البلدان والبنادر إلا (رأس الخيمة) الذي فيها الشيخ رحمة، وجاء الخالُ، والسيد حسن المهدلي، إلى عند الشيخ رحمة، وحاصرهم إمام (مسكَت) برًّا وبحراً بثلاثين مركباً في البحر، فقال لهم الخال علي: إذا جاءكم رصاص المدافع فتلقَّوه بأيديكم وثيابكم، إن شاء الله ما يضر أحد، وإلا ما أنا ولد عبدالله الحداد، فكان النساء والصبيان يتلقّونَ الرصاصَ والمدافع ولم يضرّهم بشيءٍ. وأعلمني المحبّ أحمد بن دَوس محمد: أن بعضَ قرابته من النساء لما رأتْ رصاصة المدفع مقبلةً عليها، تلقتها بثوبها، وكَلْوَسَتها فيه، فلم تطرق في الثّوب، فسبحان العليم الحكيم. وكان يمر على العسكر كلّ ليلةٍ سيدي علي والسيد حسن

المهدلي، يقولان: أبشروا بالنصر، هذا عدو الله أباضيٌ، وأنتم أهلُ سنةٍ وجماعة.

وكان من شجاعة سيدي علي أنه يركَب على مطية خيلٍ من (رأس الخيمة) إلى البلد المسماة (المويلحة) بلد العواناتِ أخدامه، يريّض قلوبهم، ويعدّ من بركات السلف الصالح، وبعد صلاة العصر خرجوا نعيم الشّام من بلد (الجو)، وغيرهم من بني ياس، وحصدوا جملةً من قومِ الإمام، عدَّيتهم بيدي سبعمائةٍ، أطرحُ كلّ مقتول حصاة، ثم رجعتُ ألتقطها أنا والشيخ محمد بن صالح القاسمي، والبرْشَة الكبيرة حقّ إمام (مسكت) احترقَ فيها وعاءُ البارود، فطارت النار فيه فاحترقَت البرْشَة، فكفى الله المؤمنين القتالَ، وكان الله قويا عزيزاً.

وكان الخالُ علي مواظباً على الأذكارِ، وعلى مدارس الشيخ عبدالواحد بن علي، كما أعلمني بذلك الشيخُ عبدالواحد، وقال: إني متعجبٌ من عقلِ السيد علي وكماله، وحسن خلقه وخلقه، وفصاحته وثباتِ جأشه، وتسليمه للأمور إذا وقعتْ ونزل بها القضاءُ، فهو جبلٌ راسخ لا يتزعزع.

وأعلمني ابنه محمد حامد: أنه إذا انكسرَ وعاءٌ في البيتِ لا يعالق أحداً بسبب ذلك، ولا ينازعه إذا وقعَ من غير اختياره، ويقول: إن لها أعماراً وآجالاً، كما في الحديث، وأمرني بحفظ «زبدِ ابن رسلان»، وأعطاني شيئا كثيراً من المال.

قالَ: وكان يحبّ الدراويش، ويقول: إن غالبهم من الأولياء. ولما جاء السيد الولي المكاشفُ يوسف، وهو من سادة اليمن أو المغرب، انتفع به سيدي الخالُ علي كثيراً، واعتكف عنده في مقام سيدي زين العابدين، لأنه جالسٌ في قبةِ سيدي زين، وإذا جاء إلى القبة سقطتِ له الأقفالُ، ويقول: السيد زين واجهني بنفسه، وصورته كذا وكذا، ووصف صورته التي يعرفونها، رضي الله عنه.

* * *

[ذكر السيد يوسف، الدرويش]

قلتُ: وكان السيد يوسفُ هذا وصلَ إلى (ظفار) قبلَ (عمان) ورأى قبلَ وصوله، مرتين أو ثلاثاً، السيدَ العلامة الصوفي العابد، أحمدَ بن عبدالرحمن القشاشي باعمر: كأن النبي ﷺ على صورة السيد يوسف هذا، وكان من أهل الخطوةِ، كثيرَ الصمتِ، فلما وصل (ظفار) ونظره السيدُ أحمد عرَفه، وأعلم الناس بالرؤيا، فلما علم السيد يوسف سار منها إلى (عمان)، ومن (عمان) إلى (العراق)، خوفَ الشهرة، والله أعلم أين سار بعدُ.

وبما أفادنيه بعضُ من أخذَ عن السيد يوسفَ، من السادة آل باعمر، وهو أخونا الذي عَقد بيننا وبينَه عقدَ الأخوّة، عبدالله بن محمد بن عقيل بن زين العابدين بن الفقيه المحقق العابد الولي الكبير عقيل بن عمران باعمر باعلوي، عن السيد يوسفَ المذكور: أن من أتَى قبلَ صلاةِ السيد عبدالسلام بن مشيشٍ الحسني المغرَبي، التي أولها: «**اللهُمَّ** صلِّ على من منهُ انشقّتِ الأسرارُ، وانفلقَتِ الأنوارُ، وفيه ارتقَتِ الحقائقُ، وتنزلتْ علومُ آدمَ فأعجزَتِ الخلائق»، الخ.

أن من أتى قبلَها بهذه الصلواتِ:

«**اللهُمّ** صلِّ على سيدنا محمّدٍ وعلى آله كما لا نهايةَ لكمالكَ، وعدد كمالِهِ، **اللهُمّ** صلِّ على سيدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبه وسلمْ، عددَ ما كان وما يكون وعددَ ما هو كائنٌ إلى يوم الدين.

اللهُمَّ صلِّ على أسعدِ مخلوقاتك نورِ الهدى محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلمْ، عددَ معلوماتكَ، ومداد كلماتكَ، كلما ذكركَ وذكرَه الذاكرون، وغفل عن ذكركَ وذكرِه الغافلون».

انتهى ما أملاه السيد يوسف رضي الله عنه وقال: مَن أتى به قبلَ «صلاةِ ابن مشيش» ثم أتى بها، فكأنما قرأ «دلائل الخيراتِ» ثلاثَ مراتٍ، والله أعلم. وكان للسيد يوسفَ خوارقُ عاداتٍ، وأخبارٌ بالمغيباتِ، ليس هذا موضِعُها، نفع الله به.

* * *

رجعنا إلى الكلام في سيدي الرضي الولي، نور الدين علي، كان أمَّاراً بالمعروفِ، نهاءً عن المنكر، لا يبالي بأحدٍ كائناً من كانَ، يواجهُه في وجْهه، هدَى الله به أمة من الناسِ، رحمه الله رحمة الأبرارِ، وكان ذا ورعٍ حاجزٍ، كما أخبرني الشيخُ عبدالواحد بن علي، قال: وإذا وجبتْ الزكاةُ في ماله دراهمَ أو ثمره، يخرجها في الحال.

وكان يجالسُ العلماءَ والأخيارَ، بعيداً عن الأغمارِ، جلس عنده السيد علوي بن علي العيدروس صاحب (الأحساء) مدةً في بيته، وانتفع كلٌّ بصاحبه، وكان يضع الأشياء مواضِعَها، لا ينفق ما ينفقُه إلا في طاعةٍ، وإذا قام في أمرٍ تمَمَه على الوفاء والكمالِ، كما أخبرني من له خبرةٌ بأحواله.

* * *

[ذكر الشيخ محمد المغربي، ساكن (الصّير)]

وانتفعَ بالشيخِ الكاملِ العارفِ المالكي، العلامة محمد المغربي، لما وصل (الصّير)، وكان الشيخ محمدٌ هذا درَّس في «شرح الحكم» لابن عطاء الله، يملي كثيراً، ويقْلِد البابَ، ويطرح المفتاح عندَه، وإلا جعل بواباً لا يدخِلُ أحداً إلا بإذنه.

ويوماً من الأيامِ جاء الخالُ علي والسيد حسنُ المهدلي، والقراءة في «شرح الحكم» إلى عند الشيخ محمدٍ، فاعتذرَ منهما، ثم بعدَ درْسِه ترضَّاهما، وقال لهما: إن في الدرس نفيٌ وإثباتٌ، وأخافُ أن أحداً يدخلُ ولا يسمعُ الكلامَ الذي قبله فيضِلّ.

أخبرني الشيخُ عبدالواحد بن علي، ويثق على الشيخ محمد، ويقول: إنه إمامُ وقته في كل فنٍّ. جاء إليه رجلٌ بـ(الصّير)، قال له الشيخُ محمد: ما مذهبك؟ قال : مذهب مالك، قال له: بل أنت هالكٌ، إذا أنتَ واحدٌ على هذا المذْهبِ في هذه البلدَة، وأنت جاهلٌ، أنتَ هالك لا محالةَ. أعلمَنا الشيخ عبد الواحد بمسائلَ منه غريبةٍ، وله مكاشفاتٌ أخبرونا بها، وانتفع به الخالُ علي، ويتردد عليه.

* * *

وأرسل الخالُ لسيدي الوالد في كتابٍ منه يأمرُه أن يكتبَ ما هو أصلحُ له في دينِه، فكتب له الوالدُ «مختصر بافضل الكبير» بيده، وزاد فيه من «شرح ابن حجر» الذي عليه، وأرسل به إليه، وقال له: اعمل بما فيه.

ورأيته مرتينِ في المنام أيامَ كنا بجهَة (الصّير)، كأنه عندي هو والحبيب زين العابدين، والخالُ يكلمني بكلامٍ عجيبٍ، وسألني عن والدته فاطمة بنت سلمان القَصيري التميمية، والوالدة شيخة شقيقته. وكان في حياته مطعماً للطعام لمن قصدَ زائراً قبر عمِّه، جاعلاً تحت بيتِه مكاناً للضِّيفان، وتوفي إلى رحمة الله سنة ١١٨٨، وقبر في قبر عمّه زين، في (الجزيرة الحمراء)، بجهة (الصّير) من (عمان).

وخلف بنتاً اسمُها: صَالحة، توفيت سنة ١١٨٧، ولم تتزوج، وكانت تقرأ القرآن جميعَه، أمها أمُّ ولدٍ كانت مع سيدنا زين العابدين ثم أعتقَها، وتزوجها الخال علي.

وخلّف ابناً اسمُه: محمد حامد، أمه آمنة بنت سيف، من زِعاب، القبيلة المعروفة، وقد تزوج قبله عليها عمّه زين المذكور، وأولدها بنتَه عائشةَ، التي تزوج عليها ابنُ عمها عبدالله بن الشيخ الحسين بن عبدالله الحداد.

توفيت عائشة هذه سنة ١١٨٧، ولم تخلف أحداً، وقبرت في قبة والدها، وهي

قارئةٌ للقرآن، عارفةٌ أمور دينها، عاقلة أديبةٌ، للناس فيها اعتقاد،ولها كراماتٌ كثيرة يحفظونها أهلُ جهتها، رباها الخالُ علي بن الحسين.

* * *

[ذكر السيد محمد حامد بن علي بن الحسين]

وأما ابنه؛ أخوها محمد حامد بن الخال علي، فتوفي في شهر ربيع الأول سنة ١١٩٦، ببندر (الصّير)، وقبر عند والده في قبةِ سيدنا زينٍ، وخلّفَ ثمانية أولاد ذكور وثلاث بنات. وقد رأيته بعد موتِه على صورةٍ حسنةٍ، وثياب نقيةٍ، كأني وإياه في مسجد الجامع الذي ببلدة (الجزيرة الحمراء)، وكان طالباً للعلمِ، قرأ جملة من الكتبِ على شيخه عبدالواحد بن علي الزُّرافي، وحفظ عليه «زبد ابن رسلان»، وغير ذلك، وكان يحفظ كثيراً من الأشعار المليحة.

وكان حسَن البديهةِ، ذا وجهٍ بشَّاشٍ، وفم بسَّامٍ، وخلق رضيٍّ، يحبه الناسُ كثيراً لحسنِ أخلاقه، ولهم فيه اعتقادٌ حسن، وهو القائمُ بمقام جدّه زين العابدين، من إطعام الطعام، وإكرام الضيفان، وكان يضربُ به المثل في همته في الكرم، وهو ظاهر عندهم كنارٍ على علم، حتى أنفقَ جميع ما خلفه والدُه وغير ذلك، لا يعبأ بالدنيا، يعطي جمًّا، ولا يداخله من كثرة السائلين همّ، رأينا ذلك عياناً لما وصلنا بلد (الصّير).

سافرنا من (حاوي الخيرات) يومَ السبت ثاني يوم في شهر ربيع الأول سنة ١١٩٠، وزرنا سيدنا محمد بن علي في (مرْباط)، وأخذنا في (ظفَار) من آخر شهر ربيع أول إلى آخر شعبانَ، وركبنا بحْراً لزيارة سيدنا زين العابدين بن علي بن عبدالله الحداد، واستهلَّينا شهر رمضانَ قريبَ (مصَير)، وتمينا صيامَ رمضان المذكور عند سيدي محمد حامدٍ بن الخالِ علي المذكور، وأخذنا نحنُ وإياه ثلاثَ سنين، ما يفارقنا ولا نفارقه أبداً، إلا إن سرْنا (هُرْمز) و(فارس)، وكذلك (الزبارة) و(باطنة عمان)، سافرنا كلّ بلدٍ

منها مرةً، ونرجع إلى عنده، وإما إذا نحنُ في نواحي جهته بـ(الصّير) أو في شيءٍ من بلدانها فلا يفارقُنا ليلاً ونهاراً، عشية وإبكاراً.

* * *

وكان صاحبَ طلبٍ للعلم، مواظباً على أوراد جده، «مفتاح السعادة والفلاح»، يقرأ مع الصباحِ، و«الراتب» و«الورد الصغير» بالليلِ، مواظباً على الصلواتِ، يقرأ القرآن قراءةً مليحةً، محبًّا للخير وأهله، له في السنة قريبَ خمسين من النّعالِ فضْلاً عن غيرها، كلما لبس نعالاً ووجدَ مسكيناً أو درويشاً ما معه نعالُ أعطاه ما معه، ويُلبِس المساكينَ الثيابَ لله وفي الله، يأخذ الطريقة من كل أهل الله، يتلقى الواردات لأجل البركاتِ، قال تعالى في إلهامِ للنحْل: ﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ [النحل :٦٩]، ثم قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل :٦٩].

كان له عقيدةٌ في الصالحينَ والعلماءِ. أخذ عن والدِه، وعن الشيخ عبدالواحد، والشيخ عماد الدين، والسيد المكاشف حسن بن عبدالهادي المهدلي، قال: إنه كاشفَه بأشياء كثيرةٍ، وحدّثنا ببعضِها، وألبسه السيد يوسفُ المتقدم ذكره في ترجمة والده، ومسَح على رأسه ودعا له، ويقول: إن شيخي على الحقيقة والتي عقيدتي فيه كاملةٌ قطبُ الزمن الحسنُ بن عبدالله الحداد، أرسل بكوفيةٍ من لباسِه مخرّمة، قال: وإني أنظرُه يظهر لي، وقد رأيتُه مرتين في المنام أعطاني شيئاً، أو قال: ألبسني وحكّمني. وكان يتوسل به إلى الله كثيراً، بل يحلف به مراراً، ويقول: وإن كان جدّيَ الحسينُ أولى لي وأقربُ، لكن جدّي الحسن أكبر حالاً، وأولى بالتقدم والأخذ.

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه الجنةَ التي تجري من تحتها الأنهار، مع آبائه الأطهار، فقد أتعبنا فراقُه، وعلمْنا أن لا خلفَ منه الآنَ يقوم مقامَه، وعسى الله يبارك

في أولادِه وأولادِ بني عمه، يحيون مآثر أجدادِهم بـ(الصّير)، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦].

* * *

[ذكرُ الحبيب عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد ووالده الحسين بن عبدالله بن علوي الحداد]:

وأما الحبيبُ العلامة الفاضل، الجامع للعلوم الأدبية والفقهية، والسيرة والسريرة، عفيفُ الدين، سماه جدُّه عبدالله الحداد قبلَ ولادته، وقال لوالده الحسينِ لما سأله: ما أسمّي هذا المولود التي هي حاملةٌ به أمُّه إن كان ذكراً؟ فقال له: عبدُالله، فسماه فهو عبدَالله، ابن سيدي الجامع للعلوم، المنطوق والمفهوم، الذي قالَ والده: حُسينٌ هو أميرُ القوم، من (الحَميلة) إلى (السَّوم)، قام بعد وفاة والده عبدالله بأحوالٍ وعباداتٍ واجتهاداتٍ، مع أمراضٍ متعبة شديدةٍ، من آخر عمر والده، وبقيتْ به إلى أن توفي، رضي الله عنه.

قال الحبيب الحسنُ: «كان سيدي الوالد في مرضِه يترحّمُ على ولدِه كثيراً، ويقول: مسكينٌ حسينٌ هذا، يشير إلى طولِ مدّة مرضِ ابنه الحسينِ، لزيادة الدرجاتِ، ومع ذلك صابراً، بل آخذاً بأرفعِ المقاماتِ، كما سمعنا عنه.

وقال أخوهُ الحسنُ: «قال الأخ الحسين: إني ما أكره الموتَ ولا الحياةَ على ما أنا عليه من المرضِ، ولا مثلي إلا مثل رجلٍ في مدادٍ وفسحةٍ واجتماعِ إخوانٍ على الوفاء، وإن راحَ فإنما يروحُ من المدادِ والفسحة إلى أهلِه وأكابر أسلافه»، رضي الله عنه.

ووصفه أخوه الحبيبُ زين مع أخيه علويّ والحسَن، في القصيدة التي أولها:

* البارحَةْ حرّك القلْبَ الملآنْ *

الخ، وقد تقدمت في الباب الثاني.

وكان والده يحبه حبًّا شديداً، كما ذكرَه العلامة محمد بن زين بن سميط في مناقب والده «غاية القصد والمراد»، وكذلك في ترجمته التي ترجمه فيها الحبيبُ محمد المذكور، فانظرْها ترَ العجب. وإنه لما دفن ووضعَ في قبره، رأى بعضُ السادة المكاشفين أن حوريةً من الحورِ العين سقَتْ له بالأقداح والكأسِ، وهم يهيلون الترابَ على قبره.

وله خوارقُ عاداتٍ كثيرة، منها: وهو صغير رأى أهلَ القنيص من أهل (تريم) رجعوا من القَنْص ولم يقبضُوا صيداً، فلما صافحوه قالَ: فيمن اعتقدتم؟، فعدُّوا له جملة من السادةِ، فقال لهم: ارجعوا وأنا عقيدكم، وتقبضون صيداً كثيراً من الوعُول، وهي الأيِّل عند أهل اللغة، وقبضوا كثيراً ببركاته.

ولما سافرَ في حياة والدِه إلى الحجّ، سنةَ ١١١٨، سُرِقتْ سرقةٌ في بلد (نصاب)، فجاء الذين أخِذَ مالُهم إلى عند سيدي الحسين، فأرسل للسارق بعد اطلاعِه عليه، وقال له: أعط المال أهلَه، وألا أعلمْنا بكَ، فردَّ السرقة.

وقال الشيبةُ الأنور، سعيد بن صالح البعُو: لما زار الحبيب الأكمل الحسينُ، السيدَ علي بن حسنٍ الحبشيَّ في قبته تحتَ (نصاب) في (أرض العوالق)، أخرج الحبيب علي يدَه من قبرهِ وأخذ سبحةَ سيدي الحسينِ، فقال سيدي: يا سيدي علي نحن رجَالٌ وأنت رجّال، ردّ السبحة وإلا أخذناهَا قهراً، فردّها السيدُ علي، ورأيت ذلك بعيني أنَا ومن حضَر مع سيدي الحسين، نفع الله بالجميع.

وحجَّ رضي الله عنه ثاني حجةٍ بعد وفاة والدِه، وهو ركيكٌ ومعَه المرضُ المتقدم ذكره، وحجَّ معه ابنه محمد الباقر في حجّته الأخيرة، وأما حجته الأولى فحجَّ معه إبراهيم بن محمد مِغَيربان، خادم والده، ولحجتهما حكايةٌ عجيبة ذكرَها الحبيب محمد

ابن زين بن سميطٍ في (باب الحكايات)، فانظرها.

قال سيدي الوالدُ أحمد: إن قصيدة القطب الحبيب عبدالله الحداد:

* حُويدي المطايا كم تقيم مع الصَّدِّ *

الخ، أرسل بها سيدي عبدالله الحداد لابنه الحسين.

وكان الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي يحبّ الحسينَ كثيراً، ويميل إليه، لما يرى من محبة والده له، وكان والده الحبيب عبدالله الحداد يقول: إن لي في ابني الحسين أملاً، أرجو من الله إنجازَه.

ولما زار أولَ زيارةٍ للشيخ سعيد العموديّ بـ(وادي دوعن)، ومرض في (بُضَه)، قامتْ به وبتمريضه زوجةُ والي (دوعَن)، سعيد بن عبدالله العمودي، من آل باموسى، قال سيدي الحبيب عبدالله الحداد: «ما نرضى لها إلا بالجنة، ولولدها محمد بن سعيد بولاية (دوعن)»، فكانَ كما قالَ، رضي الله عنه، كما ذكره سيدي محمد بن زين بن سميط في كتاب «غاية القصد والمراد».

ولسيدنا الحسين أشعارٌ مليحةٌ، منها المرثاة التي في والده، مطلعها:

الحمـــدُلله ربي الواحـــدِ الأحـــدِ ... البــاقي الحــيّ في الآزالِ والأبـــدِ

إلى أن قالَ:

لهفـي ولهـفَ رجـالِ العلـمِ قاطبـةً ... على إمـامٍ بتحريـر العلـوم نَـدِي
بكـتْ عليـه السـماءُ والأرضُ إذ فقـدَتْ ... تهجُّـداً ودروسـاً عنـه لم تجِـدِ
بموته ماتَ ذكـرُ العلـمِ وانثلمَـتْ ... في الدين كمْ ثلمٍ أودَتْ إلى الأوَدِ
قـد جـاء تـاريخُ عـامٍ فيـه نقلتُـه ... (حـدادُ نـورُ تـريمِ راحَ للأبَـدِ)

وهي خمسٌ وخمسون بيتاً، تنبيكَ عن علم وحالٍ كبيرٍ، وتكفيكَ إشارةٌ من والده فيه لما حجَّ وأرادَ زيارة جدِّه سيد المرسلين، قال له في القصيدة المتقدم ذكرها:

وكـنْ نائبـاً عنّـي بإهـداءْ تحيـةٍ   معنبرةٍ كالمسْكِ في العرْفِ والندِّ

وقال له فيها:

* وخذْ ما تطلبُه مما ترَى عنْدي *

وكان لوالدِه به عنايةٌ كاملة، لا يرضى فيه، ويوده ويخصّه ويحبه، وقد بسطنا في كتاب (الحكايات البينات)، عند قولِ والده فيه: «حُسَينٌ أمير». قرأ على والده «الإحياء»، و«تفسير البغوي»، وكتبَ والدِه، وغير ذلك، ويفتح ما تغلقَ من الأبواب.

قال الحبيب الحسن: «لو تمّ من الأخ الحسين من الإقبالِ التام على العلوم النافعةِ، لما وقعَ له نظيرٌ في زمنه، لحسن فهمه ودقته وفطانته، وغوصه على المنطوق والمفهوم، لكن اشتغلَ بالعَيلاتِ الكثيرةِ، من الزوجات والأولاد، والحرث والخيل، وإصلاح ذات البين، مع سخاوة النفْس، وبسط اليد.

ولكن البركات كثيرةٌ في جميعِ ما معه وعليه، مع كثرة البذل، وأخذ الناسِ من ماله بعلمه وبغير علمِه، حتى أني قلتُ للوالد: لو خليتم بعضَ الناس يكون ناظر مع الأخ الحسينِ على مالِ (بيت جبير)، فأبى الوالدُ، نفع الله به.

وكان ذا ورعٍ حاجزٍ، جعله والدُه ناظراً على أوقافِ الساقياتِ، فحفظها ونماها، واشترى لها مالاً من النماءِ، وكان صاحبَ خوفٍ من الله، كثير الدمْعةِ سريعَها، إذا رأيته ظاهراً في الملبسِ والمركوب والمخدُوم، تقولُ: ملك، وإذا تحققته باطناً في كمالِ عقله، وصفاءِ سريرته، ونور بصيرته، تبيَّن لك أنه من كمّلِ العارفين».

قال: «ودرَّس سنةَ حجَّ في الحرم الشريف، وفتحَ الله عليه بالأموالِ الكثيرة، حتى واحداً أعطاهُ ألفَ قرشٍ، له خمسُمائةٍ، ولوالده خمسمائة، وجملةٌ من المحبين المعتقدين وهبوا له الصِّلاتِ الكثيرة، فأنفقها كلها، الذي له والذي لوالده».

ولما قيلَ للسيد الكبير أحمدَ بن زين الحبشي: إنه أنفقَ حتى الذي لوالِده، فقال: قد قال له والده: «خذْ كلما تطلبه مما ترَى عندي»، في القصيدة المتقدم ذكرها.

وقال سيدي محمد بن زين بن سميط في كتاب «غاية القصد والمراد»: إنه هو الذي استملى من والِده «الدعوة التامة»، فانظره هناك. وليسَ هذا محلُّ مناقبه، لكن انجرَّ بنا القلم لما ذكرْنا أولادَه الكرام، تكلمْنا من فضل الله على قطرةٍ من بحره، وهو جدُّنا الأقربُ من جهة الأمّ، لأن والدتنا بنته، وهي آخر من وُلِد له، نفع الله به آمين.

* * *

[ذكر السيد عبدالله بن الحسين بن عبدالله الحداد]

رجعنا إلى ذكر ولده عبد الله؛ الذي هو سميُّ جدّه، وأول من سمِّيَ من آل عبدالله الحداد بعد وفاة القطب عبدالله الحداد جدِّه، فلذلك حظيَ بأن تنزلَ فيه البركاتُ، وتظهرَ على يديه الخيراتُ.

فمن أعظمِ ما وقعَ على يديه: ما أمر به محبَّه الوزيرَ ريحانَ، عبدَ السيدِ الشريفِ سرورِ بن مساعدٍ، والي (مكّة)، أمره الخالُ يفعل زاويةً لسيدنا حُجّة الإسلام وبركة المسلمين، صاحب الصديقية الكبرى، عبدالله الحداد بـ(شِعْب جيادٍ) من بلدِ الله الحرام (مكة المشرفة)، فاختطَّها له، وبناها باسمِ سيدنا الأوحد الحداد، وأنفقَ على عمارتها أموالاً كثيرةً، وأصلُ المالِ الذي أنفقه هو مالُ الخال عبدالله، لأنه قالَ للوزير ريحان: المالُ الذي يجيءُ من عند آل (سُرَّت) بنظرنا، اقطَع من العَشُور الذي تأخذونه بقدْر ما

يخرجُ في بناء الزاويةِ، فصارت حقيقةً من الخالِ عبدالله، لأنهم ما يستحقونَ العَشُور، فافهم.

واستقام فيها الولي أحمد بامرعي باعشن، وصار إقليدُها بيدِه، وصارت مقصودةً للخاص والعامّ، ونفعاً للكلّ في كل مقامٍ، تقام فيها الحضراتُ والأذكارُ، واجتماعاتُ أهل الأسرار والأنوار، ببلد الله الحرام، فكم فتحَ الله لسالكٍ، وكم تجلى الله فيها لمن أساء الأدبَ المهالك، فروحانيةُ صاحبِ المقام الحداديّ العلوي النبويّ، دائمةٌ فيها فكيفَ لا!، ولعلَّ هذا من الأملِ الذي يرجُوه في ابنه الحسينِ، لأن الولدَ سرُّ أبيه، فلا غرْوَ أن يحملَ سرَّه ويحتويه.

وقال الحبيبُ العارف بالله عمر البار، في قصيدةٍ فريدة في هذه الزاويةِ، أولها:

* بشعْبِ جيادٍ جادَ ربي تكرُّمَا *

الخ، وهي قصيدةٌ معروفة يحفَظُها أناسٌ من المحبين.

وكان عبدُالله هذا علامةً جهبذاً عاقلاً، على جانبٍ من الورعِ، اشتغل بالكسب الحلالِ عن السؤال، واختطَّ بيتا له بـ(سُرَّتْ) من (أرض الهند)، وتزوج بها امرأةً من الفقراءِ أهل الطريقةِ، من العربِ، فأولدَتْ أولاداً مباركينَ ثلاثةً: حسين[1]، ومحمد، وزين، و[علوي][2] أمُّه أمُّ ولدٍ. فرباهُم تحت نظرِه، وعلمهم القرآنَ، وأدبهم وأحسنَ تأديبهم، وقرأوا عليه في العلم النافعِ، وحفظوا بعضَ المنظومات، مثل «الزبد» وغيرها، وحجَّ حجاتٍ كثيرةً، هو وأولاده.

واستحبَّ الترددَ إلى الحرمينِ و(جدّة) دهليز حرَمِ الله، ولحقَ له بها ولدٌ سماه

(١) درج في حياة أبيه سنة ١٢١٦هـ، كما في الشجرة.

(٢) أضيف اسمه في هامش النسخة (ب).

باسمِ الحبيب الحسنِ، كمن سُمّي به بعدَ وفاته من الأقاربِ والأولادِ، رجاءَ أن يبارك الله فيهم ببركة قطبِ الزمن الحسنِ، مات قبل أبيه صبيًّا.

وتزوج سيدنا الخالُ عبدالله على بنتِ الحبيب الأكبر زين العابدين بن عبدالله الحداد، عائشة، وتوفيت وهي في عصمته، ودفنت في قبة والدها.

ولسيدي الخال أشعارٌ مليحة، وفوائد عجيبة، تهدَى إلى سامعيه من بحُور علمه وفوائد ما عنده، ما تقرُّ به العيون، وتقولُ: هذا من أهل السرِّ المكنون. وسيرتُه حميدةٌ، لم يغيرها طولُ المدةِ والنزوحُ عن بلده، فإنه بقيَ على زيّ ولباسِ آل (حضرموت) وآبائه وأجداده، نفع الله به.

وقد طلبَ من عمّه قطب الزمنِ الحسن الإجازةَ والإلباسَ، وقد أجازه وألبسَه وحكَّمه، ومن سلك ملكَ، ومن اقتفى أثر آبائه وسلَك، فقد حاز الخير كلَّه وملك.

وجميعُ ما نقلته عنه وفيه فهُو من السماعِ، ولم أنظره لبعْدِ الديار، وقد اتفق به سادتي الأخَوانِ: عمر ومحمد، سنةَ حجًّا، سنةَ ١١٩٦، وانتفعَا به كغيرِه في هذه السفرةِ المباركة، والحمدُلله رب العالمين.

* * *

[ذكر أبناء السيد محمد بن عبدالله بن علوي الحداد]

وممن انتفع بسيدي الحسنِ: حسينٌ، وجعفرُ، ابنا أخيه محمّد.

أما جعفر؛ فسافرَ إلى (الحبَشة) بلد (هَرَر)، وتزوجَ بها، بعد أن تزوج على امرأتين من السادةِ بحضرموت، وكان له جاهٌ بـ(الحبَشة)، وسيرةٌ حميدةٌ، وخلقاً عظيماً، وعقلا وافراً، ومن سعادَته أنه لما قرُبَت وفاتُه، خرج إلى (حضرموت) سنةَ ١١٩٣،

ورجعَ إلىٰ (الحبشة) وتوفي بها[١].

وجرتْ له خارقةٌ عظيمة لما زار الشيخَ سعيد العموديَّ، نفع الله به، مع طلوعه من (تريم) قاصداً (المخَا)، لما وصلَ إلى عند ضريح الشيخ معْرُوف باجمال، عارضوه أناسٌ من المشايخ آل العمودي، فلما دخلَ عنده هو ومن معه، أخرج له خِيلَ عنبٍ مليحٍ، كأنه خرجَ من شجرته، ولم تكن (دوعن) بأرض عنبٍ، فأكل منه هو ومن حضَر، **وأعلمني** من حضَر هذه الخارقةَ ورآها بعينِهِ، وعنه نقلتُ.

وكذلك **أعلمني** العمُّ الفاضل، علوي بن عمر البار، قال: إني اجتمعتُ في (المخا) بسيدي جعفر المذكور، وحضر الوالي، وأراد منه سيدي الحبيبُ جعفر أمراً فلم يطِعه، فنادى بجدِّه الحبيب عبدالله الحداد، قال: فرأيتُ المكانَ كله أخْضَر، حتى سقف المكان الذي نحنُ فيه، فلم تطُلْ مدّة الوالي، أن جاء عزْله من (صَنعاء). فقلتُ له: ذلك بسببِ الحبيب جعفر، قالَ: قد عرفتُ ذلك.

وخلّفَ ابنين: محمّداً، وعبدَالله[٢]. أما عبدُالله؛ سكنَ (الحبشة).

* * *

[ذكر السيد محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله الحداد]

وأما محمد[٣]؛ وقتَ وفاةِ والده جعفر كانَ بأرْضِ جاوة ثم خرجَ منها إلى الحجّ لزيارة (حضرموت)، وسكنها، وبنى فيها بيتاً في (الحاوي)، وتزوجَ على الكريمَة مُزْنَة بنتِ الوالدِ أحمدَ بن حسن الحداد، وهي أم أولاده: جعفر، وكرائمه.

---

(١) كانت وفاته بهرر سلخ محرم سنة ١١٩٤هـ «شجرة».

(٢) أمه حبشية من هرر، وله بها ذرية لم تذكر في الشجرة.

(٣) أمه الشريفة زينب بنت الحسين بن الإمام الحداد، وذريته في قرسي وبانقيل.

وألقى قيادَه للحبيب أحمد بن حسنٍ، وصار مريدَه ومن تلامذته، انتفع به نفعاً كثيراً، وقرأ عليه كتباً في الفقه وغيرها، منها «شرح المختصر الكبير» لابن حجر، و«المنهاج» للنووي، وغير ذلكَ من كتب الفقه، في مدارس الخميس والاثنينِ، وفي مدارس العصر قرأ كتبَ الحبيب عبدالله الحداد: «النصائح»، و«الدعوة»، والرسائل، و«الديوان»، وحصَّلَ نسخاً منها، وقرأ في الحديثِ، مثلَ: «الترغيب» للمنذري، وقرأ «تفسير الجلالين»، وغير ذلك. **وبالجملة**؛ فقد انتفعَ بسيدنا الوالدِ كثيراً، وعَظُمت عقيدته فيه جدًّا، والمدد في المشهد.

وحجَّ ثانياً، وزار جدَّه سيد المرسلين ﷺ، وقصَد الشيخ العموديَّ للزيارةِ ومَن بواديه، وزارَ مراتٍ نبيَّ الله هود ﷺ، وألبسَه سيدي الوالد مراتٍ، وحطَّ عليه نظره وعلى أولاده، وصار من خواصِّه وأتباعه، وبارك الله له في ذلكَ، وزاده ترقياً، لأنه ملازمٌ للمدارس والمجالسِ والزياراتِ، وصلاة الجماعة في أول الوقتِ.

وكان كثير التلاوة للقرآنِ العظيم، ملازماً في الصباح والمساءِ على أوراد جدّه الحبيب عبدالله الحداد. **وبالجملة**، فسيرته حميدة، وأفعاله سديدة، أعانه الله ووفقه، وألحقه بصالح سلفه، آمين.

* * *

وأما عبدالله؛ فتوفي ببلدِ (هرَر)، عند والدِه، وخلفَ ابناً وبنتاً بـ(هرَر)، وأمهما من دَولة (هرر)، كوالدهما عبدالله، أمه أيضاً من الدَّولة، وبارك الله في الجميع.

* * *

[ذكر الحبيبِ حُسَين بن محمد بن عبد الله الحداد]

وأما سيدُنا الولي، بدر الدين الحسينُ بن محمدٍ بن الحبيبِ عبدالله الحداد؛ فكان

عاقلاً صابراً شاكراً ذاكراً، آيةً في التواضعِ وسلوك سبيل الآخرةِ، خصوصاً آخر عمُره، حصلتْ له الإنابةُ والبركة كثيراً، وكان زاهداً في الدنيا، قانعاً بما ساقه الله إليه.

أخبرني أن ورْدَه كلَّ يومٍ كذا كذا مائةً من ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، وكذا كذا من آيةِ الكرسي، ومن التسبيح والتهليل، ما يسلّم له قلبُ كلّ عاقلٍ مثيل، وسمعتُه آخرَ عمره يقول: صَلاةٌ قفَا حسن حداد، ونظرةٌ فيه، خير لي من الدنيا وما فيها.

ورأيتُ بعض الأخدام تعذَّر عليه في عدَم المجيءِ إليه، فقال: المغنم كل المغنم عند العمّ حسنٍ، وأما نحنُ فلا لنا كلام معه أبداً. وكان يعظم عمَّه ويحترمُه، ويستمد منه.

عاشر جدَّه عبدالله الحدادَ ونظرَه، واختلف إليه مراتٍ، ويكفيه فخراً ذلك.

وحجَّ بيت الله ولم تتيسر له الزيارة فبقي متلهفا عليها إلى أن مات ولعل ذلك الأسف الذي نراه معه سببه عدم الزيارة بلغه الله بذلك أكثر مما يرجوه لو زار.

ورآه في المنام بعد موته سيدي الأخ محمد بن الوالد كأنه في هيئة حسنة وحلل خضر وكأنه جاء من قبره يريد بيت الحبيب الحسن يزوره وواجهه تحت الباب الشرقي الذي يخرج منه سيدي الحسن للصلوات الخمس وغيرها والله أعلم.

[ذكر أولاده]

وكذلك أولاده انتفعوا بسيدنا الحسنِ، وبعضُهم قرأ عليه، وهو: عبدالله[١]، سمعت بقراءته عليه شرح الحكم لابن عطاء الله وكتاب إيضاح أسرار علوم المقربين وشرح الوصية للسيد الإمام أحمد بن زين الحبشي وغير ذلك.

---

(١) توفي عبدالله بن حسين بن محمد، سنة ١٢١٩هـ. شجرة.

وكذلك انتفعوا بسيدي الوالد أحمد، قرأ عليه عبدُالله الوجيز للإمام الغزالي وشرح التحرير وغير ذلك وعبدالرحمن سمعت بقراءته على الوالد المختصر الكبير وقرأ في مختصر الأنوار إلى البيوع وشرح الوصية المقدم ذكرها ورسالة المعاونة

* * *

توفي العم حُسَين ثالث جمعة في شهر رجب سنة ١١٨٦، وذلك يوم وقفةِ سيدنا عبدالله بن علوي الحداد، وكان كلّ سنةٍ يجتمعون من جميع جهات حضرموت وبلدانها خلقٌ لا يحصيهم إلا الله، من سادة وعلماء وأخيار ومحبين، ويقرأ خبر مولدَ النبيّ سيدنا محمدٍ ﷺ عند قبر الحبيب عبدالله الحداد، وحضر في ذلك الحبيب العلامة جعفر بن أحمد الحبشي، خرج هو والوالد أحمد بالناسِ بعد صلاة الجمعة، وطلعوا بجنازة الحبيب الحسَين، وعارضهم الحبيب قطب الزمن الحسنُ بن عبدالله الحداد بعد أن صلّى بهم العصْر في مسجد (الهَجِيرة) على عادته، ووقفَ لهم عند المسجد الذي عند بيت العلامة طَاهر بن هاشم بامغفون باعلوي، وصلى على جنازته خلقٌ كثير، غالبُ من حضَر مولد جدّه المعروف المشهور، وصلى عليه بالناسِ إماماً عمُّه الحسن، نفع الله به.

وكنت أسمعُه كثيراً يقول: عسَى أن يتوفاني الله قبلَ عمي، فعساه يتجمّلُ بي، رحمه الله. قبر في مقبرة جدّه عبدِالله، زار مع سيدي الحسن آخرَ زيارةٍ لسيدي الحسَن لشعبِ أحمدَ الحبشي كما سبق، وزار نبيَّ الله هود، وكان مواظباً على الصلواتِ الخمس قفَا عمّه الحسن، إلى أن توفي إلى رحمة الله.

* * *

[ذكر أولاد الحبيب علوي بن الحبيب عبد الله الحداد]

وممن انتفعَ بالحبيب الحسن: أولاد أخيه علويٍّ: علي، ومحمدٌ، وعبدُالله.

أما علي؛ فقرأ على عمّه ربعَ المهلكاتِ من «الإحياء» وغير ذلك، وكان رجلاً سخيًّا، مواظباً على العبادة، يحفظ «الورْدَ الكبير»، «مفتاح السعادة والفلاح»، ويقرأه كل يومٍ، وقالَ الحبيب حسَن: إنه حاميه من آفاتٍ كثيرة، ويحصل له به في الآخرة خيرات جزيلة.

قلتُ: حتى إنه رحمه الله رآهُ بعضُ الأخيارِ، أن عنده في قبره خيراتٌ كثيرة من أعماله الصالحة، وسخائه بالإنفاق لإكرام الضيفان، ومواظبته على الأورادِ، ومنها المتقدم ذكره، أعني به «الورْدَ»، رحمه الله، توفي بعد عمّه في شهرِ عاشُور، سنةَ ١١٨٩.

* * *

وكذلك علوي، وأبوبكر؛ ابنا عليٍّ المذكور، جَدَّا في الطلبِ.

خصوصاً علويٌّ، انتفع بجدّه كثيراً، وكان يحبه، ورباه من صغَره، وحطَّ عليه نظرَه، وكان إذا أراد أن يحلِفَ أو يقومَ أو يقعد، يقول: يا حسن وأبوه لا يا حسن وأبيه.

وكان لا يحتملُ ولا ساعةً غضبَ جدِّه الحسن، ألبسه لباسَ القومِ، وحلاهُ بالآدابِ والأخلاق الحسنة، حتى ظهَر وكان صاحب عبادةٍ، وتظهر على يديه خصوصاً في أسفاره خوارقُ عادات، وكراماتٍ ظَاهراتٍ، قرأ على جده كتباً كثيرةً، خصوصاً كتب الحبيبِ عبدالله الحداد، أظن أنه أكمَلها. وقرأ على خاله الوالدِ أحمدَ في الفقْه والنحو، وسمعتُ بقراءته عليه: في «المنهاج»، و«الآجرومية»، وكتبها بيدِه، وحشَّى عليها من الشروحِ، وقرأ عليه كتباً غير ذلك، وكنت أسمعُ الوالدَ يقولُ: إن فهمَه مليح.

وزار نبيَّ الله هود مراتٍ عديدةً، وزار صاحبَ الشعْبِ مع جدِّه الحسن، وهي آخر زيارةٍ لجده، وزار الشيخ سعيد العمودي، وكذلك الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس، وزار صاحب (مِرْباط)، وحجَّ بيت الله الحرام هو وأخوه أبوبكر، وزارا

جدَّهما المصطفى ﷺ.

وكان علويٌّ سبباً في تصنيف كتابِ «بغية المحتاجِ إلى معرفة مناسك المعتمر والحاج»، الذي صنفَه الوالدُ، لأنه لما أرادَ الحجَّ استشارَ الوالدَ بعد جدّه الحسن، ووصاه بالوصيةِ التي في ديوانه، المسمى «نزهة القلوب وفسحة المكروب»، التي أولها:

يـــا أيهـــا الولـــد الطالـــب لحـج هنيئـا لـك المطلـب
قريبـــا تنـــال المنـــى والهنـــا يصفو لك الوقت والمشـــرب
يزول الكـدر باسـتلام الحجـر وبـــالملتزم يحصـــل المـــأرب

فانظرها في الديوان المذكور.

وتوفي بعد أن صلى العشاءَ، ولا تركَ فرضاً مدَّة مرضِه، وتعب عليه جدًّا حبيبُه وشيخُه المذكور، وكانت تترحّمُ عليه أمُّه وأمُّ أخيه أبي بكر، زينبُ بنت الحبيب الحسن، ولد سنة .... [١]، وتوفي سنة[٢] ١١٧٩، وله من العمر .... [٣].

خلف ابناً توفي أبوه وهو يرضَعُ، فسمَّوه باسمِ أبيه، ولما بلغَ طلب العلمَ النافع، واجتهد في ذلك حتى صَار فقيهاً ذا عقلٍ ورصانةٍ وديانةٍ، حجَّ بيت الله الحرام، وزار النبي ﷺ، وله أولادٌ وذريةٌ ساكنين ببيته بـ(حاوي تريم).

[ذكر السيد أبي بكر بن علي بن علوي بن عبدالله الحداد]

وأما أبوبكر؛ فقرأ على جدِّه وشيخِه «النصائح»، وبعضاً من كتب الحبيب عبدالله، حصل معي الشك في ذلك، **وسمعتُ** بقراءته على جدِّه كتاب «البركَة» للإمام

---

(١) بياض في الأصلين.

(٢) في شهر رجب، شجرة.

(٣) بياض في الأصلين.

الحبيشي، وتوفي أبو بكرٍ وهو يقرأ في كتاب «الشفا» للقاضي عياض.

وقرأ على خاله العلامة شهابِ الدين، وبركةِ المسلمين، في الفقه «شرْحَ مختصر أبي شجاع» للحكيم الحيثي، وغير ذلك، وتوفي وهو يقرأ في «شرح مختصر بافضل الكبير» تصنيف ابن حجر المكي، رحمه الله.

مرضُه الذي مرضَ منه قبلَ وفاته، شبهُ الطارقِ، مع وجع ذاتِ الجنْب، وهو شهيدٌ، لأن من ماتَ بها شهيدٌ على ما في الحديث النبوي، ولد سنة .... وتوفي في شهر شوال سنة ١١٨٦، خلّفَ ابناً اسمُه عمر، طلب العلم وتفقَّه.

* * *

[ذكر السيد محمد بن علوي بن عبدالله الحداد]

وأما العمُّ محمد بن علوي الحداد؛ فقد انتفعَ بعمّه الحسن، وقرأ عليه كتباً، وكان حافظاً للقرآنِ عن ظهر قلبٍ، ما يغلَط فيه، حتى اشتهر بذلك، وحجَّ مع والده، لأنه سارَ معه من (تريم)، وتوفي على يديه.

قال الحبيبُ محمد بن زين بن سميط في مناقبِ والده علوي: «حضر وفاتَه ابنُه الصالحُ العابد الناسك، جمال الدين محمد بن علوي، وكان صاحب عبادة ونسكٍ، واستقامة وأورادٍ، وتبتل وشكرٍ، أدركَ شيئاً من حياةِ جدّه نفع الله به»، انتهى كلامُ سيدي محمد بن سميط. وتوفي محمد المذكور في شهر ....[1] سنةَ ....[2]، وقد زار نبي الله هود عليه السلام مراتٍ، وكذلك زار صاحب (مرْباط)، سيدنا محمد بن علي.

وخلَّفَ ولدينِ: عبدالرحمن، وزين.

---

(١) بياض في الأصلين.

(٢) كانت وفاته سنة ١١٥٥هـ كما في بعض المشجرات.

[ذكر السيد عبدالرحمن بن محمد بن علوي بن عبدالله الحداد]

أما عبدالرحمن؛ فكانَ مجدًّا في طلبِ العلوم، قرأ على جدِّه الحسنِ كتباً عديدةً، لازم دروسَه وانتفعَ به، وتخرج على يديه، وعلى يد الوالد أحمد، قرأ عليه في الفقْه والنحوِ وغير ذلكَ، وسمعتُ بقراءته عليه: «شرح الزبد» لابن رسلان، وحَفِظ الزبد في الفقه، وغالبَ «نظْمِ الإرشَاد» للإمام المزجَّد، وحفِظَ «نظْمَ الآجرومية» للعمريطي المصري، وحفظ «الملحَة» في النحو أيضاً، وحفِظَ في علم التجويد: «الجزَريّة»، وحَفِظ «لامية الأفعال»، وكان مدَّةَ عمرِه إلى أن توفّاهُ الله وهو في غايةِ الطلبِ على سيدي الحسَن، وابنه سيدي الوالد أحمد.

زارَ نبيَّ الله هود ﷺ، وزار سيدَنا محمد بن علي صاحب (مرباط) مراتٍ، والشيخ سعيد العموديَّ. وكان فصيحاً لبيباً أديباً، توفي في شهر ... [1]، سنة ١١٨٢، وقُبِر بجهة (ظفار)، ببلد (صلالة)، في مقبرة آل مقيبل، زرناه مراتٍ لـمـا وصلنا إلىٰ (ظفار) لزيارة سيدنا محمدِ بن علي صَاحب (مرباط)، سنة ١١٩٠، وصية من سيدي الحسَن لي بزيارَة صاحبِ (مرباط).

* * *

[ذكر زين بن محمد بن علوي بن عبدالله الحداد]

وأما زين؛ توفي بالهند بـ(رَازْفُور)، سنةَ ١٢٠٥، وانقرضَ.

* * *

[ذكر الحبيب عبد الله بن علوي بن عبد الله الحداد]

وأما العمُّ عبدالله بن علوي الحداد؛ فقد انتفع بعمه العارفِ بالله الحسَن،

---

(١) هي الشريفة شيخة بنت أحمد بن عمر ابن شهاب الدين.

ويستشيره في كل أمرٍ يفعلُه، وكان بارًّا بوالدته كثيراً، توفيتْ وهي راضيةٌ عنه. وكان سليم القلبِ، صاحب أسفارٍ كثيرَة. أخبرني، قالَ: إني سافرتُ نحو نيفٍ وستين سفرةً، أقرَبُ سفرٍ لي إلى (دوعن). زار الشيخَ سعيد العموديَّ مرات عديدةً، وكذلك نبيَّ الله هوداً ﷺ، وصاحبَ (مرباط)، سيدَنا محمد بن علي، وأولياءَ (الشِّحر).

سمعتُ بقراءته على سيدي الحسَن عمِّه: كتاب «التنوير في إسقاط التدبير»، وغير ذلك، **وسمعتُ** بقراءته على سيدي الوالد أحمد: «مختصر بافضل الكبير»، وكان كثير المطالعة للكتابِ الذي صنفه العمُّ عبدالله بن حسَنٍ في «بر الوالدين»، لتعلقه ببرِّ والدته.

لبسَ من سيدي الحسنِ، وأجازه بقراءة الفَاتحة على ترتيبِ الإمام الغزاليِّ، وبالدعاء بعد ترتيبِ الفاتحة الذي لسيدي القطبِ عبدالله الحداد.

[ذكر الحبيب علوي بن عبدالله بن علوي بن عبدالله الحداد]

وأما ولدُه علويّ بن عبدالله المذكور؛ فقد قرأ على حبيبه الحسنِ بعْضَ كتبِ الحبيب عبدالله الحداد، وشرْحَ الرائيةِ:

* إذا شِئْتَ أن تحيَى سعيداً مدَى العُمْرِ *

للشيخ أحمد بن علي القَبَّاني البَصْري، والصغير[1]، وابتدأ في «شرح المنهاج» للبكريِّ، ولم يتمَّه.

حج حجاتٍ كثيرةً، وكان صاحبَ أسفارٍ إلى الجهاتِ البعيدة، كوالده، بل زاد عليه، سافر إلى (مصْر)، و(الشام)، و(القُدْس)، و(الرُّوم)، ووصل إلى (إسْطَنبول) بلدِ

---

(١) كذا في الأصلين، والعبارة إما فيها نقص، أو هي بحذف الواو.

السلطانِ، وزار المشاهدَ والمعابدَ، كالخليلِ، والأسباطِ، والنبي موسَى، والأنبياء بالشامِ ومصرَ وأوليائهم، أحياءً وأمواتاً، ودخل (العراق)، وزار سيدنا عليَّ بن أبي طالبٍ كرم الله وجهه في (الكوفة)، وزار الحسين بن علي رضي الله عنهما بـ(كرْبلاءَ)، وزار عبدالقادر الجيلاني، وأولياء (بغداد)، وأولياء (البصرة)، و(الأحسَاءِ)، وزار صاحبَ (مرباط)، ونبيَّ الله هود.

وألبسه سيدي الحسنُ القبْعَ، وأجازه وكتبَ له بذلكَ، بارك الله في الجميع، وكان صاحب سلوكٍ، بارًّا بوالديه، سكن المدينةَ، وتزوج، وجاءه أولادٌ، دفنهم في البقيعِ،

وله أولاد وزوجةٌ بـ(حاوي تريم) وطنِه، ثم لما أراد الله انتقالَ روحِه الزكيةِ، سنةَ ١٢٠٠، بعد تمام مناسكه وحجِّه بـ(مكة)، توفي في ٢٣ الحجة سنةَ ١٢٠٠، ودفن في قبر جدِّه علوي بن عبدالله الحداد بـ(المعلاةِ)، ملاصقاً قبر الحبيبِ محمد بن علوي السقاف، شيخ الحبيب عبدالله الحداد.

وكان السيد علويٌّ هذا، صافي السريرةِ، مستنير البصيرةِ، لم يخْلُ من العناية، محبًّا لأرباب الولاية، حجَّ حجاتٍ كثيرةً، وله من خشية الله دموعٌ غزيرة، لا يحتملُ المخاوفَ، سريع الدمعة والخشية، صاحِبَ تبتلٍ واستقامةٍ، رحمه الله رحمةَ الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى من الأكابر الأخيار، آمين.

[ذكر الحبيب عبدالرحمن بن محمد بن شيخ الجفري]

وممن انتفعَ بالحبيب الحسن:

الإمامُ العابدُ الزاهد، وجيه الدين عبدالرحمن بن [محمد بن][1] شيخ الجفري، ساكن (الحاوي)، حوطة سيدي عبدالله الحداد، وكان السيدُ عبدالرحمن آيةً في العبادة

---

(١) ما بين الأقواس سقط من النسخة (ب)، ولابد منه.

والطاعةِ، لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ، حجَّ بيتَ الله الحرام، وزار جدَّه رسُولَ الله ﷺ مراتٍ، وزار الشيخ سعيد العموديَّ، ونبيّ الله هودَ ﵇.

وكان لا تفوته مجالسُ الحبيبِ الحسنِ وحضَراته، وزياراته لجنَانِ (بشَّار)، ويقرأ بهم الراتبَ كلَّ ليلةٍ إذا حضَر في (الحاوي)، وإذا سافر قرأه الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي، ساكن البلد (تريم)، وكان وظيفةَ الأسنِّ من آل الجفري وآل الحبشي المذكورين، المشهورين في (الحاوي). وكان سيدي الحسنُ يعظمُه ويحشمه جدًّا.

كنت أسمعُه كلَّ يوم بعد قراءة حزْبِ الصبحِ في مسْجد (الحاوي) إذا أراد الدعاء يقولُ: عبدالرحمن، أي: يعزم عليه يدعُو بالناسِ، فيقولُ، وهو مطرقٌ رأسَه: أستغفر الله، فيدعو بهم سيدي الحسَنُ، ويرفع سيدي يديه، فيرفعون أيديهم.

وسمعتُ بقراءة عبدالرحمن المذكور على سيدي: «رياضَ الصالحين» للنوويّ، وقرأ عليه كتباً كثيرةً لا تحصى، لملازمته له. وكان له إخْوانٌ ثلاثةٌ: أحمدُ، وعبدالله، وشيخٌ، فقد انتفعَا بسيدي الحسنِ، وأحسِبُ أنهما قرءَا عليه.

* * *

[ذكر السيد شيخ بن محمد الجفري]

وأما شيخٌ؛ فقد خرجَ إلى (تريم) لزيارة الحبيب الحسَنِ، وألبسه وحكَّمه، وأذن له في الإلباس والتحكيمِ، والقراءة في الكتُبِ والأوراد، وكان من يومِ ألبسَه الحبيبُ الحسن الخُودَةَ لم يخرجها من رأسه أينما كانَ، وعند من كانَ، وعبر مع خروجِه من (المكَلَّا) إلى (دَوعن)، وزار مَنْ به الصالحينَ، ثم وصل إلى (تريم)، هو والسيد عبد الله الجفري صاحبُ (الخريبة) بـ(دوعن)، والفقيرُ أولُ من رآه حينَ وصل إلى (الحاوي)، وقصد حضرة الحبيب الحسَن أولاً، ثم ذكر رؤيا تقدمَتْ له قبلَ وصوله: كأنه جاءَ إلى (حاوي تريم)، حضْرة سيدي، وكأني أولُ من لقِيته!، وانتفعَ بزيارتِه هذه كثيراً، وقال

الحبيبُ الحسن: «إن مع شيخٍ شيئاً من علْمِ الاسْم».

وكان نازلاً مدّةَ إقامته في بيتِ أهله في (الحاوي) الميمون، وفعل مقامَةً في رحْلته هذه، وكان صاحبَ همةٍ عليةٍ، وعزَماتٍ صادقةٍ، زار (القدْسَ)، وحجَّ حجاتٍ كثيرةً، وزار جدَّه المصطفى ﷺ مراتٍ عديدةً، وكان لديه معرفةٌ بعلمِ العربيةِ والنحو والعَرُوضِ، صاحبَ بديهة مليحةٍ، وله أشعارٌ كثيرة عجيبة، تنبئ عن غَزارة عقْله وفهمه وعلمِه، وله تواريخُ للوقائعِ.

وبالجملة؛ فهو مظهر والدِه ولي الله محمّدِ بن شيخ الجفريّ، وله كراماتٌ كثيرة، وأفعال حميدةٌ، تحتاجُ إلى مؤلَّفٍ مستقل، وقد انتفعنا به سنةَ خرجَ إلى (تريم).

وتوطَّن (ملَيبار)، وكان لا يتركُ الأسبابَ، بل يختلف بالبيع والشراءِ إلى البنادرِ، وتخدمُه الأخيارُ، مع كمال الاستقامة، فلما خرج إلى (تريم)، وألبسه الحبيبُ الحسَن وحكمه، ترك الأسبابَ، واتكل على مسبِّبِ الأسبابِ، مع الأثقال الكبيرةِ، سُفْرته مبسوطةٌ بإطعامِ الطعامِ للفقراء والغرباءِ بـ(مليبار)، زاده الله ترقياً، ونفعنا به، آمينَ[1].

* * *

[ذكرُ الحبيبينِ عبدالله وأحمدَ ابنا زينِ بن علويّ بن محمدٍ الحبَشيّ وأولادهم الساكنين (نُوَيدِرَة تَرِيم)]

وممن انتفع بسيدنا الحسَنِ بن عبدالله الحدادِ:

السيدانِ الأجلانِ الأكملانِ، عبدُالله وأحمدُ ابنا الإمامِ العارف بالله زينِ بن علوي بن محمد الحبشيّ، حجَّ السيدانِ المذكوران حجاتٍ كثيرةً، وزارا جدَّهما المصطفى

(١) وكانت وفاته سنة ١٢٢٢هـ.

ﷺ مراتٍ عديدةً، ووصَلا لزيارةِ الشيخ سعيد العمودي، وأولياء (اليمن)، وزارا نبيَّ الله هود عليه السلام كثيراً.

وفضَائلهما لا تعدُّ، لم يتركَا صلاةَ العصْرِ، ودرْسَ الحبيبِ الحسن،قرَءا عليه كتباً كثيرةً، ولم يتركا صلاةَ العشاءِ مع سيدي، وحضُورِ الراتبِ والحضرة ليلةَ الجمعة، والتهليلة ليلةَ الخميسِ والاثنين، وزاد عليهما والدُهما: بعدَ صلاة الصبح والمغربِ، فكان لا يتركُهما، بل يصليهما في (الحاوي) مع شيخِه وأستاذه الحبيب عبدالله الحداد، إلا الظهر وحْدَه بمَسجد باحبليل، والله أعلم.

توفّي عبدُالله قبلَ أحمد بسنينَ، وخلّفَ أولاداً أربعةً: عبدالرحمن، وعلويّ، ومحمد، وزين، وأحمدُ عمُّهم ناظرٌ عليهم، وربتهُم أمُّهم العفيفةُ الكاملةُ السخيةُ، سَلْمَى بنت السيد محمد بافقيه، أمُّها العابدة الصالحةُ الشريفة، علوية بنت سيدي عبدالله الحداد، وكان خالها الحبيبُ الحسنُ يحبّها كثيراً، لفعلها المعروفَ والمليحَ مع الخاص والعامّ، وتوفي وهو راضٍ عنها كثيراً، فهنيئاً لها ذلك.

وأخبرني سيدي: أنه جاءَ له ولأخيه علويّ تمرٌ ودراهمُ، مرسلٌ من (ظفار)، طريقَ (سَيحُوت)، فأمرا به يُطرَحَ في (حِصْن بن كَوب) قريبَ (شعب نبي الله هود عليه السلام)، ثم أرسلاَ السيدَ عبدالله بن زينٍ الحبشيّ إلى (الشّعْب)، وأمراه بعِمارَة الخَدْرِ الذي كان ينزلُ فيه الحبيبُ عبدالله والدُهما أيامَ الزيارة، وكان خَدْراً واسعاً، مبنياً مرتفعاً من الأرضِ قدر ذراعين، وفيه محرابٌ مشخّصٌ، وكان الحبيبُ عبدالله يضرب فيه خيمةً كبيرةً على دَقْلَين، تسَعُ مائةَ نفرٍ، فبناه السيدُ عبدالله بأمرهما داراً واسعاً، وقصراً واحداً مسقوفاً، بمرافقه وبيتِ مَائِه، وأنفق في العمارة التّمْر والدراهمَ المذكورةَ، ثم خرِبُ الدار لكثْرة الأمطارِ، فبناه سيدي الوالدُ أحمد، أنفق عليه مالاً، وأرسل خداماً له يبنونه، فبنوه من أصْله، سنةَ ١١٩٢.

وكان عبدالله وأحمدُ المذكورانِ وأولادُ عبدِالله المذكور، إذا سافروا إلى (الشّام)، يأذن لهم سيدي الحسَن يقبضُونَ ما كان له ولوالده من النذْرِ، ويأمرهم يأخذونَ ما يحتاجون من تلك الجهاتِ، فما زالا وأولادُهما كذلكَ.

* * *

قال في «مقال الناصحين»: «قال الشيخُ الكبير الهمْداني في «زُبدَة الحقائق»: السعادة كلُّ السعادةِ أن تبذُلَ الخدمة لرجلٍ واصلٍ إلى الله، قد اجتباه إليه، تخدمُه بنفسِكَ ومالِكَ وكليةِ رُوحكَ، فهذا نالَ القرْبَ من الله والمكانةَ عنده. وقد أدركنا بذلكَ ما لم ندركْه بعلومنا وأعمالنا، فالزَمْ ذلكَ. قال ﷺ: «**الخادم في أمان الله عز وجل ما دام في خدمة أخيه المؤمن وله في الخدمة كأجر الصائم القائم بالليل وأجر المجاهد في سبيل الله**»، فافهم.

وهذا حاصلٌ في خدمة عوامِّ المؤمنينَ، فكيف في خدمة خواصِّهم»، ثم ذكر خدمة الإمام الغزالي لشيخِه إمامِ الحرمينِ، وفي أنه يغسِّلُ أحجَار المستراحِ للشيخِ وتلامذته ومَن عندَه، وفتح الله عليه بالفتوحاتِ الكبيرةِ، فافهم»، انتهى.

* * *

توفي عبدُالله سنةَ ١١٥٥[١]، بعد الحجّ والزيارةِ، في (النهود) المعروف، مع رجوعه في البحر، وتوفي أحمدُ في شهر ....، سنةَ ....[٢].

وختم أحمدُ على سيدي «الإحياء»، وفعل مخرجاً كبيراً، وضيافةً في المكانِ المسمَّى (الرّوضة) بحريَّ (الحاوي)، حضر الحبيبُ الحسنُ وأولادُه، وسيدي الوالد والأصناءُ،

---

(١) في الشجرة: سنة ١١٦٢هـ وفي تعريف الذرية (١/ ٣٩): أن وفاة والده زين بن علوي سنة ١١٥٨هـ.

(٢) كذا بياض في الموضعين في الأصلين.

وتلامذته الحبيب عمر بن زين بن سميط، وكان يقرأ في ذلك المخْرج «ديوان» الشيخ عبدالرحمن بن علي علوي، وكان يحبه، وحضر العمُّ حامد بن عمر، وأخوه علوي، والعمّ عبدالرحمن بن محمد الجفري، وأولاد سيدي عبدالله بن زين الحبشي، وجملةٌ من المحبينَ، وانتفعنا بالجميع في ذلك المخْرج والختمِ المبارك «لإحياءِ علوم الدين».

* * *

[ذكر السيد علَوي بن عبدالله بن زين بن علوي الحبشي]

وممن انتفعَ بسيدي الحسن، وبالوالد أحمد:

السيدُ الأنوَر الأكملُ، علويّ بن عبد الله الحبشي المذكور، وخرجَ من جهَة (مليبار) بعد أن توطنَ بها، وزار الحبيب الحسنَ وأمَّه سلْمَى المتقدم ذكرُها، وألبسه الحبيبُ الحسنُ. وكان سيداً ماجداً، له قيامُ بالليل، ووردُه كلَّ يومٍ ثلاثَ مراتٍ من قراءة «دلائل الخيرات»، ويوم الجمعة سبعَ مراتٍ، وله أورادٌ كثيرةٌ. حجَّ حجاتٍ إلى بيت الله الحرام، وزار نبيه في (طيبة)، ولحظته العنايةُ الأزلية، وكان مستغرق الخاطِر بالحضْرة النبوية.

زار مع سيدي الوالدِ أحمدَ نبيَّ الله هود، مرتين، الأولى: معه في حياة والدِه الحسنِ سنةَ ١١٨٨، والثانية: مخرَجَه الثاني إلى حضرموت، وزار في مخرَجَه هذا سنةَ ١١٩٥، مع سيدي شهاب الدينِ، وبركة المسلمينَ، نبيَّ الله عَسْنَب بـ(وادي سَرّ)، ونبيَّ الله حنظلة، وسيدنا عبيدَالله بن أحمد بن عيسى، ومع الرجوع من (عَسْنب) زار مع الوالد سيدنا أحمدَ بن زين الحبشيَّ، والشيخ عمر بامخرمة، ثم الشيخينِ في (الشِّعْبِ)، سيدنا أحمد بن عيسى، وأحمد بن محمد الحبشي، ثم سيدنا علوي بن عبيدالله، وأهل محبته، وأخاه جديدَ، ثم الشيخ عبدَالرحمن با جَلْحَبان، وألبسَه الوالدُ، وأجازه بإجازاتٍ مباركةٍ.

* * *

[ذكر السيدين محمد وزين ابني عبدالله الحبشي وأولادهما]

وأما محمدٌ وزَينٌ ابنا السيدِ عبدالله الحبشي؛ فهما انتفعَا بسيدنا نفعاً تاماً، وتربيا على يديه، ولا يفعلانِ أمراً، أيَّ أمرٍ كانَ، إلا بنظرِه ونظر سيدي الوالدِ. وقرءا عليهما كتباً كثيرةً، فقهاً وحديثاً وتصوفاً، ومصنفاتِ الحبيب عبدالله الحداد، و«الرسَالة»، و«الموطأ»، و«الأربعينَ الأصل» للإمام الغزالي، و«شرْحَ مختصر بافضل» لابن حجرٍ، و«المحلي شرح منهاج النووي».

وبالجملة؛ منذ نشَآ وهما ملازمانِ للطلبِ على الحبيب الحسنِ والوالدِ، ولم يفارقاهما في جميع مدارسهما وزياراتهما، اقتفاءً في ذلك بسيرة والدِهما وعمّهما، وتوفي سيدنا الحسنُ وهو راضٍ عنهما، وألبسهما لباسَ القومِ، وكذلك الوالدُ ألبسهما.

وزار مع الوالد نبي الله هود ﷺ مراتٍ عديدةً، وحجَّا حجاتٍ كثيرةً، وزارا جدَّهما محمداً ﷺ مراتٍ، بل الغالبُ أن كلَّ سنةٍ يسير واحدٌ منهما ويتخلفُ الآخر، وهما على سيرةٍ حميدةٍ، وأفعال سديدةٍ. زارا الشيخ سعيد العموديَّ، وصاحبَ (مرباط) سيدنا محمد بن علي، وكذلك سيدَنا أبو بكر العيدروس صاحب (عدَن)، وغالبَ أولياء (اليمن)، ولم يزالا كذلك في فعل الخيرات، وملازمة الصلوات، مع الجماعات، مواظبين على صلاة العصر مع الجماعة في (الحاوي)، وحضور المدرس والقراءة بعدها، ثم يلطعان إلىٰ بيتهما بيتِ آبائهما وأجدادهما في (نُوَيدرة تريم)، قريبَ بيتِ سيدي عمر حامد المنفِّر، ثم يخرجانِ لصلاة العشاء كلَّ ليلةٍ إلى (الحاوي)، ويقرءانِ بهم الراتبَ، ويحضران حضراتِ الذكْرِ الجهريّ بعدَ الراتبِ ليلةَ كلّ جمعةٍ، وبعد صَلاتها في دار البلاد التي شرقيَّ مسجدِ آل أبي علوي، وكذلك التهليلة ليلةَ الخميسِ والاثنين، وزيارة جنان (بشّار) مع سيدي الحسَن والوالدِ أحمدَ يومَ الجمعةِ وعصر الثلوث، ويخرجان يوم الأحدِ معهما إلى (السُّبَير)، وبالنسبةِ ما أحدٌ من سادةِ (تريم) مثلهما في المواظبة والاتباعِ لسيدي الحسن والوالد أحمد، بارك الله لهما في ذلكَ، وبارك في ذريتهما

ليقتفوا آثارَهما في عافيةٍ، فقد انتفعوا وارتقَوا أولادُهم بسيدي الحسن والوالدِ، وهو الذي يسميهم يومَ سابعهم، ومن سنِّ التمييز يلازمونَ التردُّد على (الحاوي).

* * *

[ذكر السيد أحمد بن محمد الحبشي]

ثم نجبَ أحمدُ بن محمدٍ في الفقه والنحْوِ، واجتهد كثيراً، فصار فقيهاً، قرأ على الوالدِ أحمد وأولادِه كتباً كثيرةً، فقهاً وتصوفاً وحديثاً، وحطَّ عليه نظرَه.

وكذلكَ عبدُالله ولد زين؛ حط نظره عليهم كثيرا ولم يزالوا ملازمينَ الدرْس والجماعةَ في (الحاوي)، خصوصاً لما أمرَهم الوالدُ سنةَ ١٢٠١، أن يبنوا بيتاً في (الحاوي)، فسكناه محمدٌ وزينٌ وأولادُهما.

* * *

[ذكر الشريفة سلمى بنت عبدالله بافقيه]

وأمهما سلمَى بنت السيد عبدالله بافقيه؛ أمُّها كما تقدّم، علويةُ بنتُ الحبيبِ عبدالله الحداد، ولدَتْ سنةَ ١١٢٨، أخذَتْ مع جدّها الحبيبِ عبد الله نحْوَ خمس سنينَ، أو الأربع، تربتْ ببيته، ولما وصَّى سيدُنا عبدالله لأولاد بنتِه بَهية بنصيبِ والدهم، وعلوية ابنتُه قد درجَتْ قبله، قال لهم: أما بنتُها سلْمَى فهي باتتربَّى في بيتي ومطْبخي، كشفاً منه، فتربتْ في بيته عندَ خالها علويٍّ والحسن، حتى زوَّجها بالسيد الزاهدِ عبدالله بن زين الحبشيّ، وكافةُ أولاده منها. وكان سيدنا الحسنُ، خالها، له نظرٌ تام عليها، يحبها وتعجِبه أفعالها في الخير، له بها عنايةٌ تامة، كان ميله الكثير إلى أولادِها لأجْلها، صاحبةَ عبادةٍ وذكرٍ، كثيرَةَ الصدقة، لها وقائعُ تنبئ عن سرٍّ ونُورٍ وتوفيقٍ.

سمعتُ منها، تروي دعاءً عن خالتها عَائشة بنت الحبيبِ عبدالله الحداد،

وترويه عن والدها، وهو: «يا سَاتر الحالِ لا تكشِفْ لنا حالْ، وارزُقنا من رزقكَ الحلال، وبارك لنا في الأهل والمالِ والعيالِ، واكفنا من شرِّ ما تأتي به الأيامُ والليال»، انتهى.

* * *

[ذكر السيدين سقّاف وعبدِالله ابنا محمد بن عمر السقاف؛ ساكني سيون]

وممن انتفعَ نفعاً ظاهراً بالحبيب الحسنِ بن عبدالله الحداد:

السيدان الفاضلانِ، جامعَا الشريعةِ والحقيقةِ، السائرانِ[١] على الطريقَة الحدادية، القائمين بالدعْوة إلى الله وإلى سبيلهِ بـ(بلدِ سيون) وما قرُبَ منها، السيدُ العارف بالله، سقافُ بن محمد بن [عمر بن] طه السقاف، وأخوه عبدِالله بن محمّدٍ.

المذكوران كانَا ممن انتفعَا بالحبيبِ الحسنِ، ويحبهما ويثني عليهما، وكانا عظيمَي الاعتقاد فيه، والانقياد له، كثيرَي الثناء عليه، وإذا وصلا إلى (تريم) لم يفارقا سيدي في غالبِ أوقات المدارس والزيارات والحضراتِ، حطَّ عليهما نظره، وكذلك على أولادهما وأولاد أخيهما القاضي العلامة علوي بن محمد بن عمر بن طه بن عمر السقاف.

وكانتْ طريقتُهم الجميع، الذي سكنوا (سيون)، حداديةً علويةً، شيخهم الجميع تلميذُ الحدادِ الأكبر عليُّ بن عبدالله السقاف، وكذلك والدُهم محمدٌ من الآخذين عن سيدي عبدالله، وقد عده سيدي محمد بن سميط من الآخذين، وانظر في

---

(١) ما بين الأقواس سقط من النسختين، وقد تكرر ذلك في عدد من المواضع، ولعله سهو من الناسخين، وقد ذكر المؤلف اسم أخيهما علوي صحيحاً بعد سطور، فدل على هذا على حدوث التصحيف.

مكاتباتِ الحبيب عبدالله، مكاتباته التي إلى السيد المذكور، وهو[١] تولى القضاء على عادة أجداده آل طه بـ(سيون)، ثم بعدَه ولده الفقيه علوي، ثم بعده الحبيبُ سقاف المذكور.

* * *

وما سمِّي سقافُ إلا أنه كجدِّه عبدالرحمن السقـاف، سقفَ على حاله وفيه زيادةٌ على ما في أجـداده، وتوفي سقافٌ المذكورُ شهرَ شوال، لثلاثةَ عشر خلتْ منه، سنةَ ١١٩٥.

وكان صاحبَ مكاشفاتٍ، وخوارق عاداتٍ، كتب لسيدي الوالد قبل موتِه كتابَ عُوادٍ بعيد الفطر، ويوصيه بأولاده، كأنه يشير إلى النُّقلة، ويشكي من لاكزٍ في جنبه.

ولما وصل سيدي الوالدُ لزيارة نبيِّ الله عَسْنب، وعبر إلى (سيون) مع مرجعه، تعرضوه جميعُ السادةِ إلى (سِحِيل سيون)، وفعلوا حضرةً في مسجد آل طه، وحضر جمعُ غفير، وذلك أولُ شهرِ شعبان سنةَ ١١٩٥، على ما قدمنا، وكان وقتُ الخريف، وسيدي سقاف في بيته الذي في النخْل، فلما واجهَ الوالدَ ونظرَه لم يحتملْ من البكاءِ، وكأنه يشير إلى النقلةِ، بل لما رقدَ الوالد القيلولةَ في بيته، دخل على الوالد والمحب أحمد بن سعيد بن عبد السلام يكبس رجْلَه، فقبلَ ركبة سيدي، وبكى، فقال له الوالد: لا تخفْ، تقبل على ربٍّ كريمٍ، قالها ثلاثاً، فاطّلع سيدي سقاف على عمره أنه قرُبَ، وسيدي الوالد كذلك، نفع الله بهما آمين. ثم قال له: الله الله، نظرَك على أولادي كلهم، وعلى فلان منهم أكثر، قال له: نظرُنا عليه في أيام حياتكَ، وبعد مماتك أكثرُ، وعلى أولادك كلهم، ولم يتفق بسيدي الوالد بعد هذه.

---

(١) أي الحبيب محمد بن عمر، وتوفي سنة ١١٤٧هـ.

ولما حضرته الوفاةُ، جمعَ جميع أولادِه وقرابته، حتى أن واحدةً من بناته متزوجةٌ وهي في بيت زوجها، قال لهم: من بغَى البركة يرُوح ويجيء بها، فجاءوا بها. فلما أحضرَهم وصَّاهم بتقوَى الله، وقال لهم: إني راحلٌ إلى الدار الآخرة، وجعل يوصيهم ويدعو لهم، ثم قام وتوضأ وجلسَ يذكرُ الله حتى ماتَ، وكان به مرضٌ خفيفٌ، إنما هي نُقلةٌ، قدّس الله روحه، ونور ضريحه، وكان يثني على شيخِه الحسنِ كثيراً، ويقول: فيه ما في أكابرنا، وهو حامل سرِّ والدِه، ويا بختكم به.

* * *

وكان سيدي سقافُ من الآمرينَ بالمعروفِ والناهين عن المنكر، لا يخافُ في الله لومةَ لائمٍ، ولا جورَ ظالمٍ، حتى أوذي وقُصِد بالأذى، بل ضُربَ بالرصاصِ ولم يضرَّه شيء، وكفى الله شرَّ أعدائه لحسنِ نيته مع الله، وكان وجهه قطعةَ نورٍ، لا تشكُّ في ولايته، يعظم أولياء وقته وعلماء زمانه، يقبل الحقَّ ممن جاءَ به كبيراً أو صغيراً، ويصدع به، أصلح الله على يديه خلقاً جما، وانتفع به هل وقته نفعاً عامًّا، وبقي أثرُه تاما، لعُظْم نظراته، وكبر نفحاته، وقد عمَّر مسجدَ أجدادِه آل طه بـ(سيون) عمارةً أكيدةً، وكان بنظره بعد والده.

* * *

[ذكر والده السيد محمد بن عمر السقاف]

قال الحبيب محمد بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد»، في (الحكاية السادسة بعد عشرٍ بعد المائتين)، في (باب الكرامات)، قال: «حدّثني السيدُ الفاضل محمد بن عمر بن طه السقاف، بعد أن حدّث سيدي وشيخي أحمد بن زين، وأمرَه أن يملي ذلك عليَّ بمحضره، نفع الله به، قالَ: عزمتُ لزيارةِ (تريم)، فجئتُ إلى الحبيب عبدالله الحداد لأشاورَه في تولي وظيفةِ مسجد أهلي، فلما وصلتُ إليه لم أتجاسَر على مشَاورته،

فقال لي رضي الله عنه ابتداءً منه: إن مسجِدَ الهجيرة المعرُوف بـ(تريم)، كانت وظيفتُه بنظر والدنا، وأهلنا قبله، وبعد وفاة والدِنا تعيَّن علينا القيامُ به بعدَهم، فعرفتُ بمكاشفته، فعند ذلك ذكرتُ له ما في نفسي، فأشار عليَّ بتولي الوظيفة»، انتهى.

وكان السيد محمدٌ من الآخذين عن الحبيب عبدالله الحداد، عده السيد محمد في المؤلَّف الذي عدَّ فيه من أخذَ عن الحبيب عبدالله.

* * *

[ذكر الحبيب علي بن عبدالله السقاف]

وقد أخذوا أولادُ السيد العلامة محمد، علويٌ وسقافُ، وعبْدِالله، وألقَوا قيادهم لشيخ (سيون) في زمنه، تلميذِ القطبِ الأوحد الحبيب عبدالله الحداد، وكما قد عدَّه الحبيب محمد بن سميط في «المناقب» من أجلِّ الآخذينَ عن الحبيب عبدالله، وهو السيد علي بن عبدالله السقاف، شيخُ المشايخِ، ونخبة الدهر، ويتيمة عقد الجوهر، إمام العارفينَ، وقدوة الزاهدين والموحدينَ، حداديُّ الطريقة والمظْهَر، من حظي بمواهب شيخه الأكبر، لا يخالف شيخه عبدالله، ولو كان على أمرِه أعظمُ المشقّاتِ لارتكبها.

قال السيد الأكملُ محمد بن زين بن سيمط في «غاية القصد والمراد»، في (الحكاية الرابعة والستين بعد المائتين): «أخبرني السيد علي بن عبد الله بن عقيل قال : أشار عليَّ السيد الإمام عبدُالله الحداد بسفَر (الهند)، فسافرتُ إليها، فمكثت فيها عدةَ سنين ملازماً العارف بالله عليَّ بن عبدالله العيدروس، فلما خرجتُ من (الهند) لازمتُ سيدي عبدالله الحداد وتحكمتُ له، وألقيت قيادي إليه، ثم بعد ذلكَ سافرتُ للحجِّ، ولم تتفقْ لي زيارةُ رسول الله ﷺ فلما رجعتُ إلى (تريم)، قالَ لي نفعَ الله به: زرْتَ النبيَّ ﷺ؟ فاعتذرت بعذري، فعاتبني أشدّ العتابِ على ترك زيارته ﷺ، وقال : ماذا تقول لنبيك؟ أو بمعنَى هذا، ثم قال: ارجعْ وزُر النبيّ ﷺ، فقلتُ: ليس معي ما أستعينُ به

في السفر، حتى الزاد، وليس لأهلي شيءٌ هنا، فقال نفع الله به: لابد أن تسافر ولا عذْرَ من ذلك، وأمورك ميسرةٌ إن شاء الله، فلما رأيتُ من سيدي الجدَّ، عزمتُ على ذلك، وبعْتُ ردائي وأخذت به زاداً، ولم أترك لأهلي شيئاً، وسافرتُ واثقاً بقوله: «أمورك ميسرة»، فيسَّر الله لي الخيرات والبركاتِ ببركته رضي الله عنه، على خلاف عادتي في أسفاري، وحجيتُ وزرت النبيَّ ﷺ»، انتهى ملخصاً.

قلتُ: وقيضَ الله لأهله، وكانوا بـ(حَوطة الزُّبدَة)، رجلاً من أخيارِ المشايخ الزبدة، وقام بأهله من حين سَافر إلى أن رجعَ، ما يطعمهم إلا البرّ واللحْمَ، ببركات سيدي، كما أخبرني بعضُ المنورينَ، وإن شئت أن ترَى العجبَ في أحوالِ هذا الإمام، فانظر في «مناقبه»[1] التي ألفَها السيدُ الفاضلُ، تلميذُه وابن بنته، عمر بن سقاف بن محمد.

* * *

ثم إن أولادَ الحبيب علي بن عبدالله، وأولادَ سقافٍ وعلويّ وعبدِالله، بني محمد، انتفعوا بسيدِنا الحسن، وزاروه مراتٍ عديدةً، وبعضُهم قرأ عليه، ولبسوا منه لباسَ القوم، ومن بخْتهم وحسْنِ نياتهم تعلقُ سيدي الحسنِ بهم.

حتى أن بعضَ السادة طلبَ من الحبيب أن يلبسَه لباسَ القوم، وذلك سنةَ ١١٨٧، ووصّاني لسيدي مراتٍ، ويوعدُه سيدي، فيوماً من الأيامِ والسيدُ المذكور في الضَّيقة يقرأ عند الوالد أحمدَ، قال لي: طلعْهُ، فطلعتُه، فلما طلعته وصَلوا من (سيون) تلك الساعةَ، وأول من دقَّ على البابِ من المذكورين أكبرُهم وأعلمُهم وأسنُّهم، عمر بن سقاف المذكور، فألبسَ الجميع سيدُنا السيدَ الطالبَ، وبقية السادةِ والذي حضروا معهم. فاعجب لهذه المنقبة والمزيةِ، أخَّر الإلباسَ حتى اطلعَ على مجي السادة آل طه من آل السقاف من بلد (سيون) قاصدين زيارته، فحظُوا بالمرادِ من حضْرة سيدنا الحداد،

---

(١) واسمها «موارد الألطاف».

في لحظةٍ حالَ الوصولِ، خصوصاً عمر بن سقاف، لأن الحبيبَ الحسنَ والوالدَ لهما به عنايةٌ تامة، وبكافة إخوانه. قرأوا على سيدي الحسن، والوالد، كلُّهم: عمر، ومحمد، والحسن، وعلوي.

* * *

[ذكر السيد عمر بن سقاف]

وكلُّهم درسوا في العلومِ ببلدهم (سيون)، خصوصاً عمر، فإنه الخليفةُ الحقُّ، بل هو حامل رايةِ العلم فقهاً وتصوفاً وحديثاً، ألفَ كتباً نافعةً، وله «ديوانٌ» في الشعر مليحٌ، صاحبُ استقامة عظيمةٍ، انتفع به من الخلقِ ما لا يحصَون، خصوصاً أولادُه وأهل بلده، من سادة وغيرهم.

بل كافة سادَة (سيون) انتفعُوا به نفعاً كثيراً، بالوالدِ أحمد، وبالجد حسنٍ، وخصوصاً أولاد السيد السقاف محمد بن [عمر بن] طه. رأى سيدي عمر بن سيدي الوالد أحمد: كأن الحبيب سقاف وأولادَه وجملةً من السادة عندنا في (الحاوي) بحضرة الوالدِ، إشارةً لعظم مدَدِهم من سيدنا الحدادِ الأكبر، وشدة اعتنائه بهم.

* * *

[أخذ المؤلف عن الحبيب علي بن عبدالله السقاف]

ومن نعَمِ الله عليَّ سنةَ ١١٨٠ من الهجرة النبوية، أنه لما زار الوالدُ في حياة والده قطبِ الزمن الحسنِ، وبإشارته، لما طلبوه جميعُ أهلِ (وادي دوعن)، سار إليهم ليتبركوا به، وليزوروا الشيخَ سعيد العموديَّ، أمرني أن أسَافر معه إلى (دوعن) لزيارة الشيخ سعيدٍ، وعبر على بلد (سيون) مع طلوعه، وصلينا الظهر مع السيد الولي نور الدين علي بن عبدالله السقاف المذكور، أولاً، فلما أتمَّ الصلاةَ وعلِم بالوالدِ في المسجد، جاء إليه

وطلعَ هو وإياه والفقير وكافةُ من حضَر من السادة وغيرهم إلى البيتِ، ومن سمع من أهل البلد بوصُول الوالد جاءَ، ونحنُ في محضرة سيدي عليٍّ المذكورِ، وأمر بالقهوة فجيء بها، فلما أخذ الفنجانَ وقرأ الفاتحةَ وشربَ منه بعضاً، وقرأ وتفل فيه، قال للوالد: أين ولدُكم علوي؟ يعنيني، وكان مكفوفَ البصر آخرَ عمرِه، فقال له الوالدُ: هذا هو هنا، فناداني وأعطاني الفنجانَ، ودعا لي بالبركة، بقوله: بارك الله فيكَ، وأرجو أن يقبل الله دعائه.

* * *

وزار سيدي علي بنُ عبدالله المذكور (تريم) مرةً، وأولُ ما قصدَ من الأحياءِ حضرةَ سيدي الحسن، فقال له سيدي الحسن: إن تقدمْتَ إلى البرزخ فالوصيةُ منا إليكَ أن تسلم على رسول الله ﷺ، وعلى شيخك سيدِنا الوالد عبدالله وأكابرنا، وإن تقدمنا استوصينا لكَ بذلك، فاطلع الحبيب الحسنُ أنه يموتُ قبله، فكان كذلكَ، وكانت زيارته هذه سنةَ ١١٨٤، وزار معه من أهلِ بلده جمٌّ غفيرٌ، تقبل الله منهم ذلك آمينَ، ثم رجع بعد أن تملى بـ(حاوي تريم)، مآثر شيخه، وبـ(تريم) مآثر أجداده.

* * *

[ذكر السيدين أحمد وعبدالرحمن ابنا الحبيب علي بن عبد الله السقاف]

وولداه: أحمدُ، وعبدالرحمن؛ انتفعا بسيدنا الحسنِ، والوالد أحمد، وقرءا خصوصاً على الوالد أحمد، ولهما مكانةٌ عند سيدي الوالد، ولعلهما لكَون والدهما تلميذ الحبيب عبدالله، وهما قاما بعده بمقامهِ، وعمارة مسْجده وقبته بالطّاعة والاستقامة، بارك الله لهما في ذلك.

* * *

[فصلٌ، في ذكر التبرك بالصالحين ومآثرهم]

وكل أتباعِ الحبيب عبدالله الحداد وتلامذته لهم الاتصالُ الكلي بالحبيب الحسنِ، والوالد أحمد، يصِلونَ إلى حضرتها في (الحاوي) الميمون، ممن ذكرناهم في هذا الكتاب ومن لم نذكرْهم، لأن محبتهم للأصْلِ وهو الحبيبُ عبدالله، فوهبَ الله له ابنه الحسن وحفيدَه والدَنا أحمد، كما وهبَ الله للخليل إبراهيم ابنه إسحاقَ وحفيدَه ابنه يعقوب نافلةً، قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء:٢١]، ويحسنُ هنا ذكر التبرك بالصالحين ومآثرهم نفع الله بهم، تتميماً للفائدةِ.

قال العلامة السيدُ محمد بن علي خرِد باعلوي في كتابه «غرر البهاء»: «قال السيد عبدالله بن أبي بكر العيدروس في سؤالٍ سئلَ عنه: ما معنى التبركُ بآثار الصالحين؟.

فقال رضي الله عنه: التبركُ بآثارهم ومتعبَّداتهم، ولبسِ ثيابهم، لأن أماكنهم مباشِرةٌ لثيابهم، وثيابهم مباشرةٌ لأجسَادهم، وأجسادُهم مباشرةٌ لأرواحهم، وأرواحهم ملامسةٌ حضرةَ ربهم، ثم أنشدَ:

تفـوحُ أريـاحُ نجـدٍ مـن ثيـابهمُ ... عند القدُومِ لقُربِ العهْد بالدَّارِ

انتهى ما ذكره في «الغرر».

وقال الشيخُ العلامة، عمر بن أحمد العمودي، شعراً في (حاوي الخيرات)، ومعدن البركات:

حييتَ يا الحاوي وزدْتَ مفَـاخراً ... تعلُو على الأرضِـينَ والأطبَـاقِ

إذ كنتَ مأوى جسْمِ ذاك المجتبَى ... ومحــلَّ نعليــهِ مــن المطْــراقِ

قال في كتابِ «مقال الناصحين»، للشيخ محمد بن عمر باجمال: «قال القطب عبدالقادر الجيلاني، رحمه الله: أيما امرؤٌ مرَّ على مدرَستي خففَ الله عنه عذابَ يومِ

القيامة، فما ظنك بالصحبة لهؤلاء، والمجالسة والنظرِ والخدمَة والحبِّ، ولقد أحسن من قال:

خلـيليَّ هـذا ربـعُ عـزّةَ فـاعقِلا   قلُوصَيكما ثم احلُلا حيثُ حلّتِ
ومُسَّـا تُرابـاً طالمَـا مـسَّ جلْـدَها   وبيتا وظَلاًّ حيثُ باتَتْ وظلّـتِ

ولله درُّ من قال:

ليتنـي للقَـومِ عبـدًا ونزيـلٌ أو غُـلامْ   فنزيلُ القومِ كلا لا يضُامُ ولا يضَامْ

وقال الشيخُ الكبير عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر، رحمه الله: من اعتقَد الصالحينَ وصَحِبهم، يحصلْ له النفعُ التامّ في حياتِهِ، ولو بعد حينٍ»، انتهى.

ولله درُّ من قالَ:

بأنفاسِـهم نـالَ المنـى كـلَّ طالـبٍ   ومـن ربِّـه يعطَـى الوسـيلةَ والقرْبَـا
فإن عندَ خوفٍ استغاثَ امرؤٌ بهـم   أغيثَ وعادَ الضيقُ من أجلهم رحْبَـا

واعلم أن الرحمةَ تنزلُ في مجالسِ الذكرِ، ونشر سيرةِ عباد الله الصالحينَ ومناقبهم، قال الفقيه محمد بن أبي بكر باعباد، رحمه الله: «لو لم يكن في ذكْر الصالحينَ إلا غفرانُ الذنوبِ»، فانظرْ إلى هذه الفائدَة الجليلة التي أعدُّها بالنسبةِ إلى فوائدهم الجزيلة، وجعلها قليلة.

ولله در من قالَ:

كفـى شرفـاً أني مضـافٌ إلـيكم   وأني بكُمْ أدْعَى وأرْعَى وأعـرَفُ
إذا بملوكِ الأرضِ قومٌ تشرَّفوا   فـلي شرفٌ مـنكم أجـلَّ وأشرَفُ

ثم قالَ: «فدعاء الصالحينَ يصِلُ إلى ذرية المدعوِّ له، وتعطّف خواطِرهم على العباد، يرحمُ الله به العباد، ويغيثُ البلاد»، وقالَ: «قال الإمامُ أبوالحسن محمد

البكريُّ، المعاصِر للمصنف[1]: «جمهورُ أهلِ الطريق فتحَ الله عليهم بدوامِ التصديقِ، حتى استحقَّ أكثرُهم اسمَ الصديق». وقال الشيخُ الكبير دوادُ بن عمر الشاذلي، رحمه الله: «من أعظم مواهبِ الله لعباده بعدَ الإيمان بهِ وبحرماته، الإيمان بنور الولاية في خلقه، سواءً شهدها في نفسه أو في غيره»، وقالَ أيضاً: «لا تسع ذرّةٌ من محبة الله وفي الله، بقناطير من الأعمالِ، فإنها من أنفس الذخائرِ وأسناها، لحديث «المرءُ معَ من أحبَّ».

* * *

---

(١) أي: معاصر للشيخ محمد بن عمر باجمال مصنف «مقال الناصحين»، توفي باجمال بدوعن بلدة (بضة) سنة ٩٦٤هـ وتوفي الشيخ أبوالحسن محمد بن محمد البكري بمكة سنة ٩٥٢هـ.

[ذكر مأثرة حَاوي تريم]

ومن مآثر الصالحين: حَوطةُ الحبيب عبدالله الحداد، المسمَّى (الحاوي)، شرقيَّ البلد (تريم)، قال سيدنا محمد بن سميط في (الفصْل السابع) من (الباب الأول) من المناقب الكبرى في «غاية القصد والمرادِ في مناقب الحبيب عبدالله الحداد»:

«وكان مكانه، أي بيته الذي في (الحاوي) الميمون، مأوَى الصالحينَ، ومستغاث الخائفينَ، وملجأ الفقراء والمساكينَ، ومقصد الغرباء واللاجئينَ، وملجأ الطالبينَ، وتشدُّ إليه الرحالُ، وتحط بسُوحِه الأثقالُ، قبةُ النيات والمطالب، وكعبةُ الآمالِ والمآرب، فكم نشَأ به من ناسكٍ، وكم فتح الله من سالكٍ، لا يقصدُه طالبُ أيِّ مطلبٍ إلا وفاز بالمطلوب، ولا أمه راغبٌ إلا وظفِر بالمرغوب، ولله در القائل:

حيِّيتَ يا الحاوي وحزْتَ مفاخراً ... تعلو على الأرضينَ والأطبَاقِ

إذ كنتَ مأوى جسْم ذاكَ المجتبَى ... ومحلّ نعليه من المطْراقِ

وكان بناؤه سنةَ ١٠٨٣، ثلاث وثمانين وألفٍ، وبقي مدةً بعد ذلك يخرجُ إليه وقتاً، ويطلع إلى البلد وقتاً، ثم استوطنه صيفاً وشتاءً حتى ماتَ، وابتنى مسجده الذي حول بيتِه المذكور، وقد كان ثمَّ مسجدٌ صغير لجدِّه السيد عمَر بن أحمدَ المنفِّر باعلوي، لأن بيته كان في ذلك المكانِ، وهو حاوي الخيرات والبركات والسعادات، المشرقة عليه شموسُ التجلياتِ الربانيات، والطالعة على عرَصاته أقمارُ أفلاكِ الأسرار العرفانيات، والبازغة عليه بدور الدعوة وأشهبها الثاقبات»، انتهى من (الفصل السابع) المذكور، بحذف واختصار، وتقديم وتأخيرٍ.

قلتُ: واستيطانه صيفاً وشتاءً كانَ سنةَ ميلادِ الحبيب الحسنِ، وهي سنة ١٠٩٩، تسع وتسعين وألف، إلى أن ماتَ سنةَ ١١٣٢.

* * *

وسمعتُ الوالدَ يقولُ عن والدِه الحسن: إن بعضَ المتعلقينَ بسيدي من أهلِ البلد (تريم) المحروسة، كان يتردد إلى (الحاوي)، فحبسته الحمَّى عن الخروج إلى (الحاوي)، فرأى الحبيب عبدَالله الحداد في المنام، فقال له: أعلِمْتَ أن (الحاوي) كلَّ يومٍ وليلةٍ تنزلُ عليه من الله ثلاثُ رحماتٍ، زائداً على مدينة (تريم)؟ فتكلفَ الخروجَ بعد ذلكَ، مع ما به من التعب. وقال في «تثبيت الفؤاد»، الشيخُ أحمد الشجار: «إن رجلاً من الجندِ في زمن سيدي طلعَ نخلةً في (الحاوي)، فنهاه من كان رآه، وقال له: إن مكان سيدي حَوطةٌ، فلم ينتهِ، فلما خرج منها ماتَ قريباً من دار إبراهيم مِغَيربان، خادم سيدي»، فالعياذ بالله من غضبه وغضب أوليائه.

ورأى محبنا أحمدُ بن أبي بكر الشِّبْلي الحباني وهو في (الحاوي) في المنام ليلةً، سيدي عبدالله يدور على (الحاوي) ويحوطُه من خارجه، ويقول: محل الحوطَة وحدودها من هنا إلى هذا المكان، وهكذا يفعلُ في جوانبه، نفع الله به، وكان في تلك الليلة في أمر أحزَنه، وهو أنه رأى بعضَ الجندِ أراد أن يؤذي بعْضَ المتجوِّرين، فكفاه الله بأمر من عنده عاجلاً، فعلم أنه معتنًى به.

* * *

بل رأيتُ أنا سنة ١١٩٠، لما زرنا سيدَنا محمد بن علي مولى (مرباط) ونحن بحَوطة سيدي عبدالله الحداد، (بلد الدّهاليز)، وبنيتْ هذه البلادُ باسْمِه نفع الله به، رأيته كأنه في مسجدِه الذي في بلده المذكور، وسألت بعضَ من كان معَه، وقلت: ما جاء بسيدي هذه الليلة، وبينه وبين (تريم) مسافةٌ بعيدة؟ قال لي: إنه كل ليلةٍ يجيءُ إلى هذه البلاد، وانتبهتُ بعد ذلك فعلمتُ أنه متحفّظٌ عليها وعلى أهلها.

وقال لي السيدُ العلامة القاضي عمر بن أحمد السَّباح باعلوي: إني رأيتً ليلةً من الليالي في المنام كأنّ سيدي عبدالله الحداد خارج (بلد الدهاليز) من جهة القبلة، ومدوِّر

على البلاد بحلقةٍ من نورٍ، وقابضٌ بالحلقة والبلاد بحدودِها الأربعة وسَطها، فأيقنت أن جميع من سكن (الدهاليز) حوطَته في كنفه، فسكنتها.

وقال سيدي الوالد في «شرحه على راتب جده» الحبيب عبدالله، المسمى «سبيل الهداية والرشاد»: «وقد رويَ عن الإمام السبكيّ رحمه الله، أنه كان يأتي إلى دارِ الحديثِ الذي كان الإمام النوويُّ يدرّسُ فيها، ويمرغ فيها خدّه، وينشد:

وفي دار الحديثِ لطيفُ معنًى ... أظَلُّ في جوانبها وآوِي
لعلي أن أمسَّ بحُرّ وجهي ... مكانا مسّه قدَمُ النواوي

وكان سيدُنا الحبيبُ عبدالله الحداد يقول: «العقيدة سحابُ الصالحينَ، لا يحصل للإنسان بغير عقيدةٍ منه فيهم»، قال ابنُ بنتِ الميلق في قصيدته المشهورة:

وليس ينفعُ قطبُ الوقتِ ذا خللٍ ... في الاعتقادِ ولا مَن لا يواليه
والمرءُ إن يعتقدْ شيئاً وليسَ كما ... يظنّه لم يخبْ والله يعطيهِ

* * *

وقال في «غاية القصد والمراد»: «قال الشيخ علي بن أبي بكر باعلوي: قال بعضُ المحققين في بعض كتبه: إن المشايخَ إذا ماتُوا تركُوا همَمَهم متعلقةً بقلوبِ من استند إليهم، كما أنهم يتركُون بزواياهم التي كانُوا يعمرونها بذكْر الله وعبادتِه وطاعته والأعمال المرضيةِ لها، أرواحاً من أذكارهم وعباداتهم، يعمُرون بها ذلك الموضعَ.

ولذلك يجدُ من دخلَ مكانَ رجلٍ كبيرٍ في الدينِ قد ماتَ، خشوعاً ورقةً وإنابةً إلى الله، لا يجدُها في غير ذلك المكانِ، وقد عاين الأخيارُ والسادة الأبرارُ مثل ذلكَ في أماكن الصالحينَ، فإنهم ما ماتوا إلى وهمَّتُهم متعلقةٌ عموماً بمصَالح الإسلام والمسلمين، وخصوصاً قراباتهم وجيرانهم وأصحابهم وتلامذتهم، وقد وردت نصوصُ الكتاب والسنة على استحبابِ التبركِ في المواضعِ التي صَلَّوا فيها، والتبركِ

بجميع ما ينسَبُ إليهم ويتعلق بهم، وينبغي للمتبرِّك بهم، والمصلي في مواضِعهم أن يستحضِرَ معنَى مقصودِ هذه الأبيات:

خليليَّ هذا ربعُ عزّةَ فاعقِلا ... قلُوصَيكما ثم احْللا حيثُ حلَّتِ

ومسَّا تراباً طالما مسَّ جلدَها ... وبيتا وظَلا حيثُ باتَتْ وظلّتِ

ولا تيأسَا أن يقبلَ الله منكُما ... إذا أنتما صَلَّيتما حيثُ صلَّتِ

* * *

وقالَ السيد الإمام عمر بن عبدالرحمن باعلوي، صاحب (الحمْراء): «عليكَ رحمك الله بحسنِ الظنّ في أولياء الله خاصةً، وفي المسلمين عامةً، تفوز، ولكل خيرٍ تحوز، فإن أرباحَه كثيرةٌ، وفوائده غزيرةٌ، وهو نتيجةُ دليلٍ على صلاح السريرة ونور البصيرة، وهو باب الولوج إلى الأخلاق والصفات السنية وسلم العروج إلى المراتب العلوية العلية هذا وفي حسن الظن بأولياءِ الله شهيرةٌ[1] أشهَر من أن تذكر، وفوائدُ أكثر من أن تحصَر.

منها الفائدةُ الكبرَى، والنعمة العظمى: أن تكون منهم، لقوله ﷺ: **«المرءُ مع من أحبَّ»**، وقوله: **«من كثَّر سوادَ قومٍ فهو منهم»**، ومنه أنه مقرّبٌ إلى الله، كما قال الشيخ شاهُ ابن شجاعٍ الكرماني: ما تعبدَ المتعبدون بأكثرَ من التحبّبِ إلى أولياء الله، لأن محبة أولياء الله دليلٌ على محبةِ الله. ومنها: مذاكرةُ فضلهم، ونشر مناقبهم ومحاسنهم، فقد كان الفقيه الموهوبُ محمد بن أبي بكر عبّاد يقولُ في أثناء ذكرِهم: «ولو لم يكن إلا غفرانُ الذنوبِ»، وأيّ فائدة أجلّ منه هذه، ظفَّرنا الله بها، آمينَ. شعراً:

بأنفاسِهم نال المنَى كلُّ طَالبٍ ... ومن ربِّه يعطَى الوسيلةْ

---

(١) لعل في العبارة نقصاً أو سقطاً.

شعر آخر :

أمـرُّ عـلى الـدّيارِ ديـارِ لـيلَى ... أقبـلُ ذا الجـدارَ وذا الجـدارَ

وما حبُّ الـديارِ شـغَفْنَ قلبـي ... ولكن حبُّ من سـكنَ الـديارَ

وقال الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه :

يا راحلاً إنْ جئتَ وادي المنحْنـى ... فاحطُطْ به وانزلْ على كنْزِ الغنَـى

وارعَ الـذمامَ لجـيرةٍ حلّـوا بِـه ... وانشُدْ فـؤاداً حـلَّ في ذاك الفِنَـاءْ

إلى أن قال :

واستعطفِ الأحبابَ كَـيما يعطِفُـوا ... فهُـمُ هـمُ أهـلُ المكـارمِ والثنَـا

قال الشيخُ عبدالوهاب الشعراني في كتابه «لواقح الأنوار في طبقات الأخيار»: «اعلم يا أخي أن من طالعَ في هذا الكتابِ على وجه الاعتقادِ، وسمع ما فيه، فكأنما عاصر جميع الأولياء المذكورين فيه، وسمع كلامهم، وذلك لأن عدمَ الاجتماعِ بالشيخ لا يقدَحُ في محبته وصحبته، فإنا نحبُّ رسول الله ﷺ والصحابةَ والتابعين والأئمة المجتهدينَ وما رأيناهم ولا عاصرناهم، وقد انتفعنا بأقوالهم واقتدينا بأفعالهم، كما هو مشاهدٌ، فإن صورةَ المعتقدات إذا ظهرتْ وحصلتْ لا يحتاجُ إلى مشاهدَة صُور الأشخاص، ثم إنّ من طالعَ في هذا الكتابِ ولم تحصُلْ عنده نهضةٌ ولا شوقٌ لطريقِ القومِ، فهو والأمواتُ سواءٌ»، انتهى كلامه.

قال الحبيب محمد بن زين بن سميط في كتابه «بهجة الفؤاد وبغية المراد في مناقب الحبيب عبدالله الحداد»، الملتقطة من الكبرَى المسمّى «غاية القصد والمراد»: «قال سيدنا عبدالله الحداد: قيلَ: من خطَا إليك خطوةً بصدْقٍ، .. الخ. ويقول: من شَرِبَ من مائنا

شربةً فكأنما شربَ من ماءِ زمزم»، وقال: «إنا نضع للناس المدد في طعامنا وشرابنا فمن أكل وشرب أكثر كان مدده أكثر».

* * *

[عودة إلى ترجمة الحبيب علي بن عبدالله السقاف، ساكن سيون]

وقد حصَلتْ هذه الفوائدُ في معرِض كلامِنا في مجيءِ السيد الإمام علي بن عبدالله السقاف ساكن (سيون)، تلميذ القطب الأوحد الحداد لزيارةِ (تريم)، ووصوله إلى (الحاوي)، حوطة شيخه عبدالله الحداد، فاستحسَنَّا ذلك لكثرة الزائرين والقاصدين لـ(حاوي تريم) من كل الجهاتِ، ويفتخرُ من وصَله وزارَ أهله وتبرك به وبمآثره على كلِّ من لم يصِلْهُ ويزور أهله، جعلنا الله من المتأدبينَ فيه، والمنتفعين بمآثره، والقائمين بحقوقه وحقوقِ المتوطِّنين فيه، والمتجوِّرين به، والقاصدين إليه، وغفر لنا ذنوبنا وجميع ما يقعُ أو وقعَ منا، فقد رأينا بالعيانِ الانتقامَ لمن انهتكَ فيه وحلَّ الحرمةَ ولم يحترم ذلك يكبر ويكثرُ جرمه، ويعجِّلُ الله فيه الانتقامَ، حتى أن من أساء الأدبَ من سَادةٍ أو غيرِهم يعجَّلُ له ذلك، فيتوب أو ينتقمُ الله منه عاجلاً، ولو أردنا أن نطوِّل بذكْر ما جرَى وظهر عند الخاصِّ والعام لمن هتكَ ذاكَ المقام، لطال بنا الكلامُ، واحتاج إلى مجلدٍ في ذلكَ، والسلام.

* * *

قال الحبيب الحسن: كان والدُ السيد علي بن عبدالله السقاف سَاكنِ (سيون) صالحاً، ويختلف إلى (الحاوي) إلى عند سيدي الوالد عبدالله الحداد، وكان معه حصانٌ يجيء عليه وهو حالٌّ بـ(المسْفلة)، وكانت أمّ السيد عبدالله والدةُ السيدِ عليّ، وأمُّ العمّ أحمد بن علوي الحداد، أخ سيدي الوالد عبدالله واحدةٌ، أو أختها، نسيتُ ذلكَ.

وسقاف ولدُ عبدِالله أخِ عليٍّ، كان أكبرَ من علي، وكان صاحب قراءةٍ ومنتفعاً، إلا أن أخاه عليًّا كان أكثرَ منه قراءةً وبحثاً واتساعاً في العلوم، ومن صغره كان طالباً للعلم، دائماً في القراءة والطلبِ على الولد عبدالله الحداد، وعلى السيد علي بن عبدالله العيدروس، أخُ الوالدِ في الله، أخوةَ الإسلام، وعقدوا عقْدَ الأخوَّةِ عند قبرِ سيدنا الفقيه المقدَّم.

* * *

وكان السيدُ علي بن عبدالله السقاف، رُبِّي على ضنكِ المعيشةِ، وشدةٍ شديدةٍ في أول عمره، وكان إذا جاء (الحاوي) هو وزوجتُه قد ننسَاهم بلا غداءٍ، وكان الوالد عبدالله يتخبَّر عليهما كثيراً، ومعتني بذلك بنفسهِ، ويسألنا هل أعطيتموهما غداءً؟ هل أعطيتموهما عشاء؟ نفعَ الله بالجميع، ورحمهم. ثم كان آخر عمره بـ(سيون)، فتح الله عليه، فكان يناظر نفسَه، حتى كان يشربُ السّمْنَ، إلى أن راحت عيونه من شربِ السمْنِ باللَّيل»، انتهى كلام سيدي الحسن.

قلتُ: إن الأولياء لما ماتتْ نفوسهم يحسِنون إليهَا كالأجنبي، فلذلك وجبَ عليه أن يحسِنَ إليها بشُرْبِ السمنِ، لما أماتها فصَارت كالأجنبية عنه، نفع الله بهم آمين.

* * *

[ذكر الحبيب الحسنِ بن علي الجفري]

وممن انتفع بالحبيب حسنٍ:

سيدُنا العلامة الحسنُ بن علي الجفريّ، وأولادُه خصوصاً القائم مقامَه، الفاضلُ عبدالله، وكذلك محمّد، فقد قرءا على الوالدِ والحبيب الحسنِ، ولبسا منهما.

سمعتُ بقراءة عبدالله على سيدي الحسنِ كتباً من مؤلفاتِ الحبيب عبدالله،

وكان يأتي بجمعٍ كثير من السادة آل الجفري بـ(تريس) وغيرهم عند زيارته، ويحصل المددُ للجميع. حج سنةَ ١١٩٦، وزار جدَّه سيدَ المرسَلين ﷺ.

وكذلك القاضي علوي بن عمَر الجفري، انتفعَ بالحبيب الحسنِ والوالد أحمد، وكذلك ابنه الفقيهُ سقاف بن محمد بن عيدروس الجفري باعلوي.

* * *

[ذكر الحبيب محمد بن علوي مولى خَيلة]

وممن انتفعَ بالحبيبِ الحسن، وابنه أحمد:

السيد محمدُ بن علوي مولى خيله، وكان السيدُ هذا آيةً من آياتِ الله الباهرة في التواضُعِ وحسْنِ الخُلقِ وإكرام الضيفِ، صاحبَ توجّهٍ، وعبادة، وصمتٍ، وذكرٍ وشكرٍ، إذا رأيته ذكرْتَ الله عند رؤيته، لظهور الولاية، توفي هو والحبيبُ سقاف بن محمدٍ صاحبِ سيون في سنةِ .... [1]

وأخبرني أحمدُ بن سعيد بن عبدالسلام، قال: لما زار الحبيبُ أحمد بن حسنٍ نبيَّ الله عسْنَبْ ورجعَ، عبر إلى (الفُجَير)، وكنت عنده في خلوةٍ وحدَه أكبّسُ رجلَه، فدخل عليه السيدُ محمد بن علوي خيله، وبكى في نحْرِ سيدي، وكأنه يشير للنقلة إلى الدار الآخرةِ، فرأيت سيدي يرغّبه بذكر الجنة ولقاءِ الله ورسوله والسلف الصالح من آل أبي علوي، وفتح له بابَ الرجاءِ، مثلَما رأيته فعلَ وتكلم للحبيب سقَافِ بن محمدٍ بـ(سيون).

قلتُ: والسيد محمد هذا ساكن (الفُجَير)، كأجداده، تحتَ البلد (سيون).

* * *

(١) بياض في الأصول، وسبق أن وفاة الحبيب سقاف سنة ١١٩٥هـ.

[ذكر الحبيب محمد بن حسن مولى خَيلة]

وكذلك السيد محمد بن حسن مولى خيله؛ انتفعَ كثيراً بسيدِنا الوالدِ أحمد، وللوالد عليه نظرٌ تامّ، وحسُنَت عقيدتُه، حتى أنه ظفِر بمراده، ويستشير في أحواله الدينيةِ.

وأمره بملازمة الدرْسِ للعلم والطلب له، وبجَميع كافّة السادة أهل خَيله، كالسيد الأنور علي بن علوي، أخ السيد محمد المتقدّم ذكرُه، وله ترددٌ إليه للالتماسِ والقراءة والانتفاعِ، وكلهم على حالةٍ حسنةٍ من الاجتماع على الصلواتِ الخمس، والذكر، ومجالس العلم، نازلينَ في حَوطة أجدادهم (الفُجَير)، بارك الله لهم في ذلك، آمين.

* * *

[ذكر الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي]

وممن انتفع كثيراً بسيدنا الحسنِ، نفعاً عامًّا، وصار له كالوالد الشفيقِ، ويلاحظُه ويخصُّه بما لا يخصُّ غيرَه من أهل التحقيقِ، الوارثُ لحال والدِه، والمبشَّر به قبلَ مولده، من جمعَ بين الشريعة والحقيقَة، ورقى رقيَّ مشَايخ الطريقة، حتى صار الخبر عندَه كالمعاينة، كما قال الحبيب عبدالله الحداد:

والغيبُ عنـده صَـار كالشـهادَةْ　　　هذا لعَمْـري منتهَـى السَّـعادَةْ
سُبحانَ ربِّي من رجاه ما خَـابْ

بل ارتقى حتى استحقَّ التخصيصَ بما قال شيخُه الحبيب عبدالله الحداد:

هـذا جمـالُ الحـقِّ قَـدْ تجـلَّى　　　ولم يكنْ محجُوبْ قبـلُ كَـلَّا
لكنَّ قلبَ العبدِ حين يجـلَى　　　شَاهدْ وكانتْ منه السَّـواتِرْ

فافهم لقوله: «شاهد»، الخ، وهي الدرجةُ الثالثةُ، التي هي أكمل درجَاتِ اليقين، والتي قبلها الدرجةُ الثانيةُ: «الغَيبُ كالشهادة»، كما فصّل الدرجاتِ سيدُنا عبدالله الحداد في «رسالة المعاونة»، بل كما قال الوالدُ لما رثَى الحبيبَ جعفر بقصيدة نونية، فقال:

* العمْرُ عينٌ صَار العَينُ في الزمَنِ *

فهو بحْر الحقيقة، وشيخ الطريقة، الحبيبُ جعفرُ بن الشيخ الكبير أحمد بن زين الحبشي باعلوي الحسيني، الشافعي السُّني، حداديُّ الطريقةِ، غزاليُّ الحقيقة، من ظهرت في الخافقين أعلامُه، وازدهرت بطلعةِ محيَّاهُ لياليه وأيامُه، مظهرُ والده، والمتحمل بالأمر الذي قام به، من جمع الله له الكمالَ وصفاءَ الوقتِ، وبلوغ الآمالِ، سلطانُ مكانه، ومقدَّمُ إخوانه، وشيخُ زمانه، من جدَّ ونالَ ما لا يخطُر لأحدٍ على بالٍ، تلا لسان حالِه: هذا من جود الله وأفضَاله، يخصُّ من يشاءُ برحمته، فيرفعه على أهل وقته، ويجعله واحداً منهم، بائناً عنهم، وحيداً فريداً، قصدُه غير قصدِهم، وطريقُه بعيدةٌ عنهم، تربى في حجْرِ والده الأستاذِ أحمد بن زين الحبشي، وكان يخصُّه بأسرارِه، ويقبل عليه ما لا يقبلُ على غيره، وملازماً للطلبِ عليه، قرأ عليه من الكتُبِ ما لا يحصَى بعددٍ، ولا يستقصى بحدّ، بل من بعْدِ تعلّمِه القرآن إلى أن توفي وهو ملازمٌ ليلاً ونهاراً، عشية وأبكاراً، وتلا لسانُ حاله في ذلك:

الجـدُّ في الجـدِّ والحرمَـانِ في الكَسَـلِ   فانصَبْ تصِبْ عـن قريـبٍ غايـةَ الأمـلِ

وله معرفةٌ تامة في جميعِ العلوم الفقهية والأدبيةِ، وعلم كتُبِ التصوفِ، بل ما جمعَتْه «سفينةُ والدِه» من جميع العلومِ، من تفسيرٍ وحديثٍ وتصوفٍ وشريعةٍ وحقيقةٍ وأدبٍ ونحوٍ ولغةٍ وعروضٍ، وغير ذلكَ، هو عنده وعارفٌ به، وخصوصاً في علم الحقيقةِ، فإنه لا نظيرَ له، وإذا تكلمَ في ذلك تراسلتْ عليه العلومُ، ونطق بالمنطوق

والمفهوم، حتى أن من رآه يقول: هذا عينُ الزمانِ، واجتمعَ فيه ما لا يجتمعُ في كثيرٍ من الأعيانِ، وكان رجلاً مهيباً جدًّا، من رآه بديهةً هابهُ كثيراً.

قال درويشٌ صالحٌ وصلَ إلى غالبِ الجهات البعيدة: ما رأيتُ في سياحتي واختلافِ البلدان البعيدةِ، أكثرَ هيبةً من اثنين: الحبيب حسن بن عبدالله الحداد، ويتبعه في الهيبة الحبيبُ جعفر بن أحمد الحبشي، لا يقدر يخاطبهما أحدٌ بما في ضميرِه في القلب، كائناً من كانَ، إلا إن بدَءوه بذلكَ، كشفاً منهما.

وقد قرأ سيدي جعفر بن أحمدَ المذكور، على سيدي الحبيب عبدالله الحداد شيئاً من القرآنِ، ولما وصلَ لزيارة الحبيب الحسن بتريم، ورأى عتيدةً من القرآن العظيم ثلاثينَ جزءاً من زمن الحبيب عبدالله الحداد موجودةً، قال: إني قرأتُ هذه العتيدَة على سيدي عبدالله الحداد.

وكان الحبيب عبدالله الحداد ينوّه باسْم جعفرٍ هذا قبلَ وجوده وبعده، وهو الذي يبشِّر والدَه به، وقد ألبسه سيدُنا عبدالله الحداد، وألبس جميعَ إخوانِه مراتٍ عديدةً، كلَّ سنةٍ آخر عمره، نفع الله به، إذا وصَلوا مع والدهم الحبيب أحمد ألبسَهم، وكانوا كلهم أئمةً فحولاً، علماءَ، سادةَ وقتهم ومكانهم، وقد انتفعنا بهم.

* * *

[ذكر الحبيب محمد بن أحمد بن زين الحبشي]

أما محمد؛ ساكن بلد (الغرفة)، إمام مسجد والدِه المسمَّى بباعلوي، بل سمعتُ من بعض السادة: أنه بشَّر والدُه أحمدُ بمحمّدٍ هذا، وأنه سيصير إمامَ مسجد والدِه المذكور، وكان محمدٌ صوفيًّا، لم تغلبْ عليه الحقيقةُ، بل بقي مستمسكاً بظواهر الشريعةِ، لا يجد المعترضُ فيه شيئاً مما يوجِب الإنكارَ، قال لي بعضُ أولاده عنه أنه قالَ: إني مرةً لما وصلتُ إلى حضْرة الحبيب عبدالله بـ(الحاوي) مع والدي أحمد وإخواني

الجميع، ألبس نحن الحبيب عبدالله الحداد الجميعَ، وألبس إخواني من كوفيةٍ كوفية، قلَنْسُوَة صنعانية، وأنا ألبسني كوفيةً بيضاءَ، فتعجبتُ من ذلك، واشتغلتُ لأنها بيضاءُ.

فقال لي الوالد: خلّها على رأسكَ، فأخذْتُ مدةً وأنا لابسُها في (الحاوي)، فاطلع سيدي عبدالله على ذلكَ، فخرج على عادته وصلَّى بنا صلاةَ الظهر، وعلى رأسه كوفيةٌ مثل الذي أعطاها إخواني، فلما أتمّ الصلاة والتسبيحَ، قام كعادته يركع في الضَّيقة، دهليزه المعروف، المباركة، البعديةَ، وقمنا على العَادة، جميعُ الذي صَلوا معه، فصافحوه، فلما صافحتُه ألبسَني الكوفيةَ التي على رأسه الشريف، ففرحتُ لذلك.

قلتُ: والحمدُلله فقد زرْنا هذا السيدَ محمدَ في بيته سنةَ ١١٨٠، لما أراد الوالدُ زيارة الشيخِ سعيد العمودي، وصلينا المغرب والصبحَ معه، وتغدينا عنده، وكان عليه هيبةُ الولاية، ومسح على رأسي ودعَا لي، وعَشِقه قلبي من ذلك الحين، ورأيناه مراتٍ قبلَ ذلك عند زيارته لسيدنا الحسن بن عبدالله الحداد، وكان ممن انتفع به كثيراً.

* * *

وكذلك أخوهما، الحبيبُ علوي بن أحمد بن زين الحبشي، في هذه الزيارةِ انتفعْنا به مع سيدي الوالد بـ(شبام)، وثاني مرةٍ انتفَعنا به مع سيدي الوالد سنةَ ١١٨٣، بعد تلك الزيارة بثلاثِ سنينَ. وكان علويٌّ المذكور إماماً عظيماً، وشيخاً فخيماً، قرأ على والده كإخوانه، وكان صاحبَ فطانةٍ وفهْمٍ وحفظٍ. سمعتُ عن الثقاتِ أنه قالَ بعضُ الطلبة لسيدي أحمد بن زين والده: إن علوي يقرأ عليكم كثيراً زائداً على الطلبةِ، قال لهم: إنه يفهم ما يقرأه جميعَه، وكان كلامه بعدَ قراءة علويّ، فنادَى الحبيبُ أحمد ولدَه علويًّا، وقال له: هات معنى ما قرأته علينا وفهمتَه، فجاء بجميع ما قرأه من حفْظه، فتعجبَ الحاضرون.

ثم بعد اتسَاعهِ في العلوم، حدثَتْ عليه جذبةٌ ربانيةٌ، حدثَني بذلك الشيخ سعيد

بن صالح البعُو، المنتمي بوالده، قال: في أيام جذْبةِ الحبيب علويٍّ هذه، اتخذ خنْجراً لبسَه وتنطَّقَ به، مثل جنابي القبائلِ من بلده، ورأسها فضة، وزار الحبيب عبدالله الحداد، وتبعه أناسٌ، وكنت ممن تبعَه، فخرج له سيدي عبدُالله إلى دهليزِه الضَّيقة، وكلمَه وسيدي علوي مطرقٌ برأسه، وتلمس سيدي عبد الله خِنجَر علوي المذكور بيده، وقالَ له: أيش هذا يا علوي؟ فلم يتكلم علوي، وآنسَه سيدي عبدالله كثيراً.

ثم سكن مدينة (شبام)، وحصلَ لأهلها به الخيرُ العام، يحبّ الوحدةَ والخلوةَ، يردُّ غالبَ من جاء إليه، وله اختيار حسنٌ في ذلكَ، وله تعلقٌ بكلامِ الذائقِ الشيخ عُمَر بامخرمة، يردد القصيدة هذه التي أولها:

* بازِياد انشَرحْ للشَّيخ واطْلُبه دعْوَةْ *

إلى أن قال:

فـانّهم قَـالوا أربـابُ الصَّـفا والفتـوّةْ … مـن معـه كَنْـز غطَّـا الـزَّين منّـه ومَـوّهْ

أخبرني الحبيبُ عمر بن زين بن سميط بذلك. وتوفي بـ(شبام)، وقبر بـ(مقبرة هيصَم)، معروفٌ بالزيارةِ بعد الموتِ، تقضَى عند ضريحه الحاجاتُ، وانتفعوا به كثيراً أهلُ شبام خصوصاً وغيرهم.

* * *

[ذكر الحبيب أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي]

وأما أولاد سيدنا جعفر، وأولادُ محمدٍ ابني أحمد بن زين الحبشي: فقد انتفعُوا بسيدنا الحسَنِ، وخصوصاً الفاضِلَين: أحمد بن جعفر، وسقاف بن محمد.

فأما أحمدُ بن جعفر؛ فأسمعُ الحبيب الحسنَ يثني عليه، ويشير إليه، ويحبه كثيراً، وقال لنا: من أراد أن ينظُر شبهَ أحمد بن زين الحبشي، فلينظر إلى أحمد بن جعفر حفيدِه،

صورتُه تشبه صورةَ جدّه، وأرسله والدُه جعفر إلى (الحاوي) إلى عند الحبيب الحسن وابنه أحمدَ والدِنا، لطلبِ العلمِ والانتفاع، فقرأ عليهما كتباً كثيرةً، ويقول له الحبيب الحسن: شيخُكَ أحمد، حولناك عليه، فأقبل الوالدُ عليه إقبالاً كلياً، خصوصاً بعد وفاة والدِه جعفر، كانت عليه شدّة اعتناءٍ وحماية. ولما رثى الوالدُ الحبيبَ جعفر، وبيَّن حَاله ومقامه، قال في أحمد بن جعفر هذا، في آخرها:

فـــالله يخلفُـــه بـــالخيرِ في عقِـــبٍ ... فالشبلُ ابنُ الأسدْ فافهَم مرامزَنا

فالسّرُّ لا ينتزعْ من أهلِه أبداً ... فضلٌ من الله لا نُحصي له مِننَا

يا أحمدَ الحبْرِ يا ابنَ الحبْرِ صبراً على ... ما قد قضَـاهُ الإلـه الحـقُّ مالكُنَـا

فلــيسَ فــيما قضَــاه الله مرتجــعٌ ... وفي الرِّضَا بالقضَا للعبدِ كلّ مُنَى

وأنتمُ خلفٌ عمّن مضَى وقضَى ... نحباً فحافظْ على الآثارِ والسنَنا

وقام أحمدُ بمنصِب جدِّه ووالدِه أتمَّ قيامٍ، نفع الله به الخاصّ والعام، كعبةً للقاصدين، ومورداً للطالبين، انتفع به الأنامُ، كمن سلف من آبائه الكرام، له خلُقٌ حسنٌ، واحتمالٌ لأهل الزمنِ، وإقبالٌ على المولى، بارك الله فيه وفي إخْوته وأولاد كلٍّ.

* * *

ومن عجيبِ اعتناء سيدي الحبيبِ عبدالله الحداد بهم: أني ليلةَ وفاة الحبيب جعفر، رأيتُ كافةَ أولادِه في بيتِ سيدي عبدالله الحداد في (الحاوي)، في محضرته، ثم بعدُ إذِنَ لهم، فساروا على هيئةٍ مليحةٍ من (الحاوي) إلى (خلع راشد)، فلما جاء خبر وفاةِ الحبيب جعْفرٍ، علمتُ اعتناءَ الحبيب عبدالله بهم كاعتنائهِ بوالدهم، وأن ظهورَهم لما أذنَ لهم وسارُوا على هيئةٍ مليحةٍ، كذلك يقعُ لهم من المقامِ والظهورِ كوالدهم، بارك الله في الجميعِ، وفي عقبهم المباركين.

* * *

[ذكر سقاف بن محمد بن أحمد بن زين الحبشي]

وأما سقافُ بن محمدِ بن أحمد بن زينٍ الحبشي، الذي أشرْنا إليه سابقاً، فانتفع كثيراً بالإمامين الجدِّ حسنٍ، والوالد، ويشيران إليه بشيءٍ من السرِّ، وكان صاحبَ توجُّه وعبادةٍ، ناصباً نفسَه لتدريسِ العلوم الفقهيةِ، والحديثية، والغزالية، والأدبية، وأعظمَ الله له الترقّي، حتى صار علماً معروفاً بين الناسِ، يقصَدُ ويتبَرَّكُ به.

توفي بـ(الغُرفة)، وبنَوا عليهِ بناءً يعرَفُ ويتبرك به، وإخوته مباركُونَ، أصحابُ استقامةٍ، وأخذُهم عن الوالدِ والحبيب حسنٍ معروفٌ، بالقراءة والتلقي، خصوصا أحمدُ وحسينُ، وأولاد الجميعِ، بارك الله لهم في ذلكَ، فهم على سيرة حميدةٍ، وأعمال سديدةٍ. قال سيدي عمر بن سميط: «الحبيبُ عبدُالله وأولادُه كالشجرةِ، وآلُ أحمد بن زين الحبشي، وآلُ عمر بن عبدالرحمن البار، وآلُ بن سميط (شبام): أغصانُ الشجرةِ الحدادية».

* * *

[ذكر أولاد الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار]

وممن انتفعَ نفعاً تامًّا، وحصلَ لهم سرٌ ظاهرٌ وباطنٌ، أولادُ سيدنا عمرَ بن عبدالرحمن البار باعلوي، بسَيدنا الحسنِ وبالوالد أحمدَ، فغالبهم وصَلُوا لزيارةِ الحبيب الحسنِ، وبعضُهم بالمكاتبةِ، ولبسُوا منه الخرقةَ الشريفةَ، ومن وصَل بنفسه ألبسَه، ومن غابَ أرسل له الإلباسَ. ولما أمرهم والدُهم بالسَّفر وبالأسبابِ، بعد أن علمَهم ما يحتاجون إليه من أمرِ الدينِ، كتب له الحبيبُ الحسن: كيف أمرتهم بذلك؟ فأجابه: لئلا يتكفَّفون الناسَ، فاستحسنَ سيدي الحسنُ ذلك لهم. وقال الحبيبُ عمر بن سميطٍ: «إن بعضَ الأولياء سرُّه في أولاده، ومنهم الحبيبُ عمَر البار، سرُّه في أولاده».

* * *

[ذكر الحبيب علوي بن عمر البار]

أما علويٌ؛ فانتفع بسيدي الحسَنِ، وصلَ بنفسه إليه وزارَه وألبسَه، ويقُال: إن الحبيب عبدالله بشَّر والدَه به، وظهرت خصوصيةٌ فيه، فإنه شَاوُش مقامِ الحبيب عمر البار، صاحبُ أسرارٍ، غزير الدمعةِ، أَزْرَى بحاتمٍ في كرَمه، ينفق ما حوَتْ يداهُ، حتى باع داره ومالَه في الكرمِ والمعروف، لا يبالي بإقبال الدنيا وإدبارها، لباسُه لباسُ ملكٍ، وقلبُه أنور من ذلكَ، لأن كراماته ظاهرةٌ، والأنوارُ على أسرَّةِ وجهه باهرة.

ثم آخر عمره قصدَ سيدَنا الوالد سنةَ ١٢٠٣، وألقى قيادَه إليه، وجلس عند شهر رجبٍ وغالبَ شهرِ شعبانَ، وخُصَّ في هذه الزيارة بأسرار وأنوارٍ، وألبسه الوالد شَايته الرفيعة يوم وقفةِ الحبيب عبدالله الحداد، وقراءة المولد ثالث جمعة في شهر رجب، وسار معه لزيارة نبي الله هود ﷺ، وهي آخر زيارة للوالد وله، ولا يجلس والدنا مجلساً مدّةَ إقامة السيدِ علوي عنده إلا وهو بحَضْرته، صباحاً ومساءً، حتى الغداءُ والعشاءُ يأكل معه، وأمرَه بأمورٍ، منها: الاعتكاف في بيته، لا يخرج إلى بيت أحدٍ إلا إلى المسْجد، ويقيم حضراتِ والده والمدْرَس في مسْجدِ الشيخ سُلَيمان بعد العصر، فتمَّم ذلكَ وقام به، حتى أنه شقَّ، على من يختلفُ إلى بيتِهِ ويتبرَّكُون به، ذلكَ، وكتبوا للوالدِ يرخِّص له، فلم يجبْهم، والله أعلم بسرِّ ذلك.

وتوفي على حالةِ كمالٍ مرضيةٍ، ودفن عند ضَريح والدِه، وفُعِل له صندوقٌ، من زار والده وزارَه عرفَ الانشراح والانبساطَ، لما جمع الله لهما من حُسْنِ الخلق، وصفاءِ السرائر، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضلِ العظيم.

* * *

[ذكر الحبيبِ حسَنِ بن عمَر البار]

وأما الحسنُ بن عمر البار؛ فقد قصدَ الحبيب الحسنَ آخر زيارةٍ، سنةَ خرجَ هو والحبيبُ عمر بن سميط بـ(مكة)، لأن الحبيب عُمر حجَّ تلك السنةِ، وخرجا معاً، ويذكرُ وقائعَ له معه كثيرة، كلٌّ انتفع بصاحبه، فلما وصلوا (الرَّيدَة)، الحبيبُ عمر خرج (العقَبة) على الشيخ سعيد بن عيسى، والحبيب الحسنُ سارَ إلى بلد (الخريبة) بدوعن.

ثم لما عزم لزيارةِ الحبيب الحسنِ بن عبدالله الحداد وأجدادِه، حصل مراده، وكان وصوله يوم الجمعة، فقال له سيدي: اليوم يومُ عيدَين، يوم الجمعة عيدٌ، ووصولكم عيدٌ. وحصل له إقبالٌ تام، وإلباس خاصٌّ من سيدنا الحسنِ.

وأشار له بخصوصياتٍ، وهي: أنه يترك الأسبابَ، ويقوم في مقام التّجريدِ، ويبلُغ غاية ما يريد، فكان كذلكَ، ولما ذكَّره بعضُ السادة لما كانَ بالطائفِ حينَ سكنه آخرَ عمرِه الشريف، وهو في مقامِ التجْريد كلامَ شيخِه هذا، صاحَ بأعلى صوته، وبكى بكاءً كثيراً، واعتلَتْه حالةٌ.

ولما وصلَ في هذه الزيارة الأخيرة عند شَيخه الحسن، طلب منه فضلاً أن يأذنَ لابن سيدي الحسَن، الحبيبِ العلامة الوالدِ أحمدَ بن حسن في السّفر إلى (دَوعن)، ليتبركوا به أهل (وادي دوعن)، لشدة وكثرة محبّة أهلِ (وادي دوعن) في الوالد أحمد، شريفُهم وعربهم ودولتهم، فقال له: سِرْ أولاً أنتَ، ونأذن للولدِ أحمدَ بعدُ.

فأذن له في ربيع الأولِ سنةَ ١١٨٠، وسرتُ معَه، وهي أولُ زيارةٍ لي عند الشيخ سعيد بن عيسى وأهل و(ادي دوعن)، ولم يفارق السيدُ حسنٌ الوالدَ في سفره هذا، وانتفع به أكثرَ من غيره، وحصَل لأهل الوادي، خصُوصاً أولاد الحبيب عمر النفعُ التامّ العامّ، أولادُهم وكافةُ السادةِ وأهلِ الفضل، والمشايخ آل العمودي وغيرهم، كلٌّ

على قدر حاله، حَذْ بالإلباسِ والذكر والقراءةِ في الكتُب النافعة، وأحَد برؤية وجهِه الشريف[1] الذي قيلَ في مثله: «من رأى وجْهَ مفلحٍ كيفَ لا يفلح»، وهو نظر جدَّه الحبيبَ عبدالله، وناظرُه وناظرُ ناظره إلى الثالثِ في الجنة، كما نُقل ذلكَ عن الحبيبِ الأوحد الحداد.

وتوفي السيد الحسنُ بنُ عمرَ هذا بـ(الطَّائف)، على غالبِ الاستقامةِ، وانتفع به أهلُ الحرمينِ، حتى قال الشريفُ، مَلكُ (مكةَ) سرورُ: «إني لم يدخلْ عليَّ أحدٌ وأخافُ من سلبِه لي إلى أن يخْرُجَ، إلا السيد الحسنُ البار، إذا دخلَ عليَّ أخافُ منه حتى يخرجَ، فإذا خرج وأنا سالم من سلبِه، حمدَتُ الله وزالَ الخوف عني».

* * *

[ذكر الحبيب أبي بكر بن عمر البار]

وأما السيدُ الفقيهُ الأنور، الفخر أبوبكر بن الولي عمر البار؛ فقد انتفع بسيدنا الحسن نفعاً تامًّا، قراءةً، وطول مدّةٍ، وسار معه في شَهْر عاشُور لزيارة النبيّ هود ﷺ، والوالد والعم عبدالله بن حسن بن عبدالله الحداد، وجملة خلق، والسيدُ أبو بكرٍ هذا أفقَه أولاد سيدي عمر، وكان له توجهٌ في العبادةِ والقراءةِ، والدوب على ما ينفعه في آخرته.

وكان علماً يهتدَى به، وإماماً يقتدَى به، سلكَ مسلكاً حسناً مدّة حياتِه، ألبسه الحبيب الحسنُ، وحلَّ نظرُه عليه، وأما سيدي الوالدُ فله به اختلاطٌ وانتفاعٌ كلي، وله قصائدُ في مدح سيدي الوالدِ من الصغَر ومع الكبر.

وقال سيدنا الوالد في قصيدةٍ يوصي به السيدَ أبابكر هذا نفعَ الله بهما:

بو بكـر يـا الفَخْـر يـا ابـنَ الأفخـرين　　　سَقاكْ مولاك من راحِ اليقِـينْ

---

(١) وفي نسخة (السعيد) بدل الشريف

وأدْخَلــك في غــمارِ العَــارفين   وكان لك مثلَ مَـا للصَّـالحينْ
القَــانعين المــوقنينَ المصْــطَفينْ
جاهِـدْ تشـاهِدْ وتحظَى بالمزيـد   ولا تعانِــد قريبــاً أو بعيــدْ
وسـلِّمِ الأمْـر تظْفَـر يـا سَـعيد   وكـنْ رَحـيماً بكـلِّ المسـلِمينْ
يرحمــك ربُّــك ربُّ العَــالمينْ

إلى آخر القصيدَة العظيمةِ في «ديوان الوالد» معروفة.

كان السيدُ أبوبكر ذا فهمٍ ثاقبٍ، وعلوم جمةٍ، توفي سنة ١١٩٧، بعد رجوعه من الحجّ، خلف ابناً اسمُه عمر.

* * *

[ذكر الحبيب عبدالرحمن بن عمر البار]

وبالجملة فأولاد سيدي عمر البار، أصحابُ أسرار وأنوارٍ.

أكبرهم عبدُالرحمن؛ كان والدُه يشير إليهِ، ويخصه بخصوصياتٍ زائداً على الأولادِ، وهو أكبرهم حالاً وسنًّا.

* * *

[ذكر السيد عمر بن عبدالرحمن البار، مولى جَلاجِل]

ظهر من بركة الأصُولِ: عُمرُ ابنُه، فصارَ اليومَ هو الإمامُ المقصودُ بـ(دوعن) لتربية المريدينَ، ونشر العلمِ، كان سميَّ جده وحفيدَه، بل حاوي سرَّه، أقبلتْ مشايخُه عليه، ومن نعم الله على المريدين قبولُ قلوبِ المشايخ، فكان الوالدُ أحمدُ بنُ حسنٍ يشير إلى عُمَر هذا، وألبسه مراتٍ عديدةً، القبعَ والقميصَ والطاقيةَ، ولقنه الذّكرَ، وقرأ عليه وقصدَه مدةَ حياته مراتٍ، وفي كل مرةٍ يحصلُ له أزيدَ من الأولى، لما قال سيدنا الحداد:

وهل تنقَضي في البُعْدِ آرابُ طالـبٍ ولكنه يـدْنو فيُـدْنَى مـن القَصْـدِ

انتهى. وشجَرة المحبة تسْقَى بماءِ التزاور، فكم حصلَ لهذا السيدِ من هذا الإمام ما لا يخطر لأحدٍ على بالٍ، وتلا لسانُ حالِه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]، وقد رأيتُ بعْضَ الأكابرِ السادة في المنامِ يقولُ لي: حَالُ الشيخ عُمَر بن عبدالرحمن البار كَحالِ الشّيخ أبي بكرٍ السكران.

وقد أذنَ له في التدريسِ والإلباسِ، وأعطاه قبعاً، فكَم نفعَ الله به البلادَ والعبادَ، والحاضِر والباد، وخصُوصاً أهل واديه (دوعن)، و(اليمَن)، و(الشّام)، لكثرة حجاتِه وزياراته لسيدِ المرسلينَ، يحترمه الخاصُّ والعامُّ.

وقد أمرَني مرةً الوالدُ أحمدُ أن أزورَ بهذا السيدِ عُمَر ومن معَه من السادةِ والمحبين نبي الله هود، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وافتتحنا شهْرَ عاشُور في السنة التي توفي فيها الوالدُ، سنةَ ١٢٠٤، عند ضَريح نبي الله هود عليه السلام، ورجع إلى حضرة الوالدِ وألبسه معه، وكانَ هذا آخر إلباسٍ له، متع الله به، لأنه الآن حالَ الكتابة سنةَ ١٢١١، وهو في غايةِ الاستقامَة ونشْر العلْمِ، وجمع الكتُبِ النافعة.

توفي قاصداً للحجِّ في البحْر سنةَ ١٢١٢، ودفن في (اللّيثِ)، أرادَ الاتفاق بالسيد شَيخ بن محمد الجفري لما قصدَ الحجَّ من (مليبار) سنةَ ١٢١٢، فحان حينُ الوفاةِ، على أنه شهيدٌ، لأنه غريبٌ، وقاصدٌ للحجِّ، فخُصَّ بملكٍ يحجُّ عنه كلّ سنةٍ، وكم لهذا السيد من هباتٍ ومواهبَ، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

* * *

[ذكر السيد عيدروس بن عبدالرحمن البار]

وكان أخوه الفقيهُ العالم النحرير، ربُّ البلاغةِ، فصيحُ اللسانِ، زاكي الجنان، عيدروسٌ، إماماً فقيهاً مدققاً، سالكاً مسلكَ سلفه، هو وأخوه فرسَا رهانٍ في نشر العلم، ومدْرَسُهم واحدٌ، وكل واحدٍ يرَى الفضلَ لأخيه. عيدروسُ يرَى في عمر الوراثةَ، لما سبق، وعمر يرَى لعيدروسٍ حقَّ السنِّ، لأنه أكبر منه، وهما في بيتٍ واحدٍ، وانتفع عيدروسُ بالوالدِ أحمدَ، وقرأ عليه وألبسَه مراتٍ، ودعَا له، وهو الآن في غاية التوجه والإقبالِ، أدام الله له ذلك وأعانه عليه.

*   *   *

[ذكر السيد علي بن عمر بن عبدالرحمن البار، وإخوته]

وقد انتفعنا بأولادِ سيدي الأكبر عُمَر، خصوصاً من سبقَ بعضُ أوصافهم.

وكذلك انتفَعنا بالسيدِ الجليل الولي علي بن عُمَر، لأنه اتفق بسيدنا عبدالله الحدادِ، وانتفع به، وبكافة أولاده. وآخرَ عمرِه رقّاه الله مراتباً عليةً، توفي بدوعن سنة ١١٩٥، ودفن بـ(الخريبة) عند الشيخ سليمان، عليه صندوقٌ، يزار ويتبرَّكُ به.

وكذلكَ: شيخُ، وطهَ، وياسينُ، انتفَعُوا بالوالدِ، وأما صَادقُ، فقصَد الوالدَ بالزيارة وحظيَ بمقْصُوده، وبالمطلب الأعمِّ، وتوفي بـ(جدَّة)، رحمه الله.

*   *   *

[ذكرُ السيد عبدِالرحمن بن محمّد بن زينِ بن سميطٍ وأولاده: جعفر وعلي وعلوي]

وممن انتفع بسيدنا الحسن: العلامة الوالد العلامتين محمد بن زين بن سميط، وأخوه عمر المتقدم ذكره في أول هذا الباب. فأما محمدٌ فخلفَ ابنين: عبدالرحمن، وزيناً.

وأما عبدُالرحمن؛ فألقى قيادَه لشيخِه الحسن، والوالد أحمد، وحصلَ له منهُما ما لا يقدر قدْرُه، ويشير إليه برُجْحانِ العقل، حطَّا نظرَهما عليه، وألبساه لباسَ القومِ، القبع والقميصَ والكوفيةَ مراراً عديدةً، وقرأ عليهما كتباً كثيرةً.

وبالنسبة؛ فلهما به عنايةٌ تامة أراهما يعظّمانه ويوقرانه، ويشيرا إليه، حقق الله ظنهما فيه، فقامَ بالمدارس النافعةِ، واستقامَ في دعوته، لعَقْله وحسنِ خلقه، فكان كأنه بحر يحملُ كلّ مَا يلقى فيه، يخاطبُ الكلَّ على قدْرِ عقُولهم.

وانتفع بعمه العارف بالله عمر كثيراً، وقرء عليه كتباً لا تحصى، وكذلك بالحبيب جعْفر بن أحمد بن زين الحبشي خصوصاً لما تزوجَ بابنته، وأولدَ ابنا سماه **جعفراً**، نشأ نشْئاً حسناً، وماتَ ولم يعقِبْ. وانتفع بالسيد الولي الكامل علي بن عبد الله السقاف، خصوصاً لما تزوج بابنته أيضاً، وأولدها ابنيهِ الأجلَّينِ، **علويًّا**، **وعليًّا**، انتفعوا وطلبوا مع والدهم إلى تريم يقرئون على الوالد أحمد، وألبسَهم مراتٍ عديدةً، ورباهم والدهم على طلب العلم، إلى والتخلق بالأخلاق الحسنة والآداب النبوية، وحطَّ الحبيبُ عمر بن سميط نظرَه عليهم، وقرئوا عليه كتباً كثيرةً، ولازموه في مدارسِه.

وأما والدُهم عبدالرحمن؛ فصار بعد عمِّه عُمْر هو القائمُ بالتدريسِ، في مذهب

الإمام محمد بن إدريس، وفي كل علم نفيسٍ، متعَ الله للمسلمين بطول حياته[١]، وقد أشار الوالدُ إليه في المرثاةِ التي في والده كما يأتي غالبُها هنا.

* * *

[ذكر السيد زين بن محمد بن زين بن سميط]

وأما زينٌ أخوه؛ فقد انتفعَ بالحبيب الحسنِ، وبالوالد أحمد، ويشير الوالدُ بأنَّ السيد زين عندَه شيء من النور والسرِّ، وكان عمُّه الحبيبُ عمر يميلُ إليه، ويشير بخصوصياتٍ عظيمة فيه، والولايةُ ظاهرةٌ عليه.

جدَّ في العلوم بفَهْم وحفظٍ وجمعٍ، حتى درَّس في الفقه والنحو بإشارةِ عمه الحبيبِ عمر، وكان لا يفارق مجالسَ عمّه، وقد ألبسَه مراتٍ عديدةً، وانتفع بأكابر العصر، وحصَّل جزيلِ الوَفر، وعظم الأجر، حتى قدَّر الله له الشهادةَ، حيث ماتَ غريباً عن الوطنِ، وذلك أنه عزمَ للحجِّ، وزيارة جدِّه عليه السلام، فسار برًّا إلى (الحديدة)، وزار الأولياءِ في كل بلدٍ مرَّ بها، وانتفع بها أهلها.

فلما وصل (جدَّة)، دهليز الحرمينِ، حصل له مرضٌ وإسهالٌ في البطنِ، وتوفي إلى رحمة الله، بعد أن اعتمر عمرةً، رجع إلى (جدَّة) وتوفي بها[٢]، وحصلتْ خوارقُ عند موته، ودفن في (قبَّة المظْلُوم) بـ(جدة)، رحمه الله رحمة الأبرار. خلَّفَ أولاداً مباركينَ، حطَّ نظرَه ونظر عمر عليهم، باركَ الله فيهم، وألحقهم بصالح أسلافهم.

* * *

---

(١) وكانت وفاته في شبام سنة ١٢٢٣هـ، شجرة.

(٢) كانت وفاته بجدة سنة ١٢٠٩هـ، شجرة.

[ذكر أبناء الحبيب عمر بن زين بن سميط]

وممن انتفعَ نفعاً خاصًّا بالحبيب الحسنِ، والوالد أحمدَ:

أولادُ شيخنا العارفِ بالله عمر بن زين بن سميط، وهم ستةٌ: علي، وعبدالرحمن، وحسين، وأبوبكر، وأحمدُ، ومحمد.

[ذكر علي بن عمر بن زين بن سميط]

فأما عليٌّ؛ فهو أجلهم وأكبرهم، صاحبُ السرِّ الخفيّ والجلي، وكان الحبيبُ الحسن يقولُ فيه: إنه من أهل السرِّ. وألبسه مراتٍ، واعتنَى به لبرِّه بوالدِه عمر، وخدمته، وعقيدته الأكيدة في والده. وكان والده يرى كرأيه، ولا يقدّمُ عليه أحداً من عياله.

حجَّ حجاتٍ عديدةً أيامَ حياة والدِه، بإشارته له بذلك، وسيدنا عُمر يثني كثيراً على ابنه هذا أيامَ حياته، ثم توفاه الله في حياة والده، وكان بعد وفاته في غالبِ مجالسِه يذكرُ محاسِنه وحسْنَ شمائله، ووقائعَ له من البرِّ، رحمه الله رحمة الأبرار، وقال الحبيب الحسنُ لوالده عمر: «ابنكم عليّ من أهل الولاية».

[ذكر عبدالرحمن بن عمر بن زين بن سميط]

ثم ولده بعدَه، أخوه عبدُالرحمن، سميُّ جدِّه لأمه، الولي عبدالرحمن بن محمد بارقبة باعلوي، ولما مرضَ سيدُنا الولي عمَر بن حامدٍ مرضَ الموتِ، كان يقولُ: حوِّلُوا اليوم بالسيل في (وادي ثبي)، ثم بولدِ ذكَر للسيد عُمَر بن زين بن سميط، فكان كذلكَ.

وُلدَ عبدالرحمن بـ(تريم) كأشقَّائه علي وأبي بكرٍ والحسَين، وأما محمدُ وأحمدُ فوُلِدَا بـ(شبام) كما يأتي، وقرأوا القرآنَ على المعلِّم عمر بن عبد الله باغريب، يترددون

مع والدهم إلى عندِ الحبيب الحسَن، والوالد أحمدَ، وألبسُوهم خرقةَ السادَة العلوية، وتربوا على الآداب المرضية، وقرأوا على الحبيبِ الحسنِ، وأكثرُ قراءاتهم على والدهم، واجتمعوا بصَالح سلفهم من آل أبي علَوي، ولمكَان والدِهم في السادة آل أبي علوي من السُّلوك والنورِ، والتقشُّفِ والعبادة، والتظاهر بطريقة الزهاد، مع التحقُّقِ بأقوى عزائم السّادة، إذا رأوهم أحبُّوهم ودَعوا لهم.

فأما عبدُالرحمن؛ ذا نور وتوجُّهٍ، سكنَ من حياة والدِه إلى الآنَ (مدينةَ المصطفى) ﷺ، وتزوج بها زوجاتٍ، أولدَ من واحدة منهنَّ، وخرج لزيارة والده سنةَ ١٢٠٠، ورجع إلى (المدينة الشريفة) سنةَ ١٢٠١.

وقد حجَّ حجاتٍ أيامَ هو في حَضْرة والدِه بحضْرموت، وفي مجاورته لسيد المرسلين ﷺ الغالبُ أنه يحجُّ في كلّ سنةٍ، وهو بها على استقامة حسنةٍ، وسيرة سديدةٍ، توفي عبدُالرحمن المذكورُ في (المدينة الشريفة) سنةَ ١٢١٢.

* * *

[ذكر حُسَين بن عمر بن زين بن سميط]

وكذلك الحسينُ أخوه؛ جاورَ السنين العديدة بـ(المدينة)، وإذا خرجَ إلى حضرة والدِه ما يرجع إلى إلا (المدينة). كان السيدُ حسينٌ هذا من صِغَره إلى حالِ كبره، ونورُ الجذْبِ ظاهرٌ عليه، وخُصَّ بالنظرِ والاعتناءِ من والديه، ومن الحبيب الحسن بن عبدالله، كانوا يشيرونَ إليه بالنورِ.

* * *

[ذكر أبي بكر بن عمر بن زين بن سميط]

وأما أبوبكر؛ فكان سعيداً بارًّا، حجَّ حجاتٍ في حياةِ والده، وزار جده المصطفى

ﷺ، وله عقلٌ وتمييزٌ، سار في حياةِ والده إلى (جَاوة)، ورجعَ منها، وقدَّر الله مع خروجِه إلى (حضرموت)، لما وصل بندر (مسكت) مرِضَ وتوفي بها، على سيرةٍ حميدةٍ وثباتٍ، ودفن بها، وقبره معروفٌ، رحمه الله رحمة الأبرار، توفي سنة ١٢١٠.

* * *

وكان الحبيبُ عمر بن سميط من سَماسِرَة العلماء والعقلاءِ، عارفٌ بوقته وأهله، وقد جاء في الحديث النبويّ، كما ذكر الإمام السيوطيُّ في «الجامع الصّغير»، قال ﷺ: **«العَقلُ في الدُّنيا مضَرَّةٌ، والعَقلُ في الدِّينِ مسرَّةٌ»**. ثم سكنَ (شبام) سنة ١١٧٢، لما توفي بها أخوه الإمامُ العارف محمد بن زين بن سميط.

وقد مدح الوالد أحمدُ سيدَنا عمر المذكورَ، في أثناء مرثاةٍ رثى بها أخاه محمد، بقوله:

لكـــن الله تعــالى مجــدُهُ	قـد خلـف عنـه أخَـاه الألمـعُ
صــافي الســرِّ المسـمَّى عمـرٌ	كاملُ الوصْفِ شريـفٌ خاشـعُ
فاضــلٌ صَـاحبُ صـدقٍ ووفَـا	مـودَعُ السـرِّ تقـيٌ أورَعُ
ووجيــهُ الـدين نجْـلُ محمـدٍ	ذو بهـاءٍ وسـناءٍ أرفــعُ
فالولــدْ يقفــو أبَــاه راقيــاً	ولهدْيــه ولدَلِّــه يتتبــعُ
طابــتْ الآبــاءُ والأبنَــاءُ إذ	أصـلُ ورْدِ الكـلِّ بحـرٌ واسِـعُ
الإمــامُ القطــبُ سـلْطانُ المـلا	ذلـكَ الحـدادُ بـدْرٌ طَـالعُ
شـيخُ أهـلِ الله رأسُ الأوليـاء	بحرُ علـمٍ نـورُ شـمْسٍ سَـاطعُ
وارثٌ سرَّ الأكــابرْ كلّهــم	للفَضـائل والفواضـلِ جـامعُ
شـمسُ شرعٍ نُـون عـينِ اعيانـه	وهـو مـن بحْـرِ الحقيقَـةْ كَـارعُ
قـد شـهَرْه الله شـهرةَ مرسَـلٍ	في سَــماواتٍ وأرضٍ ذائــعُ

نفـعَ الله بـهِ وبسـرِّه ... في الـدُّنا والـدينِ أمِّـنْ سَـامعُ
وبنجلِـــه صـــورةً وحقيقَـــةً ... كامــلٌ حــبرٌ كــريمٌ بــارِعُ
المسـمَّى بالحسَـن اسـماً مـع المـ ... ـعنى إلى أوجِ المعَـالي يرفـعُ
فالأسَـد كالشبلِ والشبلُ شبيـ ... ـهُ الليثِ والفرْع لأصـله ينـزعُ
قـد كنَـاه الحـداد بالحكمَـة يَـا ... حبَّـذا مـن كنيـةٍ تُسـتَجْمعُ
وادّكِـرْ حكمـةَ لقـمانٍ ودا ... وودُ في اسـمِ (حكـيمٍ) مقنـعُ
وكـذا أيضـاً دعَـا لـه والـدُه ... بصـلاحِ العاقبـة والمرجـعُ
طـالَ بقيـاه معـافًى حيـثُ بـه ... يهـدي الله الخليـقَ وينفَـعُ
بعلـومٍ لـه وأحـوالٍ فـذَا ... مثلُـه للـدينِ ركـنٌ مـانعُ
المـربي والخليفَـة بعـدَ وا ... لـدِه الإمـامِ الآن نعْـمَ المـودَعُ

إلى آخرها، وهي في «ديوانه». أتينا بها تقدّمَ، تذكرة وتنبيها لأولي الألباب.

[ذكر نُقلَةِ الحبيبِ عُمَر بن زينِ بن سميطٍ من (تريم) إلى (شبام)]

ثم أمرَه شيخُه الحسن، بعد وفاة أخيه محمدٍ، أن يسافر من (تريم)، لأنه سكنَ بها، ويسكن بـ(شبام)، لأن الحبيب عبدالله الحداد يقول: «شبامُ عمامةٌ برأسي»، ثم تدرَّكَ بها الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي، والحبيب أحمدُ درَّكَ بها السيدَ العلامة محمد بن زين بن سميطٍ تلميذَه، وكذلك أخوه عُمَر، فهما فرسَا رهانٍ، بل محمدٌ هذا يقولُ: «كم من مشهورٍ، يعني نفسَه، في بركة مستورٍ»، يعني أخَاه عمر.

فسافر من (تريم) عُمر لإشارةِ شيخِه، فسكنَ (شبام)، وهدى الله به الأنام، وبقي يتردد إلى شيخه كلَّ سنةٍ إلى (تريم)، ويأخذ أياماً ويرجعُ إلى (شبام)، ثم حجَّ

حجّةَ الإسلامِ، وزار نبيه عليه أفضلُ الصلاة والسلام، في حياة شيخه الحسن، وبإشارته، ثم رجع إلى (شبام).

* * *

[ذكر السيدين أحمد ومحمد ابنا الحبيب عمر بن زين بن سميط]

وولد له بـ(شبام) بعد سكناه بها، ابناهُ الأجلانِ الأفضَلان، أحمدُ ومحمّدُ، نشَآ نُشوءاً حسناً، تعلما القرآنَ بـ(شبام)، وكان يتردد بهما إلى (تريم)، ولحظتْهُما عنايةُ ربِّهما الكريم، فطلبا العلمَ النافعَ ليلاً ونهاراً، عشيةً وأبكارا، لم يفارقَا والدَهما، وحطَّ عليهما نظرَه التامَّ، وقرءا على الوالد أحمد، وألبسَهما، وكذلك الحبيبُ الحسنُ اعتنَى بهما، لمكان والدهما منه، وهما الآنَ عامرانِ مقامَ والدهما بالقراءَة والعلمِ، خصوصاً أحمدُ، فكان والدُه يشير إليه ويخصُّه، بل هو الآن خليفَةٌ في محل والدِه.

حجَّ حجةَ الإسلامِ سنةَ ١٢١٠، وزار جدَّه المصطفَى محمداً ﷺ سنةَ ١٢١١، وحصَل مددٌ في (المدينةِ)، بدليل قوله: «الحالُ الذي وقعَ لي في (المدينةِ الشريفة) وقعَ لي عند ضريح سيدي أبي بكر العيدَرُوس».

* * *

وقد ذكرتُ في كتابنا المسمّى «الحكايات البيناتُ والكرامَاتُ الظاهرات»، الذي جعلناه تتمة لـ«بهجة الفؤادِ اختصَار غاية القصد والمراد في مناقب الحبيب عبدالله الحداد»، ما لم يسمَعْه العارفُ محمد بن زين بن سميطٍ، فقلتُ بعدَ ثمانية كراريس:

«**ومن كراماته العظيمة**: أنه اشتهر وصح عن القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد أن الله يوصل على يديه من الأكابر ممن اسمه عُمَر، أربعين رجلاً، يقالُ: لعله طالعَ في سيرة بعْضِ الأكابر مثلَه، ورأى عظْمَ ما وهبه الله تعالى، فبشره الله أن يوصِلَ

إليه على يديه ممن اسمُه عمرُ أربعينَ، فلظهور هذه النعمةِ العظمَى، سمى والدُه سيدُنا زينَ بن علوي بن سميطٍ ابنَه عُمَر، رجاء أن يكون من الأربعين الذينَ يوصلهم الله على يدِ القطب عبدالله الحداد، فحقق الله رجاه.

فلحَظه سيدُنا من صِغَره، وأخذ من أول عمْره نحو اثني عشر سنةً مع حياةِ شيخه عبدالله، وهو يرعاه في هذه المدة لصدق نية والده زين حتى أن والده زينا لما تحوط بالحاوي لأمر نزل به من الدولة طلب شيخه الحبيب عبد الله الحداد هو وأتباعه للغداء يوما من الأيام وفعل لهم غداءَهم هريسةً، فذبح فيها رأسَ غنمٍ، وطرحَه فيها، فلما حضروا وأكلَ عمرُ من الهريسَة، لم ير لحماً، وكان إذ ذاك صغيراً، فقال لهم: ما أنتم ذبحتم وطرَحتم اللحْمَ في الهريسة! أين هو؟ فمدَّ يدَه القطبُ عبدالله الحداد إلى الهريسَة وأخرجَ له منها قطعةَ لحمٍ كبيرة، ما يمكن أن يكون فيهَا، لأن اللحْمَ، لحمُ الهريسِ يتهرَّأ فيها، بل ويقطّعونَه من قبلِ أن يطرَحُوه، في بلدنا، قطَعاً صغاراً، فلمّا أعطاها عُمر علِموا عنايتَه به.

* * *

وقد تقدّم تاريخُ ميلاده ووفاتِه، وكانتْ عن مرَضٍ خفيفٍ، وعارض لطيفٍ، وتحمّلَ بسببِ وارداتٍ وردَتْ عليه، واصطلامٌ بما يشبه الغَوبة، مع قلِّ الأكلِ أو عدمه، وقد كان آخر عمُره إنما يأكُل العُلْقَة من الطعامِ بلا شَهوةٍ أيضاً، لأنه صار كرُوحٍ مجرَّدةٍ، وكان من سنةِ وفَاة شَيخه، وهي سنةَ ١١٨٨، إلى سنةِ وفاته، ثمانيةَ عشر سنةً لم يطرحْ جنبه على الأرْضِ ليلاً ونهاراً، وكان نومُه فيها خفَقاتٍ وهو جالس، وكان يحيي الليالي والأيامَ بالصّلاة والتلاوةِ ومدَارسِ العلمِ، لم يطرَحْ جنبَه إلا في مرَضِه.

ولما كان قبلَ موته بستةِ أشهرٍ، أمرهم أن ينبهُوا ابنه أحمَدَ نصْف الليلِ، في ليلةٍ من الليالي، وكان نائماً، فقام إليه، فوصّى على يديه في ذلك الحينِ، وقال له: إذا فنيَ

العمرُ فيغسِّلُني إذا مِتُّ فلانٌ وفلانٌ، وفلانٌ إن جاءَ من (تريم)، وكان بها ذلك الحين والوقت زائراً لأهلها، فيغسّلني معَهم، وكفنوني في ثوبِ الإلباسِ لي من شَيخي الحسن بن عبدِالله الحداد، لأني ادّخرتُه كفني تبركاً، وخلّوه يلي جنبي.

ومما وقعَ من المرائي ليلةَ وفاته لبعض السادةِ المتعلقينَ به، قبلَ أن يعلم بوفاته، وهي: أنه رأى في المنام رجلاً يسمَّى سالم صَائل، وكان قد ماتَ، وكان يذكر عنه في حياته أنه يتعرض لما يضرُّه من الفضول، وعند القاضي يتوكَّل من المدّعي والمدعَى عليه، فكأنه عوقب بعد موته مؤاخذةً ببعض ذنوبه، وكان جاراً للسيد عمر لما كان بتريم، فسأله ذلك السيدُ عن أحواله بعد موته، فقالَ: من وقت موتي من سنين إلى الليلة وأنا معذَّب، ولما وصل سيدي عمر البرزخ تشفّع فيَّ، ففرج الله عني مما أنا فيه، وأفلتُّ. ثم جاء الخبر إلى (تريم) الصبحَ، يوم السبت وأربعةَ عشر خلَتْ من ربيع الثاني سنةَ ١٢٠٧.

ولما جاء الخبرُ أخذتُ جزءً من «إحياء علوم الدين» ففتحته على نية أخذ الفأل منه لأولاده كيف يكون حالهم بعده فإذا هو الجزء العاشر من ربع المهلكات فوقع نظري على بيت شعر وهو قوله :

كما أحسنَ الله فيما مضَى ... كذلك يحسِنُ فيما بقِي

ونصفه الأول قوله :

رَضِيتُ بما قسمَ الله لي ... وفوّضْتُ أمري إلى خَالقي

وهما لسيدنا عليٍّ كرم الله وجهه، فتعجبتُ من خصلتين: حُسْنِ الفأل، وكونه في كتابٍ الغالبُ فيه ذكرُ الوعيدِ لا الوَعدِ.

وكان الحبيبُ عمر يقول أيامَ حياته كثيراً: عمري كعمر شيخي الحسن بن

عبدالله الحداد، فكان كذلكَ، كأنه أطلعه الله على مدّة عمرهِ الشريف، وكان يردد في مَرَضِ موته: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] الآيَةَ، إلى آخرها، ويوصي بها، ويذكرُ ما بها من عُلومٍ وأسرارٍ.

* * *

وكان هذا السيدُ من آياتِ الله الباهرة، في الاستقامة والزهد والدعوة إلى الله، حتى أجمع أهلُ عصرِه بعد مَوتِ الوالدِ أنه هو القطبُ الغوثُ، وناهيك بذلك حجةً.

وأما خوارقُ عاداتهِ، واطّلاعه على المغيباتِ، فيحتاج إلى مجلدٍ مستقل، حتى لما أبهرني يوماً من الأيام بعد العَصْر بـ(مسجد بامْكَا)، وكان يروحُ فيه للدّرْسِ، ورأيتُ من نوره وحاله واستقامته وكشفه، قلتُ في نفسي بحضرته: لو لم يكن في آل أبي علوي إلا هو لكفَى، فردَّ وجْهه إليَّ مكاشفاً لي، وقال: أستغفرُ الله، أستغفرُ الله.

ولم تعرَفْ لسيدي عمر صبوةٌ أبداً، بل من أول عمره داعياً إلى الله إلى أن توفاه الله، هدى الله بنصحه خلائقَ لا يحصون، وكان يتنزَّلُ معهم على حسَبِ عقولهم، وما يكون به انتفاعُهم، ومع عُظْم نفعه الظَّاهر كان نفعُه الباطن أكثر، يتحمّلُ عن الناس ما ينزل من البلاءِ، حتى كان يقولُ: «الخواطرُ كالذبابِ على وجْهي»، وكثيراً ما يقول شيخه الحسن: إن محمداً أخو عمر في بركة عمر.

وقرأ على شيخه كتباً لا تحصَى، ووهبه أسراراً لا تستقصى، وبالجملة؛ فمناقب هذا الإمام، وحسنُ سيرته واستقامته، وأفعاله في ذلكَ، لا يحصرها العدُّ.

ألبسنا مراتٍ عديدةً، ولقننا الذكْر عند ضريح القطب الحبيب عبدالله الحداد، طلبتُ منه ذلكَ في آخر زيارته للوالد، فلما توفي الوالدُ قصدناه للزيارة بعد رؤيا تقدمتْ، وهي: أني رأيته في مكانٍ كأنه يطولُ حتى بلغ في الطول حدًّا لم أر رجلاً في الدنيا بلغَ مثله، وهكذا يزيد طولاً، ثم كتب على جبيني بالمسْبَحة كتاباً لم أعرِفْه،

ففرحتُ بذلك، وقصدته للزيارة، فسرتُ أنا وأخي الحامد، وفتح الله علينا في هذه المرّة من بركاته بخيرٍ كثيرٍ، وقال للمنشد بعدَ دخولنا: هاتِ:

يا زائري حينَ لا واشٍ من البشَرِ　　　والليلُ يخطرُ في برْدٍ من السَّحَرِ

إلى آخرها، من «ديوان الحبيب عبدالله الحداد»، فأنشدَ بها، وفي ذلك إشارة للرؤيا، وألبسنا القبعَ، وقال: «من عندكم جاءَ»، وأجازنا بإجازاتٍ، وقال: لا تتركون المجيء إلينا يا أولادَ الحبيب أحمد، ولا تراقبون الناسَ في البلدانِ لمحبتهم فيكم، بل تصلون إليَّ لأني ما أجيء إلى (تريم) إلا لأجل والدكم، فلما توفي لا تظنون أني أَصِلُ إلى (تريم)، لضعف القوة.

وكنتُ بحمدالله حضرتُ دفنه بعد موته، ونزلتُ قبره، وأودعتُه الشهادةَ بالوحدانية وبالرسالة لسيدِ المرسلين، وبالسلام عليه وعلى كافة أكابرنا، وبالاعتناء بي وبالأصْناء واحداً واحداً، عدَّيتهم له، ثم كنتُ آخر من طلَع من قبرِه الشريفِ، أعاد الله علينا من أسرارِهِ، آمين آمينَ آمينَ.

* * *

[ذكر أحفاد الحبيب حامد بن عمر حامد]

وممن انتفع بسيدنا الحسنِ، والوالد أحمدَ، من السادة الأشرافِ، عبدُالرحمن، وعلي، ومحمد، بني السيد حامد بن عمر حامد، ومحمد بن علوي بن عمر حامد.

ولدوا بتريم، وحفظوا القرآن العظيم، على المعلم عمر باغريب، وطلبوا العلم على كثيرٍ من السادة، لاسيَّما على والدهم، لم يفارقوه، قرءوا عليه في الفقه والتصوفِ والتفسير والحديثِ كتباً لا تعدُّ ولا تحصَى، لكونه طالَ عمره، واشتهر بالدعوة إلى الله، ألحق الأحفاد بالأجدادِ.

* * *

فأما عبدُالرحمن؛ فقد أقامه والدُه في حياتِه في المدارسِ الفقهية، وكذا بعد موته، وحجَّ حجتينِ، حجةَ الإسلامِ وزار النبيَّ محمداً ﷺ وصاحبيه الكريمينِ وأهلَ البقيعِ وأحدٍ، ورجع إلى حضرة والده، ثم حجَّ ثانياً مع والدِه، وزار جدَّه معه.

وانتفع عبدالرحمن بالحبيب الحسن وبالوالد كثيراً، وحظَّا عليه نظرَهما، وسار في حياة والده إلى بلد (سيون) للطلب في الغربةِ على السيد الوليّ سقافِ بن محمد [بن عمر] بن طه، ثم لازم والدَه ولم يفارقه، وكلفه بالقيام بصدَقة مسجد باعلوي، وإنفاقها على حسب شروطها، وبعمارة المسجد، وبالقيام بتدبير بيتِ والدِه، وبالقيام بالأضياف والقاصدينَ، فقام، وقرَّتْ عينُ والده به، وإخوانه علي ومحمد، وابن عمه محمد بن علوي معاونينَ له، بل جعلهم والدُه شركاءَه في النظرِ وفي القيامِ بمسجد باعلوي.

* * *

وأما محمد بن علوي بن عمر حامد؛ فكان رجلاً فقيهاً، مجتهداً متفنناً في العلومِ، قرأ على خاله والدِنا كتباً، **سمعتُ** بقراءته عليه: «شرح المنهج» في الفقه للإمام زكريا

الأنصاري، وألبسه خالُه وجدُّه لأمه قطبُ الزمنِ الحسنُ بن عبدالله الحدا، واعتنى به سيدي الوالد، وأما عمه الحامد فقرأ عليه كتباً كثيرةً لا تحصى، لكثرة ملازمته له، وتلقيه ما لم يتلقَّه غيره، وجمع كلام عمّه الذي يلقيه في الدرْس، وما له من الرسائلِ والمكاتبات، والوقائع والكراماتِ، وغير ذلكَ.

زار معه نبي الله هوداً ﷺ زياراتٍ كثيرةً، وزار في حياة عمّه الإمامَ أبابكر العيدروس، فوصل إلى عند السيد الجليلِ أخينا محمّد بـ(نِصاب)، وسار به وبأخينا علي، حتى وصلوا حضْرة القطب الرباني عيدورسٍ وقته بعَدن، وحظوا منه بالمنن.

وزار محمدُ بن علويّ الشيخَ سعيدَ العمودي، ومَن بواديه من الأحياء والأمواتِ من الصالحين ثلاثَ مراتٍ، ولم يزلْ في الطلبِ للعلم، لا يفتر من ذلكَ، ثم حجَّ معنا سنةَ ١٢١٥، وزار سيد المرسلين ﷺ وصاحبيه وأهلَ البقيعَ وأحُد قبلَ الحج، لأنا صُمنا في رمضانَ العشر الأواخرَ بمكّةَ، وسارَ بعد الحجّ من (جدّة) في مركبٍ قاصداً إلى (جاوة) لدَينٍ عليه قصَد وَفاهُ، فتوفي شهر شوال سنة ١٢١٧، ببلد في (جاوة) تسمى (فلِمْبان)، وخلّفَ ابناً اسمُه علوي، وأمّه بنتُ أخِينا عمر.

وأما عليٌ ومحمدُ ابني الحبيب الفاضل الحامد؛ فقد قرءا على والدِهما الحامدِ كتباً كثيرةً، وملازمين القراءةَ على أخيهم عبدِالرحمن، وعلى سيرةٍ حميدةٍ، بارك الله للجميع في ذلكَ.

* * *

[ذكر السيد عمر بن محمد بن سهل]

وممن انتفع بسيدي الحسنِ وقرأ عليه، السيد الأنور، العالم المدرس، عمر بن العلامة العارف محمد بن سهل باعلوي، **سمعتُ** بقراءته عليه: «عَوارف المعارف» للإمام السهرورديّ، وكان غايةً في التقشف والزهادة، وحظي برضَا والديه، حتى ماتَا

وهما عنه راضيانِ، اشتهر بذلكَ، وهو الآن بتريم على سيرةٍ حميدةٍ، ناشراً للعلمِ، مفيداً ملقِّحاً، بارك الله له في ذلك.

* * *

[ذكر السيد محمد بن عبد الله بن شهاب]

وممن انتفعَ بسيدي الحسن وألبسَه وأخذَ عنه الإجازةَ، السيدُ العالم الأنوَرُ، محمد بن الأديب عبدالله بن العارف الجليل تلميذ سيدي الحداد، الحسين بن محمد بن شهاب الدين. كان هذا السيدُ منوَّرِ البصيرة، حسَن السيرة، قرأ كتباً كثيرةً على عمِّه العلامة علي بن شيخِ بن محمد بن شهاب الدين، قالَ لي: إن الحبيبَ حسَن فيه ما في العيدروس وأخيه الشيخ علي، وزاد عليهما بطُولِ العُمر، ونشره للطريقَة والشريعَةِ مع فساد الزمانِ. وتوفي محمدٌ سنةَ ١١٨٨، وخلفَ ابناً اسمُه أحمد، بارك الله فيه.

* * *

[ذكر الحبيبين حُسَين وسهل ابني عبد الله بن سهل]

وممن انتفع بسيدنا الحسَن، السيدانِ الجليلانِ، العلامتانِ سهلٌ وحسينٌ ابنا الإمام الولي عبد الله بن سهل باعلوي. كان سيدُنا يحبهما غايةَ المحبةِ، ويقبلُ عليهما أتمَّ الإقبالِ، لمكان والدِهما عند سيدِنا، وقد يصل إلى بيتهما، وكذلك الوالدُ أحمد بعدَ والدِه، لهما به اختلاطٌ وانتفاعٌ، وتذكر وتذكير، ومجالسُ أنيسةٌ.

وكذلك أولادُ المذكورَين، سهلٍ والحسينِ، انتفعوا بالحبيبِ الحسنِ والوالد أحمد، وكذلك حفيدُ الوليِّ عبدِالله بن سهل: الوجيهُ عبدُالرحمن بن محمد بن الحبيب عبدالله بن سهل، فقد انتفعَ بالحبيب الحسنِ وبالوالد، **وبالجملة**؛ فلأولاد الحبيبِ

عبدالله بن سهل وأولادِه وأحفادِه اتصالٌ وترددٌ وانتفاعٌ بسيدنا، وكذلك بسيدي الوالد.

* * *

[ذكر السيد الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم]

وممن انتفعَ بسيدنا الحسنِ أيضاً:

بدرُالدين، الحسين بن العلامة طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي، وكذلك بسيدي الوالدِ، لأن بين الحبيب الحسنِ والحبيبِ طاهرٍ أخوّةٌ في الله، حتى كان الحبيب الحسنُ إذا خرجَ من (مسْجد الهجيرة) بعد عصْر الجمعةِ قاصداً للتربة، يمُرُّ في الطريق التي تحتَ بيتِ الحبيب طاهرٍ، ويقفُ حسينٌ ابنه في بعْضِ المراتِ، ويأتي له بابنه طَاهرٍ، سميِّ جدّه، ويبرك عليه، فظهرت النجابةُ في طاهرٍ، وصار من طلبة العلمِ، وجَدَّ في الطلبِ حتى صار فقيهاً.

* * *

وبالجملة؛ فكافةُ أهلِ (تريم)، خصوصاً أعيانها من سادةٍ ومشايخَ وعلماءَ، انتفعوا بسيدنا الحسن خصوصاً، وأهل (حَضْرموت) عموماً، وبالوالد أحمد.

* * *

[ذكر السيد زين بن عمر البيتي]

ومن الآخذينَ عن الحبيبِ الحسنِ والوالدِ من سادَة (تريم):

السيدُ زين بن عمر بن عبد الله البيتي، كان هذا السيدُ من آياتِ الله الباهرةِ في إخفاء الأسرارِ، والدُّوبِ على الأذكارِ، منتفعاً بالعلمِ، عارفاً به، جدَّ واجتهد فيه من

صغره، حتى صار علَماً يهتدَى به، وكان يحفظ القرآن العظيمَ عن ظهر قلبٍ، ملازماً قراءةَ الربُع آخرَ الليلِ في مسجد باعلوي، وصلاةِ الجماعة فيه، وكان خالَ الكبارِ من أولاد العمِّ حامد بن عمر حامد، وانتفع بالعمِّ حامد، قرأ عليه كتباً، وأجازَه في ذلكَ، بارك الله في ذلكَ آمين. توفي السيدُ زين بن عمر بن عبد الله البَيتي، لثمانٍ خلتْ من شهر شَعبانَ سنةَ ١٢١٣، على حالةِ كمالٍ واستقامةٍ تامةٍ بتريم، وقبر بِجنانِ بشَّار، نفع الله به آمينَ.

* * *

[ذكر السيد محمد بن شيخ باصرة وابنه علوي]

وممن أخذَ عن سيدِنا من السادةِ أهل (دوعَن)، السيدُ الولي الجليل محمدُ بن شيخٍ باصُرّة، وكذلك ولدُه السيدُ الولي العالم العابد الزاهد الأنور، علويٌّ.

أما محمدُ؛ فقد انتفعَ بسيدنا الحسَنِ ولبسَ منه الخرقةَ، وقصدَه من بلده (دَوعن) إلى (تريم) مراتٍ، وانتمَى إليه، حتى صارَ السيدُ محمد ذا حالةِ نورٍ، يشهد له بها كلُّ من عاشَره ونظره بأول وهلةٍ. نشر العلم ببلدِ (جِرَيف)، بلدَةٌ من بلدان (الوادي الأيسر) من (دوعن)، واجتمعتْ عنده كتبٌ كثيرةٌ.

حجَّ بيت الله الحرامِ، وزار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام مراتٍ، أعلمني السيدُ الأنور عبدُالرحمن بن الحبيب عمر بن سميط، قال: إن السيد محمدَ صحبتُه بمكةَ، وخرجنا معاً إلى (جدّة)، فلما كنا في أثناء الطريق سقطَ خاتمه من يدِه عند الوضُوءِ، ولم يشعُر به، ثم سرْنا وجلسْنا في مرحلةٍ أخرَى، فلم ير الخاتمَ في يدِه، فسأل عنه من سايرَه فلم يعطه أحدٌ خبراً عنه، فأشار بأن الخاتم وقعَ له من أحدٍ من أهلِ الولايةِ، وأنه شقَّ عليه فراقُه، قال: فرأينا الخاتم سقطَ من الهواءِ بحضرته ونحنُ ننظر.

ولما وصل (جدّة) في بعض أسفارِه مرضَ فيها بعْدَ الحجّ، وابنه علويٌّ معه، وتُوفي بالليلِ، وسمعوا هاتفاً بجُدّة ليلةَ وفاتِه: «ماتُ ولي الله، من أراد أن يحضر جنازته فليحضُر»، فحضر الجمُّ الغفيرُ من أهل (جدّة).

* * *

والسيدُ محمد هذا هو صاحبُ كتاب الحكايةِ التي ذكرتُها في كتابنا «الحكايات البيناتُ والآيات الباهراتُ في مناقب القطب عبدالله الحداد»، وهي: أن السيد محمد بن شيخ باصُرة زار سيدنا عبدَالله الحدادَ، وأراد الاستيداعَ منه، ولا عنده شيءٌ يشتري به زاداً من سوقِ (تريم)، فأخرج له الحبيب عبدُالله قرشاً فرانسَهْ، فلما سار به إلى السوق وجدُوا وزْنه زائداً على مثلِه من الفرانسَه برُبعِ قرشٍ، فقال لهم: «ما هذا من قرْشِ الدنيا»، فأخذ زادَه وزيادةً ببركةِ سيدي.

* * *

وأما ابنُه الولي المشارُ إليه، علوي بن محمد بن شيخ باصرة باعلوي، فقد ارتحَلَ في طلبِ العلم والانتفاعِ بسيدنا الحسنِ بن عبدالله الحداد، وبالوالد أحمد، وقرأ كتباً عليهما كثيرةً، ثم سافر إلى بلدِه، ثم عاد ثانياً، وعكف نفسَه، وألقى قياده لشيخه الحبيب الحسن، وصار بين يديه كالميتِ، وقال الحبيبُ الحسن: إن علويًّا هذا جاءَ بحُروقَته يابسةً، فقبسنا له فيها.

وكنا في الطلب وقراءة العلوم على سيدِنا الحسنِ، وابنه والدنا، نحن والأخ عبدالله بن أحمد، والسيد علوي، شيئاً واحداً، وكان يتعبنا بالسَّهر ومطالعةِ العلومِ الفقهية، كلَّ ليلةٍ قراءةٌ في ربع العباداتِ، وفي ربع البيوعِ، وفي ربع المواريثِ، وفي الربع الأخير من القضاءِ والشهاداتِ إلى العتق، أخذْنا على ذلك مدةً، وانتفعنا نفعاً عظيماً، ثم لازم الصيامَ والجوع والقيامَ والخلوةَ، حتى كانَ لم يأخُذْ إلا القهْـوةَ والعُلقةَ من

الطعامِ، ثم طلب عقْدَ الأخوة بينه وبينَ أخي عبدالله، فعقَدا بينهما، وطلبها أولا مني فأبيتُ لعذرٍ، هو أنّ عزَماته تقتَضي التجريدَ والخلوةَ وأموراً أُخَر، فاكتفينا بالأخوّة المطلقة.

ثم حدثتْ عليه وراداتٌ وجذباتٌ ربانياتٌ، ورجالُ الغيبِ يأتون إليه في الليلِ، فشكَا عليَّ، وقال: أعلِمْ بذلك سيدي وشيخي الحسَن، فأعلمته بكلامِه، فيوماً من الأيام طلبه شيخُه في خلوةٍ، وبثَّ عليه أحوالَه، فحصلَ في هذه الخلوةِ ما لا يقدَّر قدرُه، فزاد عليه الحالُ، وخرج عن الأضداد، وعثر بالمراد، وصفا له الوداد، فكان يرى الأغيارَ وأبناء الزمانِ حواجبَ عن المقصُود، في خدمة الإله المعبود، فطلب السياحَةَ، وأرادني معه، فاعتذرتُ بأعذارٍ منها، وهو أعظمها: أني ليسَ عندي ما عندَه من قوة اليقينِ.

وبقي يكابدُ ما هو فيه مع الصمْتِ، ولم يجلسْ في مجالسِ شيخه إلا مطرِقَ الرأسِ، فقال شيخُه: إن علويًّا هذا تظهَر عليه أحوالٌ، وطلبَ ما لا يقدِر عليه، فأعطيناه بأمرٍ من الله تعالى، لكنه يأخذُه الحالُ.

ثم إنه يوماً من الأيام لما صلَّى العصْر على عادتِه خلفَ شيخه جماعةً، وقرأ سورة يس المعظّمةَ المرتبة بعد الصلاة في (الحاوي) الميمون من زمن الحبيب عبدالله الحداد، إلَّا بعد صلاة الصبح والمغربِ، لأن بعدهما حزبُ الأسبوعِ، فما أتم قراءة يس المعظمَة، وكنتُ إلى جنبه، ظهر نورٌ كثير على أسرَّة وجهِه كالقمر، ثم غاب عن إحساسِه طارحاً رأسه على كتفه كهيئة الناعس، ووجهُه يضيء نوراً كثيراً، يعرفه كلُّ من رآه أنه على خلافِ صورته المعروفة، فأمر شيخُه بطلوعه إلى الزاويةِ في المسجد المذكور، بالحاوي المشهور. وأخذ فيها أربعةَ أيامٍ بلياليها لا يأكلُ فيها ولا ينامُ، بل يذكر الله بالجهر: «الله هُو»، يرفع الصوتَ مع المدّ، مع الهيبة، وصوتُه يصدِّع القلوبَ.

وأظهر خوارق ومكاشفات وأخبر بمغيبات قديمة وحادثة وكلُّ من طلع إلى عندِه وعادَ في الدرَج، أخبر باسمه، وأخبر بأعماله الصالحة والطالحة، ليتوبَ منها، فهابه الناس كثيراً، ومن نزح من بئرِ المسجد رجلا أو امرأةً أخبر باسْمه ولم يره، وأخبر بأعمالِه كإخباره بالطالع عليه، فسار سيدي الأخ عبدُالله من عنده إلى جدّه الحسن، مراده يمنعه من هذا الحالِ، فكاشفَه، وقال له: لا تسير تخبر شيخي بذلكَ.

ثم وصل إليه الوالدُ، وسكّن عليه، فأخذ يدَه يقبلُها ويتروّحها ويبكي، حتى رحمه من عندَه، فقال سيدي الوالد: أشفقْ على نفسكَ، ولا هكذا يفعلونَ، بل يصبرونَ، فحدَث عليه بعد خروج الوالدِ أعظمُ مما كان قبلُ، وذلك أنه اعتلته هيبةٌ وجلالٌ لم يطق الجلوسَ عنده إلا أبطالُ الرجالِ، ثم أرسل له شيخُه قميصَه يلبسُه، فقام ولبسَه وهو في هذه الحالة، فلما لبسَه طالَ طولاً كثيراً، حتى نال السقْفَ بيده، وكان بعيداً.

وبقي في مدة جذبته يتلوّنُ على حسبِ ما يرد عليه من القبضِ والبسطِ، ثم قال شيخُه الحسن: اجعلوه في بعضِ البيوتِ في (الحاوي)، فجعلوه في بيت حمدون عِكَيمان أياماً، وزاد عليه الحالُ كثيراً، ولم يدخل عليه إلا الأخُ عمر، والفقير، والأخ عبدُالله، وحمدون، وقليلٌ من الخواصِّ، وكثرَتْ منه المكاشفاتُ، وخوارقُ العاداتِ، واشتهر بالبلد (تريم)، وصار ذا حالٍ كلٌّ به عليم، العالم والجاهل، وقال لي: يا علويّ، سقاني جدك القطبُ الغوث الحسن بن عبدالله الحداد، وأنا علوي الطيَّار، وما عرفتوه يا علوي مثلي، وأنا عرفته.

وليلةً من الليالي نرَى أثرَ ناسٍ جاءوا إلى عنده ما نعرفهم، وخاتَم والدِه بيده، فلما كان ليلةً من الليالي فقدَ الخاتم، فتلهفَ عليه كثيراً، وبقي يذكرُه، حتى ماتَ في جذبته، رحمه الله رحمة الأبرار، بهذا الباعثِ والواردِ الرباني، دكته الأحوالُ، وصلى عليه

إماماً بالناسِ والجمِّ الغفير شيخُه، وحضرَ جنازته سادَة (تريم) كافةً وغيرهم، ولا تخلف عن الحضُور إلا مَن لا يؤبه له، وأمر شيخُه أن يقبرَ علويّ هذا ويدْفنَ في مقبرة القطب الحداد، نفع الله به، وقالَ شيخه فيه: «لعله يكونُ مثلَ الشابِّ الذي ذكرَه اليافعيُّ في «روضه»: أنه يشفعُ في أهل قرْنِه وزمانه»، فقال الوالدُ أحمد: ما عليه إلا الجمُّ الغفِير الذي حضَر جنازته.

ثم رأيتُ والدَه في المنام كأنه جَاء إليه بعد موته، فقلتُ له: ما جاء بك من (جدّة)؟ قالَ: أتيت لزيارة ابني علوي، وكانت وفاتها في شهرٍ واحدٍ، جمعنا الله في دار كرامته. ولم أثبتْ خوارقَ عاداته لكثرتها.

* * *

وقصَدْنا الإشارَة لمن له قراءةٌ وإلباسٌ ومددٌ من سيدنا قطبِ الزمن الحسن، ولا مرادنا حصرُ من لبسَ أو قرأ أو استمدَّ منه، لأن ذلك متعذّرٌ لكثرتهم،خصوصاً بحضرموت، وأهل تريم، وشبام، والغرفة، وسيون، وبلد قَسَم، ومدُودة، وكافة بلدان حضرموت، ودوعن، والشحر، وأهل أحور، وأرض العوالق، وحبان، لأن الزوار ما ينقطعونَ من حضرته، كالشيخ عبد الجبار بن مزاحم بأحْور، وكافة أولاده وقرابته، لأن لهم تعلقٌ به تعلق تام من أول أمره.

وقالَ: «لما سافرنا الحجَّ سنة ١١٤٨، وعبرنا دوعن، وجَول بن عبدالمانع، وأحور، جلسنا في بلد (الحصْن) بأحور، وأحبّوني أهلها كثيراً، كلٌ أتى بكتابه يقرأ عليَّ، وسرنا منها للاختلافِ الكثير من الدَّولة علينا، السلطان علي بن ناصِر العولقي، لأني في مدة سفري ما دخلتُ بيتَ حاكمٍ أبداً، بل وفي حضري»، انتهى.

* * *

[ذكر الشيخ عبدالجبار بن مزاحم، صاحب أحور]

وأما الشيخ عبدالجبار بن مزاحم، وذويه، وآلُ (أحْوَر)، فتعلقهم بالحبيب الحسن واستنادُهم إليه باقٍ إلى اليومِ، الأحفادُ تتبعُ الأجدادَ، ومشهورٌ ومعروفٌ، وقد أشرنا إلى ذلك في بابِ الحكاياتِ، حتى من محبتهم خرجَتْ لهم كلمةٌ من الحبيب الحسنِ: بأنه معتني بهم دُنيا وأخرَى. ألبس كلاً منهم، من وصل منهم إليه ألبسَه، ومن طلب وهو ببلدِه الإلباسَ ألبسَه.

وكان الشيخُ عبدُالجبار عظيمَ الاعتقادِ في شيخِه الحسن، كمجْنونِ ليلَى، والمدد في المشهد، وهو صاحبُ استقامةٍ وتوزيعٍ للأوقاتِ في مسْجده، وحزوبُه وصلواتُه ورواتبُه كمسجدِ (الحاوي)، مواظبٌ على الأورادِ والأذكارِ، وموردٌ للخاصّ والعام ببلدِه، صاحبَ مضيفٍ عظيمٍ، قائمٌ بمنصبِ أجداده آل بلْجفار، حاتمُ وقته في الإنفاق والعطاء، له الأيادي الكثيرةُ مع شيخِه، يحبه شيخُه ويثني عليه بالخيرِ والعَقلِ، وقرْب وفاته ونُقْلته إلى الدارِ الآخرة كثرَتْ كراماته.

وتوفي إلى رحمة الله تعالى سنةَ ١١٨٣، وقال لهم عند الوفاةِ: هذا الحبيب عبدُالله وابنه شيخي الحسنُ جالسانِ عندي، ثم توفي بعدَ أن نطق بكلمَة التوحيدِ، على حالة مرضيةٍ، ودفن بأحْور، وبني عليه قبةٌ، يزارُ ويتبرك به.

وقال له شيخه: إذا نابكَ شيءٌ فنادِ باسمي، أحصُلْ معكَ. فمرةً سافر قاصداً شيخه للزيارةِ من طريقِ البحر، من (أحْور) إلى (المكلَّا)، ركب بحراً، فحصلت عليه ضربةٌ، فاستغاث بشيخه، وخرجتْ منه كلمةُ عتابٍ على شيخه، فلما وصل حضْرته كاشفه بالكلمةِ التي خرجتْ، وعاتبه على خروجها منه، وقد تقدم ذكرُها في الباب الثالث في (الحكاية التاسعة والخمسين).

* * *

[ذكر ابنه الفقيه محمد بن عبدالجبار بن مزاحم]

وأما ابنه الفقيهُ محمدُ بن الشيخ عبدالجبار؛ انتفع نفعاً عظيماً بالحبيبِ الحسن، وبالوالد أحمَدَ، قرأ عليهما في الفقه وغيره وألبساه، ونظَرا إليه ورَقَّياه، وبعد وفاةِ والده قام مقامَه بالمنصبِ، وعمره كوالدِه.

وبالجملةِ فجميعُ المشايخِ أولاد الشيخ عبدالجبار، وأولاد الشيخِ أبي بكر عمه ومحمد بن عبدالله، وكافة أهل (الحصن) بأحْور، مددُهم عظيمٌ من سيدِنا الحسن، حيًّا وميتاً، ولم تزلْ تأتي منهم النذورُ والصلاتُ، وذلك نتيجةُ حسْنِ النياتِ والطوياتِ، بارك الله لهم في ذلكَ.

* * *

[ذكر المشايخ أهل يشبم، آل بانافع وآل الشبلي]

وأما آل (يشبم)، آل بانافع وغيرهم، كالشيخ محمد بن عبدالملك، وأخيه المخْرَمي عبدالله، والحسن وأحمد ومحمد بني عُبيد بانافع، وآل الشِّبلي، ومحمد بن حسين وابنه، وابن عمر بن أحمد، وأولاد كلٍّ، صغير وكبير، فغالبهم قرأوا على الحبيبِ الحسن والوالد كتباً لا تحصَى، فقهاً وغيرها.

حتى خرج منهم الكثيرُ وصَاروا من المنتفعين بالدِّينِ، خصوصاً الفقيهُ علي بن محمد بن عبدالملك، حصلتْ له لحظةٌ من الوالدِ أحمَدَ، ترقى بها حيًّا وميتاً، واجتباه، وخصَّه بالموالاة، لعِظَم عقيدته الوثيقةِ فيه، ووصاه بوصَايا نثراً ونظماً، منها ما هو في «ديوان الوالد معروفٌ، ثم ترقى بواسطة شيخِه، فصار علماً يهتدَى، وقام بمنصبِ جدِّه الشيخ عُبَيد بن عبدالملك بانافع ببلد (يشْبُم)، وكان له الحشمةُ والقدْرُ عند السلطان صالح بن فريدِ بن عوض بن منصَّر، وعند قبائلِ جهته، وتوفي قبلَ شيخِه بأشهرٍ، وترحم عليه كثيراً.

وكذلكَ ممن انتفعَ بسيدنا الحسنِ والوالدِ، من آل بانافع بـ(صَعيد يشبم)، خصوصاً الفقيهُ صالحُ بن محمّد الشيبة، قرأ على الحبيبِ عبدالله والحبيب الحسن.

* * *

[ذكر الشيخ محمد بن أبي بكر بانافع، وأخيه الحسين]

وممن انتفع وترقَّى ترقياً بالغاً في العلومِ والمعارفِ، الشيخانِ حُسينٌ ومحمدُ، ابنا الشيخ أبي بكر بانافع، سكان (صَعيد يشبُم)، رحلا إلى شيخِهما الحسنِ المرَّةَ بعد المرة، لطلب العلم، سنيناً وأعواماً، ولبسَا منه الخرقةَ، وأخذا الطريقةَ، وتضّلعا في القراءة في كلّ فنٍّ من فنون العلم، حتى قال الحبيبُ أحمد بن زين الحبشي: «لم أقل لأحدٍ من آل بانافع فقيهٌ، إلا الشيخ الحسين».

أما محمد؛ فحجَّ مع شيخه الحسنِ، ولحظه أكثر، وحاله أكبر، وإن كان علمُ حسينٍ أوفر، وصار محمدُ من أكابر الأولياءِ الذين يمشُونَ على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، لم يزلْ على الاستقامة التامةِ، أقرّتْ بولايته أهل جهته، وانتفعوا به في دينهم، ولم يزل على المدارس ونشْرِ العلم والأذكارِ، وصلاة الجماعة.

* * *

وأما حسين أخوه؛ فكان كثير التَرَدّد والأسفار من (عدن) ونواحيها، نفع الله خلقاً كثيراً، وسيأتي ذكرهما في (الباب السادس)، وكافة أولاد الشيخين المذكورين خصوصاً عبدُالرحمن وإخوانه: الشيخ عبدالله، وأبوبكر، وعبدالعليم، وأولاد عمهم علي. فقد رحَلوا الرحلةَ بعد الرحلةِ، وقطنوا المدّة بعد المدة، في طلب العلم على سيدنا الحسن والوالدِ، بما هو مشهورٌ، حتى باركَ الله لهم في ذلكَ، وانتفعوا نفعا بيّناً.

* * *

وللوالدِ في الشيخِ محمدٍ، ولي الله بلا نزاعٍ، جواباً على قصيدةٍ وصلتْ إلى الوالد أحمد منه، فأجابه نفع الله به:

ألا أيها المحبوبُ صافي المودّةِ ... عليك سلامٌ من إله البريةِ
وقد وصلتْ أبياتُكَ الغرُّ أنبأتْ ... بصدْقك في حبِّ النبي والقرابَةِ
ومن حبّ قوماً فهو معْهُم ومنهمُ ... وقد جاءَ في هذا صحيحُ الروايةِ
عليك بحبِّ الآل يا صَاح واهترِ ... بذكرهمُ إذ هـمْ سفينُ النجاءَةِ

إلى أن قالَ فيها بعدما أطالَ بالوصيةِ، ختم بأبياتِ دعاءٍ، فقال في آخرها:

ويعفو عن الزلاتِ فضلاً ومنّةً ... ويختمُ بالحسنَى لنَا والقرابةِ
وكلِّ محبينَا ومنتسبٍ لنا ... مع العافية ديناً ودنيَا وبعثَةِ

ولما توفي محمدُ المذكور، رآه بعضُ محبيه بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي ببركة محبتي لأهل بيتِ النبي، ولا وجدنا عملاً أرْجَى ولا أنفعُ من محبتهم، توفي ببلد (السُّفال)، ولهم في الضيفِ محبةٌ، ومقصودين ببلدهم.

وعبدالرحمن؛ توفي ببلد (تريم)، ودفنوه فوقَ قبر خَادم الحبيبِ عبدالله، ابن صبّاح، وكان عالماً عابداً ناسكاً، ومن العجيبِ: أن آل بانافع وآل السليماني، مع كثرة تردُّدهم ومجلسِهم في طلبِ العلم، إذا مرض أحدٌ منهُم لم يقدِّر الله عليه وفاةً بـ(الحاوي)، فلذلك لم يمنعوهم أهلوهم من التردّد لطلبِ العلمِ، إلا عبدُالرحمن هذا، ماتَ وقدَّر الله أن العمَّ عبدالله بن علوي وصلَ (سُفالَ يشبم) ومعه ابنه الحسين، مثل عبدالرحمن لما توفي بتريم.

* * *

وكان سيدنا الحبيبُ الحسن يحبّ هؤلاء المذكورينَ، آل بانافع الجميع، وآل

السليماني كلهم، وآل الشبلي بحَبّان، وآل عبدالصبور، ويرضى لرضَاهم، ويغضب لغضبهم، كأولادِه، حيًّا وميتاً. حتى أنه بعد موته نامَ الوالدُ أحمد نفع الله به قبلَ الظهر يوماً من الأيام وقتَ القيلولة، فلما انتبه قال: رأيتُ الوالد في المنام عليه أثرُ السفرِ، وقال له: جئتُ من (يشْبُم) الآن، لأنه جرى بين عمر بن أحمد بانافع وبعضِ ذويه منازعةٌ، حتى جرَّدُوا السلاحَ على بعضهم البعض، وحضرْنا بينهم بحمدالله، وسلمهم الله، فكان كذلك في اليوم المذكور. ويوماً من الأيامِ خرجَ أخي عُمر، هو وأحمد بن عبدالرحمن الطيب بانافع، ساكن (أحور)، إلى (بيت جبير)، في وقت سيلٍ عظيمٍ، يجري في (مَسِيلة عِدِم) بتريم، فدخله أحمد فشلّه، فسلَمه الله بعد أن تعبَ، كرامةً لشيخه الحسنِ، فرأيتُ شيخَه أتعبه ذلك جدًّا.

ولو ذهبنا نعدّد الآخذينَ، آل الشبلي الذين بـ(حبّان)، كأحمد بن أبي بكرٍ، وإخوته عبدالعليم، وعلي، وعمر، وعمهم إسماعيل بن محمد، الذين وصلوا إلى (الحاوي)، وقرأوا وانتفعوا، وكذلك محمدُ بن عبد الصبور، سميُّ جدّه محمدِ بن عبدالصبور، وكذلك آل السليماني، وآل بانافع، وآل بارجاء الذين بـ(أرْض العوالق)، ونذكرُهم بالتعديد والتفصيلِ، حتى بأسمائهم فضلاً عن تعديدهم، لقراءة الكتبِ النافعة، فقهاً ونحواً، وحديثاً، وتفسيراً، وكتب القوم، كـ«الإحياء»، و«العوارف»، و«رسالة القشيري»، و«شرح الحكم»، وغير ذلكَ، لاحتاج إلى مجلدٍ مستقل.

فذكر أسماء كلٍّ منهم، وما قرأه، وما وقعَ له مع الحبيبِ حسنٍ والوالد أحمد، ويستحقون ذلك، لرحلتهم، ولانتفاعهم بالعلمِ، ولكثرة العلماء والفقهاء فيهم، وانتجابهم على يد سيدي الحسن من أيامِ حياة الوالد أيضاً، حتى اشتهروا بجهة (تريم) حتى عند العوامّ، كلُّ غريبٍ يقطُنُ بالحاوي لا معرفةَ له به من العوام يناديه: يا بانافع، إذا أراده!. ولم يزلْ منهم الطالبُ الآن للعلم بالحاوي الميمون، فكم فتحَ الله لهم في أسرعِ وقتٍ بأوفر نصيبٍ، حتى صار منهم علماءُ كثيرونَ، بـ(أحْور)، و(يشبم)،

و(الصَّعيد)، و(السفال)، و(حبّان)، ولم يزالوا على ذلك إلى الآن، باركَ الله لهم في ذلكَ، وجعلهم إلا الأبدِ ساعينَ في نشر العلم والرحلةِ له والطلبِ، وباركَ لهم بجَاه سيدنا القطبِ عبدالله الحداد.

وانتفعوا به لازموه هُم وأولادُهم وأحفادُهم، هذه الرحلة إلى اليوم إلى (الحاوي) الميمون، حَوطة الحبيب عبدالله الحداد، وشهرتهم بحضرموتَ بذلك تكفِي، واعتنوا بهم ورقَّوهم إلى الرتبِ العلية، حتى كثُر فيهم العلماءُ الأبرارُ الأخيارُ، واحترموهم دولةُ أرضهم وحكَّامهم وقبائلها، ويهدون لهم بالنذور والصلاتِ، ومن سبقتْ لهم العنايات من قبلُ ومن بعدُ، وصارت طريقتهم علويةً نبوية.

وانتفع الشيخُ الكبيرُ عُبيد بن عبدالملكِ، بالقطب الرباني الشهير أبي بكر بن سالم، وانتفع الشيخُ الكبير عمر باميمون بالشيخ عبدِالله باعلوي بالباطنِ، وحضر على قبرهِ، وأقام ابنه في مقامه بـ(أحْور)، وانتفع الشيخُ الجلالي الحالِ بلجِفَار، بالإمام الأشهر سلطانِ الأولياء عبدالله بن أبي بكر العيدروس. كالشيخ عبدالصمد بن عبدالحقّ صاحبِ المكاشفاتِ، انتفع بسيدنا العيدَروس أيضاً، بل قيلَ: إنه حضَر دفن شيخه بتريم، ورأيتُ قصيدةً لعبدِالصمد في «ديوانه» يمدَح بها شيخَه العيدروس، نفع الله بالجميع. ثم أتباعُ الجميعِ، لما ظهر الحبيبُ عبدالله الحداد وأولادُه الأكابر، انتفعوا بهم مَن في وقتهم إلى الآن، وصَاروا كالأولادِ عند مشايخهم، خصوصاً الحبيبُ الحسن، والوالد أحمد، رأينا ذلك عياناً، وخُصُّوا منهم بمزيدِ الاعتناءِ في حياتها وبعد مماتها، نفع الله بالجميع.

* * *

[ذكرُ الشيخِ المعلِّم عمر بن عبدالله باغريب]

ولنختم الذكر بالمعلِّمَينِ الأنورينِ الفاضلينِ، المعلم عُمر بن المعلِّم عبدالله باغريب، والمعلم سالم بن المعلم محمد باحرمي. كانا يعلمانِ القرآنَ العظيمَ بـ(تريم) المحروسة، وقرأ وتعلمَ عندهما كافةُ السادة آل باعلوي التي بها، ثلاثُ طبقاتٍ من السادة: الأب، وابنه، وحفيده، بل وابنُ الحفيد، أربعُ طبقاتٍ، مع كافة مَن بتريمَ ونواحيها من غير السادة، تعلموا عندهما، وختمُوا على يديهما، وصاروا من الحفاظ للقرآنِ، والتالينَ له.

ومنهم الأكابر الأولياءُ العلماءُ، الذين لم ينَالوا إلا بالمعرفَة والتعلم للحروفِ والاستخراجِ، وقد يعلِّمان بعضَ القرَّاء في المختصَراتِ، وفي «العقيدة الغزالية»، ويؤدبان باللِّسان واليدِ، حتى ظهرَتْ ولايتهما عند الخاصّ والعامّ، وأثنى عليهما الأكابر، ولأهل البلدِ فيهم الاعتقادُ، ويحترمونهما كثيراً، وألبسهما الحبيب الحسَنُ مراتٍ لا تحصَى، ويعزمهما كلُّ واحدٍ وحْده إلى البيتِ، ويجلس يحدِّثهما بأعظَمِ المؤانسة، وأحسن الحديث.

سمعتُ المعلمَ عمر بن عبد الله باغريب يقولُ: إني قرأتُ شيئاً من القرآنِ العظيم، ورأيتُ في وصفِ أوليائه مثلَ قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور :٣٧]، و﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب :٣٣]، وغير ذلك من الآيات العظام، ما أرى أحداً عاملاً بما فيها، وصادقاً عليهِ معنى الآياتِ إلا الحبيبُ حسنُ بن عبدالله الحداد، نفع الله به.

وسمعتُ المعلم عمر، قَال: ختمتُ القرآن في مسجد باعلوي على القطبِ الغوث الحبيب عبدالله بن علوي الحداد في جمعٍ عظيمٍ، نهارَ ختم السيدِ أحمد بن عمر بن علي الحداد، ابن بنته بهية، ختماً عظيماً في المسْجِد المعظَّم، على حسب عادة (تريم) لمن

يختمُ القرآن من أهل المظاهِر، يفعلون له ختماً كبيراً، وضيافةً كبيرة، فختمتُ معه بأمرِ والدي. وماتَ والدي وأنا ابنُ نحوِ اثني عشر سنةً، وكان من سنِّ التمييزِ يأتي بي إلى الجامع لأصافحَ الحبيبَ عبدالله الحداد يومَ الجمعةِ، فإذا صافحتُه قالَ لوالدي: لا تقيدْ عمر هذا التقييدَ، ولا تشدد عليه، إشارةً إلى أني أقومُ بالتعليمِ للقرآنِ كوالدي وأنا صغيرٌ، وقد بسطتُ في ذكره بأزْيدَ مما هنا في (الباب السادس).

قالَ: وقال لي الحبيبُ عبدالرحمن بلفقيه: رتبْ قراءةَ القرآنِ في قيامك في الليلِ في الصلاةِ، يسهُلْ عليك حفظُه وفهم معناه، فلازمتُ ذلك، ولم أترك قراءةَ الربعِ في باعلوي، وصار آخر عمره نوراً خالصاً، ذا كراماتٍ باهرةٍ، وهيبة عظيمةٍ، تظهر له معاني حقائق القرآنِ وأسراره، حجَّ بيت الله الحرام وزار النبي ﷺ في شعبانَ، عُمِّر نحواً من تسعٍ وثمانين سنةً. قال العمُّ حامدُ بن عمر: أظنه، والله أعلم، أنه في الحال أكبر من الشيخِ سعدٍ السوينيّ، الذي ألفَ العيدروسُ وأخُوه الشيخ علي في مناقبِه تأليفَانِ.

وبالجملة؛ فالكلام والتفصيلُ، فيما تفضلَ عليه الملكُ الجليلُ، يتعذر كثيراً.

وخلف أولاداً أربعةً: أبو بكر درج قبله بسنة وعبد الله انتفع بالمعلم وسالما وإبراهيم وكلهم مباركون قائمون كوالدهم بالتعليم للقرآن وبالحدو للذكر في مسجد باعلوي وللمعلم عمر إخوة أولياء خصوصا محمد مجذوب يبيت في المساجد وأحمد كذلك منور توفوا بتريم إلا عليا بمليبار بارك الله في الجميع

* * *

[ذكر المعلّم سَالم بن محمد باحَرْمي، وابنه محمد]

وأما المعلمُ الأنور، سالم بن محمد باحرمي؛ وكذلك ابنه محمد؛ فهما المقدَّمان في حضراتِ الذكرِ المعتادَة لسيدنا عبدالله الحدادِ، ليلةَ الجمعة في (الحاوي)، وفي الإنشاد

في بيت القطب عبدالله الحدادِ الذي في البلد (تريم) بعد صلاة الجمعةِ، وفي قراءة المولد عند ضَريح قبر الحبيبِ عبدالله، وفي ختُوم مساجدِه بتريم، والحضَرات التي في زيارة نبي الله هود ﷺ.

وبالجملة؛ فجميع ما يُقرأ في (الحاوي) من ذكرٍ وتهاليلَ، فكانوا المقدَّمين فيه، والمطلعين على أحوال السّادة آل عبدالله الحداد كلّهم، والداخلين في أمورهم الجليلة والدقيقة، والكثيرة والقليلة، والمختَصِّين بالكبيرِ والصغير، ولم يكن لأحدٍ في البلد (تريم) من مشايخها وفقرائِها مثلَ ما لهم من الحبيبِ عبدالله الحداد، ومن أولاده وأحفادِه، من التقريب والوداد، واشتهروا بذلك في (تَريم)، ولهم عقيدَةٌ تامةٌ، وانتماءٌ وإخلاصٌ في المحبةِ، وصَاروا منتمينَ إلى الطريقة الحدادية، صغيرهم وكبيرهم، أباً عن جدٍّ.

حجَّ المعلمُ سالم، وزار سيد المرسلين سنةَ ١١٩١، وابنه محمّد حجَّ وزار سيد المرسلين مع الأصْناء عمَر ومحمد سنةَ ١١٩٦، وقد ذكرنا في كتاب «الحكايات البينات»: أن الحبيب عبدالله بشَّر والدَ المعلمِ بسَالمٍ قبلَ ولادتِه، ورأت أم المعلم سالم وقتَ الحمل أن الحبيب عبدالله أعطاها دَنًّ بِلّورٍ، فحملتْ بسالم هذا، ولادته ....، وتوفي سنة ١٢٠٨، على حالة مرضية ورأوا له مرائي صالحة تنبئ بحسن خاتمته

وخلّف ابنه محمداً في جميعِ ما كان عليه، وزاد بالتبحّر في معرفةِ علم الفقه، فقرأ على الوالدِ أحمدَ، وعظُمتْ عقيدته في الوالد.

وبالجملة؛ فآل أبي حَرْمي، المعلم سليمان، والمعلم محمد، والمعلم عبدالرحمن، والمعلم علي، وأولادهم وذريتهم، انتفعوا، المتقدّمُ بالمتقدم، والمتأخرُ بالمتأخرِ، من أولاد قطب الإرشاد الحبيب الحداد.

* * *

وأما الذين انتفعُوا بالحبيب حسنٍ والوالدِ من غير من مضَى ذكرُهم، فأناسٌ كثير، قراءةً وإلباساً وإجازةً، مثل الشيخ محمد باشعيب الأنْصاري يومَ الأحد في مدرس (السُّبَير)، وقَاضِي (شبام)، الشيخ عبدالرحمن باهرمز، والشيخ العارف بالله الذي سار معَه قاصداً للحجّ، عبد الولي بن محمد بارجَاء، وتوفي باللُّحيةِ مع الحبيب الحسن قبلَ الحج، وكذلك الشيخُ ساكن بلد (قيدون) سعيد بامحمد العموديّ، قرأ على الحبيب حسَن وانتفع به، وكذلك أولادُ الشيخ عمر بن عبد القادر: الشيخ الفقيه عبدالرحمن، وأخوه الأنور عبدالقادر، وأولادهما، وجملةٌ من مشايخِ (دوعن) من آل العمودي، وآل باقيس، مثل الشيخ عبد القادر، والعالم فارس ابن محمد باقيس، وعبد الله بافارس المعلم المدرِّسُ، والشيخُ محسن بن عبدالله با قيس، وهو آخر من سمعتُه لقَّنه الذكْرَ، كان عالماً زاهداً عاقلاً، صاحب عبادةٍ، ممن طالَ عمْرُه وحسُنتْ سيرته، وغيرهم من أهل (وادي دوعن) لا يحصون.

* * *

وأما أهل الأماكن البعيدة مثل (الشحر) وغيرهم، وأهل اليمَن مع عبورنا وقتَ الحجّ لنا الأولِ بها للزيارةِ سنةَ ١٢٠١، وقد تقدم ذكر الشيخ المذكور في رحلة سيدنا إلى (مكة)، في الباب الأول، وكأهل الحرمين جملةٌ، وفي المدينةِ والدُ الشيخ محمد السمان، والشيخ محمد، ثم أخذ إجازةً من سيدي وأرسلَ له بها من تريم.

وبالجملة؛ فإحصاءُ من طلبَ الإجازة والإلباسَ والتلقينَ من آل الآفاق متعذرٌ، وفيما أشرنا إليه كفايةٌ لذوي الألبابِ، وما يذكر إلا من ينيبُ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

[ذكر السيد عمر بن أحمد العيدروس، ساكن (الحَزْم)]

ومن الآخذين عن سيدنا، السيدُ العلامة عمر بن أحمد العيدروس، صاحب (الحزْم)، قريب البلد (شبام)، لما وصلَ هو ابنه أحمدُ وكافة أولاده، وخلقٌ من أهل بلده معه، للزيارةِ والأخذ والتلقين والإلباسِ من سيدي الحسَن، فألبسَهم ولقنهم.

ثم طلبَ منه سند الخرقة، فقال له: «أخَذْنا عن الوالد القطب عبدالله الحداد، وعن من عاصرناهم من الأكابر في وقته، كالحبيب أحمد بن عمر الهندوان، وعن من لقينا من العلماء والأكابر أيام حجّنا وزيارتنا لسيد المرسلين ﷺ، وإن كان مشايخنا كثيرٌ فعمدَتنا على والدنا عبدالله الحداد، فقد أخذنا الطريقة والإلباسَ والمصافحةَ والتلقينَ والإجازة وغير ذلك منه، وفي القراءة وترتيب الأذكار والأوراد ونشر العلمِ وغير ذلكَ، وأقامنا والأخَ علوي مقامَه في ذلكَ بعد وفاته»، فقال الحبيب عمر: «إن والدي أحمد أخذ عن أخيكم الحبيبِ العَارف علوي».

* * *

[ذكر السيد علوي بن إسماعيل العيدروس، ساكن (تاربَة)]

ومن الآخذين عن سيدنا الحسن، السيدُ علويُّ بن الولي إسماعيل العيدروس صاحب (تاربة)، وكان سببُ أخذه الرؤيا التي تقدمت له المذكورة في الباب الثاني في (الحكاية التاسعة والثمانين)، فانظرْها هناكَ، ولم تزل عقيدَتُه في سيدنا الحسَن من حينِ الرؤيا هذِه إلى أن ماتَ، سنةَ ١٢٠٨.

* * *

[ذكر السيد حُسَين بن عبدالله العيدروس، سَاكن (ثبي)]

وكان السيد الجليلُ، حسين بن عبدالله العيدروس، صاحب (ثبي)، يتردّدُ على

سيدنا الحسن ويعظمُه. أخبرني بعضُ الثقاتِ، قال: زرته من بلدنا (مَدُودة)، فلما وصَلنا، قال لنا: «لنا نيةٌ في زيارتنا سيدنا الحسن بن عبدالله الحداد»، فقمنا معه نحوُ ثلاثينَ رجلاً، فما قربَ (الحاوي) قال: «احفَظوا قلوبكم منه، الحذَر من خطرةٍ تقع لأحدكُم بحضرته»، فلما دخلنا على سيدنا الحسَن، حصلَ المرادُ للجميعِ، كلٌ على حسب نيته، ثم طلعنا نحن والحسين إلى عند سيدٍ آخرَ من أهلِ المظاهر، فقال لنا: «ما عليكم من هذا، راقبوه في الظاهر فقط».

وقال الحبيب عمر بن سميط: وجاء السيدُ الحسين بن عبدالله صاحب (ثبي) لزيارة الحبيب الحسن، ونحن في مدْرَس العصر، يوماً من الأيام، ووافقَ ختْم كتاب «الإحياء»، والقهوة منه. وقال لسيدي الحسن: متحقَّقٌ عندي اليومَ أنك أكمَلُ آل باعلوي حالاً وعقلاً، وإني أستصغر عَقلي عند عقلكَ، والإمام الغزالي يقولُ: كلٌ راضي بعقله، فقال له سيدنا الحسن: «ذاك الذي معكَ الآن نورُ العقلِ، حتى ميزت الأشياءَ».

[ذكر السيدين علوي وحسين ابني عبدالله العيدروس، أهل (بور)]

وكان أيضاً يميلُ إلى السيد علوي والحسين ابني عبدالله بن علوي صاحب (بور)، إذا وصَلا إلى عندِه للأخذِ والالتماسِ، لمكان والدهما عندَ الحبيب عبدالله الحداد وعنده.

بل رأيتُ في كتاب «السلسلة» للعلامة عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس، صاحب (مصر)، ذكرَ فيها عن السيد محمد الصُّلَيبية العيدروس: أنه سمع الحبيب عبدالله الحداد يقولُ: اثنانِ من أولاد رُوحي، زين العابدين بن مصطفى العيدورس، وعبدالله بن علوي العيدروس، والد علوي وحسين، صاحب (بور).

* * *

[ذكر جماعة من آل العيدروس]

وأراه أيضاً يميلُ إلى ثلاثة من آل العيدروس، ويحبهم كثيراً، وهم: محمد بن عبدالله بن الحبيب صاحب (سُورَتْ) الإمام علي بن عبدالله الصُّلَيبية، والسيد حُسين ابن عبدالله بن علوي العيدروس ساكن (الصومعة) في (بيت جبير)، والقائمِ بمنصبِ جدِّه بـ(تريم)، السيدِ الأنور، محمد بن جعفر العيدروس.

* * *

[ذكر جماعة من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم]

وكان بين الحبيبِ الحسنِ اتحادٌ واختلاطٌ وبين الشيخ علي بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، صاحب المنصبة بـ(عينات)، في حالِ أخذِ الشيخ عليٍّ على الحبيب عبدالله الحداد، وبعد وفاة الحبيب عبدالله وبين الحبيبِ الحسَنِ والقائم بمنصب الحامد، عيدروس بن سالم، خلطةٌ وترددٌ، وكذلك بينه وبين الحبيبِ الولي سالم بن عمر بن الشيخ أبي بكرٍ، الذي هو من أخصِّ تلامذة الحبيب عبدالله الحداد.

وكلٌّ من هؤلاء يستمدُّ من صاحبه، نفع الله بهم آمينَ، وقد قدمنا ذكرهم في (الباب الثاني) بأبسطَ من هنا.

* * *

[ذكر السادة آل (الوهط) من ذرية الشيخ علي]

وحصل الانتفاعُ الكلي للسيدينِ الأجلين، محمد وعبدالله ابني العارف أحمد بن عيدروس، صاحب (الوَهْط)، لتعلقهما بالحبيب الحسَنِ، وعظم عقيدتهما، لم يتركا له حقًّا من التمسك والتردد والاستشارة وحضور مدرَسِ يوم الأحد بـ(السُّبَير)، وغير ذلكَ، لأن والدَهما ما خرجَ من بلدةِ (الوهط) إلى (تريم) إلا في محبةِ سيدنا الحبيب

عبدالله الحداد نفع الله به، وكان الحبيبُ الحسن يميلُ إليهما، لمكان والدهما من والده، ولدوامِ التوجُّه والأخْذِ والتعلقِ، بارك الله لهم في ذلكَ، آمين.

* * *

[ذكر السيد الحسين بن عبدالرحمن العيدروس، ساكن (شبام)]

وكذلك لبسَ من سيدنا القبعَ، وتلقن الذكْرَ، وتردّد من (شبام) إلى (الحاوي)، السيدُ الجليل، الحسين بن عبدالرحمن العيدروس، ساكن (شبام)، وله تعلقٌ أيضاً واختلاطٌ بالعلامةِ الحبيب محمد بن زين بن سميط، ولهذا صارَ تعلقُه وأكثر استمدادِه من الحبيبِ عبدالله الحداد، اشتهرَتْ عقيدتُه، وتزوج في بلد (ظَفار) في (صَلالة)، وجاءه ولدٌ، وسار (جَاوةَ) أيضاً، وكان رجلاً فاضلاً، يثني عليه سيدينا الحسنُ لعقْلِه وحسنِ سيرته، رحمه الله.

* * *

[خاتمة الباب الخامس]

وخاتمةُ هذا البابِ، وجدْتُ بخطّ سيدي الوالدِ ما صُورَتُه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله الذي نوّر قلوبَ أوليائِه بنورِ معرفته، وحجَبها عن من سِواهُ بفضْله ومنته، وأوصلَ بهم إليه من شاءَ بحولِه ومَشيئته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذي هو خيرته من بريته، وآله وصحبه وعترته.

أما بعد؛ فهذه رسالةٌ من سيدِنا الإمام العارف بالله والدالِّ عليه، بقية السلف والخلفِ، الفاضل الكامل، العالم العامل، الشيخ القطبِ الحسنِ بن سيدنا القطب الغوثِ الأستاذِ حجة الإسلامِ الشيخ عبدالله بن علوي بن محمد الحداد باعلوي، إلى السيدِ الشريف، الصدر المنيفِ العلم العفيف، القائم بمنصِب أجداده بسُورَتْ من (أرض الهند)، الشيخ عبدالله بن علي زين بن العابدين بن محمد العيدروسِ باعلويِ، فيها إجازاتٌ له من سيدِنا الوالدِ الشيخ الحسنِ، في جميع الطرق التي وصلَتْ إليه من والده الشيخ عبدالله بن علوي الحداد، حسبَما يراه الناظرُ في هذه الرسالةِ، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]

«الحمدُلله منوِّر البصَائر، بما يقذفُ من أنواره في السرائر، فينبسطُ النور منهَا ويشرق على الظواهر، فصير العبدُ مثابراً على فعل الأوامر، مجتنباً للنواهي والزواجر، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ النبيِّ الطاهر، وعلى آله وصحبه أهل المكارم والمفاخر.

من العبد حسنِ بن عبدالله الحداد باعلوي، إلى جناب السيد الجليل، الصدر المثيل البجيل، المتعطشِ لسلوك الطريق، المتشمِّم لمراتبِ أهل التحقيق، الولدِ الأنور، أبي محمدٍ، عبدالله بن علي زين العابدين بن محمد العيدروس باعلوي، سلكَ الله به مسلك الخصوصِ من عباده، وأسعفَه بنيل مطلوبه ومراده، وإيانا في لطفٍ وعافيةٍ، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد؛ فإنا نحمَدُالله إليكُم الذي لا إله إلا هو، ونعلمكم بأنّا وكافة الأولاد واللائذينَ، وحاضِري الحضرة أجمعينَ، في خيرٍ ولطفٍ وعافيةٍ، جعلكم الله ومن شملته المودّةُ، وأحاطت به الشفقةُ كذلكَ.

وقد وصل إلينا كتابكُم الكريم، الذي صحبة المحب عَبدُون باشَامخة، وكذلك الذي بيد المحبّ سعيد بن عبدالسلام، وحصلَ بهما الأنسُ التامُّ، وتجديد العهد الخاص والعامّ، والحمدُلله على صلاح جنابكم، ووصل الكيسُ والدّخون، والطاقة البفْت، تقبّل الله منكم، ووفقكم لفِعْل الخير، ومحبة أهله، وكان سيدنا العيدروسُ عبدالله نفع الله به يقال: إنه كان كثيراً ما يتمثلُ بهذين البيتينِ:

على قدْرِ أهل العزْمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدْر الكرامِ المكـارمُ
وتعظمُ في عينِ الصَّغير صغارُها وتصْغرُ في عَينِ الكبير العَظائمُ

وذكرتمْ أن مرادكم أن نبينَ لكم سلسلةَ الأخذِ بالإسنادِ، عن الوالدِ نفع الله به، إلى النبي ﷺ، على الترتيبِ، وأن نجيزَ لكم في ذلكَ، فصدر بيانُ ذلك في كراسةٍ لطيفةٍ، إسعافاً لطِلبتكُم وإجابة لسؤالكم على حسب نيتكم الصالحة، إن شاء الله، والأعمال بالنياتِ، وإذا صلُحَتِ المقاصدُ، لا يخيب القاصدُ، ومن سلكَ ملك، ومن تهتك هلكَ، وإذا كانتِ الغاياتُ لا تدركُ، فالقليل منها لا يترك.

وقد أجزناكُم في ترتيبِ قراءة الأوراد النافعةِ من أورادِ سيدنا الوالدِ وغيره من مشايخ آل أبي علوي، نفع الله بهم، وقراءة كتبهم، والسير بهديهم، وعلى سنَنِهم، وأن ترشِدُوا من أرادَ سلوكَ طريقتهم والاقتداءَ بهم، وتجيزوه إذا كان أهلاً لذلكَ، والسِّرُّ في الإقبال على الله بكنه الهمّة، وصدق العزْمة، والإعراضِ عن الدنيا وأهلها بالقلبِ، إلا قدْر الضَّرورة والحاجةِ، وبذلُ الندى، وكفُّ الأذَى، والله سبحانه وتعالى يتولانا وإياكُم بوَلايته الخاصّة، مع اللطفِ والعافية، وكافة الأقربين والمحبينَ.

ويسلمُونَ عليكم الولدُ أحمد، وأولاده وكافة اللائذين، وسلموا على الأولادِ الأمجاد، ومن شئتم من السادة والمحبينَ، ولا يقطَعُنا كتابكم، لتكونوا منا على بالٍ.

والدعاء مبذولٌ ومسئولٌ، والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

* * *

وهذه الكراسة التي فيها بيان سلسلةُ الأخذ عن الوالدِ إلى النبيّ ﷺ على الترتيبِ على سبيلِ الاختصار، وقد بين في كتاب «البَرْقة» الإمامُ الشيخ علي بن أبي بكر، وفي «الجزء اللطيف» للإمام الفخر أبي بكر بن عبدالله العيدروس، وغيرها من سلفنا ما هو مبسوطٌ بأكثر مما هنالكَ، فنقولُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله الذي يهدي من يشاءُ إلى سواءِ الطريق، ويخصُّ من يحب بأنوار الهدايةِ والتوفيق، وصلى الله وسلم على سيدِنا ومولانا محمدٍ وآله وصحبه أهل العلْم والولاية والتحقيق.

وبعدُ؛ فقد التمستَ مني أيها الولدُ الأمجد الأرشد، الأبرُّ الأنورُ، الملحوظُ بعين

الله، المتعطشُ لسلوك طريقِ أهل الله، أن أبينَ وأفصِّل لكَ الطريقَ الذي سلكناها، وسند الخرْقةِ التي لبسناها، والذكر والتلقين اللَّذَينِ أخذناهما عن سيدنا الإمام القدوة، شيخِنا الأكبر عبدالله بن علوي الحداد، رضي الله عنه.

فاعلم أيها الولدُ، وفقك الله للرشَد، أنا سالكون على الطريقة الوسْطَى، والمحجة البيضاءِ، التي أدركنا عليها سيدنا الوالد عبدالله الحداد نفع الله به، وذلك على حسب الطاقةِ والإمكانِ، وما يقتضيه الزمانُ، مع الاعتراف بالقصور والتقصير، وقلة التشميرِ، وقد قيلَ:

* فإن لم تكونوا مثلهُم فتشبَهوا *

وكان الوالدُ رضي الله عنه يقولُ: طريقتنا ليسَ يحتاج فيها إلى شرحٍ، وهي من حيثُ الإجمالُ: العملُ بالكتاب والسنةِ، والاقتداءُ بالسلف الصالح، لا غير، ولهذا الإجمال تفصيلٌ يطولُ ذكره، ولو وجدنا من صدقَ في طلبه وجدِّه وتشميرِه ورغبتِه، كما ينبغي من أهل هذا الزمانِ، لشرحْناها على التفصيلِ، وبينَّا منها ما يخصُّ وما يعمُّ.

وكان نفع الله به يقولُ: «إن طريقَ السادَة آل أبي علوي، أقوَمُ الطرقِ، وأعدلها، وسيرتهم أحسَنُ السيرِ وأمثلها، وأنهم على الطريقِ المثْلى، والمهْيَع الأفيح، والمشرع الأوضح، والسبيل الأسلم الأصلح، ولا ينبغي لخلَفهم أن ينتهجُوا بغير المنهَج الذي انتهج عليها أسلافهم، ولا أن يميلوا عن طريقهم وسيرهم باتّباع غيره، والانجرار بجرّه، وإلقاء القياد لكلِّ من يدعي التسليكَ والتحكيمَ، ممن يخالفُ ظاهرُه سيرةَ آل أبي علوي وطريقَهم، لأنها التي يشهد لها الكتابُ والسنة الكريمة، والآثار المرضية، وسير السلف الكمَّلِ، تلَّقوا ذلك خلَفاً عن سلفٍ، وأبا عن جدٍّ إلى النبي ﷺ هم في ذلك متفاوتون فمن فاضلٍ وأفضلَ، وكاملٍ وأكملَ، وما من أهلِ طريقٍ إلا قدْ غيَّروا وبدّلوا هدْيَ سلفهم، ما عدا آلُ أبي علوي رضي الله عنهم، ولا يبعد أن يكون لآلِ أبي علوي

مزيةٌ في الدارِ الآخرةِ ليسَتْ لغيرهم، لما كانوا عليه من الضعف والخمولِ وعدم الشهرةِ والصيتِ والذكر بين الناسِ، مع عظم الحال وجلالة القدر».

وقال رضي الله عنه: «أنظرُ طريقَ القومِ اليوم دارسةٌ وعافيةٌ عن السالكين فيها، وأما نحنُ فقد أعطينا حالاً من الفرْش إلى العرش وقد طويَ بساطُ علم التصوفِ، وأذن لنا في نشْره، وطريقتنا طريقةُ الإمامَة الكبرَى، من أرادَها فليلقِ يدَيه في يدِنا، ونحن نوصله». وقال نفع الله به: «إن لنا نحوُ مائةِ شيخٍ، راسخةٌ أقدامُهم في الطريقِ، وحصل لنا منهم المدد بحسْبهم.

وقال رضي الله عنه: «قد لبسْنا الخرقةَ من يدَي جماعة من السادة العارفينَ المشهورين، وأكثرُ أسانيدهم أو معظَمُها إلى سيدي قطب الأقطاب العيدروس عبدالله بن أبي بكرٍ، ولنا بحمد الله منه اليدُ الباطنة في واقعةٍ عظيمةٍ، بل وقائع متعددة. ولنا من الشيخِ محيي الدين عبدالقادر الجيلاني يدٌ باطنَةٌ، وصلة ظاهرةٌ، ومن غيرهما نفع الله بهما.

وقد أجازني السيدُ الإمام السيد محمد بن علوي السقاف، نزيل (مكّة) إجازةً مطلقةً بإذن عن رسول الله ﷺ كما ذكر لي في آخر كتابِه منه إليَّ، ولم يعِشْ بعدَه إلا يسيراً».

وقال رضي الله عنه: «إن اليدَ في هذا الشأن لنا من أربعةٍ من الأكابرِ آل أبي علوي: الفقيه المقدّم، والشيخ عبدالرحمن السقاف، والشيخ عمر المحضار، والشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس، والآنَ فاليدُ لنا من النبيّ ﷺ من غير واسطةٍ، وقد أخرج العيدروسُ يدَه لي من قبره فبايعتُه، ولنا معه وقائع غير هذه نفع الله بهم أجمعين».

ومن كلام سيدِنا الوالد قطْب الإرشاد أيضاً: «نحنُ للناسِ كالشمْسِ، من فتح

بابَه أصابه منها بقدْر ما فتحَ، ولمن لم يفتح لابدَّ أن يدخُلَ عليه شيءٌ من خلاف الأبواب».

وقال نفع الله به: «أحمي مَوسُومَتي ولو بالصين».

وقال نفع الله به: «يكون اعتناؤُه بقرابته واللائذينَ به بعد موته أكثر من اعتنائه في حياته، لأنه في حياته مشغولٌ بالتكليفِ، وبعد موته طُرِحَ عنهُ الأعباءُ وتجرَّد».

وقال رجلٌ زائر: أريد العودةَ لزيارتكم إن شاء الله تعالى. فقالَ رضي الله عنه: «إن لحقتونا وإلا فقبُورنا تنوبُ منابنا، فإن الأخيارَ إذا ماتُوا لم تفْقَد إلا أعيانُهم وصورهم، وأما حقائقُهم فموجودةٌ». فقيل له: الله يمتع ببقائكم، فقالَ: «وإلى متى يكون ذلك؟ قد دنت الأمورُ، ومرادنا عسَى أن العيالَ يكبرون، عسى أن يكون منهم نائبٌ عنا»، قال تعالى حاكياً عن نبيه موسَى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۞ هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: ٢٩]، ولو ناب عنَّا حتى أربعونَ رجلاً، وقد أخذنا عن كثيرٍ من المشايخ لو عدّدناهم بلغُوا مائةً وأربعين».

وقال رضي الله عنه: «إنا نطوي خصوصيةَ أصحابِنا في بشريتهم».

وقال نفع الله به: «من عرفناه لا نضَيعُه ولا نتركُه وإن تركَنا، وإن قطعَ الحبْل بيدِه هكذا»، وأومأ بيده الشريفةِ، وقال: «من عرفناهُ لا نسْمَح به لا للنارِ وللعار».

وشكَا إليه بعضُ أصحابه من أمرٍ مهمٍّ، فقال له: «نحنُ معك، ومن كنا معه لا يخاف من أحدٍ كائناً من كان». ورأى بعضُ محبيه كأنه ماتَ فلما وضِعَ في لحده وأتَاه منكرٌ ونكيرٌ، فجاء سيدُنا وصرفَهم عنه، فلما أراد أن يُعْلم سيدي بما وقعَ له في منامِه، كاشفَه وقال له: «ما هي خصوصيةٌ لكَ، بل لكلّ أصحابنا نفعَل ذلك».

وقال قدَّس الله روحه ونور ضريحه: «إنه يكون للولي ما يكون للنبيّ، وإني قد

وضع لي المعراجُ بمسْجِد الهجيرة بتريم، وعرجَ بي إلى السماءِ، حتى وقفتُ بين يديِ الله عزَّ وجلَّ، وحصل لي شقُّ الصدْر بمسْجد آل أبي علوي». وكان رضي الله عنه يتشكّلُ على صور كثيرةٍ، حتى أنّ زوجاته في ليلة واحدةٍ كلٌّ تحلفُ بأنه باتَ عندها.

وقال رضي الله عنه: «أخذْنا من الكتابِ والسنة ما لا يحمِلهُ إلا المهديُّ»، وهكذا من بلغَ رتبة الكمالِ، ومرةً قال: «عندنا أمانةٌ لا يحملها إلا المهدي»، وهكذا قالَ، أو: «ستون من أصحابنا حتى يبلغُوها المهدي».

وقد أطالَ في نقلِ ما ذكرناهُ وغيرِه أحمدُ الأحسائيُّ الشجّار، تلميذُ والدنا، في كتابه «تثبيت الفؤاد»، والسيد العلامة محمد بن زين بن سميط.

* * *

وقد نقل العارفُ الكبير، أحمد بن زين الحبشي، في كتابه «المسلكُ السوي الملتقط من المشرع الروي»، قالَ: «وقد سئل شيخنا عبدُالله الحداد عن مشَايخه ومن أخذَ عنه، فقال: اعلمْ أنا قد لقينا وأخَذْنا عن خلقٍ كثيرٍ، وجماعة يطولُ عدّهم من السادة آل أبي علوي وغيرهم، ممن أدركنا بتريمَ وجهات حضرموت ونواحيها، وممن لقينا في حال سفرنا للحجّ بالحرَمين وباليمَن، ونذكر شيئا يسيراً من ذلكَ على سبيل الإجمالِ.

فاعلم أنا قد أخَذْنا العلمَ الظاهر عن جماعةٍ من أهله، واشتغلنا عليهم اشتغالاً معتبراً في أوقاتٍ صالحةٍ لذلكَ، ثم أخذْنا علومَ الطريقة من جماعةٍ من أهلها، من ظاهرٍ وخاملٍ، وكانوا من البقايا في ذلكَ الزمانِ، وقد صاروا إلى الله إلى الدار الآخرة.

فمن أجلّهم، أعني أهلَ الطريقةِ: السيد الصوفي عقيلُ بن عبدالرحمن بن محمد بن عقيل السقاف باعلوي، تردّدْنا إليه، وأخذنا عنه، ولبسْنا منه الخرقةَ الشريفةَ، وذكر لي عند الإلباسِ: أنّه لم يلبس أحداً غيري.

ولقينا السيدَ القدوةَ، عبدالرحمن بن شهاب الدين باعلوي، والسيد الصوفي عبدالرحمن بن شيخ مولى عيديد باعلوي، وولده، والسيد المجذوب العارف بالله أحمد الهادي شهاب باعلوي، والسيد المجذوب الملامتي سهل بن محمد باحسن الحديلي باعلوي، والسيد الفاضل العارف المحقِّقُ عمر بن عبدالرحمن العطاس باعلوي، صاحبُ (حريضَة)، اجتمعنا به مراراً، وأخذنا عنه أخذاً تامًّا طريقةَ الذكْرِ والمصافحةِ وإلباسَ الخرقة، وأخذنا عن شيخنا المشْهور السيدِ الإمام محمد بن علوي السقاف باعلوي، نزيل (مكة المشرفة)، وذلك بالمكاتبة والمراسلة، ولم نجتمع به ظاهراً، وقد لبسنا منه بالمكاتبَة أيضاً، رحمهم الله الجميعَ، ونفعنا بهم وأعادَ علينا من بركاتهم وأسرارهم وكافة المسلمين»، انتهى ما أوردناهُ من كلامه، نفع الله به.

فأما ما ذكر من أسانيد مشايخه، وتفاصيلِ مناهجهم، وسلسلة اتصالهم، ممن أخذُوا عنه إلى النبي ﷺ فلا يسَعُه إلا كتابٌ مستقلٌ.

ثم قال بعد كلام طويلٍ: «وقد ذكرتُ في قصيدة لي سنداً مختصراً من أسانيد شيخنا عبد الله الحدادِ، مرفوعاً إلى النبي ﷺ عن الروحِ جبريلَ الأمينِ، ثم إلى الله تعالى وتقدّس، وأوقفتُ شيخَنا على القصيدةِ المذكورة، وهي غير تامّةٍ، فتمّمها وحسنها وختمها، وها أنا أذكرُها تبركاً بذكرهم، وهي هذه:

لبستُ بحمْدِ الله لبساً محققاً ... مع الإذنِ في الإلباس من قطْبِ دُورِه

لبستُ لباسَ القومِ صُوفيةِ الورَى ... عن العارفِ الداعي بنجْدٍ وغَورِه

أبي الحسنِ البحْرِ المحيطِ بعلمِهم ... عنيتُ به الحدادَ شيخَ عصُورِهِ

له في لباسِ القوم طرقٌ عديدَة ... يعزُّ على المحْصي كتابُ سُطورِه

ولكنّي أذكره نهجاً محرَّراً ... به يبتهجْ من مالَ جانبَ طُورِه

فعن عُمَر العطاس موصُولُ يدِه ... بلبسٍ وتلقينٍ ومبسُوط نُورِه

وتشـبيكُ أيـدٍ مـع صَـفاءِ تـذاكُرٍ وخلـوةِ سرٍّ واجـتماعِ حبُـورهِ
كـذاكَ عـن الشـيخِ الإمـام محمّـد نزيلِ الحرَم مـن قـد غنِـي بظُهـورِهِ
وأخذُهما عن شيخِ عصْر بقُطرِه حسينِ ابن أبي بكـر المغيـثِ لفَـوره
وأخْـذُ حسـينٍ عـن فـردِ زمانِـه أبيـه أبي بكـرٍ إمـامِ دهُـورهِ
وللفَخـر لـبسٌ واتصـالٌ بسَـادةٍ أئمـةِ ديـنٍ محيـينَ دثُـورِه

وبقي منها سبعةٌ وأربعون بيتاً، في عدّة الآخذينَ، إلى آخرها، لم نأت بها لشهرتها في «المسلك السوي»، وفي كتاب «غاية القصد والمراد في مناقب شيخ البلاد والعباد القطب عبد الله الحداد»، وغيره.

* * *

وأما ذكرُ السندِ على سبيلِ الاختصار متَّصلاً؛ فنقولُ:

لبِسْنا وأخَذنا وصَافحنا وشبّكنا وتلقنَّا الذكرَ عن سيدنا الإمام القطب، والدنا عبدالله بن علوي الحداد، نفع الله به، وهو لبسَ وأخذ وصافحَ وشبّكَ وتلقّنَ الذكر عن العارفِ عمر بن عبدالرحمن العطاس، ولبسَ أيضاً وأخذَ عن الإمام محمد بن علوي السقاف نزيل (مكة)، وهما أخَذا عن الشيخ حسين بن أبي بكر بن سالم، وهو عن والده أبي بكر بن سالم، وهو عن السيد العارف عمر بن عبدالله باشيبان، وهو عن الشيخ الكامل عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر السكران، وهو عن والده الشيخ علي.

نعم؛ وقد أخذ السيد محمدُ بن علوي أيضاً عنِ الشيخ عبدالله صاحب (الوَهْط)، وهو عن السيد الأكملِ شيخ بن عبدالله صاحب مدينة (أحمد أباد)، وهو صاحب «العِقد»، وهو عن السيد العارف عمر بن عبدالله العيدروس صاحب (عدن)، وهو عن والده السيد عبدالله، وهو عن والده علوي، وهو عن أخيه أبي بكر ابن عبدالله العيدروس، وهو عن أبيه الشيخ العيدروس، وعمه الشيخ علي، وهما عن

أبيهما الشيخ أبي بكر السكران، وعمهما الشيخ عمر المحضار، وهما عن والدهما الشيخِ عبدالرحمن السقاف، وهو عن والده الشيخ محمد مولى الدويلة، وهو عن والدِه الشيخ علي، وعمه الشيخ عب الله باعلوي، وهما عن والدهما الشيخ علوي بن الفقيه المقدّم محمد، وهو عن والده القطبِ الرباني الفقيه المقدّم محمد بن علي، وهو عن والده الشيخ علي، وعمه الشيخ علوي، وهما عن والدِهما الشيخ محمد صاحب (مرباط)، وهو عن والدِه الشيخ علي خالع قسَم، وهو عن والده الشيخ علوي، وهو عن والده الشيخ محمد، وهو عن والده الشيخ علوي، وهو عن والده عبيدالله، وهو عن والده المهاجِر أحمدَ، وهو عن والده الشيخ عيسَى، وهو عن والده محمد، وهو عن والده علي العريضي، وهو عن والده الإمام جعفر الصادق، وهو عن والده الإمام محمد الباقر، وهو عن والده الإمام علي زين العابدين، وهو عن والده السبط الحسينِ، وعمه الحسنِ، وهما عن أبيهما أمير المؤمنينَ علي كرم الله وجهه، وأمِّهما الزهراء، وجدهما المصطفى ﷺ، وهو صلوات الله وسلامه عليه عن جبريلَ عليه السلام، عن رب العالمين تقدس وتعالى.

نعم؛ وثمَّ طريقٌ آخرُ لسيدنا المعظّم الفقيه المقدم محمد بن علي، أخذ رضي الله عنه عن الشيخ أبي مدين شعيبٍ بالواسِطة، وهو عن أبي يعزَّى، وهو عن ابن حَرازم، وهو عن أبي بكر بن العربي، وهو عن حُجة الإسلام الغزالي، وهو عن إمام الحرمين عبدالملك، وهو عن والده محمد الجويني، وهو عن أبي طالبٍ المكي، محمد بن عطية صاحب «قوت القلوب»، وهو عن أبي بكر الشبلي، وهو عن السريِّ لسقطي، وهو عن معروفٍ الكرخي، وهو عن داود الطائي، وهو عن حبيب العجمي، وهو عن الحسن البصري، وهو عن الإمام علي بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه، وهو عن النبي ﷺ، وهو عن جبريل عليه السلام وهو عن الله تعالى»، انتهى الإسنادُ المبارك مع الاختصَارِ والإيجاز.

* * *

والسرُّ في صلاحِ النيةِ، وحسن الطوية، والاقتداءِ بالسلَفِ الصالحِ، والسير على منوالهم، والتشبه بهم ما أمكنَ، مع سماحة النفسِ، وحسن الخلقِ، وصدق التواضع، وسلام الصدرِ لجميع المسلمينَ، والله يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيلَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»، انتهى ما وجدته من الرسالة العظيمة.

* * *

وهذا نظمُ الخرقَة الذي للسيدِ شَيخ بن محمد الجفريّ، وسيأتي أيضاً هذا النظم في إجازَتنا للشيخِ محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبد اللطيف الإحْسَائي، في خاتمة (الباب السادس):

الله أحمــــدُه جهــــراً وسرَّا	بكــــلِّ ضراءَ وكــــلِّ سَرَّاءْ
كــذا صَــلاتي وســلامي لم يــزَلْ	عــلى الجــدير بهــما مــن الأزَلْ
محمــدٍ مــن خصَّــه الله بــما	لا يحتَصــي عــدًّا بـأرضٍ وسَما
وآلـــهِ وصـــحبه والتـــابعينْ	المفلحــينَ المنجحــينَ الفَــائزينْ
لاسـيَّما مــن شُـهروا في النـاسِ	وخصُّــوا بــالتلقينِ والإلبَـاسِ
بســندٍ مقــرَّرٍ بــلا خفَــا	متصِــلٍ إلى النبــيِّ المصْــطفَى
العـــارفينَ ســبُلَ الطريقَــة	مَن بالشريعةْ نالوا الحقيقَةْ
وبعــدَ حمــدالله والصّــلاة	مــع السـلامِ الزاكـي النفحَـاتِ
يقــولُ مــن بظــاهر وسِرِّ	هــو مقِــرٌ بعظــيمِ الــوزْرِ
من لقّبَ بالجفْريِّ من بين الـورَى	مــن ســيره فــيما هــوي إلى ورا
نويــتُ أنظِــمْ قاصــداً للفاتحــة	ونيتــي إن شَــاء ربي صَــالحة
أسْــماءَ مــن أنَــا بهــم عرفــتُ	ومــن أنَــا لباسَــهم لبسْــتُ
عسَــى بهــم أظفَــر بالأمــاني	ومعَهــم أســكنُ في الجنَــانِ

وأبلـــغَ لمـــا هُـــو المـــأمولُ ... بمثْـــل هـــذا حُـــقَّ لي أقـــولُ

ألبسَني شَيخي على الوجْه الحسَنْ ... ذاكَ ابنُ عبدالله مولانـا الحسَـنْ

كـما هُـو ألبسَـه سَـامي الـذّرَى ... والـــدُه وشـــيخُه بـــلا مِـــرا

عبـــدالله المشـــهورُ بالحـــداد ... مـن خُـصَّ بالإسـعادِ والإمـدادِ

وهـو الـذي قـد فـازَ بالإلبـاسِ ... ممـــن دعـــي بعُمَـــر العطّـــاسِ

ومـــن نزيـــلِ مكـــةَ محمّـــدِ ... من شُهر في الناس بالكفِّ النديِ

وهمـا قـدْ لبسَـا مـن غـير مَـين ... من ابنِ أبي بكرٍ بن سـالم الحسَـين

وهـو عـن الفَخْـر عظـيمِ الشّـان ... عُمَـــر هـــو المـــدعو بباشَـــيبانِ

وهـو لـبسَ مـن وجيـهِ الـدينِ ... مـــن عُـــرفَ بالزهْـــدِ واليقـــينِ

وهـــو لـــبسَ مـــن أبٍ لـــه ولي ... يشْهَر بـين النـاسِ بالشَّـيخ عَـلي

وهـو لـبسَ مـن أخيـهِ وأبيـهْ ... وعمِّـه المحضَـارِ فـافهم يـا نبيـهْ

وعمّـــه ثـــم أبـــوه قـــلْ همـــا ... قـد لبسَـا بالصـدْقِ مـن أبـيهما

مـــن يعـــرفُ بالســـيدِ الســـقافِ ... أعني الذي قـد حـلَّ بالأحْقـاف

وهـــو لـــبسَ مـــن أبيـــه قُـــدوتي ... محمـــدِ المعـــروف بالدّويلَـــةِ

وهـــو لـــبسَ مـــن أبٍ لـــه عـــلي ... وعمّـــه العفيـــفِ أي بـــاعلوي

وهمـــا قَـــد لبسَـــا كلاهمـــا ... مـــن المســـمَّى علـــويْ أبـــيهما

وهـــو لـــبس مـــن أبيـــه الأعْظَـــم ... فقيهِنـــا المعـــرُوفِ بالمقـــدَّم

وهـــو الـــذي والـــدُه أعنـــي عـــلي ... ألبسَـــــه وعمُّـــــه العلـــــوي

وهمـا قَـد لبِسَـا قـلْ مـن أبٍ ... ثـــمَّ أبٍ ثـــمَّ أبٍ ثـــمّ أبِ

وهكـــذا متصِـــلٌ إلى النبِـــي ... كـــما هُـــو متصـــلٌ بالنسَـــب

قلـتُ وأيضـاً قـد لـبسْ سـيدُنا ... أعنـي الفقيـهَ شـيخَنا قـدوتنا

مـن أبي مـدينِ شـعيبِ المغـربي ... من فازَ مـن ربِّ العُـلا بـالأَرَبِ
عـلى يـدَي مـن يعـرف بالمقْعَـد ... عبـدالله الرسـول قـل بالسَّـند
وألـبِسَ أعنـي شـعيبَ مـن أبي ... يعـرَفُ يـا هـذا بـابنِ العـربي
وهـو الـذي ألبسَـه الغَـزالي ... مـن شـاعَ بالإحيَـاءِ في الأعـمالِ
وهـو لـبس مـن إمـامِ الحـرمين ... كـما لـبسْ مـن محمـدٍ الجـويني
وهـو لـبس مـن أبي طالـب مَـن ... يعْرَفُ بالمكّي بسرٍّ وعلَنْ
وهو عـن الشـبلي أبي بكـرِ الـذي ... هو بكأسِ الحبّ صدقاً قد غُـذي
وهو عن السـريِّ أعني السـقَطي ... وهو من المعروفِ معروفٌ عُطي
وهـو مـن الطـائيّ دوادَ لـبِسْ ... وهو من العجميّ حبيبَ من حُرِسْ
وهو من البصْري من يدْعى الحسَنْ ... وهو لـبسْ مـن عـلي أبي الحسَـنْ
وهـو الـذي قـد خـصَّ بـاليقينِ ... بـما هـو الإلبـاس والتلقِـينِ
مـن النبـيّ كـما أتَـى بـه الأمـينْ ... من دونِ كيـفٍ مـن إلـهِ العـالمينْ
كـما روَوه هكـذا أهـلُ الحـديثْ ... قـال بهـذا كَـم قـديمٍ وحـديثْ
تمـت بعَـون الملـكِ الوهَّـاب ... بـدونِ تطويـلٍ ولا إطنَـابِ
بعـامِ (غـينٍ) ثـم قـاف ثـم فَـا ... وزاي ذا حسَـابه بِـه وَفى
مـن هجْـرة الشـافعِ للعُصـاة ... محمـدِ المخْصُـوص بالآيـاتِ
لكاسـبِ الـذنْبِ عظـيم الـوِزْر ... المعـترفْ بـذاكَ شـيخِ الجفْـري
والخـتمُ بالمبـدأ يكـونُ أحْـرَى ... الله جهـراً أحمـدُه وسِرًّا

* * *

[صفةُ إلباسِ القبعَ للمريد]

وكان رضي الله عنه، إذا أتاه المريد للإلباس لا يلبسه إلا لوالده عبد الله فيقرأ الفاتحة وما تيسر من القرآن ثم يلبس القبع والمريد بين يديه ثم يلبس المريد القبع ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ورسولا وبالحبيب الشيخ عبد الله بن علوي الحداد شيخا يكرر الإلباس من رأسه الشريف إلى رأس المريد ثلاثا ويكرر عليه كلمة التوحيد ثم الشهادة بالرسول رضيت بالله ربا إلى آخرها على كلمة كلمة ثم يقرأ الفاتحة ويدعو يرفع يديه ويرفع من حضر مع التعظيم والطهارة الظاهرة والباطنة عند الإلباس

* * *

[صفة تلقين الذكر للمريد]

صفة تلقين الذكر مثل ما كان يفعل والده، وقد قال الحبيب عبد الله الحداد: إذا اجتمعوا جماعة لقصد الذكر فينبغي أن يبدأ بقراءة الفاتحة للتبرك؛ ولأنها لما قرأت له ثم يقول الملقن للحاضرين من الراغبين : قولوا نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله، قولوا: لا إله إلا الله لا إله إلا الله ثم يقول الملقن : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل محمد النبي الأمي الصادق الأمين، اللهم اسلك بنا طرائقها، وحققنا بحقائقها، واجعلنا من صالحي أهلها، وأحينا وأمتنا وابعثنا على ذلك من الآمنين المطمئنين، من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إنا نسألك اليقين والعافية، والوفاة على الإسلام، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين، واغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا

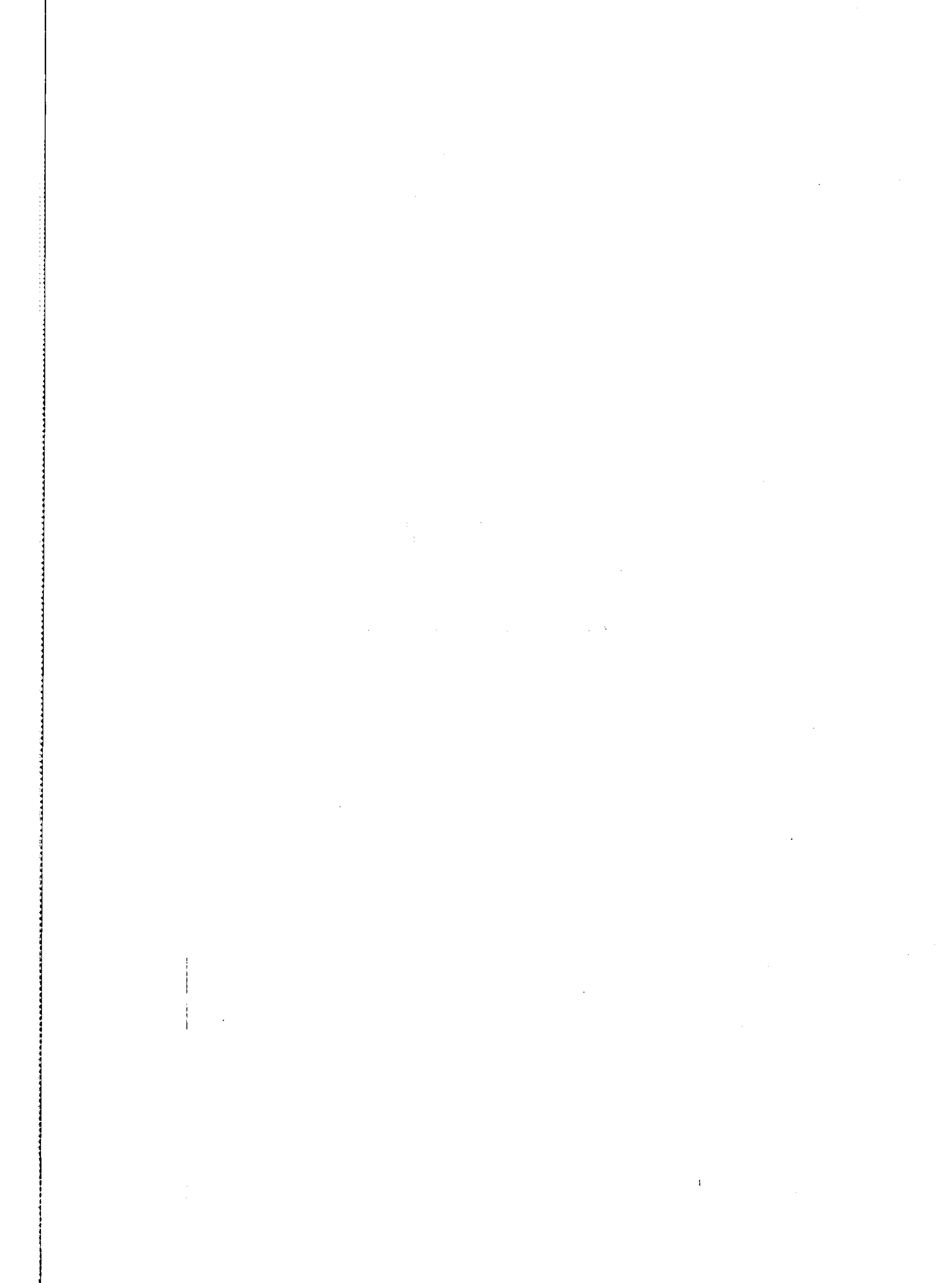
في الدين، والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات إنك سميع الدعاء، والحمد لله رب العالمين، آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصبحه وسلم.

انتهى الباب الخامسُ، ويليه البابُ السادِسُ.

* * *

الباب السادس

في ذكر آداب المريد مع شيخه



بسم الله الرحمن الرحيم

البابُ السَّادسُ

في ذكر آدابِ المريدِ مع شَيخه واحترامِ الأولياء وذكْر بعْضٍ ما وقعَ لمن أسَاء الأدبَ مع أحدٍ منهُم

ونثبتُ بعدَ ذلك «رسالة المريد»، التي ألفها الحبيبُ عبدالله الحداد برُمَّتها، ليتم النفعُ، وخاتمةُ البابِ في ترجمةِ أحفاد سيدنا الحسن، نفع الله به.

قال الإمامُ العارف بالله عبدُالوهاب الشعرانيّ في كتابه «المنن الوسْطَى»: «ومما منَّ الله به عليَّ: عدمُ وقوعي في شيء يغيِّر قلبَ شيخي عليَّ يوماً بخلافِ من يسيءُ الأدبَ مع شيخِه، فإنه إذا أساء الأدبَ انقطع ترقّيه، وربما نزل إلى حالةٍ أنقَصُ من الحالةِ التي كان عليها قبلَ صحبته، لأن حكمَ المقبلِ على شيخِه كحُكم المقْبلِ على ربّه، لأن شيخَه ما أقبلَ عليه إلا لإقباله على طاعةِ ربه، ولله المثلُ الأعلى.

وقد قال الإمام أبو القاسم الجنيد: «لو أقبلَ عارفٌ على الله ألفَ سنةٍ ثم أدبَر عنه لحظةً، كانَ ما فاتهُ أكثر مما ناله قبلها»، انتهى، وذلك لأن كلَّ لحظةٍ يقبلُ فيهَا العبد، على ربه متضمنةٌ لمجموعِ الإمداداتِ السابقةِ، وتزيدُ عليها بمَددِ الوقتِ، فإن جُودَ الحقّ تعالى لم يزل فياضاً على قلوبِ المقْبلين على حَضرته.

واعلمْ يا أخي أن أقلَّ مراتبِ الشيخ: أن يكون كالفتحيِّ على بابِ السلطانِ، فمن كان الفتحيُّ يكرهه فبعيدٌ أن يقضيَ له حاجةً عند السلطانِ، لأنه لا يستطيعُ

الدخولَ على السلطان من غير علمِ البوَّابِ، فلابد أنه يعلمَ به فيعاكسَه في قضاءِ حاجَته بين يدي الملكِ، ويقبلُ منه الملكُ، وذلك لعلْمِه بأمانته وصدقِهِ، وخيانة المريدِ وكَذِبه.

ومن قال: إن المريدَ لا يحتاجُ في خطابِ الملكِ من واسطةٍ، وأنه يقدِرُ على قضَاء حاجَته منه مع تغيُّرِ خاطِرِ الواسطة عليه، قلنا له: هذا أمرٌ لا يصحُّ لأحدٍ، ولو أنه صحَّ لأحدٍ لتعدَّى لرسولِ الله ﷺ الذي هو الواسطةُ العظمَى، ولكان الإنسانُ يقدِر على دخولِ حضْرة الملكِ ويقدرُ على قضاء حاجتِهِ منه مع تغيُّر خاطرِ رسُول الله ﷺ ومخالفةِ شريعته، ولا قائلَ بذلك، بل هو كفرٌ.

صحيحٌ؛ نعلَمُ أن من شقاءِ المريد في الدنيا، وعنوانَ شقاوته في الآخرة تهاونُه بغضَبِ أستاذه عليه، وعدم رؤيته وجوبَ المبادرة إلى مصالحته، والدخول في طاعته، وقد سلك في هذا المسلك جماعةٌ فلم يفلحوا بعدَها أبداً، لا على يد شيخِهم ولا على يدِ غيره.

ثم أقلُّ ما يحصلُ لمن خالفَ أستاذه من أسبابِ الهلاك في دينه، أنه يشتغل بحبِّ الدنيا وجمعِها من أيِّ وجهٍ كانَ، ويعادي أكثر أصْحَابه إذا عارضَه في طريقِ تحصيلها، بل يعادي شيخَه على ذلكَ، لأخذ حبِّ الدنيا بمَجامع قلبه، حتى لا يكاد يجدُ لمحبَّةِ الأعمالِ الأخروية موضعاً في قلبه.

ومن مفاسدِ المخالفَة أيضاً: أنه يقلُّ ذكرُه لله تعالى، وتلاوته للقرآن، وانشغاله بالعلم الشرعي، ويثقلُ عليه التقيدُ بمَجالسِ الذكر، وسهرِ الليالي، والمواظبة على صلاة الجماعة، وغير ذلكَ، فيتلفُ في دينه بالكلية وهو لا يشعر، وربَّما كان مداوماً على الأورادِ التي كان عليها قبلَ غضبِ شيخه عليه، ولكن لا يتحصّل منها كلّها في الآخرة ذرةٌ، فهي في عينه كالجبالِ، وفي عين المكاشَفينَ بأحْوالِ الآخرة كالهباء.

وقد أجمعَ الأشياخُ على أنّ من لم يقدِر على ملاحظةِ شيخه في الأعمالِ، لا يقدِرُ على مراقبةِ الحقِّ جلَّ وعلا في شيءٍ من عبادته»، انتهى.

* * *

وكان سيدي الحسنُ وولدُه أحمد يترحَّمانِ على من خالفَهما، ويرفُقانِ بصلته، ويَقْبلانه إذا أقبلَ، ولا كأنَّ شيئاً تقدمَ منه من المخالفةِ، وإذا أدبر أخلصَا له الدعاءَ بالصَّلاح، وذلك من سيرة سلفنا العلويين.

قال سيدنا أحمد بن عمر الهندوانُ: «إذا أحببتُ أحداً لم أعطِه شيئاً، وإذا كرهت إنساناً يبْشِر بعطَائي ودعائي». وكان يقولُ: «إذا وجدتُ في قلبي كراهةً لأحدٍ من الناسِ أخلِصُ له الدعاءَ بالليل وفي الخلوة، وكان يوصي بذلك غيره»، انتهى من «بهجة الفؤاد». وقال الحبيبُ الأوحد الحدادُ في «رسالة المريد»، لما ذكر الصبرَ على الأذَى، قال: «وأفضَلُ من الصبر على الأذَى العفْوُ عن المؤذي، والدعاءُ له، وذلك من أخلاق الصديقين»، انتهى.

وأما سيدُنا الوالدُ، فما يتكلّم على من أساءَ الأدبَ معه ولا كلمةً واحدةً، بل هو رحمةٌ خالصةٌ، وأما والدُه إذا رحِم أحداً تكلمَ بكلماتٍ عليه لئلا تنزلَ عليه العقوبةُ.

قال في «بهجة الفؤاد»: «قال الإمام علي بن عمَر بن حسينٍ فقيه بن الشيخ علي: من أرادَ أن يظفَر بالخير كلّه من مجالسَةِ الأولياء، فعليه بثلاثٍ: أن لا يصرِفَ همه عنهم، فإنهم ينظرون إلى القلْبِ كما يُنظَرُ الماء في الزجَاجة، ولا يطالبهم بالعِصْمةِ، فإنهم محفوظون، وأن لا يسمعَ تنقصيهم للغير، إنما يريدون بذلك تكميله، وللولي أن يتكلم فيمَنْ دونه، ولو بمنزلته»، انتهى. فافهم كلامَ العارفينَ، العالمينَ بأسْرارِ الدِّين.

* * *

وكم رأينا عياناً ومشَاهدةً، لا خبراً أو روايةً، في سيدنا الحسَنِ، والوالد أحمد، من انتقَصهُما أو آذاهما أو تكلّمَ بما لا يليقُ في جنابهما هلكَ هلاكاً عاجلاً في دنياه، ومن مالَ عنهما بالكلّية هلكَ في دينه أيضاً.

قال لي من هو أسنُّ مني، وتربّى وقرأ على الحبيبِ الحسن: إني مجربٌ أن من مالَ عن سيدي الحسَن هلكَ، ولا تنتظم له صلاةُ جماعةٍ، ولا أورادٌ، ولا قراءةُ علمٍ، ولا بركةٌ في سعيه، إلا إن كان رجعَ إلى ما كان عليه من الملازمةِ والاتباع.

فمن ذلك؛ أن الشيخينِ حُسين ومحمد ابني أبي بكر بانافع سَاكني (صعيد يشبم)، قراءتهما وانتفاعُهما بسيدي في سائر العلوم، وخصوصاً الفقه، أما الأكبَر وهو حُسينٌ فيراعي كثيراً وصَاة سيدي بملازمَة بيتهِ، ونفْعِ عبادِ الله في جهته، وفي البلدان التي فيها يسيرُ لنفع عبادِ الله، وأن لا يدخُلَ على الدولةِ ويخالطَهم، ولا يتولى الأحكامَ، فنفع الله به العباد ثم داخَل الدُّوَلَ، وحكمَ بين الناسِ إذا جاءوا، فتغيرتْ عليه أحوالُ دينه، وتسهّلتْ له أحوالُ دنياه للغرورِ، ثم كتب إليه سيدي الوالدُ أحمد بهذه الأبياتِ:

البــدارَ البِــدار قبْــل الــتَّلافِ	إن أردْتَ النجاةَ خُذْ في الــتَّلافي
واردَعِ النفْس عن هواها وعرِّجْ	عن بناتِ الطريقِ والانْحـراف
واسلُكِ المسلَك الـذي سَـلكوهُ	أوُّلـوكَ أهـلُ التقـى والعَفـافِ
والـزم البـدَّ اجمـع الهـمَّ واتـرُكْ	كلَّ من هو ضِدّ جنسِك مُنَـافِ
فرِضَا الناسِ غايـةٌ لـيسَ تُـدْرك	واعتزالُ الفضولَ للقلْبِ شَـافي
كل علمٍ على اللسـانِ وبَـل كـلَّ	رَاضٍ عــن نفسِــه فــدْمٌ جَـافِ
خـابَ مـن لم يقُـم بحـقِّ المـربي	وعقـوقُ الشـيوخِ سـمٌّ ذُعَـافِ
مـــوردٌ قـــدْ وردْتَـــه كـــدٌّ رآهُ	منـكَ قبـلَ الوفـاءِ والإنصَـافِ
يـــوقِظُ الله مـــن أرادَ هُـــداه	لمتـابِ مـن غفْلـةٍ أو خـلافِ

إن هــذا هديــةٌ مــن محــبٍّ وقليــلُ الكــلامِ للحُــرِّ كَــافِ

ولما وقفَ على الأبياتِ، سَار من بلده إلى حَضرة الحبيبِ الحسن، وتابَ عما كان يفعله، ورجعَ من الحالةِ الأوّلة، عنايةً من الله، ببركة أشياخه.

وأما أخوه محمد؛ فهو فقيهٌ صوفي صفوةٌ، من العابدين الزاهدينَ، صاحبُ مجاهداتٍ وعبادةٍ، حاكمٌ على أولادِه لا يجالسُونَ الدولة، ولا يؤاكلوهم، ولا يتولّى أحدٌ منهم القضاءَ أبداً، بارك الله في الجميع.

* * *

ورأينا ناساً حتى من السّادة، لما مالوا عن سيدي الوالدِ بخَاطرهم، كانت لهم أورادٌ وعبادةٌ وطريقةٌ مليحة، فانقلبوا عن حَالتهم، ولم تكن لهم المواظبةُ على الجماعةِ والأوراد والعبادَة، بل لبسُوا الحريرَ الخالصَ، بعد تقشُّفهم وحسنِ سيرتهم أيامَ كانوا ملازمين له.

ورأينا جملةً من السّادة فضلاً عن غيرهم، آذوا سيدي الحسنَ، فاستأصلهم الله، وهلكَتْ أموالهم الكثيرة، وماتوا ولم يعْقِبوا بعدَ كثرتهم وصَولتهم.

وأناساً من السادَة، لما كثر الأذَى منهم، تشَتَّتوا في البلدانِ، ولم تجتمعْ لهم كلمةٌ، ونقصوا عن مراتبهم، لأنه لما وصلَ الأذى منهُم له في الدِّين دعَا عليهم، ونسمعه كثيراً يدعو عليهم في سجوده: «اللهم شتِّتْ شمْلهم، واجعلْ كيدَهم في نحُورهم».

وواحدٌ من السادَة، تقدم ذكرُه في (الحكاية السادسة والثمانين)، وكان حالًّا ببلَد (سيون)، فقال: أنه ما عَاد يعودُ إلى (تريم)، فسار إلى مكانه، وماتَ نهار زواج بنته ليلةَ الزفاف، وكان زواجاً ظاهراً، فانكسرتْ قلوبَ الجميعِ، فالعياذ بالله من غضَبِ الله، وغضب أولياء الله.

والذين يساعدونَ هؤلاء المذكورين من العَرب هلَكُوا، وابتُلُوا بالأمراضِ والفقْرِ، حتى ابتلاهم الله، منهم من ابتلاهُم بالنَّار الفَارسية المسماة عند أهلِ (حضرموت) بالطَّير، وبعضهم بعَمى العينينِ، وبالسؤال على البيتِ بعد أن كانوا أعزةً مستورينَ، فالعياذُ بالله من غضَبه وغضَب من يغضَبُ لغضبه.

حتى أن بعضَ السادةِ تكلَّم على سيدي الوالدِ بما لا تظنُّ منه، لمعرفتهم وقراءتهم عليه، فلما ركبَ في البحْر كلُّ واحدٍ في مركبٍ وحدَه مع أناسٍ، واحِدٌ منهم هَاشُوه قريبَ (مصَيرهْ) و(رأس الحدّ)، فأخذوا المركبَ وما فيه، وبعد رَدُّوا المركبَ وبعْض من المالِ. وواحدٌ مع خروجِه من (جَاوة) ووصل إلى (آشي)، حصَل عليه مثلَما حصَل على الأولِ، جزاءً وفاقاً. وواحدٌ من السادَة أساءَ الأدبَ بحضرتهِ، فجُنَّ، والعياذ بالله.

فإذا كانَ الأمرُ كذلكَ في منتقصي أهل البيتِ المطهَّر، الذين أودِعُوا أسرارَ المصطفَى، واقتفوا آثاره، وأحيوا سُنَّته، عاجلَ الله لمتنقصِهم من السّادة الأغبياءِ، فغيرهم من العربِ الأغبياءِ بالأولى، فالحذارِ الحذار، والنصيحةَ النصيحةَ، والفرارَ الفرارَ، من الهلاك والبوارِ، وغضَبِ الجبار، وأوليائه الأبرار.

* * *

قال الوالدُ في كتابه «سبيل الهدايةِ والرَّشاد»، على شرح راتب جده القطب الأوحد الحداد: «قال الغزالي رضي الله عنه في صَدْر كتابِ «التفرِقة بين الإيمانِ والزندَقة»:

أما بعدُ؛ فإني رأيتك أيُّها الأخُ الشقيق، والصديق المتعصِّبُ، مُوغَر الصَّدر، منقسمُ الفكر، لما قرع سمْعكَ من طعْنِ طائفةٍ من الحشَويةِ على بعضِ كتبنَا المصنَّفة في أسرار معاملاتِ الدين، وزعمه أنّ فيها مَا يخالف مذْهبَ الأصحابِ المتقدمينَ، والمشايخ المتكلمين». إلى أن قال: «فهوِّن أيها المشفقُ على نفسِكَ، ولا يضيقُ به صدرك،

وتستحقر من لا يحسَد ولا يقذِفُ، واستصغر[1] من بالكفر والضلالِ لا يقرِفُ، فأي داعٍ أكملُ من سيد المرسلين وقد قالوا أنه مجنون من المجانين وأي كلام أصدق من كلام رب العالمين وقد قالوا أنه أساطير الأولين انتهى وقد قيل :

ما ضر شمسَ الضحَى والشمْسُ طالعةٌ   أن لا يرى ضوءَها من ليس ذا بَصرِ
ولا تظـنَّ خفـاءَ الـنجْمِ مـن صِـغَرٍ   وإنَّما الذنْبُ محمولٌ على البَصَرِ

غيره :

وإذا أتتْكَ مـذَمَّتي مـن نـاقصٍ   فهـي الشـهادَةُ لي بـأني كامِـلُ

غيره :

ومـن يـكُ ذا فـمٍ مُـرٍّ مـريضٍ   يجـدْ مـرًّا بـهِ المـاءَ الـزلالَ

غيره :

إن يحسِدُوني فـإني غـيرُ لائمِهـم   قبلي من الناسِ أهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا
أنا الذي يجِدونـه في صُـدورِهمُ   لا أتّقـي مـنهمُ صَـدْراً ولا أرِدُ

وقال صاحبُ «البردَة» رحمه الله تعالى:

قد تنكـر العـينُ ضَـوءَ الشـمْسِ مـن رمَـدٍ   وينكِرُ الفَمُ طعْـمَ المـاءِ مـن سـقَمِ

وقال الحبيبُ عمر البار في «منظومته»:

ومُتْ كمـداً إن الحسـودَ معـذَّبٌ   أفي العينِ أينٌ داركتْـك التـألّفُ
أيحتـاجُ إضْـحاءُ النهـارِ بشَمْسِـه   دليلاً! معاذ الله لو كنْتَ منصِفُ

قال الإمامُ الشعراني في «العهود المحمدية»: «أخِذ علينا العهْدُ العامُّ من رسُولِ

---

(١) وفي نسخة (واستقصر)

الله ﷺ أن نبجّلَ العلماءَ والصالحين والأكابرَ، وإن لم يعملوا بعلمِهم، يعني كله، ونقومَ بواجبِ حقُوقهم من الإكرامِ والتبجيلِ ......[١] فقد خانَ الله ورسُوله، فإنّ العلماءَ نوابُ رسولِ الله ﷺ، وحملةُ شرْعِه وخدامه، فمن استهانَ بهم تعدَّى ذلك إلى رسُولِ الله ﷺ وذلكَ كفرٌ، وقد مالَ إلى ذلك بعضُ العلماءِ، وكفَّر من قالَ عن عمامةِ العالم: هذه عُميِّمةٌ، بالتصغير».

وذكر أيضاً في الكتابِ المذكور بقوله: «بلغَنا عن الشيخ بهاء الدينِ أنه قالَ: بينما أنا راكبٌ مع والدي شيخِ الإسلام تقيِّ الدين السبكي في بعْض طرُق الشام، إذ سمع شخصاً من فلاَّحي الشامِ يقولُ: سألتُ الفقيهَ محييَ الدينِ النوويَّ عن مسألةٍ كذا وكذا، فنزل والدي عن الفرسِ، وقال: والله لا أركبُ وعينٌ رأتْ محييَ الدين النوويَّ تمشي.

ثم عزّم عليه بركوبِ الفرَسِ، وأقسم عليه بالله، وصار الشيخُ ماشياً حتى دخل الشامَ. فهكذا يا أخي كان العلماءُ يفعلونَ بأشياخهم، ومع أنه لم يدرِكْه وإنما جاءَ بعد موته بسنين»، انتهى كلامه الشعراني.

* * *

وقال الشيخُ حسين بن عبدالله بافضل في كتابه «الفصُول الفتحية»: «لا ينكر على الأولياءِ إلا ميتُ القلبِ، ممقوتٌ ناقصُ العقلِ، قليلُ العلم، مدَّعٍ، راضٍ عن نفسه، أحمَقُ، جاهلٌ، مغرورٌ، ضعيفُ اليقين، بائسٌ، جامِدٌ، حَشويٌّ مبتدِعٌ، أعمَى البصيرةِ، مخسوفٌ به، مفتونٌ، هالكٌ، مبغوضٌ عندَ الله وعندَ الناسِ، لا يقبلُ قولُه، ولا يعبأ به، ويخرج من الدُّنيا على غير دينِ الإسلامِ، ويبتلَى بالقِلِّ والفَقْر في الدنيا، والآخرَةُ أشدُّ وأبقى، فالمتكلمُ فيهم لا ورعَ له ولا تقوى، ولا دين، بل ولا إسلامَ ولا إيمانَ، ولو

(١) في النسخة (ب) بياض بقدر كلمة.

تلبَّسَ بشيءٍ منها في ظاهرِه فإنه خليٌّ عن الجميعِ، لأنه لا خلاقَ له»، انتهى.

وقال الشيخُ أبو ترابٍ النخشبيُّ رحمه الله: «إذا أَلِفَ القلبُ الإعراضَ عن الله، صحبته الوقيعةُ في أهلِ الله»، وقال بعضُ الأكابر: «من اعترَضَ على أولياءِ الله بالثّلبِ، ابتُلِيَ بموتِ القلْب».

* * *

وقال الشيخُ العارفُ بالله محمدُ بن سليمانَ الكرديُّ، المتوفى سنة ١١٩٥، في كتابه المسمَّى «الفوائد المدنية في بيانِ من يُفْتى بقوله من متأخّري السادة الشافعية»:

«اعلَمْ وفقني الله وإياكَ لما يحبُّ ويرضَى، أني مقدّمٌ لك قبلَ الشروع في المقصود مقدمةً، وهي أن النبي ﷺ قالَ: «**اختلافُ أمتي رحمة**»، فعليكَ أن تعتقِد أن اختلافَ أئمة المسلمين من أهلِ السنة والجماعةِ في الفرُوع نعمةٌ كبيرةٌ، ورحمة واسعةٌ، وله سر لطيفٌ أدركه العلماء العاملونَ، وعمي عنه المعترِضُون الغافلونَ.

وعليك أن لا تفضِّلَ أحداً من الأئمةِ تفضيلاً يؤدي إلى تنقيصِ غيره، فإن ذلك يؤدي إلى المقْتِ والخزي، فإن لحومَ العلماء مسمومةٌ، وعادة الله في تنقيصِهم معلومةٌ، قال تعالى في الحديث القدسي: «**من آذى لي وليًّا فقد آذنته بالحرْبِ**»، وقد قالَ الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: إن لم يكن أولياءَ الله في الدنيا والآخِرةِ العلماءُ، فليسَ لله وليٌّ.

لاسيما إمامنا الشافعي رضي الله عنه فقد رأيتُ في «ألغاز الشيخ عبدالوهاب السبكي»، أثناء كلامٍ له ما نصّه: فإنّ أهلَ العلم بالتجارِبِ، ذكروا أن من خواصِّ الشافعيِّ من بين الأئمةِ: من تعرّضَ إليه أو إلى مذهبِه بسُوءٍ أو بتنقيصٍ هلكَ قريباً، وأخذوا ذلك من قوله ﷺ: «**من أهان قُرَيشيًّا أهانَه الله**»، قالوا: وليسَ في المتبُوعينَ في الفروعِ قريشيٌّ غيره، وكذلك قوله ﷺ: «**هذا الأمرُ في قريشٍ، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبه**

الله على وجْهه»، وغير ذلكَ من الأحاديثِ وغيرها، إلى آخرِ ما أطالَ به السبكيُّ»، انتهى كلام الشيخ محمد.

* * *

قلتُ: وهنا حكايتان أحببتُ أن آتي بهما، لأنّ الحبيب الحسنَ وابنه أحمدُ شافعيًّا المذهبِ، ومن قريشٍ، فمدْح إمامهما مدْحٌ لهما، بل هما من أولاد الحسنينِ اللّذينِ كانَا للنبي ﷺ قرّةَ عينٍ.

الأولى: أخبرني الشيخ شبَانهْ بن مقبلٍ الزّعابي، والي (الجزيرة الحمراء)، المتوفَّى بها سنة ١١٩٤، وقبر خارِجَ قبةِ الولي زينِ العابدين بن عبدالله الحداد، قال: إني كنتُ في أيام سفري إلى جهة (رُسْتاق)، عند الإمام أحمد بن سعيد. في يومٍ من الأيام كنا في جمع عنده وحضَر من العلماءِ الأباضيةِ أناسٌ، فتكلم واحدٌ من أهلِ السنة والجماعةِ من الشافعيةِ في مسألةٍ، وقال: قالَ إمامنا الشافعيُّ، فلما سمعَ العالم من الأباضيةَ ذلك، التفتَ برأسِه إلى قفاهُ، كالمستهزئ، وقال: شي شي الشافعي، فيبسَتْ رقبته، والتوَتْ، وبقى وجهُه إلى قفاهُ دائماً في الحال ..... [1] الحاضرينَ تكلمَ، إلى أن ماتَ، رأيناهُ بأعيننا.

الحكاية الثانية: أخبرني بعضُ السادة العلماء من أولاد سيدنا الحسنِ بن علي بن أبي طالبٍ، ساكنٌ هو وأجداده في بلد (الأوغان)، يسافر من بلدِه لزيارة الشيخ عبدالقادر الجيلانيّ، ولحجّ بيت الله، وزيارَة رسول الله ﷺ، اتفقنا به في (الصّير) سنةَ ١١٩٣، وانتفعنا به، وحدثنا بأشياءَ كثيرةٍ، ووقائعَ عجيبةٍ. منها: أنه قال: سافر بعضٌ من علمائنا الحنفيةِ إلى الحجِّ هو وأتباعُه، وكانوا كثيراً، وكان حاملَ أثقالهم، لسعَة ما عندَه وبذل ما لديه، قالَ: فلما كان في بعضِ الجزُر، وجدَ فيها أربعينَ نفراً حالِّينَ

(١) في النسخة (ب): بياض بقدر أربع كلمات تقريباً، والكلام متصل في (أ).

وقاطنينَ بها، والجهلُ غالبٌ غليهم كلهم، فقال لهم: ما مذهبكم ؟ قالوا: شافعي، فقال: ما أحدٌ من علماء الشافعيِّ هذا يعلمُكم، لكن كلُّ واحدٍ منكُم يعلمُه واحدٌ من جماعتي مذهبَ الإمام أبي حنيفةَ، رضي الله عنه. فأجابوه، فعلَّم كلَّ واحدٍ منهم واحدٌ من جماعته، حتى عرفوا الواجبَ عليهم من مذهب الإمام أبي حنيفةَ، ورجعوا حنفية المذهبِ.

قال: فرأى ذلك العالم، بعدَ أن علّمهم، الإمامَ الشافعيَّ، وقال له: أخذتَ أربعينَ رجلاً كانوا على مذهبي إلى مذهبِ إمامكَ! لأجعلنَّ بإذن الله أولادَك كلّهم شوافعَ، وأنا إمامُهم. قال : فلما حج العالم مات بـ(مكة)، وخلف أولادَه، وكانوا علماءَ، وترددوا إلى علماء الشافعيةِ، وجمعوا من كتبهم شَيئاً كثيراً، واستحسنوا مذهبَ الإمامِ الشافعيِّ، فرجعوا عمن مذهبهم إلى مذهبِ الشافعيّ، وبلغوا أربعين رجلاً، وسافروا حتى وصلوا إلى وطنهم في بلد (الأوغان).

فلما رأوا علماءُ جهتِها أن أهلَ هذا البيتِ رجعوا شوافعَ المذهبِ، اجتمعوا، وقالوا: نسير إليهم، إما يرجعون حنفيةً لمذهبِ الإمام، وإلا يخرجون من هذه الجهة، لأن أهلها كلهم حنفيةُ المذهبِ، ما يوجد فيهم شافعيٌّ المذهبِ، وباينتشر خلافٌ، وكل بايدعي لمذهبه، ورأوا أن هذا من الضرَرِ النازلِ في الجهةِ عندهم.

فلما وصلوا عندهم، قالوا لهم: أليس الإمامُ الشافعيُّ على حقٍّ، قالوا: بلى، قالوا: فلم تعتبون علينا اتّباعَ الحقّ؟ قالوا: ضررٌ على الجهةِ اختلافُ المذاهبِ، اخرُجوا من هذه الجهة، قالوا: نحنُ في أملاكنا وديارِنا، وساكنينَ بها، ليس نخرجُ منها، فاحتربوا هم وأهل الجهة، ولم يخرجوا ولم يقدِرُوا عليهم، فاصطلحوا بعد ذلكَ هم وإياهم، وهمُ الآن ببلد (الأوغان) على مذهب الشافعيِّ، ظَاهرين، لا يضرهم من ناوأهم.

* * *

رجعنا إلى كلام محمد بن سليمان الكرديّ، قال في كتابه المذكور «الفوائد المدنية»:
«وإن رأيتَ شيئاً من ذلكَ، أي من الإنكار في كلامِ غيرك، فغُضَّ النظَر عنه، وقل: لعلَّ للقائل بهذا الكلامِ عذرٌ أحوَجه أن يتكلمَ بهذا، من إظهار الحقِّ، والتنفير عنه، إلى غير ذلكَ، ولم يظهرْ لي وجهُه. قال ابن حجرٍ في كتابه «الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان»، ما نصُّه: «في «طبقات الإمام السبكي»: الحذَر أن تفهمَ أن قاعدتهم أن الجرْحَ مقدمٌ على التعديلِ على إطلاقها، بل الصوابُ: أن من ثبتَتْ أمانتُه وعدالتُه، وكثرَ مادحُوه ومزكُّوه، ونَدُر جارحُه، وكانت هناك قرينةٌ دَالّةٌ على سببِ جرحِه، من تعصُّبٍ مذهبي أو غيره، لم يلتفت إلى جرْحِه».

ثم قالَ بعد كلام طويلٍ: «قد عرَّفناكَ أن الجارحَ لا يقبلُ منه الجرْحُ، وإن فسَّره في حقِّ من غلبتْ طاعتُه على معاصيه، ومادحوه على ذاميه».

إلى أن قالَ ابنُ حجرٍ: «وحينئذٍ لا يلتفَتُ لكلام الثوريِّ وغيرِه في أبي حنيفةَ، وابنِ ذُؤَيبٍ وغيره في مالكٍ، وابن مَعينٍ في الشافعي، والنسائيِّ في أحمد بن صالح، ونحو ذلك». قال: «ولو أطلقنا تقديمَ الجرْحِ لما سلِمَ لنا أحدٌ من الأمةِ، إذ ما من إمامٍ إلا وطعَن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون. قالَ ابن عبد البَرِّ: هذا بابٌ غلِطَ فيه كثيرون، وضلتْ فيه فرقةٌ جاهليةٌ لا تدري ما عليها في ذلك، ثم قال: الدليلُ على أنه لا يقبل في حقِّ من اتخذهُ جمهورُ الناسِ إماماً في الدينِ قولُ أحدٍ من الطاعنينَ: أن السلفَ قد سبق من بعضِهم في بعضٍ كلامٌ كثير في حال الغضبِ، ومنه ما حُمِل على الحسدِ، ومنه ما حمل على التأويل، فما يلزم المقولَ فيه شيءٌ منه، وذكر من كلامِ الصحابة والتابعين وتابعيهم من نظَرِ بعضِهم في بعضٍ شيئاً كثيراً، لم يلتفتْ إليه أحدٌ من العلماءِ، ولا عوَّلوا عليه.

إلى أن قال ابنُ حجرٍ بعد كلام طويلٍ: «وروي عن ابن عمر ... [(١)] وابن عباسٍ رضي الله عنهم: (خذُوا العلمَ حيث وجدتموه، ولا تقبلوا قولَي الفقهاءِ بعضِهم في بعضٍ، فإنهم يتغايرونَ تغايُرَ التيوسِ في الزَّريبةِ)، وفي روايةٍ عنه: (اسمَعُوا كلام العلماءِ، ولا تصدِّقوا بعضَهم في بعضٍ، فو الذي نفسي بيده إنهم أشدُّ تغايراً من التيوسِ في زرُبِها).

وكذلك جاء عن عمروِ بن دينارٍ، ومن ثمَّ ذكر في «المبسوط» في مذهب مالكٍ: أنه لا يجوزُ شهادةُ القارئِ على القارئ، يعني العلماءَ، لأنهم أشدُّ الناسِ تحاسداً وتباغضاً»، انتهى ما أردتُ نقله من «الخيرات الحسان»، ورأيتُ أشياءَ من نحْوِ هذا في كتاب «مُعيد النِّعَم ومُبيدِ النِّقَم» للسبكي، وكذا في غيره أيضاً، ولا حاجةَ في الإطالة بذكره.

* * *

إذا تقرَّر ذلك؛ فاعلمْ أن من أعظم الخصوصياتِ لسيدنا الحسنِ، وابنه الوالد أحمد، ما تجد عالماً ينكرُ عليهما أبداً في جميع جهتهم وجميعِ الأقطار، ولا يجد المعترضُ فيهم ذرةً تقتضي الاعتراضَ، إلا ما حصل لهما من الحسَدِ من بعضِ الناسِ، جُهّالٌ في دينهم، تحكَّم الحسدُ والغيرة عليهم حتى أهلكتهم وأبادتهم، كما بعُدَ وضلَّ إبليسُ لما حسدَ آدم، كذلك قابيلُ لما حسدَ هابيل.

قال الإمام الشعراني في «المنن الوسطى»: «وأنا أعلمُكَ ميزاناً تعرفُ به من يكرَهك حسداً، ومن يكرهك لغيرِ ذلكَ، ويحطُّ فيكَ، ولا يقدِر على تصوير دعْوَى عليكَ عند الحاكمِ أو عند الله في الدار الآخرة، فاعلَمْ أنه حسوديٌ دقَّ المطرَقةَ، فلا تتعبْ نفسك في زيارتِه بقصْدِ أنه يحبكَ ويزولُ ما عندَه، فإن ذلك لا يكونُ. وكان

(١) في النسخة (ب) بياض بقدر كلمة.

سيدي علي الخواص رحمه الله يقولُ: لا تطلب ممن يحسدُ أنه يحبُّكَ إذا تواضعْتَ له وقبَّلتَ رجله، فإنك تذلُّ نفسَك في غير محلٍّ، وتكبِّر نفسَه بغير حقٍّ».

ثم قال بعد كلام طويل: «واعلم يا أخي أن الوجُودَ كله ما بني إلا على المضَادّة، ليباينَ من لا ضدَّ له، سبحانه وتعالى، فلم يزلْ لكلّ إنسانٍ محبٌّ ومبغضٌ، ولو بلغ في الفضل مقامَ أبي بكر الصديقِ، فمن أين يطلبُ الإنسانُ ولو بلغَ ما بلغ أن يكونَ الناسُ كلهم مطبقينَ على محبته، فإن ذلك لا يحلُّ للأكابرِ فضلاً عن الأصاغر.

ولما استخفى الإمامُ مالكٌ قال لابن قاسم: ما تسمعُ الناسَ يقولون فيَّ؟ فقال: يا إمامُ!، من يحبكَ لا يذكرك إلا بخيرٍ، ومن يبغضك لا يخفَى عليكَ حالُه، فقال الإمام: الحمدُلله ما زال الناسُ كذلك، لهم محبٌّ ومبغضٌ، ولكن نعوذُ بالله من تتابع الألسنةِ كلها بالذمِّ»، انتهى.

وقال في موضع آخر من «المنن»: «وما مدحَ الله الأنبياءَ إلا ليُعْلمَنا بمقَامهم حتى نقبلَ منهم ما جاءوا به من الهدَى، لا لترغيبهم في الطاعةِ كغيرهم، إذ لا يحتاجُ إلى الترغيبِ إلا من كان محجوباً، فافهم».

وقال في موضعٍ آخر من «المنن»: «وقد وقعَ لي أن شخصاً زوَّر عليَّ في جامع الأزهر أنني ادعيتُ الاجتهادَ المطلقَ، كأحد الأئمة الأربعةِ، وبادر المتهوِّرون وكتبُوا بما لا ينبغي للمتديِّن ذكره، وتوقَّفَ عن ذلك المتديِّنون، والحال أن دعوى الاجتهاد المطلقِ لم يقعْ مني، وإنما قصَد الحسدةُ بذلكَ أن يلوثَ الناسُ فيَّ، فيقعون في عرضي، فيجعل لهم الإثم فيثيرونَ الفتنةَ، كما وقعَ للجلال السيوطيِّ رحمه الله، فأسأل الله أن يغفر لهم ما جنَوهُ، معَ أن الاجتهاد من أهلِ الطريق يقعُ للمريدينَ، فضلاً عن العارفينَ.

وعبارة الشيخ محيي الدين في «الفتوحات المكية»: «وإذا بلغ المريدُ مقامَ

الاجتهادِ، هل يقيمُ تحتَ حكم أستاذِه أو يخالفُه؟ الذي أراهُ: أنه يقيم تحتَ حكمِه حتى يرقِّيَه إلى علمِ اليقين وعينِ اليقين وحقِّ اليقين، انتهى. وذلك فوقَ مقام الاجتهاد، إذ غايةُ علم الاجتهادِ الظنُّ، فالله يحمي إخوانَنا من الكلام في حقِّ أحدٍ بغير حقٍّ».

وقال في «عهود المشايخ»: «ومن شعر سيدي عليِّ بن وفَا، وكان وقع بينه وبين بعْضِ تلامذته، فأنشأ يقولُ:

تمشْيَخُوا من قبلِ أن يوجَدُوا	فعمْـرُهم ضـاعَ ولم يولَـدُوا
حـالَ علـيهم حـالُ إهلاكِهـم	من شاخَ فـالموتُ لـه مرصَـدُ
ما المرءُ هذا الجسمُ بـل رُوحُـه	بالكَشْـفِ يحيَـى وبِـه يُسـعَدُ
وهـل نفـوسٌ همُّهـا جسْـمُها	إلا مــواتٌ وهمُّهــا مبعِــدُ
لم يـــزرَعِ الرشْـــدَ وأنـــوارَه	مــن لهُـمْ فيهــا أبٌ مرشِـدُ
ولا لهــــمْ ذاتٌ يؤمُّونَهـــــا	فـما لهـمْ مـن فقْـدِهم موجِـدُ
فاعجَبْ لمن شَـاخوا علـى صُغْرِهم	في أرْذلِ العيشِ نشَوا يجْهَـدُوا
لا ينفـعُ التأديـبُ فـيهِم ولا	لمـا بِـه إصـلاحُهم يقْصَـدوا
ويحسِـبُوا مــن جهلِهــم أنَّهــم	أكمَـلُ ممـا هــو لهـمْ يرشِـدُ
رَضُــوا بــأن يُعتقَــدُوا ســادةً	وهمُ الأدنَى وهـمُ هـمُ أبعَـدُ
مَشُـوا مكبِـينَ علـى وجْهِهـم	عُميـاً عـن العليـاءِ لا يهتَـدُوا
قد حسـبوا الأرْضَ سـماءً لهـم	فاسـتقْرَبوا مـا هُـو مسـتبْعَدُ
وكُلَّـــما مـــالُوا بـــأهوائِهم	قـالوا صَـعدْنا وهـمُ أخْلَـدوا
فـــلا تحـــاولْ طـــبَّهم إنهـــم	لكـلِّ مـن خـالطَهم يفْسِـدُوا

ثم قال: «اعلم يا أخي أنّ من الواجبِ علينا أن نشهَد أنّ توقفَ الفتحِ علينا ليسَ من جهلِ شيخنا بالطريق، وإنما ذلك من فتور همّتنا مع عدَم القسمةِ. وفي كتب

الطبّ: أن بَرْدَ الرَّحِم يكونُ سبباً لعدم الحملِ، فهكذا نفسُ المريدِ، متى لم يجدْ لوعةَ الوجدِ، وحرقةَ الطلبِ، لم يحصُل لها من أستاذها فيضٌ. وكان سيدي عليٌّ بن وفا رحمه الله يقول: أنتَ على الصُّورةِ التي تشهدُ أستاذَك عليها، فاشهدْ ما شئْتَ، وانظر ماذا ترى. فكما أن القبسَ لا يؤثِّر في الوقُودِ البارد المبلولِ بالماءِ إلا دخاناً، كذلك لا يتولَّد من صُحبتك لشيخِك بغير صدقٍ إلا دعاوَى ورعوناتٍ ومقتاً»، انتهى.

* * *

وقال القطبُ عبدالله الحداد، لما سئلَ عن قولِ أبي محمدٍ، سهلِ بن عبدالله، وهو قوله: كلُّ فعلٍ الأصلُ يفعله العبدُ بغير اقتداءٍ، طاعةً كان أو معصيةً، فهو عَيْشُ النفسِ، وكل فعلٍ يفعله بالاقتداءِ فهو عذابٌ على النفسِ»، انتهى.

فقالَ: قولُ سهلٍ: «كل ..»، الخ، مما يقوِّيها ويهيجُ شهواتها، وأن كل فعلٍ يكونُ مع الاقتداءِ، وأنّ مما تميلُ إليه النفسُ طبعاً، كالمعاصي والملذُوذاتِ من الفُضولِ، فيه أعظمُ المشقة عليها، وذلك لأن الاتِّباعَ للرسول ﷺ هو الحقُّ، والحقُّ ضدُّ الهوَى، والنفس مأسورَةٌ في قبضَة هواهَا، فهي تسترْوحُ إلى موافقتِه، وتميل إلى متابعته.

وأيضاً فالنفسُ مجبولةٌ، لسرٍّ خفيٍّ، على كراهة الانقيادِ والانقهارِ تحت حكمِ أحدٍ، وعلى حبِّ الاستقلالِ بالأمورِ، والاستبداد بها، على أنها لا تحبُّ أن يكونَ لأحدٍ عليها سلطانٌ، فهي لذلك تكرَهُ الاقتداءَ، ولو لما يوافقها طبعاً وتميلُ إلى تركه، ولو فيما ينافرها كما تقدمَ»، انتهى ملخصاً من «المسائل الصوفية»، جمع سيدنا أحمد بن زين الحبشي.

* * *

فإذاً الاقتداءُ بالأشياخ من أعسَر شيءٍ على النفسِ، فلم يفلحْ من قويتْ نفسُه ولم يهذِّبها ويفطِمْها على يدِ الأشياخِ، وعليه أن يدُورَ في بلده، إن وجد شيخا مربياً، وإلا فليرحلْ إليه إذا علمَ به في مكانٍ بعيدٍ، قال الحبيبُ عبدالله الحداد في «ديوانه المنظوم»:

ولابـدَّ مـن شـيخٍ تسيرُ بسَـيرِهِ ... إلى الله منْ أهل النفُوسِ الزَّكيةِ

مـن العلـماءِ العـارفينَ بـرَبهم ... فإن لم تجدْ فالصدْقُ خيرُ مَطيـةِ

أي في تحصيلِ الشيخ، لا في السلوكِ، فإن لم تجد الشيخَ فلا تترُكِ السلوكَ، وإن وجدته فاطرَحْ نفسك عليه، فإن في الاقتداءِ الفتوحُ. أما ترى في الحديثِ الذي كان أبوبكرٍ يسرُّ في قراءتِهِ في الصلاةِ مع التهجّدِ لقيام الليلِ، وعمرُ يجهر، فأُمِر أبوبكرٍ يجهرْ قليلاً، وعمر يخفضْ من صوتِه قليلاً، لأجلِ الاقتداءِ، ليحصُل لهما بالاتباع الاهتداءُ، وإن كانا على صوابٍ، فالعبادة مع المتابعة والمشابهة للشيخِ مع المحبةِ، تلحِقُك بالأشياخِ.

قال في «المسائل الصوفية»: «وسأله الفقيه محمدُ بن عبدالرحمن مزروع: ما بالُ الإنسانِ يحبُّ الصالحينَ مع تقاعده عن موافقتهم، وعن سلوك سبيل صلاحهم؟

فأجابه سيدنا عبدالله الحداد: **اعلَمْ** أن الوعدَ المرتَّبَ على الانتفاعِ بحبهمْ، ليس موقوفاً على موافقتهمْ من وجهٍ، حتى يعمل بجميع أعمالهم، فإن المتَّصِفَ بذلك من الصالحينَ أنفسِهم، والمحبَّ لهم، معدودٌ من محبيهم، ولا يفوزُ بالخير المشْرُوطِ لمحبِّيهم كلُّ أحدٍ، حتى يلوحَ عليه أثرُ التشبهِ بهم، وأما التقاعدُ عن سلوكِ سبيلهم فليسَ إلا فقْدُ الهمةِ، وهي قالبُ التوفيق في خزانةِ الله، فيطلب منه تعالى.

* * *

وهذا كتابُ:

رسالةِ المريد

المخصوص من ربه الحميد بالتثبيت والتأييد والتسديد

تأليفُ سيدنا الإمام القدوة العارف الصفوة قطب دائرة الإسلام والمسلمين حجة الإسلام ورحمة الأنام الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي بن حمد الحداد رضي الله عنه ونفع به آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم رب يسر وأعن يا كريم

«الحمدُلله الذي يقذفُ إذا شاءَ في قلوبِ المريدين لوعةَ الإرادةِ، فيزعِجُهم إلى سلوك سبيل السعادة، التي هي الإيمانُ والعبادةُ، ومحو كلِّ رسمٍ وعادَة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمدٍ سيدِ أهْل السيادة، وعلى آله وصحبه السادة القادة.

أما بعدُ؛ فقد قالَ الله تعالى، وهو أصدقُ القائلين: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء :١٨-١٩] .

والعاجلةُ هي الدنيا، فإذا كان المريدُ فضلاً عن الساعي لطلبها، مصيرُه إلى النار، مع اللَّوم والصَّغارِ، فما أجدرَ العاقلَ بالإعراضِ عنها، والاحتراسِ منها.

والآخرةُ هي الجنة، ولا يكفي في حصُول الفوزِ بها الإرادةُ فقطْ، بل هيَ مع الإيمانِ والعملِ الصالح المشَار إليه بقَوله تعالى: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]، والسعيُ المشكُورُ: هو العملُ المقبولُ، المستوجبُ صاحبُه المدحَ والثناءَ والثوابَ العظيم الذي لا ينقضي ولا يفنى، بفضل الله ورحمته، والخاسر من كلِّ وجهٍ

من المريدينَ للدنياَ: الذي يتحققُ في حقه الوعيدُ المذكورُ في الآية، هو الذي يريدُ الدنيا إرادةً ينسَى في جنبها الآخرةَ، فلا يؤمنُ بها، أو يؤمنُ ولا يعمَلُ لها، فالأولُ كافرٌ خالدٌ في النارِ، والثاني فاسقٌ موسومٌ بالخسارِ. وقالَ رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكل امرئٍ ما نوَى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسُوله فهجرتُه إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرتُه إلى دنيَا يصيبُها، أو امرأةٍ ينكحُها، فهجرته إلى ما هاجَر إليه**».

أخبرَ ﷺ أنه لا عملَ إلا عن نيةٍ، وأن الإنسانَ بحسب ما نوَى يثابُ ويجزَى، إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌ، فمن حسُنَت نيته حسُنَ عمله لا محالةَ، ومن خبُثَت نيتُه خبُثَ عمله لا محالةَ، وإن كان في الصورة طيباً، كالذي يعملُ الصالحاتِ تصنعاً للمخلوقين.

وأخبر عليه الصلاة والسلامُ، أن من عملَ لله على وفقِ المتابعَة لرسول الله ﷺ كان ثوابه على الله، وكان منقلبُه إلى رضْوانِ الله وجنته، في جوار الله وخِيْرته، وأن من قصَد غير الله، وعمِلَ لغير الله، كان ثوابُه وجزاؤه عندَ من تصنّع له وراءَى له، ممن لا يملك له ولا لنفسه ضرًّا ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وخصَّ الهجرةَ عليه الصّلاة والسلامُ من بين سائر الأعمالِ، تنبيهاً على الكلِّ بالبعْضِ، لأن من المعلومِ عند أولي الأفهامِ، أن الإخبارَ ليس خاصًّا بالهجْرةِ، بل هو عامٌ في جميع شرائع الإسلام.

ثم أقولُ: اعلمْ أيها المريدُ الطالبُ، والمتوجّهُ الراغبُ، أنك حينَ سألتني أن أبعَث إليك بشيءٍ من الكلامِ المنسوب إليَّ، لم يحضُرني منه ما أراهُ مناسباً لما أنتَ بسبيله، وقد رأيتُ أن أقيدَ فصولاً وجيزةً تشتملُ على شيءٍ من آدابِ الإرادَةِ، بعبارةٍ سلسَةٍ، والله أسألُ أن ينفعني وسائرَ الإخوانِ بما يوردُه عليَّ من ذلكَ، ويوصله مما هنالكَ، فهو حسبي ونعم الوكيل.

فصلٌ

اعلمْ أن أولَ الطريقِ باعثٌ قويٌ يقذَفُ في قلبِ العبدِ، يزعجُه ويقلقُه ويحثُّه على الإقبالِ على الله والدارِ الآخرةِ وعلى الإعراضِ عن الدنيا، وعما الخلقُ مشغولونَ به من عمارتها وجمعِها والتمتعِ بشهواتها، والاغترار بزخارفها. وهذا الباعثُ من جنُود الله الباطنةِ، وهو من نفحَاتِ العناية، وأعلام الهدايةِ، وكثيراً ما يفتحُ به على العبدِ عند التخويفِ والترغيب والتشويقِ، وعند النظرِ إلى أهلِ الله تعالى والنظَر منهم، وقد يقعُ بدون سببٍ. والتعرُّضُ للنفحاتِ مأمورٌ به ومرغّبٌ فيه، والانتظار والارتقابُ بدون التعرضِ ولزوم البابِ حمقٌ وغباوةٌ، كيف! وقد قالَ عليه الصلاة والسلامُ: «إن لرَبِّكُم في أيامِ دهركُم نفحاتٍ ألا فتعَرَّضُوا لها**».

ومن أكرمه الله بهذا الباعثِ الشريفِ، فليعرفْ قدرَه المنيف، وليعلَمْ أنه من أعظَمِ نعَمِ الله تعالى عليه، التي لا يقدَّرُ قدَرها، ولا يبلغُ شكرها، فليبالغْ في شكر الله تعالى على ما منحَه الله وأولاه، وخصه من بين أشكاله وأقرانه، فكم من مسْلمٍ بلغَ عمرُه ثمانين سنةً وأكثرَ، لم يجد هذا الباعثَ، ولم يطرقه يوماً من الدهر.

وعلى المريدِ أن يجتهدَ في تقويته وحفظِه وإجابته، أعني هذا الباعثَ. **فتقويتُه**: بالذكرِ لله، والفكر فيما عندَ الله، والمجالسَة لأهلِ الله. وحفظُه: بالبعْدِ عن مجالسَة المحجُوبينَ، والإعراضِ عن وسْوَسة الشياطين. **وإجابته**: أن يبادرَ بالإنابةِ إلى الله تعالى، ويصدُقَ في الإقبال على الله ولا يتوانى ولا يسوفْ، ولا يتباطَأ، ولا يؤخرْ، وقد أمكنته الفرْصَة فلينتهزْها، وفُتحَ له البابُ فليدخُلْ، ودعَاه الداعي فليسرعْ.

وليحذر من غدٍ بعد غدٍ فإن ذلكَ من عمَل الشيطانِ، وليقبل ولا يتَثبطْ ولا يتعللْ بعدم الفراغِ وعدمِ الصلاحيةِ. قال أبو الربيع رحمه الله: سِيرُوا إلى الله عرجاً

ومكاسِير، ولا تنتظروا الصحةَ، فإن انتظار الصحّةِ بطالةٌ. وقال ابنُ عطاء الله في «الحكم»: «إحَالتُكَ العملَ على وجُود الفَراغِ من رعُوناتِ النفسِ».

فصلٌ

وأولُ شيءٍ يبدأ به المريدُ في طريقِ الله، تصحيحُ التوبة إلى الله تعالى من جميع الذنوبِ، وإن كان عليه شيءٌ من المظالمِ لأحدٍ من الخلقِ فليبادرْ بأدائها إلى أربابها إن أمكنَ، وإلا فليطلُبِ الإحلالَ منهم، فإن الذي تكونُ ذمته مرتهنةٌ بحقوقِ الخلقِ لا يمكنه السيرُ إلى الحقّ. **وشرطُ صحةِ التوبةِ**: صدْقُ الندمِ على الذنوبِ، مع صحّة العزْم على ترك العَودِ إليها مدّة العمْرِ، ومن تابَ عن شيءٍ من الذنوبِ وهو مصرٌ عليهِ، أو عازمٌ على العَود إليه، فلا توبةَ له.

وليكن المريدُ على الدوامِ في غايةٍ من الاعترافِ بالتقصيرِ عن القيامِ بما يجبُ عليه من حقِّ ربه، ومتى حزِنَ على تقصيره، وانكسر قلبه من أجله، فليعْلَم أن الله عندَه، إذ يقول سبحانه: **«أنا عندَ المنكَسِرَة قلوبُهم من أجْلي»**.

وعلى المريدِ أن يحترَّز من أصْغر الذنوبِ، فضلاً عن أكبرها، أشدَّ من احترازه من تناولِ السمِّ القاتلِ، ويكونَ خوفُه، لو ارتكبَ شيئاً منها، أعظَمَ من خوفِه لو أكلَ السمَّ، وذلك لأن المعاصي تعملُ في القلوبِ عملَ السمِّ في الأجسامِ، والقلبُ أعزُّ على المؤمنِ من جسْمه، بل رأسُ مالِ المريدِ حفظُ قلبِه وعمارتُه، والجسمُ غرَضٌ للآفاتِ، وعما قريبٍ يتلفُ بالموتِ، وليس في ذَهابه إلا مفارقةُ الدنيا النكدَةِ النَّغِصَة. وأما القلبُ إن تلفَ فقد تلفَتْ الآخرةُ، فإنه لا ينجو من سَخطِ الله، ويفوزَ برضْوانه وثوابِه إلا مَن أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

فصلٌ

وعلى المريدِ أن يجتهدَ في حفْظ قلبه من الوسَاوس والآفاتِ، والخواطر الرَّديةِ،

وليُقِمْ على باب قلبِه حاجباً من المراقبَةِ، يمنعها من الدخولِ إليه، فإنها إن دَخلتْه أفْسدتْه، ويعْسُر بعدَ ذلك إخراجُها منه.

وليبالغْ في تنقية قلبِه الذي هو موضعُ نظر ربهِ من الميلِ إلى شهواتِ الدنيا، ومن الحقْدِ والغلِّ والغشِّ لأحدٍ من المسلمينَ، ومن الظنِّ بالسوءِ بأحدٍ منهم، وليكن ناصحاً لهم، رحيماً بهم، مشفقاً عليهم، معتقداً الخيرَ فيهم، يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسِه من الخير، ويكره لهم ما يكرَه لنفسِه من الشرِّ.

ولتعلَمْ أيها المريدُ؛ أن للقلبِ معاصيَ هي أفحَش وأقبحُ وأخبثُ من معاصي الجوارحِ، ولا يصلحُ القلبُ لنزولِ معرفة الله ومحبتِه تعالى، إلا بعد التخلِّي عنها والتخلصِ منها. فمن أفحشها: الكبْرُ، والرياءُ، والحسدُ.

فالكِبْر؛ يدلُّ من صاحبِه على الحماقةِ، ونهاية الجهالة والغباوةِ، وكيف يليقُ التكبّر ممن يعلمُ أنه مخلوقٌ من نطفةٍ مذِرَةٍ، وعلى القرب يصيرُ جيفةً قذِرة، وإن كان عندَه شيء من الفضائلِ والمحاسن فذلكَ من فضْل الله وصنعِه، ليس له فيه قدرَةٌ، ولا في تحصيله حولٌ ولا قوة، أولا يخشَى إذا تكبَّر على عبادِ الله بما آتاهُ الله من فضله، أن يسلبَه ما أعطاهُ بسُوءِ أدبه؟ ومنازعته لربه في وَصْفه؟ لأن الكبْرَ من صفَاتِ الجبار المتكبر.

وأما الرياءُ؛ فيدلّ على خلوِّ قلبِ المرائي من عظَمة الله وإجلاله، لأنه يتصنعُ ويتزينُ للمخلوقينَ، ولا يقنع بعلْم الله ربِّ العالمينَ، ومن عمل الصالحات وأحبَّ أن يعرِفه الناسُ بذلك ليعظِّمُوه ويصطنعوا إليه المعروفَ، فهو مراءٍ جاهلٌ راغبٌ في الدنيا. لأن الزاهدَ من لو أقبلَ الناسُ عليه بالتعظيمِ، وبذْلِ الأموالِ، لكان يعرِضُ عن ذلك ويكرهُه، وهذا يطلبُ الدنيا بعَملِ الآخرَةِ! فمن أجْهلُ منه؟!، وإذا لم يقدِرْ على الزهد في الدنيا، فينبغي له أن يطلبَ الدنيا من المالكِ لها، وهو الله، فإن قلوبَ الخلائقِ

بيدِه، يقبل بها على من أقبلَ عليه، ويسخِّرُها له فيما يشاء.

وأما الحسد؛ فهو معاداةٌ الله ظاهرةٌ، ومنازعَة له في ملكِه بينةٌ، لأنه سبحَانه إذا أنعَم على بعضِ عباده بنعمةٍ، فلا شكَّ أنه مريدٌ لذلكَ، ومختارٌ له إذ لا مكرِهَ له تعالى، فإذا أراد العبدُ خلافَ ما أرادَ مولاهُ، فقد أساءَ الأدبَ، واستوجب العطَبَ.

ثم إنّ الحسدَ قد يكونُ على أمور الدنيا، كالجاهِ والمالِ، وهي أصْغَر من أن يحسد عليها، بل ينبغي لكَ أن ترحَم من ابتُلِيَ بها، وتحمدَ الله الذي عافاك منها، وقد يكون على أمورِ الآخرة كالعلْمِ والصلاح. وقبيحٌ بالمريدِ أن يحسُدَ من وافقه على طريقتِه، وعاونه على أمره، بل ينبغي له أن يفرحَ به لأنه صار عوناً له، وجنساً يتقوَّى به، والمؤمنُ كثيرٌ بأخيهِ، بل الذي ينبغي للمريدِ أن يحبَّ بباطنه، ويجتهدَ بظاهرِه في جمع الناسِ على طريق الله، والاشتغالِ بطاعته، ولا يبالي أفَضَلُوهُ أم فضَلَهُم، فإن ذلك رزقٌ من الله، وهو سبحانه وتعالى يختصُّ برحمتِه من يشاءُ.

وفي القلبِ أخلاقٌ كثيرةٌ مذمومة، لم نذكرها، حرصاً على الإيجازِ، وقد نبهْنَا على أمهاتها، وأم الجميعِ وأصلُها ومغرِسُها، حبُّ الدنيا، فحبها رأسُ كلِّ خطيئةٍ، كما ورد. وإذا سلم القلبُ منهُ، فقد صَلح وصَفا، وتنوَّر وطابَ، وتأهّلَ لوارداتِ الأنوارِ، وصَلُحَ للمكاشَفة بالأسْرار.

فصلٌ

وعلى المريدِ أن يجتهدَ في كفِّ جوارحِه عن المعاصِي والآثامِ، ولا يحركَ شيئاً منها إلا في طاعةٍ، ولا يعملَ بها إلا شيئاً يعودُ عليه نفعُه في الآخرة.

وليبالغْ في حفْظ اللسانِ، فإن جِرمه صغيرٌ، وجُرْمَه كبيرٌ، فليكفَّ عن الكذِب والغيبةِ وسائر الكلام المحظُورِ، وليحترِزْ من الكلامِ الفاحشِ، ومن الخوضِ فيما لا يعنيه، وإن لم يكن محرَّماً، فإنه يقسّي القلبَ، ويكون فيه ضياعُ الوقتِ.

بل ينبغي للمريدِ أن لا يحركَ لسَانه إلا بتلاوةٍ أو ذكرٍ، أو نصْحٍ لمسلمٍ، أو أمر بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكرٍ، أو شيءٍ من حاجاتِ دُنياه التي يستعينُ بها على أخراه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **«كلُّ كلامِ ابنِ آدمَ عليه لا له، إلا ذكرُ الله، أو أمرٌ بمعروفٍ، أو نهيٌ عن منكر»**.

واعلَمْ أن السمْعَ والبصر بابانِ مفتوحانِ إلى القلبِ، يصير إليه كلَّ ما يدخُلُ منهما، وكم من شيءٍ يسمعُه الإنسانُ أو يراه مما لا ينبغي، يصلُ منه أثرٌ إلى القلبِ، تعسُر إزالته عنه، فإن القلبَ سريعُ التأثرِ بكلِّ ما يرِدُ عليه، وإذا تأثر بشيء يعسُر محوُه عنه.

فليكُنْ المريدُ حريصاً على حفظِ سمعِه وبصرِه، ومجتهداً في كفِّ جميع جوارحِه عن الآثام والفضُول، وليحذر من النظرِ بعينِ الاستحسانِ إلى زهْرة الدنيا وزينَتها، فإن ظاهرَها فتنةٌ، وباطنها عبرةٌ. والعينُ تنظر إلى ظاهر فتنتِها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها، وكم من مريدٍ نظَر إلى شيءٍ من زخارفِ الدنيا فمالَ بقلبه إلى محبتها، والسّعيِ في جمعها وعمارتها. فينبغي لكَ أيها المريدُ أن تغضَّ بصرَك عن جميعِ الكائناتِ، ولا تنظر إلى شيءٍ منها إلا على قصْد الاعتبار، ومعناه: أن تذكُر عند النظرِ إليها أنها تفْنى وتذْهبُ، وأنها قد كانتْ من قبلُ معدومةً، وأنه كم نظَر إليها من أحدٍ من الآدميينَ فذهَب وبقيتْ هي، وكم توارثَها خلفٌ عن سلفٍ.

وإذا نظرْت إلى الموجوداتِ، فانظر إليها نظرَ المستدلِّ بها على كمالِ قدْرة موجدِها وبارئها سبحانه، فإن جميعَ الموجوداتِ تنادي بلسَانِ حالها نداءً يسمعُه أهلُ القلوبِ المنوَّرة، الناظرون بنُورِ الله، أنْ لا إله إلا الله العزيزُ الحكيمُ.

فصلٌ

وينبَغي للمريدِ أن لا يزالَ على طهارةٍ، وكلما أحدثَ توضّأ وصلَّى ركعتينِ، وإن

كانَ متأهّلاً وأتى أهلَه فليبادِرْ بالاغتسالِ من الجنابةِ في الوقْتِ، ولا يمكُثْ جنباً، ويستعينُ على دوامِ الطهارَةِ بقلة الأكلِ، فإن الذي يكْثرُ الأكلَ يقعُ له الحدَثُ كثيراً، فتشُقَّ عليه المداومة على الطّهارة، وفي قلة الأكلِ أيضاً معونةٌ على السهرِ، وهو من آكدِ وَظائف الإرادةِ.

والذي ينبغي للمريدِ، أن لا يأكلَ إلا عن فاقَةٍ، ولا ينامَ إلا عن غلبةٍ، ولا يتكلمَ إلا في حاجةٍ، ولا يخالطْ أحداً من الخلقِ إلا إن كانتْ له في مخالطته فائدةٌ، ومن أكثَر الأكلَ قسَا قلبُه، وثقُلتْ جوارحُه عن العبادة، وكثرَة الأكلِ تدعو إلى كثرة النّومِ والكلامِ، والمريدُ إذا كثر نومه وكلامُه صارتْ إرادتُه صورةً لا حقيقةَ لها، وفي الحديث: **«ما مَلأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنه، حسْبُ ابنِ آدم لقيماتٌ يقمْنَ صلبه، فإن كان لا محالةَ فثلثٌ لطعامِهِ، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفَسِه»**.

فصلٌ

وينبغي للمريدِ أن يكونَ أبعدَ الناسِ عن المعاصي والمحظوراتِ، وأحفظَهم للفرائضِ والمأمورات، وأحرصَهم على القرباتِ، وأسرعَهم إلى الخيراتِ، فإن المريدَ لم يتميزْ عن غيره من الناسِ إلا بالإقبالِ على الله وطاعته، والتفرغ عن كلِّ ما يشغِلُه عن عبادته. وليكن شحيحاً على أنفاسِه، بخيلاً بأوقاته، لا يصرفْ منها قليلاً ولا كثيراً إلا فيما يقربه من ربه، ويعودُ عليه بالنفْعِ في معاده.

وينبغي أن يكون له وردٌ من كل نوعٍ من العباداتِ يواظبُ عليهَا، ولا يسمحُ بترك شيء منها في عسْر ولا يسرٍ، فليكثرْ من تلاوة القرآنِ العظيمِ مع التدبر لمعانيه، وبالترتيل لألفاظه، وليكن ممتلئاً بعظمةِ المتكلمِ عندَ تلاوة كلامه، ولا يقرأ كما يقرأ الغافلون الذينَ يقرأونَ القرآن بألسنةٍ فصيحةٍ، وأصواتٍ عاليةٍ، وقلوب من الخشوعِ والتعظيم لله خالية، يقرأونه كما أنزِلَ من فاتحته إلى خاتمته، ولا يدرُونَ معناه، ولا

يعْلَمون لأي شيء أنزلَ، ولو علِمُوا لعمِلوا، فإن العلْمَ ما نفعَ، ومن علِمَ وما عملَ فليسَ بينه وبين الجاهلِ فرقٌ إلا من حيثُ أن حجّة الله عليه آكدُ، فعلى هذا يكونُ الجاهِلُ أحسن حالاً منه، ولذلك قيلَ: كلُّ علمٍ لا يعودُ عليكَ نفعُه، فالجهلُ أعْودُ عليكَ منه.

وليكن لكَ، أيها المريدُ، حظٌ من التهجّدِ، فإن الليلَ وقتُ خلوةِ العبدِ مع مولاه، فأكثر فيه من التضرُّعِ والاستغفارِ، وناجِ ربَّك بلسانِ الذلةِ والاضطرارِ، عن قلبٍ متحقق بنهايةِ العجْز وغايةِ الانكسار، واحذَرْ أن تدعَ قيامَ الليلِ، فلا يأتي عليكَ وقتُ السحَرِ إلا وأنتَ مستيقظٌ ذاكرٌ لله سبحانه وتعالى.

فصلٌ

وكُنْ أيها المريدُ في غايةِ الاعتناء بإقامةِ الصّلواتِ الخمسِ، بإتمام قيامهنّ وقراءتهنّ وركوعهنَّ وسجودهنّ، وسائر أركانهنَّ وسنَنِهنّ. وأشْعِر قلبكَ قبلَ الدخولِ في الصلاة عظمةَ من تريدُ الوقوفَ بين يديه جلَّ وعلا. واحذَرْ أن تنَاجي ملكَ الملُوكِ، وجبارَ الجبابرةِ بقلبٍ لاهٍ مُستَرْسلٍ في أوديةِ الغفلةِ والوسَاوسِ، جائلٍ في ميادينِ الخواطِر والأفكار الدنيويةِ، فتستوجبَ المقْتَ من الله، والطرْدَ عن بابِ الله. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا قامَ العبدُ إلى الصَّلاةِ أقبلَ الله عليه بوجْهِهِ، فإذا التفتَ إلى ورائه يقولُ الله تعالى: ابنُ آدم التفتَ إلى مَن هو خيرٌ له مني؟ فإذا التفتَ الثانية قالَ مثل ذلكَ، فإن التفتَ الثالثةَ أعرضَ الله عنه**». فإذا كان الملتفتُ بوجْهه الظاهرِ يعرضُ الله عنه، فكيف يكون حالُ من يلتفِتُ بقلبه في صلاته إلى حظُوظِ الدنيا وزخَارفها، والله سبحانه وتعالى لا ينظُر إلى الأجسَام الظواهرِ، وإنما ينظر إلى القلوبِ والسرائر.

واعلمْ أن روحَ جميع العباداتِ ومعناها، إنما هو الحضُور معَ الله فيها، فمن خلتْ عبادتُه عن الحضُور فعبادتُه هباءٌ منثُور. ومثَلُ الذي لا يحضُر مع الله في عبادتِه، مثَلُ

الذي يهدي إلى ملكٍ عظيم وصيفةً ميتةً، أو صندوقاً فارغاً، فما أجدَره بالعقوبةِ، وحِرْمان المثوبة.

فصلٌ

واحذَر أيها المريدُ كلَّ الحذرِ من ترْكِ الجمعة والجماعاتِ، فإن ذلكَ من عاداتِ أهل البطالاتِ، وسماتِ أرْبابِ الجهَالاتِ، وحافظْ على الرواتبِ المشروعاتِ، قبل الصلاة وبعدَها، وواظبْ على صلاةِ الوتْر والضُّحَى، وإحياءِ ما بين العِشَائين، وكُنْ شديدَ الحرص على عمارَةِ ما بعدَ صلاةِ الصبحِ إلى الطلوعِ، وما بعد صلاة العَصْر إلى الغروب، فهذان وقتانِ شريفانِ، تفيضُ فيهما منَ الله تعالى الأمدادُ على المتوجِّهين إليه من العبادِ.

وفي عمارةِ ما بعدَ صلاة الصبحِ خاصيةٌ قويةٌ في جلبِ الأرزاقِ الجسمانية، وفي عمارة ما بعد العصْر خاصيةٌ قويةٌ لجلبِ الأرزاقِ القلبية، كذلك جرَّبهُ أربابُ البصائرِ، من العارفينَ الأكابر، وفي الحديثِ: «**إن الذي يقعُد في مصَلَّاه يذكرُ الله بعدَ صَلاة الصُّبحِ أسرعُ في تحصيلِ الرزْقِ من الذي يضْربُ في الآفاقِ**»، يعني: يسافر فيها لطلبِ الرزق.

فصلٌ

والذي عليه المعوَّلُ في طريقِ الله تعالى، بعد فعل الأوامرِ واجتنابِ المحارمِ، ملازمةُ ذكر الله، فعليكَ به أيها المريدُ في كلِّ حالٍ، وفي كل وقتٍ، وفي كل مكانٍ، وبالقلبِ واللسانِ. والذكر الذي يجمَعُ جميعَ معاني الأذكارِ وثمراتها الباطنةِ والظاهرةِ، هو قولُ: «لا إله إلا الله»، وهو الذكرُ الذي يؤمَر بملازمته أهلُ البدايةِ، ويرجع إليه أهل النهايةِ.

ومن سرَّه أن يذوقَ شيئاً من أسرارِ الطريقَة، ويكاشفَ بشيءٍ من أنواعِ الحقيقة، فليعكُفْ على الذكر لله تعالى بقلبٍ حاضرٍ، وأدب وافر، وإقبالٍ صادقٍ، وتوجيه خارق. فما اجتمعَتْ هذه المعاني لشخْصٍ إلا كوشِفَ بالملكوتِ الأعلى، وطالعتْ روحُه حقائقَ العالمِ الأصْفَى، وشاهدَتْ عينُ سرِّه الجمالَ الأقدَسَ الأسْمى.

ولتكُنْ أيها المريدُ مكثراً من التفكّرِ، وهو على ثلاثة أقسامٍ:

ـ تفكّرٌ في عجائبِ القدرةِ وبدائعِ المملكةِ السماوية، وثمرته: المعرِفَةُ بالله.

ـ وتفكُّرٌ في آلاء الله والنعَمِ، ونتيجتهُ: المحبة لله.

ـ وتفكُّرٌ في الدنيا والآخرَةِ، وأحوالِ الخلق فيهما، وفائدتُه: الإعراض عن الدنيا، والإقبالُ على الأخرى. وقد شرحنا شيئاً من مجاني الفكر وثمرَتِه في «رسالة المعاونة»، فليطلُبها من أرادَه.

فصلٌ

وإذا آنسْتَ من نفسك أيها المريدُ تكاسلاً عن الطاعاتِ، وتثاقلاً عن الخيراتِ، فقُدْها إليها بزِمَام الرجاءِ، وهو أن تذكُر لها ما وعدَ الله به العاملينَ بطاعته من الفوزِ العظيم، والنعيم المقيم، والرحمة والرضوانِ، والعزِّ والرفعةِ، والشرفِ والمكانَة عنده سبحانه، وعند عباده. وإذا أحسَسْتَ من نفسك ميلاً إلى المخالفاتِ، أو التفاتاً إلى السيئاتِ، فرُدَّها بسَوطِ الخوفِ، وهو أن تذكِّرَها وتعِظَها بما توعّد الله به من عَصاه من الهوانِ والوبالِ، والخزي والنكالِ، والطرْد والحرمانِ، والصَّغار والخسران.

وإياكَ والوقُوعَ فيما وقع فيه بعضُ الشاطحينَ، من الاستهانة بشأنِ الجنة والنارِ، وعظِّمْ ما عظمَ الله ورسولُه. واعمَلْ لله، لأنه ربك وأنت عبدُه، واسأله أن يدخِلكَ جنته، وأن يعيذَكَ من نارِه بفضْله ورحمته.

ـ **وإن قال لكَ الشيطانُ**، لعنه الله: إنّ الله سبحانه وتعالى غنيٌّ عنكَ وعن عملكَ، ولا تنفَعُه طاعتُكَ، ولا تضرُّه معصيتُكَ.

ـ **فقلْ له**: صدقْتَ، ولكن أنا فقيرٌ إلى فضلِ الله وإلى العملِ الصالح، والطاعةُ تنفعني، والمعصيةُ تضرني، بذلكَ أخبرني ربِّي في كتابه العزيز، وعلى لسان رسوله ﷺ.

ـ **فإن قال لكَ**: إن كنتَ سعيداً عندَ الله فإن لا محالةَ تصيرُ إلى الجنةِ، سواءً كنت طائعاً أو عاصياً، وإن كنت شقياً عندَه فسوف تصيرُ إلى النارِ، وإن كنت مطيعاً فلا تلتفِتْ إلى قوله، وذلك لأن أمر السابقة غيب لا يطلع عليه إلا الله وليس لأحد من الخلق فيه شيء والطاعة أدلّ دليلٍ على سابقة السعادَة، وما بين المطيع وبينَ الجنةِ إلا أن يمُوتَ على طاعته، والمعصيةُ أدلُّ دليلٍ على سالفةِ الشقاءِ، وما بين العاصي وبين النارِ إلا أن يموتَ على معصيته.

فصلٌ

واعلَمْ أيها المريدُ؛ أن أولَ الطريق صبرٌ، وآخرَها شكرٌ، وأولها عناءٌ، وآخرَها هناءٌ، وأولها تعبٌ ونصَبٌ، وآخرها فتحٌ وكشفٌ، ووصولٌ إلى نهايةِ الأرَب، وذلك معرفة الله، والوصُول إليه، والأنسُ به، والوقوفُ في كريمِ حضرته مع ملائكته بين يديه، ومن أسَّسَ جميع أمورِه على الصبر الجميلِ، حصَل على كل خيرٍ، ووصل إلى كل مأمولٍ، وظفر بكل مطلوبٍ.

واعلَمْ أن النفْسَ تكونُ في أول الأمر أمارةً تأمر بالشرِّ وتنهَى عن الخير، فإن جاهدها الإنسانُ وصبرَ على مخالفة هواهَا، صارتْ لوَّامةً متلونةً، لها وجهٌ إلى المطمئنةِ ووجهٌ إلى الأمارةِ، فهي مرةً هكذا ومرةً هكذا، فإن رفقَ بها وسارَ بها يقودُها بأزمّة الرغبةِ فيما عند الله، صارتْ مطمئنةً، تأمر بالخيرِ وتستلذُّه، وتسأنِسُ به، وتنهى عن الشرِّ وتنفِّرُ عنه، وتفرُّ منه. وصاحبُ النفسِ المطمئنة يعظُم تعجبه من الناسِ في

إعراضِهم عن الطاعاتِ، مع ما فيها من الرَّوحِ والأنسِ واللذة، وفي إقبالهم على المعاصي والشهوات مع ما فيها من الغَمّ والوحْشة والمرارةِ، ويحسب أنهم يجدون ويذوقونَ في الأمْرينِ مثلَما يجدُ ويذوقُ، ثم يرجع إلى نفسِه، ويذكر ما كان يجدُ من قبلُ في تناولِ الشهوات من اللذاتِ، وفي فعل الطاعات من المراراتِ، فيعلمَ أنه لم يصِلْ إلى ما هُو فيه إلا بمجاهدةٍ طويلةٍ، وعناية من الله عظيمة.

فقد علمتَ أن الصبر عن المعاصِي والشهواتِ، وعلى ملازمة الطاعاتِ، هو الموصلُ إلى كل خيرٍ، والمبلغُ إلى كلّ مقامٍ شريفٍ، وحال منيفٍ، وكيف لا! وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقال : ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

وفي الحديث: «**من أقلِّ ما أوتيتُم اليقينُ،وعزيمتُه الصَّبرُ،ومن أوتي حظَّه منهما فلا يبالي بما فاتَه من قيامِ الليلِ وصيَامِ النَّهار**».

فصلٌ

وقد يبتلى المريدُ بالفقر والفاقَةِ وضيق المعيشَة،فينبغي له أن يشكُرَ الله على ذلكَ، ويعُدَّه من أعظم النِّعَم، لأن الدنيا عدوّةٌ، والله يقبلُ بها على أعدائِه، ويصرفها عن أوليائه، فليحْمَد الله الذي شبّهه بأنبيائِه وأوليائِه وعبادِه الصالحينَ. فلقَدْ كان سيدُ المرسلين، وخيرُ الخلقِ أجمعينَ محمدٌ ﷺ يربِطُ حجراً على بطنِه من الجوعِ، وقد يمُرُّ شهرانِ أو أكثرُ ما توقَد فيه نارٌ لطعامٍ ولا غيره، إنما يكون على التمْرِ والماءِ، ونزل به ضيفٌ فأرسلَ إلى أبياته التسْعِ فلم يوجَدْ فيها ما يطعمُه الضيفَ، وماتَ يوم ماتَ ودرْعُه مرهونةٌ عند يهوديٍّ في أَصْوعٍ من شعيرٍ، وليس في بيته ما يأكله ذو كبدٍ كفٌ من

شعيرٍ، فليكن قصدُكَ أيها المريدُ، وهمتكَ من الدنيا خرقةً تسْتر بها عورتَك، ولقمةً تسُدُّ بها جوعتكَ، من الحلالِ فقط.

وإياكَ والسمَّ القاتِلَ، وهو أن تشتاقَ إلى التنعُّمِ بالدنيا، وترغبَ في التمتُّعِ بشَهواتها، وتغبطَ المتنعمينَ بها من الناسِ، فسوف يُسْألون عن نعيمِها، ويحاسَبونَ على ما أَصَابوه وتمتعوا به من شَهواتها، ولو أنكَ عرفْتَ المشاقَّ التي يقاسُونها، والغُصصَ التي يتجرَّعونها، والغمُومَ والهمومَ التي في قلُوبهم وصُدورِهم في طلبِ الدنيا، وفي الحرْص على تنميتها، والاعتناءِ بحفظها، لكنتَ ترى ذلكَ يزيدُ بأضعافٍ كثيرةٍ على ما هُم فيه من لذّة التنعُّم بالدنيا، إن كانت ثمَّ لذةٌ.

ويكفيكَ زاجراً عن محبةِ الدنيا، ومزَهِّداً فيها، قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ـ٣٥]. وقولُ رسول الله ﷺ: **«الدنيا سجْنُ المؤمنِ وجنةُ الكافرِ، ولو كانت تزِنُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ ما سَقى منها كافراً شرْبةَ ماءٍ»**. وأنه سبحانه مذْ خلقَها ما نظَر إليها.

واعلمْ أن الرزقَ مقدّرٌ ومقسومٌ، فمِنَ العبادِ من بُسِط له ووسِّعَ عليه، ومنهم من ضُيِّقَ عليه وقُتِّر، حكمةً من الله. فإن كنتَ أيها المريدُ من المقتَّر عليهم؛ فعليكَ بالصبر والرضَا والقناعةِ بما قسَم لكَ ربُّكَ، وإن كنتَ من الموسَّع عليهم فأَصِبْ كفايتَك، وخذ حاجتكَ مما في يدكَ، واصرِف ما بقي في وجُوه الخيرِ وسبلِ البرِّ.

واعلم أنه لا يتعيَّنُ على الإنسانِ إذا أرادَ الدخُول في طريق الله أن يخرُجَ من ماله إن كان له مالٌ، أو يترك حرْفته وتجارَته إن كان محترفاً أو متَّجِراً، بل الذي يتعين عليه تقوَى الله فيما هو فيه،والإجمالُ في الطلبِ، بحيث لا يتركُ فريضةً ولا نافلةً، ولا يقع في

محرَّمٍ، ولا فضُولٍ لا تصلحُ الاستعانةُ به في طريقِ الله، فإن علمَ المريدُ أنه لا يستقيم قلبُه ولا يسلم إلا بالتجرُّدِ عن المالِ، وعن الأسبابِ ألبتّةَ، لزمه ذلكَ، فإن كان له أزواجٌ أو أولادٌ تجبُ نفقتُهم وكسوتهم لزِمَه القيامُ بذلك، والسعيُ له، فإن عَجز عن ذلك عجزاً يعذره الشرعُ، فقد خَرج من الحرج، وسلِمَ من الإثم.

واعلمْ أيها المريدُ، أنك لا تقدِرُ على ملازمةِ الطاعاتِ، ومجانبة الشهواتِ، والإعراض عن الدنيَا إلا بأن تستشعِر في نفسكَ أن مُدّةَ بقائك في الدنيا أيامٌ قليلةٌ، وأنك عما قريبٍ تموتُ، فتنصِبَ أجَلَك بين عينيك، وتستعدَّ للموتِ، وتقدِّر نزوله بك في كل وقتٍ. وإياك وطولَ الأملِ، فإنه يميلُ بك إلى محبةِ الدنيا، ويثقلَ عليك ملازمة الطاعاتِ، والإقبالَ على العبادةِ، والتجرُّدَ لطريق الآخرة، وفي تقدير قرْبِ الموتِ وقِصَر المدَّة الخيرُ كله، فعليكَ به، وفقنا الله وإياك.

فصلٌ

وربما تسلّطَ الخلقُ على بعضِ المريدين بالإيذاءِ والجفاءِ والذمّ، فإن بُليتَ بشيء من ذلك فعليكَ بالصبر وترك المكافأةِ، مع نظافة القلبِ من الحقْدِ وإضمار الشرِّ، واحذَرْ الدعاءَ على من آذاكَ، ولا تقل إذا أصابته مصيبةٌ: هذا بسبَبِ أذاهُ لي.

وأفضلُ من الصّبر على الأذَى، العفْوُ عن المؤذي، والدعاءُ له، وذلك من أخلاقِ الصديقينَ، وعُدَّ إعْراضَ الخلقِ عنكَ نعمةً عليك من ربكَ، فإنهم لو أقبلوا عليكَ ربما شغلوك عن طاعته، فإذا ابتليتَ بإقبالهم وتعظيمِهم وثنائِهم وتردُّدِهم عليكَ، فاحذر من فتنتهم، واشْكُر الله الذي ستَر مساويكَ عنهم.

ثم إن خشيتَ على نفسِك من التّصنُّعِ والتزيُّنِ لهم، والاشتغَالِ عن الله بمخالطتهم، فاعتزلهم وأغلقْ بابكَ عنهم، وإلا فارِقِ الموضعَ الذي عرفْتَ به إلى موضعٍ لا تعرَفُ فيه، وكن مؤثراً للخمولِ، فارًّا من الشهرةِ والظهور، فإن فيه الفتنةَ

والمحنةَ، قال بعضُ السلف: والله ما صدقَ الله عبدٌ إلا أحبَّ أن لا يُشعَر بمكانه. وقال آخَرُ: ما أعرفُ رجلاً أحبَّ أن يعرِفه الناسُ، إلا ذهبَ دينُه وافتضَح.

فصلٌ

واجتهِدْ أيها المريدُ في تنزيهِ قلبك من خوفِ الخلقِ،ومن الطمع فيهم،فإن ذلك يحمِلُ على السكوتِ على الباطلِ،وعلى المداهنة في الدّين،وعلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،وكفى به ذلًّا لصاحبِهِ،لأن المؤمنَ عزيزٌ بربه،لا يخافُ ولا يرجو أحداً سواه.

وإن وصلك أحدٌ من إخوانك المسلمينَ بمعروفٍ من وجْهٍ طيبٍ فخُذه، إن كنتَ محتاجاً إليه، واشكر الله فإنه المعطي حقيقةً، واشكر من أوصله إليكَ على يدِه من عباده، وإن لم تكن لك حاجةٌ إليه فانظُرْ، فإن وجدْتَ الأصلحَ لقلبك أخْذه فخذه، أو ردَّه فرُدَّه برفقٍ، بحيث لا ينكسِر قلبُ المعطي، فإن حرْمة المسلمِ عند الله عظيمةٌ.

وإياكَ والردَّ للشهرةِ، والأخذَ بالشهوة، ولأن تأخُذَه بالشّهوةِ خيرٌ لك من أن ترُدَّه لشهرةٍ بالزهد والإعراضِ عن الدنيا، والصادقُ لا يلتبسُ عليه أمرٌ، ولابد أن يجعلَ له ربه نوراً في قلبِهِ، يعرفُ به ما يراد منه.

فصلٌ

ومن أضرِّ شيء على المريدِ طلبُه للمكاشفاتِ، واشتياقُه إلى الكراماتِ وخوارقِ العادات، وهي لا تظهَر له ما دامَ مشتهياً لظهورِها، لأنها لا تظهَر إلا على يَدِ من يكرهُها ولا يريدها غالباً. وقد تقعُ لطوائفَ من المغرورينَ استدراجاً لهم، وابتلاءً لضَعَفة المؤمنينَ منهم، وهي في حقهم إهاناتٌ وليست كراماتٍ، إنما تكون كراماتٍ إذا ظهرَتْ على أهلِ الاستقامة، فإن أكرمك الله أيها المريدُ بشيءٍ منها فاحمدْه سبحَانه عليه.

ولا تقِفْ مع ما ظهر لكَ، ولا تسكنْ إليه، واكتمْه ولا تحدّثْ به الناسَ، وإن لم يظهر لكَ منها شيءٌ فلا تتمناهُ، ولا تأسف على فقده.

واعلمْ أن الكرامةَ الجامعةَ لجميع أنواعِ الكراماتِ الحقيقيَّاتِ والصُّورياتِ، هي الاستقامةُ المعبَّر عنها بامتثالِ الأوامرِ واجتناب المناهي، ظاهراً وباطناً، فعليكَ بتصحيحها وإحكامِها، تخدِمْكَ الأكوانُ العلويةُ والسفليةُ، خدمةً لا تحجبُكَ عن ربّك، ولا تشْغلُك عن مرادِه منك.

فصلٌ

ولتكُنْ أيها المريدُ؛ حسَن الظنِّ بربكَ، أنه يعينُك ويكفيك ويحفظُك ويقيك، ولا يكلُك إلى نفسك، ولا إلى أحدٍ من الخلق، فإنه سبحانه قد أخبر عن نفسه أنه عندَ ظنِّ عبده به، وأخرجْ من قلبكَ خوفَ الفقر، وتوقع الحاجة إلى الناس.

واحذَرْ كلَّ الحذرِ من الاهتمام بأمرِ الرزقِ، وكن واثقاً بوعْدِ ربكَ، وتكفُّلِه بكَ، حيث يقولُ تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وأنت من جملةِ الدوابِّ، فاشتغلْ بما طُلبَ منكَ من العملِ له، عما ضَمِن لك من الرزْقِ، فإن مولاكَ لا ينساك، وقد أخبركَ أن رزقَك عندَه، وأمرَك بطلبِه منه بالعبادةِ. قال تعالى : ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧].

أما تراه سبحانه يرزقُ الكافرينَ به، الذين يعبدون غيره؟ أفتراهُ لا يرزقُ المؤمنينَ الذين لا يعبدونَ سواه، ويرزق العاصينَ له والمخالفينَ لأمره، ولا يرزقُ المطيعينَ له المكثرين من ذكرِه وشكره؟!.

واعلَمْ أنه لا حرجَ عليك في طلبِ الرزق بالحركاتِ الظاهرة على الوجْه المأذُونِ لك فيه، وإنما البأسُ والحرجُ في عدَم سكُون القلبِ واهتمامِه واضطرابه ومتابعتِه لأوهامِه.

ومما يدلُّ على خرابِ القلبِ، اهتمامُ الإنسان بما يحتاجُ إليه في وقتٍ لم يخرُجْ من العدَم، كاليومِ المقبلِ، والشهر الآتي. وقولُه: إذا نفذَ هذا فمِن أينَ يجيءُ غيرُه؟ وإذا لم يجيء الرزقُ من هذا فمِنْ أيّ وجهٍ يأتي؟.

وأما التجردُ عن الأسبابِ والدخولُ فيها، فهما مقامانِ يقيمُ الله فيهما من عبادِه من يشاءُ، فمن أقيمَ في التجرُّدِ فعليه بقوّة اليقينِ، وسعة الصدر، وملازمة العبادَة، ومن أقيم في الأسبابِ فعليه بتقوَى الله في سببِه، وبالاعتماد على الله دونه، وليحذَرْ من الاشتغال عن طاعَة ربّهِ، وقد تردُ على المريدِ خواطرُ في أمْرِ الرزقِ، وفي مراءاة الخلقِ، وفي غير ذلكَ، وليس ملوماً ولا مأثوماً عليها، إذا كان كارهاً لها ومجتهداً في نفيها من قلبه.

فصلٌ

ولتكُنْ لكَ أيها المريدُ عنايةٌ تامةٌ بصحبَة الأخيارِ، ومجالسة الصالحين الأبرارِ، وكن شديدَ الحرصِ على طلبِ شيخٍ صالحٍ، مرشد ناصحٍ، عارفٍ بالشريعةِ، سالكٍ للطريقَة، ذائقٍ للحقيقة، كاملِ العقلِ، واسعِ الصدْر، حسَنِ السياسةِ، عارفٍ بطبقاتِ الناسِ، مميزٍ بين غرائزِهم، وفطَرِهمْ وأحوالهم.

فإن ظفرْتَ بهِ؛ فألْقِ نفسَك عليه، وحكّمه في جميعِ أمورِكَ، وارجِعْ إليه في رأيه، ومشورتِه في كلِّ شأنكَ، واقتدِ به في جميعِ أفعاله وأقواله، إلا فيما يكون خاصًّا منها بمرتبة المشيخَة، كمخَالطة الناس ومداراتهم، ودعوة القريب والبعيدِ إلى الله، وما أشبه ذلك، فلتسلّمْه له، ولا تعترِضْ عليه في شيءٍ من أحوالهِ لا ظاهراً ولا باطناً، وإن وقع في قلبك شيءٌ من الخواطرِ في جهتِه، فاجتهدْ في نفيه عنكَ، فإن لم ينتفِ فحدّثْ به الشيخَ ليعرّفْك وجْه الخلاصِ منه، وكذلك تخبره بكلِّ ما يقعُ لكَ خصوصاً فيما يتعلقُ

بالطريقِ، واحذَرْ أن تطيعَه في العلانيةِ وحيثُ تعلم أنه يطلع عليكَ، وتعصيه في السرِّ وحيثُ لا يعلمُ، فتقع في الهلاك.

ولا تجتمعْ بأحدٍ من المشايخ المتظاهرينَ بالتسليكِ إلا عن إذنه، فإن أذن لكَ فاحْفظْ قلبكَ، واجتمع بمن أردْتَ، وإن لم يأذن لك فاعْلَم أنه قد آثر مصْلحتَك، فلا تتهمه وتظنَّ به الحسدَ والغِيرة، معاذَ الله أن يصْدُر عن أهلِ الله وخاصّته مثْلُ ذلك.

واحذَرْ من مطالبة الشيخ بالكراماتِ والمكاشفةِ بخواطركَ، فإن الغيبَ لا يعلمُه إلا الله، وغاية الولي أن يطلِعَه الله على بعضِ الغيوب في بعض الأحيانِ، وربما دخل المريدُ على شيخه يطلب منه أن يكاشِفه بخاطره، فلا يكاشِفُه وهو مطلعٌ عليه ومكاشَفٌ به صيانةً للسرِّ، وستراً للحالِ، فإنهم رضي الله عنه أحرَصُ الناسِ على كتمان الأسرارِ، وأبعدُهم عن التظاهرِ بالكراماتِ والخوارقِ، وإن مكِّنوا منها وصُرِّفوا فيها.

وأكثر الكراماتِ الواقعةُ من الأولياءِ، وقعَتْ بدون اختيارهم، وكانوا إذا ظهَر عليهم شيءٌ من ذلك يوصُون من ظهَر له أن لا يحدِّثَ به حتى يخرُجوا من الدنيا، وربما أظهَرُوا منها شيئاً اختياراً لمصلحةٍ تزيدُ على مصلحة الستر.

واعلَمْ أن الشيخَ الكاملَ؛ هو الذي يفيدُ مريدَه بهمّته وفعله وقولِه، ويحفظُه في حضوره وغيبته، وإن كان المريدُ بعيداً عن شيخِه من حيثُ المكانُ، فليطلبْ منه إشارةً كليةً فيما يأتي من أمرِه ويترك، وأضرُّ شيءٍ على المريدِ تغيُّر قلبِ الشيخِ عليه، ولو اجتمع على إصلاحِه بعد ذلك مشايخُ المشرقِ والمغربِ لم يستطيعُوه، إلا أن يرضى عنه شيخُه.

واعلَمْ أنه ينبغي للمريدِ الذي يطلبُ شيخاً، أن لا يحكّم في نفسه كلَّ من يُذكَر بالمشيخةِ وتسليك المريدينَ، حتى يعرِفَ أهليته، ويجتمع عليه قلبُه، وكذلك لا ينبغي للشيخ إذا جاءَ المريدُ يطلبُ الطريقَ أن يسمحَ له بها من قبلِ أن يختبرَ صِدْقه في طلبه، وشدةَ تعطُّشِه إلى من يدلّه على ربه.

وهذا كلّه في شيخِ التحكيم، وقد شرَطوا على المريدِ أن يكونَ معه كالميتِ بين يدي الغاسلِ، وكالطفل مع أمه، ولا يجري في شيخِ التبرُّكِ. ومهما كان قصْد المريدِ التبركُ دونَ التحكيمِ، فكُلَّما أكثر لقاءَ المشايخ وزيارتَهم والتبركَ بهم كان أحسَنُ.

وإذا لم يجِدِ المريدُ شيخاً؛ فعليه بملازمة الجدِّ الاجتهادِ، مع كمال الصدقِ، في الالتجاءِ إلى الله والافتقار إليهِ، في أن يقيضَ له من يرشدُه، فسوف يجيبه من يجيبُ المضطَّر، ويسوقُ إليه من يأخذُ بيده من عبادِه، وقد يحسبُ بعْضُ المريدينَ أنه لا شيخَ له، فتجده يطلب الشيخَ، وله شيخٌ لم يرَه يربيهِ بنظرِه، ويراعيه بعينِ عنايته وهو لا يشعُر، وعند التناصُفِ ما ذهبَ إلا الصدقُ. وإلا فالمشايخُ المحققونَ موجودونَ، ولكن سبحانَ من لم يجعلِ الدليلَ على أوليائه إلا من حيثُ الدليلُ عليه، ولم يوصِلْ إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه.

تتمةٌ

وإذا أردْتَ أيها المريدُ من شيخِك أمراً، وبدا لكَ أن تسأله عن شيءٍ، فلا يمنعك إجلاله والتأدُبُ معه عن طلبه منه، وسؤاله عنه، وتسأله المرةَ والمرّتينِ والثلاثَ، فليس السكوتُ والطلبُ من حسنِ الأدبِ، **اللهُمَّ** إلا أن يشيرَ عليك الشيخُ بالسكوتِ، وأمركَ بترك السؤالِ، فعند ذلك يجبُ عليك امتثاله.

وإذا منعَك الشيخُ عن أمرٍ، أو قدَّم عليكَ أحداً، فإياكَ أن تتهِمَه، ولتكنْ معتقداً أنه قد فعلَ ما هو الأنفعُ والأحسَن لك، وإذا وقعَ منك ذنبٌ، ووجد عليك الشيخُ بسببِهِ، فبادر بالاعتذار إليه من ذنبكَ حتى يرضَى عنك.

وإذا أنكرتَ قلبَ الشيخ عليكَ، كأن فقدْت منه بِشْراً كنتَ تألفُه، أو نحو ذلك، فحدثه بما وقعَ لك من تخوفك تغيُّر قلبِه عليكَ، فلعله تغيَّر عليك لشيءٍ أحدثْتَه فتتوبَ عنه، أو لعل الذي توهمته لم يكُنْ عند الشيخِ وألقاهُ الشيطانُ إليك ليسوءَك به، فإذا

عرفْتَ أن الشيخَ راضٍ عنكَ، سكن قلبُكَ، بخلافِ ما إذا لم تجِدْه، وسكتَّ بمعرفةٍ منك سلامةَ جهتك. وإذا رأيت المريدَ ممتلئاً بتعظيمِ شيخِه وإجلاله، مجتمعاً بظاهره وباطنِه على اعتقادِه وامتثاله، والتأدب بآدابه، فلابدَّ أن يرِثَ سرَّه، أو شيئاً منه، إن بقي بعده.

خاتمةٌ

نذكرُ فيها شيئاً من أوصافِ المريدِ الصَّادق

قال بعضُ العارفينَ، رضي الله عنهم ونفعنا بهم أجمعينَ:

ـ لا يكونُ المريدُ مريداً حتى يجدَ في القرآنِ كلَّ ما يريدُ، ويعرفَ النقصانَ من المزيدِ، ويستغني المولى عن العبيد، ويستوي عنده الذهبُ والصّعيد.

ـ المريدُ من حفِظَ الحدودَ، ووفَّى بالعهُود، ورضي بالموجُودِ، وصبر على المفقود.

ـ المريدُ من شكَر على النعماءِ، وصبَر على البلاءِ، ورضي بمُرِّ القضَاءِ، وحمدَ ربَّه في السراءِ والضراءِ، وأخلصَ له في السرِّ والنجْوى.

ـ المريدُ من لا تسترِقُّه الأغيارُ، ولا تستعبدُه الآثار، ولا تغلبه الشهواتُ، ولا تحكمُ عليه العاداتُ. كلامُه ذكرٌ وحكمة، وصمته فكرةٌ وعبرَة، يسبقُ فعلُه قولَه، ويصدِّقُ علمُه عملَه، شعارُه الخشوعُ والوقار، ودثارُه التواضعُ والانكسار، يتبع الحقَّ ويؤثِره، ويرفض الباطل وينكرُه.

يحبُّ الأخيارَ ويواليهم، ويبغِضُ الأشرارَ ويعاديهم، خُبرْه أحسَنُ من خَبره، ومعاشرته أطيبُ من ذِكره، كثيرُ المعونةِ، خفيفُ المؤونة، بعيدٌ عن الرعونةِ، أمينٌ مأمونٌ، لا يكذب ولا يخونُ، لا بخيلاً ولا جباناً، ولا سبَّاباً ولا لعاناً، ولا يشتغل عن بُدِّه، ولا يشحُّ بما في يده.

طيبُ الطوية، حسن النية، سَاحتُه من كلِّ شرٍّ نقيةٌ، وهمته فيما يقرِّبُه من ربه عليةٌ، ونفسُه على الدنيا أبيةٌ، لا يصِرُّ على الهفوةِ، ولا يقدم ولا يحجِمُ بمقتضَى الشهوة، قرينُ الوفاءِ والفتوة، حليفُ الحياءِ والمروّة، ينصِفُ كلّ أحدٍ، إن أعطيَ شكرَ، وإن منع صبر، وإن ظلَم تابَ واستغفَر، وإن ظُلم عفاَ وغفَر.

يحبُّ الخمولَ والاستتارَ، ويكره الظهور والاشْتهار، لسانُه عن كلِّ ما لا يعنيه مخزونٌ، وقلبه على تقصيره في طاعَة ربه محزونٌ، لا يداهنُ في الدينِ، ولا يرضي المخلوقينَ بسخَط ربِّ العالمينَ، يأنس بالوَحدةِ والانفرادِ، ويستوحشُ من مخالطة العبادِ، ولا تلقاه إلا على خيرٍ يعملُه، أو علمٍ يعلِّمُه.

يرجى خيرُه، ولا يخشى شرّه، ولا يؤذي من آذاه، ولا يجفو من جفاه، كالنخلة تُرْمَى بالحجَر فترْمي بالرطبِ، وكالأرض يطْرَحُ عليها كل قبيحٍ، ولا يخرج منها إلا كل مليحٍ، تلوحُ أنوار صدْقه على ظاهرِه، ويكاد يفصِحُ ما يُرى على وجْهه عما يضْمِره في سرائره سَعْيه.

وهمته في رضَا مولاه، وحرصُه ونهَمته في متابعةِ رسوله وحبيبه ومصْطفاه، يتأسى به في جميعِ أحواله، ويقتدي به في أخلاقه وأفعَاله وأقْواله، متمثلاً لأمرِ ربِّه العظيمِ، في كتابه الكريم، حيث يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٤]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فتراهُ في غاية الحرصِ على متابعة نبيه، ممتثلاً لأمر ربه، وراغباً في الوعد الكريم،

وهارباً من الوعيد الأليم، الواردَينِ في الآياتِ التي أوردتُها، وفيما لم نورِدْهُ مما هو في معناهَا، المشتملة على البشارَة بغايةِ الفوزِ والفلاحِ، للمتبعين للرسُولِ، وعلى النذارة بغاية الخزْي والهوانِ للمخَالفين له.

* * *

اللهم إنا نسألُك بأنك أنت الله الذي لا إلا أنت الحنانُ المنانُ، بديعَ السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، أن ترزُقَنا كمالَ المتابعةِ لعبدكَ ورسولك سيدنا محمّد ﷺ في أخلاقه وأقوالِه وأعمالِه، ظاهراً وباطناً، وتحيينا وتميتنا على ذلكَ، برحمتك يا أرحم الراحمين. **اللهم** لكَ الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانكَ، ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

تمتْ بحَمْدِالله هذه «الرسالةُ للمريدِ المخصُوصِ من ربه المجيدِ بالتثبيت والتأييد والتسديد»، وكان بحمدِالله إملاؤُها في سبعِ ليالٍ أو ثمانٍ من شَهْر رمضَان سنة ١٠٧١ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام».

* * *

[خاتمةُ البابِ السّادس
في ذكر أحفاد الحبيب نفع الله به]

خاتمةٌ تحتوي على لبِّ اللبابِ، وخاصّة الخواصِّ، لأهل المحبّة والإخلاصِ، مَن رعتْهمُ العنايةُ في الأزلِ، واصطفاهم الله عزّ وجل، وخصَّهم بكمالِ العقولِ، وبحسن الخلقِ والأخلاقِ، وبالجدِّ والاجتهاد لرضا ربهم الخلاقِّ، الكريم الرزاقِ، يمنُّ على من يشاء، ويختصُّ برحمته من يشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

وهم أحفادُ الحبيب الحسنِ، جَدُّوا في طلبِ العلومِ، قبل أن يبلغوا بالسنِّ، ونظروا إلى الأكابرِ وتربوا على أيديهمْ، ونظروا إليهم الأكابرُ، بل قد سبقَ لهم من الله الإمدادُ بالدعاءِ لهم من سيدنا عبدالله الحدادِ، جدِّهم الأعلى من الأم والأبِ، أربعين ليلةً آخر الليل خاتمة عمره. وذلك؛ أنه كان لجدِّهم الأقربِ من الأبِ، شيخِ المعارف والعوارف، بقوله: «يا حسَن؛ حسَّن الله عاقبتكَ»، يردّدها ثلاثاً، كما سبقَ ذكرُ هذه الخصوصيةِ، وإليها أشرتُ في المديحة التي مدحته بها بقولي:

وبحسْنِ عاقبـةٍ دعَـا لـه والـدُه　　　خـصَّ بهـا في نسـلِه المتفـرِّعِ

كيفَ وقد قالَ الحبيب عبدالله الحداد، كما ذكره تلميذُه الأحسائيُّ في «كتابه»: «من جلس عندي أربعينَ يوماً يقولُ للشيء كنْ فيكونُ». وكذلك كان يقولُ مثلَ ذلك سيدنا الكبيرُ أحمدُ بن علوي باجَحْدب. وقال في كتاب «غاية القصد والمراد»: «قال الحبيب القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد: غرَسْتُ شجرتي على الظُّهور، فجاءتْ أغصانها كذلك»، انتهى. فمراده بالأغصَان الأولاد والمريدون المنتسبونَ إليه نفع الله به. قال في« شرح: من ذاق طعْمَ شرابِ القوم يدريه»، عند شرحه لهذا البيت:

ونظـرَةٌ منـه إن صـحَّتْ عـلى أحَـدٍ　　　سـبيلِ ود بـإذْنِ الله تغنيـه

قال الشيخُ أبو الحسنِ الشاذليّ: «إن السلحفاةَ تبيضُ وتجلسُ في البعْدِ عن بيضِها، وتربيه بالنظر إليه». فإذا كانت السلحفاةُ تربي أولادها بالنظر إليهم فكيف لا يرَبِّي الشيخُ أولادَه بالنظر! فشتان بين النظرينِ.

قال الشيخ السهروردي في «العوارف»: «كنت أنا وعمّي في (مسْجدِ الخيفِ)، وكان كثير المشي والتردّد، فقلتُ له: ما تريدُ بكثرة التردد؟ قالَ: أريد جماعةً النظرُ منهم على الشخصِ كالإكسيرِ، إذا حلَّ على النحاسِ يصيره ذهباً.

ويروَى أن الشيخَ نجْم الدين الكَبرَى، كان في مجلسِ السماعِ، فإذا بقالٌ يتفرّجُ، فنظر إليه الشيخُفي ذلك الوقتِ نظرةً، وقال له: من أين أنتَ؟ فوصف البقالُ حالَه له، فقال له: اذْهَب وأرشدِ الناسَ، فقد أجزتكَ. فأوصَله إلى الله بتلكَ النظرةِ، وأعطى البقالُ مقامَ الإرشادِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ.

قال الشيخُ أبو الحسنِ الشاذليُّ، في فضل أبي العباس المرسي: «الرجلُ الكامل؛ يأتي إليه الأعرابيُّ يبولُ على سَاقه، فما يأتي آخرَ النهارِ إلا وقد أوصَله إلى الله»، شعراً:

عن المرءِ لا تسل وسَل عن قرينهِ　　　وكـل قـرينٍ بالمقـارَنِ يقتَـدي

انتهى.

* * *

وكان سيدُنا الحسنُ كوالدِه، وهّابَ النظرةِ في الحضْرة، وقال الحبيب عبدالله الحداد، كما ذكر تلميذه عبدون بن قطنة، في «كتابِهِ» للواقِعة التي حدثتْ على سيدنا عبدالله الحداد من الوارداتِ الإلهية، قال نفع الله به: «نحن مستورونَ في الدنيا والآخرة»، يعني بذلك نفسَه وأولادَه ومريديه وأصحابه. وقالَ نفع الله به ذلك، لأنه كان في وقته الذي تكلم فيه فتنةٌ وظُلمٌ وقعَا على أهل (تريم)، وتجوَّر أناسٌ جملةٌ منهم

بحَوطته، المكانِ المسمّى (حاوي تريم)، أي: ما نتخوّف إلا على أهل (تريم)، وأما نحنُ وأولادُنا ومريدُونا وأصحابنا مستورونَ في الدنيا والآخرة.

* * *

فانظر إلى هذه النعمة الكبيرَةِ، التي ما ينطِق فيها إلا عن إذنٍ ربانيّ، كيفَ وقد ورد عن النبي ﷺ في الحديث القدسِّ عن الله: «**ما زالَ عبدي يتقرّب إليَّ بالنوافلِ حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمْعه الذي يسمَعُ به**»، إلى أن قال: «**ولسَانه الذي يتكلّم به**»، كما ذكره الإمام ابن حجر في «شرح الأربعين النووية» في (الحديث الثامن والثلاثين).

فما تكلمَ أنهم مستورون في الدنيا والآخرةِ، وأن من جلسَ عنده أربعينَ يوماً، أي: مع التلقي والاستعدادِ والتأهُّلِ للمقاماتِ، مع صلاح النياتِ وحسن الطويّاتِ، وكمالِ التعظيم لله ولرسولهِ، وللشريعة، ولشيخِه، وللمسلمينَ، وأنه إذا قالَ للشيءِ: كُنْ، فكانَ بإذن الله، إلا لأنَّ كلامه وفعْلَه عن الله، كما ورد في هذا الحديثِ.

بل بعضهم وصَلُوا إلى حضرة سيدنا وحصَلتْ لهم الفتوحاتُ والجذباتُ، لحسْنِ الاستعدادِ، وبعضُهم عند رؤيتهِ قبْلَ أن يصافِحه، كالسيد محمد باعمر، وبعضُهم في أيامٍ قلائلَ، وبعضُهم في مجلسٍ، كما ذُكر عن باشراحيل: أنه دخلَ على سيدِنا درويشٌ في طريقٍ، وحصلتْ عليه في مجلسِه الخلَعُ والأنوارُ في ذلك المجلسِ، كما ذكرهُ الحبيب محمد بن زين بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد».

وقد قال سيدُنا: «من ربيناهُ يفوقُ غيرَه»!. لأن الجليسَ من الجليسِ، والخليلَ من الخليلِ، فكيف وسيدُنا عبدالله الحداد لقّبَ بحدادِ القلوبِ، لما نظروه عياناً، يجلو الصدأ من القلب. قال سيدنا أحمد بن زين الحبشي: لو خرجَ سيدي إلى المقابرِ، وقال لأهلِ المقابر: قومُوا، فقاموا، لم يزدْ في اعتقادي فيه شيئاً، لأني أنظرُه دائماً يحيي مواتَ الجهلِ من قلوبِ الخلقِ بنور الله. قالَ الحبيبُ أبوبكر بن محسن باعبود باعلوي، في

مديحةٍ أولُها:

* يا راحلينَ لذاك الحيِّ والنادِي *

مـــا لقَّبُـــوه بحَـــدادٍبلا غـــرَضٍ   بل شاهدُوه عيانا يجلُو الصَّادِي

* * *

فتربى سيدنا الحسنُ عندَ والدِه، وأولادُه تربوا على يديه كلهم، وحنكَهم عند الولادة، وأولُ ما يدخلُ جوفَهم ريقُه المباركُ الشفاءُ الترياقُ المجرّب، يمضَغُ التمْر بفيه ويطرحُه بيده الشريفة في فمِ كلِّ مولودٍ منهم، وآخرُهم سيدي الصنوُ عليّ، فإنه حنكَه بيدِه، وهو أصغرهم سنًّا، ويؤذنُ في آذانهم، ويقيم الصلاةَ كما وردَ: الأذان في اليمينِ، والإقامة في اليسرى.

وكان يلقنهم الذكْر المتقدّم ذكرُه في (الباب الأول)، الذي كان يلقنه إياهُ في صغره والدُه الحبيب عبدالله الحداد مع إخوانه كلمةً كلمة، ويعتني بتربيتهم بنفسِه الشريفة، حتى لو فعلَ واحدٌ منهم في أخيهِ أمراً يكرَهه، ما يجازيهِ، خوفاً من جدّه، بل يشتكي عند جدِّه وينصِفه بنفسْه، ويأمره بأدبه. وتربوا على سيرةٍ محمديةٍ في المجلسِ والمنطقِ والمدخَلِ والمخرجِ، وفي غاية الآدابِ، لا يكلُهم إلى النسَاءِ إلا في الذي يليقُ منهنّ، بل حين يترعرَع الصبيُّ ويقدر على المجيءِ إلى عندِه، ولا يأكلُ في غداءٍ ولا عشَاءٍ إلا بحضرته، ويؤدبه ويقهَرُه من الصّغرِ، حتى ينجُبَ في الكبر.

وكانَ مع شدة هيبتهِ، وعُظْم منزلته، يترفق بهم بحيثُ ما تسقطُ الهيبةُ، وأموره كلها على الوسطِ، ويحفظُ ما يجيء من عندِ الزائرين والمعتقدينَ، من السِّمسمِ، وهو الجلْجِل بلغتنا، وغير ذلكَ، كالحلْوَى، والمبسل، والزبيب واللوز والسكّر، يحفظُ الجميعَ عنده، كما كان والدُه الحبيبُ عبدالله الحداد يفعلُ ذلكَ، ويقسّمه عليهم كلّ يومٍ، وعلى صغار البلدِ، للحديث النبوي: **«في الجنة دارٌ لا يدخُلها إلا من فرَّحَ**

الصِّبْيانَ»[1]، ويعلمهم الواجباتِ كلَّ يومٍ، صباحاً ومساءً، ويعظِّمُ لهم قدْرَها، ويحذرهم من المحرَّماتِ، ويعْلمُهم بآفاتها، كما قال الإمامُ أحمدُ الرملي رحمه الله في وصفِ الصبيّ:

إذ قلبُـه كالشّـمعَةِ المقصُـورَةْ ... مجـوهَرٌ يقبَـلُ كـلَّ صُـورَةْ

فينبغِـي لهـمْ بـأن يعَـوِّدُوا ... أولادَهم فعلَ التقَى ليسْعَدُوا

* * *

[ذكر الشريفة شيخَة بنت الحسين بن عبدالله الحداد]

وبعدَ الولادة وقْتَ الحضَانة؛ كانَ رضي الله عنه يحذِّرُهم من الرضَاع من الرَّديئاتِ، بل لا ترضِعُهم إلا والدتُهم الشريفةُ الكاملةُ، العاقلة الأديبةُ، شيخَة بنت الحبيب حسين، المبشَّر بها قبلَ ولادتها، بل قبلَ أن تحملَ بها والدتُها بسنينَ.

وذلك؛ على ما أخبرتني الشريفَةُ السيدة العابدة، سلمى بنت الحبيب عبدالله الحداد، وكذلك عن جملةٍ من المعاصرينَ لسيدنا عبدالله الحداد، وكذلك عن والدتها فاطمة بنت سَلمان القَصِيري التميميّ، **قالوا**: تزوج عليها الحبيبُ الحسين بن عبدالله الحداد قبلَ مسيره إلى الحجّ سنةَ ١١١٨، دخلَ بها وحملتْ منه ببنتٍ اسمُها شيخَة، ثم بولد اسمه علي، ثم حصَلتْ معها غيرةٌ لما تزوّجَ على بعضِ النساءِ، وكان الغالبُ يجتمعْن في عَقد سيدنا الحسَين ثلاثٌ وأربعٌ، ثم ماتت البنتُ شيخَة مدّةَ غَيرتها، وأخذ ولدَه عليًّا عندَه، وكانت تطلع إلى (الحاوي) من مكان أهلهَا (وادي بيت جبير) المعروف، لتنظُرَ ولدَها.

ولما كان يومٌ من الأيامِ، بعد مدْرَس القطبِ الحبيب عبدالله الحدادِ الذي بعْد

---

(١) أورده السيوطي في «الجامع الصغير»، ورمز لضعفه.

صَلاة العصر، قريبَ غروبِ الشمسِ، لأنه يجلسُ من عادتِه تحتَ الدَّكة الشرقية، شرقيَّ بيته المعروف المشهور، يقرأ أولادُه هناكَ، وكانت بنتاهُ عائشةُ وسلْمَى في الدارِ قريباً منه، يسمعانِ كلامه الآتي، فلما رأته الجدَّة فاطمةُ بنت سلمان، وصلَتْ إلى حضرته، وقبلَتْ قدَمه ويدَه، لأنها ما تنقضُ عليه، لكونها زوجةَ ولده الحسينِ المذكور، فآنسِها ورَحَّبَ بها كثيراً، ثم قال لها: أما تسُدِّين وتصطلحين أنتِ وولدُنا الحسين؟ قالتْ له: إنه تزوجَ على نساءٍ غيري، فمالي وله!. قال لها: خلّيه ينهي ما عليه، هذا مكتوبٌ عليه منَ الله عز وجلّ، اصطلحي أنتِ وإياه، تقعْ فيكِ البركَة وفي أولادكِ، وستحملينَ ببنتٍ سمِّيها شيخَة، سميّةَ أختِها التي ماتت قبلَها، وهي عمامةٌ برأسي، وأشار بيدِه الكريمة على رأسِه الشريفِ، قالَ: وستجيب بأولادٍ لنا، ينزلونَ منزلي، ويحلّون مكاني هذا، وضربَ بيده الشريفة المباركَة على الأرضِ، قالتْ: فقلتُ له: خاطرَكْ!. وفرحَتْ بذلك كثيراً.

ثم بعد مدّةٍ جاء سيدي الحسينُ آخر عمرِه إلى عندي، واصطلحتُ أنا وإياه، فحملتُ منه ببنتي شيخة هذه، إتماماً لما وعدَ به جدُّها.

* * *

فكانتْ لها من حين الصِّغر وقائعُ عجيبةٌ، وخوارقُ ظاهرةٌ، وللناسِ فيها اعتقادٌ كبير، ويحفظوا لها كراماتٍ، وكانت صاحبةَ فراسةٍ، لا تتكلم بشيءٍ إلا وقعَ، ناطقٌ من الله على لسانها، وكانتْ في السخاءِ آيةً باهرةً، كالرّيح المرسلة.

ولها في عمارة مقامِ الحبيبِ وأضيافه والقَهْوة في مسَاجده المعتادة اليدُ الطولى، توفيت سنة ١٢١٢، على الكمالِ والتوجه التامّ، لثمانٍ وعشرينَ في رمضانَ، ودفنت في جنان بشّار، بمقبرة جدّها القطبِ عبدالله الحداد، ورُئي لها بعد موتها مرائي عظيمَة صالحة، يؤْذِنُ لها بمقامٍ عظيمٍ في البرزخ، كما أنّ لها في حياتها نفعٌ متعدٍّ، وشهرةٌ

واستقامةٌ من المواظبةِ على الصلواتِ الخمسِ والذكْرِ، ولا يجيء وقتُ السحَر إلا وهي متهيئةٌ للعبادةِ، وتفعل قهوةً قبلَ قيامِها، وعليها إذا نظرْتَها هيبةُ الولايةِ، ولها هممٌ عوالٍ، وبأس شديدٌ، وتدبيرٌ وافر، وسياسةٌ، إلى أن ماتتْ. لأنها ولدَتْ سنة ١١٤٠، وتوفيتْ سنةَ ١٢١٢، عمِّرَتْ ثلاثاً وسبعين سنةً. وكانت لها مرائي حسنةٌ تدلّ على صلاحِ حالتها، ما يقع شيء في الغالبِ إلا وتقدمَتْ لها رؤيا، خصوصاً ما يقعُ في (تريم) ونواحيها.

وكنتُ أسمعُ سيدنا الحسنَ نفع الله به يقولُ كثيراً: هي أحسنُ منكم في أمورٍ كثيرة، وكانت بارةً به، وحصلتْ لها منه الفتوحاتُ العظيمة، والمنوحاتُ الكبيرة، منها قوله لها: «أنا معكِ في كلّ حالٍ، لا تخافين، في حياتي وبعد مماتي».

وكانت لها معه وقائعُ كثيرةٌ، وهباتٌ جزيلة، لا حاجة لذكرِها، بارك الله لها في ذلك، ويكفيها من سعادتها أنّ زوجها إمامُ وقتِهِ، وأعلَمُ أهل طبقتِه، قطب العلوم والأحوال، الوالدُ أحمد، ومن السّعادة لها ولأولادها، كما هو مشهورٌ ومذكور: أن والدتَه وقْتَ الحملِ وجدَتْ منه ثقلاً، فجاءت عند سيدنا عبدالله الحداد، وأكبّتْ على ركبتيه تبكِي، وقالتْ له: إني أحسُّ معي من هذا الحمْلِ تعباً، أخافُ أني أموتُ منه، قال لها: لا تخافين في بطنش عالم (تريم)، فاستبشرتْ بكلامه.

فلما توفي قاضي (تريم) الحبيب علوي بن أحمد بن سميط، قالتْ لزوجها سيدي الحسن، وهو في الدهليزِ وأنا عندَه: إني أخافُ من كلمة الحبيب عبدالله الحداد على أحمد أن يتولى القضَاء بـ(تريم)، لأنه قال جدُّه: عالم (تريم)، فقال لها سيدي الحسن: كذلكَ جدّه الحبيب عبدالله الحداد عالم (تريم)، ولا تولى القضَاءَ، والحمدُلله رب العالمين حمداً يوافي نِعمَه ويكافئُ مزيدَه، على هذه الخصوصياتِ الكبيرة، الذي اختتموا بها أولادُ سيدي الإمام الكبير، والعلم الشهير، شيخ الزمن، وخصوصاً

لأهل (حضرموت)، و(مكة)، و(اليمَن)، سيدنا الوالد أحمدُ بن الحبيب الحسن بن القطب عبدالله الحداد.

* * *

رجعنا إلى ذكْر أحفادِ سيدنا الحسن، كان جدُّهم يحبهم ويحبُّ من يحبهم، ويحسِنُ إلى من أحسنَ إليهم، ويدعو له بجمالة الدارينِ، وحسْنِ الخاتمة والعاقبةِ، ويبغضُ مبغِضَهم ويقطعُه من حضرته، ولا يحب أن ينظُر إليه إلا إن تابَ ورجعَ إلى أحسنِ الأحوالِ، ويقول: إني أشفقُ على خروجِ واحدٍ من الأولاد حتى إلى (وادي دمّون) ساعةً ويرجع، إني أخافُ عليه جدًّا، وإذا سافر واحدٌ منهم أنظره حتى عندَ صلاتي في القبلةِ يواجهني، قال: لأني مجربٌ قلبي يميلُ لمن يتعلقُ بي كثيراً، فلهذا أكرَه من يتعلق بي غيرهم.

وكان يدعو لهم في كل صلاة ودعاءٍ، وكنتُ أسمعه إذا سافرَ واحدٌ منهم يدعُو له في حضَرات الأولياءِ والأكابرِ من سلفه، من حين يدخل المقبرة، ويسأل أهل الولاياتِ الباطنةِ أن يدعون لهم ويمسحُونَ على رؤوسهم، مثل السيد محمد بن سميط، وأخيه عُمَر، وكذلك قاضي (تريم) علوي بن سُمَيط المتقدّم ذكرُه، وكذلك الولي أحمد بن عبدالرحمن بن سميط ساكن (المحَيضِرة)، بيته تحتَ البلد (تريم)، وكذلك الإمام جعفر بن أحمد بن زين، وإخوانه، وكذلك السيد علي بن عبد الله صاحب (سيون)، وكذلك العلامة سقاف بن محمد بن [عمر بن] طه، والسيدين حامد وعلوي ابني العارف عمر بن الحامد المنفِّر باعلوي، هؤلاء من السادة، وغيرهم من العرَب، ومن السادة أهل البلَدِ وغيرها، كما شهِدْنا ذلك في الأكثَر، وسمعْنا بذلك في الأقل.

وكان يسمّيهم بأسمائهم يومَ السابعِ من وقت الولادة، ومن حين يولَدُ أحدُهم

إلى أن يبلغَ سبْع سنينِ وهو عندَه، يربيه ويعلمه الآدابَ، ثم يطلّعُه في السابعةِ إلى عند المعلِّم عُمر بن عبدالله باغريب، المتقدم ذكرُه.

* * *

[ذكر المعلم عمر باغريب، مرة أخرى]

وكان المعلّمُ هذا وليًّا إماماً مقدماً، مشهوراً بالبركاتِ، علَّمَ من الناسِ من أهل (تريم) آلاف، ومن السادة ما ينيفونَ على الألفِ، حتى منهُم الوالدُ أحمدُ، والعم الحامد بن عمر، ومن في طبقتهم، وأولادهم، وأولاد أولادِهم، ثلاثَ طبقاتٍ من السادة علمهم القرآنَ، هو بعدَ والده قرأ الوالدُ على والدِه نحوَ الربع، والباقيَ عليه، وجلس يعلم الناسَ وسنُّه نحوَ اثنا عشر سنةً، إلى سنة ١٢٠٧، وبلغ من العُمر ثمان وثمانين سنة، ختمَ القرآنَ في مسجد باعلوي، مع أحمد بن عمر بن علي الحداد على سيدنا عبدالله الحداد.

قالَ: وكان والدي يومَ الجمعة يأمرُني أصلِّي معَه الجمعةَ لأجْلِ أنظر سيدي عبدالله الحداد، ويصافحُه الوالدُ بعد الصّلاةِ، فإذا صافحتُه بعدَه قال له: من هذا؟ قال له: ولدي عمر، قال له: لا تضيّقْ عليه، خله وقتَ الصِّغَر يخرِّجْ ما معه، ربَّما يحصِّل حصْر وقتَ الكبر، فكان كذلكَ، جلس يعلِّمُ الناسَ صغيراً، وحصَل عليه حصرُ الجسْمِ في المكتب، طولَ يومِه يعلمهم. وفي الغالب الذي عنده ثلاثُمائةِ صبيٍّ كلّ يومٍ، وقد يبلغونَ أربعَمائة وخمسمائةٍ، وقد عدُّوا من نحو السادةِ بني علوي تعلمُوا عندَه القرآن جميعَه، كما ضبط ذلك بالكتابة، وذلك أنه كلما ختمَ واحدٌ منهم كتبَ اسمه، وأما من أهل البلد من غير السادَة فخَلقٌ كثيرٌ، وجم غفير.

سمعتُ بعضَ أكابر السادة يقول: إنه، أي المعلم، في مقامِ الكَنْزيّة، مقامِ الشيخ سعد السويني، بل إذا سمعتَه يطنبُ في مدْحه، يقولُ: هو أكبر من الشيخِ سعدٍ. توفي

سنة ١٢٠٧، وقد تقدم ذكرُه في (الباب الخامس)، فانظره هناك.

فكان معظَّماً مفخَّماً عند الخاصِّ والعامّ، متفقهاً في أمر دينه، يقرأ عليه من ختَم القرآنَ من أهل المكتبِ «عقيدةَ الإمامِ الغزالي» في الغالبِ، و«مختصر بافَضْل الكبير» و«الصّغير»، وكان يحفَظُ من سير السادة بني علوي وأقوالهم، وكذلكَ من صالحي بلده، شيئاً كثيراً، حجَّ حجّة الإسلامَ، وزار نبيَّه عليه أفضَلُ الصلاةِ والسلام، وجملةً من صالحي (اليمَن)، وحصَل له ما كان تمناهُ من قبلُ. وقد رأى الحبيبُ الحسنُ كأنّ والدَه يوصيه به وإخوانه في المنام، في واقعةٍ عجيبَةٍ، ذكره الحبيبُ محمد بن سميطٍ في كتابه «غاية القصْد والمراد».

وكذلك والدُه، ذكرَه الشيخ أحمدَ الشجَّارُ الأحسَائيُّ في كتابه «تثبيت الفؤاد»، له تعلقٌ، وأنه خرج مع سيدِنا إلى (الغَبْرة) في مِدادٍ، فُسْحة، ولزيارةٍ واستشارةٍ في أن يفعل جابيةً للماءِ في ذلكَ المكانِ، فقال له: ما فعلوه السلف، وكذلك استشارَه في بنائه مسجد باجابر، وغير ذلك.

وكان ولده عُمر علَّمَ جميعَ أولادِ الحبيبِ شهاب الدين أحمدَ، وكان يكرمُه الحبيب حسن، ويعطيه شيئاً من لباسِه أو تبركَاته، خصُوصاً عند كلّ جزءٍ وسورةٍ، يأمر بخروجِه إلى عندِه، يضيفُه هو وأولادُه، ويستوصيه بأحفادِه خصوصاً، وببقية النّاسِ عموماً. وقد قال القطب الحبيبُ عبدالله الحداد: «جعلَ الله في الإنسانِ قابليةً في كلِّ شيءٍ، لكونه يريدُ أن يجعلَه محلًّا لخطابِه، فلو لم يكُنْ قابلاً لكلّ شيءٍ لم يكُنْ أهلاً لخطابهِ تعالى، وقد قالَ سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر: ٢١] الآيَةَ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، الآية».

* * *

[ذكر السيد عمر بن أحمد بن الحسن الحداد]

فأكبر أولادِ الوالدِ، الأخُ عمر، سماه باسْم سيدِنا عمَر المحضار بن عبدالرحمن، بإشارةٍ سبقتْ له من الشيخِ عمر المحضَار، وأرّخَ ولادته، ومن خطه نقلتُ، مع حذفٍ واختصارٍ:

«ولد المولودُ المعمَّر السعيدُ، عمر بن أحمَد، ليلـةَ الاثنـين، خـامسَ شـهر شعبانَ، سنةَ ١١٥٩»، انتهى من خطه.

وكان لا يرَى فينَا كابنِه عمر المذكور، ويشير إليه جدًّا، ويراقبه، ويرى أفعاله مستحسنةً كلها، فلهذا ولاه أمورَ البيتِ أيامَ حياته بعد وفاةِ جدِّنا الحسن. وكان الحبيب الحسنُ يحبه ويشيرُ إليه، وله به عنايةٌ تامة، وتربية خاصّةٌ، وكثيراً ما يقولُ له وقْتَ صغرِه إذا رآه: «يا عُمَر يا عُميِّر طولَ الله عُمَيرك .. »، الخ كلامه.

وبعد بلوغه السبعَ السنينَ، طلّعه المكتبَ عند المعلّم عمر باغريب، المتقدم ذكره، وختمَ القرآنَ عندَه، والعيادَةُ أتمها على والدِه، مدّةَ حياتها قرأ عليهما كتباً عديدةً لا تحصَى، لاسيَّما على والدِه، ولم يرخِّصْ له في الخروجِ من (الحاوي) والبلدِ (تَريم) إلا ملازماً له، لا يفارقه في مدارسِه وزياراته وحضراتِه، وكلّفه بيتَه وتدبيرَ دخْلِه وخرْجِه وأضْيافه، إلا أيامَ حجّه أذنَ له لإسقاطِ الفرْض وزيارة سيد المرسلينَ ﷺ، وزار سنةَ ١١٩٦، وخُصَّ من بينِ الأحفاد بأمورٍ، منها: أنه أولُ من سمَّى ابنه باسمِ جدِّه الحسن، وإن كان كلًّا من إخوانِه سمَّى باسْم جدّه الحسن، وهم: علوي، وعبدالله، وحامد، وعبدالرحمن، وحسين، وعلي، إلا محمداً في نيته أن يسمّيَ وعلى عزمه.

* * *

[ذكر ابنه؛ الحسَن بن عمر بن الحسن الحداد]

قال الوالدُ في ولادة حفيدِه الحسَن بن عمر، ومن خطه نقلتُ باختصار:

«ولد المولودُ المبارَكُ، الحسَنُ بن عمَر، ليلةَ الثلاثاءِ، ثاني شهر جماد الأول، سنةَ ١١٩٠ من الهجرة على مشرِّفها أفضَلُ الصلاة والسلام».

ثم رباه جدُّه المذكورُ ووالده، وحَظَّا عليه نظرَهما، ولما بلغ السبعَ السنين طلَّعه جدُّه إلى المكتبِ عند المعلم عمر باغريب، كوالده وجدّه، عند المعلم الأنور، ولما ختم القرآنَ، فعل جدُّه ضيافةً كبيرةً عامةً، وختم في (مسجد الحاوي) على جدِّه في جموعٍ عظيمَةٍ على عادة البلد (تَريم)، ثم أعاد القراءة ثانياً على المعلمِ، فلما ختم الإعادَة ابتدأ على جدِّه يقرأ في «المختصر» في مدرس الاثنينِ والخميسِ، وفي يوم الأربعَاءِ والسبتِ على والدِه عمر، ثم بعد وفاةِ جدِّه لازمَ قراءةَ الفقه يوم الاثنينِ والخميس على والدِه، ويوم الأربعاء والسبت على عمِّه مؤلفِ الكتابِ هذا. وأما مدْرَسُ بعد صلاة العَصر، كل مدْرَسٍ في هذا الوقتِ يقرأ مدّة حياةِ جدّه على جدّه أحمد، قرأ عليه في كتب الحبيب عبدالله الحداد، ومن بعد جدِّه على والدِه قرأ كتباً كثيرةً، وجدَّ واجتهدَ، وحصَّل، لما أعطى العلم كُلَّه، لأنه يقالُ: أعط العلْمَ كلَّكَ يعطيكَ بعْضَه، والآن بعد الزواج على عادتِه في الطلبِ، لأنه لم يسافرْ، إلَّا في (الحاوي) الميمون، فتحَ الله عليه وبارك فيه، آمين.

* * *

رجَعْنا في الكلامِ في سيرة الأخ عُمر، كان آيةً في السخاءِ والبذلِ للمالِ على الاتّفاقِ، مع البشاشَة وطلاقة الوجْه عند الإنفاق.

لــه همـــمٌ لا منتهَــى لكبارِهَــا   وهمتُـه الصُّـغرَى أجـلُّ مـن الـدَّهْرِ

يعاملُ من جفَا بالمودّة والصفَاء، يكرَه الشهرَة والظواهر، محافظاً على سيرةِ سلفِه فيما يعملُ ويفعل ويقولُ، مقتفياً آثارهم في الورُودِ والصدور، لم يترك عادةً من عبادةٍ أو مدْرَسٍ أو أورادٍ أو زيارةٍ رتبُوهَا، فصار علماً يهتدَى به بعدَ والدِه وجدِّه، صبر واحتسَب وأعطَى متابعتهما جهْدَه، فعمَر الله به المكانَ، واستنار به الزمانُ، عكفَتِ الطلبةُ عليه لطلب العلومِ بـ(الحاوي)، حوطة جدِّه عبدالله الحداد، حتى أعلمَني ثلاثةُ نفرٍ من أهل بلدنا (تريم): رأوا في المنام أن جدَّه يشيرُ إليه. وأخبرني بعضُ السادة: أنه رأى جدَّه يقولُ له: إني أتقصَّى على مركوبِ عُمر، فناهيك بعنايةِ جدِّه به، وجده الثاني، ووالده.

وأريَ بعضُ الأخيار والدَه يقول: يدي ويد ابني عُمرَ واحدةٌ. وقال له والده قُرْبَ موته: كُن لأولادي كالأرْض[فيه إشارةٌ إلى أنه يحمِلُ كلَّما صدَر منهم، ويصير لهم كالأب الشفيق.

وسافر إلى (دوعَن) لزيارة الشيخ سعيد العمودي، وسيدنا القطب أبي بكر بن عبدالله العيدروس سنةَ ١١٧٧، فهي أولُ زيارةٍ له بإشَارةِ جدِّه ووالده أيضاً، وزار الشيخَ سعيد العموديَّ مرةً ثالثةً، حين قصد الحجَّ، فحصَل عليه مرضٌ بـ(دوعن)، ورجعَ، قال له جده: عادك إن شاء الله تحجّ في أحسَنِ الأوقات، فحجَّ هو وأخوه محمد سنة ١١٩٦، وأرخ حجَّه بعضُ السادة بقولِه: «حجُّهُ ظَفرٌ»، جملة (١١٩٦)، وزار جدَّه سيد المرسلينَ صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه، وله في حجه كأسفارهِ وقائعُ وكراماتٌ وخوارقُ عاداتٍ.

ومع رجوعه من المدينة خرجَ على (اللُّحيَّةِ) هو وصنوه محمدٌ، وزارا جميع أولياء (اليمَن)، بعد زيارته لكافة أولياء (تهامَة)، ثم خرج من (المخَا) برًّا إلى (عدَن) وإلى (أحْوَر)، وإلى (المكلَّا) و(غيل باوزير)، و(الشحر)، ولا علم بوليٍّ لله حيًّا أو ميتاً إلا زارَه هو وصنوُه محمد وأتباعه، ممن معه في سفره المبارك هذا، وذلك بإشارة والده.

فلهذا ظهر معنى كلام جدِّه له: «ستحج في أحسن الأوقات»، أي أحسَن الأوقاتِ له، فقد فاز في سفره هذا بخصوصياتٍ ومبشِّراتٍ، قال: لما زرتُ الشيخ أبابكر العيدروس في (عدن)، رأيته ألبسَني القبعَ الشريفَ قبْعَ آل أبي علوي.

ولما وصلنا (الشِّحْر)، رأيتُ كأني أقرأ على سيدنا عبدالله الحداد الدعَاء الذي ختمَ به «قصيدته العينية»، من قوله:

يـا ربَّنـا يـا ربَّنـا أُلطُـفْ بنَـا ... واغْفِر لنا وارحَمْ وألِّفْ واجمعِ

إلى آخرها. **قلتُ**: وزار نبيَّ الله هودَ مع جدّه ووالدِه مدّةَ حياتهما، وأما بعْدَ وفاتهما فهو المقدَّمُ على إخوانه، والقائمُ في مقام سيدنا عبدالله الحداد ووالدِه في زمانه، وإخوانُه معاونون له على مقتضَى وصيةِ الوالد أحمدَ، وستأتي ترجمته.

فقامَ هو وإخوانُه بإحياءِ مآثر أسلافِهم أتمَّ قيامٍ، من المدارِس وبذْلِ المال، وعِمارة الأوقاتِ، على ما وزّعه الحبيبُ عبدالله الحداد وأولادُه من بعده، من عبَادةٍ وعادةٍ وإيواءِ القاصدينَ، والضيافاتِ المعتادة، والقيام بالإرشاد في المدارسِ، مع القيام بالطلبة للعلم، زادهم الله من فضله، وقدر الله على يديهم عمارةَ المقام العظيم، والمنصب الكبير، وتجددت آثارٌ وصدقاتٌ وتقريراتٌ، وعُمَر الأقدَمُ فيهم سنًّا وحالاً، وله فهمٌ وقّاد، وغايةُ اجتهادٍ في سلوك سبيلِ الرَّشادِ، جمع الله له حسْنَ الخلق والخلُقِ، وسخاوة النفسِ وفصاحةَ المنطقِ، فيه كثيرٌ من عزماتِ جدّه الحسن وهمته، لا يبالي بإقبالِ الدنيا وإدبارِها، ولا بما يلبَسُ من الثيابِ، لا تأخذه في الله لومَةُ لائمٍ، صاحبُ نياتٍ صالحة، وسريرة منيرة، وطوية حميدة، ومن أعظَمِ نعم الله عليه بعْد الإسلام والسنّة والجماعة وصحة النسبِ وجمعه الشريعةَ والطريقةَ، رضَا والديه عنه، وقيامُه بمدارِس جدِّه الحبيبِ عبدالله الحداد، وزياراته وعوائده وعاداته.

* * *

انتفعَ سيدي عُمر بسيدنا عمر بن زين بن سميطٍ، وألبسَه مراراً، خصوصاً بعد وفاة والدِه، واعتنَى به، وأجازَه في الإلباسِ للطالبينَ، وفي أورادٍ مخصوصةٍ له، وعامةٍ. وكذلك العمُّ الجليلُ حامد بن عمر حامد، فيما يرويه، واعتنى به أكثرَ من غيره، ويخصُّه بسرائرَ وأحوالٍ عجيبةٍ، ويفخّمُه ويثني عليه، وألبسه مراراً عديدة.

وبالجملةِ، فقد اعتنَى به والدُه عنايةً كليةً وافرة، حصلَتْ له بها إمداداتٌ عظيمةٌ، وإن كان جلّ أخذِه، بل جميعُ ما معَه ولدَيه من جدِّه ووالدِه العلامة أحمد، بل حضرتُ إذْنَ الحبيبِ الحسنِ لما أجازَه في كتبِ والده وفي أوراده وغير ذلكَ، وأذن له جدُّه للتدريسِ في الفِقْه لما سَار والدُه لزيارة الشيخِ سعيد العمودي سنةَ ١١٨٠، وهي أولُ زيارةٍ للفقيرِ مع الوالدِ بحمْدالله، فتصدّر وفتحَ الله عليه إلهام، ببركة إشارة جدّه الحسن، وأيّدَ في مدارِسه ومنطقهِ، تنفتحُ له أقفالُ الفهومِ في العلومِ النافعة، ويلقيها على الدرَسة ولا يتلعْثمُ، ويتعجب منه القارئ والسامعُ، فكم نفع الله به العبادَ، وهدى به إلى طريق الرشاد، وألحق الأحفادَ بالأجدادِ، أنعم الله عليه من فضْله وزاد، وجعله علما منيراً للحاضر والباد، مجدداً طريقةَ القطْب الأوحد عبدالله الحداد، وقد أعلمني جدِّي الحسنُ: أن عُمَر سيدرِّس في مكاني بعدَ والده ابني أحمد، فكان كذلكَ، فسبحان من يطْلعُ أولياءَه على ما شاء من غيبه.

* * *

ثم أذن له والدُه أحمد يومَ الأربعاء والسبتِ، وبقي عليه دروسُ يوم الخميس والاثنينِ وعصْر كلِّ ليلةٍ في المسجدِ إلى ليلةِ السبتِ والأربعاءِ، يزور جِنَان (بَشَّار) على ترتيبِ الحبيب عبدالله الحداد، وأولاده إلى الآنَ بحمد الله. وفي يوم الثلاثاء في كل شهرٍ بعد الظهْر يدرِّسُ في مسجِد الأوابينَ بـ(نُوَيدرة تَريم)، وبعد صلاة العصر، فيحضرُه جمٌّ غفيرٌ، ويوم الأحد يخرجُ إلى (السُّبَير) للمدْرس في المكانِ المعروفِ في (خَلاء

تريم)، يحضره من السادَة وغيرهم ما يمتلئ بهم المكانُ، ويجلسون خارج المدْرَسة من كثرتهم.

وبالجملة؛ فجميعُ ما يفعله جدُّه الأكبرُ، وجدّه الثاني الأفضَل، ووالده الأشهر، من عادةٍ وعبادةٍ سالكٌ عليه، وقائم به أتمَّ قيامٍ، وإخوانه تبعٌ له كالمأمومِ مع الإمامِ، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفَضْل العظيم، أدام الله فتوحاته.

* * *

وله رسائلُ، ووصَايا عديدَة مفيدة، وله «أجوبةٌ على مسائلَ فقهيةٍ»، أجابَ عنها سائليه، وله نظمٌ حسَنٌ، جمعَه في كراريسَ، منها ما هو في جدِّه الحسنِ، ومنها ما هو في والدِه أحمد، ومنها في صالحي أهلِ وقته من مشايخه، ومنها مواعظُ، ومنها توسّلاتٌ في نوائبَ ومهماتٍ، ومفرِّجات ومفرحاتٍ. وبالجملة؛ فهو صاحبُ منطوقٍ ومقالةٍ، ينبئ عن علومٍ وأسرارٍ أُوْدِعَها، بارك الله لنا فيه بمنّه وكرمه، لأن في الحديث النبوي: «إن منزلةُ الأخِ الأكبر على إخْوَته بمنزلةِ والدِهم»، انتهى بمعناهُ، ذكره ابن حجر في كتابه «أسنى المطالبِ في صلة الأقارب»، ولم نطِلْ فيه لكراهته لذلكَ، ولما نعلمُ أنه الكريمُ ابن الكريمِ ابن الكريمِ ابن الكريمِ، كيوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، وآخر دعْوانا أنِ الحمدُلله ربِّ العالمين[1].

* * *

[ذكر السيد علوي بن أحمد بن الحسن، مؤلف الكتاب]

لما انتهى الكلامُ في ترجمةِ الأخِ عمرَ، عنَّ لي أن أذكُر بعضَ ما خصَّني الله به من النعَمِ، بعد نعم الإيجادِ والإمدادِ، تحدّثاً بالنعم، وتعرُّضاً للمزيدِ من ذي الجود والكرم،

(١) كانت وفاته بتريم في ذي القعدة سنة ١٢٢٦هـ، شجرة.

فلا فخراً لأن الفخْر منفيٌ بنفيِ النبيِّ ﷺ، بقوله: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»،ولا اغتراراً بالنسبِ بعد قوله عليه الصلاة والسلامُ لبنته سيدَتِنا فاطمة، ولعمتِه صفية، كما في الحديث: «**اشتروا أنفسَكُم من النار لا أغني عنكُم من الله شيئاً**».

فأقولُ: هذا تاريخُ ميلادي نقلته من خطّ الوالد قال رضي الله عنه:

«الحمد لله ولد المولودُ المعمَّر السعيدُ، إن شاء الله، علوي بن أحمد، بكرةَ يوم الجمعةِ، واثنا عشر خلَتْ من شهر رمضان، سنةَ ١١٦٣ من الهجـرة على مشرِّفها أفضَلُ الصلاة والسلام»، انتهى ملخصاً.

وستأتي في «ديوان الوالد» تواريخ سنةِ الميلادِ بالجمَّل، نقتصر منها على واحدٍ هنا، وهو قوله : «هو طيّبٌ قطبٌ عظيمٌ = (سنةَ ١١٦٣)»، ورباني جدِّي الحسنُ، ووالدي المؤتمنُ، أحمد بن حسنٍ، منـذ ولدتُ، وحنكَني جدّي، وأذَّن وأقامَ، وقرأ الإخلاصَ في اليمْنَى، وبشّر أحدَ والديَّ ببشاراتٍ عظيمةٍ لما مرضتُ وأنا ابن سنتينِ.

منها، قال: سيكونُ من هذا الولدِ نفعٌ لنا، وتنظرونَ منه من البرِّ ما لا تنظرونَ من إخوته، وسيطول عمرُه لا تخافونَ عليه من هذا المرضِ، وقال: إن المولود هذا ميمونٌ على أهله، كثُر الخير من حينِ ولادتِه، أبشِروا واصبرُوا على مرضِه هذا.

* * *

وكان الوالدُ أحمد كثيرَ التعلقِ بي، وسماني علويًّا سيدي الجدُّ الحسنُ، باسم العارف أخيه علوي بن عبدالله، فلهذا كانتْ تذكَر أشياءُ في سيدنا علويّ رآها فيَّ، **منهَا**: أني إذا توجهتُ في الأمر بصدقِ نيةٍ تيسَّر بسرعةٍ، وإذا استغرقْتُ في دعاءٍ وغيرِه ما أدري ولا أحسُّ بما يقَعُ، ولا بما مضَى، حتى في الصّلاةِ، ما أدري أيّ ركعةٍ أنا فيها إذا أطلتُ السجودَ. **ومن العجيبِ**: أن يوماً من الأيام، يزور الوالدُ بمَن معه تربة (تريم)، فلما دخلَ قبة سيدنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس، صافح الوالدُ الرجلَ

الصالحَ الشيبة عمر بن أبي بكر بن صالح، وقال للوالد: يسلم عليك جدُّك عبدالله الحداد، رأيته البارحَة، ويقول لي: سلم على أحمد، وقل له: إن ابنكَ علويّ كعلويٍّ ابني، وحاله كحاله، الخ الرؤيا، وهي تسُرّ ولا تغُرّ.

قال والدي: وقتَ الحملِ بك رأيتُ كأني زرتُ الفقيهَ المقدم وأهلَ تربتهِ، فلما دخلتُ قبةَ الشيخ الكبيرِ عبدالله بن أبي بكر العيدروسِ، أعطاني ختمةَ مصحفٍ، القرآن العظيم، ففرحتُ به وأخذته منه، ثم زرت الجدَّ عبدالله الحدادَ، فلما كنت عند قبرهِ انتبهتُ والمصحفُ بيدي، ففسرتُ المصحف بابنٍ ذكرٍ يجيءُ، فجئتَ أنتَ، ولك مددٌ خاصٌ من العيدروسِ، نفع الله به آمينَ.

وكان جدُّنا الحسن ووالدُنا أحمد، معتني بالتربية والأدبِ، أحفَظُ منها قبل طلوعي المكتب، أي: العُلْمة، شيئاً كثيراً، ولما طلعتُ العلمةَ، وتعلمتُ من الفاتحةِ وأولِ سورة البقرة، إلى أن وصلتْ قراءتي على المعلمِ عُمر باغريب، قولَه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، الآيةَ، ففي ذلك اليومِ من قبل أقرأ هذه الآية، دخل إلى عندِ المعلم رجلٌ، الله أعلم هو الخضِرُ أو رجلٌ من الأكابرِ السائحينَ، عليه مرقَّعةٌ، وجلس حِذاءَ المعلّم، وأردتُ قراءَة لَوحي، وجئتُ فجلستُ عند ركبةِ الرجُل بين يدَي المعلم، فأمرَني بقوله: اقرأ، فتعوذتُ وقرأتُ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فلما تميتُ الآيةَ، قبلني الرجلُ، ومسحَ عليَّ، واستنار وجهُه فرحاً، واعتلاه حالٌ عظيمٌ، وقال للمعلّم: سيكونُ لهذا الولدِ كذا وكذا، وعيَّن أموراً، أرجو من فضل الله بلوغَها، فكتب لسيدي الحسنِ بذلك المعلمُ عمر، ثم أخبره بنفسِه، ثم كان سيدنا الجدُّ كثيراً ما يذكرُ كلامَ هذا الرجلِ الجليلِ القدر.

وختمتُ القرآنَ على المعلمِ عمر، وأعدته ثانياً عليه، وكنت أقرأ على والدي قبلَ المعلم، ثم أقرأ على المعلم، ثم بعد العلمَة أمرني أقرأ عليهِ بعدَ الظهر أربعةَ مقارئ، ربعَ جزءٍ، بتحقيقٍ ودرْسٍ وحفظٍ عن ظهْر قلبٍ، وأمَرني أقرأ عليه وقْتَ الدرسِ «مختصر بافَضل الصغير»، ثم «الكبير»، ثم «شَرحُه» لابن حجرٍ، و«شرح ابن قاسمٍ على أبي شجاع»، و«شرح العُدّة والسلاح» في النكاح، و«شرح الرحبية» للشنشوري، و«شرح المنهاج» للمحلي، وذلك في الدرسِ مع الطلبة، ثم سافرتُ.

وقرأتُ عليه في الفقْه بعد السفرِ، وفي «تفسير البغوي»، و«البخاري»، و«إحياء علوم الدين»، وفعَلَ ضيافةً نهارَ الختمِ لإحياء علوم الدين، لما أتممتُ قراءتَه، وكذلك عند ختم «البخاري»، وجمع معَ الطلبة أهلَ الخيرِ والصلاحِ والقرابة. وقرأتُ عليه فقهاً وحديثاً وتصوّفاً في كتبِ جده، وفي كتب الحديثِ، والتفاسير، وكتبِ الأدَبِ شيئاً كثيراً، أذكرُ بعضَها بعد عدِّي للكتُبِ التي قرأتها على جدّي الحسنِ، والشأن كله في العملِ، ومعرفةِ وشهُودِ التقصير.

وألبسَني القبعَ والقميصَ والكوفيةَ مراتٍ عديدةً، وأخذ العَهْد ولقّنني الذكر مراتٍ، وآخر مرةٍ لقنني والأصْناء: أخي عبدالله، وأخي محمد، وأجازني المرَّةَ بعد المرّة، وكتبتُ له مرةً وأنا بـ(دَوعن)، سرتُ لزيارة الشيخِ سعيدٍ ومَن بـ(واديه) سنةَ ١١٩٠، وطلبتُ إجازةً عامةً لي ولمن طلبَ مني ذلك، وكتبَ لي في جوابه لي:

«وذكرتُم مرادكم إجازةً عامةً، لتجيزونَ من طلبَ منكم، في وردٍ أو قراءةٍ أو تلقينٍ أو نحو ذلكَ، زيادةً، فقد أجزناكُمْ في جميع ذلكَ إجازةً عامةً، بارك الله للجميع في ذلك»، انتهى من خطِّه حرفاً بحرفٍ.

* * *

ولما كان سنةَ ١١٩٧، سافرنا لأجلِ الثقَلِ والدوائرِ الذي عليه، وسعياً للبرِّ،

وأرسلنا ما فتحَ الله به، وكان كثيراً من فضْل الله تعالى، فجوَّبَ علينا، ومن أثناء جوابه: «أقولُ لك كما قال ﷺ لعثمانَ لما جهَّز جيشَ العُسْرة: **«ما علَى عُثمانَ ما عَمِل بعْدَ اليَوم»**، تقبلَ الله منه ذلك، وجزاه الله عني أفضلَ الجزاءِ، آمين.

وقد يسَّر الله لي في أيامِ حياته المباركَة علينَا أيامُه، من بركَة دعائِه بأن يسَّر الله السقاياتِ المعروفاتِ، والصدقاتِ المذكوراتِ، والعماراتِ المشهوراتِ، التي تأسست على التقوَى، كُنَّا سهماً لأصلها وفعلها، وإن كان كلُّ ذلكَ من بركته وتصرُّفه وعنايتِه، لأن الولدَ سرُّ أبيهِ، بل كلُّ ما نحنُ فيه حسنةٌ من حسناته.

* * *

وأما الذي فتقَ رُوحي، وجعلنا شيئاً بعدَ أن كنتُ لا شيء، بإذن الله، شيخي وجدِّي الحسنُ بن عبدالله الحداد نفع الله به، فنحنُ وسيدنا الوالدُ في بيتِ جدِّي، وفي محضرته ليلاً ونهاراً، وكافة الأصناءِ، إلا أنه آخِر عمُره اختصَّني، وجعلني لا أميلُ من حضرته حتى عند المنام والقيامِ، ليلاً ونهاراً، عشيةً وإبكاراً، وأعلمني بجميعِ ما يؤولُ إليه أمري، وبالبلدِ التي أسيرُ إليها بعدَ وفاتِهِ، كأرْضِ (فارِس) و(عمان)، قال لي: تعلم لغةَ (فَارِس)، عادكْ تحتاج. فدخلناها نحنُ والشيخ عمادُ بن أحمد، حتى وصلنا بلد (سنبك). وقالَ: إن (عُمان) تحتاجُ إلى معرفةِ علمِ الفلانيّ، فعليكَ بكتابِ «عماد الرِّضَا» مختصَر كتاب «القضَاء» للغزِّي، اختصره زكريا الأنصاري، وافعل كذَا، واصبر على كذا، وسيقع لك كذا وكذا، وأمورٌ غيبية بعدَ موته بكثيرٍ وقعَتْ كما أشار إليها.

وإذا دخلتُ عليه آخر عمره يقولُ حالمًا يراني:

جـــلِّ ذي قَـــدْ وَهـــبْ سـبحانك الله يَـــا ربّ
مـــن بغَـــوا لـــه سَـحَبْ وآخَـرْ مـن البـابِ يجـذَبْ

الأبيات للشيخِ عمر بامخرمة، المتوفى في بلد (سيون) المشهور.

وليلةَ تهاليل السيدِ العلامة حامدِ بن علوي بن عمَر المنفِّر، والد جدَّتي سلمَى أم أولادِ جدي الحسَنِ كلهم، والتهاليلُ في مسجد بني علَوي بعد العشاءِ، استأذنته في حضُور التهاليلِ، لأني أنامُ عندَه، فأذِن لي، وقال لي: لا تنسني من صَالح دعائك، وكان النبيُّ ﷺ قالَ بها لسيدنا عمر بن الخطابِ، ففرحتُ بها كثيراً. وكثيرا ما يقولُ لي بها العمُّ حَامد بن عمر المنفِّر إذا صافحتُه.

* * *

ثم إن سيدي الحسنَ سنةً من السنين؛ نظرَ إليَّ نظراً تامًّا، حصل لي بسببه باعثُ الإرادةِ، الذي هو جندٌ من جنُودِ الله الباطنة، حتى رأيتُ أشياءَ وأموراً كشفيةً غيبيةً، ولا توقفْتُ عندَها ببركاته، ولا باليتُ بذلكَ، بل بقيتُ على اجتهادي حتى فتحَ الله عليَّ ببركاته، فجميعُ ما حصلَ لي، وجميع ما فتح الله به عليّ، وجميع ما عُرِفتُ به من العلمِ، أو غير ذلكَ، فمن بركاته ونفحاتِه، وجزيل هباته.

وآخر عمْرِهِ الشريفِ، آتي بوضُوئه، وإذا خرجَ إلى الصلواتِ الخمسِ إلى المسجد يمسِكُ بيده اليسْرَى عليَّ، واليمنى قابضٌ بها على العصَا التي يتوكأ عليها، وإذا ركب لجمعةٍ أو زيارةٍ أو (السُّبير) يوم الأحدِ، يوقفُني عن يمينِه وهو راكبٌ، نفع الله به في الدارينِ. وإذا رقَد في الليلِ على سريرِه أمرَني أرقُد تحتَ السريرِ قريباً منه، وصبْحَ كلَّ يوم آخر عمره ندرُسُ القرآنَ العظيم وحْدَنا، يقرأ مقرأً وأقرأ بعدَه المقرأ الثاني، هكذا حتى نتم الحزب، وإذا أراد أحدٌ أن يقرأ معَنا منعَه، ونزيد يوم الجمعة سُورَة الكهفِ، ثم يركع الشروق والضّحَى.

وأنا أنيبُ منابه في زيارتِه لسيدنا الإمام محمد بن علي مولى مرباط، فزرتُه نيابةً عن جدِّي، وحصل لي لما زرته المَدَدُ العظيم، من صلاح الدين والدنيا، حتى أنه حدث لي بعْد الزيارة محبةٌ كثيرةٌ للعلمِ والمطالعةِ للكتبِ النافعة، حتى قلتُ في نفسي

عند ذلكَ: إن كان أهل الجنة يقعُ لهم فيها ما وقعَ لي الآنَ، إنهم في أعظم عيشٍ وأهناهُ وأحْسَنه.

وإذا عملتُ عملاً أيام حياته بغَيرِ حضْرته، من عمل آخرةٍ أو دنيا، أعلمني به كلِّه، كأنه حاضرٌ عندي. **وبالجملة** فمراعاته لي حيًّا وميتاً أمرٌ عجيب.

* * *

وقد رأيت جدِّي عبدَالله وأنا صغيرٌ، كأنه جاء إلى مسجدِه بالحاوي، ومع خروجه منه معَه أناسٌ، فصافحته وقبلتُ يدَه تحت بيت سيدي الحسن، فمسح على رأسي وأخذ بيدي وتفَل لي فيهَا من ريقه، وأمرني بشُربهِ، وقد رأيته بعد ذلكَ بعد البلوغ مراراً كثيرةً.

ومرة زرتُه بعدَ الظهر بسببِ إساءةِ أدبٍ وقعَتْ من بعض الناس في (الحاوي)، وأنا متغيظٌ عليه، فعند زيارتي تلك على حَالتي هذه، سمعته ينهَمُ في القبر كنَهيمِ الحصان مع حركةٍ وزعزَعة قويةٍ، فلما سكنَ غيظي سكنَ، وانتقم الله عاجلاً من ذلك المسيء.

ومرةً زرتُه في أمرٍ مهمّ، فرأيته يقولُ: لا تخف من هذا الأمر، ومرةً قالَ: أنتَ على العين لا تخف، فالحمدُلله ربِّ العالمين على المبشِّراتِ من أهل الولايات.

* * *

ورأيتُ سيدَنا الفقيه المقدَّم في رؤيا عظيمةٍ، خرج من قبره، وثيابُه من لباسِ البلد إلا أنه كان طويلَ القامة جدًّا عريضاً، وليس عندنا أحد. وأما السقافُ والمحضَار وإبراهيم أخوه، والشيخُ عبدالله، والشيخ علي بن أبي بكر السكران، فرأيتهم مراتٍ كثيرةً مع مخاطبات وبشاراتٍ.

ومرةً رأيتُ كأني وسيدي عبدُالقادر الجيلاني صلينا الجمعةَ، وطلعنا بعد الصلاة إلى بيته وأنا معَه وخادمٌ لي، وطال الجلوسُ والحديثُ معَه، وحصل أنسٌ كثير، إلا أني استصغرْتُ نفسي عن أن أطلبَ منه الإجازةَ والإلباسَ، فطلبت منه الفاتحة والدعاء وقلتُ: الله الله في الدعاءِ، حتى للخادم هذا، ثم إني لما استودعت منه وقربت من الخروج ذكرت كلام سيدنا أبي بكر العيدروس صاحب عدن :

وشَا أدخل وشَا أزاحِمْ بقلبٍ جسُورْ　　أرى اللومَ عندي خطَا غير صَايبْ

من قصيدته التي أولها:

* حُوَيدي أعِدْ لي حديثَ الحبايبْ *

إلى آخرها، فرجعتُ فطلبتُ منه الإلباسَ، فقامَ فرقَى وسطَ المنزلِ، وقرأ بصوتٍ عالٍ، مع حضُورٍ وخشوعٍ وترتيل: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]، وأنا جالسٌ تحته، واعتلاني حالٌ مع ذلكَ، فبكيتُ، ثم قرأ آيةً فيها ذكر سيدتنا مريمَ بنت عمران، وحملها بابنها عيسَى ﷺ، وولادتها به، ثم إني فسرتُ وأنا بين يديه الحمْلَ بأخذ السِّر من سيدي، والولادة بنَفعِ الناسِ، ثم ألبسني بيدِه وحكّمني.

وقد تقدمت رؤيايَ للنبيَّ ﷺ في (الباب الخامس) مبسوطةً، وذكر السيد الجيلاني وإلباسه فانظره هناك. ورأيته ﷺ على لونِ سيدي الحسنِ جدِّي، ولباسه كلباسِه ورأيته على لون والدَي أيضاً، ورأيته عامَ زيارتي للمدينة الشريفة ثلاثَ مراتٍ، كلّ مرةٍ فيها خطابٌ وكلامٌ ليسَ هذا محلُّ وضْعه.

وسيدنا أبو بكر الصديق لي معه واقعةُ منامٍ، فلهذا سميتُ ابنا لي ماتَ صغيراً باسمه. وأما سيدُنا عمر بن الخطابِ فرأيته مراتٍ مع مخاطباتٍ، ولي منه مددٌ، حتى أني مرة رأيتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: استمدَّ من صاحبك عُمر، قلتُ: إنه مهابٌ، فمنكَ ومن أبي

بكر المددَ أريدُ. وأما سيدنا عليٌ كرم الله وجهه، فرأيته مرةً، والزهراء سيدتنا فاطمة معاً، واستجرتُ بهما من النارِ، فقالتْ لي: ما في مقبرة (تريم) نارٌ. ومرةً رأيتُ الإمامَ عليًّا، أجازني كلَّ يومٍ بمائةٍ من الصّلاة على النبي ﷺ.

ورأيتُ الإمامَ مالكاً مرتينِ مع مددٍ وإشارةٍ، فتعجبتُ من ذلكَ، مع أن مذهبي شافعي، ولا رأيت الشافعيَّ في المنامِ، ورؤيتي للإمام مالك وعَن تلميذه الإمام الشافعي لعلها سببُ ميلٍ قلبي إليه جدا وذلك أن سيدنا عبدالله الحداد يقولُ: إجماعُ أهل المدينة حجةٌ، ولولا سادتنا آل أبي علوي كلهم شافعيةٌ لجعَلنا مذهبنا مذهبَ مالكٍ، لكن الشافعي مالكيٌ لأنه شيخُه، ذكر ذلك تلميذُ سيدنا في كتابه «تثبيت الفؤاد بذكر كلام القطب عبدالله الحداد».

* * *

ربينا في حجر الأكابرِ الأطهارِ، من السَّادة أولي المعرِفة والاستبصار، حتى خوَّفُونا ورجَّونا بالجنة والنار، وعرَّفونا حقوقَ القهار، وسنةَ سيدنا النبيّ المختار، قبل أن نقرأ ونكتُبَ ونتعلمَ، بل بالتلقّي، عرَّفونا التخَلي، وبينوا لنا التحلي، ثم طلَّعُونا المكتبَ نتعلم القرآنَ، ومنعُونا عن مخالطةِ غير الجنسيةِ، وبينوا لنا الطريقةَ العلويةَ، في الزهد في الدنيا الدنية، والترقّي للمراتبِ العلية، بالمواظبةِ على الصلوات الخمسِ المفرُوضاتِ، مع الجماعاتِ والنوافل المطلوبات، مع العلمِ والمعرفَة في جميع ما نفعَل ونقولُ، ونتحرَّى النياتِ الصالحاتِ ونتركُ الفضول، ونلزمُ الذكر والأوراد، ويقولون: قال سيدنا السقاف: «من لا له وِردٌ فهو قرْدٌ، ومن لا يقرأ في كتابِ «الأذكار النووية» ليس بذَكرٍ، بل هو شبهُ الحجَر، فقد صدق السقافُ، فالوارداتُ في الأورادِ، والبهائمُ السائمةُ لا تدْري بشيءٍ، بل القردُ لشبهه بالآدميّ، من يتركُ الأورادَ أقربُ إليه في القياس، و«الأذكار النووية» فيها عمل اليوم والليلةِ، والسنةُ

المطهرة شرْحُها فيه، فمن تركَه ليس بذكَرٍ، بل هو شبه الحجَر، والنساءُ التي في الحُجَر، خيرٌ منه في الأثر.

* * *

وكان سيدُنا الحسنُ، نفع الله به، من لم يحضُر أولَ الجماعة من أحفادِه ينازعُه ويؤدبه باللسان، ثم بالسُّوطِ، لأن في الحديثِ: «**رحمَ الله امْرأ علّق سُوطَه حيثُ يَراه أهلُه**»، وكان سابقاً معلقاً سُوطه للأدبِ، بل أدبُه للأولاد بالحال كثيراً وبالمقال، لا يتركُه بالتفصيل، حتى بلغُوا بالأدبِ جميع الإرَبِ، وفي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، ونزولِ جبريلَ والتزميلِ عند الوحي، إنباءٌ لكَ أن السلوك نورُه أنوَرُ من نُور الجذْبِ.

* * *

وكان الوالد والجدُّ ملازمينَ علينا في ملازَمة الحزوبِ لتلاوة القرآنِ في المسجد بعد المغرب إلى العشاءِ، وبعد صَلاة العشاءِ لحضُور راتبِ سَيدنا عبدالله الحداد، وآخر الليل في المسجد قبلَ الفجر، وبعْدَ صلاة الصبح إلى الشروق للتلاوة والأذْكار أيضاً.

وهذا لازمٌ في وقتِ الصِّغر إلى الكبر، ويحضُران بأنفسهما، مدّةَ حياتهما نحْضُر وكافةُ الأولادِ والقرابة من أهل بيتِ الحداد والطلبة للعِلْم، وأهل الخير والصلاحِ، وكلَّ يومٍ بعد الشروقِ نركعُ ركعتينِ بنية صَلاة الشروقِ، وأربع بنيةِ صلاةِ الضحى.

وفي يوم الجمعةِ كلَّ يومٍ يقرأ سُورةَ الكهفِ، ثم يقرأ في «الدلائل» في الصَّلاة على النبي ﷺ حسبَ الهمةِ والعادة، فمن مكْثرٍ ومتوسّطٍ، ومن له عادةٌ مواظب عليهَا، ثم قبل دخولِ وقت الجمعة يتهيئون للحضُور، ويجتمعون معاً في مكانه في بيتِ القطب عبدالله الحداد، ويخرجون إلى الجامع معاً بأدبٍ وحضُورٍ، وبعد صلاة الجمعة يرجِعُون إلى بيت الحبيب عبدالله المتقدم ذكرُه، ويجتمعون جميعاً ويحضُر بحضورهم على الإنشاد بكلامِ الأكابر، ثم يختم وقتَ العصر المنشدُ بقراءة مقرأ من القرآنِ، خمسة مقارئ

معروفات مرتباتٍ لكلّ جمعةٍ في كلِّ شهرٍ، إن وقعتْ خمس جمعٍ فيه، لكل جمعة مقرأ معين فيها، ثم يختمُون بالفاتحة والدعاءِ. وبعد الأذان للعَصْر يركعون الأربعَ، سنة العصر، في المكانِ، ثم يخرجُون معاً إلى مسجد الهجِيرَة، يصلون العَصْر جماعةً.

وبعد الصلاةِ وأذكارِها وقراءة يس يخرجون معاً إلى مقبرة (تريم) كما تقدم في (الباب الأول)، في ذكر ترتيب زيارة مقبرة (تريم).

فإذا رجعوا إلى (الحاوي) من التربة يصلّون المغرِب جماعةً، ويجلسون للحزب بعد صلاة النافلة البعْدية، والأربع من الأوابينَ، بل يبتدئون فيه بعد تمام أذكارِ المغرب قبل صَلاة البعدية، ثم يصلون العشاءَ ورواتبه، ثم يقرئون الراتبَ كلِّ ليلةٍ، وليلةَ الجمعة يزيدون الحضْرة، وهو الذكرُ المسجّع. بعد تمامِ الراتبِ يخرجون إلى (الحاوي) حداة الذكر من البلد (تَريم).

* * *

قال الوالدُ في كتابه «الفوائد السنية»: «ولسيدنا الشيخِ، نفع الله به، مسجدٌ لطيفٌ خارج البلَدِ، بحَوطته (الحاوي) المشهُور بالخير والنور، بناه نفعَ الله به سنةَ ١٠٨٣، سماه مسْجدَ الفتحِ، ومسجد التوابينَ، وكان ملازماً له في الصلواتِ الخمس، نحو ثمانٍ وأربعينَ سنةً، يأتمُّ بالناسِ فيه، وللتّدريسِ فيه بالعلْم النافعِ بعد صَلاة العصْر إلى قريبِ الغروب، إلى أن توفي إلى رحمة الله ورضوانه. ثم في سنة ١١٩٩، جدّدْنا عمارتَه، ووسّعنا وبنينا في جانبه القبلي حماماً متسعاً للصلاةِ فيه أيامَ الشتاءِ، وزيَّدْنا فيه بركةً واضيةً، وبنينا له منارةً عالية للأذانِ، وزاويةً للقاصِد، ودرسَة العلمِ النافع، تاريخ العمارة «نَطلبُ المجيدَ يرْضَى»، وكان رجالُ الغيبِ لا يزالون يأتونه بالليلِ، كما قد رأوا ذلك جماعةٌ من الثقات، وذلك في حياته وبعدَ وفاته، ويرى الإنسانُ عند جلوسِه فيه ارتياحاً وأنساً وسكوناً.

وكان بعضُ المرموقين بالخيرِ من أهل (تريم) حافظا للقرآن، يخرج كلَّ ليلةِ الجمعة لقراءة الحزْبِ المبارك فيه بين العشاءَين، ويصلي العشاء فيه ويحضر الذكر المسجَّع المرتبَ فيه بعدَ قراءة راتبِ سيدنا المشهور، فتأخّر بعْضَ الليالي عن الخروجِ لعذرٍ قامَ به، فرأى الحبيب عبدالله الحداد في المنامِ يعتبُ عليه من جهةِ عدم خرُوجِه، وقال له: أمَا علمْتَ أنها تنزلُ من الله كلَّ ليلةٍ ثلاثُ رحماتٍ على (الحاوي) زائداً على بلد (تريم)»، انتهى.

* * *

وكان ابتداءُ حضرةِ الذكْر وراتبِه المشهور في المسجِد المذكُور سنةَ ١٠٧٢، اثنين وسبعين وألف، واستمرَّ ذلك مدّةَ حياته، وبعد وفاته إلى حالِ التاريخ سنةَ ١٢٠٣، ثلاث بعد المائتين وألف.

ورتّبَ فيه أيضاً ليلةَ الخميسِ وليلةَ الاثنينِ، سنةَ رتَّبَ الذكر والراتبَ المشهورَ، تهاليلَ من قَول: «لا إله إلا الله»، وهو أن يأتي بمسْبَحةٍ عددُها خمسُمائة حبةٍ كبَارٍ من الصندلِ الأبيض، على قدْر المسْجد الذي بناه هو، نفع الله به، تدار بين الجماعَة الحاضرينَ، يقول: «لا إله إلا الله»، حتى ينتهي عدَدُ السبحةِ.

ثم لما جدّدنا عمارته، واتسعَ المسجد، زيّدْنا فيها خمسمائةٍ أخرَى من جنسها، فإذا أتموا العددَ، قال واحدٌ من الحاضرين: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله»، والحاضرون يقولون مثله هكذا ثلاثاً، وبعد الثالثة: «محمد رسولُ الله»، وهم مثله. ثم يقولُ: «اللهم صَلِّ على محمدٍ، اللهمّ صلِّ عليه وسَلم»، وهم مثله في كلّ مرةٍ.

ثم يقول بعد الفاتحة: اقرأوا الفاتحةَ وآية الكرسي، وإحدى عشر من ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، والمعوذتين باركَ الله فيكم، فيقرأ هو والحاضِرون ذلكَ سرًّا، وإذا قرأوا ذلك قال: «الحمدلله رب العالمين، **اللهمَّ** صلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ،

اللهمّ اجعَلْ ما هللناه من لا إله إلا الله، وما قرأناه من القرآنِ العظيمِ، وما صليناه على النبيِّ ﷺ في هذا المجلسِ المبارك، هديةً واصلةً، ورحمةً نازلة، إلى حضْرة سيدنا ونبينا وشفعينا محمد ﷺ، وإلى روحِ سيدنا الفقيه المقدَّم محمدِ بن علي.

ثم زيدَ بعد وفاته نفع الله به: وإلى رُوح سيدنا عبدالله بن علوي الحداد، وأصولها وفروعها، وجميع سادتنا آل أبي علوي، **اللهُمّ** اجعله فداءً لهم النار، اللهم اجعله فكاكاً لهم من النار، اللهم اغفر لهم وارحمهم، ووالديهم وجميع المسلمين. ويقول الحاضرونَ في كل ذلك مثله. ثم يقول المتصدّرُ في ذلك: تقبل الله منا ومنكُم، وجعله خالصاً لوجه الكريمِ. **الفاتحة** أن الله يغفر لهم ويرحمهم ويسكنهم الجنة، ويجمعنا وإياكم وإياهم في مستقرِّ رحمته، مع اللطف والعافيةِ، وإلى حضرة النبي ﷺ.

ثم بعد قراءةِ الفاتحة سرًّا يرفعُ يديه، ويرفع جميعُ من حضَر، ويدعون بالجوامعِ من الدعاءِ بعدَ ذلك، مرجوّ الإجابة»، انتهى.

وبنى سيدنا الشيخُ نفع الله به في (الحاوي) الميمون بيتاً سنةَ عمَّر مسجدَ الفتحِ المتقدم ذكره، وتوطن في البيت المبارك إلى أن تُوفِّي رحمه الله سنةَ ١١٣٢، وكان قبل ذلك متوطناً ببيته الذي في البلد (تريم) قرب مسجد آل أبي علوي المشهور، الذي بناه سنةَ ١٠٦٥»، انتهى من «الفوائد السنية».

وأما مدارسُ العلمِ؛ فيوم الخميس والاثنين في الفقه من بعد الإشراقِ إلى قريب الزوالِ، ويوم الثلوثِ والسبت في النحو، ويوم الأحد في كتب الحديث والتصوف، يخرجون إلى (السُّبير) من أعمال (دمُّون)، لأن الحبيب ولدَ فيه أيامَ محلةِ والده فيه، وقتَ الخريفِ، وفيه مسجدُه مسجد الأبرار.

ويومَ الثلاثاءِ يخرجُون في الغالبِ إلى أماكن السلفِ ومآثرهم في (تريم)، ويقرأون في كتُب الأدبِ، وبعد عصر كلِّ يومٍ قراءةُ يس المرتبةُ، إلا عصْرَ الجمعةِ

والثلوث، لأنها للزيارة، يجتمعون للقراءة، فيرتبُ الشيخ الفاتحةَ وهو في المحرابِ، فيقرئونها ثم يقولُ الشيخ مشيرا إلى المبتدئ من القراء: بسم الله، فيقرأون واحداً بعد واحدٍ، كل واحدٍ في الكتابِ الذي يقرأ فيه من كتبِ التفسير، والحديثِ، وكتُبِ الإمام الغزالي، والنووي كالأذكار، و«التبيان»، و«رياض الصالحين»، وكتبِ الحبيب عبدالله الحداد، وكتب القوم، وهذا مرتبٌ من وقت الحبيب عبدالله إلى حالِ التاريخ ١٢١١، أدام الله ذلك بمنه. وبعد تمام القراءة عندَ اصفرار الشمْسِ قبلَ غروبها بنحْو ربع ساعةٍ فلكيةٍ، يختم المتصدّر بقراءةِ الفاتحة والدعاءِ بعدَها، ويتفرقونَ، هكذا ترتيبُ الحبيب عبدالله وابنيه علوي والحسن، ومن بعدِهما الوالدُ أحمد والأخ عبدالله، هذا عمَلُ أكابرنا، ونحن الجميعُ مواظبين عليه من صِغَرنا إلى الآن، جعل الله ذلك خالصاً لوجهه الكريم، فالعمر كله موزعٌ على سيرِ آبائنا وأجدادِنا، في حضرنا وسفرنا، ونرجو الله الكريمَ أن يوفِّقَ أولادنا وأولادَهم ما تناسَلُوا لسُلوكِ هذا السبيلِ، فإنه ولي ذلك والقادرُ عليه.

* * *

فصلٌ

[في ذكر مقْروءاتِ المؤلفِ على جدّه الحسن]

نذكرُ فيه أسماءَ الكتب التي قرأتها على جدي الحسنِ، تبركاً بذلكَ، وما قرأته ولم أكتبه وأذكرْه فمعذورٌ فيه، لأني كتبتُ ما قرأته سابقاً بيقينٍ، فمنهَا: «نصائح» سيدنا عبدالله الحدادِ، و«الدعْوة التامة»، و«سبيل الادِّكار»، و«الفصول العلمية»، والرسائلُ الثلاثُ، و«الوصايا»، وقرأت «المكاتباتِ» أربعَ مراتٍ، و«الدِّيوان» مرتينِ، و«مسائل الصوفية»، و«إتحاف السائل»، وأورادَه كلها، وكتاب «تثبيت الفؤاد في كلام القطب عبدالله الحداد» جمع الشجَّارِ أحمدَ بن عبد الكريم، أربع مراتٍ أو خمسَ، و«شرْحَ العينية» و«الوصيةِ» لسيدنا أحمد بن زين الحبشي، وشرْحَ «إذا شِئْتَ إن تحيَى سعيداً مدى العُمْر»، للشيخ أحمد بن علي القبَّاني البصري، والمناقب الكبرى «غاية القصد والمراد»، ومختصرَها «بهجة الفؤاد» لسيدنا محمد بن سميطٍ، جمعَ فيها مناقب سيدنا عبدالله الحداد، قرأتها مرتينِ، والصغرَى أربعَ مراتٍ، مع عددٍ من الآخذين في «الصُّغرى»، و«الجوهر الشفاف في مناقب الأشراف» لعبدالرحمن الخطيب في أولياء (تريم)، و«المشرع الروي في مناقب آل أبي علوي» مرّتينِ، و«مجموع مناقب الإمام الغزالي» للإمام الفاكهي، و«الزهر الباسِم في شرْحِ رسَالة السيد حاتم» لسيدنا عبدالقادر بن شيخ العيدروس، و«تاريخ اليافعي» مرتين، و«تاريخ ابن الطيِّب» مرتين، و«ربيع الأبرار» للزَّمخشريِّ ثلاثَ مراتٍ، و«المستطرف» مرتين، وكتاب «الروضة في خلائق أهل الوفا» مرتينِ، و«مناقب سيدنا عبدالله بن أبي بكر العيدروس» تأليف الخطيب، وتأليف سيدنا عُمَر صاحب (الحمراء)، شيخُه عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وكتاب «العقد» لسيدنا شيخ بن عبدالله العيدروس، و«وصَايا» للشيخ محمد بن علي صاحب (عيديد)، وكتاب «الفتوحاتُ القدْسِية في الخرقة العيدروسية».

وكتاب «مجمع الأحباب» للإمَام محمد بن حسنٍ، في ثلاثة مجلداتٍ كبارٍ، الأولُ في الصحابة، والثاني بدأ فيه بالأئمةِ الأربعةِ، لكن بدأ بالشافعي للحديثِ «**قدّمُوا قُرَيشاً ولا تتقدَّمُوها، فإن عالمها يملأ طباقَ الأرْضِ علماً**»، وهذا الكتابُ «مجمع الأحباب» ضنينٌ به الحبيبُ عبدالله الحداد، ويميل إليه، لأنه يستوعب المناقِبَ، ولا يقرأ على الحبيب عبدالله إلا في رمَضان.

ثم قرأتُ بعده «سيرةَ السلف» مرتينِ، وهي للإمام الكَلاباذي، وقرأت «العهود» مرتين للإمام الشعراوي، و«المنن الوسطى» له، و«تاريخ الخميس في مناقب أنفس نفيس»، وكتاب «الصواعق» لابن حجر، و«الزَّواجر» مرتين، كتابٌ عظيم لأحمد بن حجر المكي، و«شرح الحكم» لابن عباد مرتين أو ثلاثاً، فـ«المستصفى» في الحديث، وكتاب «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» للإمام الطبري، وكتاب «النورين» للإمام الحبيشي، و«سيرة الإمام الكلاعي»، و«سيرة ابن هشام»، و«سيرة الإمام الكازروني» مرتين، و«شرح الأربعين حديثاً» للإمام ابن حجر.

و«أحاسن المحاسن» للإمام اليافعي، و«الشاشُ المعْلِم» له، و«روض الرياحين» له، و«كتاب المثتين» له، و«إرشاده». ومن الكتب الغزالية: بعض كتاب «الإحياء»، ومرتين «الأربعين الأصل»، الذي يسميه سيدُنا العيدروس: الصِّراطَ المستقيم، و«منهاج العابدين»، قيل: إنه آخر كتبه، ذكر فيها العقباتِ السبعَ، وكتاب «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» له، و«مختصر الإحياء» لأخيه أحمد، نفع الله بهما.

وخطبة «منهاج النووي» مع شرحها من المحلي، وكتاب «جلاء الرين في مناقب الإمام أحمد بن زين الحبشي»، لتلميذه محمد بن زين بن سميطٍ، وكتاب «مناقب العشرة من الصحابة» للإمام عبد القادر بن شيخ العيدروس، وكتاب «مقال الناصحين» لباجمال، وكتاباً في الحديث عجيب، و«حكم سيدنا عبدالله الحداد» مراتٍ عديدة، وسفينة الوالد المسماة «سفينة الأرباح»، التي لم يؤلَّف مثلُها، و«ديوان الوالد» مرتين،

وأعجبه كلامُه، وقال له: لم لا يعطى المنشدين ينشدون به؟ قلتُ: أعطاهم الذي خمّسَ بهنّ قصائدَ جدّه، فحفظوهن بحمدالله.

وقرأتُ كتاب «يواقيت المواقيت»، وكتاب «جواهر الأخيار»، و«سلوان المطاع» أربع مراتٍ، و«شرح البسَّامة»، وكتاب «كليلة ودمنة»، وكتاب «الصادح والباغم»، وكتاب «فعَلاتُ الأجواد» للإمام التنوخي، وكتاب «الفرج بعد الشدة»، وكتاب «ثمار الأوراق» للشيخ أبي بكر بن حجَّة الحمَوي الحنفي، و«ديوان الحبيب أبي بكر بن عبدالله العيدروس»، و«ديوان المتنبي»، و«المقامات» للحريري، و«صلاة عبدالسلام بن مشيش»، و«شرحها» للبكري، و«صلاة الحبيب أحمد بن عمر الهندوان»، و«حزب النووي»، و«حزب ابن عربي»، و«عقيدة الغزالي»، و«عقيدة السهروردي»، و«أدعية وصلوات» أحمد بن موسى بن عجيل، و«المولد» الذي يقرئونه بحضرموت، و«مولد ابن حجر»، و«شرح الهمزية»، له.

وتوفي نفع الله به وقراءتي في دَرْس العصْر في المسجد في «تفسير البغوي»، في سورة يوسف عليه السلام، عند آخر مقرأ ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. وقراءتي عليه في الدَّار في كتاب «الشفا في شرف المصطفى ﷺ»، إلى أن بلغتُ فيه إلى آخر فصلٍ (حسْنُ خلُقه ﷺ). ثم تميتُ «التفسير» و«الشفا» على الوالد أحمدَ، نفع الله بهما آمين، ووقفنا في حزب الصبح على مقرأ ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ٣]، فالله يجزيه أفضلَ الجزاء في الدارين.

وكان لا يملُّ من القراءة، وكنتُ أقرأ عندَه في الغالبِ في البيتِ وحْدي، أسردُ لأني أقرأ عندَه كراريسَ في مجلسٍ واحدٍ، ولا يملّ، وإذا حصلَ المللُ مني، قالَ: تعبتَ

أنت من القراءة؟، نفع الله به.

* * *

[ذكر مقروءات المؤلف على والده أحمد بن حسن]

والذي قرأته على الوالدِ أحمدَ، نفع الله به وبعلومه، غير ما تقدم ذكره: «فتح المعين شرح قرة العين» لزين الدين المليباري، تلميذ ابن حجر، مشَى في غالبه على «التحْفة» لشيخه، و«مختصر العدنية والهجرانية» في الفقه لعبدالله بن أحمد باشراحيل صاحب (عدن) إلى آخر باب الطلاق، ويذكر من وافقَه من معاصريهِ ومن خالفَه.

ومنسكه «بغية المحتاج»، و«سفينته» مرتين، وكتابَه الذي لخصَ فيه كلام جدِّه الذي جمعه أحمد الشجار الأحسائي «تثبيت الفؤاد في ذكر كلام القطب عبدالله الحداد»، وفتاواه في الفقه المسمى «القول الصواب»، وشرحُ راتب جده «سبيل الهداية والرشاد»، و«مكاتباته» التي جمعها ابنه عبدالرحمن، و«ديوانه» الذي جمعه الفقير، و«فتاواهُ» جمعها ابنه عبدالله وآخرها الفقير.

والثامن كتابه الأخير العجيب الذي لم يسبق عليه سماه «الفوائد السنية ذكر فيه فضل السادة العلوية فجهتهم الحضرمية»، بل الوالد يملي عليَّ في تأليفه ويأمرني بكتابته عند مطالعتِه في الكتبِ، يقول: اكتُبْ من هنا إلى هنا، وقد يقبضُ الكتابَ ويلخِّصُ، والفقير يكتبُ وهو يملي، وهو في نحو مائةِ ورقةٍ. وقد ألبسني عند ختمي «البخاريَّ» عليه، وعند ختمي «الإحياء»، ودعا لي بدعوات أرجو قبولها.

وقرأت عليه كتاب «أسنى المطالب في صلة الأقارب» للشيخ ابن حجرٍ، وكتاب «الإشاعة في أشراط الساعة» للسيد محمد البرزنجي المدني، وكتاب «الإنافة في أحكام الضيافة» لابن حجر، و«نبذة ابن حجر في المهدي»، و«الزواجر» له، و«تفسير البغوي» من سورة يوسف إلى آخره، وكتاب «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للإمام السيوطي،

ولم أتمه. و«بهجة المحافل» للعامري، و«المشرع الروي في مناقب بني علوي» للإمام محمد الشلي المكي، وكتاب «غاية القصد والمراد»، ومختصره «بهجة الفؤاد في مناقب القطب عبدالله الحداد».

وجملة من الفتاوى، كـ«حُسن النجْوى فيما وقعَ لأهل اليمَن من الفتوَى» للشيخ عبدالرحمن بن عمر العمودي، تلميذ ابن حجرٍ، و«فتاوى علي بايزيد»، و«فتاوى بن عبسين»، و«إتحاف السائل للحبيب عبدالله الحداد»، وكتاب «الأذكار»، قرأتُه عليه في مدْرَس (السُّبَير). و«نبذة في علم الفلك» لبامخرمة، وفي النحو: «مختصر ابن النحوي»، و«الأجرومية»، و«القطر»، و«شرح الملحة» للشيخ محمد بحرق، و«النبذة لبحرق في علم التجويد»، و«حلية البنات والبنين»، له.

فعسى الله يجزي والدِي عني أفضلَ ما جازَى والداً عن ولدِه، وشيخاً عن مريده، فالله يرحمه ويسكنه الفردوسَ الأعلى آميَ، ويلحِقَنا به في خيرٍ وعافيةٍ، لأني بعد وفاة جدّي الحسن غالبُ وقتي مع الوالدِ.

* * *

وسافرتُ لأجل أثقاله، نفع الله به، وعظم دائرته، وكثرة صدقاته، وكثرة قُصّاده وزواره، سافرْنا من حضرته سنةَ ١١٩٠ بإشارته لزيارة الجدِّ، والذي أنهضَ الهمة إسقاطُ النيابة التي أنابني أزورُ عنه، وهو أن جدّي الحسن في شهر شعبانَ سنةَ ١١٨٨، قال لي: زُرْ عني الإمام محمد بن علي مولى (مرْباط)، كما بسطنا ذلك في مناقب سيدنا.

فزرناه بحمدالله وحصل المددُ، وأخذنا عنده عشرين يوماً ملازمين زيارتَه، وانتفع بنا في هذه الزيارة السيدُ عبدالله بن محمد بن عقيل بن زين العابدين بن الإمام عقيل بن عَمْران، نفعاً تاماً، حتى صار صاحبَ عبادةٍ واجتهادٍ، ونورُ الاجتهاد ظهرَ عليه، وبنى مسجداً للاعتكاف فيه والصلاة، وقرأ علينا أيام نحن بـ(الدَّهاليز)

وبـ(صَلالة) بلده، وكل يوم ثلوثٍ نزورُ جدَّه عقيل بن عمران، ونرجع لزاوية السيد عقيل بن عمران، يومنا كله بها، وتوفي السيدُ عبدالله قاصداً الحجَّ بـ(جدّة)، وعقدْنا بيننا عقدَ الأخوة، رحمه الله رحمة الأبرار، وجمعنا وإياه في دار كرامته الفردوسِ الأعلى، برحمته وفضله.

* * *

ومدة إقامتنا في (مرباط) نزور الشيخ زُهَيراً، والإمام القَلْعي، وأهل مقبرة (مرباط) وأولياء (ظفَار)، أحياءً وأمواتاً، انتفعنا بهم، من الأحياء السيدُ الولي عبدالله بن أحمد مقيبل ساكن (صَلالة)، وقاضي (ظفَار) العلامة عمر بن أحمد السباح باعلوي، سيأتي ذكرهما، ثم زرنا سيدنا زينَ العابدين بن سيدنا عبدالله بن علوي الحداد، نفع الله به.

* * *

فكتب إليَّ نفعَ الله به في بعضِ مكاتباته ونحنُ بـ(الصّير)، شعراً:

سلامٌ يـذكركمُ الأهلـينَ والوطنَـا ... وكلَّ من حبَّ والأصحابَ والخدَنا

والحاوي النورُ يلمَع فـوقَ سـاحتِه ... وكـلّ أرجائـه تسـطعْ ضـياً وسـنَا

طـوبَى لنـاظرِه أو طـافَ عرْصـتَه ... والسـعدُ فـازَ بـه مـن دُورَه سـكَنا

واذكـر مدارِسَـه واذكـرْ مجالِسَـه ... يا ويحَ مـن ظـنَّ خـيراً غـيرَه وطنَـا

واذكـر تَـريمَ وتربتَهـا وأوديـةً ... تحيي النفوسَ بهـا والـرُّوحَ والبـدَنا

فأسـألُ الله أن يعـلي مَـراتبكُم ... ويكفـيَ البـؤسَ والـلأواء والمحَنـا

والعلـمُ يمْـنحُ والخيراتُ تجمَعُهـا ... وتظهـرونَ شِـعار الـدينِ والسـننَا

ثـم الصّـلاة عـلى الهـادي وعترَتِـه ... ما الفلكُ تجري على الأبحَار والسُّفنا

* * *

وذكر أول الخطبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله الذي لم يجعَلِ الرضَا بالقضاءِ حجةً للمختارينَ بل للمحبوبين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه، الذي قال: «**حبُّ الوطنِ من الإيمان**»، وذلك رأس الدِّين».

ثم ذكر في خطه: أن لا نتوقفَ في الوصُول إليه بعد وصولِ خطّه إلينَا، فلما وصل عزمنا على السفر حالاً، وسافرنا فوصلنا إلى حضْرته الشريفةِ سنةَ ١١٩٥، في ربيع ثاني، وقال: أراد أن يأخذوك علينا آل (عُمان)، فأخذناك بقوةٍ منهم.

* * *

ثم سار بنا إلى (شعب بني مخدَّم) لزيارة الإمامينِ أحمد بن عيسى، جدّ بني علوي، وأحمد بن محمد الحبشي، جدّ الحبيب عبدالله الحداد من جهة أمه، سلمى بنت عيدروس بن أحمد صاحب الشعب، وزار بنا قبلَهما الإمام علويَّ بن عبيدالله، ثم والده عبيدالله بن أحمد بن عيسى، ثم سَار الجمعِ الكثير (عَسنب) في (وادي سَرّ) لزيارة نبي الله صالح، وقال لي: قد زرته من قبلُ، لكني نويتُ إن أخرجَك الله من (عمان) إليَّ أزورُه، فهذه الزيارة من أجلك، قال لي ذلكَ في خلوةٍ، نفع الله به.

* * *

وقد سافرتُ أول سفرٍ لي معه إلى (قيدون) لزيارة الشيخ سعيد العمودي ومن بـ(وادي دوعن) سنةَ ١١٨٠، وأخذ نحو أربعة أشهرٍ بـ(دوعن)، في حياة والده، طلبوه ليتبركوا برؤية محيّاهُ، ووصل الحبيبُ حسن بن الحبيب عمَر البار إلى (الحاوي)، وطلب من الحبيب حسن أن يأذنَ له بذلكَ، فقال له: سِرْ أنت أولاً، وبعدُ يسير الولد

أحمد، وطلبت من جدِّي ونحن خارجين يوم الأحد للسُّبَير، أن يأمر والدي يسير بي معَه، فأمر والدي.

فسرْنا على بركة الله، ووصلنا (سيون) أول وقتِ الظهْرِ، وصلينا مع السيد علي بن عبدالله السقاف، وبعد الصلاة طلعنا إلى محضَرته، وحضر جمعٌ، فيهم العلامة سقافُ بن محمدٍ، وسادة البلد، ثم أديرت القهْوة وأخذَ الفنجان شرِبَ منه قليلاً، وقرأ فيه ونفثَ، وقال للوالد: أين الولدُ الذي جئتَ به معك؟ قال له: هنا. فناداني فأعطاني الفنجانَ، وشربتُ القهوة، ومسحَ على رأسي ودعَا لي.

ثم سرنا إلى (الغرفة)، وبتنا عند الحبيب محمد بن أحمد بن زين الحبشي، وعشقه قلبي من ذلك الحينِ، ثم سرْنا إلى حضرة الحبيبِ جعفر بن أحمد بـ(خَلْع راشد)، وحصل انبساطٌ وانشراحٌ، وفرح بالوالدِ كثيراً، ثم سرنا إلى (شبام) وعارضْنا السيد علوي بن أحمد الحبشي في الطريق راكباً خارجاً إلى (سِحيل شبام)، فتحادثا هو والوالد، ومسحَ على رأسي، ودعا لي، نفع الله به. ثم حصل الاتفاقُ بالحبيب عُمر بن سميط مدّة إقامةِ الوالد بـ(شبام)، كلَّ يومٍ، وحصل النفعُ العام للأنام.

* * *

وفي (دوعن)؛ لما وصلنا (حَلْبون) مع الوالدِ عند الشيخ محمد ياسين باقيس، تلميذ الحبيب عبدالله الحداد، وزار سيدي الوالدُ أولياءَ (دوعن)، وانتفع به أهلها نفعا عاماً.

والسيدُ الجليلُ حسن بن عمر البار لم يفارقِ الوالدَ في سفره هذا أكثره، وقد انتفَع بسيدنا الحسنِ قبلَ مسير الوالدِ عند وصُوله لزيارة الوالد، وأكسبه نظرةً خرجَ بها بعد مدةٍ من الأسبابِ إلى التجريد، بل قال له بذلكَ، ولما ذكَّره بعضُ السادة كلامَ شيخه الحسنِ، صاحَ بأعلى صوته وبكى، واعترته حالةٌ، وسكن (الطائف) وتُوفِّي به.

ثم اتفقنا بالشيخ محمد باقيس ثانياً، وهو سنة ١١٨٣، وهي سنةَ أمرَني جدي أزورُ العدَني أبابكر بن عبدالله، وأعبر إلى (دوعن) لزيارة الشيخ سعيد العمودي ومن بِوَاديهِ، وألبسني الشيخ محمد قميصاً، وقرأتُ عليه في «النصائح»، والفقير آخرُ من ألبسَه من ذريةِ سيدنا عبدالله الحداد.

* * *

وفي هذه السفرة قبلَ وصولي إلى (عدَن)، حصل علينا في شهر رمضان ثورانُ صفراء بـ(نصَاب) و(عبَدان)، وكنتُ أرَى في المنام سيدي الحسنَ في مرضي هذا يدخلُ عليَّ لابساً ثيابه التي يخرُج فيها إلى الصلواتِ الخمس في المسجد، ثم وصَلنا (عدَن) في شهر الحجة، فحصَلتْ البركاتُ من القطب الرباني الفخْر، وتيسر الأمْر، وحصل رفع القدْر، التي الوقفةُ عندَه تشبه ليلةَ القدر.

* * *

ثم بعدَ وصولي إلى حضْرة جدي ووالدي، لم يأمرني الجدُّ الحسنُ بعدَ هذا، بل أمرني ليلا ونهاراً بملازمته، ولم أسافر إلا بعدَ وفاته، سنةَ ١١٩٠، كما تقدم نيابةً عنه لزيارة صاحب (مرباط) سيدنا محمد بن علي جدّ الأشرافِ.

ثم منها إلى (الصّير)، واتفقنا بالشيخين عبدالواحد بن علي الزرافي، والشيخ عماد الدين بن أحمد، وحصل النفعُ التام بهما، والخير العامُّ، والاختلاط الكلي، والانتساب والنفع الحسي، ....[١] المعنوي، وقد ذكرنا سيرتهما في النبذَة التي ألفناها في الطريقَة الحدادية، سميناها «غذاءُ القلبِ والفؤاد والروحِ والأجساد في سند خرقة القطب الأوحد الحداد».

* * *

---

(١) بياض بقدر كلمة في (ب)، وفي (أ): الاستفادة.

[ذكر محمد بن رومي الحجازي]

وممن انتفعتُ به، وأسرع بتنوير بصيرتي، ومن له بعدَ جدّي الحسَن ووالدي أحمد أعظمُ الأيادي، الشيخ العلامة محمد بن رُومِي الحجازي، بـ(باطنة عمان)، اتفَقْنا به أربعَ مراتٍ، انتفعنا به نفعاً باطناً، فالله يجزيه عني أفضلَ الجزاء، وبارك في ذريتنا وذريته، وأخذ هو عن الشجّار أحمدَ بن عبدالكريم، والشيخ علي بن مباركٍ، وغيره، في سياحته، ويعطي الطريقتينِ القادريةَ والحداديةَ العلوية.

* * *

وكتب إليَّ، ومن خطه نقلتُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله رب العالمينَ، والصلاة على سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فسلامٌ الله العالي، وثناؤه المتواتر المتوالي، أهدي ذلكَ أبكاري وآصالي، إلى من امتزجَتْ محبته ببدني وأعظمي ومفاصلي وأوصالي، أعني بذلك السيدَ العالم العامل، الورعَ الكاملَ، السيد فلان». إلى أن قال: «سلمك الله تعالى، وأبقاك وحفظكَ، وحماك في الدارين، ولا أشقاك بحقِّ النبيِّ الكريم، والقرآن العظيم.

وبعد؛ فقد وصلَ كتابك الشريفُ، وتشرفنا بقدومه إلينا، وسرَّنا ما أنتَ عليه من استقامةِ الحال واعتدالِ الأوقاتِ، ودم سالماً.

والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته

من تراب أقدامك الفقير إلى الله تعالى

محمد بن رومي الحجازي

ويسلمُون عليك كافةُ جماعةِ المسجدِ، ويسألونك الدعاء».

انتهى من خطّه، كتبناه تفاؤلاً وتبركاً به، والمرء عند نيته.

* * *

[المؤلف يزور دوعن للمرة الثالثة]

وبعدَ خروجي من (عمان) أقمتُ في حضرة الوالدِ خمسةَ أشهرٍ، ثم أمرني وأخي محمد بالسفر لزيارة الحبيب عُمر بن عبدالرحمن العطاس وأولاده، وبعده نزور الشيخ سعيدَ بن عيسى ومن بوادِيه بدَوعن، وهذه ثالثُ زيارةٍ لنا للشيخِ سعيد العمودي، الذي قال: «من زارني ثلاثاً ضمنتُ له بالجنة».

ومن العجيب أن هذه الزيارةَ حصل المددُ ببركة إشارة الوالدِ، وقلتُ مدحاً في الشيخ سعيدٍ من قصيدةٍ طويلةٍ، أولها:

* أبشرْ وأبشِر يا فتَى حصَل الوصْلُ *

إلخ. ومنَّ الله ونحنُ عند ضريح الشيخ سعيد بدخُولِ السيد الولي العلامة جَعفر بن محمد العطاس، وهو أول اتفاقٍ بالسيد جعفر، وكلٌّ فرِحَ بصاحبه، وتشفع كلٌّ منا بأخيه عند الشيخ سعيدِ العمودي، وحصلتْ بيننا وبينه في هذه الزيارة، وبين الشيخِ الزاهد محسن بن عبد الله باقيس مذاكراتٌ ومجالسُ معمورة، وكل حصلَ على قدْر استعداده.

وحصل أيضاً الاختلاطُ الكلي والامتزاجُ، وتداخل الروح والجسم، في سفرنا هذا، بسيدنا علوي بن الحبيب عمر البار، وإن كان حصل الانتفاع بالبقية من إخوتِه كعلي وأبي بكرٍ، وحفيدهم عمر بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالرحمن البار، وذلك لأن ذكرَهم زيادةٌ، لكون الحالِ واحداً، من عبدالله الحداد وآل أحمد بن زين وآل عمر بن

عبدالرحمن آل البار، وآل بن سميط شبام، لأن الحبيبَ عبدالله وأولاده كشجرةٍ، وهم أغصانها، كما قال الحبيبُ عمر بن سميطٍ بذلكَ.

* * *

ثم حصلَ على الفقير تعبٌ ومشقةٌ بسببِ إصلاحِ ذات البينِ، والشفاعة عند دولة (دَوعن) ومشايخه، وكتبنا للوالدِ بذلكَ، فقال في جوابه علينا: «وقد وصلَ خطُّك من أخيكم محمد، يشكي من (دولة العوالق) ورعيَّتهُم، فمنَّ الله بأبياتٍ كتبنَاها لكُم، صدرت باطن الكتابِ، وكتبناها للولد محمد كذلكَ، فتخلقوا بها، وهي :

أيهـا العبـدُ لا تضـيقنَّ ذرعـاً ... مـا دَهـتْ شـدةٌ إلا تجلـتْ

فاجعـلِ الصـبر مركبـاً تميطـه ... تبلغُ النفسُ ما اشتهَتْ وتمنّتْ

إلى أن قال:

والهمـومُ خبيثـةٌ فاجتنبِهَـا ... واقتلِعْها سريعاً إن كان حلّتْ

إلى أن قال نفع الله به:

خالق النَّاسَ بالجميلِ وأصلحْ ... ذاتِ البينِ حبّذا تلك نعْمَتْ

جُد بـما في يـديكَ لا تخشَ فقـراً ... فالبخيلُ الشـحيحُ يُبْغَضُ ويُمقَتْ

دمْ عـلى الـذكرِ لازمـاً بحضُـورٍ ... فهو نُـورٌ ضـياؤُه لـيس يخبَتْ

إلى آخرها وهي ثلاثةٌ وعشرون بيتاً، مثبتة في ديوانه المسمى «نزهة القلُوبِ وفسْحَة المكروب».

وحدثَ من مراقبة الناسِ والصبر على إصْلاحهم على الجسْم مني وناءٌ، مع حمى وضيقِ النفَس، حتى أن أول ليلةٍ جاءتنا الحمَّى ونحنُ ببلد (رحَاب) بلد الشيخ ناجة، عند المحبين آل باشماخ، سعيد وعامر ابني محمد باشماخ، والسيدُ الأنور شيخ بن محمد

باصرة باعلوي ببلد (جِريف) بـ(وادي ليسر) ونحنُ بالأيمن، رأى في المنامِ الجدَّ الحسن بن عبدالله الحداد وصل مسجد (جِرَيف)، فلما واجهه وصافحَه، قال له: نحن وصلنا (دَوعن) لأجل علوي، فلما وجدَنا محمومين عرفَ الرؤيا أنها رؤيا صحيحةٌ.

* * *

وجرتْ ثلاثُ وقائعُ لي في المَرَضِ، منها: أني رأيتُ الأولياءَ اجتمعوا للشَّفاعة لي من كل جهةٍ، فقال قائلٌ منهم: ما قبلَتْ لكَ إلا شفاعةُ الشيخ أحمد بلَوعار صاحب (الهجرين). **قلتُ:**

وهنا فائدة: وذلك أني في سفَري هذا لما زرتُ أنا وأخي محمدٌ الحبيبَ عمر العطاس لم نتفارقْ إلا من (بلَد عمْد)، هو سار إلى (الشُّعبة)، ونحن رجَعْنا إلى (عنَق)، إلى عند المشايخ آل بايزيد، ثم طلعنا العَقبة و(الريدَة)، إلى أن خرجنا من العقبة إلى (قيدون) بلد الشيخ سعيدٍ، نفع الله به، ولم تتفِق لنا زيارَة الشيخ أحمد بلَوعَار، لأنه بـ(الهجرين)، فحصل معنا التحسر وشدّة الأسَفِ، فكانت زيارتُه أنفعُ لنَا بالنية للحديثِ: **«نية المؤمنِ خيرٌ من عملِه»**.

ومثلَ ذلك سنة ١٢٠١، لما عزمنا على الحجّ نحنُ والأخ حامد، سرْنا برًّا إلى (عدن) من المخا فلما حاذينا مكانَ الإمام أحمد بن علوان (يَفْرُس) قرأنا الفاتحةَ ويس وما تيسَّر من القرآنِ، وتأسفنا حيث لم تقعْ لنا زيارته مثلَ الشيخ أحمد، ففي ذلك اليوم رأى خادم الشيخِ أحمد وهو في (المخَا) في المنامِ، أن الشيخ جاءَ إلى عنده وقالَ له: قل لسالم باحشوان، السادة يوم الجمعة وعشرين في رمَضان، علوي وحامد باينزلون في بيتِك الجديد، وبوصولهم إلى بيتك يدفعُ الله عنك كلّ شَر.

قلتُ: وهذا مثلَ رؤيا الشيخِ أحمد بلَوعار، فافهم.

* * *

ومنها: أني رأيتُ في المنامِ كأن بلد (الرّباط) المقبور به الشيخ أحمد بن عبد القادر باعشن الدوعني، كله مسجدٌ، وفيه عذِرةُ بني آدم، بعضُها يابسةٌ وبعضُها رطبةٌ، فلما دخلت المسجدَ ورأيتُ النجاسةَ، علمتُ وجوبَ إزالة النجاسة عليَّ، فاهتممتُ بذلك لذلك، ولقيتُ كَرْبتَين تحت المسجدِ، فأخرجتُ اليابس ورميتُه من خلْفةِ المسجد، وهكذا حتى وصَلتُ إلى الرطبة، فقامت نفسي، ومن شدة ما حصل عليَّ من الغمّ، انتبهتُ من المنامِ، فعجبتُ من هذه الرؤيَا، ولا عجبَ لأن البلد حَوطةُ الأولياء، وبالتهالكِ من أهلها على جمعِ حطامِ الدنيا، مع التكاثر والتفاخرِ، وإعطاء غاية الاجتهاد من ركوب الأخطارِ، مع بُعْد الديار والغربةِ، وتركِ الحقوق الحقّية والخلْقية في هذا المالِ، صار كأنه عذرةٌ، نسأل الله العافيةَ.

* * *

ومنها: أني رأيتُ (وادي الأيمن)، الصّاعديَّ منه، ملآناً من الخلقِ، فقال لي رجلٌ: هل تعلم ما أصابَ الخلقَ من ظلمِ الحكامِ، بسبب تعاون هذا الجمعِ على قتل الحسَين!.

فانتبهتُ ولم أعلمْ كيف تفسيرُ هذه الرؤيا، هل هو تركُ حقوقِ السّادة الجامعينَ للعلمِ والعبادة، من جمٍّ غفيرٍ، انتقمَ الله لهم، لأن حقوقَ أهل البيت المطهرين كثيرةٌ، أم هي أضغاثُ أحلامٍ؟ لأن الأمْر هذا عمَّ بقُطْر حضرموت، ليس بدوعن خاصّةً، بل ظلمٌ مسبِّبٌ إهلاكَ الحرث والنسلِ، نسأل الله العافية آمين.

* * *

حصّلنا في سفرِنا «فتح الباري شرح البخاري»، ووقفهَ مالكُه في زاوية الحبيب عبدالله، وجعل النظر للوالدِ ثم أولاده من بعده، ثم رجعنا من (دوعن) إلى حضرة

الوالد. وفي سنةِ ١١٩٦، أذن للأخ عُمر والأخِ محمدٍ، ابنيه، في الحج وزيارة سيدِ المرسلينَ صلوات الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه، ورجعَا سنةَ ١١٩٦.

* * *

وسنة ١١٩٨، أذن لنا إلى (عمان)، وأمرني بأربعةِ أذكارٍ كلَّ يومٍ، كلّ ذكرٍ عند استيداعِنا، ستأتي مع قصيدة طلبناها منه، نفع الله به.

فركبنا بحراً من (الشحْر)، ومن العجيبِ أنا وجدْنا آل (مرباط) مجتمعين لما وصلنا لزيارة سيدنا محمد بن علي، وذلك أن السيدَ عبدالله بن أحمد مقيبل المجَاور بيتُه لقبةِ سيدنا محمدٍ، رأى سيدنا عمر المحضار وصل بحراً لزيارةِ سيدنا محمد بن علي على صورة الفقير، وصبحَ الرؤيا وصَلنا لزيارةِ سيدنا محمد بن علي مولى (مرباط).

وطلعنا جُعلان لصَلاح حالِ أولاد السيدِ عبدالله بن عمر سري، وأخدامهم السندَة من بني بوعلي، ثم إلى (مسكت)، وزرنا سيدنا الحبيب زينَ العابدين، وحثينا أولاد سيدي وأخي الحامد بن الخالِ علي بن حسين الحداد الثمانية، وأعطينا كلا إرثه من أبيه، وكل ذي حق حقّه، وطلعنا (الجوّ) لأن لنا فيه بيتاً وزوجةً من السادة آل عطاس، من سفرنا الأول تزوجنا عليها، ثم رجعنا إلى حضْرة الوالدِ سنةَ ١١٩٩.

[عزم المؤلف على الحج سنة ١٢٠١هـ]

ولما كنا في (الشحر) أردنا الوالدَ يأذنُ لنا بالحجِّ، فطلب وصُولنا، ومن حضرته يكون السفر، فأذن لي وللأخ حامدٍ سنةَ ١٢٠١، يوم الاثنين، و ٢٤ خلت من شهر ربيع ثاني، واستودعنا منه، وحصلتْ منه عنايةٌ تامة وافية في سفرنا هذا.

وصلنا (شبام) وزرنا الحبيب عمر بن زين بن سميطٍ، وبشرنا ببشاراتٍ، وأمرنا نكثر من الصلاة على النبي محمد ﷺ مطلقاً في كل وقتٍ، وذكر الحديث في ذلكَ، وهو هذا:

«وأخرج الترمذيُّ عن أبيٍّ بن كعبٍ قالَ: كان النبي ﷺ إذا ذهبَ ثلثُ الليل قامَ فقال: **«يا أيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه»**، قال أبيٌّ: يا رسول الله، إني أكثر الصلاةَ، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قالَ: **«ما شئتَ»**، قلتُ: الربعَ، قال: **«ما شئتَ وإن زدْتَ فهو خيرٌ لكَ»**، قلت: فالنصف، قال: **«ما شئْتَ وإن زدت فهو خيرٌ لكَ»**، قلت: الثلثين، قال: **«ما شئت وإن زدت فهو خير لكَ»**، قلتُ: أجعل لك صلاتي كلها؟، قال: **«إذا تكفى همك ويغفر ذنبك»**، انتهى من إرشاد العباد». ومثله في «الزواجر»، وفي «الزواجر»: «قال رجلٌ: يا رسُولَ الله، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليكَ، قالَ: **«إذا يكفي الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك»**، انتهى من «الزواجر»».

وأمر بمولد النبي ﷺ يُقرأ في جامع (شبام)، وأعطانا قرْشَينِ في خرقةٍ، فاعتقَدْنا أنهما ما بقيا معنا لا نحتاجُ لشيءٍ، فكنا إذا دعَت الحاجة حضَراً أو سفراً وأردْنا أن نصرِفَهما فتحَ الله علينا بغيرهما، إلى الآنَ، وهذا من كراماته وعظْمِ تصرفهِ حيًّا وميتاً، نفع الله به، ورحمه رحمة الأبرار.

* * *

ورأوا جملةٌ من المحبينَ أن الحبيب حسنَ قصد الحجَّ تلك السنة، فكان هذا إشارةٌ إلى حجِّنا، بل أعجَبُ من ذلك: أن المحبَّ عمر بن عبد الله السليماني ساكن (السُّفال)، رأى سنة ١١٩٨، وهو في طلب العلم على الوالدِ، يقرأ في (الحاوي) مع الطلبة، كأنه حجَّ مع سيدي الحسن بن عبدالله ووصل معه إلى (مكة المشرفة)، فأعلم

الوالدَ أحمد بالرؤيا، فقال له: ستحجُّ مع بعضِ أولادنا، فحج معنا من بلده لخدمتنا، إلى أن حجَّ معنا، فسبحان الحكيم المتصرف.

ورأى سيدُنا في (المخا) سنةَ حجَّينا كأنّ الوالدَ ومعه الصنوُ عمر قاصدانِ الحجَّ تلك السنة، فكان ذلكَ حجُّنا، وكتب لنا نفعَ الله به في أول خطٍّ وصلَ إلينا منه، ونحن بدَوعن، بعد البسملة: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]، الآيةَ. ثم ذكر بعد قوله: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»،

شعراً، وهو قوله نفع الله به:

سـلامٌ يعبِـقُ الآفـاقَ طيبـاً	ويشرَحُ صدركم أهْلَ الـودادِ
ويجعـلَ حـبكُم في كـلِّ قلـبٍ	وينصُـرَكمْ عـلى أهـلِ العنـادِ
ويشـملُ بالسّـلامة والعَـوافي	جميـعَ أحـوالكم خـافٍ وبـادِ

* * *

ومما كتبَ به أيضاً في سفَرنا المذكورِ أوّلاً:

سـلامٌ سـلامٌ علـيكُم دوامْ	يفـوحُ شَـذاه كعَـرْف البشـامْ
من الحـاوي النّـور يهـدَى لكُـم	ويـبرأ بلقيَـاه كـلَّ كِـلامْ
وينشـرِحُ الصـدْر مـن طيـبِه	ويبعـثُ شـوقاً يفـوقُ الغـرَامْ
ولكـنْ يهـون بسَـهْنِ اللقَـا	فيـا ربّ حقـقْ وجُـد بالتئـامْ
مـعَ العافيـةْ والسـلامةِ يـا	سميعَ الدعاء جُـد لنـا بـالمرامْ
وصـل وسـلّمْ عـلى أحمـدٍ	وآلـه وأصْـحابِهِ الكـرامْ

وأرسل بحمد الله لباساً لنا في سفرِنا هذا، وكتب في وسط الإلباسِ في ورقةٍ لطيفة:

«الحمدُلله رب العالمين، وهو الحافظُ والمعين، صدَرت شَايتان شـارِخان، ويكونا لبسَ العافيةِ حسًّا ومعنًى والسلام. حرِّر يوم الجمعةِ شهر شعبان سنةَ ١٢٠١، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

* * *

[وصف رحلة حج المؤلف سنة ١٢٠١هـ]

وقد منَّ الله علينا بأنْ قالَ لنا أيامَ حجِّنا بعضُ السادة الأخيار: اكتبوا سيرتكم في حجّكم، فكتبنا على إشارتِه، وفصلنا فيها في كرَّاستينِ، تعديدَ الأكابرِ الذين زرْناهم من الأحياءِ والأمواتِ، وما فتحَ الله من النور بواسطتِهم، فنلخّصُ ما يحسنُ ذكرُه هنا:

«بحمدالله أحرَمْنا من (السَّعدية)، لأنا من (القنفذة) خرجنا برًّا إلى (مكة المشرفة)، أحرمنا من (السعدية) على الكمالِ من غسلٍ وركعتينِ، وأحرَمْنا بعدَها لعشرٍ خلَتْ من شهرِ القعدة الحرام، إفراداً، لأنه أفضلُ عند إمامِنا الشافعي، واحدٌ منَّا متمتعٌ للضرورة، لطولِ المدة بالإحرام، وخوفاً من الإساءة لتوقع محذورٍ، فأخذْنا جانبَ السلامةِ، مقلِّدينَ لمن قالَ إن التمتعَ أفضلُ، وهو الإمام أحمد بن حنبل.

ومن عجيبِ الاتفاقِ، وعُظْم الاعتناء والمدد، رأيتُ في المنام آخرَ الليل قبلَ وصولنا إلى (السعدية) آخر الليل بساعتينِ، كأن والدنا وسيدَنا القطب عبدالله الحداد وابنه الحسن، وكأنّ جدَّنا الحسنَ بلغ مقام القطبية الكبرَى والصديقية العظمَى، ببركة دعاء الفقير، ولما استودعتُ منهما، قال جدِّي الحسنُ: لا تنسَانا من دعائكَ في الأماكن الشريفة. ومن عجيب الاتفاق بعد السلام من الركعتين جاء رجل اسمه سعد بقدَحٍ ملآن لبناً حليباً من الضرعِ حارًّا، فشربنا منه تفاؤلاً بالاسمِ، وذكرنا باللبن شربَ النبيِّ

ﷺ في قصةِ الإسراء له، فلما أحرَمْنا ولبسْنا وتمينا التلبيةَ، صافحنا رجلٌ فسألناهُ عن اسمِه، فقال: محمدُ بن محمودٍ، فالحمدُلله على المليح، لأن النبيَّ ﷺ كان يحبُّ الفألَ.

ونزلنا (البيضَاء)، وصبحَ الجمعةِ على بركة الله دخلنا (مكة) بعد الاغتسال قبل دخولنا، وعند الأعلامِ على الحرم اغتسلنا أيضاً، بل جرَتْ واقعةٌ عند دخولنَا حدودَ الحرمِ، حصل اضطرابٌ ورعبٌ شديد، فبكينا حتى زالَ، وبعد زواله اغتسَلْنا، ثم ركبنا واغتسلنا في البرْكةِ قبلَ الدخول، وعندنا «منسَكُ الوالدِ» وغيره، نأتي بالأذكار عند كلِّ موضعٍ، ونفعل كلَّ سنَّةٍ في المناسكِ التي معنا، بحَمْدالله لا نعلمُ أنا أخلَّينا بسنّةٍ واحدةٍ من قولٍ أو فعلٍ.

قال صاحبُ إقليد الزاوية الحدادية، محبُّنا الشيخُ أحمد بن محمد مرعي: حجّيت حجاتي المتقدمة الكثيرة، ولم أعلمْ أني أتيتُ بالواجبِ والمسنون قولاً وفعلاً غير حجّتي هذه معكم، ببركاتكم. وقال السيدُ الأنورُ، علوي بن محمد بن عقيل: حجيتُ حجاتٍ كثيرةً مع الإقامة بمكة، فلم يتمكن لي الإتيانُ بكلِّ ما وقعَ لي في هذه الحجة معكم.

ودخولنا (مكة) يومَ الجمعةِ، وإحدى وعشرين في ذي القعدة الحرام، دخلنا من باب السلام، ووجدناهم أرادوا الإقامة لصلاة الصبحِ، وأتى الإمامُ بسورةِ السّجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ [الإنسان: ١]، وبعد تمام الصلاةِ صافحَنا الأنورُ مُقْبِل، وكان رجلاً كثير الطوافِ لنفسِه، له وردٌ معلومٌ كلَّ يومٍ، لا يتركه، فطلبَ يطوفُ بنا طوافَ القدوم، ويسعى بنا، فأجبناهُ، ونزلنا زاوية الحبيب عبدالله الحداد بـ(جِياد)، وأتينا بالمناسكِ كلها على الأكمل، واجباً وسنةً، وقد نظَمْنا ذلك شكراً على هذه النعمة.

وكانت الوقفةُ حقيقةً بالجمعةِ، لأن شهر ذي الحجة رأوهُ عددُ التواترِ، لكن القاضي لم يقبل أحَد، لطف الله به، مع أن خلقاً ثقاتٍ أعلمُونا به، وأناسٌ من عَسكر الشريف سرور، والشريف مساعد، حتى أن المفاتية والعلماء وأهلَ (مكة) و(جدة)

تقدَّموا إلى (عرفةَ) بالجمعة، وأمرَ مُفتي الشافعيةِ أن نتقدّم، فتقدمنا وإياه وأهلُ الخير والصلاحِ وأهل المحافلِ، إلا الشريفُ وصلَ السبتَ، فوقفنا الجمعةَ والسبتَ، وهذه الواقعةُ بعينها سنةَ حجَّ شيخُنا الحبيبُ الحسن بن عبدالله الحداد، نفع الله به، فقلنا هذه وراثةٌ.

* * *

وأيام إقامتنا بـ(مكة) دخلنا الكعبةَ المشرفة للتبركِ والصلاةِ والقراءة والدعاءِ أربعَ مراتٍ، ودخلنا مَقام إبراهيمَ عليه السلام، وشربنا ماءَ زمزم، وصبَّيناهُ على موضعِ قدميه الشريفةِ، وتملينا وتمسّحنا بالحصَارِ الذي قام عليها، ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وزرْنا غارَ ثور، الذي دخلَه النبيُّ ﷺ وأبو بكر الصديقُ في (جبل ثور)، وأخذنا يوماً بالجبلِ، وقرأنا خبر مولد النبي ﷺ في جمعٍ كثيرٍ، كعادتنا للمآثر كلها، في جمعٍ من السادة وغيرهم، لأن الجمْعَ بركةٌ.

وجميعَ المآثر بـ(مكّة) و(المدينة) تقصَّينا عليها، وأولياءها المعروفونَ زرْنَاهم جميعاً مراتٍ، حتى قالَ بعضُ المجاورين من السّادة أهل الخير: مع إقامتي لم يجمع الله لي الاستقصاء على المآثرِ وزيارةِ الأكابر، إلا ببركَةِ متابعتي لكم في مدة إقامتكُم بالحرمينِ.

لأن المناسكَ والكتبَ التي ألَفُوها العلماءُ بالخصوصِ في (مكة) و(المدينة) وفي الحجّ وفي الزيارةِ، بعضُها معَنا وبعضُها طلبناه من عندِ أهلها مدّةَ إقامتِنا بالحرمين الشريفين، فبالحركاتِ مع صلاح النياتِ تنزِل البركاتُ، وبالتعرُّضِ للنفحاتِ تحصُل الجذَبات وعظيم الهبات، ذلك فضل الله يؤتيهِ من يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيم.

* * *

وأقمنا بـ(مكّة) من يوم إحدى وعشرينَ من ذي القعدة الحرام، إلى يوم الاثنين وإحدى وعشرين من عاشُور، سنة ١٢٠٢، ثم عزمنا إلى (المدينة المنورة) لزيارة الحبيب

سيدنا محمد ﷺ، فخرجنا من (مكّة) إلى (جدّة)، وسرنا نحن والأخ حامد منها لستٍّ خلتْ من شهر صفَر، ووصلنا إلى (جدّة) بعد رجُوعنا ثاني ربيع الثاني.

وكان وصولنا إلى (المدينة) مع الفجر، ودخلنا واغتسَلنا ثم قصَدنا الروضَةَ، وركعنا تحية المسجدِ ركعتين، ثم توجّهنا مع المزوِّر وهو سيدٌ من العلويينَ، فزار بنا المصطفى ﷺ حسب ما ذكرَه العلماءُ في كتبهم، ثم سيدنا أبو بكرٍ ثم عمرَ، ثم سلّم على الملائكة في المكانِ الذين يسلمونَ فيه أهلُ المدينة عليهم، ثم زار بنا سيدَتنا فاطمةَ، ثم أهلَ (البقيع) سيدنا عثمان أولاً، ثم بعدَه على الأثرِ واحد بعدَ واحد، وفي قبة أهلِ البيت حصَل لنا مددٌ ظاهر، لم يقع لنا مثله إلى في قبة سيدِنا محمد بن علي مولى (مرباط)، سليلهم وحفيدهم، نفع الله بالجميع، وسيدنا حمزة مع أهلِ أحُد، والمآثر فيه، كلَّ خميس مدّة إقامتنا نزورُه، وكل سبتٍ نأتي قباءَ، وكل أثرٍ في قباءَ والعوالي، مثل الآبار السبع، ومثل مساجد الفتح، وسيدنا علي العريضيّ في جمعٍ كثير زرْناهُ، وقرأنا خبر مولدِ النبي ﷺ عند ضريحه، وألبسني عند ضريحه إلباساً رفيعاً رجلٌ من أهلِ المدينةِ، فعلمنا أنه من بركَات جدنا علي العريضي، علي بن جعفر الصادق، وزرنا أخاهُ إسماعيلَ بن جعفرٍ الصادق بالمدينة، وسيدتنا صفيةَ وأختها عمَّتي النبي ﷺ، يقال: إن عاتكةَ قُبرتْ عند سيدتنا صفيةَ أمِّ الزبير بن العوام، وزرنا أبا النبي عبدَالله، وسيدنا مالكَ بن أنس في قبتِه في المدينة، والمآثر بها كلها، مثل مصلَّى العيد بالمنَاخة، ومساجد الخلفاءِ أبي بكرٍ، وعمرَ، وعلي.

وحضرْنا بحمدالله محاضِر ومجالسَ معظّمة، واجتماعات وجماعاتٍ وجُمُعاتٍ، فيها أسرارٌ ونفحات، وحضرنا عيد المولد وقراءة خبر مولد النبي ﷺ في المسجد النبوي بالنهارِ، وفي الليل أيضاً، وأحيينا ليالٍ كثيرة بالتلاوةِ كلَّ ليلةٍ في الرَّوضة الشريفة، وقرأنا خبر مولد النبي ﷺ في جمع عنده صلواتُ الله عليه، وكافة الصحبِ

ثلاثَ مراتٍ، على كيفية قراءة آل حَضْرموت، وأقمنا بحضرته صلواته الله عليه خمسةً وثلاثينَ يوماً، فسافرنا نهار واحدٍ وعشرينَ في ربيعِ أول، لما حصلَ الإذنُ منه ﷺ.

* * *

ومن عجيبِ الاتفاق أن حمالتنا ذهاباً وإياباً أهلُ بدرٍ، أهل سنةٍ وجماعةٍ، ووقع مع المجيء والإياب صلاتنا الجمعَة مع مسيرنا بـ(بَدْرٍ)، ووافقَ مع المرجعِ كذلك جمعة، صليناها بـ(بدْر)، وسمعنا النوبةَ تضْرَبُ، وزرنا سادتنا الشهداء.

وفعلنا تاريخ للحجِّ هذا، وتاريخ للزيارة، فتاريخُ الحجِّ: قولك «حجي عام رضا الله»، وتاريخ الزيارة لسيد المرسلينَ ﷺ قولكَ: «زار بنصْرٍ وفتحٍ من الله»، والثاني من التواريخ «زيارته مقبولة».

* * *

وحصلتْ لنا بشائرُ ظاهرة وباطنة، ومرائي مبشرَة لنا، وسادة ومحبين رأوهَا لنا، منها: أني رأيته ﷺ في الطريقِ قبلَ أن ندخل (المدينة)، كأنا دخلنا لزيارته الشّريفة، وخرج من قبره الشريفِ لنا، وجلس عليه، ثم كلمني بكلام ﷺ، وطلب مني ديوان الحبيب عبدالله الحداد، فأعطيته إياه في مجلدٍ جديدٍ، هو وجلدُه كان معي، وكأن البلد (تريم) مقابلة وجهَه تحتَ الخلْفة التي ترى في النخْلةِ من جهة القبلة، فقلتُ في نفسي وأنا بحضرته: فلهذا القرْبِ منه مقابلهم بوجْهه الشريف حَظُوا منه بالمتابعة له ﷺ ظاهراً وباطناً.

ورأيته ﷺ ثاني مرةٍ ونحن بـ(المدينة) في محراب سيدنا عثمان، ورأيت خاتم النبوة، ثم رأيتُ بابَ المواجهة انفتحَ لي، ورأيتُ خرجَ إليَّ منه اثنين أو ثلاثة، كأنهم من الأنصار ومعهم جنازةٌ، كأنهم نبشوا قبراً عنده ﷺ، وأردوا الصلاةَ عليه، ثم الجنازة رأيتها صبيحةَ الرّؤيا توفي درويشٌ في إحدَى الرِّباطات، يشار إليه بالخير، فصلينا عليه،

وأرِينَا الشباكَ من جهة التسليمِ على الملائكة فتحَ لنا، وسلمنا عليه ﷺ، فسمعت الردَّ منه، بل عياناً له ولبنته الزهراء كرامتين في واقعتينِ.

* * *

أما هو ﷺ: قصدتُه في أمرٍ دينيٍّ ليلةَ أحيينا الليلَ كله عندَه، فقالَ، وكان الخليفة أبو بكر معه، فقال: رُحْ لعمر بن الخطاب صاحبك يقضيها لكَ، قلت له: ولو أنه صاحبي لكنه مهيبٌ أكثر منكُما، ما أريدها إلا منكما أنتَ وخليفتُكَ، فتبسَّما، وذلك له سببٌ: وصَّى السيدُ الوفي، محسِنُ بن علويّ مُقَيبل، لنَا، وقال : إن رجلاً هنَا بـ(المدينة)، بالرباط الفلاني، اسمه علي بن عال الفُلَّاني، عُرِضَ عليه ببلده (المغرب) عشرينَ حالاً، أبى منهَا واختار المجاورة لحضْرةِ الرسول ﷺ، فقصدناه بالنيةِ.

فلما خرجنا من بابِ الرَّحمة، وكنا بالمسجدِ، إذ به قدْ أقبلَ، فتواجهنا وإياهُ، وصافحناهُ، فقلت له: نتوسل بك عند سيدِ المرسلين ﷺ، بما طلب الحبيب عبدالله الحداد من جدّه صلواتُ الله عليه سنة حجَّ بقوله:

وإن صـلاحَ الـدِّينِ والقلـبِ سـيدي هو الغرَضُ الأقصَى فيا سيّدي قمْ بي

فزيق فيَّ ساعةً، ثم قال : اقرأ صباحاً ومساءً سورةَ العصْر، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾ [قريش: ١] وسورة الفلق، قلتُ في نفسي: لم خصها فكاشفني، وقال: لأنّ ما فيها كافٌ، فقال له أخي حامدٌ: أجزني مثله، فقال له: أخوكَ يجيزكِ.

فلما صلينا المغرب بالرَّوضة، وكان قد صلّى بجنبي، فقال لي: ما جئتُ إلى عندك إلا أريدك تبلغ وصاةً لوالدك القطبِ أحمد، وقل له: الشيخ علي بن عال يسألُكَ ثلاثَ خصالٍ: أن يحفظ نصْفَ القرآنِ، ويعرف معناهُ كما يعرفه ويحفظُ النصف منه، وأن يرزقه الله كمال الأدبِ مع النبي ﷺ وأهل بلده وزوارِه، وأن يختم له عند المماتِ بالحسنى مع العافيةِ، واكتبْ حَالما تصلُ البيتَ الذي أنتم نازلينَ فيه ذلكَ لأجلِ ما

تنساهُ، ولا عاد أجلس وإياك نتحدّث بعدَ هذا المجلسِ، كلٌ يدعو لصاحبِه.

فقلتُ له: مرادنا نحظى بالقبول من هذه الحضْرة المعظمة، وشكيت عليه النفسَ والأعمالَ التي مضت سدًى، فقال: سبحان الله! أما أنتم فقد أنعمَ الله عليكُم بصحَّةِ النسبِ، وعلى السنة والجماعة، فما أنتم ولاةٌ، ولا قتلةُ نفوسٍ حتى يكُونَ منكم هذا الاعترافُ وهذه الأحوالُ، ثم بشَّرني واستودعتُ واستودعَ مني.

فلما قرب عزمنا من (المدينة) للسَّفر، وافقَ قرْبَ المغربِ بعد زيارتنا، رأيناه من (باب جبريل) داخلاً للصلاةِ فدخلتُ معه، فقامتِ الصلاةُ وأنا بجنبِه مع الجماعة المغربَ، وصلينا بعدَها الركعتينِ البعدية، فلما انتهت الركعتانِ وسلمتُ منهما، وسلم هو من ركعتيه، أردت أسأله أمرا خطر لي سؤاله منه أن يشفع فيه فحال الخاطر أحسست معي براقة الظاهرِ، فقمتُ بغير شعورٍ لأخرُج لها إلى البيت، فلما وصلت (زاوية سيدنا عثمان) راحت عنّي، فصليتُ الأوابينَ، ولم أخرج من المسجد النبويّ إلا بعدَ صلاة العشاءِ، وبعد قراءة الراتبِ مع الجمع المعتاد، ويقرأ كلَّ ليلةٍ عند (باب الرحمة).

فعلمتُ أنه تصريفٌ منه براقة الظاهر وإمسَاكها، لأنه قال لي أولاً: هذا آخر مجلسٍ، لأنه يحب الانفرادَ، وعليه نورٌ باهر، فتعجبت من الوصَاةِ لوالدي، مع أنه لم أعلم له صلةً قديمة، ولا معرفة به إلا إن كان بشيءٍ لا نعلمه. فلما أعلمتُ الوالدَ بالوصاةِ تبسَّم في وجهي، ما أعلمُ بتبسمه لأي حالٍ؟ أو هل كشِفَ له راقَة الظاهرِ ومسكُها؟ فإني لم أخبره بذلكَ، ولا غيره.

* * *

وأما الواقعةُ التي جرتْ لنا مع سيدتنا فاطِمةَ الزهراء، رضي الله عنها: فإني حالَ قدومنا، أسبوعٌ مضى لنا في (المدينة) إذا جئنا لزيارتها بعدَ والدِها عند البابِ الذي

يسلمونَ عليه فيها، أرى الصندوق الذي على القبر يقرُبُ عياناً إلى عند البابِ، فتعجبتُ كثير عندَ كل زيارة مدةَ الأسبوعِ، ولما أحيينا في بعضِ الليالي وقتَ السّحَر، أمرُونا الخدَم للحجرَة الشريفةِ نتبرك بالدخولِ في الحجرة.

فقمنا ومن معَنا من غير سؤالٍ سبقَ منَّا لهم، فلما دخلنا نحنُ وسيدي الأخُ حامد، والسيدُ صادق من آل الجفري من (تريس)، ومن حضَر، صاح السيدُ الجفريُّ عند مواجهته لسيدتنا الزهراء، وغُشي عليه، إلى أن تمينا زيارتنا لسيدِ المرسلين ﷺ وطرحنا تحت الكساء أبياتاً للحبيبِ عبدالله من «ديوانه»، ندعو بها، جمعناها مثلَ:

قُـمْ يَـا رسـولَ الله بي وتـوَلّني ... واشفعْ إلى الـرحمنِ في أوزَاري

الخ، وغير ذلك من «الديوان»، ثم زرْنا صَاحبيه أبا بكر وعمر، ثم لما وصلنا لزيارة سيدتنا فاطمَة، أفاقَ السيد صادق الجفري.

* * *

واتفقنا بأجلاءَ في (المدينة) مثلَ السيد محسن بن علوي مقيبل، والسيد علي بن حسن البرزنجي، مراتٍ عديدة، وقال السيد علي: مجيئكم حرك عليَّ أشياء كانتْ مسكّنةً، ودموعه تتحادَرُ على خديه، وأجازنا في «مولده المنظوم»، وفي «منظومة في أهل بدر» الذي نظمَهُم من نثرِ أخيه جعفر، وجملةٌ من أصحابِ الخير رأوا مرائي صَالحة، فعسى الله أن يتقبل ذلك.

وكذلك في (مكة)؛ رأينا من أهل اليقين رجُلا اسمُه علي، بقّالٌ، وقد كان عزم سنين أن لا يأكلَ ولا يشربَ إلا إن كان أحدٌ ألقمَه بيدِه، قال السيدُ شيخ بن محمد الجفريّ في بعضِ حجاته لما اتفقَ به: متاه تخرُج هذه المخدَّرة؟. ويوماً من الأيامِ سمع منشداً ينشد بزاويةِ القطب عبدالله الحداد بقصيدته:

قــــدْ كفَــــاني علـــمُ ربي ــــــ مـــن سُــؤالي واختيَــــارِي

فغشيَ عليه يومَه، فلما أفاق قضَى الصلواتِ التي فاتته في غَوبته تلك، ولما واجهته قال لي: والله إني أحبكَ في الله، فقلتُ له: أحبك الله الذي أحببتني من أجله، واستودعتُ منه بعد طوافِ الوداعِ.

ويوماً من الأيامِ ونحنُ في الحجْرِ، ورجلٌ من أهل السرِّ يقولُ بصوتٍ مخفَّضُه: ياربَّ البيتِ، فرأيتُ امرأةً عليها ثيابٌ رثةٌ قامتْ فوقَه، وقالت: يا ربّ الكلِّ، بصوتٍ عالٍ، ثم خرجتْ من الحجْر.

ورأيتُ في المنام وأنا بـ(مكّة) كأنا عند البيتِ المعمور، فوقَ السمواتِ، وعليه ما لا يوصَفُ من المهابة والجلالة، خصوصاً ما بين اليمانيّ والشاميِّ من الركنينِ، في مقابلة الإمام مالكٍ، ورأيت أناساً من الموتَى أعرِفُهم عندَه، وأناساً حجُّوا من الأحياءِ بعْدَنا في السنةِ التي بعد حجِّنا، رأيتهم، وسيداً توفي من آل أبي علوي بعد الحجِّ، وهو عبدالرحمن بن محمد المشهور، صاحب (شبام)، حتّى أنه أدخَلني منزله، فرأيتُ صدقاتِه عنده في البيتِ، وعندنا «منسكٌ» يذكر فيه حكاياتِ الصوفية في الحجِّ، عن علي بن وفا أنه قالَ: إن الأنبياءَ والأولياء كلّ ليلةِ جمعةٍ واثنينِ، يجتمعون بـ(مكّة)، فقصدتُ في تلك الليالي عسَى أن جدّي عبدالله الحداد ينظرُني في هذا المحلّ الشريفِ.

فلما كنتُ في الثلثِ الأخير بعدَ الطواف تحتَ الملتزَمِ ملاصقاً البيتَ العتيقَ، ما بين الركن الأسْعَد والبابِ، وعندي ثلاثةُ نفرٍ يدْعُونَ جهراً، وأدعو بصوتٍ أخفَضَ من أصواتهم، إذ ضربَ على صدري رجلٌ عليه أنوارٌ ساطعة، تشبه صورَة سيدنا عبدالله الحداد الذي تمنيته قبلَ تلك الليلةِ، فقال لي: ادعُ سرًّا، فلما عرفته قمتُ بجنبه وهو رافعٌ يديه تحتَ الملتزمِ، يدعو سرًّا وأنا أؤمّنُ على دعائه، حتى ختمَه ومسح بيديه وجْهه، وسار نحو الركنِ العراقيِّ فتبعتُه فغابَ عن عيني لمحةَ بصرٍ، فلم أنظُره أين

توجّه، فتعطشتُ على فراقه، وبقيتُ قائما متحيراً.

ولما مرِض الأخُ حامدٌ، خفتُ عليه موتَ الغربةِ، وشقَّ عليَّ، فتوضأتُ في الزاويَة وقتَ الضحَى، وخرجتُ وطفتُ بالبيتِ، فلما انتهى الطوافُ خرج شخصٌ من الحجْرِ، وقال لي في وجْهي: سَالم، سالم، سَالم، وسَار نحْو مقامِ الإمام الحنفيِّ.

* * *

ولم نزل بـ(مكة) يكاشفونا في الطرُقاتِ والسككِ، من رجلٍ وامرأةٍ لا يؤبَه لزيِّهم، فسبحانَ من ملأ الوجودَ برحمته وفضله، وعمر الكون بهم.

ولقيَنا رجلٌ مجذوبٌ، يسمى الوجيه، جلسنا وإياه مجلسينِ، في آخرِ مجلسٍ حكَى لي بأموري كشفاً منه، ورجلٌ في المدينة مثلَه، حظينا به في ليال مباركة. وكذلك رجل من السادة آل غرْب، في (القنفذَة)، اسمه علي غَرْب، كان آيةً في إظهار الخوارقِ، كثير الصمتِ جدًّا، حصل لنا منه مددٌ وإيناسٌ، ودعاء وبركة، وكان يدخلُ البيوتَ من غير بابٍ، وعاشاه رجلٌ في علبٍ ادَّعى أنه ملكَه، وكان ملكَ السيدِ، فقال السيدُ للعِلْب: رُح للأرضِ الفلانية وكن هناكَ، فسار العلبُ عياناً على الأرضِ الذي أمرَه يكونُ فيها.

ومنها: وقعاتُ الشريفِ مع حرْبٍ، يأخذ رمحاً بيدِه ويهتفُ بصَوته بالزوامل والرواجزِ، والحروب فيؤرخون الساعةَ واليومَ، فيوافق معركةَ الحرْبِ للشريف في تلك الساعةِ مع حرْبٍ، وكان ينامُ على سريرِ الحبالِ، تأثر في جنبه، والبقُّ سريرُه ملآن بها، وله أحوال أُخَر.

[ذكر السيد أحمد بن علي بحر القديمي]

ومن أعظَم ما رأيناهُ من السادة باليمنِ، بـ(بيتِ الفقيه)، السيدُ أحمد بن علي بحْرٍ، من بني قُدَيم، الحسينيُّ الولي المكاشفُ، العالم المتبحر، اتفَقْنا به مع المسير إلى

الحرمينِ، ومع رجوعنا، وحصَل لنا ما لا يقدر وصْفه، بل هو من مشايخنا وممن اعتنوا بنا، وصار لهم الحقُّ الكبير عَلينا، لما مُنحْنا منهم، فجزاهم الله خير الدارينِ، آمين.

كاشفني بأشياءَ قديمةٍ سبقتْ، وخطر على بالي: هل الخَضِر نبيٌّ أو ولي؟ وكانَ الأرجحُ عندي أنه وليٌّ، فكاشفني، وقال: هو ما في خاطرِكَ، إنه ولي ليس بنبي.

وخَطر مرةً: هل يملي عليَّ مناقِب الإمامِ أحمد بن موسى بن عُجَيل؟ فحال الخاطرِ أملَى عليَّ كثيراً من مناقبِ الإمام أحمد بن موسى بن عجيل، فكان معنا رجلٌ من آل باعباد من (حَورة)، لما استودع منه، قال له: خلّ والدتَك تدعي لنا، فتعجبتُ لأنه لم يكلمْه مدةَ جلوسِنا، إنما رأى أثرَ البرِّ في وجهه، وعلم كشفاً أن والدتَه في الحياةِ.

وطلبتُ منه وصيةً بقلبي ولم أتكلم، فأقبل بوجهه إليَّ فقال: نوصيك بتقوى الله عز وجلّ، ثم المواظبة على السنن، ثم باليقين الجازم، ثم إن لم يقْوَ يقينُك، فعليك بالدعاءِ. **ومن كراماته**: أنه أعلمَ بعض مريديه الصادقينَ، أنه أخذَ الذكْر من النبيِّ ﷺ في اليقظة من غير واسطةٍ.

ومددُنا من هذا السيدِ أكثر من غيره في سفرِنا، وقال: إنا ندعو لابنكَ عبدالقادر، وأنت ادعُ لابني، رضيَ الله عنه وأرضَاهُ، ومتعنا بحياته، وجزاه عنا أفضلَ الجزاءِ، وبارك له في ابنه، ومتعَ له به وببركته، كذلك يبارك ويمتعْ لنا بابنِنا عبدالقادر.

* * *

فعبدُالقادر ولد سنةَ ١٢٠١ من الهجرة، سنةَ حجة الإسلام لنَا هذه، وذلك يوم الثلاثاء قبل غروبِ الشمسِ من أول يومٍ في شهرِ ظفَر الخير، ووالدُنا أحمدُ حنكَه، وأذن في أذنه اليمنى، وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، إلى آخر السورَة، وأقام الصلاة في اليسرى، وعق عنه لسَابعِهِ، وسماه عبدالقادر، بإشارةٍ وقعتْ من الشيخ الكبير عبدالقادر الجيلاني في جمعٍ عظيم، في رؤيا رأيتها، وإشارة وقعَتْ من جدي

الحسن، وكأني وإياه في (الكَودة) بـ(وادي عيديد)، ويبشرني به.

وقد رأى ليلةَ ولادته الشيبةُ الأنور محمد باسباعي: كأن سيدنا عبدالقادر الجيلاني في جمعٍ عظيم عندَ الوالدِ، في المحضَرة الكبيرة في البيتِ الذي ولد فيه عبدُالقادر ابننا، وقد وصل درويشٌ صاحبُ خطْوةٍ من أشراف (الغَرْب) من بني الحسنِ، لزيارة الوالد، اسمه قاسمٌ، وعقدَ بيننا وبينه عقد الأخوة، ولنا معه وقائعُ.

منها: وقت الحمل بعبدالقادر ابننا كنتُ وإياهُ بعد الظهرِ، قال لي كشفاً منه: الحملُ الذي حملتْ به زوجتك الشريفةُ ولدٌ ذكر، سمه عبدَالقادر الجيلاني، وإلا باسم شيخي محمد أبومدْيَن، من أولياء الغرْبِ، بل شيخُ الفقيه المقدَّم.

وقال لي الحبيبُ عمر بن زين بن سميط: لابد أن تبدوَ إشارةٌ في ابنِكَ عبدالقادر، ويبارك لنا فيه، ولا يضره شيءٌ، بسْم الله الذي لا يضرُّ مع اسمِه شيءٌ، ويمتع بحياته في عافيةٍ، ويخرج منه الكثير الطيبَ، آمينَ.

* * *

ولما وصلنا من (مكة) إلى (تريم)، إلى الحضرة الحدادية بعدَ الحجِّ والزيارةِ، وافقَ السيد العلمُ عمر بن سقاف في (تريم) في حضرة الوالدِ، ففعل مديحةً في الوالدِ، ويهنيه بقدومنا، فقال:

هنيئــا هنيئـاً بالبشَــارة والبشْـرَى ولازالتِ النعْما بذاكَ الحمْى تترَى

إلى آخر القصيدةِ، ستأتي في (الفصل الثامن) إن شاء الله، في (مناقب الوالد أحمد)، نفع الله به.

* * *

ومن النعم العظيمة عليَّ: أن الأخ عُمر دخَل إلى حضْرة جدّه الحسن وأنا عنده، وقال له: إني أريدُ الإجازةَ منكُم في كتب سيدي عبدالله الحداد وجميع أوراده الشريفة، فقال له: قد أجزتُكَ كما أجازني والدِي في ذلكَ، فقام فرحاً مسروراً، فقلتُ في نفسي: ما أنا أهلٌ أن أطلبَ الإجازة مثْلَ أخي عمر، فكاشفني نفع الله به في الدارينِ، وقال لي: قد أجزتُكَ في جميع ما أجازَني فيه الحبيبُ عبدالله الحداد.

ويوماً من الأيامِ طلبتُ منه أن يلبسَني القبعَ الشريف، في خلوةٍ وحْدي أنا وإياه، في محضرته الكبيرة، فأسعفني بذلك، ألبسَني ثلاثاً، في كل مرةٍ بعد الشهادتينِ يقولُ لي: قل رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وبالحبيب عبدالله الحداد شيخاً، فأقول مثله.

* * *

وقد ألبسني الحبيبُ الحسنُ، والوالد أحمدُ، القبْعَ مراتٍ، كذلك. ولقَّناني الذكر، وأجازاني، وألبسني القبعَ والكوفيةَ الحبيبُ عمر بن سميطٍ، ولقنني الذكْر عند ضريح الحبيب عبدالله الحداد.

وأجازني وألبسَني مراتِ الكوفيةَ العمُّ العلامة حامدُ بن عمر حامد، ولقنني الذكر ومَنَّ عليَّ بالإجازة بطلبي لها منه، وقال لي: أنتَ صاحبُ بادرةٍ، يسلِّمُ لكَ ولا نعترِضُ عليكم من جهة العلم الظاهر، قدْكُم منتفعين، وأصحابُ تدريسٍ، وإنما وصيتي لكَ في كل فعلٍ يفعلُه إخوتُك أو غيرُهم ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١]، ولا تنسني يا أخي من دُعائكَ، ثم إذا واجهته كثيراً ما يقولُ لي بهذه الكلمَةِ، فجزاه الله خير الدارينِ، فلقد اعتنى بتربيتنا، وحلَّ نظرُه علينا كثيراً، وأراه معي في المنامِ إذا اهتممتُ، وهو نفعَ الله به من مشايخي الأجلاءِ، وهو آخر مشَايخنا الأكابرِ وفاةً، فآخر وقته تراهُ حقًّا قطبَ الدوائر، وبموته ماتَ المتبحِّرون الذائقونَ لعلوم القومِ، الذين همْ هو.

وقد طلبتُ الإلباسَ أيضاً آخر الليل عند قبر نبي الله هود على نبينا وعليه السلامُ، من السيد الولي، ذي الخلق الرضيِّ، العالم السخيّ، حسين بن عبد الله بن سهلٍ، فأسعفني، وألبسَني طاقيته، نفع الله به آمين، توفي سنة ١٢١١، في شهر شعبان.

وآخر عُمْر سيدي عليّ بن أحمد الهندوانَ، وكان ممن بلغ مرتبةً آخر عمرِه، خصَّني بحمدالله بإجازةٍ عن والده الأكبر.

* * *

وألبسني سنة ١١٩٨، السيدُ الجليل محمدُ بافقيه، قاضي (الشّحر)، وصلنا إلى (الشحر)، وقال لي: أخذي عن الحبيب عبدالله الحدادِ، والحبيب علي بن عبدالله العيدروس، لما اتفقت به بـ(سُرّتْ)، وقال: أخذتُ أخذاً تامًّا على الحبيب أحمد بن زين الحبشيّ لما كنت قاضي (شبام)، وعند الإلباسِ أخذَ القبْعَ الذي معَنا، وقرأ الفاتحة ثم تلوّنَ ألواناً، ثم اعترته هيبةٌ، وقال: إن الحبيبَ عبدالله الحداد قالَ لي: سيقعُ لك كذا من السرِّ، وبحمْدالله وقعَ لنا في آخر عمرنا، وتمَّ ما أوعدني به، رضي الله عنه.

ثم لما ألبسني القبْعَ استغرقَ وذهِلَ حتى أفاقَ، ألبسَنا بحمْدالله، وأجَازنا، وقال: لا تكثرِ القراءةَ إلا في كتبهِ، فإني رأيته في المنام أقبلَ ومعه خلقٌ، وراكبٌ على دابةٍ، فأولتُ الدابة موتَ تلامذتهِ الذين ينوِّهون بذكره، وإلا لكان على فرسٍ، فلا تكون لك عنايةٌ إلا بكتبه، وخُصَّ الحبيبُ عبدالله بخصوصياتٍ لم يشاركْه إلا الشاذلي في الفاتحةِ عند القهوةِ في كل مكانٍ، والرّاتب حقّ الحبيب عبدالله في كل مكان، وتقرأ لهما الفواتحُ، لأنهما كل السببِ في نشْر القهوة للشاذلي، وبتأليف الراتبِ للحبيبِ عبدالله.

ثم كان يوماً من الأيامِ بعد صَلاة الجمعةِ بالجامع في (الشحْر)، أمرَني أجلس وإياه في الجامعِ إلى وقت العصرِ، وركعنا الأربعَ، صلى بالجماعة إماماً، فصلينا بقربه، فكلٌ ما قرأ إلا الفاتحة بسرعةٍ، وهو قرأ الفاتحة والمزمّلَ والمدّثر، وانطوتِ الحروفُ له،

وركع وركعنا معَه، ولم نقرأ إلا الفاتحةَ، وفي كلٍّ من الركعاتِ قرأ سوراً مطوَّلاتٍ، ولم نقدر إلا على قراءة الفاتحة فقَط، فالحمدُلله حيث رأينا ذلك سماعاً، وإن كنا مصدّقين لأولياء الله في ذلكَ، وجرت لنا مع هذا السيدِ كراماتٌ، انتفعنا به ثانياً مع رجوعنا من (عُمان)، وحصلت لنا منه عناياتٌ ومددٌ كثير.

* * *

وكذلك من السيد الوليّ، أحمد بن صالح بن الشيخ أبي بكر، في أسفارنا مرتينِ، وقال لي: أَخْذي عن الحبيب سَالم بن عمر بن الشيخ أبي بكرٍ، وأَخْذُه عن الحبيب عبدالله الحدادِ، ويقول إذا دخلتُ عندَه بيته: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، ودعَا لي، وأعلمَني بوقائعَ يرويها عن الحبيبِ سالم بن عمَر عن الحبيب عبدالله الحداد، وكان هذا السيدُ يقالُ: أن سببَ جذْبه لطريقةِ القومِ، وتطليقِه للأسباب أنه سمعَ منشداً حسنَ الصوتِ، ينشِد بقصيدة الحبيبِ عبدالله الحداد:

* إذا شئْتَ أن تحيَى سعيداً مدَى العمْرِ *

الخ؛ فغلبته حالةٌ، وحصّل كلَّ العلومِ، فبها ناله، فدامَ إقباله ليلاً ونهاراً على الذكر والمدارسِ والأورادِ، وإطعام الطعام، فكمْ نفع الله به العبادَ في البندر المعمُور (الشحر)، وكان له ميلٌ وتعلقٌ بسيدنا عمَر المحضار، وتبدو له خوارقُ عاداتٍ، نفع الله به آمينَ، توفي سنة ١٢١١.

ومن مشايخي؛ سيدي الولي الملامتيّ، صاحبُ الخوارقِ والتصريفِ، الحبيبُ أحمد بن عبد الله الهدار بنِ الشيخ أبي بكر بن سالم. فلي مع الحبيبِ هذا وقائعُ، وانتفعتُ به مراتٍ عديدةً، وفي بيته زرْناهُ، وأولها لما جاءَ زائراً لـ(تريم)، فكاشَفني بأني أحجَّ في تلكَ السنة وأزورَ سيد المرسلينَ، وذلك سنةَ ١٢٠٨، نيابةً لإسقاط فرضِ الأخ عبدالله

بن الوالد أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد، بوصيةٍ منه بذلكَ لي عندَ موتهِ.

* * *

[حج المؤلف سنة ١٢٠٨هـ عن أخيه عبدالله]

فكان كذلك؛ حجَّينا تلكَ السنة، وزرنا سيدَ المرسلين ﷺ، دخل علينا شهْر رمضَان بـ(شبام)، وسافر معنا الأخُ عبدالرحمن بن أحمد الحداد، وختمنا رمضان بـ(نِصاب) من (أرض العوالق)، لأن الأخ محمد بن الوالد أحمد بها مسافر، جلسْنا عنده عشرين في رمضان، وثمان شوال، وسرنا نحن وهو إلى (أرض حُسَين).

وخرج إلى عندنا لزيَارة سيدنا أبي بكرٍ العدَني، ونحنُ والأخ عبدالرحمن سرْنا إلى (رَداع)، ثمّ (ذَمار)، ثمّ (صنعاء)، ثم (بيت الفقيه)، وزرنا سيّدنا أحمدَ بن علي بحْر، ثاني زيارة، فحصلتِ البشارةُ ببركاته، قال: تحجّونَ وتتيسَّر أموركم، وتزورون جدَّكم، وهات لي كذا، حاجةً تشقُّ عليَّ، فلم يمكنْ إلا متابعتُه في ذلكَ، وزرنا الإمام أحمد بن موسى بن عُجَيل، وبعدَه (الحديدة)، وزرنا الشيخَ صِدِّيق وأولياءها، ولما دخلتُ (بيت الفقيه) فإذا هناك رجلٌ من ذريةِ الإمام أحمد بن موسَى مجذوبٌ، له خوارقُ، يقول: على الله وبالله، هذا أكثر كلامِه، حصل لنا منه مددٌ.

وجرتْ لي واقعَةٌ عند ضَريح الإمام أحمد بن موسَى، نعسْتُ فرأيتُ في المنَام غاية المرام، فلما انتبهتُ دخل رجلٌ عليه أثرُ الولاية، ورتب الفواتحَ عند ضريحه، ودعا بجوامعِ كلمٍ، وخرجَ وخرَجْنا، ولم يكن معنا إلا قليلُ دراهم، استقلَّيناها للدراويش تحت الشجرة، فكاشفنا منهم واحدٌ، فقال: وإن كانت قليلةً، يأخذون بها مُناصِفاً، وكان ذلك الوقتُ وقتَ خريفٍ، الرطب موجودٌ، وقال: ويقسّمونه بينهم.

فأعطيناهم فلما زرنا العَجِلَ بالبلدِ، دخل رجلٌ منوّر، وقال بأعلى صوته: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضَيفه يا سيدي، وضرب على تابوتِه، أكْرِمِ السادةَ،

فحصلت لنا رقةٌ وخشوعٌ عند كلامِه، ومعنا وقتَ المسير همٌ وغَمٌ بسبب فراق الأخِ عبد الله بن أحمد، لأن بيني وبينه ألفةٌ تامة من الصّغر، وطلعنا معاً، وكان طلبنا للعلم على الوالدِ والحبيب حسنٍ، ومطلعنا في الليل معاً، فأرختُ الحجّة هذه بقولي: «أنا حجي به كلّ غمٍّ زالَ»، والزيارَة لسيد المرسلين ﷺ: «رضًا وبِرٌ».

ورأى المحبُّ، خادمُ سيدي عبدالله، ورفيقه في سفرِه كله، في (جَاوة)، عمر بن سالم باصلاح، بعد حجّنا ونحنُ بـ(مكة) وإياه، في المنام الأخَ عبدالله، وقال له: حبيبك علوي قال لكَ البارحة بكلامٍ كذا، وهو أني قلتُ له قبلَ منامه هذا: إني لم أكن لأخي كثير الرّؤيا، فتعجبتُ مع تعلقي به وتعلقه بي! فقال له: سلمْ عليهِ، وقل له كنتُ مقْعداً، فلما حجَّ عني قمتُ، ورآه في الحَرَم المكّي على كرسيٍّ.

* * *

وافتتحنا في سَفرنا المحرّمَ عاشُور سنةَ ١٢٠٩، في (المدينة)، سرنا مع قافلة (المدينة) مع أهلها بعدَ الحجّ، والمحاملُ عادَها بـ(مكّة)، فجلسنا سبعة عشر يوماً، ورجعنا إلى (جدّة)، ثم (الحديدة)، ثم (المخَا)، وزرنا الإمام عليَّ بن عمر الشاذلي، والسيد حاتم، والشيخ الحجازيَّ، والشيخ صندل، والشيخ محمد بن سعيد العموديَّ.

وحصل لنا الوعْدُ بحمدالله، فكانت نعمةً عظيمةً، وذلك: أنا ونحنُ في زيارتنا هذه رأى في المنامِ الأخُ عبدالرحمن بن أحمد: كأنا وإياه وأستاذنا النبي ﷺ، فأذن لنَا، ودخلنا وسلّمْنا فردَّ السلامَ، وألبس كلا منَّا قبعاً على شبهِ أقباعِ سادتنا آل أبي علوي، وكأنَّ خرقته ذهباً يتوقّدُ، وأعطى كلًّا منا خادماً، ثم قال: حاجتكم تنقضي بـ(اليمَن)، فقضى الله الحاجاتِ بـ(المخَا)، بسرعةٍ وسهولةٍ، كما وعدَ بذلك صلواتُ الله وسلامه عليه.

* * *

وقد فعلتُ في ليلة بتنا بـ(المناخَة) عند محبنا الشيخ محمّد أسعد بن محمد سعيد

طاهر لم أرقُدْ فيها، حصل شوقٌ للحبيبِ صلوات الله وسلامه عليه، فكتبت على السراج فقلتُ وهي من البحْر السريعِ، ومن الضّربِ الثاني، وأجزاؤه: (مُستفْعِلنْ مفْعُولات)، مرتين، وبيته «هات الهوى»:

هَاتِ الهوَى رَسْمٌ بذاتِ الغَضَا ... مخلولَــقٌ مـستعجَمٌ محْــورُ

حمــداً لمــن نعْــماه لا تحــصَرُ ... ومـنْ لـه شـكر الـذي يـشْكرُ

بــشْراكُم زوارَ خــيرِ الــورَى ... فــأكثروا الحمْــدَ ولا تفــتُروا

يــا عــينُ هــذا كنزنَــا الجــوهَر ... وجدّنا الهادي الزكـيّ الأطهَـرُ

يــا عــينُ هــذا قــبرُه فــالثُمِي ... وهــذه الروضَــةُ والمنْــبرُ

يـاعـينُهـلْفيالأرضِأوفيالسَّما ... روضَــةُ نــورٍ مثلُهــا يــذْكرُ

يا عـينُ هـذه بقعـةٌ قـدْ حـوَتْ ... جـسماً طريًّـا روحُــه تزْهِـرُ

يــا عــينُ هــذه تربــةٌ مــسَّها ... أخمَــصُه والجــسَدُ الأنــورُ

يا عينُ هذي حجْـرةُ المـصْطَفى ... فقَــدْ أضــاء كوكبُهَــا النــيِّرُ

يا عـينُ قـد أعطَـاهُ مِـن فَـضلِه ... في سُــورةِ الكَــوثرِ مَــا يكثُــرُ

يا عينُ أمَا هذا شـفيعُ الـورَى؟ ... ينظُــر بعينَيــهِ ولَــه ننظــرُ

يا عينُ ينظركِ طبيـبُ القلُـوبِ ... يعلَـمُ مـا نخفـي ومـا نظْهِـرُ

يا عينُ بالمطْلـبِ شَـفيعُ الـورَى ... أدْرَى فـلا حاجـةَ لـه يـذْكرُ

كـشرب سَـعْمرِ شربـةً تنْقَـضي ... بهـا الحـوائجُ كلّهـا تحـضرُ

يـا عـينَ قلبـي أبـشـري باللِّقَـا ... فالضيفُ في هذا الحمـى يـذكرُ

يــا عــينُ قــد أوصَى بإكرامِــه ... فــيما أتَــى عنــه بــما يُــؤثرُ

يــا عــينُ كــمْ فيــه أتَــى مــسندٌ ... منْــه لنَــا وهــو بــهِ أجْــدرُ

يــا عــينُ قــرِّي بالرضَــا دائــماً ... فالعــسْر ولَّى والرَّخَــا يــسِفرُ

يـا عـينُ قـد نلنَـا جميـعَ المنـى ... وزادت أسرارٌ لنَـــا تنْـــشرُ

يا عينُ قـد قـرَّتْ عيـونُ الـذي ... قـــد زارَه أولَ مـــا يبـــصِرُ

يـا عـينُ يكفـي زائريـهِ غـداً ... شـــفاعةً أوجبَهـــا تجـــبرُ

هــذا رســولُ الله هــوْ جــدُّنا ... فمَـن كجـدِّي جـدٌ بـهِ يفْخَـرُ

هـذا الـذي قـد قـالَ أصحابُه ... نحنُ به في المحْلِ نستنْصِرُ

هــذا جميـعُ الخلـقِ مـن بابِـه ... أولهـــم يـــدخلُ والآخِـــرُ

وهــو لنَــا المأمَــلُ والمرتجَـى ... إلى الــذي نــدْعُو بِــه نجْــأرُ

يــا ربّ إني بــالنبيّ الكَــريم ... أســألُ مــا أنْــتَ بــه أخْــبرُ

وكـــل هـــمٍّ وملـــمٍّ يَــزولُ ... وكـلّ مـا نخْشَى ومـا نَحْذرُ

أرجـوكَ أن تحيـي قلَيبـي وأنْ ... يعمُـــرَه توحيـــدُك الأزْهَـــرُ

حتى يرَى الحـقَّ اليقـينَ الـذي ... يـــشهدُه في كـــلِّ مَـــا يبْـــصِرُ

فعافِــه وانــشُر عليــه صــبَا ... رُوحِـك حتـى رُوحَـه تنْشرُ

وافـتحْ لـه منـكَ فتوحـاً بـه ... يحظَى بحسْنِ الختم إذ يُصدِرُ

وامنحْــه توفيقــاً وعزمــاً بــه ... يــصلحُ مــا نــبطِنُ أو نظْهِــرُ

وكـنْ لهـذا العبـدِ عونـاً عـلى ... دهْــرٍ بــه يجْمُــلُ مَــن يُــشْهرُ

فقـد توسـلتُ بخـيرِ الـورَى ... في نيـل قـصْدي فعسَى أظفَـرُ

أســـألُ مـــا يَـــسألُ زوَّارُه ... مــن جلـبِ نفـعٍ سرُّه يبهِــرُ

في الــدين والــدّنيا وفي يــومِ لا ... ينفــعُ لا مـــالٌ ولا مَعْـــشرُ

وعـمَّ يـا مـولاي أصْلي وفـرْ ... عـــي وإخْـــواني بـــما أذكُـــرُ

وارضَ مـن الجـاني وسـدّدْ لـه ... قــولاً وفعــلاً في الــذي تَــأمرُ

وهــبْ لنـا خـيرَ مـآلٍ ومَـا ... لٍ وعيـــالٍ رزقُهـــم يكْثُـــرُ

وأحينَــا في أنعــم لم تــزَلْ — تُـرَى فـلا تفْنَـى ولا تحـصرُ

وكُــفَّ عنّــا كَــفَّ أعــدائِنا — وألــسناً تهــذي ولا تَــشْعرُ

وهبْ لنا فتحاً ونصْراً علـى الأ — عْـداءِ فمَــن تنـصرُه ينْـصَرُ

فقــد سـألناكَ بمــن نحــنُ في — حــضْرته وفــدٌ ونَــستغفرُ

وبالــضّجيعينِ لــه والــشّهيدِ — الــبرِّ عُــثمانَ كــذا حيــدرُ

وبالبـضْعةِ الزهــراءْ وريحَانتي — حبّــك مــن رحمهــا مزْهــرُ

فهــمْ أصُــولي وبهــم أنتَمِــي — أهــلُ الكـسَاءْ أحـواهم تبهـرُ

سألتكَ بكلّ الـصحْبِ يـا ربّنـا — والآلِ نعْــم الآلُ قــد طهِّــروا

ومن حوَته الأرضُ من صالحٍ — والقطْب والغوثِ ومـن أوثـرُ

فــلا تخيّــبْ سُــؤلنا رَبَّنــا — بمَــن ذكرنَــاهُم ومــن نـضْمِرُ

والحمــدُلله العظــيم الــذي — يرْجَـى بـه رضـوانكَ الأكـبرُ

ومــنَّ بلقيَــا طــهَ الــذي — أذهــبَ عنّــا كــلّ مــا نحــذرُ

صـلى عليــه مَــن هــدانا بــه — والآلِ والأصحابِ ما يُـذكَروا

مــع الــسلامِ دائــماً لم يــزلْ — لا ينتهِــي بالعــدِّ أو يحْــصَرُ

قــد زارَ علــويٌ وأمّــلَ مَــا — يرجُـوه في الحـالِ ومـا يـدخرُ

في عــامِ تــسعٍ بعــدهَا مائتــا — نِ والألفُ تاريخٌ لها يُسْطرُ[1]

ويجمــعُ التــاريخَ ذا قولنَــا — «رضــاً وبِــرٌّ» فألُــه ظَــاهرُ

ثــمّ بحمِــد الله قــد تــمَّ مــا — ألهمَــه في خَــاطري يخطــرُ

مجيــبُ عــدّ أبياتهــا قــد أتَــى — ربِّ استجبْ واغفِر وقلْ أبشِروا

* * *

---

(١) سنة ١٢٠٩هـ

ولما أذن لنا الوالدُ نفعَ الله به، سنةَ ١١٩٧، بعد العشْرين من شهر ذي الحجة الحرام، لزيارة سيدنا محمد مولى (مرباط)، ولزيارة سيدنا الشيخ زين العابدين بن القطب عبدالله الحداد، وهي ثاني زيارةٍ لنا لهما، كتب الوالدُ لنا بيده ونحنُ نستودع منْه، عند قراءة الفاتحة في ورقةٍ:

«الحمدُلله؛ رتبُوا على بركَة الله وتيسيرِه قولَه تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ إلى قوله: ﴿قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣]، مِائةَ مرةٍ صباحاً، و«**اللهُمَّ** صلِّ على سيدنا محمدٍ النبي الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلم»، كذلكَ، «يا رزاقُ يا مغني ياكافي، يا رحيمُ يا وَدود»، كذلكَ، و«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، كذلكَ، وأجزناكم في ذلك والله الميسر»، انتهى.

ثم ناولني الورقةَ، وقال: واظبْ عليها. وزرنا ثالثَ زيارة سنةَ ١٢١١.

* * *

ووقت الصّغر أمرَني جدِّي الحسن بالمواظبة على قراءة الفاتحةِ بعد الصلواتِ المفروضاتِ، وقال: لازمْها إلى المهاتِ، بعد صلاةِ الصبح ٢١، وبعد الظهر ٢٢، وبعد العصر ٢٣، وبعد المغربِ ٢٤، وبعد العشاء ١٠، تمام المائةِ. هذا ترتيبُ الإمامِ الغزاليّ، وأتى بأبياته فيها:

إذا ما كنْتَ ملتمساً لرزْق ... ونجْحِ القصْد من عبدٍ وحُرِّ
وتظفرَ بالذي تهوَى سريعاً ... وتأمنَ من نكايةِ كلِّ شرِّ

الخ. ثم قال نفعَ الله به: «وبعدَ كل ترتيبٍ بعدَ كل صلاةٍ، إذا تميته اقرأ قسمَ حبيبك الوالدِ عبدالله الحداد، الذي أورَدوا، رتّبه بعد قراءتها العددَ المذكور، وهو:

«الحمدُلله ربِّ العالمينَ حمداً يوافي نِعمَه ويكافئُ مزيدَه، **اللهُمَّ** صلِّ

على سيدنا محمّدٍ وعلى أهلِ بيته وصحبهِ وسلم، **اللهُمَّ** إني أسألك بحقِّ الفاتحة المعظّمةِ، والسبع المثاني، أن تفتح لنا بكلِّ خيرٍ، وأن تتفضلَ علينا بكلِّ خيرٍ، وأن تجعلنا من أهلِ الخير، وأن تعاملَنا معاملتَك لأهل الخير، وأن تحفظنا في أديانِنا وأنفسِنا وأولادِنا وأهلينا وأصحابنا وأحبابِنا من كل محنةٍ وفتنةٍ وبؤسٍ وضير، إنكَ وليُّ كلِّ خيرٍ، ومعطي لكلّ خيرٍ، يا أرحم الراحمينَ، يا أرحم الراحمينَ، يا أرحم الراحمين».

وكذلك رتب كلّ يوم وليلةٍ، وإلا ليلةَ الجمعة ويومَها، الصلواتِ على خير البرياتِ، وهي سبعُ كيفياتٍ، كل واحدةٍ منهن إحدَى عشرة مرةً، إلا السابعة فتكرّرُ ثلاثاً وثلاثينَ مرةً، يكون مجموعها الكلّ: تسعاً وتسعين مرةً، عدد أسماء الله الحسنَى، وهي جمعها جدّك الحبيب عبدالله الحداد، وواظبْ عليها، وهي معروفةٌ في مناقبه «غاية القصد والمراد» وغيره.

ثم وقتَ الصِّغر أيضاً يذكِّرني يومَ الجمعة: هل قرأتها اليوم؟ فأخبره.

وكنت ملازماً قراءة المنجياتِ، السوَر السبع قبلَ قراءتي للوِرْد الكبير «مفتاح السعادة والفلاح»، ولا أحدَ يعلمُ بذلكَ، أخذتُ مدةً على تقديمِ المنجياتِ، فكاشفني بذلكَ نفع الله به، وقال: رتِّب الوِرْدَ أولاً، أنه في ذلك الوقتِ مطلوبٌ، والمنجياتُ مطلقٌ وقتها، فاتبعتُ إشارَته لي بذلك.

* * *

وقد طلبتُ من الوالد أحمد في شهر رمضان وصيةً، فأسْعَفني بذلك نظماً، فجزاهُ الله عني ما جزَى والداً عن ولده، بجاه سيد المرسلين محمد ﷺ فقالَ:

علــويَّ الخــيرِ سأوصِــيكَ بــها	قد طلبتَ فاستمعْ ما لكَ أقــولْ
اتّـــقِ الله تعـــالى مجـــدُه	واتبــعْ ســنةَ ســيدِنا الرّسُــولْ

واذكــــرِ الله كثـــيراً دائِـــــماً　　مـع حـضُورٍ وخُـشوعٍ وذُبـولْ

تحــظَ بــالخيراتِ والأنْــوار لي　　تشرَحُ الصدْرَ وتعطي كلَّ سُـولْ

لا تــضِقْ ذرعــاً بهــمٍّ دُنيَــوي　　كـلّ هــمٍّ حـادثٍ سـوفَ يـزُولْ

واتّــق بــالله لا تخـشَى سِــواه　　إنّــه الكــافي والــبر الوَصُــولْ

تــبْ إليـــه توبـــةً ناصِـــحةً　　من خطايا إن جرَتْ فعلاً وقـولْ

والطمعْ في الخلـقِ جانبْـهُ وخـذْ　　بالقناعَــة فهــي كنــزٌ لا يَــزُولْ

واطلبِ العلْم مع الإخِلاص والـ　　ـعَملِ الصالح به ترجُـو القبـولْ

وصَــلاةَ الليــل لازِمْهــا تجــدْ　　كلَّ خيرٍ فيـه واحبِـبْ للخُمـولْ

وجماعــاتُ الفريــضَة لا تكُــنْ　　غــافلاً عنهــا ولا منهَــا كـسولْ

مــع ســننها وجميــعِ آدابهــا　　بخُــشوعٍ وحــضُورٍ ومُثــولْ

واجعلــنّ الــصَّبر سرْبــالاً لــدَى　　كـل أمـرٍ يعْـتري مفظِـعْ مَهُـولْ

يعقــبُ الإفْــراجُ والأفــراحُ لي　　تـشرحُ الـصدْرَ وأكـداره تَـزولْ

وقـــضَى ربــك تلقَــه بالرّضــا　　إن تكنْ تهـواه نفسُكَ أو تحـولْ

واشـــكرِ الله عـــلى الـــنعماءِ لا　　تـكُ عــن شـكرٍ لـهُ لاه غَفـولْ

وصـــلاةُ الله دأبـــاً سرمـــداً　　مع سلامٍ دائـماً يغـشَى الرسُـولْ

مع جميعِ الآل والـصحْبِ الـذي　　نصرُوا للدينِ يـا نعْـم الفحـولْ

مــا سرَى بــرقٌ وهلّــت مزْنُــه　　واسبلَ الودقُ وما سالتْ سُيولْ

وأما الكراماتُ الذي كلّ من محبينا الصادقينَ يرَى شيئاً منها، ويعلم الناس بذلك، خصوصاً في الأسفارِ، ومع الغربةِ وحسنِ العقيدة والمشهد، فإني أيها السامع حقًّا أعلمُكَ أن الكراماتِ وإن كثُرتْ من ردِّ العمَى عن بعضِ الناسِ، وتكثير الطعامِ، وإبراء العليلِ، وتتميم الله ما نطقُ به من الكلامِ من الذُّرية لمن لم تكن له ذريّة، وغير

ذلك، ودخولنا في إصْلاحِ ذات البينِ في الحروبِ، ما يضرّنا الرصاصُ، هذه ومثلها، والله قسَماً ليسَ من تصريفٍ ولا حالٍ أعرفُه معِي، بل شيءٌ من حسنِ ظنِّ المعتقِد، وشيءٌ برهانُ الآباء والأجدادِ، ووارد الوقتِ من الكبير المتعالِ.

* * *

[تعديد مؤلفات الحبيب علوي الحداد، مؤلف هذا الكتاب]

وقد منَّ الله بتأليفنا كتابَ «الحكاياتُ البيناتُ والكراماتُ الظاهرات»، في مناقب القطب عبدالله الحداد، وشرحاً مبسوطاً في عشرين كراساً، سميناه «بُغْيَةَ أهل العبادة والأوراد»، وقد سبقَ ذكرُه. ورسالةً معنى مَا فيها في اسْمِها: «غايةُ المقصود في ذكر العصَبة والإرثِ من غير تفصيل وحكْمُ الردِّ وتوريثِ الأرحام والمفقود»، ومنَّ الله علينا برسالةٍ مثلِها في كرَّاسين، في قَافِ العرَبِ، سماه الوالدُ أحمد: «القول الواف في معرفة القاف»، ومنَّ الله علينَا برسالةٍ أبسَط منها في دُخول الأشهُرِ وخروجها، سميناها «الواضحات الأدلة في أحكام الأهلة»، ورسالة في الجمُعة سمّيناها «الإفادة في عددٍ من تصحُّ منهم الجمعة بلا إعادة»، ورسالةً سميناها «السيف الباتر لعنق المنكر على الأكابر»، ورسالة متوسِّطةً في المسبوقِ بالصلاة، وأجوبةً على رسالةٍ فقهية في أبْواب الفقه، سُئلنا عنها ما بينَ بسْطٍ في البعضِ منها، كالوقُوفِ والطلاق، وما بين اختصارٍ، حسبَ السائلِ وحسبَ الفراغ، وغير ذلك من النبذِ لعلمِ الفقه.

* * *

[تعليقةٌ للمؤلفِ على الصلواتِ السبْع للقطبِ الحدَّاد]

ولما ألَحَّ سيدُنا الجدُّ الحسن علينا كثيراً في السبعِ الكيفيات، في الصَّلاة والسلام على خير البريات، أحببتُ إيرادها هنا تبركاً به ﷺ، وتعليقةً جعلتها عليها مع السَّفر

وشغلته، كما جعلنا في السفر تعليقةً على فضَائل «مفتاح السعادة والفلاح»، الورد الكبير لسيدنا عبدالله، مبسوطةً في فضائلِ كلٍّ على حِدَته، وغير ذلكَ:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله، والصلاة والسلام على رسُولِ الله، وعلى آله وصحبه صَفْوةِ أهل الله.

وبعدُ؛ فهذه الكيفياتُ السبعُ جمع قطبِ الوجودِ، في الصلاة على صاحب المقام المحمود.

الأولى، قولُه فيها: «جزى الله نبينا محمداً»، الخ.

قالَ سيدُنا في كتابه «النصائح الدينية»: «قال عليه الصلاة والسلامُ: «من قالَ: **جزى الله عنا محمَّداً ما هو أهله، أتعبَ سبعين كاتباً ألفَ صباحٍ**»، انتهى. زاد الشيخُ محمد بن محمد الفِيلاليّ المالكي في «فوائده»: «ولم يبقِ البتةَ حقًّا إلا أدّاهُ، وغفرَ له ولوالديه، وحشر مع سيدنا محمّدٍ إن شاء الله. فافْهَم، فإن هذا الفضْل في قولكَ لها مرةً، وإن زدت إلى إحدَى عشرةَ مرةً، كما كذلك المأمور، أتعبتَ سبعةَ مائةٍ وسبعينَ كاتباً، إحدى عشر ألفَ صباحٍ، أي: أتعبته بكتابةِ الحسَناتِ والفضائل.

وزيادَة: (**اللهُمَّ** يا ربَّ محمّدٍ، وآلِ محمدٍ، صَلِّ على محمدٍ وآل محمَّد)، ثوابُها وحْدَه، وثوابُ الصلاة عليه ﷺ قَد بسطناه في «شرح الراتبِ»، عند شرْحِنا للصَّلاة على النبي ﷺ، فانظرْه فيه، وفي غيره.

الثانية؛ قوله فيها: «عددَ ما علمْتَ، وزنةَ ما علمْتَ، وملءَ ما علمْتَ»، فهذه جمعَت فيها الصلواتُ المعدودَة، وعدد الخلقِ، وعدد ما سيخلَقُ، لأنه سبحانه أحصَى كلَّ شيء عدداً، وأحاط بكل شيءٍ علماً، وإن كان علمُه لا يحدّ له حدٌّ فيقدّر، ولم يعلم له أقصَى ومنتهَى بعلمٍ ولا بفَهمٍ، لأنه قالَ لأكبر العلماءِ وسيد الخلق: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فالله ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهو على كلّ شيءٍ قدير، ولا يعزبُ عن ربِّكَ

من مثقالِ ذرَّة في الأرضِ ولا في السماءِ، فعدَد ما يعلَمُ، وزنةَ ما يعلمُ، وملءَ ما يعلم، منفردٌ به سبحانه، فهذه الصلاةُ العظيمة جمعتْ جميعَ الأعدادِ، وزِنَتها، وكرَّرها كغيرها إحدَى عشرةَ مرةً، زيادةً في الفضيلةِ، وسرٌّ قصَده واطلعَ عليه، فلتقف عليه.

الثالثة؛ قولُه فيها: «عددَ الشفعِ والوترِ، وعدد كلماتِ ربنا الطيباتِ المباركاتِ»، إذا فهمْتَ ذلك، فالأعدادُ لابدَّ أن تكون شفْعاً، وإما وتْراً، فلما قدّمَ العموم بعدَدِ علمه، وزنة علمِه، وملءَ ما علمه، أتى بما خصَّص، بقوله: «عدد الشفعِ والوتر».

وأما قوله: «وعدد كلماتِ ربنا»، الخ، وإن كنا لم نعلَمْ بعددِ كلماتِ الله، لأنه قالَ سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، وهو سبحانه عليمٌ بكلماته كلها، أي معنى ذلك نقول: بعلمك بكلّ شيءٍ، نسألك، وإن كنا لم نعلمْ بعددِ كلماتِكَ، ولكن نؤمن ونعلمُ بأنكَ عليمٌ خبيرٌ، وأنت على كل شيء قدير، إحدَى عشرةَ مرةً تقرأ هذه الصلاة.

وأما الرابعة؛ فقولُه نفعَ الله به: «عددَ كلِّ ذرةٍ ألفَ مرة»، لأنه كما قالَ في الثانية من جمعِ العدَد لما علمه سبحانه، وزنة كلّ شيء علِمَه، وملءَ كل شيء علمه. ثم أتى بالثالثةِ لأنه المتقدّم من العددِ، إما أن يكون شفعاً أو وتراً، أتى به فيها، ومعلومٌ أن العددَ من الشفعِ والوَتْر كبيرٌ وصغيرٌ، فأتى بالرابعةِ فيها بعَددِ كلّ ذرةٍ، أي: في الوجودِ، وربك يعلمُ جميعَ ما خلقَ، ويعلم تبعيضَ ما خلقَ، ذرّةً ذرّةً، ولا يعلم ذلك إلا هو سبحانه. بل يعلم صغر الذرّةِ، وأصغر من الذرة، إنه على كلّ شيء قديرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. ولهذا لما انكسرَت السفينةُ، ووقع بعضُهم في جزيرةٍ كثيرةِ الأشجار جدًّا، لم يسكنها أحدٌ، فلما دخل أشجارها الكثيفةَ،

خطر في قلبه: هل ربي يعلمُ بي الآنَ؟ فسمع هاتفاً يقولُ: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وأما قوله نفعَ الله به: «**أَلْفَ مرةٍ**»، فقد **سُئلَ الشيخُ** ابن حجَر الهيتميُّ عن رجلٍ سبَّح بنحْوٍ من ذلكَ ألف مرةٍ مثلاً؟.

فأجابَ بقوله: «نعم؛ هو أفضَل من ألوفٍ مؤلفةٍ، كما دلَّ عليه الحديثُ الصحيح: أنه ﷺ دخلَ على بعضِ أمهَاتِ المؤمنينَ وعندها حصَياتٌ كثيرة سبحتْ بهنّ، فقال لها: «**لقد قلتُ كلِمةً عدلَتْ جميعَ ما قلتِ، سبحان الله وبحمْدهِ عددَ خلقه**»، الحديثَ».

وأطالَ الاستدلالَ بما حذفناهُ اختصاراً، إلى أن قالَ نفع الله به: «وبه يقاس الصلاة عليه ﷺ، فمن قالَ: **اللهُمَّ** صلِّ على سيدنا محمّدٍ عددَ خلقكَ، كتِبَ له صلواتٌ بعدد الخلقِ، وهذا كله من فضْلِ الله».

ونقل الشيخُ ابن عَلَّانَ في رسالته المسماة «إيقاد المصابيح»، عن الشيخ ابن حجرٍ في كتابه «الدر المنضُود»: أن المطرِّفَ سُئلَ عن قوله ﷺ: «**من صلى عليَّ مرةً في كلّ يومٍ خمسينَ مرةً صافحتُه يومَ القيامة**». فقالَ: اللهمَّ صلِّ على سيدنا محمد خمسينَ مرةً، أجزأه ذلكَ، وإن كرر فهو أحسَنُ. نقل الشيخُ زرُّوق في «قواعده»: أن فيه ثلاثةَ أقوالٍ: قيلَ يحصُلُ لقائله ثوابه على ما هو بهِ من العَدد مع التضعيفِ، وقيلَ: بدونه، وقيلَ: هو كغيرِ المقرون بالعدِّ، وصحَّ بلا تضعيفٍ»، انتهى. **قلتُ**: ما قدَّمَ الأولَ إلا لصحته عنده، وموافقته للحديثِ الذي ذكرَه ابنُ حجر.

وقال في كتاب «حديقة الأذهانِ في أحاديثِ الأخلاق الحسان»: «**فصلٌ**؛ فإذا ثبتَ أن إحدَى عِلَّتي النطقِ هي التقريرُ، اختُصَّتْ به حينئذٍ فائدةُ التكريرِ، فكلما ازدادَ التكريرُ تأثَرَ القلبُ واستفادَ. وأما علّة التعبيرِ؛ فالتكريرُ غالباً يسمحُ فيها وتمجُّه

الأسماعُ ولا تعيه، وغاية الأمرِ التأكيدُ، وهو لغير ذلكَ المعنى لا يفيدُ. ولهذا قامت فيه الإشارةُ ولفظُ العددِ المميِّز مقامَ العبارة، ولا يمشي هذا في الأولِ، وهو فرقٌ عليه المعوَّلُ.

وفيه الإشارةُ، حتى من قالَ: سبحان الله ألفاً، وآخر كرَّرهَا بالإعادةِ حرفاً حرفاً، كان استيفاءُ عدد الأفرادِ وتكثير الماهياتِ أوفقُ للمراد، وكان المميِّزُ بالعدَد في الأولِ أوزَن في نفسِه وأثقلَ، فلا جرم لو قالَ: أنتِ طالقٌ ثلاثاً، أفادَ التعدُّدَ، وصار كأنه كرَّر الجملةَ وأعاد، وعلة ذلك: أن مقصُودَ العبارةِ هو الإفهامُ، وذلك حاصلُ النطقِ، أو بالإشارةِ، وتمييز الإيهام، وبخلاف التقريرِ. وقد نص ﷺ على حصْر بعْضِ الأذكارِ، وهو مخصوصٌ ﷺ بمعرفة تلكَ الأسرارِ، وكلها من بابِ التكرير لا التعبير»، انتهى.

وقد أطلنا ذلك لفائدتهِ، وقد ذكر زرُّوقُ في «قواعده» ذلكَ، ومثل ذلك كَسُنونِ المفتاحِ، إن نقصَ أو زادَ لم يفتحْ به، وقد بسطنا من «شرح العبابِ» لابن حجر هذهِ بما لا نعيدُ هنا.

قال الشيخُ محمد بن سليمانَ الكرديُّ: «**فائدةٌ**؛ ينبغي التنبه لها، وهي ما ذكرَه الإمامُ عبدُالقادر الفاكهي ثم المكيَّ، في كتابه «خلاصة التحصين والوَسِيلة إلى أعظم الأعمال القليلة»، بقوله: **الفائدة السادسة**؛ لا يخفَى أن الحثَّ على عملٍ قليلٍ ثوابُه جزيل، ليس حثًّا على الاقتصَارِ عليه، ولا عن الكفِّ عن العمل الكثيرِ، فإن الحثَّ على القليلِ ليس مانع من الحثّ على الكثير»، إلى آخر ما قاله الفاكهيّ في كتابه المذكور، وينبغي إدامةُ مطالعة الكتابِ المذكورِ، فإنه جمع فيه كثيراً من الأعمالِ القليلةِ الواردُ فيها ثوابٌ جزيل»، انتهى.

* * *

وأما الكيفية الخامسة؛ قوله فيهَا: «في الأولين»، وقوله: «في الملأ الأعلى إلى يوم الدين»، فطلبَ له الرحمةَ من الله في الأولينَ، لأنه أولُ المخلوقاتِ كلها، فأول ما خلقَ نورَ نبيه محمّدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ومنه خلقَ ما في الوجُودِ بأسره.

والله يجزي سيدَنا جامعَ الصلوات كل خيرٍ، حيثُ قالَ نفع الله به، في كتابه «المكاتبات» في (الثانية والثمانين)، التي أرسلها إلى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بـ(حبّان)، قال فيها: «صلى الله وسلم على الأبرِّ الأتقى، رأس الأتقياءِ، وحتف الأشقياء، حجّة الله على من سعِد وشقي، ومضى وبقيَ، الإمام المطلق في جميعِ مراتب تعييناتِ الحقِّ المعنويةِ، في برزاتها الملكوتية والحسية، ومظاهرها الكونيةِ، مرآة المقابلة، وعين إنسان المواجهة، كلي النشأة في المظهَرينِ، كمالي الحقيقة في العالمين، فالحقائقُ جزئياتُ حقيقتِه الكلية، أبعاضُ صورتِه الخلقية، سيدنا ومولانا محمد ﷺ»، انتهى.

* * *

وقولُ سيدنا: «في الآخرينَ»، لأنه خاتمُ النبيين والمرسلينَ، فلا تنسخ شريعتَه شريعةٌ، وإن كان نبيُّ الله عيسى عليه السلام يهبط إلى الأرضِ آخر الزمانِ، فهو على شريعة نبينا محمد ﷺ يعملُ ويحكم بهاُ، وهو تابعٌ له، وكذلك لو أحيَى الله جميعَ الرسلِ والأنبياء، وردَّهم إلى دار الدنيا مثلاً، أو بُعِثَ في وقتِ أحدِهم، فهم يتبعونه، كما قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقد ذكر ذلك التاجُ السبكيُّ ابنُ التقيِّ السبكيّ في «تاريخه»: «سئلَ الإمام رافع بن نصر البغدادي: عن أيهما أفضَلُ، محمدٌ أو موسَى؟ فقال: محمدٌ، فقيلَ له: ما الدليل على ذلك؟ فقال: أنه تعالى أدخلَ بينه وبين موسَى لام الملْكِ، فقالَ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ

لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤١]، وقال لمحمّدٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، ففرقٌ بينَ من أقام وصْفَه بوَصْفه، ومن أقامَه مقامَ نفسِه»، انتهى.

وقال في «تاريخه» المذكور، في ترجمة الغزاليِّ، حيثُ بسط فيها بخَمْسةِ كراريسَ في القطْعِ الكاملِ، لما باهى به النبيُّ محمدٌ الأنبياءَ وقالَ لهم: أفي أمتكم مثلُ هذا؟ أنه ﷺ على الكرسيِّ والأنبياءُ ومنهم أولو العزْمِ تحتَ الكرسيّ، متأدبينَ، فتعجبَ الرائي من ذلك، فرفسه القيّمُ بوَقدِ القناديلِ في بيتِ المقدسِ برجله، وكاشفَه، وقال: لم تتعجبُ، فكلهم خلقوا من نوره؟ فانتبه»، انتهى ملخصاً بمعناهُ.

ولما كان صلواتُ الله عليه خيرَ النبيين وسيدَ المرسلينَ، كانت أمتُه خيرَ الأممِ، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الآيةَ.

* * *

وأما الكيفية السادسة؛ فهي صلاةُ سيدنا عبدالقادر الجيلاني، ذكرها في حزْبه، وهي أيضا في الحزْبِ الثالثِ في يوم الأربعاءِ من «دلائل الخيرات»، وأطال عليها في شرْحِها، فانظره هناكَ. قال الشيخُ أحمد بن عبدالكريم الأحسائي: «ورأيتُ في بعضِ الكتب: أنها تقال صباحاً ومساءً إحدَى عشرةَ مرةً، وأن المرةَ منها بعشَرة آلاف صلاةٍ». قال الأحسائيُّ: «وأسمع سيدنا عبدالله الحدادَ يكرّرُها ذلكَ العدد في طريقِه إلى صلاة الجمعة»، انتهى.

وأما الكيفية السابعة؛ ثلاثاً وثلاثينَ مرةً، فذكرها الشرَجيُّ في «فوائده»: أنه من قَالها كلّ يومٍ العددَ المذكورَ، فتح الله ما بين قبرِه وقبر النبي ﷺ، وقد جمع سيدُنا في هذه الكيفياتِ ما لا جمعَه غيره، وطلب الصلاةَ في الكيفية الخامسَة إلى يومِ الدينِ، لأنه عبده، والعبد يحتاج لمالكِه ويستزيدُ، لأنه على كل شيء قدير.

* * *

والصلاة منه رحمةٌ بزيادةِ الإحسانِ لرسولِه وعبده محمّدٍ ﷺ، وإقامته أنواعَ الكراماتِ ولطائفَ النعمِ، وطلبَ منّا له الصلاةَ بسُؤالنا له سبحانه، أداءً لشكْرِ مَا له علينَا من الحقوقِ الذي لم يقدر أحدٌ أن يقومَ بها، ولكن نأتي على قدْرِنا لا على قدْره ﷺ، لأنه كما قال جامعُ الصلاةِ، سيدُنا عبدالله الحداد في «رائيته الكبرى»:

وفيــه عليــهِ الله صــلَّى ودائــعٌ　　　من السرِّ لا ترْوَى خلالَ الدفاترِ

* * *

قال الغزالي: «أما صَلاتنا وصَلاةُ الملائكةِ فهو سؤالٌ وابتهالٌ في طلبِ تلك المكرماتِ، ورغبةٌ في إفاضَتها عليه، وأما استدعاؤه من أمّته الصلاةَ عليهِ، فلثلاثة أمورٍ:

أحدها: أن الأدعيةَ مؤثرةٌ، لاسيما في الجمعِ الكثيفِ كالجُمُعة وعرَفات، والجماعاتُ أسرع تأثيراً، إذ لا يخلو الجمْعُ عن قلوبٍ طاهرةٍ، ويومُ الجمعة يومُ النفحَاتِ التي يُتعَرَّضُ لها، وكذلك موقعُ تلك النفحاتِ في الأسْحار لضعفاءِ القلوبِ، وكان ما وعد الرسولُ ﷺ في الحوضِ، ومرتبةُ الشفاعةِ، وغير ذلكَ من المقامات المحمُودةِ غير محدودٍ على وجهٍ، لا يتصوَّرُ الزيادةُ فيها، فاستمدادُه من الأدعيةِ استزادَةُ تلكَ الكرامات.

الثاني: المباهاةُ بأمته، كما قال: «**إني أبَاهي بكمُ الأمَم**»، وكما يرتاحُ العالم بكثْرَة تلامذته وكثْرَة ثنائهم ودعائِهم الدالّ على كمالِ رشْدهم، وعلى كمال تأثير استرشَادهم به، وعلى كمالِ محبتهم له بسبَب إرشَاده إياهم.

الثالثُ: الشفقَة على الأمة، بتحريضهم على ما فيه حسنةٌ في حقّهم، وقربةٌ لهم، وإنما تتضاعفُ صلواتُ الله عليهْم لأن الصّلاةَ ليستْ حسنةً واحدةً، بل حسناتٌ، إذ هي تجديدُ الإيمانِ بالله أولاً، ثم بالرسُول ثانياً، ثم بتعظيمه ثالثاً، ثم بالعناياتِ بطلب

الكراماتِ رابعاً، ثم بتجديد الإيمان باليومِ الآخر خامساً، ثم بذكر الله سادساً، ثم بذكره ﷺ سابعاً، وعند ذكر الصالحينَ تنزل الرحمة ثامناً، ثم بالابتهالِ والتضرُّع في الدعاءِ تاسعاً، ثم بالاعتراف عاشراً، ثم بالأمر كلّه لله عز وجلَّ، وأن النبي ﷺ وإن جلَّ قدرُه فهو عبد ذليلٌ محتاجٌ إلى فضلِه ورحمته، وإلى مدَد أمتِه بالدعاءِ، وأنه ليس له من الأمر شيءٌ، وأن الله لو أرادَ أن يهلِكَ المسيح ابن مرْيم وأمَّه ومن في الأرض جميعاً فلن يملك لهم من الله شيئاً، ثم أطالَ وضاعفَ الحسناتِ الحسنةُ بعشرٍ إلى سبعمائةِ ضعفٍ، إلى ما لا غايةَ لها ولا نهاية»، انتهى ملخصاً من كلام الغزالي.

* * *

[صيغ الصلوات العشر للإمام الحداد]

وهَا نحن ننقلُ الكيفياتِ من خطّ الشيخِ أحمدَ بن عبدالكريم الشجّار، قال: «وأملى عليَّ سيدي هذه الكيفياتِ من الصّلاة على النبي ﷺ، وهو قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدُلله وحدَه، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمّدٍ وعلى آله من بعده.

وبعدُ؛ فهذه كيفياتٌ من الصلاةِ على رسولِ الله ﷺ ينبغي أن يواظَبَ عليها في كلّ يوم جمعةٍ، وإن تيسرت المواظبةُ في كلّ يومِ اثنين وخميسٍ، أو في كل يومٍ، فحسنٌ جميل، وهي مأثورةٌ ومنقولة عن السلفِ، وليس لجامعِها من ذلكَ سوَى الجمعِ، واستحسان التكرار لكل واحدة منهَا العددَ المذكور، وهي سبعُ كيفياتٍ:

الأولى: «**اللهمَّ** يا رب محمدٍ صلّ على محمدٍ وعلى آل محمّدٍ، واجز محمداً عنَّا ما هو أهلُه»، إحدَى عشرةَ مرةً. **الثانيةُ**: «اللهم صلِّ على محمّدٍ وعلى آل محمدٍ، عدد ما علمْتَ، وزنةَ ما علمْتَ، وملْءَ ما علمتَ»، إحدى عشرةَ مرةً. **الثالثةُ**: «**اللهمّ** صلِّ على

محمدٍ وعلى آل محمدٍ، عددَ الشفْعِ والوتر، وعدد كلماتِ ربنا الطيباتِ المباركات»، إحدى عشرةَ مرةً. **الرابعةُ**: «**اللهُمَّ** صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، عددَ كلِّ ذرةٍ ألفَ مرةٍ»، إحدى عشرةَ مرةً. **الخامسةُ**: «**اللهُمَّ** صل على محمد وعلى آل محمدٍ في الأولينَ، وصل على محمدٍ وآل محمدٍ في الآخرينَ، وصلِّ على محمّدٍ في الملأ الأعلى إلى يوم الدين»، إحدى عشر مرةً. **السادسةُ**: «**اللهُمَّ** صلّ وسلمْ وباركْ وكرّم على سيدنا ومولانا محمّدٍ السابقِ للخلق نورُه، الرحمةِ للعالمين ظهورُه، عددَ من مضى من خلقك ومن بقِيَ، ومن سَعِد منهم ومن شَقي، صلاةَ تستغرِقُ العدَّ، وتحيط بالحدّ، صلاةً لا غايةَ لها ولا انتهاءَ، ولا أمدَ لها ولا انقضاءَ، صلاتك التي صليتَ عليه، صلاةً دائمةً بدوامكَ، باقيةً ببقائكَ، لا منتهى لها دون علمِكَ، وعلى آله وصحبه كذلكَ، والحمدُلله على ذلك»، إحدى عشرةَ مرةً. **السابعةُ**: «**اللهُمَّ** صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل محمّدٍ، صلاةً تكونُ لك رضاً ولحقّه أداءً»، ثلاثاً وثلاثين مرةً.

أملاه السيدُ الشريفُ عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، بتاريخ بكرة يوم الجمعة سابعَ عشر من رجبٍ الأَصَب، سنةَ ١١١٦، فتتمُّ السبعُ الكيفيات كلها ٩٩ مرةً، عدد أسماء الله الحسنى، إن الله وترٌ يحبّ الوتر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم».

وبانتهاء ما علقناه بهذه التعليقَة في سفرنا الأخير إلى (عمان)، المتقدّم المؤرَّخ «خيراتٌ»، وكلّ ما أتينا به هنا، خصُوصاً ما كان من مشَايخي أو مما أنعَم الله به عليَّ، فملخّصٌ من كثيرٍ من الحقِّ الواضحِ، وتبيينٌ للحقّ إن شاء الله، وتحدثٌ به، لأن الفخْرَ في الدين منفيٌّ بنَفْي شارع الدين ﷺ، وإن قصَده قاصدٌ فهو مخطئٌ من حيثُ أثبتَ منفيًّا، إذ قال ﷺ: «**أنا سيدُ ولدِ آدم ولا فَخْر**»، نفى الفَخْر وبيّن الحقَّ، وأظهر نعمة الله وتحدثَ بها، والحمدُلله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله.

اللهُمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ الفاتحِ لما أغلقَ، والخاتمِ لما سبقَ، الناصِرِ الحقَّ بالحقِّ، والهادي إلى صراطك المستقيمِ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلمَ حقَّ قدرِه ومقدارِه العظيمِ، سبحان ربك ربِّ العزّة عما يصِفُونَ، وسلامٌ على المرسلينَ، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

[فصلٌ
في ذكرِ شيءٍ مما أنعم الله به على مؤلفِ الكتاب]

وبحمْدِ الله إني آتي الآنَ ببعْضٍ ما أنعمَ الله عليَّ، مع أني أعرف عجزي، وأصلي الطيني، ومآلي إليه، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]. وقد مدَحني من علماء عصري أناسٌ رجوتُ الله لفضْلهم ومعرفتهم بهِ سبحانه عزَّ وجل، أن ما تحدثوا به يتمّم الله ذلكَ، لعلمي حقًّا بالخلوّ عمّا هنالكَ، والمدحُ في الغصن ينسحِبُ على الشجرةِ.

وقد وصلتْ أربعةٌ وستونَ بيتاً من الفقيه ساكنِ (الأحْساءِ) كآبائه وأجداده، الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبداللطيفِ الأحسائي، ثم إن والدَه مع أنه في عيشٍ رغيدٍ، وجاه مزيدٍ، وثروة ومالٍ، لـمَّـا اشتهرت بدعَةُ ابنِ عبدالوهّابِ، الكذاب النجدي، وإيذائه علماءَ تلك الجهاتِ، هاجر الشيخُ أحمدُ وابنَيه الفقيهينِ، وابنُ أخته الشيخ عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيفِ الجدّ، والحاوي ما عنده ذلك من العلم والمدَد، والمشارُ إليه المتقدِّم ذكرُه الشيخُ محمد ابنه، وسكنا بلدَ الأخيار المشهورين بالكرم والجودِ، والخير المعروف الواف، المشايخِ بني زُرَاف.

فقامُوا بالشيخ وأولاده المقامَ التامَّ، وأخذوا لهم نخيل وأوقاف محصُورةً عليهم، وبيتاً معموراً بين بيوتهم، بل كان سابقاً الشيخ من مشايخ بني زرّاف، حتى أتحفوهم بأحبّ الإتحاف، وصاروا هؤلاء الثلاثةُ ناشرينَ العلومَ الفقهيةِ، في مذهب السادة الشافعية، فكان الأجرُ والفضْلُ لهم وللمتسببينَ في إقامتهم ببلدِ بني زراف، لا يسكنها إلا هم، والمتعلقُ بهم، والغير ما يحصل لهم منهم الإذنُ.

فلما رأوا هذا الشيخَ وأولادَه الأمجادَ، أسكنوهم في البلادِ، طلباً للاهتداءِ بهديهم النافع في المعادِ. نعَم؛ وطلب مني الشيخُ الإجازةَ بقوله:

وامنحـــوني إجـــازةً في علـــومٍ مـعَ مَـا للحبيـبِ مـن أورادِ

فأحببتُ إيرادَ قصيدته، لأنها وصلتْ بعد ختمِ ما تقدّم، فعلمْنا حسنَ نيته، فأثبتناها ها هنا، وقد أجزناه فيما طلبَ، كما قد بحمْدالله أخذ عنا أناسٌ في الديار اليمَنيةِ والشامية عامَ حجِّنا، وبديار (عمان) كلها خصوصاً، لا يحصَون بالعدِّ، وذلك لعقيدتهم في الجدِّ الأعلى القطبِ الحبيب عبدالله الحداد، وجدي الأدنى الحسَنِ، وظهور علمِ والدي أحمد، وولايته عند الخاصِّ والعامّ.

فهذا نظمُ الشيخ محمد المذكور، فقالَ:

«الحمدُلله سبحانه لكاتبه الفقيرِ إلى رحمة ربه، محمد بن أحمدَ بن عبدالرحمن بن عبداللطيف، إلى جنابِ مولاه الأجلّ النبيلِ، السيد الأصيلِ، سيدي الحبيب علوي بن القطب الجامع أحمدَ بن القطب الفرْد الحسَن بن القطب الأكبر، والغوث الأشهر، والعلم الأزهر، والبحر الزاخر، الحبيب عبدالله الحداد باعلوي، نفع الله بهم، وأمدنا بمدَدهِم وأسرارهم، جزيلُ السلامِ ورحمة الله وبركاتُه على الدوام، إلى يوم القيام.

وبعد؛ فأقولُ:

غنِّ باسْمِ الحبيـبِ يـا خَـير شَـادي عـــادلاً بي إلى سَـــبيلِ الرشـــادِ

واســقني قهْــوةً بطيــبِ شَــذاها عبِـقَ الكـونُ قبـل إيجـادِ عـادِ

وبحـــانِ الفـــلاحِ جَهـــراً أدِرْ لي كأسَـــها مترعـــاً فقلبـــيَ صَـــادي

وارفَــعِ الصــوتَ فالفنــاءُ تــدانى وانقضَىـ الصـحْوُ مؤذنـاً بالنفـادِ

هــاتِ متــعْ مسَــامعي مــن هُنيهَــا تلكَ واجلِ الصّدا بها عـن فُـؤادي

واغســلِ القلْــبَ لي بهـا مـن رُعونـا تِ بهـــا راحَ قاســـياً كـــالجمادِ

ففنـــائي عنّـــي بقَـــائي وسُـــكْري عينُ صَحْوي والغيبُ عينُ مرَادي

وانعِــدامي مــعَ الفنَـا في وجُــودي ووجُــودي وراحَتــي في افتقَــادي

لا تلمْنـــي إذا شـــطحتُ غرامـــاً أو خلعْـتُ العِـذارَ بـينَ العبَـادِ

فبحَسْـبي في خلـوةِ الـذكْر جهـراً لي تجـلى ونـــورُه صَـــار بـــادي

طفـحَ السـكرُ بي فتهْـت بوَجْـدي والــتملي لحسْـنه كـــانَ هَـــادي

وتحــــيرتُ في طريــــقِ فنَــــائي ودلــــيلي شُــــهودُه في فـــؤَادي

قد شـهدتُ الحيـاةَ في سـلْبِ كـوني ورأيــــتُ الـمـماتَ في إيجَــــادي

ثم أبصرتُ طيفَ تمثالِ شَخْصي وضــميري يجــولُ في كــلِّ وادي

وتحققــــتُ طــــرْحَ أغيـــارِ قلبـــي فـــانجلى بالبيـــاضِ بعـــدَ السَّـــوادِ

وتأملـــــــتُ في حقيقَــــــة سرِّي فسـمعتُ الصّـفا باسْـمي ينـادي

يــا مريــدَ الضــياء بنُــورِ الــتجلي خلّ جذْبَ الفَلا وقطْعَ البـوادي

واستضـئْ مـن ضِـياءِ مشـكَاةِ نـبرا سِ محيَّــا الحبيــبِ ذي الإرْشَــادِ

علـــمِ الرشْـــدِ والهدايـــة حقًّـــا ومنـارَ الصـلاحِ مَـاحي الفَسـادِ

مركـــزِ العلـــم والمعـــارفِ مِصْـــبا حِ ضـــياءِ الهـــدَى والعبَّـــادِ

قطـــبِ أفـــلاكِ دائـــرة العُـــلا مُـــرْ وي كلّ صادٍ من منهـلِ الإسـعادِ

مصـــدرِ الســـرِّ والحقـــائقِ مفْتَـــا حِ فَـــلاحِ الوجُـــوه للزُّهَّـــادِ

مرشـــدِ الكـــلِّ للطريقَـــة مبْـــدِي واضـــحَ الـــنهْج للإلـــهِ الجـــوادِ

كامـلِ الفضْـل ذي الحقَـائق والعِـرْ فانِ حـاوي السّـباق يـومَ الطـرادِ

مــــن كسَــــاهُ الإلــــه حلّــــةَ خُلــــقٍ حسَـــنٍ لا يـــزالُ في الازديـــادِ

ومحيَّـــا كأنـــه البـــدْرُ حســـناً والضـــياءُ فيـــه زائـــدُ الاتقَـــادِ

وحبيبنـــا بالبِشـــرْ يعـــرِبُ للنـــا ظِـــر مـــن كـــلّ حـــاضرٍ أو بـــادِ

وحبَـــاه الإلـــه قلبـــاً ســـليماً طـــاهراً مـــن نجاسَـــةِ الأحْقـــادِ

وجنانـــاً ســـهلَ العريكـــةِ دمْثـــاً وطباعـــاً سريعـــةَ الانقيـــادِ

ولسانٌ ما فاهَ قطّ بفحْش | في مقالٍ مؤيَّدٍ بالسّدادِ
صانَ مولاه فضْلَه عن شبيهٍ | وحمى وصْفَه عن الأنْدادِ
وأبى الله أن يشانَ بدرْكٍ | شأوهُ المعتلي عن الأضْدادِ
سيدٌ ماجدٌ حسيبٌ نسيبٌ | معرِقُ الأصْلِ نخبَةُ الأمجادِ
صَفْوة الله من جميع بني آ | دمَ زاكي النجَارِ والميلادِ
نعمَةُ الله للبريّةِ طُرًّا | رحمةُ الله في جميعِ البلادِ
حبلُه المبرَمُ المتينُ نورٌ | منه للأمْنِ والسلامة بَادي
شرفُ الأرْضِ مجدُها فخرُها بل | عزُّها المستمِرّ حتى المعَادِ
روحُ جسمِ العلَى وعينُ المعالي | وضِياءُ الأرواح في الأجْسَادِ
كيفَ لا! وهو نجلُ خيرِ البرايَا | أحمدَ المرتجى بيومِ التنَادِ
سيدي معدنُ التقَى علويٌّ | ابن قطبِ الورَى جزيلِ الأيادي
الحبيبِ الشريفِ أحمدَ من قَد | شاع صيتاً في كل ربعٍ ونَادي
فرعُ قطبِ البرية الحسنِ الغَو | ثِ ممدّ المريدِ بالإمْدادِ
نخبةُ الغوثِ والغياثِ المرَبي | للمريدينَ عينُ كلٍّ مرادِ
قطبُ أقطابِ عصرِه الفرْد والغَو | ثُ سريعُ الإمدادِ والإنجادِ
صفوةُ العارفين طرًّا وغيثٌ | هاطلُ الفيضِ للنفُوسِ الصوادي
مظهَر السرِّ والمعارفِ والآ | ياتِ ركنُ الورَى الشمالُ العِمادِ
الحبيب الكبير مولاي عبدالله | سَامي المكانَةِ الحدادِ
نسبٌ طاهرٌ زكيٌّ عريقٌ | ينتهي عالياً إلى خير هادي
بيتُ فضلٍ وسؤدُدٍ وفخَارٍ | ومنَارٍ إلى السَّماءِ صُعَادِ
بيتُ وحيٍ ومهبطٌ لكتَابٍ | هو أقوَى مستَمسكٍ وسِنادِ

آل بيــــتِ النبـــيّ إنّ هَـــواكم | آخـــذٌ بالزمَـــام لي والقيَـــادِ
حبكُمْ واجـبٌ عـلى النـاسِ فـرْضٌ | وهــو ديـني ومـذْهبَي واعتِقَـادي
وولائـــي لكُـــمْ عزيـــزٌ عـــليٌ | وبــه أرتجِـي الجـزاءُ في مَعَـادي
والـــذي أنـــتمُ توالـــونَ إني | لمـــوالٍ ومـــن تعَـــادوا مُعَـــادِ
فــإذا قـــالَ لي إلهـــي بِـــماذَا | جئتَ للأمـنِ مـن كـروبٍ شـدادِ
قلـــتُ بالحـــبِّ للنبـــيّ ولـــلآ | ل جميعـــاً وصـــحبه الأمجَـــادِ
يـا حميـدَ الـصفات يـا كامـلَ الجـو | دِ ويا هاطـلَ الـسحابِ الغـوادي
يــا ابــنَ خــيرِ الأنَــام إني محــبٌ | لكـــمُ مخلـــصٌ بغـــيرِ انتقـــادِ
وعـــلى صـــادقِ المحبّـــةِ منـــي | لكــمُ بعــدَ ذي الجــلال اعــتمادي
فــاكتبوني في سِــفر أهــلِ وِلاكُــم | واجعلـــوني في أولِ الأعْـــدادِ
وامنحـــوني إجَـــازةً في علُـــوم | مــعَ مـــا للحبيـــبِ مـــن أورادِ
واشْرِكُـــوني يـــا سَـــادتي في دُعَـــاكم | كـــل وقـــتٍ وأوصِـــلوا إمْـــدادي
وعـــلى جـــدّكم شريـــفُ صـــلاةٍ | وســـلامٍ سَـــامٍ عـــن التعـــدادِ
وعـــلى الآل والـــصّحابة طـــرًّا | ما همَـى الغيـثُ بـالرُّبَى والوِهَـادِ

ولا يخفى سيدي أن المملوك سائرٌ اليومَ إن شاء الله إلى مَصْنعته، فإن تفضلتم بكتابةِ الإجازة للمملوكِ، وهو المرجوُّ منكم، فابعثوا بها إلى البيتِ، حتى نأتي إن شاء الله.

هذا؛ وكفُّ الكرامِ مقبلةٌ، وأنهي السلامَ إلى الشيخ قاسمٍ وكافّة المتشرفينَ بمجلسكم العالي، والسلام.

وكتبه المملوك؛

محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبد اللطيف الأحسائيُّ بيدِه في ٢٥ محرم عاشور سنة ١٢١٢.

وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً».

* * *

وهذه للمحبِّ المودِّ في أهلِ البيت، المتعلق بأذيالهم، محبنا عبدالله بن محمدٍ المكيّ، وله كثيرٌ من النظمِ فينا، والمدد في المشهدِ، **فنثبتُ قولَه مع رِكَّته:**

أفـــديكِ حوريـــةً بانيـــة القَـــومِ ... ريميـــة الجيـــدِ نافُوجيـــة الـــشمَمِ

دريـــةُ الثغـــر شَـــهدٌ في مباســـمها ... خمريـــةَ الريـــقِ هاروتيـــةَ الحـــومِ

وردية الخدّ دعجَا العـينِ حـينَ رنَـتْ ... تـومي بقيـسَانها حتـفٌ مـن الـسهمِ

جاءتـك في زجـلٍ تمـشي عـلى مهَـلٍ ... والبدرُ في خجـلٍ والـشمْسُ في غـيمِ

تـسبي العقـولَ لهـا في حبّهـا ولـهٌ ... مـن جَـا إليهـا لهـا مـن شَـوقه يهـمِ

تمـشي عـلى رفـقٍ مكحولـة الحـدقِ ... في متنهـا رمـقٌ بـدر مـن الظلـمِ

ضـاقتْ بي الحيـلُ قـد مـسّني الخبـلُ ... ما عاد لي حِوَلُ حـارتْ بهـا حكمـي

يـا مَـن يعاتـبُ لي عنـد حبايـبَ لي ... أصـلي حبايبـك مـن مـرْهمِ الـسقَمِ

ناديتُهـا ارحمـي مـن كـانَ مقلتُـه ... تجفُـو الكـرَى وبـسهدِ الليـل لم تـنَمِ

قالتْ: فما بـكَ يـا ولهـانُ؟ قلـتُ لهـا ... أنتِ التي قـد نُحِلْـتِ جثتـي ودَمـي

تبـسمَتْ عـن ثنيـاتٍ مشعْـشعةٍ ... يـسفر بهـا فـالقُ الإصـباحِ للظلَـمِ

ناديتهـا مـن فـؤادٍ ناحـلٍ ولِـهٍ ... رُوحـي الفـداءُ لمـن يأتيـكِ مبتـسمِ

قالـتْ: فمـن أنـت؟ قلـتُ: العبـدُ عبـدكُم ... مملـوككُم لـيسَ منكـوراً مـن الخـدمِ

قالـت: تـشوقت؟ قلـتُ: الـشوقُ أوقَـدلي ... نَـار الغـرامِ وفي الأحـشاء مـضطرمِ

كأن يوسُفَ مع يعقوبَ حين أتَى ... أو مثلَ عافيةٍ في جسم منسقمِ
بل إن لقياكِ راحُ الروحِ توصِلني ... لو في المنامِ فتحيي الجِسْم من ألم
والآن مَالي سوى الحدّاد ينفعُني ... فهو الذي اكتسَى بالفضلِ والكرمِ
ابن البتولِ ومن نسلِ الرسُولِ ومِن ... مدينةِ العلم يشرَبْ صافي الحكَمِ
علمٌ وحلْم وآدابٌ له جمعَتْ ... ورعٌ مَصونٌ بتقوَى الله معتصمِ
في فضله كرمٌ في حولِه حرمٌ ... وفي علمِه مثلَ بحرٍ فاضَ ملتطمِ
فقمتُ منتبهاً داعيه أرّقني ... من المنَام يبشرني مع الحلُمِ
يقولُ لي قد أتَى من كانَ ترقبُه ... حبيبكَ السيدُ المشهورُ بالعلَمِ
فقمتُ من وَجلٍ أمشي على عجَلٍ ... سعياً على الرأس لا سعياً على القدَمِ
حتى وصلتُ إلى لقيَا الحبيبِ فكم ... رأيتُ من خيركُم لم يحصَ عليه فمِ
ألقَاه بالبشْر للقصّاد عادتُه ... من هيبتِه لم أطقْ أقدر على كلمِ
لكن بلغَه من الحسّاد عاتبني ... عن سيرةٍ لم أدَعْها كنتُ في القدمِ
فقلتُ: ما الذنبُ لي بالله يا أمَلي ... قلبي يحبكُم مولَعْ بكمْ يهم
الله يعلمُ ما بالقلبِ من ألم ... من بُعْدكم وجفونُ العينِ لم تنمِ
إن كان قد غبتمُ عنّي وعن نظَري ... ما غاب ذكركمُ من منطقِي وفَمي
لعمْر جدّيَ لا أنسى جميلكُم ... لا والطوافِ وبيتِ الله والحرمِ
وكيف أنساكمُ والقلبُ مشتغلٌ ... بكمْ ومنزلكم في مهجَتي ودَمي
أكسبتمُوني جميلاً من مكارمِكم ... فليس ينكرُها طبْعي ولا شِيَمي
لازم بعهدكمُ أرجو وصَالكم ... لا خنتُ في ودكُم عهدِي ولا ذِممي
أنتَ الذي كنتَ لي في الضيقِ لي فرجاً ... وفي الظلامِ لنا قنديلَ في الظلمِ
خل الوشَاة حبيبي قولهم ندَمٌ ... إني على سِيرة الأسلافِ ملتزمِ

لا يسلم المرءُ من بغْض ومن حسدٍ — حتى النبيّ ما سلمْ من قولِ متّهِم
أو عدلُ شرْوان أو جوداتُ حاتمَ لا — تنجو من اللؤم في عدلٍ ولا كرمِ
أجبتُ عن علوي الحدادِ معذرةً — للشامتين يكونُ النَاقلين عمِ
أوهَنتُ نفسي بدارٍ كانَ ساكنها — إلا لطيبَة لي بالزينِ والحشَم
اقرأ سلامِي على بنِ أحمد ولد حسنٍ — عبدالله القطب جدّه صاحبُ الهممِ
أزكى سلامٍ من المكيّ ما طلعَتْ — شمسٌ وما غربتْ في غيهبِ الديم
يهدَى إلى علويّ الغوثِ منه لنَا — ذخراً إلى محنِ الأحداثِ والأزمِ
الله يبقيه في الدنيا لنَا علماً — وزادَه الله من علمٍ ومن حِكَم
كفاك ربكَ من ضرٍّ ومن حسدٍ — وجارَك الله في الدنيا من العدمِ
بجاهِ خير الخلائقِ كلها جمل — إنس وجنٌ ومن عربٍ ومن عجم
ثم الصّلاة مع التسليمِ مقترناً — على النبيّ وجميعِ الآل كلهِمِ
والصحب جمعاً مع الأتباعِ كلهم — ما زار تربَة تريمٍ صادقٌ يهمِي
أو حجّ أو عجّ في عمْرة وفي نسكٍ — أو زارَ طيبةَ راكبٌ أو على قدمِ
وما قضَى الله حاجاتٍ بلا تعَبٍ — وما قرأ قارئ القرآنِ له بفَمِ

* * *

ولما قدر الله السفَر سنةَ ١٢١١، لزيارة مولى (مرْباط)، محمد بن علي، جد الأشرافِ، وسيدنا زين العابدين بن عبدالله الحداد بـ(الصّير)، طلعْنَا (الجو) سنة ١٢١٢، قال بعضُ العلماء نظماً، بعد نزولِ الغيثِ للجهَاتِ كلّها:

تأرقَ جفْني حينَ بالبُعد أُعْلِما — وأظهَر إبْعَادي وما كنتُ مجرِمَا
سَوالفُ أشْواقي محيطٌ بعلْمِها — وآثارُها في خالصِ الودِّ قدْ نما

تمـــرُّ بي الآمـــالُ وهـــيَ رواحـــلٌ ... وتمكثُ بي الأوجَالُ إذ كنتُ مغْرَما

فـدعْ صرْمَ هـذا الـودِّ فهـي مذمَّـةٌ ... وامـنـنْ عـليّ بالوصـل إني متـيَّما

عـلى النـأيِ يأتينـا الخيـالُ مروِّعـاً ... فـأفزَعُ مهـما جفْـنُ عينِـي هوَّمـا

ومـــا حســـب الآرام ألا تراميـــا ... بأحـداقهم النجـل في الكبـد أسـهما

وفي قـربِ ربّـاتِ الخـدورِ مصَـارعٌ ... تصـيدُ لمـن يـأتي لهـنّ تجشّـما

فيـا حبّـذا طعْـمُ الغـرامِ وذوقُـه ... ولفـحُ الجـوَى لـه في الفـؤاد تضَرّما

ويـا لهفِـي مـا لي بأغْيَـدَ أهيـفٍ ... لـه مبسـمٌ قـد فـاقَ درًّا مـنَظما

عسَـى يسـعفُ المولى برؤيَـاهُ عـاجلاً ... ويـبرأ مـا بي مـن غليـلٍ ومـن ظَـما

وأثنِـي عنَـاني بالمـديحِ لسـيدٍ ... عليـه أجـلّ الأكـرمينَ تكرَّمَـا

مرتّـبُ سـمطِ المجْـد بعـد عفَائِـه ... مقمّـصُ بـرْدِ الفضْـلِ لي منْـه أنعُـما

مقلّـدُ أعنـاقِ المقلـين نعمـةً ... يمنّ على الواجِدْ ومـن كـان معـدَما

حميـدُ السـجايا معـدنُ العلمِ والنـدَى ... إذا وكفَـتْ يمنـاه فـاقَ حياهمـا

فهـو كعبـةُ القصّـاد كلهِـم ... فمن طافَها بـالقربِ مـا قـطّ أحرَما

جميـل المحيّـى سـيدي علَـوي الـذي ... حبـاهُ إلـه العـرشِ حـالاً معظَّـما

حوى كل علمٍ يقصُر الناسُ دونه ... هـو البحْـر إلا أنـه يـبرئُ الظّمـأ

فهو حامـلُ البرهـانِ علـوي بـنُ أحمـدٍ ... فمهما تجيءُ أرضاً نـزلْ رحمـةُ السَّـما

لأنـــه ميمـــونٌ مبـــاركُ أيـــنما ... يحـلّ بـأرضٍ فـازت الأرضُ مـنعَما

فتحيَـى بكـمْ كـلّ الأراضي وأهلهـا ... وكـلُّ فـرحْ مـن حـين تَـأتي وتقـدُما

فأنـتَ برؤيـاك قلوبـاً تنـوّرتْ ... لجـدك حـدادِ القلـوبِ مـن العمَـى

فأنت أبوكَ القطبُ والقطبُ جَـدكم ... وعبـدالله الحـداد جـدّك أقـدَما

كيوسـفَ بـن يعقـوبَ بـن إسْـحَاقهم ... وبعـده خليـلٌ للكـريم المكرَّمَـا

فـلا غـرْو أن تـأتي الأسـودُ بشِبلهم ... ولا غـرْو أن تـأتي الكـرامُ بأكرَمـا
ورثتَ جميع السرِّ لا عنْ كلالةٍ ... فمـن كـابرٍ عـن كـابرٍ ومعظَّـما
همـام يفـلُّ الهنـدوانَ ببأسِـه ... سـميّ عـلى هـام المجـرّة قـدْ سَما
لقـد أفلحَـتْ يمنَـى تمـسّ يمينَـه ... لأن بهـا بحـراً مـن المجْـدِ أشـيما
مـلاذٌ وطيـبٌ للأنـام إذا شـدَتْ ... نـوافحُ ذكـراهُ كـروضٍ تنَمْـنما
ضربْـنَ لـه عـزّ المحامِـد والتقَـى ... خلعْـنَ لـه بـيضَ العطيّـاتِ ملزَمـا
ولو رمتُ أحصي بعضَ ما فيه من عُـلا ... لكنـتُ كمَـن فـوقَ البحـارِ تسَـنّما
أمـولايَ أقبـلْ لا عـدِمتُ وجـودَكم ... باسـمِكَ يزهـو فائقـاً زهـرَ عنْدَما
فتصْـغي لـكَ الأسـماع شـوقاً وميلـةً ... وتطلـب تشـنيفاً بـنعماكَ دائـما
بقيـتَ بعـزٍّ لا يضَـامُ وسـؤدُدٍ ... وفخْـر سـمي ركنُـه لـن يهـدّما
محاطـاً بـأطوادِ الكَـلاءة والبقَـا ... وبالنصْـر البـان المطـوقِ أنغَـما
وألفَـي صـلاةِ الله ثـم سَـلامه ... على المصطفَى والآل والصحبِ دائِما
عـددْ مـا قَـرأ القـارئ يتلُـو كتابَـه ... وما زمزم الحادي ومن حجّ واحرَمَا

* * *

وقال صاحبُ (البرَيْمي) من أرْضِ (عمان)، الشيخُ خميس بن مفتاحٍ:

أيـا وُرْقُ كـم تنعـينَ والنـاسُ نـوّمُ ... أشـوقٌ بـكِ أم فـرقٌ ولـدِ متـيِّمُ
فجاوبتُهـا لمـا سـمعتُ أنينَهـا ... وقلتُ لهـا: هجْرُ المحبـينَ أعظَـمُ
فقالتْ: أما تدري ترَى الناسَ يا فتى ... تبديكَ بـالهجْرانِ أن كنـتَ معـدَمُ
فقلـتُ لهـا: رزْقـي مـن الله واسـعٌ ... فجُـدْ بالـدّعا والله بالحـالِ أعلَـمُ
فقالـتْ: إذاً إني نصـحتُك عصَـيتني ... فقلتُ لهـا: إني مـن حبيبـي معلَّـمُ

ألا من يبشّرني عَن السيدِ الذي ... أنا لَه من بينِ البرية خادِمُ
وأعنِي به علويّ سلالة أحمدٍ ... ومن جدّه الحدادُ قطبٌ معظّمُ
فقد صنفَ الكتْب المنيرةَ بالهدَى ... ومن حسْنِ ما فيها لها القلبُ يفهَمُ
فأنتَ لنا سدٌ منيعٌ ورتبَةٌ ... إذا جاتنا الأهوالُ نحمَى ونعْصَم
أيا قاصداً أعني تريمَ وأرْضَها ... إذا زرتمُ تلكَ الضرائحَ سَلّمُوا
فسكانها الأخيارُ من آل هاشمٍ ... وأبناء عليٍّ جدّهم ومقدَّم
فقد قالَ محضارٌ: تريمُ بلادُنا ... تفوقُ على كلّ القرى وتكرَّم
وقال أناسٌ [ذاك] حداد اسمُه ... فأنبئنَا إن كنتَ تفطنْ وتفهَمُ
فقلت لهم حدادُ القلوبِ إلى التقَى ... إلى طاعَة الله وتركِ المآثم
ومن شكّ في الحدادِ فهو منافقٌ ... فلا له من الإيمانِ مثقالُ درهَمُ
فندعوكَ يا حدادُ في كل ضيقةٍ ... إذا جاءتِ النيرانُ بالغيظ تُضْرَم
فأنتَ لنا محضَار في كلّ شدةٍ ... ومن جور سلطانٍ ومن ظلمِ ظالم
وصَلوا على المختار ما لاحَ بارقٌ ... وما حنّ رعدٌ في السحابِ يهمهمُ

* * *

ولما كان فاتحةَ عاشُور، سنةَ ١٢١٥، حدثَ بنا بعضُ الرياحِ في البطنِ، فكتب العلامةُ محمد بن الشيخِ أحمد بن عبدالرحمن بن عبد اللطيف الأحسائيّ، متعَ الله بهِ، آمينَ:

يا حائز الشرفِ الجليِّ المعْتلي ... يا حاويَ الفضلِ الكبير الأكمَلِ
يا من زكى أصْلا وطابَ عناصراً ... يا مزرياً بكمالِه للكمَّلِ
يا ساحباً ذيلَ السيادةِ والعُلا ... طفْلا على هامِ السِّماك الأعْزلِ
يا منْ دنَا كالقَاب إذ أسرَى به ... ربُّ السماءِ بظهْر أشرَفِ مرسَلِ

يـا ابـنَ النبـيِّ محمـدٍ خـير الـورَى ... يا نجلَ بـابِ مدينـة العلْـمِ العـلي

منــي إليــكَ أجــلَّ تســليمٍ سَــما ... منه الشذَا المسكيُّ نشْر المندَلِ

وتحيــةٌ تــزرِي نضــيدَ الــدرِّ في ... عقــدٍ تضـمّن عسْـجداً بتفصّــل

لا زلــتَ مرموقــاً بمقْلــةِ غــابطٍ ... لعلاكَ ذا لطْـفٍ مـن المـولى جَـلي

يـا سـيدي عـلَّ الريـاح تخلّصَـتْ ... وغلَتْ عن الجسمِ الشريف بمَعْزِلِ

ولعـلّ مولانـا حبـاكَ مـن الشّـفا ... مـــا جَـــذّ كـــلَّ تـــألمٍ وتعلّـــلِ

فوحَــقِّ وُدِّك لم تــزلْ في خــاطري ... من حينِ عما قد عَـراك ذكـرْتَ لي

لا تكســلَنّ ودُمْ بأكمَــلِ صــحّةٍ ... فـالكونُ يكْسـلُ كلُّـه أن تكسَـلِ

لـولا الثـوابُ وددْتُ كـلّ توعـكٍ ... بمُنيفِ سـاحةِ جسـمكُمْ لم يحلُـلِ

إني لأغــبط بــالثوابِ عــلى الـبَلا ... من كانَ بالجسدِ الذميمِ لكَ ابْـتلي

وأقــولُ حاشَــا لا ينــالُ مثوبــةً ... والقلبُ منه لسـيدي حسـداً مُـلي

وإن الرياحُ تعسّرتْ فاسْحَقْ لها ... قسْــطاً بــها وزْدٍ بغــير تعَلّــلِ

وأضـفْ إليهـا هيـلَ مـدْقوقاً كـذا ... عـودَ البخُـورِ مقلّـلاً واسـتعملِ

عندَ المنامِ وعند فرْضِ الصبْح مـن ... قبـلِ الريُـوقِ ثـلاثَ أيـام افْعَـلِ

وإن الرياحُ من الحـرارةِ قـد نشَـتْ ... فالهيــلُ كلّــهُ وغــيره لا تقبَــلِ

وأدمْــه أكــلاً كــلّ يــومٍ مكثــراً ... منهُ وعنه لـدَى الكـرَى لا تـذْهلِ

عافــاكَ ربُّــك مــن جميــعِ مكــارهٍ ... ومن المضرَّة جسمُكَ السّامي كُلِئ

ولكَم لكُمْ من حسْنِ وصْفٍ حصرُه ... لمريــدِ تعــدادٍ لــه لم يحصُــلِ

يا حـائزَ السـهمينِ مـن إرْثِ النبـيّ ... سهْمِ العلوم مع النسبِ الأفْضَـلِ

وعليــكَ منــي دائــماً يــا ســيّدي ... أزكَـى التحيـة والسّـلامِ الأكمَـلِ

لا زلتمُ في بهجَةٍ ومسرَّةٍ ... وهنـيءِ عـيشٍ في البريّـة مخضِـلِ

مــا ســحّ وابــلُ مزنَــةٍ هطّالــةٍ وسرَى النسيمُ بجنحِ ليـلِ الأليَـلِ

في حضرة الحدّاد جدِّك سيدي اســألْ إلهــكَ كــلّ هــمٍّ يــنجَلي

اســأل بــه متوسِّــلا لعبيــدِكُم بجنـانِ خلـدٍ ذاك أطيـبُ منـزِل

ثــم الصــلاة مــع الســلامِ مضــاعفاً لنبيــهِ المختــارِ أفضَــلِ مرْسَــلِ

والآل والصــحْبِ الكــرامِ وتَــابعٍ مــا قُــرئَ الراتــبُ أو جَهــراً تُــلي

* * *

ولما وقفَ الشيخُ العلامة المذكور، على أبياتٍ لنا، وهي:

ونبــدأ باسْــمِ الله أولَ أمرِنَــا ونســأله يســكنّا جنــانَ خلُــودِ

ونحمــدُه فالحمــدُ لله ربِّنــا إلــه عظــيمٍ خُــصّ باســمِ وَدُودِ

وأثنــي بتســليمٍ وألفَــي تحيــةٍ على المصْطفَى والمرتضَى وأسُودِ

فهم بني الزهراء وأهلُ الكسَـا أتـى مــنَ الله قرآنــاً بــرغم حَسُــودِ

مباهلــةٌ فيهــا معــاني دقيقَــةٌ وأذهبَ ربي الـرجسَ بـاذلُ جَـودِ

وسبطا رسـولِ الله مـع زيـنِ عَابـدٍ وبــاقِرهم هــم عــترَتي وجنُــودي

مــع الصّــادق الصــديقِ ثــم أئمّــةٍ فهــمُ أصُــولي يــا أخِــي وجــدُودي

بكـل آل بيـتِ المصـطفَى وصِـحابه إلهــي توسّــلنا وســاكن زرُودِ

وخصـيتُ حـداد القلـوب إمامَنـا أغثْ يا سريعَ الغـوثِ طالـتْ صُـلودي

ولالي سـواكَ يـا ابـن علـوي فغِـث وقُـم تشـفعْ إلىٰ البَـاري وفـكَّ قيُـودي

وفي القلبِ حاجاتٌ وعلمك واسِعٌ فيا ربّ أطلـعْ لي طوالـع سُـعودي

وبعــدُ حــركَ خــاطري ذكــرُ بلــدَةٍ تــريمُ وحَاويهــا وكــلّ جُــدودي

لأن بهَــا طــابَ المقَــامُ لأنهــا منازلُ من أهوَى فيا عـينُ جـودي

لأيــام وصْــلٍ في تــريمَ قضَــيتُها مــع ســادةٍ مــع منسِــبين جُــدودِ

بنـي علـويّ سـادةِ النّـاس كلهـم　　فيــا ربّ اجمعنَــا بهــم يــا ودود
ففي خير مع ألطـافٍ منـكَ ونعْمَـة　　وحمــداًلربي حيــثُ فــكّ قيــودي
بمن سكنَ الحاوِي من السّادة الذِي　　بهـم كـل ذي سـؤلٍ يفـوز بجُـودِ
خصوصاً بحدادِ القلوب هو الـذي　　يغيثُ المنادي مسرعاً بجنودِ
وصِنوي عُمَر كـم لـه مفـاخرُ جمـةٌ　　مناقبُ لا تحصَى بحصْر عدُودي
نتيجـة قطــبٍ والــداً بعــدَ والــدٍ　　بعدنانَ قد حـازَ اتصـالُ جـدودي
بهم نفْعُنا هـم ذخرنَـا دونَ غـيرهم　　سوَى من تعـالى عـن مقـالِ يهـودِ
فيـا ربنـا ارحَمنـا ومـنّ ورُفْ بنـا　　بأهــل العبَــا أقــمار كــل وجُــودِ
وألفــي صــلاة الله ثــم سَــلامه　　علـى خـير خلـقِ الله سـاكن زَرودِ
وآل وأصــحابٍ ومــن كــان تابعــاً　　عددْ ما ركعْ راكع وخرّ سُـجودي

* * *

فلما وقف العلامةُ الشيخُ محمد بن أحمد، المتقدم ذكره، أجابَ وقالَ:

«الحمدُلله؛ لما وقفتُ على نظْم حبيبي الكاملِ، علوي، على الأبياتِ المبدوءة بلفْظِ:

ونبــدأ باســم الله أولَ أمرِنَــا　　ونســأله يسـكنّا جنـانَ خلُـودِ

اقتديتُ به في التقريظِ، وإن لم يبلغ الضّالع شأو الضليعِ، فنظمتُ هذه الأبياتِ بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢١٥، وقلتُ مستعيناً بالله، ومتبركاً باسمه»، انتهى كلامُه.

وقصيدته كعصَا موسَى، تلقَفُ ما صنعوا، فقالَ، كان الله له في الدارين آمين:

ورودُ شــبابٍ عــادَ لي بــوُرودِ　　فتاةٌ سمَتْ بالحسـنِ زهْـرَ ورُودِي
أم الحـظّ أبـدَى لي طوالـعَ سـعْدِه　　بطلعَــةِ حُــورٍ في حســانٍ بُــرودِ
أم الحالُ قد عـادتْ لكامـلِ حسْـنها　　يعــودُ شــذا ريــمٍ كنفْحَــة عــودِ

أم الدهرُ صافَ لي فأنعشَ مهجتي بنظمٍ بديعٍ فاقَ نظْمَ عقُودي
نظامٌ سَقاني من بدائعِ سَبكِهِ سلافاً بها سكري طفَا وهُمُودي
نظامٌ هو السحْرُ الحلالُ عذوبةً أرقّ وأحلى من تغنّجِ رُودِي
حوَى كل معنًى مبعَدٍ في بيانِه له الحسنُ قد أزرى بنغْمَة عُودِ
إذا رجّع الحادي به الصوتَ مطرِباً نَداماهُ كانَ الهمُّ أيَّ شَرُودِ
ولا بعدَ إذ منشيه فردُ بلاغةٍ رقى من عقابِ الفَضْل كلَّ كَؤودِ
إذا قالَ لم يتركْ مقالاً لقائلٍ ويأتي بما يشفي بها لكُبُودي
وإن جالَ في ميدانِ نظمٍ جوادُه أقرَّ له بالسبقِ أهلُ جحُودِ
وكم ذا أورّي سأصرحُ بمدْحِ من سَما وزكى في محتدٍ وجُدودِ
حبيبي علَوي بن طَه الذي لَه لقد أنزلَ الرحمنُ سورةَ هُودِ
دليلُ الهدى هَامي الندَى قامع الرَّدَى مغيظُ العِدَى مرْوي الصدَى بوُرودِ
عظيمُ الوفَا كنز الخفَا معدِنُ الصفَا وسرُّ الشفَا مردي الجفَا بحُدودِ
غياثُ الورَى سامي الذرَى كوكبُ السُّرَى فسيحُ الذرَى جمُّ القِرَى لوفُودِ
رجيحُ الحجا كهْفُ اللجَا عروةُ النّجَا منير الدّجَى مزجي الهجَا لصُدودِ
تنقلَ في أصلابِ أطْهرِ معْشرٍ سراةٍ هداةٍ ركعٍ وسُجودِ
تفرعَ حقًّا من ذؤابةِ هاشمٍ خيارِ الورَى من سائدٍ ومسُودِ
تحققَ بالإسراءِ في ظهْرِ جدِّه عشيةَ من عند المهيمِنِ نُودي
لقد كانَ في صلبِ النبيّ محمّدٍ بليلةِ مرأى ربّه وشُهودِ
يضيء محيّاه بنورِ نبوَّةٍ فيجلو ظلاماً من حنادسَ سُودِ
سريٌّ شريفٌ كامِل ذو جلالةٍ تقيٌّ نقيٌّ نخبَةٌ لأسُودِ
صفيٌّ وفي أريحيٌّ مهذّبٌ زكيٌّ علي القدْرِ كامِلُ جودِ

له الله أعلا الشأنَ حتى لقدْ سمتْ ... مراتبُه عن غايةٍ وحدودِ
حباه إلـه العرْشِ أحسَن صورَةٍ ... وأطهَرَ قلبٍ حافظٍ لعهودِ
تراهُ سليمَ الصدْرِ لا يبطِنُ الأذى ... وتلقاه صافي القلبِ غير حقُودِ
حليمٌ وقورٌ صَابر ذو طلاقةٍ ... وبشرٍ وإيفَاء لحسن وعُودِ
منيبٌ خاشع مخبتٌ قانتٌ وذو ... مراقبَةٍ في يقظَةٍ وهجودِ
له خشيةٌ عظمَى من الله لم يزلْ ... بها جفنُه بالدمْع غير جمُودِ
وكم قامَ بالأسْحار لله والورَى ... ذوو أعينٍ في ليلهنَّ رقُودِ
إلـه السماء أولاهُ أي كرامَةٍ ... لعربٍ وعجْمٍ في الورَى وهنُودِ
أقرَّ بها من كانَ من قبلُ جَاحداً ... ودانَ لها في الناس كلّ عنُودِ
فيا ابنَ رسُولِ الله يا من صِفاته ... بهنّ لنَار الهمّ أيُّ خمُودِ
صفاتكَ لا يحصَى مدى الدهرِ عدُّها ... وهل يمكنُ الإحصَاءُ لرمل نَفُودِ
وإني محبٌ مخلصٌ في ودادكُم ... على أنني للغَير غير وَدودِ
وفي منحِنَا الأضلاعَ مني ولاكُم ... مقيمٌ نشَا من قبلِ نشأة عُودي
كما أن قلبي مولعٌ بهواكم ... وقد شابَ فيه عارضَاي وفُودِي
فمنوا بإمدادٍ وغوثٍ وغارةٍ ... ووصْلٍ وتقريبٍ وقطعِ صُدودي
وجودُوا بأذكَى نفحَةٍ علوية ... ليطلعَ في أفقِ السعُودِ سعُودي
ومنكم هبُوا لي عند مَوتي إغاثةً ... وفي القبرِ إذ أمْسي أسيرَ لحُودي
وعندَ سؤالي فيه منّوا بنجْدَةٍ ... لتلقَى نعيماً أعظمي وجلُودي
ولا تقطعُوا عني الدعاءَ عسَى به ... تكون رياحُ البعدِ ذاتُ ركُودِ
عليكُم سلامُ الله ما لاحَ بارقٌ ... وما نالَ مشتاق جنانَ خلُودِ

* * *

قلتُ: ومدح الغصن ينسحبُ إلى الشجرةِ، وألسنة الخلقِ أقلامُ الحقّ، وقد أنطقهم الله، ومدْحُ الصنعةِ مدحٌ للصانعِ، وكان أئمتُنا قاطبةً من لدُنِ الحسَنين إلى الحبيب عبدالله الحداد، يعطون المادحَ من الأموالِ، ولا يمنعونه من القولِ نظماً ونثراً وتأليفاً، ولنا بهم أسوةٌ حسنةٌ، إذ هم أئمتُنا، ونحن فروعهم وأولادُهم.

ولذا أثبتُّ كلامَ العلماءِ، حيثُ كلامُهم في نقله فوائدُ، منهَا لي: بسَتر الله عليَّ حيثُ أظهر المليحَ وستر القبيحَ، ومنهَا: لأولادنا إذا كانَ والدُكم متصفٌ بهذه الأوصَافِ، وشهدوا له أهلُ الفضلِ، كان حجةً عليكم، إذا لم تنتهجُوا منهجَه، ويكونُ كما قالَ القائل: «عِظاميٌّ لا عصَاميّ»، يعني بالعظَامي: الذي يفتخِرُ بالعظَام، أي: الأمواتِ، والعصامي: المعتصِمُ بالعلوم والأعمال، فإذا جمع النسبَ والعلمَ كانَ أشرَف.

ولله درُّ السُّوَينيّ حيثُ يقول:

يا اهْلَ الحـصُونِ المنيعَـة تَريمـي   من كانَ له حِصْنينْ هوْ غَريمي

يعني: حصنَ العلمِ، وحصن النسب، هو غريمه: أي هو صاحبُه ورفيقُه، وتابعٌ له، ومتحكمٌ له، تحت أمره ونهيِهِ، لجمعه السهمينِ من إرْثِ النبي ﷺ، سهمِ العلومِ، وسهْم النسب.

* * *

وقد أرسلَ لنا الشيخُ عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيفِ، حيثُ كان بـ(البَحْرينِ)، أوائلَ ربيع ثاني سنةَ ١٢١٥، قصيدةً، وأول الحرفِ من القصيدة (الخ) كتبه بالأحمر، مجموع الحروفِ: «الحبيب علوي بن الحبيب أحمد الحداد».

فقالَ جزاه الله خيراً:

إن جُزْتَ (مَسْكتَ) عُجْ بدَوحَةِ (أرْبِقِ) ... واقْـرَ الـسلامَ إمـامَ كـلِّ محقّـقِ
لا تقـصدنّ سِـواهُ فهـو الملتجَـأ ... وإلى المعـالي سَـلمٌ للمرتَقـي
حـامي الـذرَى حـبّ الـذرَى شـيخُ الـورَى ... كفَّـا سـماحته كغيـثٍ مغْـدِقِ
بحْـرُ العطـاءِ يتيمـةُ الـدهرِ الـذي ... هـو للأعـادِي كالـشهابِ المحـرقِ
يقـرا العلـومَ بـلا ملالَـة طالبـاً ... ويقـرّرُ المعنَـى بلفـظٍ مُؤنَـقِ
بالليـلِ حتّـى الفجْـر في محرابِـه ... يتلو الكتابَ بحسنِ لفظِ المنطِقِ
عاداتُـه عـاداتُ آبـاءٍ مـضَوا ... عبـدُوا الإلـهَ عـلى المـدَى بتشَوّقِ
لا يفـترونَ عـلى العبـادَةِ سـاعةً ... كلِفُـوا بهـا خلقـاً بغـيرِ تخلّـقِ
وإذا اسـتغاثَ بهـم أغَـاثوا عـاجلاً ... ويُـرَون جهـراً كـالخيولِ الـسُّبقِ
يـسقي بهـم ربُّ العبـادِ بـلادَه ... والأرضُ تنبتُ كل غـصنٍ مُـورِقِ
بانَـت لأهـل العَصْـر منـه خوارقٌ ... مـن غـير لـبسٍ كالنهـار المـشْرِقِ
نفثاتُـه مـن سُـقْمٍ قـد أبْـرأتْ ... حتـى مـن الـداءِ الـدّفينِ المُحِـقِ
الله فـضّله وأعـلى قـدْرَه ... فـسَما مكانـاً غـيرُه لا يرتَقِـي
لـذْ إن دهتْـكَ الـداهياتُ ببابِـه ... تجـدِ الخطـوبَ لديـه ذاتَ تمـزُّقِ
حاشَـاه يرجـعْ كفّـك منـه فارِغـاً ... وهـو الـذي يعطـي بغـير تعـوّقِ
بـشرَى لمـن أضْـحى نـزيلاً عنـدَه ... في الحـشْر والـدنيا معـاً لا يَـشْتقي
يا صـفوةَ الأخيـارِ يـا ابـن المـصطفَى ... يـا مـن بـه جُـلّ الخلائـقُ تـسْتَقي
بالقلـبِ هـمُّ البعـدِ عنـك فـداوِه ... بالقرْبِ واجمعْ منكَ شمْلِ تفرُّقـي
إني وإن بعُـدَ المـزارُ أراكـمُ ... في خَـاطري وخيـالكُم بي يلتقـي
حبِّـي قـديمٌ لم أطـقْ كتمانَـه ... فاستفتِ قلبكَ كي يكون مصدِّقي
مـا ذقـتُ بعـد البُعـدِ صـفوَ معيـشةٍ ... ومن الهمـومِ أبـيضَّ شـعْرُ المفْـرَق

دأبي أحـــنّ إلى لقائـــك نائـــلٌ فقــدَتْ أحبتهـا بقلــبٍ شَـيقِ
أرجُـو مـن الله اجتماعـاً عـاجلاً وبراحـةٍ وسرورِ قلْـبٍ نلتقـي
لـك مـن محـبٍّ بنتُ فكـرٍ أهـديَتْ جاءتْـكَ ترفـلُ في قمـيصٍ أزرَقِ
حـسناء ترجُـو المهْـر منـكَ قبولهـا ثـم الـدعاءَ بجنّـة للمُـشفِق
دعْ مـا بهـا ممـا يـشينُ وغَطّـه فـاللفظُ منهـا جـاء غـير منمّـقِ
إن الكـريمَ إذا رأى عيبـاً بـدا سـتر القبيحَ وخـاطَ كـلّ مخـرَّق
دامـتْ بـك الأيـامُ تزهُـو مـا حـدا في ظلمَة الأسْحارِ حَادي الأينُـقِ

وأيضاً، على التشمير المتقدّمِ، قال محبنا عبدُالله بن محمد بلفَقْيَه الشباميّ، نظماً، جزاه الله خيراً:

عرّجْ هُدِيتَ على الأطـلالِ مـن إضَـمِ دارِ الأحبّـةِ بـين البَـانِ والـسلَمِ
لـذ بالمحـصّبِ مـن نَعـمانَ ملتَمِـساً أخبـار لـيلَى مـن الأطـلالِ والخيَمِ
ونـاد هـلْ عنـدكُم يـا رَبعُ مـن خـبرٍ دلّـوا مريـضاً رمَـاه البـينُ بالـسّقمِ
يـا جـيرةَ الحـيّ هـلْ نزلَـتْ منـازِلكم حَـوْرَا خدَلجَـةٌ كالبَـدرِ في الظلَـمِ
بـدرٌ عـلى غـصُنٍ في رَوضٍ مديحَـة لقد شُـغفْت بهـا يـا صَـاحِ بالقَـسمِ
إن أقبلتْ رشَـقتْ أو أدبـرَتْ سـلبَتْ ها قَـد بـذلتُ لهـا رُوحـي بـلا قِـيَم
حسبي هواهَا ومدْحُ ابنِ الكرامِ ومَـن لـه اطـلاعٌ عـلى الأسرارِ والحكَـمِ
مـن قـد سَـما قـدره عـزًّا ومرتبـةً لقد سما ذكـرُه في العـرْبِ والعجَـم
داوُدي المجدِ في فـصْلِ الخطـابِ كـذا في الحلمِ والعلْم والتسديدِ في الكلمِ
بـدرٌ تجـلى لـدَفع المعـضِلات لـهُ درْسٌ وفهمٌ فكَم أشفى لـذي سَـقمِ
نـبراسُ بيـتِ بنـي الحـدادِ في زمنِـه كم قد هدُوا به أممٌ من ظلمَة الغيم
حـوَى سرائِـر آبـاءٍ لـه سـلفُوا ظهورُه في الفَـلا شـمسٌ عـلى علَـم

سلالةُ السادة الأشرافِ من مُضَر وجدّه المصْطفَى نال المَنى بهم
نارَتْ بهم كلّ أرضٍ ينزلُونَ بها أوتادُها بل همُ ركنٌ لمعتصِم
ثم الصّلاةُ على الهادي وعترته والأنبياءِ وكذا الأصحاب كلهم

فلما وقفَ عليها العلامة الشيخُ محمد بن أحمد بن عبداللطيف، أجابه في الحالِ بغير ترددٍ ولا توقفٍ في الجوابِ والسؤالِ، فقالَ:

وافى نظامُك يا ذا الفَهْم والحكَم كعقدِ دُرٍّ بديعِ الحسْنِ منتظمِ
نظمٌ بديعٌ بليغٌ في براعِته عالي المَعاني غَالي القدْر والقِيمِ
نظمٌ بسَحْبانَ قد أزرَتْ فصَاحتُه أتى لنا من أديبٍ بارعٍ فهِمِ
قد حاز مبناهُ أبهى رونق وحوَى معناهُ حسناً يفوق البدْرَ في الظلمِ
يقابلُ الطرْفَ من قَارٍ ومستمعٍ له بوجهٍ بحُسْن البشْر متّسمِ
ويثلجُ القلْبَ منه اللفْظُ منفهِقاً بنُور مفترٍّ ثغرٍ منه مبتَسمِ
تشجيرُه أعجَز المنطيقَ محكمُه فباءَ معترفاً بالعجز والبكَمِ
وكيف لا وهْو في مدحِ الحبيبِ أتى أعني به علويًّا شامخَ الهمَمِ
نتيجة العلويينَ الذين علَوا قدراً وحلوا من العليَاء بالقِمَم
السادة القادَة الغرِّ الكرامِ ومَن سادوا على الناسِ من عُرْبٍ ومن عجَمِ
من آلِ فاطمةَ الزهراء بِضْعة خيـ ـر الخلقِ طه المرجَّى شافعِ الأمَمِ
أكرمْ بهم شَاعت منَاقبُهم وقد أقرّ الورَى طرًّا بفضْلهمِ
هم الأمانُ لأهلِ الأرْضِ قاطبةً من الهلاكِ ومن مسخٍ ومن عدَمِ
هم السفينةُ حقًّا للنجَاةِ كما هم الملاذُ وملجَأ كُلِّ معتَصمِ
طابوا فروعاً كما طابَتْ أصولهمُ وطهِّرُوا عن جميعِ الرجْسِ في القِدَم
وقدِّسُوا وتزكّوا في عنَاصرِهمْ قدَماً وقد كرِّموا في الخيم والشِّيم

قـــد أوجـــبَ الله تحقيقـــاً مـــودَّتهم ... يا فـوزَ مـن جـاء في العُقْبَـى بحـبهِمِ

فهـم عـمادِي مـلاذي ملجَـأي سـنَدي ... لا زال حبّـي لهـم ركْنـي وملتزَمـي

عسى بهم أن أرَى حسْنَ التخلصِ مـن ... ذنبِـي وعنـد ممـاتي حـسْنَ مختـتَمِ

منـي علـيهم سـلامُ الله مـا سـجعَتْ ... ورقٌ ومَـا سـحَّ هطّـالٌ بمنـسَجمِ

* * *

[الحجة الثالثة للمؤلف، سنة ١٢١٥هـ]

ثم مما منَّ الله به علينَا سنةَ ١٢١٥هـ بالوصُول إلى (مكة المشرفة)، نحن وسادة ومحبونَ، ليلة عشرين شهر رمضانَ، دخلنا (مكة) محرمين بعمرةٍ، خرَجْنا من (السعدية)، ثم في العشر الأخيرةِ كلَّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ عُمرٍ، وأربع عُمرٍ في بعض الأيام، وذلك من فضل الله. ثم في شوال، في أوله، سافرنا إلى المدينةِ لزيارة النبيِّ محمدٍ ﷺ، ولزيارة صاحبيه والزهراءِ وأهلِ البقيعِ وأحُدٍ، والمسجد النبوي، وكافة المآثر والآبارِ، درْنا عليهَا، وسرنا منها آخر القعدة محرِمينَ بحجٍّ، ونوينا بالحجِّ للوالدَة.

ثم بعد الحج طلعْنا لزيارة حَبر الأمة عبدالله بن عباسٍ، ثم رجَعْنا (مكة)، ثم (جدة)، ثم قدر الله لنا الرجوعَ إلى (الطائفِ)، وأقمنا به شهرين عند ابن عباسٍ، ثم عزمنا لزيارة النبي محمد ﷺ غير الأولى قبلَ الحجِّ المتقدم ذكره، فتمت لنا بهذه أربع زياراتٍ للنبي ﷺ، والحج ثلاثَ حجاتٍ، بحجتنا سنةَ ١٢١٥.

وزيارتنا تقصَّينا على المآثرِ وعلى الأولياء والعلَماء، أحياءً وأمواتاً، من أهل الخبرة والمعرفة، ومن الكتب التي ألفَتْ في الحرمين (مكة) و(المدينة)، وكذلك في (اليمَن) و(اللُّحيّة) أحمد بن عمر الزيلعيّ، زرناه مع المطلوبِ، افتتحنا شهر رمضان عنده في (اللُّحيّة)، و(الحديدَة)، و(بيت الفقيه)، و(زَبيد)، و(المخَا)، والحمدُلله وسلامٌ على عباده الذين اصطفَى، ووصلنا بلدَنا ومسكننا (حاوي تريم)، سنةَ ١٢١٧، وبنينا بيتنا

الكبير قبليَّ بيتِ جدّنا الحسنِ، تاريخه «الله ناظِر»، وثاني تاريخٍ له سنة ١٢١٧، «دار السعد والخير»، الله يجعله منزلا مباركاً، ويرزقنا شكر نعمِه، مع العافية الحسية والمعنوية، كتبه مالكُه السيد علويّ بن أحمد بن حسن بن عبدالله بن علوي الحداد، لطف الله به، وعفا عنه وعن والديه وعن جميعِ المسلمينَ، آمينَ، والحمد لله ربّ العالمينَ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وهذه مديحةٌ من نظمِ الشيخ عبدالرحمن، قالَ:

«بسم الله. لكاتبه الفقير إلى عفو ربه القدير، عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عبداللطيف بن محمد بن ناصر الهلالي، مادحاً مولاه وسيدَه علويَّ بن القطب السيد أحمدَ بن القطب الحسن بن القطب الغوث عبدالله الحداد، نفع الله بعلومهم العبادَ، وسقى بهم البلاد، وهي هذه:

شـنفْ بـذكر أحبّتـي يـا حَـادي ... سمْعِي ودَعْني من حَـديثِ سُـعادِ

واتْـرِعْ لي الكـأسَ الحـلال وغـنّ لي ... كيما أزيلَ صـدَى الفـؤادِ الصَّـادي

وازْجُ المطـيَّ إلى مـرابعِهم وقُـل ... غـارتـه فـيكم حليـفَ سُـهَادِ

أضْـناهُ حـبكمُ فأخفَـاه الأسَـى ... وأمالـه طربـاً تـرَنّمُ شَـادي

تحكـي بـرُوقَ السـحبِ نـارُ فـؤادِه ... في خفْقِهـا وتزيـدُ بالإيقَـادِ

يا سَاكني أقْصَى الحشَا مني لقَدْ ... عـذّبتمُ بالصـدّ والإبعَـادِ

قلبِـي وأطلقـتُم عـلى خـدّي دمـاً ... مـن مقلتـيَّ وخنـتمُ ميعَـادي

لله مـا أحْـلى أويقَـاتٍ مضَـتْ ... مـا شَـابها كـدرٌ مـن الحسّـادِ

وأمرَّ يومِ البين يا أقْصى المنَى ... أبـداً يـذيبُ حشاشـةَ الأكبـادِ

يا سعدُ إن راعيـتَ عهْـدي والإخـا ... ناشِـدْ فـديتك عُـرْبَ ذاكَ النـادي

عـن مغـرَمٍ لعِـبَ الغـرامُ بلبِّـه ... ورمَـاه بالأسْـقام والأنكَـادِ

لا يرْعَـوي أبـداً ولا يصْـغي إلى   لَوم العـذُولِ الوغْـدِ ذي الإفسَـادِ
وأسـألهم يـا سْـعدُ وصْـلاً قبْـلَ أن   أمسي رهينَ الرّمسِ في الألحادِ
فلعلّهـم أن يعْطِفـوا يومـاً عـلى   حَـالي و يـدْنو بعْـد طُـولِ بعَـادِ
فهـم كـرامٌ لم يخـبِ مـن أمَّهُـم   لم لا وفـيهِم نخبـةُ الأمجـادِ
الألمـي الأوحـدُ العلَـمُ الـذي   هـو في سـماءِ المجْـد بـدْرٌ بَـادِ
بحْـرُ الحقيقـة والشـريعةِ والسّـخا   عـالي المنَـار وصَـفْوة العبّـادِ
العـالم العلامَـةُ الحـبْرُ الـذي   بهـرَ العقـول بفهْمِـه الوقّـادِ
شمسُ المعـارفِ معـدِنُ التحقيـقِ في   حـلِّ الغَـوامض منهـلُ الـورّادِ
ربُّ البلاغـة والـذكاءْ راقـي ذرَى   الأفـلاكِ ذو الإسْعافِ والإسعادِ
روضٌ أريـضٌ أينعَـتْ أثـماره   ونهايـةُ المحتَـاج للإمْـدادِ
سَامي المراتـبِ والمناقـبِ حَـائز الـ   ـعلياءِ منيـلُ الجـزْل للقُصّـادِ
فـأولوا الفضَـائل تقتفـي آثـارَه   ويزيـدُ مـن تكـراره ابـنُ زيـادِ
علـمُ الهـدى والرشَـاد ومظهَـر الـ   ـكنزِ الخفـيّ وقـدْوةُ الزهّـادِ
إنسانُ عين ذوي المعارفِ مركـزُ الـ   ـسرِّ المطلسَـمِ كعبـةُ الوفّـادِ
الزاهـدُ الـورعُ التقـيُّ الطّـاهر الأ   سْـلاف والأولادِ والأحْفـادِ
القانـتُ الأواهُ مِشـكاةُ الصّـفا   الخـالي عـن الأغيَـار والأحقَـادِ
مـولًى إذا قحَـط العبـادُ سُـقوا بِـه   كهـفٌ يقـي عـن صَـائلٍ ومُعَـادِ
فـردٌ حبَـاه الله جـلَّ جلالـه   فضْـلاً عظـيماً جـلَّ عـن تعْـدادِ
السـيدُ السـندُ الـذي خضَـعتْ لـه   أعنـاقُ كـلّ مسـالم ومعَـادِ
ورثَ السـيادة كـابراً عـن كـابرٍ   وغـدا زكـيَّ الأصْـل والميلادِ
علويٌّ بن القطبِ غوثِ الخلْقِ مَـن   هـو مسـرعُ الإمْـدادِ والإنجَـادِ

فحلُ الرجَال وسيدُ الأقطابِ عبـ ـــداالله بـــن علـــويٍّ الحـــدادِ
سرُّ السرـائرِ ذي الحقـائقِ والنهَـى والزهـــدِ والمحْـــرابِ والأورادِ
السيدُ ابـنُ السيدِ ابـن السيدِ ابـن السـيدِ ابـن السـيدِ ابـن الهـادِي
نســبٌ لــه في الخـافقينِ لوامــعٌ وضَــياه ممتــدٌ بكـلِّ بــلادِ
نسبٌ عَـلا فـوقَ السماكِ وكيفَ لا ونبينَـــا فيــه أبُــو الأجــدادِ
أفـديكمُ يـا آل بيـتِ المصْـطفى بحشَاشـــتي والأهـــلِ والأولادِ
في الناسِ أضْـحى حبكُم لي مـذهباً وســـواكمُ لا يرتضـــيهِ فـــؤادي
يا ابن الكـرامِ الغـرِّ يـا علـمَ الهـدى يا من يزيلُ صدَى الفؤادِ الصـادي
إني مـــدحتكَ لا لـــدنيا أبتغـــي بــل دعــوةً في حضْرــةِ الحــدادِ
لأفــوزَ في الــدنيا وفي العقْبـى بهـا وتزيــلَ عنــي ظلمــةَ الألحــادِ
أبقـــاكَ ربـــك رحمـــةً لعبـــاده مــا غــرَّد القمــريْ عــلى الأعــوادِ

وقد طلب الوجيهُ الشيخ العلامة عبدالرحمن صاحبُ النظم مني الإلباسَ والتلقينَ والإجازة في قراءة الكتبِ النافعة والأورادِ، وقبله أخوه محمدٌ قد طلبَ نظماً بقولِه :

* وامنَحُوني إجازةً في علُومِ *

الخ البيت، فكتبنا على حسبِ نيتهما، وقد نظم الشيخ محمدٌ الإسنادَ كما يأتي، بارك الله في الجميعِ، فلما طلبَ العلامتان الإلباسَ وإسنادَ الخرقة، ألبسْتهما وكتبتُ لهما ما صورته:

* * *

[إجازة المؤلف لبعض مريديه]

بسم الله الرحمن الرحيم

«وبعد؛ لما كان سلخَ شهر عاشُور، سنةَ ١٢١٢، وصلتْ إلينَا أبياتٌ ظريفاتٌ بديعاتٌ، مدحاً في من أصلُه الطينُ ومرجعه إليه:

لــــولا عنايـــةُ ربـــه　　　لكـــان بطّـــالاً جهُـــولْ
الله حسْـــــبي وكفَـــى　　　قلْ ما تشَاءْ يا ذا الفضُولْ

الخ أبياتِ الجدِّ الأعلى، في قصيدة له في «ديوانه» المشهور. ولما وصلتْ من الشيخِ الأديب العلامة محمد بن أحمد بن العلامة عبدالرحمن بن العلامة القاضي عبداللطيف، قرأناها وطرَحْناها في بحرِ النبيِّ محمد ﷺ والمدْحُ في الغصنِ ينسحِبُ على الشجرة، ولكل امرئٍ ما نوى.

وكذلك وصلتْ إلينا في يوم ثامن من شهْر ظفر الخيرِ والبركة، من السنة المذكورة، هذه الأبيات التي في هذه الورقة، مدحٌ لنا من المحبِّ لنا، الصفيِّ الوفي العلامَة الوجيه، عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن عبداللطيف المتقدم ذكرُه، فقرأنا الأبياتِ المذكورة، وطرحناها على النبي محمد ﷺ كذلكَ، والفقير معترفٌ بالإفلاسِ عما ذكرَه الأستاذان محمد وعبدالرحمن، في تلك الأبياتِ الواصلة إلينا أولاً، وفي هذه الأبيات الواصلة إلينا ثانيا من الأوصافِ.

ولما طلب محمدٌ في آخرِ بيته منَّا الإجازةَ في ما أشار إليه من العلومِ النافعةِ، والاستفادة والإفادة ونفعِ الطالبينَ، بقوله:

وامنحُـــوني إجـــازةً في علـــومٍ　　　مـــعَ مـــا للحبيـــبِ مـــن أورادِ

أجزناهُ في جميعِ العلوم الواصلة إلينا من أسْلافنا الطاهرينَ، الذين جمعوا

الشريعة والطريقةَ، وكانوا رُوحَ العالم كله.

هم الحاملونَ السرَّ بعد نبيِّهم   ووِرَّاثُه أكـرِمْ بهـم مـن وراثَـةِ

فمنهُم وعنهم تؤخذُ أسرار الدينِ، لجمعهم للتحقيق والتدقيق، والتقرير والمجاهدة العظيمة، والاتصاف بمقام البقاءِ، وجمع الجمعِ، على غاية الكمالِ، فصَاروا قدوةً للأنام، وعمدة للإسلام.

وقد حكيَ عن الإمام سفيان الثوريِّ أنه قال: «من اجتمعت فيه صفتانِ من هذه الأوصَاف لم يفضُله أحدٌ من أهل زمانه، وهي الشريفُ السنيُّ، والفقيه الصوفي، والعالم الزاهد، والغني المتواضع، والفقير الشاكر». بل قال العلماءُ الأكابر من أهل (مكّة): إنهم أفضلُ أهل البيت النبويِّ، لما اجتمع فيهم من العلم والعملِ، والتقى والزهدِ، والورع والنفع المتعدّي، كابراً عن كابرٍ في كل زمنٍ، فهم أفضلُ مَن على وجه الأرض، أنجمُ الهدى، وباب حطَّة، وسفينةُ النجاةِ.

منهم من يقولُ: أنا من نورِ وجهه تعالى، ومنهم من يعرِفُ السعيدَ من الشقيِّ وهو في حال الطفولة، ويقولُ للشيءِ كن فيكونُ بإذن الله عز وجلِّ، ومنهم من تكلّموا وهم في ظهور آبائهم، ومنهم من يتوضّأ من حوضِ الكوثر، ومنهم من يطوفُ قصورَ الجنة فيعطيهم رجْلَه فيرْوَحون فيها من زعفرانِ الجنة، ويقول مع ذلكَ: أخاف أن يكون استدراجاً، وقيل له: مات فقيرُكَ، فأطرق، وقال: ما ماتَ، طفتُ الجنةَ كلها ولم أر فقيري فيها، وفقيري ما يدخلُ النارَ، ثم أتى فقيره من سفرهِ، ويقولُ: أنا شيخٌ له. ومنهم من يقولُ: أحمي موسَّمتي ولو بالصينِ، وسفهاءُ (تريم) حشو الجنة، ويعد أصابع يديه: هذه الرمحُ، وهذه سكينٌ، وهذه دبوسٌ، ثم يعدد أصابعه كلها، ويشير إلى كلٍّ بصفةٍ من أوصافِ سلاحٍ من سيفٍ وغيره.

ومنهم من يقولُ: قعدتُ في هذه الغرفةِ آكل الحلوى مع جدي رسول الله ﷺ،

وقدَمي على رأسِ كلِّ ولي، وأذن لي في تحكيمِ سبُعِ أهلِ الدنيا، ووالدُه لما ماتَ وأقام بين يدي الله عز وجلّ، أمر الملائكة الكرامَ أن يذهبوا به حيثُ شاء، فقال لهم: إلى النار فدخلها، فأخرج منها من قدَّر الله دخوله فيها من أهل (تريم).

ومنهم من يقولُ: الدنيا كقصعةٍ بين يديّ، ولولا الحياء من جدي لنَارُ الجحيم أطفيها، ومنهم من يقولُ: أشفع من قافٍ إلى قاف، ومنهم من يقولُ: نظري وناظر ناظري إلى الثالثِ في الجنة، وأنا كالشمْسِ للناسِ، من قلدَ بابه لابدّ وأن يدخُل إليه من خلالِ الأبواب، ومن عرفناه ما سيّبناه، ولا نسمحُ به للعارِ ولا للنارِ، وأحضر عند منكر ونكيرٍ أدفعُهما عن المتعلقين بي، وإذا أشكل عليَّ الحديثُ أصحيحٌ أم لا؟ أخذته عن النبي ﷺ بلا واسطةٍ، وأعطيتُ حالاً من الفرش إلى العرشِ، وأتصرف في الحال كلها، وأنزل للناس على حسبهم.

ذكر ذلك وكثيراً من أقوالهم والدُنا في كتابِهِ «الفوائد السنية في فضل السادة العلوية وما خصت به جهتُهم الحضرمية»، والوليّ ما ينطقُ إلا عن إذنٍ رباني.

قال القطبُ عبدالله الحداد نفع الله به: «طريقتنا ليس يحتاجُ فيها إلى شرحٍ، وهي من حيث الإجمالُ: العملُ بالكتابِ والسنةِ، والاقتداء بالسلف الصالحِ لا غير»، ولهذا الإجمال تفصيلٌ يطولُ ذكره.

وكان نفع الله به يقول: «إن طريقة السادة آل أبي علوي أقومُ الطرقِ وأعدَلها، فسيرتهم أحسَن السير وأمثلها، وأنهم على الطريقَة المثلى، والمهْيع الأفيح، والمشرع الأوضح، والسبيل الأسلم الأصلح، ولا ينبغي لخلفهم أن ينتهِجُوا بغير المنهجِ الذي درج عليه أسلافُهم، ولا أن يميلوا عن طريقتهم وسيرهم باتباع غيره، والانجرار بجره، وإلقاء القيادِ لكلّ من يدعي التسليكَ والتحكيمَ، ممن يخالف ظاهرُه سيرةَ آل أبي علوي رضي الله عنهم وطريقهم، لأنها التي يشهدُ لها الكتابُ والسنة الكريمَة، والآثار

المرضية، وسيرة السلف الكمل، تلقوا ذلك سلفاً عن خلفٍ، وأباً عن جدٍّ إلى النبيّ ﷺ، وهم في ذلك متفاوتونَ، فمن فاضلٍ وأفضلَ، وكاملٍ وأكمل، وما من طريقٍ إلا قد غيّروا وبدّلوا هديَ سلفهم ما عدا آل أبي علوي رضي الله عنهم، ولا يبعد أن تكون لآل أبي علوي مزيةٌ في الدارِ الآخرة ليستْ لغيرهم»، انتهى. وفي ما هو مشروحٌ في مناقبِ سادتنا آل أبي علوي كفايةٌ، فليطلبْ من أراد ذلك من مظَانّه.

وقد **أجزناكَ** في طلبِ العلوم النافعةِ، فأفد واستفد، والله يتولى هداكَ، **وأجزْناك** في ترتيبِ قراءة الأورادِ النافعة من أوراد القطبِ عبدالله الحداد وغيره من مشايخ سادتنا آل أبي علوي نفع الله بهم، وقراءة كتبهم، والسَّير بهديهم وعلى سنتهم، وأن ترشِدَ من أراد سُلوكَ طريقهم والاقتداءَ بهم وتجيزَه إذا كان أهلاً لذلكَ، والسّرُّ في الإقبالِ على الله بكنه الهمةِ وصدْقِ العزْمة، عن الدنيا وأهلها بالقلبِ[1]، وبذل الندَى، وكف الأذى، والله يتولانا وإياكَ بولايته الخاصّة، مع اللطف والعافية، آمينَ.

* * *

وقد أخذتُ في الطريقِ عن جدي قطب الزمن الحسن، وعن والدي القطب أحمد، وهما عن سيدنا القطب الغوث عبدالله الحداد، على ما يأتي من إسناد الطريقة نظماً للسيد العلامة شَيخ بن محمد بن حسن بن علوي الجفريّ، وقد شرح نظمَه بكتابٍ سماه «كنز البراهين»، وقد أخذنا عن كلّ من لقيناهُ من السادة بحضرموتَ، واليمن، والشام، ومن لقيناه بعمان، وقد عدّدْنا من أخذنا عنه من المشايخ في نبذةٍ سمّيناها «غِذَاء القلب والفؤادِ».

والطرقُ بين الحبيب عبدالله الحداد وبين المشايخِ متعددةٌ جدا، وبلغت إليه هذه الطريقِ المنسوبة للمشايخ الكبار، والمشهورة في الأقطار، **كالعلوية**: المنسوبة إلى الأستاذ

---

(١) كذا في النسختين، ولعل في العبارة نقصا.

الأعظَم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي مقدَّم تربة (تريم) نفع الله به، **والمدْيَنية**: المنسوبة إلى الشيخ أبي مَدْين، **والعمودية**: المنسوبة إلى الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، **والعبادية**: المنسوبة إلى الشيخ عبدالله باعباد، **والقادرية**: المنسوبة إلى سيدنا عبدالقادر الجيلاني الحسني، **والرفاعية**: المنسوبة إلى سيدنا أحمد الرفاعي الموسوي الحسيني، **والشاذلية**: المنسوبة إلى سيدنا أبي الحسن الشاذلي الحسني، **والسهروردية**: المنسوبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردي، **والكازونية** المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم بن شهربان الكازروني، **والبدوية**: المنسوبة إلى سيدنا أحمد البدوي، **والأويسية**: المنسوبة إلى أويس القرني الذي بشر به النبي ﷺ، **والخضروية**: المنسوبة إلى الخضِر ﵇ كما قيلَ بنبوته أو ولايته، وببقائه إلى الآن عند كثيرينَ، **والقشيرية**: المنسوبة إلى الإمام عبدالكريم بن هوازِن صاحب «الرسالة»، **والفردوسية الكبروية**: المنسوبة إلى الشيخ نجم الدين الكُبَرى، **والشطَّارية**: المنسوبة إلى الشيخ عبدالله الشطاري، **والجشْتية**: المنسوبة إلى الشيخ أبي إسحاق الجشْتي، **والطيفورية**: المنسوبة إلى الشيخ طيفور الشامي، **والهمدانية**: المنسوبة إلى الشيخ علي الهمداني، **والنقشبندية**: المنسوبة إلى الشيخ بهاء الدين نقشْبَند البخاري، **والخلوتية**: المنسوبة إلى إبراهيم الخلوتي، **والعادلية**: المنسوبة إلى الشيخ بدر الدين العادلي، **والغوثية**: المنسوبة إلى الشيخ الغَوثِ، **والدسوقية**: المنسوبة إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي الموسوي الحسيني.

فهذه نيفٌ وعشرون طريقةً، وله غيرها طرقٌ كثيرةٌ بالإسنادِ، وله طرقٌ من جهة الكشفِ والرؤية والبيانِ، ما هو مصرَّحٌ به في كتاب «غاية القصد والمراد في مناقب القطب عبدالله الحداد». وليست الطرقُ إلى الله منحصِرةً في تلك الطرائقِ، بل الطرق إلى الله على عَدد أنفاسِ الخلائق، فكم فتحَ الله على عبدٍ في ذكْر، وكم قرَّبه في تذكرةٍ وفكر، أو توبةٍ وشكر، وكم جذبه إليه فأغنته عن المسالكِ في كل أمرٍ، فحقُّ العبدِ أن لا يزال معرضاً عن غير الله، متعرضا في كل حينٍ لنفحَاتِ الله.

ومن صح اجتهادُه، وتحقق على الحق اعتمادُه، فقد نجحَ مرادُه، ووضح رشادُه، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فليوزّعْ أوقاتَه، ويضبط أنفاسَه، ويعمُر العمْرَ بالطاعات والعلوم، فيكون الفقْهُ في الدينِ همَّه، وعلومَ القرآن والسنة ديدَنه ورَسْمه، والتصرّفَ بسرِّه في سرائره كتْمَه.

قال الحبيبُ عبدالله الحداد في كتابه «رسالة المعاونة»: «وللذكر ثمراتٌ ونتائجُ يجدها من واظبَ عليه بوصْفِ الأدبِ والحضُور، أقلها أن يجدَ فيه من الحلاوةِ واللذّة ما يستحقرُ في جنبه كلَّ ما يعرفه من اللذاتِ الدنيوية، **وأعلاها**: أن يفنَى بالمذكور عن الذكرِ، وعما سواه، ومن قعد وهو على طهارةٍ في خلْوةٍ مستقبلَ القبلةِ، ساكن الأطرافِ، مطرق الرأسِ، ثم ذكر الله بقلبٍ حاضرٍ، وأدبٍ وافرٍ، رأى في قلبه للذّكر أثراً ظاهراً، فإن داومَ على ذلك أشرقتْ عليه أنوارُ القرْبِ، وانكشفَتْ له أسرارُ الغيبِ»، انتهى.

وقال نفع الله به في كتابه «رسالة المريد»: «ومن سرَّه أن يذوقَ شيئاً من أسرار الطريقة، ويكاشف بأنوار الحقيقة، فليعكُفْ على الذكر لله بقلبٍ حاضرٍ، وأدب وافرٍ، وإقبال صادقٍ، وتوجهٍ خارقٍ، فما اجتمعتْ هذه المعاني في شخصٍ إلا كوشِفَ بالملكوت الأعلى، وطالعت روحُه حقائقَ العالم الأصْفى، وشاهدتْ عينُ سرِّه الجمالَ الأقدس»، انتهى. وقد قال سيدنا العارفُ بالله تلميذ الحبيبِ الحداد، السيد أحمد بن زين الحبشي: «من قرأ راتبَ سيدنا عبدالله الحداد في الليلِ في خلوةٍ في مكانٍ طاهرٍ، وهو على طهارةٍ، حاضرَ القلبِ، وبلّغَ الجلالةَ ألفاً، وواظبَ على ذلك، لابدَّ وأن يظهَر عليه قريباً من الأنوارِ والفتوحِ، ويكاشف بعجائبِ الملك والملكوتِ، وقد جرَّبُوا ذلك وظهَر لهم وعليهم من الأنوار والفتوح».

* * *

فواظب أيها ...[١]، فقد أجزناكَ أنت وأخاكَ العلامة عبدالرحمن، في جميع ما تقدم، وأجزنا لكلٍّ منكما أن يجيزَ من أرادَ على مثلِ ما تقدم، لأنكما فرسَا رِهانٍ، وانشُرا العلمَ وإن لم يسألوكما، فإن لسانَ الحالِ من الجهَّالِ ألزمُ الادّعاء. وأما طريقُ القومِ فلها أهلٌ، ولا تبيعوا السمكَ في سوق البصلِ، فإني رأيتُ أقواماً يتساهلونَ، فاتخذ الجهالُ بسبب تساهلهم بطريقةِ الأكابر هزُواً، لأن الأمانةَ تعطى الأمناءَ، والله أعلمُ حيثُ يجعل رسالته، والنبي ﷺ لما أعطى سيدنا عليًّا طريقَ الذكر والصحابةَ الحاضرينَ في خلوةٍ، كما في الحديثِ، سألهم النبي ﷺ: «**هل عندكُم أحدٌ من الكتّابِ؟**».

* * *

وهذا نظمُ الإسنادِ مني عن الجدِّ الحسن شيخي، قال السيدُ شيخ بعدَ أربعة عشر بيتاً جزاه الله خيراً، وأطال بقاه:

ألبسني شيخي على الوجْه الحسَنْ	هو ابنُ عبدالله مولانا الحسَنْ
وهو كَما ألبسَه السّامي الذرَى	والدُه وشيخُه بلا مِرا
عبدُالله المشْهور بالحدادِ	من خصّ بالإسعاد والإمدادِ
وهو الذي قد فازَ بالإلباسِ	ممن دُعي بعُمرَ العطاسِ
ومن نزيلِ مكةَ محمدِ	من شُهر في الناسِ بالكفّ النَدِي
وها هما قد لبسا من غير مين	من ابن أبي بكر بن سالم الحسين
وهو عن الفَخر عظيم الشانِ	عُمر هو المدعُو بباشَيبان
وهو لبسَ من وجيهِ الدينِ	من عرفَ بالزهدِ واليقين
وهو لبس من أبٍ له ولي	يشهَرُ بين الناسِ بالشيخِ عَلي
وهو لبس من أخيهِ وأبيهْ	وعمّه المحضَار فافهَمْ يا نبيهْ

---

(١) كذا في الأصول.

وعمُّه ثم أبوه قل هما ... قد لبسَا بالصدقِ من أبيهما

من يعرفُ بالسيدِ السقاف ... أعني الذي قد حلّ بالأحْقافِ

وهو لبسَ من أبيه قدْوتي ... محمدِ المعروفِ بالدويلة

وهو لبسَ من أب له عليّ ... وعمّه العفيفِ أي باعلوي

وها همَا قد لبسَا كلاهُما ... من المسمّى علويّ أبيهما

وهو لبسَ من أبيه الأعظَمِ ... فقيهِنا المعروفِ بالمقدَّم

وهو الذي والدُه أعني علي ... ألبسَه وعمّه العلوي

وها هما قد لبِسَا قلْ من أبِ ... وهكذا متصلٌ إلى النبي

قلتُ: وأيضاً قد لبسْ سيدُنا ... أعني الفقيهَ، شيخُنا قدْوتنا

من أبي مدين شعيبَ المغربي ... من فاز من ربِّ العلا بالأرَبِ

على يدي من يعرفُ بالمقْعَد ... عبدِالرسول قل هنا بالسّند

وألبسَ شعيبُ من أبي ... يعرفُ يا هَذا بابنِ العربي

وهو الذي ألبسَه الغزالي ... من شاعَ بالإحياءِ في الأعمال

وهو لبسَ من إمامِ الحرمين ... كما لبسَ من محمّدِ الجويني

وهو لبس من أبي طالب مَن ... يعرَفُ المكي بسرٍّ وعلَن

وهو عن الشبلي أبي بكر الذِي ... هو بكاسِ الحب صدقاً قد غُذي

وهو عن السريّ أعني السّقَطي ... وهو من المعروفِ معروفِ عطي

وهو عن الطائي داودَ لبِسْ ... وهو من العجميّ حبيب من حُرِسْ

وهو عن البصريّ من يدعى الحسَنْ ... وهو لبس من عليّ أبي الحسَن

وهو الذي قد خصَّ باليقينِ ... بما هُو الإلباس والتلقين

من النبيّ كما أتَى به الأمينْ ... من دون كيفٍ من إله العالمينْ

كما روَوه هكذا أهلُ الحديثْ قالَ بهذا كم قديمٍ وحَديث
تمت بعَون الله الوهّابِ بدون تطويلٍ ولا إطنابِ
والختمُ بالمبدأ يكون أحْرَى الله جهراً أحمدُه وسِرًّا

* * *

وأما ذكر السندِ على سبيلِ الاختصارِ مفصَّلاً، فنقُولُ:

لبسنا وأخذنا الطريقةَ، وصافحْنا وشبكنا وتلقينا الذكْرَ، عن الوالد قطب وقته أحمد، وعن جدنا قطبِ الزمن الإمام الحسن، وهو من والده صاحبِ الصديقية الكبرَى حداد القلوبِ، وهو عن السيد الإمام عمر بن عبدالرحمن العطاسِ، وأخذ عن السيد الإمام محمد بن علوي السقافِ نزيل (مكة)، وهما أخذا عن السيد الإمام الحسين ابن الإمام أبي بكر بن سالم، وهو عن والده فَخْر الوجود أبي بكر بن سالم، وهو عن السيد العارف عمر بن عبد الله باشيبان باعلوي، وهو عن السيد الكمال عبدالرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران باعلوي، وهو عن والده القطب علي.

نعم؛ وقد أخذ السيد محمد بن علوي أيضاً عن الشيخِ عبدالله صاحب (الوَهْط)، وهو عن السيدِ الأكمل شيخِ بن عبدالله، صاحب مدينة (أحمدأباد)، وهو صاحبُ «العقد النبوي»، وهو عن السيدِ العارف عمر بن عبدالله العيدروس صاحب (عدن)، وهو عن والده السيد عبدالله، وهو عن والده السيد علوي، وهو عن أخيه الشيخ الكبير[1] أبي بكر السكران، وعمهما الشيخ عُمر المحضار، وهما عن والدهما الإمام عبدالرحمن السقاف، وهو عن والده محمد مولى الدويلة، وهو عن والده الولي

(١) يوجد هنا سقط من الإسناد في النسختين، وقد تقدم ذكر السند صحيحاً في مناقب القطب الحسن، فالسيد علوي يروي عن أخيه العيدروس العدني، وهو عن عمه الشيخ علي السكران، وهو عن أخيه العيدروس الأكبر سلطان الملأ، وهو عن أبيه أبي بكر السكران، والله أعلم.

الشيخ علي، وعمه الأستاذ الأكبر عبدالله باعلوي، وهما عن والدهما الشيخ علوي بن الفقيه المقدّم، وهو عن والده القطبِ الرباني الفقيه المقدّم محمد بن علي، وهو عن والده علي خالع (قسَم)، وهو عن والده الإمام علوي، وهو عن والده الإمام محمد، وهو عن والده الإمام علوي، وهو عن والده الإمام عبيدالله، وهو عن الإمام أحمد، وهو عن والده الإمام عيسى، وهو عن والده الإمام محمد، وهو عن والده الإمام علي العريضي، وهو عن والده الإمام جعفر الصادق، وهو عن والده الإمام محمد الباقر، وهو عن والده زين العابدين، وهو عن والده الإمام السبط الحسين، وعمه الإمام الحسن، وهما عن أبيهما أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وأمهما الزهراءِ، وجدّهما المصْطفَى ﷺ وهو صلواتُ الله عليه عن جبريلَ، عن الله ربّ العالمينَ، تقدس وتعالى.

* * *

نعم؛ وثمَّ طريقٌ آخر لسيدِنا المقدم محمد بن علي، أخذ رضي الله عنه عن الشيخ شعيبٍ أبي مدينَ بالواسِطة، وهو عن أبي يعِزّى، وهو عن ابن حرَازم، وهو عن أبي بكر العربي، وهو عن الغزالي، وهو عن إمام الحرمينِ عبدالملك، وهو عن والده محمد الجويني، وهو عن أبي طالبٍ المكي، محمد بن عطيةَ، صاحب «قوت القلوب»، وهو عن أبي بكر الشبلي، وهو عن الجنيدِ بن محمدٍ، وهو عن السريّ السقطي، وهو عن معروف الكرخي، وهو عن داود الطائي، وهو عن حبيبٍ العجميّ، وهو عن حسن البصري، وهو عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو عن النبي ﷺ، وهو عن جبريلَ، وهو عن الله تبارك وتعالى، انتهى الإسنادُ المباركُ مع الاختصَار والإيجازِ.

والسرُّ في صلاحِ النيةِ، وحسن الطويةِ، والاقتداء بالسلف الصالحِ، والسير على منوالهم، والتشبه بهم ما أمكنَ، مع سماحة النفْسِ، وحسن الخلقِ، وصدق التواضع،

وسلامة الصدر لجميع المسلمينَ، والله يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلمَ»، انتهى.

بقلم العبدِ، علوي بن أحمد بن حسن بن عبدالله الحداد
شهر سلخ محرم عاشور سنة ١٢١٢
من هجرته عليه وعلى آله وصحبه منّا أفضل الصلاة والسلام

وآخرُ دعوانَا أن الحمد لله رب العالمين سبحانه».

* * *

ولما وصل إليهما هذه الكُرّاسةُ بخطنا، كتبها الشيخ محمدُ، ونظم الإسنادَ كله فقالَ:

«يقولُ العبد الفقيرُ، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبداللطيف كاتبُ هذه النبذةِ الشريفة: هذه آخر ما كتبَه سيدي وسنَدي وشيخي السيدُ علوي المذكور، فسح الله في أجله في عافيةٍ، من الإجازة للفقير، من خطّه الشريف نقلتُ.

وفرغت من نقلها هنا ضحَى يوم السبت في ٢ ظفَر الخير، من السنة المذكورة، فالله يجزيه عني وعن المسلمين أحسنَ الجزاءِ، ويمدَّني بإمداده وإسعَاده وإنجاده، هو وكافة آبائه السادة الكرام وأجداده، ويمتعني بحياته في خيرٍ، ويدفع عين وعن المسلمين ببركتهم أجمعين كل محنة وفتنةٍ وضيرٍ آمينَ.

* * *

ثم في اليوم السادس من الشهْر المذكورِ، نظمتُ له، أطال الله له البقَاء، وأدام له الاعتلاء والارتقاءَ، تقرباً لجنابه، نثراً هذا الإسناد الذي كتبه في هذه «النبذة» التي نقلتها من خطه، فلله الحمدُ، من قبلُ ومن بعد، وشرعتُ في نظمه من بحْر الرجَز،

اقتداءً وتبعا لسيدِنا شيخ بن محمد الجفريّ باعلوي، متع الله بوجُوده في خيرٍ وعافيةٍ، فإنه نظم الإسنادَ من بحر الرّجَز أيضاً، كما هو مثبتٌ في هذه الإجازَة المنقولةِ من خط سيدي علوي المذكور. وقلتُ مستعينا بالله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله رب العالمينَ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم:

الحمدُلله العليِّ الفَاتحِ … المانح التوفيقَ للمَصالحِ

من حفَّ من أرادَ بالعنايَة … وخصّه باللطفِ والهدايَة

أحمدُه حمداً كثيراً طيبَا … مباركاً فيه على ما وهبَا

ثم الصلاة والسلام السّامي … لمظهَر الإيمانِ والإسْلامِ

قطبِ رحَى العالم مظهَرِ الهدى … ومعدنِ الأسرار خيرِ من هَدى

محمدِ الهادي إلى الرشَاد … ومهْيَع الصلاح لا الفسادِ

وآله سفينةِ النجَاة … وصَحبة الأئمةِ الثقاة

ما انتظم الإسنادُ باتّصالِ … في سلْكِه المخْجلِ للآلِ

وبعدُ؛ قد ألبَسني المولى الأجلّ … قدوةُ كلّ عارفٍ بالله جَلّ

جوهرةُ البيتِ الشريف النبويّ … السيدُ الشريف شيخي علَويّ

وهو حوَى الإلباسَ من والدِه … قطبِ الأنام أحمدٍ وجدِّه

ذي الخلُق المرضيِّ والوصْف … قطبِ الورَى غوث البرية الحسَنْ

وهو من السرّ المطلسَم الذي … لنهْجِه كلَّ ولي يحتذي

صاحبِ الصّديقية الكبرَى ومَن … شاع اسمُه في كل عصْرٍ وزمنْ

الكاملِ الحجة قطبِ العَالم … وغوثِ كلّ منتمٍ لآدمِ

والدِه الحدادِ عالي الجَاه … سيدِنا الحبيبِ عبدالله

وهو مِنَ السامي على الأجناسِ حاوي المزايا عُمر العطّاسِ
باعلوي ومن نزيلِ مكّة السيد الكاملِ عالي الهمّة
من ليسَ بالإمدادِ بالوقّاف محمدِ بن علويّ السقافِ
وألبسَ السقافَ حاوي الشّرفينْ السيدُ العارفُ بالله الحسينْ
ابن أبي بكرِ بن سالمٍ وذا من أبِه المذكور طيّبِ الشذا
وهو من العلامَة الرباني أي عُمر المكْنَى ببَا شَيبان
وهو من الكاملِ عالي الشّانِ شيخ الشيوخِ عابدِ الرحمنِ
ابن علي بن أبي بكرِ الذي لقبَ بالسّكْرانِ ذي العرْف الشذي
وعابدُ الرحمن من أبيهِ عليٌّ القطبِ بلا تمويهِ
نعم؛ وقد لبس ذو النهجِ السوي محمدُ ابن ذي المزايَا علوي
أيضاً من العَارف بالإله ذي المددِ الناجز عبدِالله
صاحب (وَهْطٍ) وهو من شيخ الورَى شيخِ بن عبدالله شامخ الذرَى
من شرُفتْ به ونالتِ المراد مدينةٌ قد سميتْ (أحمدْأبَاد)
وهو منَ العارف بالله عُمَر نخبة عبدالله من قد اشتهر
بالعيدروسِ وهو من أبيه مولاي عبدالله ذي التنزيه
وهو حوَى الإلباسَ من أبيه علويّ العارفِ وهو من أخيه
الشيخِ كاملِ الكرامَاتِ أبي بكر بن عبدالله سامي الرتَبِ
العيدرُوسِ من تشرفَت (عدَن) بوطئِه وكونه فيه سكَنْ
وهو من الأستاذِ عبدالله والده العَارف بالإله
وعمّه الشيخ عليٍّ وهما قد لبسَا الخرْقةَ من أبيهما
أعني أبَا بكر عظيمِ الشانِ الكاملِ المعروف بالسكرانِ

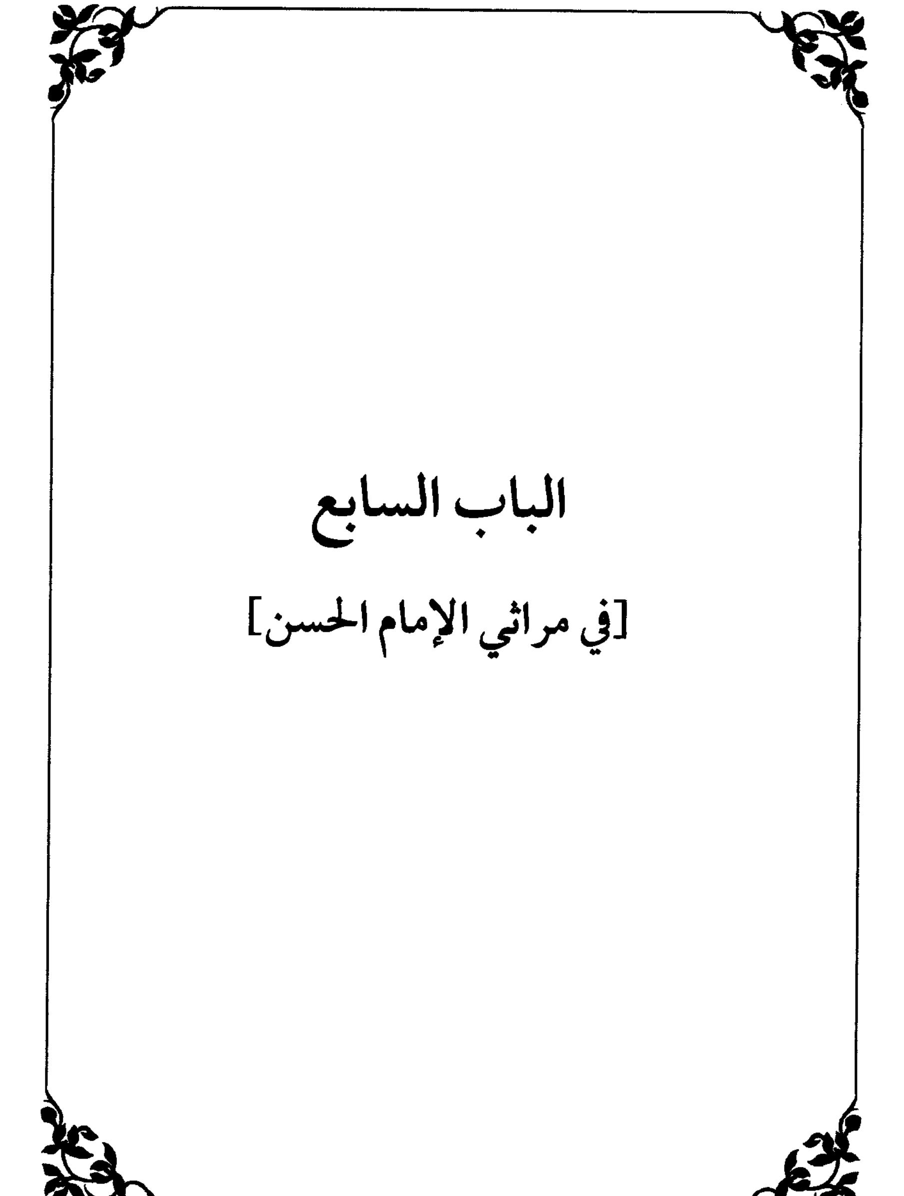
كـذلك مـن عمهـا الشيخ عُمـر		مـن كـان بالمحضَـار فينـا مشْـتهر
وذانِ مـن أبـيهما السّقافِ		مـن فضـلُه كالشـمسِ غـير خـافي
أعنـي الإمـام عابـدَ الـرحمنِ		ذا الكشْـف والأحـوالِ والعرفـانِ
وهـو مـن الشـيخِ محمـد أبيـهْ		مـولى الدويلـة الممكّـنِ النبيـهْ
وهـو مـن الشـيخِ الـولي الكامـلِ		والـده الكبـير ذي الفخْـر العَـلي
وعمّه الأكمـل ذي الـورْد الـرّوي		الشـيخ عبـدالله أي بـاعلوي
وذانِ مـن أبـيهما المـذكُورِ		وهـو مـن العلامـةِ المشْـهور
والـدِه القطـب الغيـاثِ مـن سَـما		أعنـي بـه فقيهَنـا المقـدَّما
محمـد بـن عـلي وهـو مِـنْ		والـدِه الشـيخ عـلي يـا فطِـنْ
وعمّـه علـوي الهـمامِ		وذانِ مـن أبـيهما الإمَـام
محمـد بـن عـلي سـاكنِ		(مرْبـاط) وهـو مـن أبيـه المـتْقنِ
عليٍّ السامي الذرَى خـالعْ (قسَمْ)		ومـن أبيـه علـويٍّ اتسَـمْ
بـاللبسِ حقًّـا وهـو مـن محمـدِ		أبيـه وهـو مـن أبيـه المهتـدِي
علـوي الإمـام وهـو مـن أبيـهْ		الشـيخِ عبـدالله ذي القـدر النزيـه
وهـو مـن الشـيخ الأجـلّ أحمـدَا		أبيـه وهـو مـن أبيـه المقتـدى
عيسَـى وذا مـن أبـه محمّـد		قـد أحـرزَ اللـبْسَ بـلا تـردد
وهـو مـن الإمَـام جـمّ الفَـيضِ		والدِه المسْمَى علي العُرَيضي
ثـم العريضـيّ عـن أبيـه جعْفَـرِ		الصـادقِ المشـهور ذي القـدر السـري
وهـو عـن الإمـام زيـنِ العابـدينْ		والـدِه عـليٍّ النُـور المبـينْ
وهو من السبطِ الحسينِ ذي السَّنن		والـدِه وعمِّـه السـبط الحسَـنْ
والحسـنانِ مـن أبـيهما عَـلي		وفَـاطمٍ ذاتِ المقـام المعـتلي

ثــم عــليٌ مــعَ خــيرة النّســاءْ فاطمــةٍ مــن كــفّ طــه لبِسَــا
وهو من المعصُـوم جبريـلَ الأمـينْ وهــو مِــن الله إلــهِ العــالمينْ
نعــم؛ وهَــا هُنــا طريــقٌ آخَــرُ أقرَبُ في الإسناد بل وأخْصَرُ
للســـيدِ المعتَقَـــدِ المعظّـــم ســامي الــذرى فقيهنــا المقــدَّم
محمـــد بـــن عـــلي نفعَـــا بســـرّه الله الأنَـــامَ أجمعَـــا
فمـــن أبي مـــدْينهم شُـــعيبْ قــد كــان لابســاً مــن غــير ريــبْ
ثــم أبــو مــدينَ مــن أبي يعِــزّ ومـــن أبي حـــرازمٍ لِـــذَا نجِــزْ
اللــبسَ وابــنُ العــربيّ العــالي ألــبسَ ذا وهْــو مــن الغــزالي
وهْــو مــن الشــيخِ إمــام الحــرَمينْ والشيخُ مــن والــدِه الحبر الجُــوَينْ
وهو من الحاوي العُلا السَّريِّ قــدراً ومــن أبي طالــبٍ المكــيِّ
وهــو مــن الســيدِ وذا مــن ســيدِ طائفَــةِ القَــوم الجنيــدِ الأمجــدِ
وذا من الحبْر السَّري السقَطي وهــو مــن الحــاوي لجــاهٍ أبسَــطِ
معرُوفنَــا الكرخــيِّ وهــو مــن يــدِ داودِ الطــائيِّ حــاوي السّــدَد
وهو من الشـيخ حبيـبِ العجَمـي وهــو مــن الحــبر الأجــلّ الأعظَــمِ
الحسنِ البصــريِّ ذي القــدْر العلي وهــو مِــنَ الإمــام مولانَــا عَــلي
وهــو مــن الهــدْي النبــيِّ الأقــدَسِ والهادي من جبريـلَ رُوحِ القــدُسِ
وهــو مــن الله المهــيمنِ الصــمَدْ وهــا هُنــا قــد انتهَــى نظــمُ الســندْ
نظمَــه لأجــلِ مولانــا الأجــلّ زاكي الخصَال والصفاتِ والعمَـلْ
درةِ عقْــدِ آل بيــتِ المصْــطفى أهــلِ المعــالي والصّــفاءِ والوفَــاءْ
السيدِ الكامـلِ ذي الـنهْج السـوي ســيدنا الشــريفِ شــيخي علــوي
مــن ينتهــي إلى الحبيــبِ الزاهــي حــــدادنا الحبيـــب عبـــدِالله

أمـــــدني الله بإمداداتِـــــه	ومتـــعَ القلـــب بإنجاداتـــهِ
ناظمُـــه الفقـــير ذو المـــآثمِ	أحـــوَجُ أهـــل الأرضِ للمـــراحمِ
محمـــدُ بـــن أحمـــدَ ابـــن الفـــاني	في ذي الجـــلال عابـــدالرحمن
ابـــن محمـــدِ الفتَـــى العفيـــف	ابـــن الأجـــلّ عابـــداللطيف
الأشـــعريُّ الشـــافعيُّ مـــذهباً	بلغَـــه الله تعـــالى المطْلبَـــا
والحمـــدُلله عـــلى الكـــمالِ	حمـــداً كثـــيراً دائـــمَ اتصَـــالِ
ثـــمّ صـــلاةُ الله والســـلامُ	لمـــن هـــو المبْـــدَأ والختَـــامُ

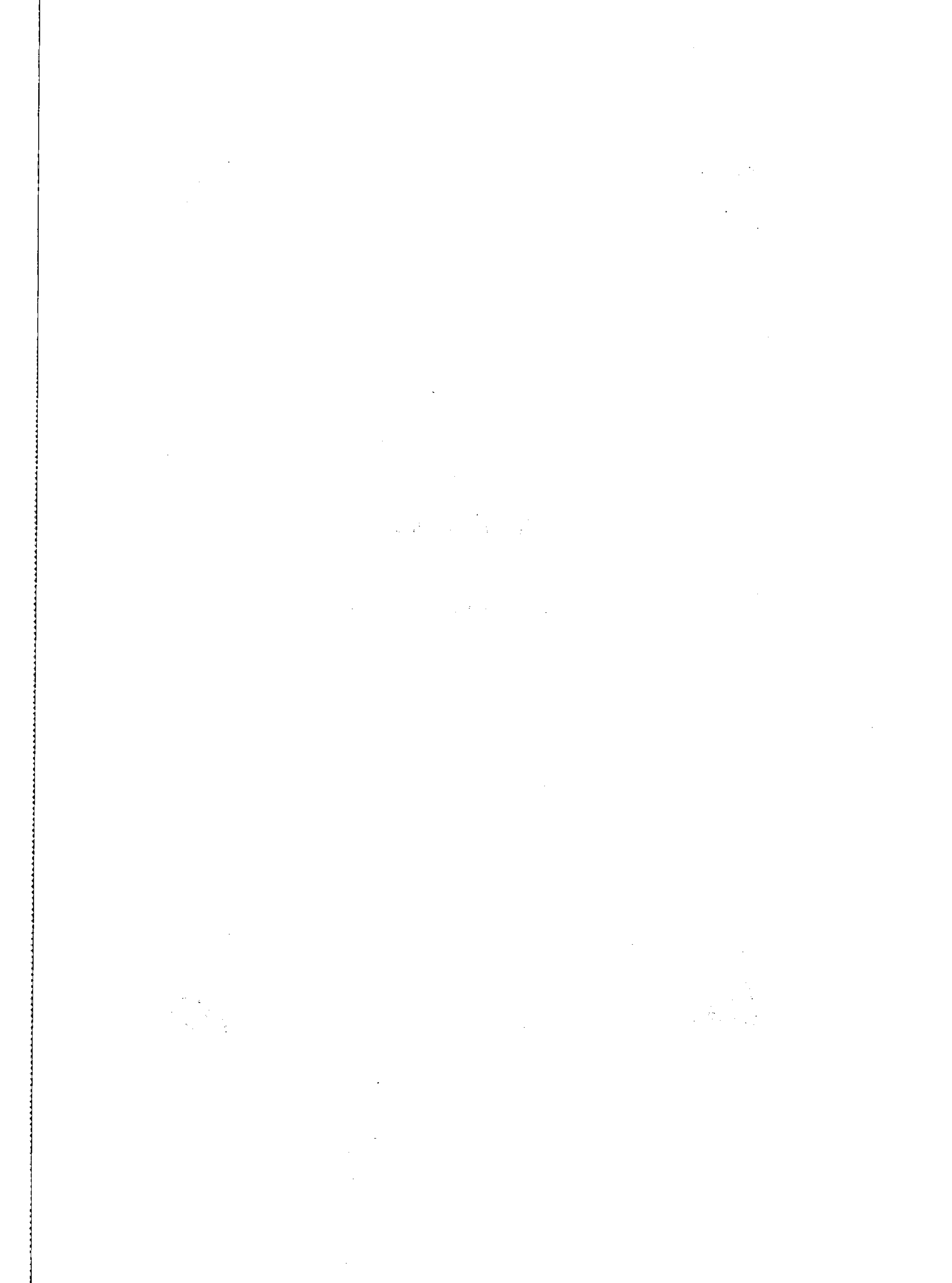
تمت بقلم ناظمها المذكورِ، سامحه الله، وذلك صبحَ يوم الأحدِ، في ١٢ ظفر سنة ١٢١٢، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

* * *



الباب السابع

[في مراثي الإمام الحسن]



الباب السابعُ

في ذكر المراثي في سيدنا

وهي كثيرةٌ، ولنقتصر منها على البعضِ، ولنبدأ بأولاهنّ بداءةً، وهي قصيدةٌ لسيدنا الوالدِ أحمد، وستأتي في «ديوانه» رضي الله عنهما ونفعنا بهما، وهي جامعة لمدْحهِ، وتاريخ ميلاده ووفاتِه ومدّة عمره:

هبــتْ نســيمُ الجــودِ في الأطــلالِ ... لطلــوعِ شـمْسِ العلـم والإفضَــالِ

وتعطّــر القطــرُ بمــيلادِ الــذي ... فــاقَ عــلى الأقــرانِ والأمثــالِ

ذاك الــذي جمــعَ المحاسِــن كلهــا ... ذاتــاً ووصــفاً بالمحــلّ العَــالي

حــاز الكــمالَ مــع الجــمالِ مـع البهـا ... صَـافي الســريرة كامــلِ الأحــوالِ

ورثَ المكـــارم كـــابراً عـــن كـــابرٍ ... أصـــلا وعَـــمَّا وكـــذا عـــن خَـــالِ

ذاك الحسنْ مجلي الحزَنْ قطبُ الـزَمنْ ... صــدرُ المحافــلِ حامــلُ الأثقــالِ

نجــلٌ لحــدادِ القلــوب المجتبَــى ... غوثِ الأنام مـن غـير مَـا إشـكالِ

لقبَــه والــــده الحكـــيم حبّـــذا ... مــا قــد حــوَى مــن الــلآل الغــالي

مــيلادُه فــاتحْ رجــبْ ذاك الأصَــبْ ... تســعٌ وتســعون وألــفٌ تَــالي

«وجلٌ غَنـي» تاريخُـه فاحسبْ تجـد ... مـــا قلتُـــه حقّـــا بـــلا إخـــلالِ

مغنـــي المريـــدينَ المصـــفّى تــبرُهم ... بحْــر العلــوم القـرْم في الأبطــالِ

الســيدُ الأواب قيــدوم السرَــى ... المرشــدُ المنجــي مــن الأوحــالِ

كم قد هدَى الله به من جاهلٍ — أو غافلٍ في غيّه متوالي
داعٍ إلى الله العظيم بفعْله — ومقاله الحالي معاً والحالِ
حَلاه بالخلق الكريم إلهه — ليس له من مبغضٍ أو قالِ
إلا حسودٌ منكر شمسَ الضحى — من غير ما غيمٍ ولا غربالِ
ينكر على أهلِ الله في أحوالهم — محرومُ من نفعٍ لهم ونوالِ
يا ربّ وفقنا الحبّ محبهم — مع حبهم واصْحابهم والآلِ
فالمرءُ معدودٌ مع من حبّه — وردَ الحديث به بلا إشكالِ
قد كان به (وادي ابن راشد) مزهراً — يزهو على الأقطارِ والأطلالِ
قد كان به حيّ الأحبة مخصباً — فدعي إلى التقريب والإجلالِ
قد كان به ربع المسرّة معجباً — فرحل وصار إلى الكريمِ الوالي
تبكِي عليه مساجدٌ ومعابِد — ومدارسٌ لمسائلٍ وسؤالِ
ليلة عشرين روحه روحه — فاضت بشهر الصوم للترحال
عام ثمانٍ مع ثمانينَ مائة — ألفٌ تمام دعَاه ربّ عالي
لجوارِه في حضرة القدْس التي — من نالها فهُو العظيمُ الحالِ
«ضيفٌ برَبّه نازلاً» أرختُه — لوفاتِه يا حبّذا من فالِ
والعمرُ تسعون سنيناً ما سوى — سبعةِ أشهر مع ثلاث ليالِ
عدّ اسمه «مَلِكٌ» وتخرجُ ما ذكِر — منْه وكن ناسجْ على منوالي
فالله يخلفه علينَا صالحاً — ويسدّد الأقوال والأفعال
ويعيننا ويعيذَنا من كل ما — نخشى ونحذر من عدو غالِ
يا قلبُ لا تجزع وكن صابرْ على — مرّ القضَاء فعاقبته حَالي
واقنع بميسُور المعاشِ ولا تطلْ — أملاً فكل الشؤمِ في الآمالِ

واعمل لنفسكَ صالحاً ما زلت في ... دار الفنا قبل انقضَا الآجالِ

واحرصْ على التقوى فهي ساسُ البنا ... وتحلّ بالعلم وبالإفْضالِ

وكلِ الأمورَ إلى الذي فطَر السما ... فهو القدير الواحد المتعالي

واحذرْ من الظلم ومن غشّ ومن ... كذبٍ وغدر كنْ سليمَ البالِ

واصفحْ عن الجاني وكن له راحماً ... ولكل مسلمْ لا تكن محتَالِ

واحذر من النفس فهي أعدَا العدى ... لا تأمننْها يا ضعيفَ الحالِ

تظهر لكَ الصدق وطيبةَ قصْدها ... فهي مع الشيطان في سربالِ

واغتنم الخير وكن سَمحاً ولا ... تبخلْ إذا كنتَ كثير المالِ

لا ينفعُ الإنسانَ ما خلفه ... للوارثِ الشاني من الأثقالِ

وما يقدّمه يجده حاضراً ... عند الإله ولو زِنةْ مثقالِ

يا ربّ وفقْنا لفعلٍ صالح ... مع نيةٍ خلصَاءْ من الأزْغالِ

مع حسْن خاتمةٍ ولطفٍ شامل ... في الدين والدنيا وكلّ أحوالي

ثم الصلاة مع السلام مضاعفاً ... على النبيّ وصحبه والآل

ما حنّ رعدٌ أو تهللَ بارقٌ ... أو مزنٌ سحّ بوابلٍ هطّالِ

أبياتها «حَم» فافهمْ رمزَها ... وادعُ لناظمها مع استعجالِ

وهذه لسيدي الأديب الأخ عبدالله بن الوالد أحمدَ، وهي:

سعدُ أسْعِدني على سُعدَى ومَي ... سعدُ أنَّى بدنوِّهما إليّ

إن لي عيناً إذا مَا نظرَتْ ... نحوَ نعْمانَ الذي فيه الظُبَيّ

تحترقْ أشفارُها مما حوَى ... من جوًى خالطَ بين أجنُبَيّ

وكذا القلبُ مهيمٌ فيهم ... لو رخَى القيدُ طويتُ القفْر طيّ

عرْفهم يحيي مواتي كيفَ لو ... حصلَ اللقيا بقرّة مقلتَي

ليس تخفَى الشمسُ عن ناظرها قدْرها يعرَفُ من وقتِ العُشيّ
حبّبتْ سكانَ نعْمانَ لنا لاختياري إن جارَ الحيِّ حَيّ
سقْ رويداً حاديَ الأضْعانِ إن ركبَ هذا العيسِ مقصدهم فُتيّ
كامل الشكر عزيزُ الوصلِ من هيبتِه يحصُلُ في المنطق عَيّ
يخجل البدْر سنا البرق ضياً وجهُه كالشمسِ في وقت الضّحَي
عنقُه إبريقُ فضة خالصٌ لم يخالطْه من الأضداد شَي
لم أكن أهلاً لنعتِ أوصافه غير أن الحبّ أطلق شَفتيّ
ولساني بالذي عرفتُه ما على العشاق عتباً يا أخيّ
حالي التقْصيرُ والتسويفُ في صالح الأعمال ربّ انظر إليّ
أنا آملْ من لطائفِ ستركَ الـ ـضافي المكنونِ تسبلهُ عليّ
متشفّع متوسلْ بالذي أشرقتْ أنواره في كل حَيّ
صاحبُ المجدِ المؤثلِ وارثٌ أب عن جدّ إلى خيرةْ قُصيّ
قرَشيٌ هاشميٌ كامِلٌ كهفُ للملهُوفِ والمضْنى وفي
نونُ عينِ أعيان الشانِ همُ رادعونَ الخلق عن ميلٍ وغيّ
حسُنتْ أوصَافه مثلَ اسمِه حسنٌ من صُنبرَةْ نخبَةْ لؤَيّ
نجلُ عبدالله سلطان الملا جامع الأسرارِ منشورٌ وطَيّ
ذاك حدادٌ مجلٍّ للصدَى بصقالِ العلم من غشٍّ وليّ
لقلوبٍ قد قسَتْ من رَينها وكذا كمْ شفَا بصراً عميّ
يا حبيبي يا حسَنْ يا ذخْرَنا أرْوني من كأسِكم إني ظُميّ
واصْفحُوا عني وجُودوا وأفيضُوا فيضَ رحمتكم عليّ
وانظروني نظرةً أحيى بها فلكم ميتٍ بكُمْ قد صار حيّ

قــد حــويتم سِرَّ آبــاءٍ لكــم | ومــن الخـير جمعــتُم كــل شيّ
وقصــارَى الأمــرِ أنــك واحــدٌ | في زمانــك نــاطقٌ والكــل عــيّ
وصــلاةُ الله تغشــى المصــطفَى | الـــذي خــصَّ بقــولِ: ادنُ إليّ
وكـــذا الآل وأصـــحابا لَـــه | دائما ما غرّد القمْرُ عُشيّ
عـــدها «آلٌ» هـــو الله الـــذي | قــدّر الأقــدار فــافهمْ يــا أخَــيّ

* * *

وهذه مرثاةُ لسيدنا الوالدِ أحمد:

بكــتْ عينــي وحــقَّ لهــا بكاهَــا | على شمسٍ خلــتْ عنهــا سَماها
وركــنُ الــدين قــد صَــار هــدياً | وطرقُ الشــرعِ انحلــتْ عراهــا
بمــوتِ العــالم النحريــر مــن قَــد | حــوَى كــل المراتــب وارتقَاهــا
إذا عرضــتْ لــه رتــبُ المعــالي | أبَــى أن يرتقــي إلا عُلاهـــا
هو الحسن الذي حسُنتْ صفاته | وأفعالــه عـــلا عـــزاً وجاهَـــا
بطاعـــةِ ربـــه فبهـــا دؤوبـــاً | فـــلا حَــدْ لـــه في ذاك ضـــاهى
فـــوا حـــزني عـــلى فرْقَـــا حبيبـــي | فـــآهٍ بعـــده مـــع ألـــفِ آهَـــا
خلــتْ عنــه المســاجد والمعابــد | تكــدّر بعــد مــا غــابَ صــفاها
وتبكيــه المــدارس والمجــالس | لمــا فقدتْــه مـــن نـــور ضِـــياها
بطلعـــةِ وجهـــه ذاك المحيَّـــا | وبـــالعلم الـــذي علّـــمْ وفاهـــا
فيـــا قلبـــي عليـــك بالتصـــبُّر | فـــما أحـــدٌ تخلـــدَ في دناهـــا
فهـــذا المـــوتُ مـــا عنـــه محيـــدٌ | وآخـــر هـــذه الـــدنيا فناهَـــا
فطـــوبى للـــذي قـــدّم لـــزاده | ولم يعـــطِ لنفسِـــه مشـــتهاها
وحاســـبها وقيـــدَها بقيـــدٍ | مـــن الشـــرعِ ليمنعَهـــا هواهـــا

وويــلٌ للـــذي ضــيع لدينِــه ... وأهملَ نفسه وعصى الإلهَ

فتقـــوى الله أعظـــمُ كـــل شيء ... وفيهـــا فوائـــدُ لـــيس تنـــاهى

وبعــد أن تشــأ يــا صــاحِ علــماً ... بتحقيـــق الوفـــاةِ ومبتـــداها

ففي العشــرينَ مع سبعٍ عشاءً ... بشــهر الصوم بلغَـت منتهاهـا

وألـــفٌ والمائـــة أعـــوامُ تمـــت ... ثـــمانٌ مـــع ثمانـــين عـــدَاها

فـوا أسـفاً عـلى مـن كـان نفعـاً ... لكـل مـن عـلى الأرض يطأهـا

ونـور الأرضِ قـد صَـار ظلامـاً ... لغَوبـةِ مـن رقَـى أعـلى سـماها

وحـــقَّ لقطرنـــا يبكـــي عليـــه ... فهو شيخُ الطريـق وقـد جلاهـا

لـــه صـــبر وحلـــمٌ كـــالرواسي ... علـومٌ كالبحَـار وقـد وعاهـا

ووالـــــدُه ملقبُـــــه حكـــــيما ... فـأعظمْ بالـذي بـه قـد عناهـا

وسر علومِـــه في الكـــون بـــاقٍ ... عسى الله لا يخيّـب مـن رجاهـا

فنرجـــو أن يوفقنـــا لســـيرِ ... بســـيرته ويبلغَنـــا ذراهـــا

وإن كنّـا ضـعافاً قـد عجزْنـا ... عـن الحمْـلِ لأسـباب نراهـا

وقـلّ مسـاعدٍ وزمـانُ سـوءٍ ... وكلـه سـهل إن شـاء الإلـه

وصـلى ربنـا في كـل حـينٍ ... عـلى خـير البريـة مصْـطفاها

وآلٍ مـع صـحابٍ مـا تغنّـت ... حمام الأيـك أو حـرك شَـجاها

* * *

وهذه مرثاةٌ لسيدي الأخ عبدالله بن الوالد أحمد، وهي:

حـادي المطـيّ لا تـكُ بالكسـلانِ ... وذر الجـمالَ تسـير بالأضْـعانِ

واسـلك طريـقَ الجـرْعِ في آثـارهم ... واسـأل عـن السكانِ والقطّـانِ

حيثُ الخيام بها الإمامُ المتقَى | من هاشمٍ ذي العلْم والعرفانِ
قيِّلْ على أطلال بشَّار التي | قد حلّ فيها أفخرُ الأعيانِ
وانثر على الرؤوسِ ثراها إنّه | شافٍ لداء القلب والأبدانِ
يا ساكني بشَّار هل من مخبرٍ | عن خير داعينا إلى الرّحمنِ
بشراكمُ يا زائرين ضريحَه | بالقرب والتقريب من ديانِ
ما للفؤاد مكدرٌ من بعده | والقلبُ صار مواطنَ الأحزانِ
ما للعيون جرَتْ كأمياه المزُون | فالدمُ من بعدِ الدموع أضْناني
جرتِ الدموعُ لفقد هاتيكَ الجموع | في طاعَة الله العظيمِ الشانِ
ضاق الفضَاء بوسْعه ممَّا دهى | وجرَى من الأهوالِ والأشجانِ
ما كنت أحسِبُ أن دهري هكذا | صدرُ الصدور الصيدِ في الأقرانِ
إن شئتَ أن تعرفَه وتعرف اسمه | هو غير محتاجٍ إلى تبيانِ
قطبُ الزمن مجلي الحزَنْ | بحْرُ العلوم العارفُ الرباني
نجل الإمام الغوثِ أوحد عصره | حدادنا ليس له من ثَانِ
الناسكُ الأواب قطبٌ كامل | جامع شتاتِ البرِّ والعرفانِ
يبكيه حاويه وكلّ مجالسٍ | معمُورةٍ بالعلم والعرفانِ
قد خصّه الله بسر أسلافِه | بل زاده فضْلا من الرحمنِ
ما زال قوَّاماً إذا جنّ الدجَى | ليس بذي عجْزٍ ولا كسلانِ
يا كعبةً للوافدين ومنهلاً | للواردينَ وكهْف للّهْفانِ
آهٍ عليه وألفُ آهٍ بعدَها | ما تغنى الآهُ عن الأحزانِ
فالله يخلفه علينَا صالحا | ويعمّنا بالعفو والغفرانِ
ويمنَّ بالصبر ويعظِم أجرَنا | إذ موتُ مثله هدّ في الأركانِ

أركــانِ ديــن الله إذ هــو شمْسُــه ... كم قد هـدى مـن جاهـلٍ حـيرانِ

في شـهر صـومٍ قـد قضَى ـ نحبـاً لـه ... في سابعِ العشرين من رمضانِ

عــام ثــمانٍ مــع ثمانــين كــذا ... مائـةُ وألــفُ لا تكــن بــالواني

فـــالله يجعــل سرّه في نجلـــه ... ذاك الشـهاب فضـلاً مـن المنـانِ

قـد قـامَ بـالأمر الـذي قـامَ بـه ... والـــده المعـــروفُ بالإحســـانِ

ثم الصلاةُ مـع السـلام عـلى الـذي ... فـاق البريـةَ مـن ولـد عـدنانِ

والآل والصــحب الكــرام وتــابعٍ ... مـا غـردَ الطـيرُ عـلى الأغصـانِ

* * *

وهذه للشيخ الفاضل الأديبِ، فارس بن الشيخ محمد باقيس، ساكن (حَلْبُون) من (وادي دوعن):

أفلـتْ شـموسٌ وانكـدَرْنَ نجـومُ ... والأرضُ سوداءُ وارتكمْنَ غيومُ

وتضعضَعتْ أرجَا النواحي والفَلا ... وعلـتْ عـلى كـلّ الأنـامِ همـومُ

لغروبِ شمس العَصر واحدِ وقتـه ... شـيخٌ فريـدٌ جـامع وعظـيمُ

علَمُ الملاحَة والفصـاحة والحجَـى ... مسْدي الهدَى بحرُ الندى وكريمُ

فخـر السـوابق واللواحـقِ زهـدُه ... وسَـما علـيهم بسـطةٌ وعلـومُ

ذاك الإمــامُ الحــبر حــبرٌ منتقــى ... حـاوي المفَـاخر كامـلُ التعلـيم

أعني بـه ابـن عبـدالله صـفوةِ ربـه ... مــن حــازَ في أوقاتــه التقــديمُ

ذاك الحسنْ مجلي الحزَنْ شيخ الزمَنْ ... أحيى علومـاً أطمسَـتْ ورسـومُ

آه عليـــه وألـــفُ آهٍ بعـــده ... وكـــذاك آلافٌ عليـــه تـــدومُ

يبكيـه قلبـي حسـرةً وتشـوقاً ... وتطلبـــاً لنوالـــه المعلـــوم

أســفاً عليــه وحرقــةً وكآبــةً   وتوجعــاً وتفجــع المغمُــوم
لا حولَ مـن جـور الزمـان وبغْيـه   من قطعِـه مـن لم يكـن معصُـوم
تبكـي المجـالسُ والمـدارس بعـدَه   ومســاجدٌ ومعابــد وفهُــوم
يبكيه «إحياءُ العلـوم» ومـا حـوى   و«الروض» و«المنهاج» والمنظـوم
وكذا «النصائح» والرسائل بعـدها   ومع «الحكَم» و«فصولها» تحكيم
و«اتحافها» وكذا السبيلُ وما حوَى   الحـاوي لهـا فيـه القلـوبُ تهـيمُ
قـد كـان ركنـاً للـبلادِ وأهلهـا   فـاليوم أضْـحى ركنهـا مهـدُوم
قـد كـان كهفـاً مانعـاً لوفـوده   فغـدَا الوفـودُ لفقـدِه معـدوم
قـد كـان في هـذا الزمـان مشـمراً   عـن أهلـه يـا حبّـذا التفخـيم
قـد كـان معروفـاً بكـل فضـيلةٍ   لا تحتَصى عدًّا ولا تقسيم
قـدكـان حـاوي مـافي الحـاوي مـنَ الـ   ـعلمِ المصُونِ وهـو لـذاك زميم
آهٍ عليـه ولـيسَ تغنـي عـن كـريم   الطبـع آهٌ أن يكـونَ فهـيم
قـد كـان داعينـا إلى طـرقِ الهـدى   فـدعاه ربٌّ قـادر ورحـيم
فأجـابَ مـولاه ولبـى دعـوةً   فيهـا لـه رزءٌ كـذا مقسـوم
آواه جنـاتِ العـلا ونعيمهـا   وجعـل لـه فيهـا لديـه نعـيم
ورزقـه حـوراً نـاعماتٍ كواعبـاً   وقصُـورها وانهارهـا تسـنيم
فـالله يخلفُـه وينفعنَـا بـه   ويعمّـر العلـمَ الشـهابُ يقـومُ
بمـدارسٍ كانـتْ وأيـامٍ زهـت   يحـي المـآثرَ والعلـوم تـدومُ
نعـم الخليفـةُ بعـده مـن سـيدٍ   طـودٍ حـوَى الفخـار قسـيم
يهنـاهُ مـا قـد نالـه مـن شـيخِه   مـن كـل فضـلٍ حـادثٌ وقـديمُ
وامتـعْ لـه بأشـبالٍ لـه مـن سـادةٍ   أعـلامُ خـير للسّـراة نجـومُ

خصّ الشجاعَ الحبر مقدامَ الأولى عُمَـر بلـغ مـا أمَّـه ويـروم
وأسـتغفرُ الله الكـريم لزلّتـي وجعلتـه لمقـالتي تختـيمُ
وألفَي صلاة على النبي داعي الهدَى وعليـه منـي مثلهـا تسـليمُ
والآل والصحب الكرام جميعهم مـا حـائمٌ فـوقَ الأراك يحـوم
وجعلـتُ تـاريخَ الوفـاةِ محـدثا ولـك الغنـائم والفخَـارُ عظـيم

* * *

وهذه للشيخِ الصُّوفي عبدالله بن فارس باقيس:

لقـد صـابني صَـوبُ المصيبة والخـبرْ بخطبٍ عمّ الأرض طرًّا بها انتشرْ
بـه ارتاعـتِ الـدنيا وضـاقَتْ بأهلهـا ورجّت بـه سـهلُ البسيطة والـوَعرْ
بل الكـونُ حتـى والسـماءُ بكـتْ عـلى مصيبةِ موتِ القطـب حـدادنا الأبَـر
عـلى الحسـنِ الشـيخ الشـهير حبيبنـا وأسـتاذنا نلنَـا بـه الفـوزَ والظفـرْ
عـلى الحسـنِ الأوقـاتِ مـن كـل ليلـةٍ ويـومٍ وشـهْر والسـنينَ عـلى الممَـرّ
وأيـام عمـرٍ كـان فيهَـا كأنهـا أعيـادُه في حسـنها بهجـةٌ غُـرَر
رعَى الله عصراً كـان فيـه سَـما الهـدى وباهَى الذي من قبلُ والبعد وافتخَـرْ
ونقـصٌ مبـين صَـار في الـدين ثلمَـةٌ وركنٌ من الإسلامِ هدِّم وانكسَرْ
إذا مـاتَ حـبر مجمـعٌ مـتمكّنٌ صفيٌ وصوفي حـوَى الفقْـه والسيَر
تقـاصرتِ الـدنيا وأظلـمَ جهلُهـا بجهالها والناسُ في حيِّز النَّشَرْ
وقـد جـاء كالأنعـامِ في قـولِ ربِّنـا وضُـلَّالُ مـن فقْـدِ الأكـابر والحـبر
ولا خير في الدنيا سـوَى العلماءْ ومـن سلك مـنهجَ التقـوى وشـمَّر واتّـزرْ
ولـيس غنـيٌ عـنهم لأنهـم لنَـا خزانـةُ أنـوار الإلـه الـذي فطَـرْ

رعـى الله هـذا السيدَ العلـم الـذي ... هو الشمسُ للإسلام والدينِ والقمَرْ
ألا إنـه حَـاز الوراثـةَ كلهـا ... بفـرضٍ وتعصـيب لوالـدِه الأبـرّ
على نهجٍ مـا قـد كـان يعتـادُه مـن الـ ... ـعباداتِ والعادات في السفر والحضَرْ
ألا إنـه «الإحيـاءُ» بـل الكتبُ كلهـا ... بل القطبُ عين الله في الأرض مشْتهَر
عـلى الـذكر والأوراد مـن كـل واردٍ ... على الجدِّ والتشمير في الدّوب ما فتَر
ومحـي طريـقِ القـوم لله درُّه ... إمـامٌ نصيح صَادقُ القـول والخبَر
عـلى السـنة الغَـرّا البهيـة وانتقـى ... جواهرها البـيضَ الصـقيلةَ والـدُّرَر
إمـامٌ مقـيم صَـلاته الجماعَـا ... ت دوبَ الـدهر مـن حالـة الصِّـغر
محيـاهُ مـا أزكـاه مـن متعبِّـدٍ ... وداعي إلى المعبُـود أصـبر مـن صَـبر
وحـاز مقامـاتِ اليقـين بأسْرهـا ... تحلى بهـا خُلْقـاً وخَلقـاً وقـد شَـكرْ
وقد كان مصباحٌ بل الشمسُ والضّحى ... بل الغيث بـل هـو الغـوث بـل عـين النظـر
وتحيـى بـه الأرواحُ بـل هـو أبٌ لهـا ... به اتصلـتْ في نسبة الـدينِ والفِطَـر
بحـقٍّ وتحقيـقٍ وإلقَـاح مجـدِها ... وطابتْ وقد تعلو على نسبة البَشر
إذا جـاءَ بالصـدْقِ الصـدوقُ تفتقَـتْ ... كمائـم أزهَـارِ المعـارفِ بـالثمرْ
ونـارَتْ زوايَـا قلبِـه وتطهّـرتْ ... وزال صداها وانجلى الـرانُ والكـدَرْ
بلحـظٍ وإلحَـاظٍ مـن النظَـر الـذي ... سرى سرُّه مـن قولِـه كنـتُ في الخـبر
فـآهٍ عليـه كـلَّ حـينٍ وكلَّـما ... تـذكرتُ أربـابَ الولايـة بـالفِكَر
فنرجُـو مـن المـولى يمـنُّ بفضـله ... لصوبِ المصيبة ذي ابتلانـا بـه الخـبر
بصـبرٍ جميـل إذ إليـه رجُوعنـا ... ونحمدهُ في حالي اليسْر والعَسَرْ
ويخلفـه فينَـا بخـير ورحمـةٍ ... ويمْـنٍ وإيـمان وإحسـانُه الـوَفر
ويسـكنه أعـلى الجنـانِ مـنعَّما ... بمقعـدِ صـدقٍ في منازلهـا استقرّ

ومــن بعــدِه حــازَ الوراثــة أحمــدٌ حوَى كل ما تحوي البسـاتينُ والثمـر
وحــاز مفــاتيحَ الكنــوز بأسرِهــا تملكَهــا مــالاً ونفعــاً بهــا اتجـرْ
تــولاه مَــولاه وأقعــدَه عــلى بساطٍ لمن قد كانَ في دلِّه انتشر
وتــمّ بــه النفــعُ العظـيم وخصَّــنا بنفحــةِ خــيرٍ مــن مواهبــه غمَـرْ
ولا زالَ مهــديًّا وداعٍ إلى الهــدى وتصغَى له الأسماعُ تستبشِر البشَر
وقــرّت لــه عينَــاه بــأولادِه لقــد تسامَوا على الأقـران في الـبرِّ والسِّيَر
وأســتغفر الله العظــيم لكــلِّ مــا تكلفتُــه لا يكشِــفُ الله مــا سَــتر
فأحمــدُه والحمــدُ لله سرمــداً عــلى حمـده دأبـاً دوامـاً هلُـمَّ جـرّ
ونقلتُه سبعٌ وعشرون قد خلَتْ من الصوم في ليلِ الخميسِ انقضى الوطَرْ
ثَــمانٌ وتتبعهــا الثمانــونَ والمائَــة وألــفٌ مــن الهجـرةِ أسسَـها عُمَـر
وصــلى وســلمَ ربنــا بدَوامــه على المصطفى خير الخلائـق والبشـر
وآل وأصــحاب ومــن كــان تــابع بإحسان وارحم من إلى فضلك افتقر
عبيــدك عبــدالله بافــارسَ الــذي نظَمهــا ولا القــدْرَة إلا لمــن قــدَر
ولا لي ولا منّــي ولا بي وإنَّــما إليك ومنكَ قـد جـرى ذلـك القـدَر
وأبياتهــا خمســون بيتــاً كأنهــا جــواهرَ درٍّ نــيراتٍ لمــن نظــر

* * *

وهذه للشيخ الفاضلِ الأديبِ، محمد بن الشيخ عبدالرحمن بارجاءْ:

قفْ بالحمَى المأنوسِ وقفةَ محتفي وقــد الفــؤادِ الهــائم المتأسِّــفِ
بســكونه وفتونِــه في حــبّ مــن أعنـي بـه لي هـو بســرّه متحِـفِ
حــذر التمــزّقِ والتفـرقِ والعنَـا بتــأوبٍ وتقــرب وتلطّــفِ

واسْـعَ بـأطلالِ الأحبـة ناشـداً فيها لسـكانِ الحمـى المستوصَـفِ
فعسَى يجيبُ مـن الربـوع مجيبَهم عمَّن قضى نحباً ولم يتخلّفِ
ومضـــَى إلى داعٍ لـــه فأجابَــه وملبيـــاً داعيـــه لم يتوقّـــفِ
شيخُ الـبلاد مـع العبَـاد وحـبرُهم علَمُ الهدَى طـودُ النجَـا لم يختَـفِ
بحرُ العلـوم ومعـدِنُ الأسرارِ بـل نـورٌ أضَـاء لكُـلّ نـورٍ منطَفـي
ذاك ابنُ عبـدالله قطـبٌ قـد سُـمِي الحسنَ الحـداد أصْفى مـن صُـفي
شـنفْ بـه وبـذكرِه في مسْـمَعي أكـرمْ بـه مـن زاهـدٍ متعفّـفِ
حـاوٍ لأوصـافِ الكـمالِ بكلّـه والعجزُ إن ننصفْ وإن لم ننْصِـفِ
لم يخْـشَ في تقـواهُ لومَـة لائـمٍ للـدينِ كـان كالحسَـام المشْرِـف
أبكـي عليـه مـا حييـتُ بحسـرَةٍ وتحـزّنٍ وترجّـعٍ وتلهّـفِ
ولـئنْ بكيـتُ عليـه دمعـاً بعـده مـن أعينـي ودمـاً فـإني لم أفِ
بيـتُ النبـوة والفتـوة والتقَـى إنـا وإن قمنَـا بـه لم نعـرِفِ
ومقصـرِّين لحقّـه بـذنوبنا والمبعـدُ المحـرومُ لم يتعـرّفِ
آهٍ عليـه تحسـراً وكآبـةً مـن بعـده فبغَـيره لا نكتفـي
آهٍ عليـه فليـتَ شـعري كيـفَ لي يـا ليتنـي عـن ركْبِـه لم أخلَـفِ
آهٍ عليـه فخـبِّروني هـلْ لـه مـن عـودةٍ أو رجعَـةٍ بتعطّـفِ
ضاعَ الزمانُ وضاق ذرعاً وانقَضى عُمرِي على التفريطِ سقمي ما شُفي
هـذا ولكـن عَـادلي في حزْبـه أرجُو من الـرحمنِ لي مـن مسْعفِ
فلعـلّ تـأتي مـن شـذاهم نفحـةٌ لمخلّـفٍ في أفقهـم متشـوِّفِ
إني لهـا متعـرضٌ في دهرِهـا متوسـلٌ بالمصـطفى والأشْرفِ
الفـاتحِ الخـاتم خـير بريَّـةٍ المجتبـى مـن خلقِـه وبـه اقتفـي

صلى عليه الله ما هبَّ الصبا   أو ما تغنَّى حاج للموقفِ
والآل والصحب الكرام وتابعٍ   لهم على الطاعاتِ والحالِ الوفي

وهذه للشيخ العالم الناسكِ، عمر بن طه باوزير، ساكن (غَيل باوزير)، من أعمال (سَمْعُون)، بندر (الشحر) الميمون، مرثاةً في الحبيب الحسن:

ما للقلوبِ رماهَا طارقُ النكِدِ   من التأسفِ والأحزان والكمَد
ومالها عن لذيذِ النوم جَائفةٌ   بل كيفَ تهنا الكرَى والموتُ بالرصَدِ
ذر المدامعَ تجري في محاجِرهَا   لعلها تبردُ الأحشاءْ من الكمَدِ
دعها تفيضُ من الخدَّينِ سَاجمةً   لكي تطفّي لهيبَ النار عن كبِدِي
فالجسمُ من حرّ نار البَينِ في ضرَمٍ   والقلبُ لا زالَ في همّ وفي نكَدِ
وهذه الدارُ قد عمَّ الفناءُ بها   وفرقَ الجمْعَ واستولى على العدَدِ
فكيفَ يلتذّ مخلوقٌ بعِيشَته   والموتُ يرقبه لم يسْهُ عن أحدِ
يا صاحِ دعْ هذه الدنيا وزهرتَها   تفنَى ولم يبقَ غير الواحد الأحَدِ
ما دمْتَ فيها فكن بالصبر ملتزماً   لطاعَةِ الله ترجُو الفوزَ يوم غَدِ
فالدهرُ عادتُه للمكْر مصْطحبٌ   محالفٌ حيثُ غير الصدقِ لم يجِدِ
عليكَ يا صاحِ بالتقْوَى تفوزُ بها   وتحظَ بالأمْن والإسْعادِ والمدَدِ
واظبْ على طاعَة المولى تحوزُ بها   قرباً ودعْ كلَّ موجودٍ ومفتقَدِ
واحفظ لسانَك من سبٍّ على أحَدٍ   وصَنْ فؤادك من غشٍّ ومن حسَدِ
فتلكَ دنيَا وإن طالَ المتاعُ بها   فأنتَ منتظرٌ يوماً إلى أمَدِ
لابدّ من سكرةٍ للموت جاذبَةٍ   للرُّوحِ من جسمكَ المطروح في اللحُدِ
والأهلَ والمالَ والملبوسَ تتركُه   لمن يليكَ وتغدو عاري الجسَدِ
فليسَ منها سوَى الأكفانَ تلبسُها   فاسمع مقالَ نصُوحٍ لا تكن بلِدِ

إني أطالبُ في الأخرى بما علمَتْ ... نفسي- وما قدمتُ مما جنتْه يدي

هذا الزمانُ و إن قلّتْ نوائبُه ... فإنّه للورى بالصّفو لم يجُدِ

وكان مبعثُ هذا ما شعرْتُ به ... خطبٌ عظيم وذا من أعظَمِ الشِّدَد

موتُ الحبيب الملاذِ المستغاثِ به ... الضيغَم الليثِ نجْل السادة العمَدِ

ربّ البلاغَة حبر نخبةُ الكمَلا ... شبلٌ لسادتنا والشبلُ كالأسَدِ

ثبتُ الجنانِ عظيمٌ في مهابتِه ... قد كان بالعلْم في الدنيا بمجتهِد

الحسنُ الفاضِل المحمُود سيرتُه ... نجْلُ الشريف العفيفِ القطبِ مستندي

وذاك عبدُالله الحداد قدوَتنا ... غوثُ العباد ابنِ علوي ذاك معتمَدي

سميّ أصْلٍ وحيدٍ طابَ عنصرُه ... فردٌ نصيحته لم تخلُ عن أحَد

فكتبُه قد فشَتْ في كل ناحيةٍ ... من لم يعِ نصْحَه للناس لم يسُدِ

وخصّه الله علماً من لدنْه فجلّ ... الله من هو لم يولَد ولم يلِدِ

آهٍ على من مضَوا في الترْبِ قاطبةً ... من الأكابرِ أهل الدين والرشَدِ

آهٍ عليهم وآهٍ كلَّما طلعَتْ ... شمسٌ وما دامتِ الساعاتُ في الجدَدِ

آهٍ على علمِهم آه على درْسهم ... آه على نصحهم في الجمعِ والعدد

آهٍ على نخبَة الأشرافِ والعلماءْ ... آهٍ عليه وآهٍ دائمَ الأبَدِ

آهٍ على من بتريمِ روحُه طلعَت ... إلى السمواتِ تأوي جنّة الخلد

يا عينُ فابكي وجودي بالدموع على ... ليثٍ هصورٍ بتحرير العلوم نَدِي

لو يفتدَى كعبَةُ القصاد عمْدتنا ... لكان حقًّا بروحِ المستهام فُدِي

يا ويحَ نفسٍ على اللذات دائمَةٍ ... ولم تخفْ هولَ خطبِ الطارقِ النكِدِ

يا ويحها يوم تأتي للحساب غداً ... إذا الورَى كل عضْوٍ منه مرتعِد

يا ربنا فاغفر لنا أنتَ الخبير بنا ... وأنت ملجأنا في القرْبِ والبعد

إن شئتَ يا سائلي عامَ الوفاة له   فأصْغِ سمعاً ودع ذا الجهلِ والعنَد

يحكي القريضُ لنا تاريخ نقلته   يبشر بنيل المنى من ربه الصمد

ثم الصلاة على أعلا الورى شرفا   محمد الشافع المقبول يوم غد

والآل والصحب ثم التابعين لهم   ما سار ركب وجد العزم للبلد

وما حدى كل حاد في دجى غسق   وغرد الطير فوق الأغصن الملد

* * *

الباب الثامن

[في ترجمة والد المؤلف
العلامة أحمد بن الحسن الحداد]

البابُ الثامِنُ

في ترجمةِ الوالِد أحمدَ

كما وعدْنا أن نختمَ بذكرِهِ ترجمةَ سيدِنا الحبيب الحسنِ، من ترجمتنا لَه عند جمعِنا لديوانه، فنقولُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُلله الذي جعل التجديدَ للدينِ، من شأنِ العلماءِ العاملينَ، العارفين بسنة سيد المرسلينَ، سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبِهِ والتابعينَ.

وبعدُ؛ فاعلم أن المجدّدَ شرطُه أن يكونَ جمع شروطَ الاجتهادِ في العلمِ المقصُود بالذاتِ، وأن يشار إليه في العلومِ، وأن يأخذ من المائةِ التي ولدَ فيها والمائةِ التي بعدها، وأن يشار إليه في المائتينِ لا في كلها، وغير ذلك.

وسيدي الوالدُ ولدَ في ٢٢ شوال سنة ١١٢٧، ويجمعُها قولُك: «ولد شَيخ العُلوم»، والآن سنةَ ١٢٠٤ [1] وعمرُه الشريفُ سبعٌ وسبعون سنةً، يتمها في شوالَ، يجمع ذلك قولكَ: «عمرُه عزٌّ»، وقولكَ: «كنزٌ»، فإذاً هو المجددُ بلا شكٍّ عند ذوي الإطلاع به وبمقامه، ولن ترى الشمْس مقلةٌ عمياءُ، أو عالم بفنّ واحدٍ، أو متفنن في كل العلوم، أو بعضِها، فلا يعرفُ من هو أعلى منه، خصوصاً إذا غلب الحسدُ، وكل

(١) هذا الكلام كتب قبل وفاة الحبيب أحمد بن حسن في رجب ١٢٠٤هـ، مما يفيد أن المؤلف كان يكتب ويحرر كتابه هذا ويعيد النظر فيه في أوقات متفاوتة، والله أعلم.

ذي نعمةٍ فمحسودٌ عليها، واستُحْقِرَ من لا يحسَدُ، وختمَ الحقُّ كتابَه القرآن، بقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]، ولم يأمر نبيَّه إلا بالاستعاذةِ من شر حاسدٍ، أو حسّادٍ، نسأل الله العافية من شرّ الحسادِ، وشرِّ يوم التنادِ، وشر الإبعاد، وأن يرزقنا الاستعدادَ ليوم المعاد، بجاه سيدنا القطب الأوحد الحداد، وأولاده الأسياد، مع العافية آمينَ.

وبعدُ؛ فقد منَّ الله علينا في هذا الوقتِ والزمانِ، بالنعمة الكبرى، والآية العظمَى، والمعجزة الظاهرة، فرع الشجرة الطاهرَة، الوارث لعلوم سيد المرسلينَ، من بشّر به جدُّه سيدُنا القطبُ الغوث عبدالله بن علوي الحداد أيامَ وقتِ الحملِ به، وقال لوالدتِه: حملتِ بعالم تريم.

وكان والله عالم (تريم)، وكل إقليم، من جمع الله له الشريعة والطريقَة، قطب العلوم والأحوال والمقامات، من له التصانيف المفيدَة، وأجلها وأعظمها فائدةً «سفينة الأرباح ونزهة الأرواح»، جمع فيها سائر العلومِ المفيدَة، في ثلاثة أجزاء، وله كتاب «الفتاوى» في الفقه المسمّى «القول الصواب»، وله «شرحٌ» على راتب جدّه القطبِ الأوحد الحداد سماه «سبيل الهداية والرشاد»، وله منسكٌ في الحجّ سماه «بغية المحتاجِ إلى معرفة مناسك المعتمر والحاج». وله جمعُ كتاب «تثبيتِ الفؤاد» الذي جمعه أحمد الشجّار الأحسائي تلميذ الحبيب القطب الأوحد الحداد، جمع كل كلامٍ لسيدنا الشيخِ الأكبر عبدالله الحداد إلى ما يوافقُه في كل علمٍ، لأن كلامه نفع الله به كان واردَ الوقتِ في مجالسِه، وتلميذه الشجار جمعَها على ترتيبِ نقله لها، فحررها وجمعها شيخُنا في نحوِ أربعينَ كرَّاساً، فجزاه الله أفضل الجزاء.

و«المكاتبات إلى الإخوان والأصحاب والسائلين»، جملةٌ مستكثرةٌ، فيها علوم كثيرة، ولذلك قيلَ: أسرار أهلِ هذا الشأن في مراسَلاتهم، وكل وعاءٍ بالذي فيه

ينضَحُ، والمرء مخبوء تحت لسانه، والقَلمُ أحد اللسانينِ، وله الكتابُ العظيمُ في نحو مائة ورقةٍ، «الفوائد السنية»، في (تريم) و(حضْرموت)، وما خصُّوا به السادة العلويون، وكيفيّة طريقتهم، وفضلهم، وأهل البيت النبوي، في ثمانية أبواب ومقدمة وخاتمة.

وله هذا الكتابُ الثامنُ، المسمّى «نزهة القلوب وفسحة المكروب»، نظم السيد الشريف العارف بالله، العالم العلامة، جامع الفضائل والفواضل، الصوفي الصفوة، والفقيه المحقق، الإمام القدوة، شيخنا ووالدنا، الأستاذ الشيخ أحمد، بن سيدنا الإمام الكبير، والعالم الشهير إمام الزاهدين والعابدينَ، وشيخ المسلكينَ، من كمَّل الله له الذاتَ والصفاتِ، فريد وقته وزمنه، قطب الزمن، شيخنا الأكبر الحسن، بن سيدنا الأستاذ الأعظم حجّة الإسلام، وخاتم الأكابر الأعلام، صاحب الصّديقية الكبرَى، الإنسان الكامل، القطب الغَوثِ، عبدالله بن علوي الحداد، باعلوي السني، الحسيني، الأشعري، إمام وقته وعينُ زمنِه.

* * *

وولادة سيدي الوالدِ أحمد بن حسنِ بن عبدالله الحداد ليلةَ السبت في ٢٢ شوال سنة ١١٢٧، بتريم، وعمره سبعٌ وسبعون سنةً، ووفاته قبل الظهرِ بساعتينِ، من يوم الأحد سبع وعشرين في شهر رجَب، في (حاوي الخيرات) بـ(تريم)، سنة ١٢٠٤.

* * *

قرأ على والده «تحفة الشيخ ابن حجر» ثلاثاً أو أربعاً، ويطالعُ مع قراءته فيها جملةً من الكتبِ المفيدة، كـ«النهاية» للرملي وغيرها، ويثبتُ أيامَ قراءته ما يوافقُه فيها الرملي وما يخالفُه، وقرأ عليه غالبَ كتب الإمامِ ابن حجرٍ، والإمام محمد الرملي، ووالده شهاب الدين أحمد، فإني رأيتُ بخطِّه على «الشرح الكبير على زبد ابن رسلان»

أثباتُ قراءته، لأنه يحفظ متن «الزبَد»، نفع الله به.

وكذلك قرأ عليه كتب الإمام محمدٍ الشربينيّ، وأما «الإقناع» فمراتٍ عديدةً، وكذلك مراتٍ عديدة قرأ عليه «منهج الإمام زكريا»، وغالب كتُب الشيخ العمدة المحقّق المدقق، الشيخ زكريا الأنصاري، خصوصا «شرْحُه على رسالة القشيري»، وقرأ عليه غالب كتُبِ الإمام النوويّ، كـ«المنهاج» وشروحه، وكـ«شرح مسلمٍ» له، وقرأ عليه كتباً لا تحصى، فكيفَ بمطالعته! فهي الجمُّ الغفير. والشيءُ الكثير هذا في مذْهب الإمام الشافعي، وأما بقية المذاهبِ فله اطلاعٌ كثير على كتبهم وقواعدِهم، ولكن مرادنا نثبتُ بعضَ قراءته على والدِه، لأن مطالعته للكتُبِ شيءٌ لا يحصَى بعدٍّ.

* * *

وقرأ على والده غالبَ كتبِ الحديثِ، خصوصاً الستةَ، مراتٍ عديدةً، وشروحها، كـ«شرح البخاري» للإمام القسْطلاني جميعه، و«فتح الباري» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وقرأ عليه «إحياء علوم الدين» عشْرَ مراتٍ، غير مطالعتِه لها، وقرأ عليه غالبَ كتُب الإمام الغزاليّ نفع الله به.

ولا يسمع بكتابٍ في (تريم) إلا وقد قرأه عليهِ، بل وجلّ القراءة في كتبِ القوم، كـ«الإحياء»، و«العوارف»، و«الرسالة القشيرية»، وكتُبِ سيدنا الحبيب عبدالله الحداد، وتصانيف سادتنا آل باعلوي، وأهل حضرموت من سَادةٍ وغيرهم. وسمعتُ سيدي الحبيبَ الصوفي، عمر بن زين بن سميطٍ باعلوي يقولُ: «قراءة سيدي الحبيب أحمدَ في الكتبِ وسرْدُه لها في قراءتِه على والدِه، إنما هو من باب طيِّ الحروف».

وقرأ عليه «تفسير الإمام البغوي»، وكذلك قرأ «الدّرَّ المنثور»، وجملة من التفاسيرِ، وغالبَ كتبِ الإمام الشعراويّ، وكذلك «تفسير الإمام الرازي»، وجملة من التفاسير، لأن قصْدنا الإشارةُ إلى بعْضِ مقروءاته على والده، وكذلك قرأ في غالبِ

كتب السِّيَر، كـ«تاريخ الخميس»، و«سيرة الكُلاعيّ»، و«سيرة ابن هشام»، و«البهجة» للعامري.

* * *

ولا كتابَ يسمعُ به في (حضرموت) في سِيَرٍ وغيرها إلا وقد قرأه. سمعتُ منه أمدَّ الله لنا بحياتِه، أيام قراءتي عليه في كتابِ «جلاء الرين في مناقب الإمام أحمد بن زين الحبشي»، وتعديد مقرُوءاته في الكتابِ المذكور، قالَ متع الله لنا بحياته: «وقد قرأتُ جميعَ هذه الكتبِ المذكورة على الوالدِ وغيرها، من فضل الله».

* * *

وأما قراءتُه في التواريخِ، ومناقب الصحابةِ، ومناقب السلف الصالح، خصوصاً سلفه آل أبي علوي، وكتبِ الأدَبِ، والطبّ، والنحوِ، واللغةِ، فشيءٌ لا يقبله الذهْنُ، ولا تحتمله العقولُ، وإن شئت تنظُر بعضَ الشيءِ من ذلكَ، فانظر في كتابه «سفينة الأرباح»، فقد جمع فيها فأوعَى، ويعْزي كل ما ينقله فيها إلى الكتابِ الذي ينقل منه.

قال فيه: «ورتبته على خمسةَ عشر باباً:

الباب الأول: في فضيلة العلمِ والتعلم والتعليم والكتابةِ، وفضْل الأدبِ والحكمةِ، وجملةٍ من المسائل الفقهية، والآداب الدينية، والأدعية النبويةِ، نثراً ونظماً.

الباب الثاني: في ذكر أحاديث نبويةٍ ملتقطةٍ من «الجامع الصغير» للإمام السيوطي رحمه الله، على ترتيب حروف المعجم.

الباب الثالث: يحتوي على جملةٍ من المسائلِ الفقهية من المذاهبِ الأربعةِ، منقولة من كتاب «الرحمة في اختلاف الأئمة»، على ترتيب أبواب الفقه.

الباب الرابع: في مدْح العفوِ، واصطناع المعروف، والكرم، والجود، والسخاءِ، وحسن الخلق، والمروءة، والحلم، والرفْقِ، واللين، وذَمِّ أضداد ذلكَ.

الباب الخامس: في مدحِ القناعة، وعزّة النفس، وعلو الهمة، وذم الطمع والحرص، والرضا بالذل والهونِ، ونحو ذلك.

الباب السادس: في شرف العقلِ، ومدح الفطنةِ والذكاءِ، وذكر الفصاحة والجوابات المسكتة، ومدح التجارُب، والرأي، والمشورة، والتدبير، والحزم، والنظر في العواقب، والتأني في الأمور، وانتهاز الفرَصِ، وذكر الحظّ والبخْتِ، وما شاكل ذلكَ، وذم أضدادِ ما ذكر.

الباب السابع: في آداب الإخاءِ، والصحبة، وحقّ الجوار، والمحبة، والوفاءِ، وحسن العهد، ومدح الصدق، والصمْتِ، وكتمان السرِّ.

الباب الثامن: في مدح الصبر، والتأسّي، وانتظار الفرَجِ، وذكر تبدل الأحوال وانقلابها، وذكر السفر والفراقِ، وما شاكلَ ذلكَ من ذكر الشيخوخَةِ والشبابِ.

الباب التاسع: في ذم الحسد، والحقدِ، والكبر، والعُجْب، والرياءِ، والظلم، والبغي، ومدح أضدادها.

الباب العاشر: في نبذةٍ من علم الطبِّ، وذكر شيء من الأدوية النافعةِ بإذن الله تعالى.

الباب الحادي عشر: في نبذةٍ من علم الفلكِ، ومعرفة النجومِ وسَيرها، وذكر الفصُول ومداخلها وطبائعها.

الباب الثاني عشر: في ذكر شيء من العزائمِ والرقَى النافعَة من أمراضٍ شتّى بإذن الله تعالى.

الباب الثالث عشر: في ذكر منافعِ القَهوة البنية، وذكر ابتدائها.

الباب الرابع عشر: في ذكر نبذةٍ من تفسير الألفاظِ من اللغة العربيةِ، تجري إلى ألسنة العرَبِ، ونبذة من قواعد علْمِ التجويدِ والكتابةِ والنحو.

الباب الخامس عشر: في ذكر فوائد متفرقة لا تختصّ ببابٍ من الأبوابِ، ولها بها تعلق.

وخاتمة الأبواب : تحتوي على حكَمٍ علميةٍ، وجواهرَ دريةٍ، وفصوصٍ يا قوتيةٍ، من كلام سيدنا الإمام الجامع قطبِ دائرة الوجُود، العارف بالله والدال عليه، حجة الإسلام وبركة المسلمينَ الشيخ عبدالله بن علوي بن محمد الحداد علوي، رضي الله عنه، ونفعنا به. والله تعالى أسأل أن يجعل جمعي لذلكَ خالصاً لوجْهه العظيم، وأن يغفر ما خالط النيةَ من رياءٍ أو سمعةٍ أو عجْبٍ، إنه جواد كريمٌ، ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣]. وليس لي إلا النقلُ فقط، وغالبُ ما أذكرُه أعزيه إلى قائلهِ أو إلى الكتابِ الذي أنقله منه»، انتهى كلامه نفعَ الله به، ومتع لنا بحياته في عافيةٍ، وجزاه الله خير الدنيا والآخرة.

* * *

وأما مطالعتُه للكتبِ النافعة خلافَ قراءته على والدهِ، فأمر عظيمٌ، فجميع ما جمع سيدنا الأكبر الغوث عبدالله بن علوي الحداد من الكتُبِ الكثيرةِ، والخزائن المملوءةِ الشهيرةِ، وقف عليها ونظرَها واستفادَ منها وأفادَ، فلله الحمد والمنةُ، فقد درَّسَ مكان والده، سنةَ حجَّ والدُه، سنة ١١٤٨، فأذنَ له وعمرُه إحدَى وعشرون سنةً، لأن الوالد نفع الله به ولدَ ليلة السبتِ ٢٢ شوال سنة ١١٢٧، كما سيأتي.

فهو أحمد كجدّه أحمدَ، قال شارحُ «سيرة عبدالرحيم العراقي»، في معنى اسمه أحمد ﷺ فقالَ: «معناهُ: أحمدُ الحامدين لربّه، وسببه: ما في «الصحيح»: أنه يفتحُ عليه في

المقام المحمُودِ بمحامدَ لم يفتحْ بها على أحدٍ قبله، ويقالُ: الأنبياءُ حمادُونَ، وهو أحمَدُهم، أي: أكثرُهم حمداً، وهو أعظمهم في صفةِ الحمْدِ، قال عياض: كان المصْطفَى أحمدُ قبلَ أن يكون محمداً، كما وقع في الوجُود، لأن تسمية أحمد وقعَتْ في الكتبِ القديمةِ، وتسمية محمدٍ وقعَتْ في القرآنِ»، انتهى. ومحمدٌ وأحمدُ أعظم أسْمائه وأبلغُهما، وإليهما ترجعُ سائر صفاته ﷺ.

* * *

فوالدنا أحمدُ، فهو إلى الآن وهو في التدريسِ، يقتدَى بهِ من سنة ١١٤٨، فله في مدارس جدِّه الآن مقاماً من ذلك الزمَن سبعٌ وخمسون سنةً، نفع الله به، كل يوم بكرة النهار يدرِّسُ في الفقه إلا يومُ الجمعة. وآخرَ الوقت، من سنةِ ١١٥٥، يدرّس في يوم الخميسِ والاثنينِ، واكتفى بمن حضَر من أولاده في بقية الأيامِ، وأما مدْرَسُ بعد صلاة العصْر فلا يتركُه قطّ، من بعد وفاة والده قطبِ الزمن الحسن، إلى سنة ١٢٠٤، متع الله لنا بحياته في عافيةٍ، لأنه لم يترك شيئاً من ذلكَ إلا لمرضٍ أو عارضٍ قويّ، أو زيارة على عادةِ جدّه القطبِ الأوحد الحداد، نفع الله بالجميعِ، آمينَ.

* * *

ولم تعرف له صبوةٌ، رضي الله عنه، قال لي الشيخُ العلامة محمد بن أبي بكر بانافع: ونحن وقتَ البلوغِ، أنا والحبيبُ الشيخ أحمد، نطالع في الكتبِ النافعةِ، خصوصاً الفقه، مع حدة الطلبِ، من بعد صلاة العشاء مع الجماعةِ وقراءة الراتبِ إلى طلوع الفجرِ، الليلَ كله، ويأخذون الضوءَ للسراجِ في حزْب الصبحِ في مسجد الحاوي بتريم من الخلوةِ التي نطالعُ فيها من عندنا في الغالب.

وسمعتُ سيدي الوالد يقول: من سنّ التمييز وأنا ما أنامُ إلا معَ طلبةِ العلم في مسجد الحاوي، لأجل المطالعة والصلاة مع الجماعة، وقراءة القرآن المعظّم. وسمعتُ

سيدي قطب الزمن يقولُ: أحمد أعلَمُ مني، ولا أقدر على صبر أحمدَ، ولو قدرتُ على صبر أحمدَ وتحملِه للأمور، لرَجوتُ خيراً كثيراً.

وقلتُ لسيدي الوالدِ، متع الله لنا بحياته: إن سيدي الحسنَ يقولُ: من سنّ التمييز ما أعرفُ أني صليتُ إلا مع الجماعةِ في أول الوقْت بلا عجَلةٍ، ولا نمتُ على جنابةٍ، ولا تركتُ صلاة التسبيح كلَّ ليلةٍ مع قيام الليلِ، ولا تركتُ الاستخارة في كل أمرٍ، فقال لي سيدي الوالد: وأنا كذلك ما نمتُ أبداً وعليَّ جنابةٌ، ولا صليت منفرداً.

* * *

وأما عاداتُ وعباداتُ سيدنا الحسن، وابنِه الحبيب أحمد، نفع الله بهما، فهما مواظبين على ما كان يواظبُ عليه سيدنا القطبُ الأوحد الحدادُ، في العادات والعبادات والزيارات لجنان بشَار، ولا يقدم على الفقيهِ المقدم أحداً، بل هو الشيء كله.

وفي المتابعة لسيدِنا القطب الأوحد الحداد على حسَب ما أراه من أبيهِ سيدنا قطب الزمن الحسن، لأنه من أكثر تلامذته وخواصّه، ومن أكثر الملازمين لوالدِه الأعظم، وعلى حسب ما ذكره سيدُنا الحبيب العارف العلامة محمد بن زين بن سميطٍ في كتاب «غاية القصد والمراد في مناقب سيدنا الأكبر القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد»، نفع الله به. نعم؛ سمعتُ من سيدي الحبيب الحسن يقولُ: «جميع ما يواظب عليه سيدنا الوالدُ من الأورادِ فإني أضَاعفه رجاءَ أن يبلغ ذلكَ ما كان يواظبُ عليه الوالدُ». وأظن أن سيدي الوالد أحمد يضاعفُه كذلكَ كوالده، فإني لم أسمعه منه، ولكني قد أراه يزيد في التهليلِ الألفَ بعد صلاةِ الظهْر، فإن سيدَنا عبدالله ورْدُه ألفٌ من «لا إله إلا الله» بعد صلاة الظهر، وفي شهر رمضانَ، وست من شوالَ: ألفانِ، لتتم سبعينَ ألفاً من «لا إله إلا الله».

* * *

وله كراماتٌ كثيرةٌ، وأفعالٌ حميدة، لم أثبتْ غالبها لكراهتِه لذلكَ، وأحفظ من ذلك الشيء الكثير، وغيري كذلك، لكنه يكره ذلك، والآية الكبرَى، والكرامة العظمى، الاستقامةُ فهي أعظم كرامة، وهو نفعَ الله به على الاستقامَة والمحجّة البيضاءِ، والسبيل الأقوم عند الخاصّ والعامّ، كنارٍ على علمٍ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم.

* * *

حجَّ بيت الله الحرامِ، وزار نبيه محمداً عليه أفضلُ الصلاة والسلامِ، سنةَ ١١٧٥، من هجرة النبي ﷺ، قالَ سيدُنا الوالد في تاريخِ حجَته شعراً :

حجتنَـــــا تنَـــــادي جميــعَ مــن في النّــادي

إن شــئْتَ وقفَــة عَــامي عــامي «رضــا الجــوادِ»

ورأيتُ بخطِّ صنوه العفيفِ عبدالله بن حسن الحداد علوي، ومنه نقلتُ: «الحمدُلله؛ سافر سيدي الأخ الميمونُ أحمد بن حسَن بن الشـيخ الحبيـب عبدالله بن علوي الحداد، بيتَ الله الحرام، يومَ الاثنين الثامن والعشرـون مـن جمـاد الآخـر سـنةَ ١١٧٥، حفظـه الله، وردَّه إلى وطنـه بعـد بلـوغ المقاصدِ، في خير وعافيةٍ، آمين»، انتهى.

* * *

قلتُ: وزار غالب أولياء (اليمَن) كلهم على طريقه، حتى أنه وصل (يفرُس)، وزار الشيخ الكبير أحمد بن علوان، واجتمع بعُلَماء تلك الجهاتِ، خصوصاً بالحرمين الشريفين، وأجلّهم وأعظمهم من انتفعَ به سيدُنا، العارفُ بالله، عبدالله بن جعفر مدهر، قال سيدي الوالدُ: «أقرأ أنا وإياهُ في الحرَم الشريف في «تحفة الشيخ ابن حجر»،

ومعه نسخةٌ بخطّ المؤلفِ الإمام أحمدَ بن حجرٍ».

وكان سيدي الوالدُ لا يفضّلُ على الشيخ أحمد بن حجَرٍ أحداً من معَاصريه.

وسمعتُ الشيخ الفاضل الأديبَ، فارس بن الشيخ محمد بافارس الدَّوعني، يقول: «إن سيدي الحبيب عبدالله بن جعفر مُدْهِر، اغتبطَ بمجيءِ سيدي الحبيب أحمد بن الحسن إلى (مكة المشرفة)، وأثنى عليه كثيراً». وقد رأيتُ من السيدِ عبدالله مدهر للوالد بخطّه إجازاتٍ وأدعيةً، وأوراد غالبها شاذلية.

* * *

قلتُ: وقد جرتْ له الواقعة العظيمة سنة حجَّ هذا، ركب نفعَ الله به بحْراً من بلد سيدنا أبي بكر بن عبدالله العيدرُوس بعدَ زيارته له ببندر (عدَن) المشهور، سافر في مركب (فرنصيص)[1]، فلما وصلوا (كتُنبلْ) قريبَ (القنفذة)، أخطأوا المجرَى المعتادَ، ولما كان ضَحْوة النهار، ضُرِب المركبُ ثلاثاً على جبلٍ في البحْر، وتغير.

فلما رأى الوالد ما جرى أخذَ من متاعه شالاً أخضَر ترمه، كان يتردَّى به سيدنا القطبُ الأوحد عبدالله الحداد وتعمّم به، وراح جميعُ متاعه وكتبِه، وراح كتاب «سفينة» سيدنا قطب الزمن الحسن بن سيدنا الحداد، جمعَها في كل فنّ من العلوم النافعة، ولا له نظيرٌ عندَه، لأنه ما كتب منها نسخةً أخرَى، وجملة الركبة خمسمائة، فراحوا إلا القليل ممن بقيَ مع الوالد نفعَ الله به، ومثلهم نحو ثلاثين خرَجُوا في السنبوق هُم والنواخذ، والسيد عبدالله بن سالم بن عمر بن الشيخ أبو بكر بن سالم.

ومن نظم الوالدِ وهو في هذه الواقِعة، هذا البيتُ:

لك الحمدُ أما مَا نحبُّ فلا نـرَى ... ونسمعُ ما لا نشتهِي فلكَ الحمْـدُ

---

(١) أي: فرنسيس، فرنسيين.

قال سيدنا الوالدُ : وامتلأ المركبُ من ماء البحر لما تغيّر، ولا بقي إلا طرفُ المركبِ، وكنا نمسكُ طرفَه بأيدينا، وأبداننا في البحْر، وإذا تعبتْ أيدينا ركبْنا على طرَفِ المركب كما تركبُ الناسُ على الجمل، وبقينا على ذلك خمسَ ليالٍ بلا قوتٍ ولا ماءٍ، ونقرأ راتب سيدنا الحداد كلّ ليلةٍ.

فبعْد الخمسِ الليالي رأى والي (القنفذَة) الكُنْبَايتي الوزير، قبةً خضراء في محلنا الذي نحنُ فيه في البحْر، فقال لمن عنده: هل ترونَ ما أرى؟ فقالوا: نعم؛ فأرسلَ من عنده مركبانِ كانا وصلا إلى بلدِه، ينظرون خبر القبّة الخضراء، وكان مركباً سائراً من (القنفذة) يريد (اللُّحية)، ورأوا الرّكَبةُ القُبَّةَ الخضراء، فقصَدوا إليها، فسبقَ صاحبُ المركبِ مركبًا صاحبِ (القنفذة)، فلما رأوا علمُوا أن ذلكَ لأجلنا، فأرادوا أن يطلعونا إلى مركبهم أولاً، وبقي من سلِمَ معنا نحوُ الخمسة والعشرينَ، فقلتُ لهم: أطلِعُوا جميع من معي، فلما طلعوا في المركبِ جميعهم، طلعتُ، فلما سيبتُ طرفَ المركبِ غاصَ في البحر ساعته!.

قلتُ: وسمعتُ عن السيد العلامة علويّ بن محمد الكافِ، ساكن (وادي عمْد) قضَاعة، بحضرموت، لأنه كان مع سيدي الوالد في المركب حين انكسارِه، قال: وعطشتُ عطشاً شديداً ونحنُ مع سيدي الحبيب أحمد، فأخذ بيده الكريمَة من البحْر يغرفُ لي ماءً وأنا أشربه، وأجدُه حلواً ببركته، نفع الله به.

* * *

قال سيدي الوالد أحمدُ نفع الله به: لما وصلنا (مكة المشرفة) سنةَ ١١٧٥، واجتمعْنا بالسيد العارف عبدالله بن جعفر مُدهِر، قالَ: إني رأيتُ في المنام أيامَ الانكسار التي وقعتْ عليكم في البحْر، الحبيب القطب عبدالله الحداد نفعَ الله به في المنامِ، وكأنه مهتمٌ لأمرٍ عظيمٍ، وحمل شيء ثقيل، ورأيتُ أثر الحملِ على ظهره

الشريف، من غبار وعيدانٍ، وكان تفسير ذلك ما جرى عليكُم.

اعتنى به، والدليلُ على ذلك: القبة الخضراء، شال الحبيب الذي على الوالد، أخضَر، وكذلك لما أطلقَ المركبَ من يده حيثُ طلع آخرُهم غاصَ في الماء المركبُ، وغير ذلك.

وأعظم من ذلك ثباتُه، لم يتغير عقله مثلَ الذي معَه أبداً، ولم يترك فرضاً من فروض الصلاةِ، بل يتوضأ ويصَلي بالإيماءِ، وكلُّ من سلم معَه من المركبِ رأى منه الخوارِقَ، وبقي يستمدون منه صالحَ الدعواتِ، ويهبون إليه الهباتِ، منهم الشيخ عبدالرحمن المصْري ساكن (المخَا)، حتى في مرضِ موته، فأوصى له بثلث ماله، فقال له أحدُ الحاضِرينَ: سيدنا ما يحبّ الدنيا!، فأوصَى له بمائةِ قرشٍ فرنْسَه، وأوصَى بها، وكان ذا مال كثيرٍ.

* * *

وسمعتُ سيدي الوالدَ محمد بن سالم بن سالم بن عقيلٍ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، يقولُ: سمعت سيدي الحسنَ يقولُ: «أحمد، يعني ابنَه، إذا جاء وقتُه إن أراد أن يقتديَ في العاداتِ بسيدي الوالد عبدالله الحداد جده، وإن شاء أن يقتدي بي وبعمه علوي».

قلتُ: قد أجرَى الله يديه ما كان نواهُ الحبيبُ الحسن أن يفعلَه، فقد نوى أن يعمر مسجد (الحاوي) حقّ والده عبدالله الحداد، وأن يزيد فيه من الشقّ القبلي، حتى أنهم لما قسموا نخْلَ والدِه، قال لهم: أخرجُوا نخلةَ الزارِ التي هي قبليَّ المسجدِ، قال: لأني أردتُ أوسّع مسجد (الحاوي)، فماتَ نفع الله به سنةَ ١١٨٨، ولم يعمره. فعمره ابنُه والدُنا سنةَ ١١٩٥، تاريخُ العمارةِ في أبياتٍ تأتي إن شاء الله في «الديوان المنظوم»، قولُه: «نطلُب المجيدَ يرضي».

نعم؛ وقد نوَى والده قطبُ الزمنِ أن يفعل سقايةً للماءِ للشربِ، للواردينَ

والصادرين، واحدةً: قبليَّ مسجدِ (الحاوي) على الطريقِ، والثانية: قريبَ ضريح سيدنا القطبِ عبدالله الحداد، على يد ولدِه شهاب الدين أحمدَ، ففعل ذلك تقرباً لوجْه الله الكريم، تتميماً لما نواه والده.

* * *

وكم لسيدنا الوالدِ من مآثر صالحةٍ، ونياتٍ صادقة، فهو القائمُ الآن بمنصب سيدنا الإمام الحبيب الأكبر عبدالله بن علوي الحداد، من إطعامِ الطعام، والمقصد في (الحاوي) الميمون لكل الأنامِ، ما أمه قاصدٌ إلا أفلحَ، ولا قاضي حاجَةٍ إلا أنجح.

وهو القائم بالمدارسِ العظيمة المعتادة في زمان جدّه سيدنا الحبيب عبدالله في كل فنٍّ من العلوم النافعة، وهو القائمُ بجميعِ عاداته ومجالسِه المعروفَة، أمه الطالبونَ، وقصده العارفون الصالحونَ، والطالبون المستمدون، وهو المسلّكُ للطريقِ، وهو القائم بطريقة القوم على التحقيقِ، فكم نفع الله به العبادَ، واستوى معه الحاضِرُ والباد، لأنه إمام وقته على الإطلاقِ، والمشار إليه بالإكرام والإنفاقِ، وبالعلوم النافعة بالاتفاقِ، وظهرتْ ولايةُ الله له في الآفاقِ.

* * *

قال السيدُ العلامة محمدُ بن علي بن علوي خرد باعلوي، في كتابه «غُرَر البها»: «قد ورد عن النبيّ ﷺ: **«ما جعل الله من ولي جَاهلٍ»**، وقال النوويُّ في «شرْح المهذّب»: وفي «التبيان»: عن الإمامينِ الجليلينِ، أبي حنيفة النعمان، وأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعيّ عليهما الرحمةُ والرضوان، أنهما قالاَ: **«إن لم يكُنِ العلَماء أولياءَ فليسَ لله ولي»**، وفي بعْضِ الأخبار عن النبي ﷺ: **«ما جعلَ الله من ولي جَاهل»**، وفي بعض : **«إن لم يكن العلماءُ العاملون أولياءَ الله؛ فما لله ولي»**، أسندَ ذلك عن الإمام الشافعيّ الإمامُ البيهقيُّ، والخطيبُ البغداديُّ. وقد جاء في الحديث القدسي الصّحيح

وغيره: «فما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»، قال في «غرر البهاء» أيضاً: «فالذي يعرف أربعينَ مسألةً، يسمَّى عند الفقهاء فقيهاً».

قلتُ: وإن كان هذا القولُ مرجوًّا، فاحترِمْ من يحفظْ ذلكَ وعظمْه، فإنه ولي لله، فكيف من يحفظ آلافاً مؤلفةً، وكتبا كثيرةً، فالعاقبة للمتقين، اتقِ الله واحفظ دينكَ ونفسك وعاقبتكَ، فقد قيلَ: إن لحوم العلماء مسمومةٌ، وعادةَالله في منتقصِيهم معلومة، قال الإمام عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَه، ورضي عنه وعنا به: «إذا أعرضَ الله عن العبدِ ورَّثه الإنكارَ على أهل الدياناتِ».

وقال أبو ترابٍ النخشبيُّ: إذا أعرضَ العبدُ عن الله، أورثه الإنكارَ على أولياء الله.

وانظرْ في فضْلِ العلم وأهلِه، والمتعلمينَ والمعلمينَ، الذين هم ورثة الأنبياء، تعرِفْ أن المسكَ ما يطرحُه العاقلُ إلا في ظرفٍ مليحٍ، قالَ الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فلا يطرحُ العلمَ اللدنيَّ إلا في الرجُلِ الكامل، وهو العليم الخبير، يهدي من يشاءُ ويضِلّ من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قديرٌ.

* * *

كان سيدُنا الوالد، شيخ وقته وزمنه، حاز قصب السبقِ وأعلا الدرجاتِ، وبلغ أعلى النهايات، علّامة وقته، وابن حجر زمانه، ونووي كلامه وبرهانه، وغَزالي أقرانه، وبخاري إخوانه، وبغوي مكانه، وجنيدي سلطانه، وجيلانيّ سرِّه وإعلانه، وشافعي إمكانه، وأشعري إيمانه، بل هو خليفة المصطفى ﷺ، وعليّ المرتضَى، والحسينين والزهراء، وخديجة الكبرى، وعلي العابدين، وابنه محمد، والصادق، والعريضي، وهلم جرًّا، مثل جده الإمام أحمد بن عيسى، وأولاده الكرام، وأبنائهم الأعلام، كان مقدم

وقته، وسقاف جهتِه، ومحضار عشيرته، وعيدروسيَّ صولته، وحداد مشيخته، وهو خليفته، ومظهر طريقته.

كان من العلماءِ العالمين المعدودين عند الله ورسُوله من علماءِ الآخرةِ، بالدلائل القطعية الظاهرة، والأمارة الباهرة، كما ذكر سيدنا القطبُ الحبيب الغَوث عبدُالله بن علوي الحداد، في وصف علماء الآخرةِ، في كتابه «النصائح الدينية»، فانظره فيها، فلقد والله رأينا ذلك عياناً في سيدنا الوالدِ، فلا نجلسُ مجلساً، ولا نحضر مدْرساً من مدارسه، إلا ويملي علينا من الكتابِ والسنةِ بالأسانيدِ والشواهد ما يبهِرُ عقولنا، وعقلَ كل سامعٍ، فلذلك اعترفوا له أهلُ زمانه، لمعرفته بالأصول والفروع، والقواعد والضوابط.

* * *

وكان نفع الله به ناشراً له سبعٌ وخمسون سنةً وهو يدرّسُ العلومَ، فكم نفعَ الله به العبادَ، وأحيى به البلاد، وصنفَ في ذلك كتباً كما ذكرناها أولاً، لمن لا تبلغه دعوتُه، وأحبتْ كتبه الناسُ، ومن صغره جمعَ الله له العلمَ والفهْمَ فيه والحفظ وهذا نادرٌ، ومن حفظه قال: أولُ جمعة صليتُها بمسجدِ الجامع بتَريم، سمعتُ الخطيبَ في خطبته بخُطَب ابن نباتَةَ في الدنيا، وصفها بأم حبَوكرَى، فإذا خطبَ بها في شهر ربيع الثاني وأتى بها ذكرتُ ما تقدم لي في هذه الخطبة عما فهمته منها في الوَعْظ، وهو أن معنَى هذا اللفظِ في الوعْظ تعقِرُ رجْلي الآدمي عند القتال من الخوفِ، فلم يقدر يسيرُ على رجلَيه، والدنيا كأم حبَوكرَى تعْقر صاحبَها عن سلوك الآخرة.

* * *

وكان إذا زاره العامّةُ يخاطبهم بما تفهمُه عقولهم، ويبينُ لهم الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعاتِ، ويذكر لهم الثواب والعقابَ على الإحسان والإساءة،

ويزيدُ كلا بما هو ملابسٌ له، وكان رفيقاً شفيقاً، محبًّا لطلبة العلم والمريدينَ، يصبر عليهم، ويتألفهم ويقوم بمصالحهم، كلٌ منهم يرَى أنه يحبّه أكثر من الآخر، يخاطبُ كلا على قدْر فهمه، لا يقولُ كما قال القائلُ:

عليَّ نحتُ القوافي مـن معَادنهـا   ومـا عـليَّ إذا لم تفهَـمِ البقَـرُ

* * *

خصّه الله بالقريحة الوقادَة، والدماغ الرطب، هو ووالده قطبُ الزمن الحسن، ولما شكوتُ على جدّي ضعْفَ الدماغِ ويبْسِه، خصوصاً عند المطالعة، قال: من نعم الله عليَّ وعلى الولد أحمدَ، رطوبة الدماغِ، وصحة البدنِ، مع التوفيق للطاعَة، ولا نسأم من المطالعة، هذه معونة لنا من الله عز وجل.

قلتُ: فالحمدلله أن لهما من الله عنايةٌ سابقةٌ، وهما من الضنائنِ من عبادِ الله، قال الإمام الرّدادُ في كتابه «موجبات الرحمة»، في ذكر الضَّنائنِ وفضَائلهم، قال: «عن سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن لله ضنائن من عباده يضن بهم على الفتن والأمراض يعيشهم في عافية ويميتهم في عافية**»، وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «**إن لله ضنائنَ من عباده، يغذوهم في رحمته، ويحييهم في عافيةٍ، فإذا توفاهُم توفاهم إلى الجنة أولئكَ الذين تمور** - أي تدورُ عليهمُ الفتَن - **وهم منها في عافية**»، وفي روايةٍ: «**يطيلُ أعمارَهم، ويحسّن أرزاقهم، ويحييهم في عافيةٍ، ويقبض أرواحهم في عافيةٍ، فيعطيهم منازلَ الشهداء**»، انتهى. **اللهُمَّ** أدخِلنا في غمارِهم، وأفض علينا من بركاتهم، بمنّك وفضلكَ يا الله يا كريمُ.

* * *

[أخذه عن عمه علوي بن عبدالله الحداد]

وقرأ سيدي الوالدُ كتباً كثيرةً في الحديثِ، والتصوفِ، والتفسير، على عمه الولي الصوفي علوي بن سيدنا الحبيبِ عبدالله بن علوي الحداد، وكان عمّه يحبه كثيراً، وكان محترِماً معظِّما لعمّه المذكور، قال سيدنا الوالد: إن العمَّ علويًّا لما أرادَ الحجَّ طلبني أسيرُ معه الحجَّ، وألحّ كثيراً، مرادُه نفْعَ عبادِ الله بعلمِ الفقه، وهو كافٍ في علُوم القوم وسيرهم.

* * *

وانتفعَ سيدي الوالدُ بأعمامه الجميعِ؛ وكان عمّه زينُ العابدين وهو بـ(الصّبر) يفرحُ بما أوتي سيدي الوالدُ من العلومِ الكثيرةِ، إذا أخبروه عنه، ويسأل عنه من وصَل إليه، كما سمعنا بذلكَ.

* * *

[ذكر اعتناء خاله عمر حَامد؛ إمام باعلوي]

وكان خاله الإمامُ القدوة، تلميذُ سيدنا الأوحد الحداد الأكبر، شجاعُ الدين عمر بن حامد بن علوي بن الشّيخ عمر بن أحمد المنفِّر باعلوي، يحبه كثيراً، ويميل إليه، ويدعو له ولإخوانه، وحاطّ نظرَه عليهم، يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، له الشفقة التامةُ عليهم، وقد قال له الحبيب عبدالله الحداد في مرَضه الذي ماتَ فيه: «أنت يا عمر من الخلائف، الله الله في أولادِنا»، يشير عليه بالوالدِ وإخوانهِ، لأنهم ولدوا وتربوا وقْتَ الصّغر في بيتٍ واحدٍ، هُم ووالدتهم وخَالهم المذكور، بـ(تريم).

وأما سيدي الحبيبُ الحسن يطلَع وقْتَ الليل عندَهم، ويوم الثلوث، كما أخبرني سيدي الحبيب الحسنُ، ثم بعد وفاة الحبيب عبدالله الحداد، ولسيدي الوالد خمسُ سنينَ

وستةَ عشر يوماً، خرجوا إلى (الحاوي)، إلى البيت الذي كان فيه سيدنا القطب عبدالله بن علوي الحداد ويختلفون على خالهم ويختلفُ عليهم، ويدعو لهم بدعواتٍ صالحةٍ، فحقق الله رجاءَه بسيدي الوالد أحمد.

قال سيدي الحبيبُ محمد بن زين بن سميطٍ، في كتابه الذي عدَّ فيه الآخذين عن سيدنا عبدالله الحداد، قالَ في ترجمة خَال الوالدِ عمر حامد، قال: «طلعنا على سيدي عبدالله الحداد في مرضِ موته مع سيدي عمر، في جمعٍ، قال له: أنتَ من الخلائف يا عمر، الله الله في أولادِنا، ثلاثَ مراتٍ». فانظر اعتناء الحبيب عبدالله بالوالد وإخوته.

وكان الوالدُ يشبه في أخلاقه خالَه عُمر، وسيدَنا الحبيبَ عُمَر بن سيدنا الحبيب عبدالرحمن البار، كلاهما تلامذَة جدّه، كان العمرانِ ما لهما نظيرٌ في المداراةِ ومسايرة الخلقِ، يصبران على الجفاءِ، ويتَخلّقانِ بأخلاق المصطفى ﷺ.

* * *

[فائدةٌ: في المدارة]

ونذكر هنا المداراةَ وغيرها. **اعلمْ أنّ المدارةَ**، هو إنفاقُ المالِ لأجل المآلِ، ولأجل الدِّين، ولهذا قالَ سيدُنا أنسٌ: «لولا عيالي ما داريتُ الحجاجَ»، أي: بالكلام الطيب. **وأما المداهنةُ**: فهي مذمومةٌ جدًّا، وهي إنفاقُ الدِّينِ لأجل الدُّنيا، والعياذ بالله.

قلتُ: وتغافلَ سيدي الوالدُ عن رجلٍ من السادةِ، وكان يوماً فعلَ أمراً ما أحسَن عندي فيه التغافُل، فلما دخلتُ ثانياً إلى عندِه، في حضرته، أعطاني هذا المكتوبَ، وقالَ: انظُرْه، فعلمتُ أنه اطلعَ على ما عندي فإذا فيه:

«**الغبيُّ**: قليلُ الفطنةِ، الجاهلُ. وما أحسنَ ما قال القائلُ:

لــيس الغبــيُّ بســيدٍ في قومِــه ... بــل إن ســيدَ قومِــه المتغافِــلُ

وهذا قريبٌ من قولِ الشافعيّ رضي الله عنه: العاقلُ، هو الفطن المتغافلُ. وكان الشيخ أبوبكر باعلوي رضي الله عنه، كثيراً ما يقولُ: «عوِّدْ نفسَك التغافلَ، فإن عليه مدارُ مصَالح أهل الزمانِ، ووافقِ الكلَّ، واجعل النيةَ مع الله»، انتهى. وقال الحبيب عبدالله الحداد في كتابه «الدعوة التامة»: «قالَ الإمام أحمدُ بن حنبل، رحمه الله تعالى: العافيةُ عشرةُ أجزاءٍ، كلّها في التغافُلِ».

* * *

فائدة جامعة: من كلامِ الحبيبِ الأستاذ العارفِ بالله، عمر بن عبدالرحمن البار، نفعَ الله به، قالَ: «كلّ أمرٍ بلا تقْوَى ما له بقْوَى، وكلّما زادتِ التقوَى زادَ البقْوَى.

وقال نفعَ الله به: من زادَ حرْصُه زادَ تمحيصُه. **وقال رضي الله عنه:** كلّ أمر يحدثُ عليكَ والدنيا تصلحُه، وتبخلُ بها في صَلاحهِ، فأنتَ قليلُ عقلٍ. **وقال أيضاً:** من صبَرَ اجْتَبر. **وقال:** الصَّبر مرٌ كالصَّبِر، ولكنه حلوُ الثمَر.

وقال نفع الله به: منْ أرادَ أن يعيشَ في صفاءٍ، فليدارِ الناسَ، حَد من صدْقٍ، وحَد من تفاتفْ. **وقال رضي الله عنه:** ما ملكنَاهم إلا يوم تركْنَاهم، ولا سترناهم إلا يوم سَايرْناهم. **وقال في** المسَايرة للخلقِ، يوصي بعضَ أولاده: إياكَ والمداخَلة في الكلامِ، مَن قالَ: أنا، فقل: أنتَ!، ومن قالَ: أبي؛ فقُلْ: أبوكَ!، ومن قالَ: جدّي، فقل: جدّك!، ويكون ذلك مع البشَاشة والانبساطِ». نقلته من خط بعضِ تلامذتِه، وأثبتُّه لأجلِ الحفظِ.

* * *

[ذكر زيارته للحبيب عمر البار، سنة ١١٤٧هـ]

وقال سيدي الوالدُ: «السيد عمر نورٌ كله، إذا رأيته قلتَ قطعةُ نورٍ، وولدُه طه

شبهه في الصورة». وقال سيدي الوالدُ لما زرْنا السيدَ عمر المذكور، سنةَ ١١٤٧، وهي أولُ زيارةٍ لنا، لزيارةِ الشيخ سعيد العمودي، فرح بنا كثيراً، وكان مجيئي بعد حصُول السيل الهائلِ، سيل الإكليل الذي شلّ النخيلَ من (وادي دَوعن)، وقال لي: فرحنا بك كثيراً، ولكن ما فرحنا لكَ من جهة الخلقِ، بايشْكُون عليكَ ما وقع عليهم، وبايكثرون الطلبَ منك أن يجبر كسْرَهم، ولا با يحصُل منهم مددٌ كثير من جهة الدنيا.

وانتفع سيدي الوالدُ بسيدي عُمر كثيراً، وكان سيدي عمر البار يعظمُه ويبجّله كثيراً، ولا يتقدم عليه في إمامةِ الصلاةِ، وفي شرب القهوةِ، حتى قال سيدي الوالدُ: «في أيام زيارتي هذه ونحنُ بحضْرة السيدِ البقية عمر، أمَر بالقهوة فجيءَ بها، فأمر بها فأديرتْ، فجاء الديار بفنجانِ القهوة مجبّر، ولم ينظرْه السيد عُمر إلا وهو تحتي، فلما نظرَه صاحَ على الديَّار، وقال: شلّه وهات غيره، ما نطيق له ولا لوالدِه، أما تعلم أنه ولد حسن بن عبد الله الحداد؟».

وقرأ عليه الوالدُ وانتفعَ به كثيراً، قال سيدي الوالد: وكنا نتذاكر نحْنُ والحبيبُ عمر البار يوماً في الصَّبر على القريبِ والبعيدِ، قلتُ له: إن سيدي الوالد الحسنَ، قالَ لوالده القطب عبدالله: أما أن تكفينا فلاناً من السادَة، وامنعنا منه، وإلا خلّنا وإياهُ نكفي بوادِره؟ فقال له سيدي عبدالله : اطْرح الكتابَ وافعَلْ مثل فعْلهِ، وإن كان سيد، وإلا ابقَ على ما أنتَ عليه واصبرْ، ففرح بذلك السيدُ عمر، وقال: أعْلِمْ بذلك ولدَنا علويًّا، وكان بينه وبين الشيخ حسين العمودي مباينةٌ على أمرٍ، فقال لوالده عمر: لا تخليه يطلعْ عليكم، فقال له: ما أنا رادّ أحداً من بيتي، وأنت إذا لم ترِدْه يطلع إذا جَاء، اخرُجْ إلى الباب أنتَ واقلده، فلهذا قالَ للوالد: أعلِمْ علويًّا، فأخبر ابنه علويا بذلك»، انتهى.

* * *

[ذكر الشيخ محمد بن ياسين باقيس]

قلتُ: وكذلك كان الشيخُ محمد بن ياسين باقيس، صاحب (حلبُون) بدوعن، ينوه بشأن سيدي الوالدِ كثيراً، ويحبه ويميلُ إليه، ويقول بفَضْله، ولا يتقدم عليه في صلاةٍ ولا في غيرها، ويقولُ لأهل (دَوعن)، ويرسل لمن غابَ عنه إذا جاءَ سيدنا الوالدُ إلى (دوعن): «الغنيمة الغنيمةَ، جاءكُم السيلُ إلى عندكم، فاشربوا وأورِدُوا، هذا الحبيبُ ابن الحبيبِ، والإمام ابن الإمام».

* * *

[ذكر السيد محمد بن جعفر العيدروس]

وكذلك **سمعتُ** سيدي البقية محمد بن جعفر العيدروس، لما زاره الوالدُ وهو ما يخرج لكبر سنه، وضَعفِ القوَى، لما زاره الوالدُ وهو طالعٌ عليه في الدرَجِ، و السيد محمد يقول: «مرحباً بالحبيبِ ابن الحبيب ابن الحبيب»، ويردّدها مدةً بأعلى صوته.

* * *

[ذكر الحبيب علي بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر]

ولما وصلَ سيدي الوالد لزيارة الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي بـ(عينات)، وللصّلاة على الشيخ أحمد بن الشيخ علي تلميذ الحبيب عبدالله الحداد، لما توفي سنةَ زار السيدَ المكاشف عيدروس بن الشيخ سالم بن عمر بن الشيخ أبي بكر بن سالم، ولحق عندَه السيد الأجل محمد بن جعفر العيدروس المتقدم ذكرُه، وجملةً من أكابرِ السادة، وقد السيد عيدروس ملقَى على الفراشِ، ما يقعُد حتى للزائرينَ من ضعف الكبر، فلما دخل عليه الوالدُ فرحَ به كثيراً، وضمه إلى نحْره مدّة ساعةٍ أو ساعتينِ، وبكى في نحْرِ الوالدِ كالمستمدّ منه، وأجلسَه عند رأسِه، وعظّمه واحترمَه زيادةً على من حضَر ممن هو

أسنّ منه، فتعجب الحاضرون، وعلمُوا أنه رأى ما أبهر عَقله، وحير لبَّه، من عطية الله لسيدي الوالدِ نفع الله به.

* * *

[ذكر ثناء الحبيب عُمر بن سميط في الحبيبِ أحمد]

وقال سيدي الحبيبُ العارف بالله عمر بن زين بن سميط باعلوي: «قال سيدي الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي: ما سمعْنا ولا رأينا مثلَ سيدنا الحبيبِ أحمد بن حسن بن الله الحداد، وطاعته لوالده الحبيب حسن، ولا يوجد مثله في هذا الزمانِ، مع شدة سلطنةِ والدِه في الأمر والنهي، وعظم هيبتِه، وقام بغَاية البر والإحسانِ وكمال العقلِ والاتّباع، ما هذه إلا آيةٌ كبيرَة، ونعمة عظيمة».

ولما توفي سيدنا قطبُ الزمن الحسن، ما وصلَ سيدنا الحبيب جعفرٌ المذكورُ إلا في شهر رجب، في جمع عظيم من الناسِ، نحو الألف، وقال: ما وصلت إلى (حاوي تريم) إلا لأجل نظرَةٍ في سيدنا الحبيب أحمد بن حسن الحداد، وتأييداً لمقامه، وتوهينا لأعدائه، مع كبر سني وضَعْف قوتي.

ولما دخلَ درس العصْر عند سيدي الوالد، سأله عن مسائل فأجابه في جميعِ ما سألَ، فلما قام دخلا دار الحبيب عبدالله الحداد، حيثُ هو أنزلوه فيه، عارضَه ابنه أحمد ابن جعفر عند البابِ، فقال له: الحمد لله، الآنَ حيي الحبيب القطبُ الله الحداد بمقَام الحبيب أحمد في مقامه.

وكان سيدي عمر المذكور ينوّه بشأن سيدنا الوالدِ كثيراً، ولا يفضل عليه أحداً من أهل هذا الزمانِ، ولا يتقدم في صلاةٍ ولا دعاءٍ ولا قهوةٍ عليه، ويقول: إنه حامل أسرارِ والده وجدّه القطبِ الغوث عبدالله الحداد، وهو خليفتهما وعينُ (تريم) وكل الأقاليم.

نعم؛ لو أردنا أن ننقلَ جميع ما تكلم به في سيدنا الشيخ الوالد أحمد لطالَ بنا الكلامُ، واحتاج إلى مؤلفٍ مستقل، والقليل يدل على الكثير.

ولما زرتُ في شهر الحجة سيدَنا وشيخنا عمر المذكور، سنةَ ١٢٠٠، وقصدتُ الاستيداع منه بعد إذنه لي في المسيرِ، قال لي: سلم على والدك الحبيب أحمد، والحبيب حامد، أما علمت أنهما روحُ العالم كلّه؟. ثم قالَ: وقُلْ لهما بأبياتِ سيدنا الشّيخ:

وإخوانُ صدقٍ أوحشَ القلبَ بعدُهم   فلله ما لاقيتُ من حرٍّ فرقَةِ

دياري نأتْ عن دُورِهم وتباعدَتْ   منازلنَا لا عن قِلاءٍ وجَفْوة

إلى أن قالَ:

* وتسْري به عنَّا الغمُوم الملمّةِ *

ووقعتْ لنا مع سيدي عمر وقائعُ، وجرت لنا منه كراماتٌ ظاهرات باهراتٌ، ليس هنا محلُّ ذكرها، ولقننا الذكرَ، وأجازنا وحظينا به، **وقال** في الحبيب أحمد بن حسن الحداد: «هو المجدّد للدينِ لأهل القرْن الثالث عشر»، **وقال:** «إنه يشبه الحبيب أحمد بن زين الحبشي، على سَعة علمِه بقي في صُورةِ طالبٍ يقرأ على الحبيب عبدالله أربعا وستينَ سنةً، وكذلك الحبيب أحمدُ بن حسن، بقي يقرأ على والده»، نفع الله بالجميع.

وقال سيدي عمر: «سمعتُ بعض السادة من أهل (تريم) يقولُ: ما عندعبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه، وما عند طاهر بن محمد بن هاشم من العلوم والفهوم، عند السيد عبدالرحمن سعةُ علمٍ، وعند طاهر فهمٌ خارق، وجمعَ ذلك الحبيب أحمد بن حسن الحداد»، نفع الله بهم وأطلعَ علينا من أسرارهم.

ومرةً قال: «إنه القطبُ الفرد، مركز دائرة الوجود». **ومرةً قالَ:** «أشهد أن سيدنا أحمدَ بن حسن حاملُ رايةِ الحبيب عبدالله الحداد، **وقال:** لم أكن أزور وأتكلف إلى

(تريم) إلا لأجل الحبيب أحمد بن حسن، لا غير».

* * *

[ذكر ثناء الحبيب سقاف بن محمد السقاف]

وكان سيدُنا الحبيب القدوةُ، سقاف بن محمد [بن عمر] بن طه السقاف، صاحب (سيون)، يطنب في الثناء والمدحِ في سيدنا الوالد، ويقول: هو أعلم أهل زمانهِ، وإذا جاء كلامه رمينا بكلام غيره. ويتمثلُ بما قيلَ:

إذا قالــتْ حــذام فصَــدّقوها   فـإن القـولَ مـا قالـتْ حَـذام

ويبثّ عليه أسرارَه، ويطلب منه الدعاء في جميع أوطَاره، وأوصَاه بأولاده قبيلَ موته بأيامٍ، كتب له بذلكَ. ولما اتفقَ به في زيارة سيدنا الوالد مع رجُوعه من زيارة نبيّ الله عَسْنب بـ(وادي سَر)، بكى وهملتْ عيناه من حين نظر إلى سيدنا الوالد، والتزمه، وذلك على خلاف ما يعتاده أولاً، فلم يتفق به بعد تلك المرة، رضي الله عنهما ونفعنا بهما. وقال سيدي العلامة سقافُ المذكور، بعد أن أقسم بالله قسماً وحلف يميناً بارةً: إني لا أفضل أحداً على سيدي أحمدَ بن حسنٍ على وجه الأرض.

وكان علماءُ زمانه كلهم يبجّلونه ويعترفون له بالولايةِ وسعة العلومِ، حتى جملة من أهل الكشفِ في الحرمين و(اليمَن) كاشفونا بذلكَ، بأنه مركز دائرة الوجودِ، وأقروا له بذلك. سمعتُ الشيخ عليَّ بن عالِ الفُلّاني، ساكنَ (المدينة) الشريفة، سنةَ زرْنا سيد المرسلين ﷺ، قالَ: إن والدَك القطبُ الغوثُ اليومَ، وإني أحفَظُ القرآن العظيمَ، وأعرف علومَ نصفِه، حدًّا ومطَّلعاً، وظاهراً وباطناً، والنصْفُ الآخر لم أعرفه، اسْأله لي أني أعرفه مثل الأول. وكذلك الحبيب محسِن بن علوي مقيبل، وغيره، معترفون للوالدِ بالإمامة والزعامة.

وكان سيدُنا العلامة الصوفي حامدُ بن عمر حامد إذا أشكلتْ عليه مسألةٌ قالَ: اسألوا الحبيب أحمد. فإذا أعلموه أن سيدَنا الوالد تكلم على مسألةٍ، قال: الكلامُ على ما قاله، هو أعلم بذلك من الجميع. وكان والدُه سيدنا الحسن قطبُ الزمن، يقول: أحمدُ أعلم منّا، يشير إلى ابنه المذكور. وكانت تأتيه السؤالاتُ الكثيرة في فنونِ أبواب الفقه، فيجيب عنها. وقد جمعَ سيدي الأديب عبدُالله بن سيدي الوالد أحمد غالب سؤالاته، سماها الوالد «القول الصواب في جواب أسئلة الإخوان والأصحاب».

* * *

وقال الشيخُ الفاضل صالحُ بن عبد المانع بانافع، تلميذ سيدنا الحبيب الأكبر عبدالله الحداد: وكان سيدنا القطبُ عبدالله الحداد ما ينادي سيدي الحبيب أحمد بن حسن إلا بقوله: «يا سلطان».

قلتُ: فاعجب لهذه البشارة والكلمة التي جمعت الزعامة والشهامة والإمامة.

قال صالحُ المذكور: وكنتُ أخرجُ بسيدي أحمد من بيتِ السادة آل الحامد وأطلع به من (الحاوي) إليهم، لأن والدة الحبيب أحمد مخلّيها الحبيبُ الحسن عند أهلها، هي وأولادها، لئلا يشغلونه عن خدْمة والده القطبِ، فكنتُ أخرج بسيدي الحبيب أحمد وأطلعُ به. ومرةً وأنا حاملُه وطالعٌ به، وافقَ طلوعَ جدّه إلى البلاد من (الحاوي)، فكنت حامله وأسير قريب منه وهو راكبٌ على فرسه، فعثرتُ وأنا حاملٌ سيدي أحمد، فاستغثتُ بسيدي فلم يسقط سيدي أحمد على الأرضِ من بركة جدّه، بقيتْ يدي قابضةً عليه، ورأيت جدّه القطب عبدالله الحداد شقّ عليه سقوطُه كثيراً جدا، فعلمْنا أنه يحبه حبا كثيراً، ومتوقع في خاطري أنه يكون له شأنٌ عظيم، لما أرى ما يفعله جدّه، فحقق الله له ذلك، والحمد لله رب العالمين. **قلتُ**: وتوفي صالحُ المذكور سنةَ ١١٩٦.

وقال الشيخ المنوّر، سعيد بامحمد باطَويل العمودي، ساكن (صُبَيخ): رأيتُ كأن الشيطانَ الرجيم جاء إلى عندي، فاستغثتُ بسيدي أحمد بن حسن، فأغاثني. رأيتُ كأنه في السماء ودلَّى لي بسلسلةٍ وصرفَ الشيطان وجذبني، وقال له: لا تعود تجيء أصحابي. قالَ: فلما انتبهتُ قيدتُ الرؤيا، فلما وصل سيدي الحبيب أحمد إلى (دوعن) في بعض زياراته أعلمته بها، فقال لي : لا تعلم بها أحداً، نفع الله به، قالَ ذلك كراهة للشهرة.

* * *

وأخبرني الشيخ الصّالح العلامة، محمد بن رُومي الحجَازي، قال لي ونحْنُ بـ(باطنَة عمان): إني إذا أستغيثُ بسيدي أحمد ووالِده الحسن، يظهران لي عياناً في اليقظَة.

وأخبرني بصورتهما التي يظهرانِ فيها، فتعجبتُ منه، لأنه لم يتفقْ بهما أبداً، ولم يعرف (تريم) ولا (حضرموت)، ولم يتفق بهما أيامَ حجهما، بل جاء من (الحجَاز) إلى بلد (الأحساء)، وألقى قياده لبعض الكبار، وأخذ عن الشجّار الأحسائيّ، وغيره من المشايخِ، وعنده «شرح راتب الحبيب» لسيدي الوالد، وكان للحجَازيّ مكاشفاتٌ وكراماتٌ يحفظونها أهل بلدة (باطنة عمان)، نفع الله به آمينَ.

* * *

وأعلمني الشيخُ العلامة الصوفي، محمد بن أبي بكر بانافع، ساكن (صعيد يشبم) بـ(أرض العوالق)، قالَ: رأيتُ سيدي الحبيب أحمد في المنام، كأنه على كرسي من نور، وهو في الهواء مرتفعاً جدا على الأرضِ، أنظره بالعينِ وهو فوقي، وكأن المكان الذي أنا فيه مثل الجوْلِ الذي على الجبل، فاستغثتُ به، فأمر بطلوعي إلى عنده، فكأني طلعتُ إلى عنده بشدةٍ. **قلتُ**: وكان الشيخُ محمد والوالدُ يطلبانِ العلم معاً على سيدي الحبيب

حسنٍ، وكانت الرؤيا هذه في بداية سيدي الوالد، وللشيخ محمد مرائي مباركاتٌ في سيدنا الوالدِ تركناها اختصاراً.

* * *

ورأى بعضُ السادة في المنامِ: كأن جمع السادة آل الحداد، ومن جملتهم القطبُ الغوث عبدالله الحداد، وشيخنا القطب الحبيب الحسن، وإخوانه الجميع في مسجد (الحاوي)، وكأن الحبيب عبدالله في المحرابِ على صورة الوالد أحمد، ثم قام من المحرابِ والوالدُ جالسٌ، وأعطاه شيئاً معه فأكله، ثم صبَّ عليه جميع ما هو حاملُه، وطرحه في ثوب سيدي الوالدِ، فلفه الوالدُ وأخذه.

* * *

ورأى بعضُ السادة من طلبة العلمِ من آل الهندوان: كأن سيدنا المحضَار عمر بن عبدالرحمن السقاف، وصاحبَ الهجيرة، في مسجِد الهجيرة، ثم خرَج من المسجد إلى تحتِ مسْجد سيدنا المحضَار، إلى العُود الذي يجعلونَه في الطريقِ معروضاً لئلا تمرَّ الدوابُّ احتراماً للمسجدِ، وكأنّ على كتفَي سيدي المحضَار ويديهِ نواقيسُ لها صوتٌ تصلصلُ، معلقاتٌ بسلاسلَ، وكأن صاحبَ الهجيرة على صورة سيدي أحمد بن حسن الحداد، سواءً بسواءٍ، وكأن عليه ثيابٌ بيضٌ من العالياتِ شديداتِ البياض.

قلتُ: وصاحبُ الهجيرة سيدُنا الحبيب القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد.

* * *

وأخبرني جملةٌ من أهل (دوعن) وأهل (شبام) وغيرهما، أن سيدنا الحبيب أحمد إذا توجّه إلى شيء من البلدان المذكوراتِ يرونَ الحبيب عبدالله الحداد كأنّه وصَلها قبله

بليلةٍ أو ليلتينِ، ففي ذلك إشارةٌ لعناية الحبيب به، وأنه خليفته، وكانوا مجربين أن السيلَ يجيءُ وهو فيها أو بعدَه بقليلٍ، فكانوا يفرحون به.

وجملةٌ أخبروا: أنه إذا أراد الله أن يسقيهم السيلَ، يرون الحبيب الشيخَ وصلَ إلى بلدِهم فيجيءُ السيل قريباً بعد أن يروه، فكانوا يفرَحون برؤياه في المنام.

* * *

ورأيتُ النبيّ محمداً ﷺ وعلى صحبه وأنا ببلد (هرْمز) المعروفة، قريب (بندر عباس) لما وصلنا إليها وصُمنا رمضان بها سنةَ ١١٩٣، كأنه صلوات الله وسلامُه عليه على صورتِه ولابسٌ ثيابه التي كنتُ أعرفه يلبسها، ففرحتُ بذلكَ، وكانت الرؤيا في الشهر المبارك المذكور.

* * *

وأخبرني السيدُ الشريف، طالبُ العلم المنيف، هاشم بن السيد علي بن الحبيب جعفر بن الشيخ أحمد بن زين الحبشي علوي، قالَ: رأيتُ كأني بـ(تريم) في مسجدٍ كبير ملآناً ذلك المسجدُ من الناسِ، فجاء رجلٌ، وقال: مرادكم تنظرون أويساً القرني رضي الله عنه؟ فقالوا: نعم. فخرجتُ مع من خرجَ من السادة الذي حضروا كلام ذلك الرجلِ، فقال: هذا أويسٌ أقبلَ، فنظرناهُ فإذا هو على صورة سيدنا الحبيب قطب الزمن [الحسن] بن سيدي عبدالله بن علوي الحداد، سواءً، وثيابه مثل ثيابِه، ولابسٌ الخودة مثله، فتبعناه فدخلَ المسجد عند الجمعِ العظيم، فركع ركعتينِ، وبعد الركوع بقي يتلوّن صوراً كثيرةً، فتعجبتُ من ذلك.

ثم جاء رجلٌ ونحنُ في المسجدِ المذكور مع الجمعِ الكثير، فقال: مرادكم تنظرون

النبي محمداً ﷺ؟ على صورةِ سيدنا الشيخ الحبيب أحمد بن الحسن سواءً[١]، وخرجوا الجمع وعارضُوه، ودخل المسجدَ هو والجمعُ المذكور، وجلسَ في محرابِ المسجد، وانكبّ عليه، وجئتُ إليه وقبلتُ قدمَه، وخاطبته وقلتُ له: إن لنا منكم يداً وصلةً من سيدنا الحبيب عبدالله الحداد، وكأني أخاطبه كمخاطبتي لسيدي الحبيب أحمد بن حسن، فقال: الأمر كذلك.

قال السيد هاشم: «فقصصتُ الرؤيا على سيدي العارف بالله عمر بن زين بن سميطٍ، ففرح بها كثيراً، ولما وصل هاشمٌ لزيارة سيدي الوالد مع أعمامِه أولاد سيدي جعفر، أعلمني بالرؤيا، وقالَ: قصَّها على والدكَ، أمرني بذلك سيدي الحبيب عمر بن سميط، ومعي الخوفُ من هيبته أن أقصَّها عليه، فأعلمتُ سيدي الوالد، فقال: رؤياه لسيدي الوالد على صورة أويسٍ القرني فيها إشارةٌ إلى زهد الوالدِ، ورؤياه للنبي ﷺ على صورتي فيها إشارةٌ إلى الظهورِ الذي كلّفْنا به من غيرِ اختيارنا»، انتهى بمعناهُ، وألبسه سيدنا الوالد عند ذلكَ، بشارةً بالرؤيا المباركة.

* * *

ورأى محبّنا الفقيهُ أحمد بن أبي بكر الشبلي الحباني: كأن النبي ﷺ في دار الحبيبِ الذي في البلد (تريم)، شرقيَّ مسجد باعلوي، قال: فطلعتُ أنظرُه، صلوات الله وسلامه عليه فلما دخلتُ المحضرةَ وجدته جالساً عند بابِ المجلس، وهو على صورة سيدي وملاذي الأستاذِ الحبيب أحمد بن حسن الحداد سواءً، فاستبشرتُ عند ذلك جداً.

وكان للتلميذِ المذكورِ في شيخه أحمد مرائي صالحاتٌ، هو وأخوه في الله المساعدُ له في الطلب، السيد علي بن محسن الجفري باعلوي، قرءا على شيخهما كتباً كثيرةً،

---

(١) لعل في العبارة نقصاً.

وانتفعا به نفعاً تاما، لحسن نيتهما وعقيدتهما في شيخهما المذكور، رحلا إليه من بلدهما، وانقطعا إليه، وألقيا قيادهما له، فصَارا فقيهينِ فاضلينِ أديبينِ، بارك الله لهما ولنا في ذلك.

* * *

ورأيت درويشاً أثرُ النورِ على وجهه، أراد يصافح سيدي الحبيبَ الوالدَ، فمنعوه الناسُ، لأنه كان في جمعٍ عظيم في زيارة نبي الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فقال بأعلى صوته: خلوني أصافحْ ولي الله القطبَ، فتركوه لما رأوا تغيُّر حاله فما منعوه.

* * *

وقال سيدي الصنو حامد: رأيتُ كأن الوالد أحمدَ وجملةً من السادة تحت مسجد (الحاوي)، وعندهم خيولٌ كثيرة، فإذا نظر إليهن الوالدُ أطرقْنَ برؤوسهنّ إلى الأرض، قال: وكان السيد أحمد بن جعفر الحبشي حاضراً، قال هكذا يوطئ رؤوسهنّ للقطب الغوث.

* * *

وقال بعضُ العلماء: إني رأيتُ وصفَ القطبِ في سيدي أحمد بن حسن الحداد باعلوي بلا شكٍّ، وانظر قصيدةَ جدِّه الحبيب الواصلِ، وقوله في وصف القطب:

إن شئت تعرِفه وتعلَمَ وصْفَه ... بطريقَة الإجمالِ فاسمعْ سائلي
هو سيدٌ متواضعٌ متخشّع ... ورعٌ تقي زاهدٌ في العاجلِ
الشرعُ سيرتُه الحقيقَة حالُه ... ومن العبُودة بالمقام الحافلِ
برٌّ رحيمٌ بالخلائقِ كلهم ... يرعى الوجُودَ بعينِ لطفٍ شاملِ

يمتـدّ مـن بحْـر البحُـورِ محيطُهـا ... خـير الأنـام بعاجـل وبآجـلِ

صـلى عليـه الله مـا هـبَّ الصَّـبا ... أو سَـار حـادٍ قصْـدَه برواحـلِ

ودليلُ ذلك المرائي المتقدمةُ وغيرها، تعلم أنه وارثُ جدّه المصطفى ﷺ.

* * *

واستشرتُه في شيءٍ من أمور الدنيا، فقال رضي الله عنه: نحن نستخير الله تعالى، ثم سألته بعد ذلك وألحيتُ عليه وأعلمتُه أني متبعٌ أمرَه لما يريده، وذلك أني أردتُ السفرَ إلى بعضِ الجهات الذي يريدُها هو في طلبِ شيء من الدنيا، قدْر وقعَ عليه في الذمة، وأردتُ أن أسعى في وفائها من فضْل الله تعالى، لأجل البر ورجاء الفضيلةِ.

فقال لي بعد ذلك: في أمور الدنيا لا تستشرني، إنما أضربُ لك مثلاً: إن رسُول الله لما هاجرَ إلى المدينةِ قالتْ له الأنصار: أتأمرنا نؤبّر النخْل؟ فقالَ لهم: لا تؤبروا النخلَ إن لكم من الله رزقٌ منها هو يجيكم، فلما لم يؤبّروها، لم تحملْ بثمَر في تلك السنة، فقال لهم: لا تشاوروني في دنياكم بعد ذلكَ، أنتم أعرفُ بها[1]، لأن بلدَه (مكة) لم يكن بها نخيلٌ.

وإذا حصل صدقُ التوكلِ نفعَ صاحبَ الصدق، أما يرزقه من حيث لا يحتسبُ؟، فلما حصلَ من الصحابة صدقُ التوكلِ، رزقهم الله من حيث لا يحتسبون.

ولما نزل بدر في غزوتِه ﷺ جلسَ في مكانٍ ما استحسنَ المنزلَ، وقال الحُبَابُ بن المنذر: يا رسول الله أمركَ الله بذلكَ؟ أم رأيٌ رأيته في الحربِ؟ فقال: بل رأيٌ رأيتُه، فقال سيدنا الحُباب: الرأيُ كذا وكذا، فتبع رسولُ الله ﷺ ما قاله الخبابُ، حيثُ رأى

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، ولفظه: عن عائشةَ وعن ثابتٍ عن أنسٍ أن النبيَّ ﷺ مرَّ بقومٍ يلقحونَ، فقالَ: « لو لم تفعلوا لصَلح». قال: فخرج شيصاً، فمرَّ بهم، فقالَ: «ما لنخلكم». قالوا: قلتَ كذا وكذا، قالَ: «أنتم أعلم بأمر دنياكم».

ما قاله صواباً، أو جبراً لخاطرِه، حيث علمَ أن النصْر من الله لا بمكانٍ ولا كيفٍ، هو علم بمصارع القومِ قبلَ الوقعةِ، حتى الكبيرُ يتبع رأيَ الصغيرِ إذا رآهُ أصوبُ، فقال لي والدي: في هذه الأمور انظُرْ فيها أنتَ وإخوانك.

* * *

وكان نفعَ الله به إذا استشارَه أحدٌ أمرَه بصلاة الاستخارةِ المسنونةِ، وقراءة الدعاءِ النبويِّ بعدها، ويقول له: الإشارة في الاستخارة، وما انشرح له صدرك فهو البركَة، شفقةً منه على الأمة المحمدية، لأن كلامَه يجبُ أن يعملَ به كلٌّ من أمرَه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ومن أعطيَ الوراثة المحمدية وصار قطبَ وقته وزمانِه، وجب على جميعِ أهل وقته الاتباعُ له ولكلامه.

كما قال سيدنا القطب الغوث أحمد بن زين الحبشي: «لو قال مائة عالمٍ بكلامٍ، وقال سيدي الحبيب عبدالله الحداد بخلافه، وجب اتباعُ كلامه، لأنه القطب الغوثُ، ويجب إتباع صاحبِ الوقت، ويجب الأخذ بكلامه، ولا يسعهم إلا ذلك»، انتهى، وكذلك كلام كثير من الأقطاب. وفي «الجوهر الشفاف»: «قال سيدنا الحسنُ الورِعُ في عمه عبدالرحمن السقاف: لو قعد للناسِ على الطريق ينهبُ أموالهم، كان على الحقِّ، حيثُ ما يفعل إلا مَا أراده الله».

فافهم حكاية الخضِر في خرق السفينةِ، وقتل الغلام، وإقامة الجدار. واسمعْ كلام سيدنا القطب الغوث عبدالله الحداد، قوله: «لو دروا الناسُ لعلموا أنّا أحقُّ منهم بأموالهم»، أي أنه يتحملُ ما يجري عليهم من جزاءِ أعمالهم وتقصيرهم في حقّ خالقهم بما استوجبوا به المحْقِ للمالِ والحالِ، فيشفعُ لهم في الحالِ والمالِ، قال الله تعالى في حقِّ النبي ﷺ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، الآيَةَ، وصاحبُ الخلافة

والوراثة المحمدية كذلك.

قال سيدي عمر بن زين بن سميط: سيدي الحبيبُ أحمد بن حسن روحُ العالم كله.

وقال لي الحبيب سقافُ بن محمد [بن عمر] بن طه بعدَ أن أقسم بالله تعالى: إن والدك الحبيب أحمد فردُ زمانه، وإنه أفضل أهل الأرض اليوم.

* * *

وقد كان الوالدُ أولَ عمره لا يفعلُ أحدٌ من أولاده وتلامذته شيئاً من الدنيا وأسبابها، من فعلٍ وتركٍ وسفَرٍ، إلا بعد أن يستأذنه، فيأذن له بما ظهر فيه المصلحة، بخلافِ آخر عمره، وأما أمور الدينِ وأحوالُ الزمانِ، فهو نفع الله به آخر عمْره يطّلعُ على من أراد الاستئذانَ في شيء منها كشفاً منه، ويأذنُ له.

ودخلتُ عليه يوماً لأستشيره في أمرٍ من أمور الدين، فقال لي: «قنديلي يحكي لي، قنديلي يحكي لي»، أي: قلبي يحكي لي، فعلمتُ أن في هذه الرأي والبركةَ، ولو أراد الترك لأعلمني.

وأعلمَني السيد علي بن محسن الجفري، قال: إني مرةً بعد صلاة العشاءِ وسننها، رأيتُ سيدي أحمد جلسَ على السجادَة، فخطر على بالي: أنه القطب الذي تدور عليه الدوائر، لأني أنظر في أوصافِ القطب التي وصفُوها الأكابر فأجدُها فيه سواءً، قال: فالتفَت إلي بوجههِ، وعلم ما في خاطري، وعليه من الهيبة والجلال أمر يحير الألباب.

قلتُ: ووقع لي مثله في زيارة النبي هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وأنا معه، فخطَر ببالي حاله ومقامُه، وهو راكبٌ على فرسهِ، يسير قبلنا ونحن خلفه،

فلما تحكّم الخاطرُ، التفتَ بوجهه الأنوَرِ، نظرني فامتلأتُ منه رعباً، وعلمتُ أنه اطلع على ما في خاطري.

* * *

وفي ثاني زيارة له إلى (دوعن) بعد أن زار الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، صعد إلى أعلى الوادي، فلما أراد أن يدخُل (بُضة)، خرجَ أهلها في عراضِه، وكان أيام جدبٍ، فطلب واحدٌ من سيدي السيلَ، فقرأ الفاتحة وسُقوا ذلك اليومَ ببركته، وذلك بأن أنشأ الله السحاب على أعلى الوادي، وأمطر وجَاء سيلٌ عظيم على (وادي دوعن)، فجاء السيلُ منه وسقَى بلد (بضَة) والشمس شارقةٌ في (بضَة)، نفع الله لنا به، ومتع لنا بحياته.

* * *

نعم؛ ولما وصلتُ إلى حضرته من (عُمان)، قال لي: نحن إنما نزعناك منها نزعاً، وإلا قد أرادوا أن يأخذوكَ علينا، وإنما جبناك بقوة وقدرة من الله تعالى.

* * *

ومن خوارقِ عاداته: أنه كتب إليَّ كتاباً، وفيه أبياتٌ يحثني على المجيءِ إلى حضرته الأنيسة، خلافَ ما يكتبه إليَّ في كل موسمٍ يصل من (حضرموت)، وقال في أوله بعد البسملة:

«الحمدُلله الذي لم يجعل الرضَا بالقضاءِ حجةً للمختارينَ، بل للمجبورينَ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلمَ، الذي قال: «**حب الوطن من الإيمان**»، وذلك رأس الدين»، إلى أن قال: «فحالَا تقفُ على الكتابِ اخرُجْ إلى الوطن (حاوي الخيرات والبركات)، ولا تعرج على الدنيا الغَرُور، فما هي منا على بالٍ،

والمرادُ وصولكَ، فإن ما خرجتَ:

فــإنْ وإلا فصــبرٌ للإلَــه عــلى　　　أقدارِه وهو أهلُ الحمدِ والخيرِ

ويكفي ما مضَى من طولِ المدّة، والسلام»، هذا في أول الكتاب.

ووصل إلينا على شهر زمانٍ، من (الشحر)، نفّذه سيـدي الصنو عبدالله بن الوالد أحمد وهو بـ(الشحر)، سافر إليها ومنها إلى (السواحل)، ورجع إلى (حضرموت).

فلما وقفنا عليه، وكنا في ذلك الأيام نحنُ والشيخُ الكبير العلامة العابد الزاهد، عبدالواحد بن علي بن سبتٍ الزرافي، تلميذ سيدنا الحبيب زين بن سيدنا الحبيب عبدالله الحداد، وكذلك الحبيب الحسنُ بالمكاتبةِ، جميعاً بـ(رأس الخيمَة) في (الصّير)، فأعلمتُ الشيخَ بخطِّ الوالدِ ونحنُ في المسجدِ في خلوةٍ، فقال: الرأي عندِي أن تصل إلى كريم حضرته، وخلِّ ما وراءكَ من العلائقِ، ورضَاه أولى.

ومؤذن ذلك المسجد رجلٌ صَالح، طالب علمٍ منتفعٌ، حصّل جملةَ كتبٍ لنفسِه ولغيره بيده، ومرادنا ينسخُ لنا «فوائد الشرجي» بعد نسْخ «ورْدَة الجيوب في الصّلاة على الحبيب المحبوب»، وأول «تحفة الحبيب»، شرح العمريطية في الفقه، قلنا له: ردَّ القرْطاسَ، وصلَ إلينا خط من سيدنا الوالدِ أزعَجنا، ورأى في وجهي الخوفَ من هذا الكتابِ، فرأى تلك الليلة سيدنا الوالدَ في المنام، وكان يدُ المؤذنِ اليمنى تتعبه من الوجع جدًّا، فأعطى سيدي الوالد يقرأ عليها، وقال له: هذه يدٌ تكتبُ، فبرئتْ في الحالِ.

ثم قال له: يا سيدي؛ ولدُكم حبيبنا السيد علوي وصَلته منكم له أوراقٌ فيها عتابٌ عليه من طول الإقامةِ، فتخوفَ منها، لأنها على خلاف كتبكم في كلّ مَوسم، وهو في خدمتكم هنا وهناكَ، قال له: يا محمد بن بشير؛ قل له وسَلّم عليه، لا يشتغلْ

من شأن الكلام الذي في الأوراقِ، والأمر على خلافِ الواقعِ الذي فيهَا، ونحن راضينَ عليه.

فلما أصبح أعلمَنا بالرؤيا، لأنه من الثقاتِ الصادقينَ، فرحنا بها، وأعلَمْنا محبَّنا العلامة النحْويَّ الفقيه أحمدَ السديلي بالورقَة وما فيها، وكان أخونَا في الله، وله رأي صائبٌ، فقالَ: الرأيُ ما يرضي والدَك، فإنا نخافُ منه، وإن كان يعزُّ علينا فراقُكَ، لاسيما من أجلِ الدعوة إلى الله وإلي سبيلِه في هذه الجهة.

وقد كان لنا همةٌ نحنُ وولدُ الشيخ عمادِ الدين أحمد، الوجيه عبدالرحمن، وكافة تلامذةِ والده، نحو الستينَ، مرادنا الطلوع لبلد (فَارس)، للدعوة إلى الله، لأن الشيعة أرادوا يضِلّونهم ويردّوهم عن مذهبِ الشافعي، رضي الله عنه، إلى مذهبهم الخبيث، وقد أضلوا خلقاً كثيراً، وبقي فيها جهة (بنْدَر عباس)، و(دشكُون)، و(قوده)، و(بستك)، و(حمير)، و(الجزيرة الطويلة)، وغير ذلك، وكانَ والي الجهة شافعيَّ المذهبِ.

وقد قال لي كشفاً واطلاعاً سيدنا الحبيبُ الحسن بن سيدِنا الحبيب عبدالله الحداد، وأنا عنده في (الحاوي): تعلم لغة فارِسْ، عادك تحتاجُ لها، وكتاب «عماد الرضا مختصر أدب القضاء» للإمام زكريا، عادك تحتاج له، وبقي يعيبُ على بعضِ السادة أنه لما وصل (عمان) تزيَّى بزيهمْ، من لبسهم الخنجرِ وأخْذ السيف، أشارَ بذلك كله إلى أني أصِل إلى بلدان (فارس)، وآخذ بجهة (الصير) و(الجوّ) من (أرض عمان) مدّةً، وأحتاجُ إلى معرفة ما أشار عليَّ بتعلّمه، واجتناب ما أشار بتجنبه، فقلتُ له: أهل (حضرموت) إنما يسافرون إلى (الهنْدِ) وإلى (السواحل)، أما (فارس) فما يسافرون إليها!، فتبسمَ، رضي الله عنه.

* * *

وقد سافرنا إلى (أرض فارس) نحن والشيخُ عمادٌ المذكورُ، سنةَ ١١٩٣، إتماماً لكلامِ الجدِّ الأعظمِ، المكاشَف بحقائق الأمور، وأراه في المنام غالبَ الليالي، وكذا يرون غالبُ أهل كلّ بلد سيدَنا القطب عبدالله بن علوي الحداد، كأنه دخل إليهَا قبلنَا بيومينِ أو بيوم.

* * *

ومن العجائبِ العظيمة: لما أردنا السفرَ إلى (فارس)، والشيخ عماد، تقدّم قبلناً وخلف اثنينِ من تلامذته عندَنا، وتخلفنا لإصلاح أمرٍ عظيمٍ بين المسلمينَ بقلعَة (هرمز)، وتقدم الاثنان قبلنا إلى بلد (حمير)، لأجل القافلة حقّ السادة القتَّاليةِ من بلد (قوده)، يؤخرونها إلى أن نصِلَ، فلما سافرنا من (هرْمز) بحراً إلى بلاد (القسم)، في (الجزيرة الطويلة)، وركبنا برًّا من بلادٍ إلى بلادٍ.

وكان سابقاً فيها بلدانٌ عددَ أيام السنةِ، وغالب أهلها صالحونَ، وكان أولياؤهم وأجدادُهم إذا تولَّى والٍ وظلمَ وجارَ عليهم، دعوا عليه فيموتُ عاجلاً، حتى اشتهر فيهم ذلكَ. فتولى والٍ عليهم، صاحبُ فراسة ودهاءٍ، قال لهم: كل من لا يأتيني في اليوم الفلاني من شَهْر كذا ببيضَة دجاجٍ قتلته، وأمر مناديه في جميع البلدانِ، فجمعوا له الشهر المعروف في اليوم المذكُور ما طلبَ، كل واحد وصل منهم ببيضَةٍ، فلما اجتمع البيضُ الكثير، وهو وإياهم تحتَ بلاده، قال لهم : كل واحد منكم يأخذ بيضته وإلا قطعتُ رؤوسكم، فكلٌ أخذ بيضه من المذكورات لا يعلمُ أنه حقَّه أو حقّ غيره، فبعدَما ظلمَ دعَوا عليه فلم يستجَبْ لهم. وإذا عبرنا بلداً اجتمعُوا إلينا صَالحوها لم يشْرَبوا من القهوة التي معَنا، فقلتُ لهم: مالكم؟ قالوا: إنكم جئتمْ من عند الظالم والي (هرْمُز)، وربما معكُم شيء مما عندَه، ومرادُنا التبرك بمشاهدتكم.

* * *

فلما وصلنا بلد (درْقُوان)، أعلمونا أن الاثنينِ الذين خلَّفَهما الشيخُ عمادٌ سافرَا من بلد (حمير)، فعزمنا إن صدقَ الأمرُ أن نرجعَ من بلد (حمير) إلى (الصّير)، لأن أهل بلدانِ (فارس) عجَمٌ ما نفهم كلامهم، ولا الذي معنا من العرَبِ، وسرْنا من بلد (كوي) صبحَ يوم الخامسِ أو السادس من شوّال من سنةِ ١١٩٣، وبيننا وبين (حمير) ساعةٌ على البحْر بالسّنبوقِ، فلما وصَلنا إلى البلادِ الذي يعبرونَ فيها إليهَا، وجدنا جميع أهل البلادِ جالسينَ منتظرينَ لنا، وقالوا: أخبرنا رجلٌ شيبةٌ عمرُه قريبُ المائةِ، أنه رأى مولانا الحبيب القطب عبدَالله الحداد، صاحب الراتبِ، على رأسِه قائماً بعد أن أتمَّ الراتب، وقال له: قل لولدنا الذي يصِل إلى بلدكُم غداً لا تخف ولا تشتغلْ من قلِّ الذي معكَ من الجماعةِ، فأنا معك آلافاً، فقلنَا لهم: هاتوا الشيبةَ ننظرُه، فجاء على عصَاه يتوكأ عليها، وقال: إني كنتُ في مركب الرَّحماني، ووظيفتي فيه قراءةُ الراتبِ حقّ سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد.

قلتُ: وكذلك الشيخ نورُ الدينِ يقرأ بالناس راتبَ الحبيب عبدالله بن علوي الحداد بـ(مكة المشرفة) الآنَ، وهو من أهل هذه الجهةِ التي وصلناها من أرْض (فارس). واجتمعنا وانتفعْنا فيها بأخيارٍ، وقد طال بنا الكلامُ، ولعل فيه فائدة لذوي الأفهام.

* * *

ثم بعدَ وصول الكتابِ من سيدي الوالد المتقدم ذكرُه، عزمنا على السفرِ، والجمعِ والقصر، إلى أن نصل إلى حضرته المشرفة، فهيأ الله لنا الأسبابَ، وفتح الله علينا من بركاته كل بابٍ، بمائتين من الدراهم، وآلافٍ من أناسٍ لم نعهدْهم ولا من عادتهم معَنا ولا مع غيرنا ذلكَ فيما نعلمُ، فعلمْنا أن ذلك من خوارقِ عاداته العجيبة.

* * *

ولما سافرنا (دوعن) بإشارته، بل بأمره، سنةَ ١١٩٥، سألتُ منه أموراً تقعُ وتتيسر ما يظنها ظانٌ أنها تقعُ، فوقعت ببركته. وأعلمني بعضُ الأصناء أنه جاء للوالدِ شيءٌ من الصّحْلِ، من ثمر النخل المعروفِ في جهة حضرموت، فأخذ في الخلوة وحدَه منه قليلاً من غير أمره، فلما جاء الفقيرُ وبعض الأصناءِ أعطانَا منه كلّ واحدٍ قبضةً بيدٍ، ولم يعط ذلك الذي أخذ بيده كشفاً منه واطلاعاً، لأن ما عنده أحدٌ غير الله.

ومرةً حصل على بعضِ المتعلقين به أمرٌ هائل، وهو أنه وقع حربٌ وقتلٌ بين الرَّصَّاصِ والعوالقِ، في زمن السلطان صالح بن فريد، وكان متعلقاً بذلك الجنابِ أكثر، وإن كان لكلٍّ عقيدةٌ صالحة فيه، من آل رصَّاص، والعوالقِ آل منصَّر، وكلٌّ يستغيثُ بشيخه، والسلطانُ صالح يستغيث بسيدي وقتَ صلاة الجمعةِ، والحربُ وقع بينهم وبين آل رصَّاص، قريبَ بلد (مرْخة)، وكلٌّ جمعَ جموعاً كثيرةً.

فلما أتمّ سيدي الوالدُ صلاةَ الجمعة، وركعَ البعدية بعدها، حدثَ عليه شبه التحمل وهو في الطريقِ خارجٌ إلى دار الحضْرة حقّ الحبيبِ عبدالله بن علوي الحداد، فما قدر يسير، فحملوه إلى مسْجدِ الهجيرة، وكان في شدةٍ وتعبٍ، لأن في ذلك الوقْت الفريقين يحتربون، وهم في (أرضِ العوالق) وهو في بلد (تريم)، فما زال كذلك حتى وضَعت الحربُ أوزارَها، وكان الرصَّاصُ من أقوى الجموعِ، لكن لما كان عقيدةُ العوالقِ أقوَى انتصروا عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، الآيةَ.

* * *

وأعلمَني المحبّ الملحوظُ سالم بن أحمد الدَّغاري، لما وصلنا إلى بلدة (وداي عبَدان) بـ(أرض العوالق) سنةَ ١١٨٣، قالَ: إني لما زرتُ مع عمّي محمد (حضرموت)، وزرنا سيدي الحبيب الحسنَ وابنه أحمد، وأنت صغيرٌ تقرأ القرآنَ عند

المعلم بـ(تريم)، استودعتُ من سيدي أحمدَ والتجأتُ إليه، واستعقدتُ فيه، لما رأيتُ من الولاية الظاهرة عليه، وقلتُ له: خاطرك لي بولدٍ ذكر يأتيني، فلما رأى ما عندي قال: يأتيكَ ولد ذكرٌ سمّه أحمد، باسمي، فحينما وصلتُ إلى بلدي، حملتْ زوجتي بولدي أحمد هذا، وكان حاضراً، قال: وهو كرامة والدك، نفع الله به.

* * *

وتكلمَ يوماً في الورعِ، وسرد حكاياتٍ يقصُّها على الحاضرينَ، فذكرتُ في نفسي حكايةَ الذين ذكرهم الإمامُ الشعراوي في «العهود المحمدية»، لما حاكَ في صدْر بعض الورعين عن فعلِ شيءٍ وقعَ منه، فسأل الأولَ، فدلّه على الثاني، والثاني على الثالثِ، إلى آخر الحكايةِ، فكاشفي وأقبلَ بوجهه عليَّ، وقصّ الحكايةَ من أولها إلى آخرها، يخاطبني بها، فعلمتُ أنه اطلعَ على ما في نفسي.

* * *

وأخبرني السيدُ أبو بكر بن عبد الله بافقيه، قال: لما زرت (تريم)، وترددتُ كثيراً على سيدي الحبيب أحمد بن حسن الحداد، زرته مرةً في خلوةٍ، وكنت جائعاً، فخطَر لي طلبُ الطعامِ، فما استتمّ الخاطرُ إلا ودخلَ بدويٌّ بلحمِ طيورٍ مشويةٍ حارّة، فعلمتُ أنه الخضِر، لما رأيتُ من تعظيم سيدي له، وتعظيمه لسيدي الحبيب أحمد، وأكلنَا الجميعُ معاً، ودخل واحدٌ من أولاد سيدي فأمرَه بالأكل معنَا.

* * *

وأخبرني بعضُ المحبّينَ، قال: لما وصلَ سيدي الحبيبُ أحمد بن سيدي الحبيب حسن لزيارة العدَني، عبر بلدنا (نصاب)، وقصد بيتنا، ووقعت سرِقَة صوَغة وثيابٍ علينا في البيتِ، فأعلمتُ سيدي أحمد، وأعلمتُه وقتَ السمَر، فأطرق ساعةً، فجاء السارقُ بالثياب والصّوغة، ورمى بها إلى دارِنا فأخذناها، والله أعلم.

* * *

ومنها؛ ما أعلمَني الإمام العارفُ بالله ورسوله، المكاشف، شيخُنا محمد بن رومي الحجازي، تلميذ الشيخ أحمد بن عبدالكريم الشجَّار الأحسائي، قال: إن بعض أولادي قبصتْه عقربٌ، وأتعبته شديداً، فوَعظته، وأمرتُه أن يصبرَ، فشدّ عليه الوجعُ، فقمتُ أقرأ عليه، وطرحتُ المسبِّحةَ والوسطَى على الوجَع، فلم يزل، فاستغثتُ بسيدي القطب أحمد بن حسن، فحضر وأدخلَ إصبعَه في المسبِّحة بين إصبعيَّ، وطرحه على الوجع، فتأوه الولدُ، وقالَ: الحمدلله، سكن الوجع.

قال الشيخُ محمد المذكور: وكان الحبيبُ إذا حضر الأولياءُ عندي، أراه مرتفعاً في الهواءِ على سريرٍ مرتفعٍ، وكان جده عبدالله إذا جاء يجيءُ من وادٍ كبير، ويعظمونه الأولياءُ، وأقول لهم: هذا أبو زين!، فيقولونَ: نعم.

فاقضِ العجبَ أيها الناظرُ؛ إن الشيخ محمد بـ(باطنة عمان)، وسيدي الحبيب الوالد بحضرموتَ، ولم يتفق به أصلاً في الظاهر.

* * *

ومنها؛ أن بعضَ العُميانِ الذين حدثَ عليهم بعد أن كانَ ينظر بعينيه، وكان فقيراً فالتجأ إلى سيدي، وقال: أنا فقيرٌ، ولا عذْر لي من الاختلاف للمعيشة وصرت الآن أعمى القلب وأعمَى البصيرة، لأني ما أقدِر على قائد. فرقَّ له سيدي، ومسح على صدره، فقال له: يفتح الله عينَ قلبك من فضْله، فصار الآن بعدَ أن كان يهدي نفسه إلى الطريق يسيرُ وحدَه بلا قائدٍ، كأنه بصيرٌ، من فضل الله العليم الخبير.

* * *

ومنها؛ أنه أعلمَنا بوفاة حمدُون بن أحمد باعكيم قبلَ أن يصل إلينا العلْمُ، وقال: إني رأيتُ كأن الأولاد عمر ومحمد وصَلا من الحجّ، وحمدون ليسَ معهما، وأظن أنه

مات، فكان كذلكَ. وذلك بعد أن حجَّ مع الأصناء وزار معهما النبي ﷺ سنةَ ١١٩٦، توفي في البحر بعد أن ركبوا من (جدة)، ودفنوه في البحر في جزيرة.

* * *

ومنها؛ أنه دخل جني في بعضِ النساء، من نساء آل العمودي أهل (بضة) وهو عندهم، وكان يتعودها ذلك الجني، وحصل عليهَا وعلى زوجها وأولادها أذًى منه كثير، فلما دخل عليه سيدُنا الوالد وهو في تلك المرأةِ ساكن، صاحَ، وقال: قد علمتُ أني مقتول من سيدي أحمد، افشطوا العرق الذي تحتَ الثدي الأيسر، وسأموت منه، ففَشطوا، فماتَ، فعوفيتْ منه، ولم يعُدْ إليها غيره من ذلك الحين.

* * *

ومنها؛ أن بعض أخدامه حصلَ عليه ضيقٌ من طريق المعاش، وكان خرازاً، فقال له: ولدك فلان يتعلم الحوكَة، ودعا له فيها فتعلمها، وألهم صناعتها، أي الخرازَة والحوكَة، وبارك لوالديه في سعي الولد المذكور، وحصل لهما الفرج ببركته.

* * *

ومنها؛ أن رجلاً من الجندِ آذى بعض أخدامهِ، فكتب إليه، فتهاون بالجواب، فماتَ ولدُ ذلك الجندي، فجاءه، فتابَ ورجع من غيه.

* * *

ومنها؛ أن رجلين تكلما بجِهَة (جاوة) عليه بكلامٍ في مجلسٍ ما يستحسَن منهما، فما رجعَ كل واحد من ذلك المجلس إلا وقد اهتاشَتْ أموالهما من بين أيديهما، وتعبا تعباً كثيراً، وخافا على أنفسهما من القتل.

* * *

ومنها؛ ما أعلمني بعضُ المنورين من بلد (الحصْن) من (دوعن)، قال: إن رجلاً آذاني فاستغثتُ بشيخي الحبيب أحمد بن حسن الحداد، فرأيته ضربَه بحديدةٍ في ظهره، فمرض الرجلُ أياماً، فمات، وكفيت شره.

* * *

ومنها؛ وهي خارقةٌ عظيمة، إن إحدى بناتِ الأخ عمر متزوجَة في البلد (تريم)، فحضرتها الولادة مرةً، وأتعبها الطلقُ غايةَ التعب، بحيث أنها أغشي عليها، واستلقت كالميتِ، وبقي الأخ عمر وزوجُها منتظرانِ خروج رُوحِها، وذلك وقتَ الاستواءِ، ثم أنها تنفستِ الصُّعداء فخرجَ الولد ميتاً، فقالتْ جدتها لوالدها وزوجها: حصل الفرَج، لا تهتما، هذا نفَس جدّها أحمد دخلَ في لحمها وبشرِها، عرفته جدّتها، لأنها ليس كأنفاسهَا، ورجع إليها ذهنها وأفاقت من غشيتها تلكَ.

وكنتُ والأخ حامد في ذلكَ الوقتِ عنده في (الحاوي) في بيت والده، ورأيته تغير لونه، حتى هبتُه، وجعل يقوم ويجلس بعدَ أن كان على جنبه، وتكلمَ بكلامٍ ما أعرفه، ولم أدر ما هو السبب! ولا جسرتُ على سؤاله عن ذلك، فلما دخل وقتُ الظهر ذلك اليوم المذكور، طلعتُ إلى (تريم) إلى البيت الذي فيه بنت الأخ عمر، فوافقت الأخ عمر خارجاً من البيتِ عند البابِ، فأعلمني ما تقدم ذكره.

* * *

ومنها؛ ما أخبرني به بعضُ السادة، أن الوالد أمره بقيام الليل، فقال: كنت إذا غلبني النوم أسمعُه ينبهني فأستيقظ، وبعضَ المراتِ يجرُّ برجلي، وتكرر ذلك مراراً عديدةً، فتعجبت من تصرفه، نفع الله به.

* * *

فأيامه كلها خَضرةٌ، لا يودُّ جليسُه المقامَ من حضرته لحسْن معاشرتِه، وتواضعه للقريب والبعيد، والصغير والكبير، لا يعرَفُ بين الحاضرين إلا بنُور البصيرةِ، وأدبُ تلامذته عنده مطرقينَ رؤوسَهم، تخافه الجبابرةُ وأهل النفوس، وإذا أراد أحدٌ أن يشافهَه بالكلامِ إذا نظرَه التبسَ هيبةً منه، كأنه أخرس لا ينطق من هيبته.

* * *

ودخلَ عليه رجلٌ من آل باداس، قبيلة معروفة، جاء زائراً، وهو بدوي جاهلٌ، وكان سيدي في مدْرَس الاثنين في الزاويةِ، وعنده تلامذته، فقال الرجلُ المذكور بعد ما سلّم: من الرجل المقدَّم فيكم؟ فكلمه سيدي، وقال: كل هؤلاء مقدّم، فصافح الأول منهم، فلما تفرّسَ عرفَ وعرّفُوه، فانكب على قدم سيدي.

* * *

وكان يخاطبُ الزوار القاصدين بما في أنفسِهم قبلَ أن يحدثوه، حتى الأقوات يأمر كلّ أحدٍ بما هو أنسبُ له، وما هو خاطرٌ في باله.

جملة الزائرين وغيرهم يعسُر حصرهم، إذا شرب بعضَ القهوة من الفنجَان الذي بيده يخطُر في بالهم أن يعطيَهم الباقي تبركاً بفضلته، لأن ورد في الحديث: «**سؤر المؤمن شفاء**»، فينوي كلٌّ على مقصِده، فإذا خطَر لأحدهم أعطاهُ ذلك كشفاً واطّلاعاً، وقد يطلب الماء ولا يريدُه، ولكن في خاطر بعضِ الزائرين وتمنعُه الهيبةُ عن سؤالِ الماء في حضرته، فيأخذ قليلاً ويعطيه إياه، كما حدثونا بذلك جمعٌ.

* * *

وكان صاحبَ فراسةٍ صادقة، إذا تفرس في إنسانٍ يجيءُ على ما تكلم به فيه، وقد لا يخطر لأحدٍ على بال أنه يقع منه. وخرجَ يوماً هو والحبيب حسنٌ، والخالُ محمد

الباقر بن حسين بن عبدالله، إلى مسجد (النّقْر) بـ(مَسيلة عدِم)، وفعلوا فسحةً طول النهار، وأنا معهم، وسني دون البلوغ، فلما رجعنا تقدّم الحبيب الحسنُ إلى (الحاوي) قبلنا، وتخلفنا، أمشي قفا الوالد، فذكر مقام سيدنا عبدالله الحداد ومنصبه، ثم قال: إن بعض الأقارب يظنّ أنه بايقُوم به، ولا يقوم به، لو نزلت قلنسوةٌ من السماء ما سقطَت إلى على رأسٍ من لا يريدُها، فما ماتَ المنصبُ العظيم، ومات ذلك القريبُ، وكان بين كلامه هذا ومقامِه نحو عشرينَ سنةً، عرفتُ أنه اطلع على أنه لا يقومُ به غيره، وهو لا يريد الظهور والمقام، ولكن كلف بذلك.

* * *

وقد قال له، لما حجَّ، بعضُ المكاشفينَ، وقبَض بيده: هذه يدٌ ترِثُ مقامَ جدِّها، وحال جدِّها الحبيب عبدالله بن علوي الحداد. وكان هذا الكلام سنةَ ١١٥٧، وقام بمقام جدّه سنةَ توفي والده، سنةَ ١١٨٨، وابن عمه علي بن علوي سنةَ ١١٨٩، فله الآن في المقام، وإطعام الطعام، لجميع القاصدينَ من الأنام، اثنتانِ وعشرون سنةً.

واتسعتْ عليه في هذه المدّة، وكثُر الإنفاق، وقصدَه الناس من كل فجّ عميق، ولامَه بعضُ محبيه وقالَ: هذا أمرٌ لا يطيقُه من بعدك أحد، ولا قام به من قبلك أجدادُك، إنما يأكل الضيفُ ما حصلَ عندهم، إن لحقْ خَمير أو قهْوة قارّة، أو غير ذلك، وأنتم تلقون للضيف أطعمةً طيبةً، وإدَاماً كثيراً من اللحْم وغيره، وقهوة فيها سكّر كثير. فقال له: أنا ما أردتُ ذلكَ، وأرى في هذا أني مغلوبٌ فيه من القدْرة الإلهيةِ.

* * *

وكذلك أيضاً لما عمّرنا مسجِدَ (الحاوي)، الذي يسميه سيدنا الحبيب عبدالله الحداد مسْجِد الفتح، ومسجد الأسرارِ، وأردتُ أن أجعلَ سقف حمامِه من العِشَر، أو الشّحط، لما لم تتيسر السُّفَر من عُود السِّدْر في الحالِ الحاضرِ، فلما عزمْنا على ذلك سخَّر

الله بعض المباركينَ من غير طلبٍ، وقال: قاطعونا على صَفَّينِ، فقاطعناه بشيءٍ من الدراهم، ومعنا سُفَر جعلناها لثالثِ صفّ، فعلمْنا أن ذلك ببركةِ سيدنا الحبيبِ، وغلبة القدرة الإلهية.

* * *

قلتُ: وسنةً من السنينِ، كثر الخَرْجُ على سيدي من كثْرة الزائرينَ، فقال لي المحبّ حمدون بن أحمد باعكيم، خادم سيدي الحبيب حسن، وكان يحبه، قالَ: إني أريدُ أن أكلم سيدي الحبيب أحمد في خلوةٍ، فلما رأيت الخلوةَ من الناسِ قبلَ صلاة العشاء بالليلِ، عند خروجه للصلاةِ، قلتُ له: هذه الفرصَة. فدخل إلى كَريم حضرتِه، وقال له: إني أخافُ من هذه الأثقالِ التي ارتكبتكُم من الناسِ، أما تخففون منها؟ فقال له: ليس ذلك إلينا، إنما هو إلى الله، وإلى صاحب هذا المقام، إنما نحن خدّامٌ لعبدالله الحداد ومقامِه، وقد أكرهُ بعضَ التوسعاتِ، ولكن أرى القدرةَ ما تريد إلا ذلك.

وقد كان كثيراً يقولُ، خصوصاً إذا سمع ثناءَ الناسِ على عمارتِه للمقام وإطعام الطعام: ليس ذلك إلينا، ولا إلى صاحب هذا المقام، إنما كله إلى الله، ومن الله الكريم المتفضل، قال الحبيب عبدالله بن علوي الحداد:

قيامي بربي لا بنفسي ولا السِّوَى   فشُكْري لـه سبحانَه وثنَـائي

* * *

وكان بعضُ مريديه إذا طلعَ من (الحاوي) بعد الظهر لحضُور مدْرَس العمّ حامد بن عمر في (النويدرِة)، يرسلون معه أهلُ بيتِ الوالد شيئاً من القروشِ ليصْرفَها بعد المدْرس مع رجُوعه إلى (الحاوي)، فقال: لو كان لي من كل قرشٍ خمسمائةٍ، لكنت تاجراً من كثرة ما أصرفُ من القروشِ في مخروج بيتِ سيدي وشيخي الحبيب أحمد بن

الحبيب الحسن، نفع الله به، ومتع لنا بحياته في عافيةٍ.

* * *

وكان إقبال الدنيا كإدبارها، لا يبَالي بما أقبلَ ولا بما أدبَر، ولكن يضع الأشياء مواضِعَها، سيرةً عمريةً، وقال لي يوماً: ما الشأنُ الزهدُ في الدنيا، إنما الشأن محبة الزهْدِ وبغضُ الدنيا، لأنك إذا أحببتَ شيئاً لم تتركْه، ولم تبالِ بولدٍ وأهلٍ وغيرهما، إذا لامُوك على محبةِ محبوبكَ، وإذا أبغضْتَ شيئاً تركته، ولم تبالِ بهم إذا أبغضت عدوّك.

وسمعته يقول: من فضل الله ما فيَّ بخلٌ أبداً، المائةُ قرشٍ كالعَشرة، ولا يهمنا إنفاق المال أبداً، إنما الدَّين يشقّ عليَّ، حتى أوفّيه قبل الموتِ، ولا أحب أن أموت وذمّتي مرهونة لأحدٍ.

* * *

وكان رضي الله عنه لا يبالي بأحدٍ من الخلق، بل يتبعُ رضَا مولاه، وما له فيه النجاة في الآخرة والعقبى، رضوا أم سخطوا، وكان مع ذلك قواماً بأمر الله عليهم، إذا ترك أحدٌ منهم صَلاة الجماعةِ لم يعطِه يدَه إذا أراد أن يصافِحه، ويعالقه، ولا يقبل عليه حتى يراه يواظبُ على ذلكَ.

* * *

قال الشيخُ الفقيهُ محمد بن عمر بن عبدالله باجمال في كتابه المسمى «مقال الناصحين»: «والسماحة بالمالِ من أجلِّ مكارمِ الرجالِ، خصوصاً بالطعامِ، وبسطه للنازلينَ، ولله درُّ الإمام الجليل الشّاشي رحمه الله حيثُ يقول:

أوسِّـعُ رحَـلي عـلى مـن نـزلْ — وزادي مبـاحٌ لمـن لـه أكـلْ
نقــدّم حــاضِر مــا عنْــدَنا — وإن لم يكـنْ غـير خبـزٍ وخَـلّ

فأمـــا الكـــريمُ فـــيرضَى بـــه　　　وأمـــا اللئـــيمُ فمَـــن لم أبَـــلْ

وكان الإمامُ الجليل عبدالله بن المباركِ، رضي الله عنه، عظيم القدْر في كل أمرٍ، تستنزلُ الرحمةُ بذكرِه، وترجَى المغفرةُ بحبه، وهو من تابعِ التابعينَ، كان كثير الإفضال على أصحابه وقاصديهِ، عظيمَ السخاءِ، جليل المحبةِ عند جميع الطوائفِ، أثنى عليه عَمار بن الحسينِ، رحمه الله تعالى، بشعرِه، فقال:

إذا سار عبـدُالله مـن مـرْو ليلـةً　　　فقد سَار منهـا نورُهـا وجَمالهـا

إذا ذكِر الأخيارُ مـن كـل بلـدَةٍ　　　فهم أنجمُ فيها وأنـتَ هِلالهـا

وكان عبدُالله بن المبارك يتمثلُ بهذا البيتِ، وهو:

وإذا صاحبتَ فاصحَبْ صاحباً　　　ذا حيـــاءٍ وعفَـــافٍ وكـــرَمْ

قائلاً للشيءِ: لا، إن قلْتَ: لا　　　وإذا قلْـت: نعـمْ، قـالَ: نعَـمْ

وكتبَ محمد الإسفرايينيُّ رضي الله عنه إلى قاضي (ترمِذْ)، ينشده شعراً لنفسه وهو:

لا يغلونّ عليـك الحمْـدُ في ثمَـنٍ　　　فليسَ حمـدٌ وإن ثنيـتَ بالغـالي

الحمدُ باقٍ على الأيـامِ مـا بقيَـتْ　　　والدهْرُ يذهبُ بالأحْوالِ والمالِ

نقلَها الإمام النووي في «تهذيبه» كما ذكرناه»، انتهى.

* * *

فبذلُ المالِ محمودٌ بكل حالٍ، طلباً لمكارمِ الأخلاقِ، واكتساباً وجلباً لها،ودفعاً لرذائل الصفاتِ ودنيء الشيم، ووقايةً لعرْض المرءِ عن ثلْبِ ألسُنِ السفهاءِ، أو طلباً للأجر والثواب، أو إعانةً بالمالِ على النوائبِ، وسدِّ الخلاتِ ودفع المصائب، أو سماحة خلقاً وطبعاً، والكلّ محمودٌ، وهو به مشكور ومأجورٌ، وقد وردَ: «ابنَ آدم! إنك إن

تبذُلِ الفضْلَ، خيرٌ لك وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف».

فتأمل ذلكَ، واعمل بما هنالك، فالإمساكُ مذمومٌ شرعاً وعقلاً، يجلبُ شتمَ الأراذل، ويكسِبُ لؤْمَ اللئامِ الأنذال، من الشح والبخل الذي نهى الله ورسوله عنهما، ومقت أهلهما، ففي الحديثِ: «**البخيل ممقوت عند الله ممقوت عند الناس والسخي محبوب عند الناس**». قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

* * *

وأحق الناس بسماحتكَ وكرَم أخلاقِكَ أهلُك وجيرانكَ، ورحمك وعبيدُكَ، ففي الحديثِ: «**خيركمْ خيركُمْ لأهله وأنا خيرُكم لأهْلي**»، وفي الحديثِ: «**خيرُكم من يرْجَى خيره ويؤمن شره**»، وفي الحديثِ: «**ما نقصَ مالٌ من صدقةٍ، ولا عفا رجلٌ عن مَظْلمةٍ إلا زادَه الله بها عزًّا**»، وفي الحديثِ ترغيباً في الهدية: «**تهادُوا، فإن الهدية تذهِبُ السَّخيمَة، تهادوا وتحابوا**»، وفي الحديثِ «**اتقوا الشّحَّ، فإنه أهلكَ من كان قبلكُم**»، أيضاً: «**اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ**»، وأيضاً: «**داوُوا مرضَاكم بالصّدقة**»، وفي الحديثِ: «**والله في عون العبدُ ما كانَ العبد في عَون أخيه**»، وفي الحديثِ: «**من آتاه الله خيراً فليُرَ علَيه**»، يعني آثارَه، ويتحدث بالنعمة عليه»، انتهى النقل من «مقال الناصحين».

* * *

وكان سيدُنا الوالد أحمدُ متخلقاً بالأخلاقِ المحمدية، وعاملاً بالعلوم الدينية، وسالكاً على الطريقة العلوية، لا يزاحم على الدنيا ولا يريدُها ولا يحبها، بل يبغضها، ولا يزاحم على التصدّر ولا على المراتبِ الدنيويةِ، ولا يحسدُ أحداً، بل نسمعه دائمَ الثناء على أقرانه، فإذا رأيته وسبرتَ أحواله، قلْتَ: ما هذا إلا خبيةٌ في هذا الوقتِ، ما هو إلا آية عظيمةٌ، ونعمة كبيرة.

* * *

وكان سليم الصدْرِ على المسلمينَ، يفرح بفرَحهم، ويسأل كلّ ليلةٍ مَن حضَر الراتبَ من أهلِ البلدان، أحوالَ المسلمين، وعن سوقهم وأطعمتهم وزروعهم، يفرح ويستبشر إذا بشِّر بمسَارهم، ويحزنُ لما يحزِنُهم، ويظهر عليه التكدير.

قد تصفّى عن الكدَر، وصار الذهبُ عنده كالحجَر، وغلبتْ خصوصيتُه على بشريته، سلطانُ العارفينَ، فكرُه في جلالِ الله وعظمَتِه، وفي ما خلق في السموات والأرض، يبغضُ الجاه والصيت، وإذا أعطَاه أحدٌ شيئاً من الدنيا إذا كانتْ حلالاً ومحتاجاً، ما يراهُ إلا واسطةً بينه وبينَ الله، ولكن يشكره بعد شُكره لله، بكونه جعله واسطةً فيما بينه وبينه، يتكدر من كثرة الدنيا الحلالِ، بل يبغضُ الدنيا بقلبه، كما تراه في أفعاله وأعماله، فكيفَ في أقواله، يحب الزهدَ والخمولَ طبعاً وجبلةً من الصِّغر، لا يحسد أحداً على ما أعْطيَ من زينة الحياةِ الدنيا، لأنه باغِضُها ومزدريها وقاليها.

* * *

قال سيدُنا الإمام حجةُ الإسلامِ الغزالي، في كتاب (ذمّ الغضَبِ والحقد والحسدِ) من «الإحياء»، بعد أن ذمَّ المذكُوراتِ، وفصّل الداءَ والدواءَ، وذكر الحسَد: «نعم؛ من اشتدَّ حرصُه على الجاهِ، وأحبَّ الصيتَ في جميعِ أطراف العالم، بما هو فيه، فإنه يحسد كل من في العالمِ وإن بعُدَ، ممن يسَاهمه في الخَصْلةِ التي يتفاخَر بها، ومنشَأ ذلك حبُّ الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيقُ عن المتزاحمينَ، أما الآخرةُ فلا ضيقَ فيها.

وإنما مثال الآخرةِ، نعمةُ العلمِ، فلا جرمَ، أي لا محالةَ، من يحبّ معرفة الله، ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوتَ أرضِه وسمائه، لم يحسدْ غيره، إذا عرفَ ذلك أيضاً، لأن المعرفةَ لا تضيقُ عن العارفينَ، بل المعلومُ الواحِد يعرفُه ألف ألفِ عالمٍ، ويفرح بمعرفته ويلتذّ به، ولا تنقص لذة واحدٍ بمعرفةِ غيرَه، بل تحصل بكثرة العارفينَ زيادةُ الأنسِ، وثمرة الإفادة والاستفادة، فلذلكَ لا تكون بين علماء الدين

محاسَدةٌ، لأن مقصدهم معرفة الله تعالى، وهي بحرٌ واسعٌ، لا ضيقَ فيه، وغرضُهم المنزلةُ عند الله.

ولا ضيق أيضاً فيما عندَ الله من النعيمِ، لذة لقائه، وليسَ في ذلك ممانعةٌ ولا مزاحمة، ولا يضيق بعضُ الناظرينَ على بعضٍ، بل يزيدُ الأنس بكثْرتهم.

نعم؛ إذا قصدَ العلماءُ بالعلمِ الجاهَ والمالَ تحاسدُوا، لأن المالَ أعيانٌ وأجسامٌ، إذا وقعت في يد واحدٍ خلتْ عنها يدُ الآخر، ومعنى الجاهِ ملكُ القلوب، ومهما امتلأ قلبُ شخصٍ بتعظيمِ عالمٍ انصرفَ عن تعظيمِ الآخرةِ، ونقص منه لا محالةَ، فيكون ذلك سبباً للمحاسَدة، فإذا امتلأ قلبٌ بالفرَح بمعرفة الله تعالى، لم يمنعْ ذلك أن يمتلئ قلبُ غيره به، وأن يفرح بذلكَ.

والفرقُ بين العلمِ والمالِ؛ أن المالَ لا يحلّ في يدٍ ما لم يرتحلْ عن اليدِ الأخرى، والعلم في قلبِ العالمِ مستقرٌ، ويحل في قلبِ غيره بتعليمِه من غير أن يرتحلَ عن قلبه، والمال أجسامٌ وأعيانٌ، ولها نهايةٌ، فلو ملكَ الإنسانُ جميعَ ما في الأرضِ، لم يبق بعده مالٌ يتملكه غيره، والعلم لا نهايةَ له، ولا يتصوّرُ استيعابه، فمن عوّد نفسَه الفكْر في جلال الله وعظمته وملكُوتِ أرضِه وسمائه، صَار ذلك ألذَّ عنده من كل نعيمٍ، ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه، فلا يكونُ في قلبه حسدٌ لأحدٍ من الخلق، لأن غيره أيضاً لو عرَف مثل معرفتهِ لم ينقصْ من لذته، بل تزيد مؤانستُه.

فتكون لذَّة هؤلاء في مطالعةِ عجائِب الملكوت على الدوامِ، أعظمَ من لذّة من ينظُر إلى أشْجارِ الجنة وبساتينها بالعينِ الظاهرة، فإن نعيمَ العارفِ وجنته، معرفتُه التي هي صفة ذاتِه، يأمنُ من زوالها، وهو أبداً يجني ثمارَها، فهو بروحه وقلبِه مغْتذٍ بفاكهةِ علمِه، وهي فاكهةٌ غير مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ، بل قطوفُها دانيةٌ، فهو وإن أغمضَ العينَ الظاهرة، فروحُه أبداً ترتفعُ في جنة عاليةٍ، ورياض زاهرةٍ.

فإن فرض كثرَةٌ في العارفينَ، لم يكونوا متحاسدينَ، بل كانوا كما قالَ فيهم ربُّ العالمين: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، وهذا حَالهم وهمْ بعدُ في الدنيا، فماذا يظنّ بهم عند انكشافِ الغطاءِ، ومشاهدة المحبوب في العقبى!.

فإذاً لا يتصوَّر أن يكونَ في الدنيا محاسدةٌ، ولا يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدةٌ، لأن الجنة لا مضايقةَ ولا محاسدةَ فيها، ولا تنالُ إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فإن أهل الجنة بالضّرورة برآءُ من الحسَدِ في الدنيا والآخرة جميعاً، بل الحسدُ من صفاتِ المبعَدين عن سعَة عليِّينَ إلى مضيق سجِّين. ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذُكِر من صفاته أنه حسَد آدم ﷺ، على ما خصَّ به من الاجتباءِ، ولما دعي إلى السجود استكبر وأبَى، وتمرد وعَصى.

فقد عرفْتَ أن لا حسدَ إلا للتوارُدِ على مقصودٍ يضيقُ عن الوفاءِ بالكلِّ، ولهذا لا ترى الناس يتحاسَدُون على النظَر إلى زينةِ السماءِ، ويتحاسدُون على البساتينِ التي هي جزءٌ يسير من جملةِ الأرضِ، وكل الأرض لو وُزِن لها بالإضافة إلى السماءِ، لكانت السماء لسعةِ الأقطار وافيةً بجميع الأبصَارِ، فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً.

فعليكَ إن كنتَ بصيراً، وعلى نفسك مشفقاً، أن تطلبَ نعيماً لا مزاحمةَ فيه، ولذةً لا مكدِّر لها، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرِفة الله ومعرفة صِفاته وأفعالِه وعجَائب ملكوتِ السموات والأرض، ولا ينالُ ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفَة أيضاً.

وإن كنت لا تشتاقُ إلى معرفِة الله تعالى، ولم تجد لذَّتها، وفتَر عنها رأيُكَ، وضعفت عنها رغبتكَ، فأنت في ذلك معذورٌ، إذ العنينُ لا يشتاقُ إلى لذّة الوقَاعِ، والصبي لا يشتاق إلى لذّة الملكِ، فإن هذه لذاتٌ يختصّ بإدراكها الرجالُ دون الصبيانِ والمجانين.

وكذلك لذة المعرفةِ، يختصّ بإدراكها ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرُهم، لأن الشوق بعدَ الذوقِ، ولمن لم يذقْ لم يعرفْ، ومن لم يعرفْ لم يشتقْ، ومن لم يشتق لم يطلُبْ، ومن لم يطلبْ لم يدرك، ومن لم يدرك بقيَ مع المحرومين في أسفل السافلينَ، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، انتهى كلامُ الغزاليِّ رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة منقلبَه ومثواهُ، آمين.

* * *

فإذا عرفتَ ذلكَ، فاعلَمْ أن سيدنا وشيخَنا كما رأيناه وخبَرْناه، من أكبر العارفينَ، بل لا شكَّ أنه عينُ زمانِه بشهادَة جدِّه الحبيب عبدالله الحداد، فكان يقول له: عالم تريم، ويقول له : يا سلطانُ، وأهل (تريم) هم المقدَّمون على أهل (حضرموت) وغيرها.

* * *

وقد رأيتُ في المنام لتسعٍ وعشرين خلَتْ من شهر شوال، كأن والده سيدنا القطب الحبيب الحسنَ بن سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، جالسٌ في الدهليز، الضَّيقة، التي يجلسُ فيها أولاً قبلَ المحضرة، رأيته نفعَ الله به يصفُ في تربيتِه لسيدي الوالد أحمد واعتنائه بهِ، وآخر كلامه في المنامِ، قال لي: هذا منزلُ بركاتِ الوالد الحبيب عبدالله الحداد، وبقيت منصتاً لكلامه في المنام، متلهفاً عليه جدًّا، فقال لي: لو كان البحر مداداً، والأشجار أقلاماً، ما تقدر تحيط على مَا وهبني الله، إلا إن هداك الله، وأرجو من الله الكريم أن يهديَني ويوفقني لإصابة الصوابِ، آمين.

* * *

وقد تربى سيدُنا الوالد على يدِ والده تربيةً كاملةً، وجعل نفسه كالميّت بين يدي الغاسلِ، عمل بجميع ما في رسَالة جدِّه «رسالة المريد»، واقتفَى أثره في جميع أقواله وأفعاله وأعماله، حتى تحقق بالولاية الكاملَة، وصار حاملَ لواء العلمِ والإرشادِ، وما يوجد في (حضرموت) في زمنه أعلمَ منه، بل ولا رأينا في زمنِه مثلَه، ولا سمعنا به في الجهات البعيدةِ من شامٍ وهندٍ وعراقٍ ويمنٍ، وغير ذلكَ، فكيف وهو عالم (تريم)، ذات الخير العميم، وتربى على يدي قطب وقته.

* * *

قال سيدُنا الأكبر الغضنفَر، الفخر أبوبكر بن عبد الله العيدروس، في سؤالٍ له نفَع الله به: «قد صار المتحققُ بالولاية الكاملةِ، أعزَّ من عنقاء مَغربٍ، لاسيما أهل مقام التبليغ والإرشاد، الحامليَن لواء الخلافةِ في العباد، الذين من أراد الله به خيراً يسَّر له شيخاً يتولَّى تربيته، ويلقي إليه القياد، ليسلك به سبيل الرشاد،ويعرفه رعُوناتِ نفسه ودسائسها الخبيثة، ويدله على جمعية الهمّة على الله تعالى، والفرار عما سِواه، ويكون له مسايراً في طريقِه، ملاحظاً له بالتربيةِ بالحالِ والفعل والمقالِ، حتى يوصله إلى مقامات الرجالِ، وإلا طالتْ عليه الطريقُ، وحصل عليه التعويق، وتزلزل قدَمُه في طريقِ الإرادة، ولو أجهدَ نفسه ما خرجَ عن مواطنِ العادةِ.

وهم، رضي الله عنهم، إنما آثروا الاختفاءَ،، بل آثر الله لهم ذلكَ، لفساد الزمان وأهله، وإعراضه بالكليةِ عما خُلقوا لأجْله، إذ أصبحَ الكلُّ مشغُوفاً بهواه، مؤْثراً للحياةِ الدنيا على ما عندَ الله، فلم يكونوا أهلاً لظهور أولياءِ الله فيهم، لئلا يعْطُوا الحكمَة غير أهلها فيظلموها، مع أنه لا بدَّ أن يكون منهم في الوقْت أئمةٌ ظاهرونَ على من عاداهم، قائمون بالحقّ، لا يضرهم من ناوأهم، ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، نسألُ الله الكريمَ، البرَّ الرحيمَ، إن يفيض علينا من سنياتِ أحوالهم، ويرزقنا اتباعَ سبيلهم في أفعالهم وأقوالهم، فهم أهلُ الله وخاصّته،

الذين اصطفاهم، وإلى مكنون أسرار علمِه هداهُم، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدهْ»، انتهى.

وقد وردَ في الحديث النبويّ: «**لم تزل طائفةٌ من أمتي ظاهِرونَ على الحقّ لا يضرُّهم من ناوأهم**»، وجاء عن سيدنا عليّ بن أبي طالب كلام عجيبٌ مثلَ ذلكَ، كما ذكر ذلك سيدنا الحبيبُ عبدالله بن علوي الحداد في كتابه «الدعوة التامة».

وقال في «ديوانه المنظوم»:

والأرض لم تخلُ من قومٍ يقومُ بهم　　　أمرُ الإلهِ كما قد جَاء فاحتَفلِ

* * *

بل هو وارثٌ لعلوم جده المصطفى ﷺ ولمقامه العظيمِ، وقد رأوا النبيَّ عليه الصلاة والسلام جملةٌ من السادةِ الأشرافِ وأهلُ العلمِ والعملِ في المنامِ على صورته، رضي الله عنه، وكذلك رأوا جملةٌ جدَّه القطب الغوثَ عبدالله بن علوي الحداد على صُورته، نفع الله به، كما تقدم شيء من ذلكَ، وإذا اجتمع فيه أسرارُ القطب الحاوي أسرارَ الأكابر كفَى، فهنيئاً له ذلكَ، نفع الله به.

* * *

وكان فيه تَوْأدةُ خالِه العارف بالله عمر بن حامد المنفِّر باعلوي، ووقاره، كما تقدم، وقال مراتٍ: إن صمتي وسكوني ووقاري وقارُ عمر حامد، وقلبي قلبُ حسن ابن عبدالله الحداد، يعني والده.

ولما وصلَ المدينة سنةَ حجَّ، سنة ١١٥٧، زار الشريفةَ صاحبة الخوارق والكشف الجلي، السيدة الشريفة، علوية بنت عيدروس بن عبدالله صاحبِ (الوَهْط)، فلما دخل المجلسَ التي هي جالسةٌ فيه، قالتْ له وراء السترِ الذي بينها وبينه: امدُد

يدَك، فلما مدّها ونظرَتْها، سكبتْ فيها ماءَ وردٍ، وقالتْ: إني أشهدُ الله أنكَ وارثُ جدّك، أشهد الله أن صاحبَ هذه اليد وارثُ جدِّه. قلتُ لسيدي: قولها جدِّك أي الجدُود هو؟ قال: الحبيب القطب الغوث عبدالله الحداد، نفع الله به

وأخبرني المحبُّ عبود بن أبي بكر باناعمة، قال: رأيتُ سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد في المنامِ، وقلتُ له: خاطرك معي، قالَ: إني أحميكم مثلَما يحمي الوالد ولده، وأعط الخليفةَ كذا وكذا، فقلتُ له: ومن الخليفة؟ فقال: حبيبك أحمد بن حسن الحداد، فانتبهتُ فرحاً مسروراً بما منَّ الله عليَّ في الرؤيَا.

وكان علماء عصْره مطلقينَ الثناءَ عليه، ومعترفين له بالتقدُّمِ. وكان آيةً في التواضع والتخلقِ للناسِ.

* * *

وأما احتماله وصبرُه وعفوه، فو الله ما رأيتُ مثله، وقد قدمتُ كلام والده بدر الدين الحسنِ، قال: لو أصبر صَبر أحمدَ، لرجوتُ خيراً كثيراً.

وقال سيدي الوالد: من أذنب ذنباً واجترأ عليَّ، إذا جاءني معتذراً إليّ صادقاً، إن قلبي يحبه ويقبله، ما كأنه فعل معي ذلك الذنبَ. فقلتُ له: سبحان الله إن قلب الإنسان يبقى معه أثر لمن أساءَ إليه، قال: أنا لستُ كذلكَ.

فكنت إذا ذكرتُ كلمتَه هذه تعجبتُ كثيراً، نفع الله به، بل قال جدُّه الأوحد الحداد: من لطَمني لم أجدْ عليهِ، لأنه يرَى الفاعلَ الله، فانظره في «غاية القصد والمراد».

* * *

كانت ولادةُ سيدنا الوالدِ ليلةَ السبتِ في ٢٢ شوال سنة ١١٢٧، تاريخ الولادة «ولد شيخ العلوم»، وتاريخ ثاني لأخيه عبدالله «نظيفُ البدن»، وحنكه بتمراتِ جدُّه

القطب الغوث عبدالله بن علوي الحداد، نفع الله به، وهو الذي سماه أحمدَ، وكان جده يشير إليه ويميزه من بين الصبيانِ.

قال سيدنا الحبيب الحسن: أتمنى ولادة أحمد ابني ليلة السبتِ، لأن الوالد يبيتُ في البلاد، عند آل الحسين بلفقيه، عند زوجته، وكان كذلكَ، والحمدلله.

وحالَ الكتابةِ الآن، سنةَ ١٢٠٤، فالوالد عمرُه سبعٌ وسبعونَ سنةً، يجمع ذلك قولكَ «عَزّ»، وقولك «كنزٌ». وأخبرني بعضُ المحبين أنه اجتمعَ هو والصبيان بحَضرة جدّه يقعدُه في حضنه، ويعطيه خاتمه ينظر إليه، ومكتوبٌ على خاتم الحبيب عبدالله الحداد «حسبنا الله ونعم الوكيل»، ففي إعطائه الخاتمَ إشارةٌ وأي إشارة، نفع الله بالجميعِ، ولا حرمنا بركتهم.

* * *

قال سيدي الوالد: إني أتقِنُ على صورة سيدنا الجد القطبِ عبدالله بن علوي الحداد، لأن الحبيب عبدالله ما توفي إلا وأنا لي نحوُ خمسِ سنين وستة عشر يوماً.

فالحمدُلله لما رأينا سيدَنا الوالدَ، ووالدَه، وجملةً كثيرين ممن رأوا سيدنا الحبيب القطبَ عبدالله بن علوي الحداد، لأنه يقول: ناظري وناظر ناظري في الجنة، كما ثبتت هذه الرواية عن سيدي العارفِ بالله عمَر بن عبدالرحمن البار، لأن واحداً من السادة قال له: إن الشيخ أبا بكر بن سالم باعلوي يقولُ: ناظري وناظر ناظري في الجنة. فقالَ: قال سيدنا القطب عبد الله بن علوي الحداد: ناظري وناظر ناظري في الجنة إلى الثالثِ، فالحمدُلله على جزيل فضل اللهِ.

* * *

وكانت وفاته كما تقدّمَ، وكما يأتي، يومَ الأحدِ، قبل الظهر بساعتينِ، و ٢٧ شهر رجب الأصبّ، سنةَ ١٢٠٤، أربع ومائتين وألفٍ، رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، وأخلفه علينا وعلى المسْلمينَ بخلفٍ صالحٍ، وجمعنا وإياه في دار كرامته، ومستقرِّ رحمته، آمينَ، ولله درُّ القائلِ فيه شعراً:

لله في خلقِــــه مــــا يَشـــاءُ	له الخلقُ والأمر ما شـاءَ كـانْ
ففي قـولِ كُـنْ صَـار تـدبيرُه	هو الباقي الحـيُّ والغـيرُ فَـانْ
لقد خصَّ من شَاء من خلقِـه	بمحْضِ التقَى واليقينِ العَيـانْ
فمـنهُم شـهابُ الـدّنا أحمـدٌ	حـداد بـالخيرِ قطـبُ الزمـانْ
وقــد جَــاء تــاريخُ مــيلادِه	«شيخ العلوم» وُلِـد يـا فـلانْ
وفي العمر «كنز» ويوم الوفَـاة	«رقت روحُ أحمدَ أعلى الجنانْ»

* * *

وابتدأ به المرضُ يوم الأربعاءِ، آخرَ أربعاء في شهر جماد الآخر، إلى يوم الأحدِ، وسبع وعشرين من رجب، سنة ١٢٠٤، قبل الزوال بسَاعتين، طلعتْ روحه الزكية، وعنده كافةُ أولادِه، إلا عبدالله مسافر بـ(جاوَة)، غسِّل وكفِّنَ، وصُلي عليهِ في الجبانة، ودفن شرقيِّ قبر والِده الحسن، ملاصقاً له، رحمه الله ونفعنا به.

وخلف من الأولاد الذكورِ ثمانيةً، وبنتاً واحدةً، وقد درج قبله ابنٌ له اسمُه حسين، وبنتٌ. وأسن أولاده: عمر، ثم علوي، ثم عبدالله، ثم حامد، ثم عبدالرحمن، ثم حسين، سميَّ المندرج، ثم عليٌّ. **والبنتُ** مزْنة، تزوجَها محمد بن جعفر بن محمد بن الحبيب عبدالله، وعندها منه أولادٌ، صاروا ذووا أولادٍ في حياتِه، وتربَّوا في حجره وتحت نظرِه، ملازمينه ليلا ونهاراً، وأوقات الصلوات والحزوبِ، والقراءة عليه في المدارس، ودرَّس بعضُهم في الفقه بإذنه في حياتِه، خصوصا عمَر، فإنه لما رجع من

(أرض العوالق) بعد وفاة جدّه الحسنِ، لم يرخّصْ له الوالد في المسير من عندِه إلا لإسقاطِ فرضِ الحجِّ، هو والأخُ محمدٌ، سنةَ ١٠٩٦، يجمعها قولك «حجُّه ظفرٌ».

* * *

[فصلٌ
في مدائحَ ومراثي في الحبيب أحمد بن الحسن الحداد]

وهذه مدائحُ ومراثي في سيدنا الوالدِ.

فمنها: هذه المرثاةُ للمحبِّ الأديبِ، الطالب اللبيبِ، عبدالله بن عوض باذيب، وهي أولُ مرثاةٍ أنشئتْ فيها أعلمُ، وهو من الذين حضَرُوا الصلاةَ والدفنَ والختْمَ، كان الله له وجزاه عن خدمته لحبيبِه خيراً، آمينَ.

دعنِـــي أردّدُ زفْـــرتي وبكَـــائي ... وأطيـلُ مـا بـينَ الأنَـام عنَـائي
لـو كنـتَ تَـدْري لـوعَتي وصـبابتي ... لكففتَ عن عـذْلي وعـن إيْـذائي
أفـلا تَـرى مـا حـلّ بي مـن حرْقـةٍ ... وضِرام نَـارٍ أحرقـتْ أحشَـائي
أو ما ترَى جسْمي السقيمَ وقلبيَ الـ ... ـصَّابي الكليمَ وعَـبْرتي وضَـنائي
فارقْـتُ سُـلواني وأمسَـتْ مقلتِـي ... تـذرِي الـدموع كهامـلِ الأنْـواءِ
مما رمَـاني الـدهر مـن أسْـهَامه ... عمداً فأغرَى شَجْوتي وشَجائي
فأنـا مصـابُ حتُوفِـه وصروفِـه ... وأنـا قتيـلُ سـيوفِه البَـتْراءِ
فمحـالٌ أن أسْـلو وقَـد آلى ومَـا ... أخطَا، بـأن يسْطُو عـلى الـزعماءِ
ويـدير كاسَـاتِ المنُـونِ علـيهمُ ... ويـديلَ ضـوء الشـمْسِ بـالإغماءِ
فـتراه يرمـي كـل طَـودٍ شـامخٍ ... شَـهمٍ منيـفٍ سَـانق المبَنـاءِ
كالشـيخِ قيـدُوم الأئمـةِ سـيدِ الـ ... ـسـاداتِ والقـاداتِ والرؤسـاءِ
ويتيمَـة العقـدِ الثمـينِ ومـن لَـه ... في الفضْـلُ أعـلا رتبـة العليـاءِ
ومصـدَّرُ الفضـلاءْ والكُمّـل والنـ ... ـبلاءِ والبلغَـاء والفُصَـحاءِ
ومقـدَّمُ الأدبـاءِ والنجبَـاءِ والـ ... ـعقلاءِ والعُلـماء والكرمـاءِ
من قـد حـوَى علـمَ الكتـابِ وسُـنةٍ ... وسَـما عـلى الأمثـالِ والقرنـاءِ

بحرُ العلومِ وقدوة المفتينَ في التـ ـصحيحِ والتّرجيحِ والإفتاءِ
كنزُ الأرامِل والأيَامى كافلُ الأ يتَام والضُّعفاء والفقَراءِ
برٌّ رحيمٌ محسِنٌ ذو عفّةٍ وفتوّةٍ وأمانةٍ وحيَاءِ
القطبُ ابنُ القطبِ ابنِ القطبِ مَن شمخَتْ به الغنّاءُ على الجوزاءِ
جمعَ العلوم وحَاز كل فضيلةٍ متخلّقٌ بالصفحِ والإغْضاءِ
داعِي العبادِ بقولِه وبفعله وبحالِه في السرِّ والنجواءِ
كم قد هدَى المولى به وعلومِه من جاهلٍ في ظلمَةٍ سوداءِ
كم قد حبَا من تحفَةٍ ولطائفٍ ومعارفٍ جلّتْ عن الإحصاءِ
ولكم به منْ طالبٍ متوجِّه قد صَار معدوداً من العلماءِ
هو قطبُ دائرةِ الوجُود حبيبنَا الفردُ في العَصر وفي الآناءِ
أسَفاً على ذاك الإمام المجتبَى والطيبِ الآصَال والمنْشاءِ
أسَفاً على القوَّامِ في غسَقِ الدجَى الصّابر الشكّارِ للنعماءِ
أسَفاً على الحصْن الحصين إذا دهَى خطبٌ عظيمٌ حالِكُ الأرجاءِ
أسَفاً على كنزِ اللطائفِ مخدَع الأ سرار والأنْوارِ ذا الآلاءِ
أسَفاً على من كان ستراً واقياً كهفاً من الأنكَادِ والأسْواءِ
أسَفاً على مقْرِي الوفودِ إمَامنا من خصَّ بالتقريبِ والإدناءِ
أعني شهابَ الدين والدنيا الذي قد صَار عين معارفِ الأسماءِ
حسنٌ أبوهُ نسلُ عبدالله الحـ ـدادِ القلوبَ القطبِ في الإمْلاءِ
يا سيدي يا عُدتي يا عمْدتي يا بغيتي يا مقصَدي ومنَائي
فلأنْتَ عدتُنا وأنتَ ملاذُنا من كل خطبٍ هائلٍ وبلاءِ
أوحشْتنا وتركتنَا في حيرةٍ وكآبةٍ وصَبابة وعنَاءِ

مـن ذا يحـلّ المشـكلاتِ ويرتجـى ... للمعْضـلاتِ ويجـلي الأصْـداءِ

فعـلى محيـاكَ الوسـيمِ تحيـةٌ ... تـتلى مـع الإصبـاحِ والإمْسـاءِ

وإذا ثوى الجسْمُ الشريفُ فسرُّك الـ ... ـباقي لنَـا يـا سـيدي ولجَـائي

وعلومُـك الـلاتي تركْـتَ خليفَـةٌ ... فينَـا وكـم مـن منحـةٍ عَظْـماءِ

والسرُّ في أولادك الغرِّ الكـرامِ السَّـ ... ـادة النجبَـاء والأدبـاءِ

مـن كـل متصـفٍ بكـل حميـدةٍ ... طبعـاً بـلا كلـفٍ ولا إلـواءِ

جبلوا على المشكُور في الأقـوالِ والأ ... فعـالِ والإكْـرام والإعطـاءِ

فجـديرُ للكرَمـاءِ والفضـلاء أن ... يـأتونَ بالفُضَـلاء والكرمـاءِ

الله يحفظهُـم ويعـلي شَـأنهم ... ويعمَّهـم بالفضْـلِ والإحْبـاءِ

ويغـلّ عـنهم كيـدَ كـلِّ معانـدٍ ... أو حاسـدٍ مـن مقـرَب أو نَـائي

والله يجمـعُ شـملهم ويعيـذَهم ... مـن سَـائر الأنكـادِ والأسـواءِ

ويقـيمُهم في مـنهج السـلف الـذين ... كـانوا مـن الأجْـداد والآبـاءِ

حتـى تقـرَّ عيونُنـا بشـهودِهم ... وتشـاعَ عـنهم أحسـنُ الأنبـاءِ

وصَـلاة ربي والسـلام يفـدْ إلى ... خـير الأنَـام وسـيدِ الشـفعاءِ

والآل والأصـحابِ مـع أتبَـاعهم ... ومـن اقتفـى لطريقِـه الغـراءِ

* * *

وللسيد الحبيبِ الفاضلِ، عقيل بن محمد مساوى، شيخه:

نجُبُ الأحباءِ سارَتْ مع الركبـان ... نحـو الحبيـب مجيبـةٌ باذْعـان

لما حـداها الشـوقُ صـارَت نحـوه ... حتـى أقامَـتْ حضـرَةَ الرحمـان

فهناك تاهُوا واستراحوا من صدَى ... حجُبِ العناصر وانجَلى ذا الرانِ

وأزالَ عـنهم كبَـدَ البـينِ الـذي ... قـد حـالفوا بـالرَّوحِ والريحـانِ

ولقد رضيْ عنهم وهم عنه رضُوا ... ودنـوا إليـهِ وهـو مـنهم داني

قـومٌ إذا جـنّ الظـلام فَـدأبهم ... قـوم وركّـع وكـذا سُـجْدان

وإذا بـدَت شـمسٌ تخلّـوا للـورى ... بهدايـةٍ ونصـاحةٍ وأمَـان

الجسـمُ معتـد لا بحُكـمِ ظـواهر ... وبـواطنِ معمـورَة بإيقَـان

أوقـاتهم معمـورةٌ في طاعَـة الـ ... ـمولى وأنفـاسٌ بهـذا الشـأن

إذا رأوا ذُكِـر المهـيمنُ حقّـه ... إذ هُـم بـه في هيئـةٍ وبيـان

أخلاقهـم خلُـقُ المعظّـم أحمـدٍ ... يكـيفهم فخـراً كـذا القـرآن

غابوا فأوحشَ عصْرنا من بعـدهم ... لكـن بهـديهمُ ضِـيا الأكـوان

مـنهم همـامٌ قـد أجـابَ مليكَـه ... لوفاتِـه قـد كـدرت أزمـان

وبكتْـه أطيـار ووحـشٌ في الفـلا ... وأمـاكنٌ ومسَـاجد وإنسـان

آه عـلى نجـم الهدايـة إذ غـرب ... آه عـلى القمـر المنـير الـداني

آه عـلى فحـلِ الفحـول حبيبَـا ... العـالم المشـهور الربّـاني

أحمـد بحـر العلْـم قيـدوم الوغـا ... المـرغِم الأعـداءْ مـع الشـيطان

أهـل السياسـة والفراسـة وكَـذا ... ركنُ الكرم والجـودِ والإحسـان

أهل الفتوّة والوفَـا قطـب العلـوم ... أهـلُ الولايـة عِقْـدها النـوراني

أحمـد ولـدْ حسـنِ المكنـى شيخِنا ... حـدادنا هـو قـرّة الأعيـان

فـالله يخلفُـه علينَـا صـالحا ... ويضـيء نـورُه مـدة الأزمـان

وبحقّـه فـارحمْ إلهـي ضَـعفنا ... واهـدِ ووفـقْ وأكمـل الإيمـان

ولثامن العشرين من رجـبٍ دفِـنْ ... خلـفَ أبيـه كامـل العرفـان

وأتـاك صـب لفألـه أرختـه ... جـاء الحبيـب فـازَ بالرضـوان

وأخـتم قـولي خاتمـا ومصـلياً ... عـلى المشـفّع مـن ولـد عـدنان

والآل والصحب الكرام وتابع ... ما غرد القمري على الأغصان

* * *

وهذه للشيخِ الفاضل العالم، فارس بن الشيخ الكبير العارف محمد باقيس، ساكن (دوعن)، في شيخه:

جاءت لنَا الإعلامُ بالأخبارِ ... تنبي عن الخطبِ العظيم الطارِي
بوفاة قطبِ الوقْت سلطان الملأ ... من نورُه بين البرية سَاري
من كان كهفاً للعبادِ يحوطُهم ... من ظَالم أو غاشم جبارِ
من كان ملجأ للشدائدِ كلها ... من جَور دهرٍ فاضَ بالأكدارِ
من كان داعٍ للأنام بقالِه ... وبحاله في الجهر والإسرارِ
من كانَ عند المعضلاتِ مبرِّزا ... يفتِي من البحْر الكبير الجاري
قد فاق أهلَ زمانه في علمِه ... وفهومُه نافتْ عن التيارِ
قد نالَ من ربّ السماء ما ناله ... أحدٌ من الأعلامِ والأخيارِ
قد ضوّع الآفاقَ نشرُ حديثِه ... سارتْ به الركبانُ في الأقطارِ
قد سادَ بين العالمينَ سيادةً ... عظمى تحاكي الشمْسَ في الإظهارِ
يقفُوا على أبوابه كلّ الورَى ... من طارقٍ متبركٍ زَوّارِ
يأتي إليه القاصدون الجحْفَلا ... لورودِ مما قد حبَاه الباري
منهم كثيرونَ طالبون لعلمِه ... ولأخذ ما قد خصَّ من أنوارِ
وكثير يأتي كارعاً من بحره ... من فيضٍ صَافي فيضِه المدرارِ
وفدتْ مكاتيبٌ له من سَادةٍ ... حلّوا بأطرافٍ من الأمصارِ
من شَامها والهندِ ثم مغاربٍ ... والبصْرة الخضْراءِ والأغوارِ
هذا إمامٌ مالَه مثلٌ مضى ... هذا الشهابُ العمدَة المختارِ

هـذا الـذي ورثَ السيادة كلَّهـا ... مـن جـدّه وأبيـه والأصْـهارِ
هـذا الـذي مـا قـطّ يجحَـدُ فضلـه ... إلا دعـيٌّ أو مـن الفجَّـارِ
يـا نجـلَ حـداد القلـوبِ يـا أحمـد ... لهفـي عليـك وسـاكنون الـدارِ
تبكي على ذاك الحبيبِ المرتضى ... نجـلِ الحسـنْ حـدادنا الصبـارِ
يا عينُ صبِّي بعـد دمعكِ للـدّماءْ ... صُـبي ولا تبقـي عـلى الأحبَـار
يـا عـين جـودي بكـرةً وعشـيةً ... وابكـي عـلى الحـدّاد حـامِي الجـارِ
آهٍ عليـه وألـفُ آهٍ بعـدَها ... ألفـين تـترَى بعـدَها أعشـارِ
تبكـي عليـه معابـدٌ ومـدارسٌ ... ومجـالسٌ مـن غـير مـا إنكـارِ
يبكيـه كَـم علَـمٍ وحـبرٍ فاضـلٍ ... وذكـي قـومٍ مـن ذَوي المقـدارِ
تبكـي عليـه الغانيـاتُ تحسّـرُا ... لجميـلِ طلعـةِ وجـه ذي الأنـوارِ
يـا رب تخلفُـه بخلـف صـالحٍ ... لذويـه والأولاد والأنصـارِ
والمسـلمينَ جميعَهم ومحبّـه ... المـذنِب العبـد الـذميم العـاري
مـن كـل خـيرٍ فعلُـه متـأخر ... لا حْـوال ممـا قـد قضَـاه البـاري
ياليـتَ غـرس المتمنـي مثمـرٌ ... هيـاتَ مـا غـرْس التمنّـي سـارِ
غـرسُ التمنـي مقعـدٌ لصَـحيبه ... مـا قـط يظفَـر منـه بالأوطـارِ
قـد كنـت أرجُـو أن تطـولَ حياتـه ... لكـن خـانَ الـدهرُ بالأخيـارِ
فـالله يجعـل سرَّه لفرُوعِـه ... نعْـم الفـروعُ أئمـةٌ أطهـارِ
ومحلـه الجنـاتُ يـنعم دائـما ... فيهـا ويحظَـى بـالنعيم الجـاري
يعطَـى مـن الحـورِ المـلاح كواعبـاً ... ونواهـداً وعرائسـاً أبكـارِ
وكـذلكَ ولـدانٌ وأخـدام لـه ... مـا مـثلهم في حسـنهم أقـمارِ
فـالله يجمعنَـا بـه في داره ... يـا حبـذا لـك بوركـت مـن دارِ

دار السـعادة والنعـيم مخلـدٌ فيهـا مقـيمٌ طيـبُ الأثـمارِ
يا رب لا تقطع رجَاء مـن قـد رَجا منـكَ العطـا يـا رب يـا غفـارِ
ثـم الصـلاةُ عـلى النبـي محمـدٍ وكـذا الصحاب السّـادة الأبـرارِ
مـا عابـدٌ صـلى ومـا داع دعـا تعـدادَ حـرفٍ مـا قـراه القـاري
وعـدادَ أمـلاك السـماء جمـيعِهم وعـدادَ سـحائب صيبِ الأمطـارِ
إن شـئتَ عـامَ وفاتِـه تاريخُـه «غـرّد طـيرٌ في ريـاضِ البـاري»

* * *

وهذه القصيدةُ للولد الأمجد، عمرُ بن الأخِ أبي بكر ابن العم علي بن الحبيب الشيخ علوي بن القطب الغوث عبدالله الحداد، والتاريخُ الذي فيها لسيدي الفاضل محمد بن الحبيبِ الوالدِ المرحوم، الشيخ المربي صاحبِ المرثاة، وهي:

حمـد دائـم مـديمْ للإلـهِ الكـريم
بـالخلائقْ رحـيمْ جَـزلِ الإنعَـامِ

* * *

ربّ سـلْكَ الثبـاتْ في زمَـانِ الشـتاتْ
عنـد تلـك المبَـاتْ وسـطَ الإظـلامِ

* * *

عـادْ قلبـي يهـيمْ فاسـتمعْ يـا نَـديمْ
قـول صـبٍّ سـقيمْ مُـذْنفٍ ظَـامِي

* * *

مـن خـبرْ قـد ظهَـر هال جميعَ البشرْ
كـل عـينِ انحـدَر دمعُهـا هَـامي

* * *

قـد دهتنـا خطُـوبْ بـالحزَنْ والكـروبْ
خيمَـتْ في القلـوبْ وارْمـت أسْـهامِ

* * *

مَـوت قطـبِ الوجُـود ذي حبَـاه الـودودْ
والخلائِـق رقـودْ لا بالأوهَـامِ

* * *

أجـابْ داعـي اللقَـا في المعَـالي رقَـى
كـم لـوارِدِ سـقَى بحـرُه الطّـامي

* * *

حـازْ كـلّ المقـامْ الشـهابُ الهـمامْ
غـوثُ كـلّ الأنـامْ خـيرُه النّـامي

* * *

آهْ قلبـي وجيـعْ مـن خـبر ذا شَـنيعْ
هُـدّ ركـنٌ منيـعْ للمـلأ حَـامي

* * *

ذه مصـيبةْ جـرَتْ في النـواحي سرَتْ
ليتهَـا مـا أخـبرَت نحْلَـت أجْسَـامي

* * *

ذاكَ قطـــبُ الــزمَن　　ذاكَ ابـــنُ الحسَـــنْ

ذاكَ مجـــلي الحـــزَنْ　　مـــرْوي الظّـــامي

* * *

صـــبر قلبـــي قليـــلْ　　مـــن فراقِـــه عليـــلْ

قـــطّ مـــا حَـــد بـــديلْ　　فـــاقَ الأعـــلامِ

* * *

انتقـــال ذا الإمَـــام　　في رجَـــب ذا العَـــام

واربـــعِ بـــالتمام　　عنْـــدَ الأختَـــامِ

* * *

بعْـــد مئتـــينْ جَـــات　　وألفْ حـــازَ الصّـــفاتْ

قـــولُ نســـلِ الثقَـــاة　　سَـــادة اكْـــرامِ

* * *

فاحســـبهْ يـــا فَـــيهمْ　　حـــيّ عـــالم (تـــريم)

في جنـــانِ النعـــيم　　للرتَـــب ســـامي

* * *

والصّـــــــلاة دَوام　　تغشَـــى بـــدر الـــتمامْ

مـــع جزيـــلِ الســـلام　　عـــدّ الأيـــامِ

* * *

وهذه للسيد الشريفِ، سقاف بن العالم الجليل محمد بن عيدروس الجفري:

بفـــؤادي المكلُـــومِ نـــارٌ توقّـــدِ　　والقلـــبُ فيـــه تـــأججٌ لا تخمُـــدُ

ولـــواعجٌ وزواعِـــجٌ وتحـــرقٌ　　وتأســـفٌ وتلهّـــف وتنهـــدُ

وصـفاءُ سري قـد غـدا متكـدراً ... وأرَى الغمـوم ورودُهـا يتزايـدُ
والعـينُ عـبرَى والـدموعُ غزيـرة ... والطرفُ في جوفِ الظلام مسهّدُ
والوجدُ قد هدَّ القوَى ولو استوَى ... صـمَّ الجبـال رأيتهـا تتهـدّدُ
ويحقّ أن تـذوِي غصونُ سرورِنـا ... والسـرّ يطـوَى بسـاطه ويبـدّدُ
ونهـارُ أفراحـي تغيـبُ شموسُـه ... حزنـاً ويغشَـاه الظـلامُ الأسْـودُ
بفـراقِ مـن لـدَغ القلـوبَ فراقُـه ... فكـأنما قلبِـي ثـواهُ الأسْـودُ
شـيخٌ رقَـى رتـبَ اليقـين ففضْـله ... في السـابقينَ وذكـرُه متجـدّدُ
أسـتاذنا الحـدادُ شـيخٌ الفـتح والإ ... مْـداد معـراجُ الطريقـةِ أحمـدُ
الـوارِثُ المحيـي لسـنةِ جـدِّهِ ... عـن جـدّه نعْـمَ الفتَـى المتعهِّـدُ
العارفُ النحريرُ من ضحّت به الـ ... ـمستعجماتُ ومـن بـِه يسترشـد
وأطاعَـت المستعصـياتُ لحكمِـه ... وبـه اقتنَصـنا مـا يشـذّ ويشـرُدُ
وبـه خفايَـا المعضـلاتِ تبلجَـتْ ... بظهـور فهـمٍ مشـرقٍ يتوقّـدُ
بحـرُ العلـومِ بـه شِـفاءُ غليلنـا ... وبـهِ يتـيماتُ الجـواهر توجَـدُ
و«سفينةُ الأرباح» في مـتَغطمِطٌ[1] ... منه جرَتْ فاركبْ تنلْ ما تقصِـدُ
داعٍ إلى الله العظـيمِ بفعْلـه ... ومقالِـه للعـالمين مسـدّدُ
متحققٌ بصفاتِ أهل القربِ صُـو ... في صَـفيٌ زاهـدٌ ومزهّـدُ
شـهدَتْ جميـعُ الكائنـاتِ بأنـه ... قطبُ الداوئرِ والمغيـثُ الأوحـدُ
وأقـرّ كـلّ العـارفينَ بفَضْـله ... من للشموسِ إذا تبـدّت يجحَـدُ
سـعِدَ الزمـانُ بـهِ ولمـا آن للـ ... ـعَيشِ الرغيـد بموتِـه يتنكّـدُ

---

(١) قال في «القاموس»: «الغِطْماطُ، بالكسر، الموجُ المتلاطمُ». فقوله (متغَطْمِطٌ)، أي: متلاطمٌ، انتهى. من هامش النسختين.

نـــاداه بـــالرفعِ الإلـــهُ لقربِـــه | فكأنـــه علَـــمُ الوجـــودِ المفـــرَدُ
واختَـــاره لعطائِـــه وولائـــه | ولسوفَ يغشاهُ الرّضَـا المتجـدّدُ
مـن تسـعةٍ زدْهـا عـلى مرسُـومنا | تاريخُـه «غـابَ الإمـام الأمجـد»
فلتبكِـه كتـبُ العلـوم ودرسُـها | وليبكِـه شرفُ العـلى والسـؤددُ
ولتبكِـــه الغنّـــا عـــلى وطآتِـــه | والحـــاوي الميمـــونُ والمتعبّـــدُ
حلتْ عرَى الدينِ القويم وهلْ لها | بعـدَ انحـلالٍ وانـثلامٍ تعقَـدُ!
من ذا لفـتحِ المقفَـلاتِ مـن الـذي | في الحادثـاتِ الواقعَـات يقلّـدُ
مـن ذا لـدفعِ النائبـاتِ إذا عـرَتْ | مـن ذا لنـا مـن بعـدِه يـا مُسـعَد
رَعْيـاً لأيـامِ الوصـال وصَـفْوها | تلـكَ الليـالي حسـنُها لا ينفَـدُ
لا تجزعنْ يا قلـبُ واصـبر راجعـاً | لله قـــدْ قـــبضَ النبـــيُّ محمّـــدُ
فلنَـا بمصـــرَعِه المعظّـمِ أسـوةٌ | والصـبر في كـلّ المـواطن يحمَـدُ
والله يخلـفُ مـا دهـاكَ لفقْـدِه | خـــيراً وسرُّ حبيبنَـــا لا يفقَـــدُ
ويكـــونَ في نســـلٍ قفَـــوا آثـــارَه | أخلِقْ بهـم لسـلُوكها أن يهتَـدُوا
ويؤهلُـــوا لقيـــام أعبـــاءْ حملِهـــا | وعلى المصابِ بأحمـدٍ أن يحمَـدُوا
ثـم الصـلاةُ عـلى الشـفيع الملتجـأ | فَرَطُ الأنامِ ومـن هـو المستنْجَدُ
والآلِ والصـحب الكـرام وتـابعٍ | مـا وحّـد الفـردَ المجيـدَ موحّـدُ
وأقـولُ منعطفـاً لمـا أنـا بـادئٌ | بفـــؤادِي المكلـــومِ نـــارٌ توقَـــدُ

* * *

وللشيخ الفاضلِ، الصوفي عبدالله بن فارس باقيس، في شيخه وحبيبه:

ما لعينـي عـبرَى ومـا لفـؤادي | يصْـطلي وبـهِ كـورْي الزّنـادِ
وضـــناءٌ ولوعَـــةٌ وشـــجونٌ | وبكَـــاءٌ وزفـــرةٌ وسُـــهادُ

لحدوثِ خطبٍ مهولٍ عرَانا عمّ وعراً وفي الوطاءْ والوِهَادِ
موتُ شيخ الزمان جدّد أحزا ني فتراني مبلبلَ البالِ صَادي
سَاورتني الهمومُ وانذابَ جسْمي لمغيبِ الشهابِ تحتَ اللّحاد
ذاك ابنُ الحسن مهابُ التلاقِي ومع الاصطِفاءْ وسيعُ المِهَاد
أحمدُ الحبر جامعٌ لخلالٍ دونها الحصْر ينتهي بالنفَادِ
عالم عاملٌ ولي تقيٌّ عارِفٌ فاضل منيلُ المرادِ
كسبَ العلم من صباهُ دَؤوباً بذكاءٍ وفطنَةٍ واجتهادِ
فزكا مدركاً لذي الدرْسِ حتى أدمنَ الاكتسابَ رايحْ وغَادي
ولطالما أسعفَ طالبيهِ بانبذالٍ متمماً للمفَادِ
وله منةٌ على حامليهِ طوقُوهَا ونعمة وأيادِ
يمحَضُ النصْحَ والرعاية صدقاً لجميع العبَاد حاضرُ وبادي
وينالُ منه المريدُ حبوًّا ونجاحاً في نهج طرقِ الرشادِ
ويذودُ ذا الجهالةِ عما سلكُوه سبلاً لأهلِ الفساد
شأنه الرفْقُ والسماحُ وعفوٌ دأبه الصفحُ والهدَى للسدادِ
ولأهلِ الصلاح والخير جمعاً يفتقِدهم متوالياً بالودادِ
أوحشَت بعدهُ الديار فأبكَتْ ساكنيها والأهلَ والعوّاد
وبكته مدارسٌ وبنوها وفنونٌ من العلم العتاد
كالتفاسير لكتابٍ عزيز وكآياتِ آلاته في المرادِ
والبخَاري ومسلمٌ وصحاحٌ غيرها من حديثِ أفضل هَادٍ
والمعارفْ مع الرسَالة أيضاً والنصائحْ لجدّه الحدادِ
والرسائل لَه ودعْوةُ حقٍّ ووصَايا مع الفصُول الجيَادِ

وجـــوابٌ لســـائلٍ مســـتفيدٍ حبـــذاك المفيـــدُ والمســـتفادِ
والمســمّى بالــدّر ديــوانُ شــعرٍ وجميـــعُ الحـــزوب والأورادِ
وكذا الإحيــاءُ والتحفَــة والمنهَــا جُ والمـــنهَجُ فـــتحُ الجـــوادِ
ووظائفٌ من العبــاداتِ جلّــتْ ولوقتـــه وزّع أيّـــام الجـــدادِ
والزيـــارات للمشـــاهدِ طـــرًّا والمعابـــد بـــالأنس والـــتردادِ
إن كلّ الــذي ذكـرْتُ ليضْـحى وينـــوحُ وينـــدبُ وينَـــادي
آه ألــفٌ عليــه إن كــان يغْنــي ألفُ آهٍ من حرْقـةٍ واضْـطهاد
يــا ابــنَ حــدادنا ومحـي طريقـاً دارساً عافيـاً رجَـع في ازديـادِ
أنــت أيتمتَنــا لموتِــك غــارتْ مــن ريــاضٍ مناهــلُ الــورادِ
في تريمٍ ومهبط النُور حاوي الــ ـــبهاء بالفتيـــة الأمجـــادِ
مـن بنيـكَ نرجُـو الإلـهَ يقـيهم وكفَـــاهم شـــماتَةَ الحسَّـــاد
ويقيمـونَ مـن بعـدكم لمقَـامٍ قمْتَ فيـه كـالأبِ والأجْـداد
ويكـونُ بهـم صـلاحاً ورشـداً في أطرافِ البلاد من كـل نـادِ
أنـتم الطيبـونَ طـابَ شـذاكم ويفوحُ مـن نشـركم كالزّبَـادِ
وأنــا أســتغفر الله المهــيمن رَبي من جميع الذنوبِ خـافٍ وبـادِ
وســؤالي منـــه تعـــالى عُـــلاه رافعُ السبع مـا لهـا مـن عـماد
يجمع الشملَ وهـو راضٍ علينـا في جوار النبي عمُودِ اعـتمادي
نـــاعمين بـــدارِ عـــدْنٍ بحُـــورٍ نـــاعماتٍ كواعـــبٍ في المهـــادِ
نـــاظرين لوجْهـــه ذاكـــرين شـــاكرينَ عـلى العطـاءْ المـدّاد
وكذا الوالدان والصـحْب طـرًّا وشـــيوخاً والآل والأحفـــاد
وصـــلاة تـــترَى بشـــفعٍ ووتْـــر وســـلامٌ بـــالجمعِ والآحـــاد

لشفيع العصاة خير البرايا   أحمد الحامدينَ ما سَال وادي
وعلى الآلِ والصحاب ومن هُو   يقتفي إثْرَهم طريحَ العتاد
ما سرَتْ نسماتُ نجدٍ فأشجَتْ   وأثارت بلابلاً بفؤادي

* * *

ولمريده السيدِ العالم، علي بن محسن الجفري باعلوي، في شيخه وأستاذه، مربي المريدين:

ما لي أراك حليفَ الحزْنِ مكتئبَا   ودمعُ عينك في خديكَ منسكِبَا
وإن أشرْتَ يلبيكَ البكَا عجِلاً   وإن أردْتَ لذيذ النّوم يوماً أبَى
ذكرتَ بانَ اللِّوَى أم جيرةً بعُدَتْ؟   أم فقدُ إلفٍ جفَا من بعدِ ما قرُبَا؟
أم قدْ عراكَ جنونٌ؟ أم صبوتَ إلى   حِبٍّ؟ أم البرقُ من نجدٍ بدا فخبَا!
لا ذا ولا ذا! ولا هَذا يهيّجُني   لكن خَطبٌ دهَى الآفاق والتهَبا
فقدُ الذي يفضُلُ الأقرانَ إن ذكِرُوا   أو حلّ أرضاً زهَتْ من فخره
ذاكَ الإمامُ شهابُ الدين عمْدَتنا   هو المقدّسُ قد فاقَ الورى حسَبا
أعني به أحمدَ الحدادَ عمدَتنا   سلالةَ الحسنِ القطبِ الذي نجُبَا
فذاك نجلٌ لعبدالله يا نِعْم مِن   قطبٍ إلى قطبِ الأقطابِ قد نُسِبا
شيخُ الطريقِ وأستاذُ الفريق ذوو   فخرٍ يفوقُ سناءَ الشمْسِ والشهبا
بحرُ العلوم وحاويها ومعْدِنها   والحائزُ السبقَ في غاياتها رُتَبا
كنزُ العديم بلا ريبٍ ولا جدلٍ   كهفٌ إن الكرْبُ للأطبان[1] قد
عينُ الزمانِ همام العصْر واحدُه   إن ذكره جاءَ عند الضيقِ قل رَحُبَا
نحباً قضاه ولكن بعْد وقتِ قضَى   فيه حقُوقَ العلا فرضاً ومنتَدبا

(١) قال في «القاموس»: «الطبَنُ، الجمعُ الكثير»، فقوله: «للأطبانِ»، جمع طبن أي جمع تكسيرٍ. هامش.

البـارعُ البـاعِ في كـلّ الفضـائلِ والـ ـراقي مراقي العُلا من حينِ وقْتِ الصّبا
لهـفَ العلـومِ عـلى حَـبر يقـومُ بهـا تحتَ الـدياجِي وقـد أرْخَتْ لها حُجبا
لهـفَ البقـاعِ عـلى وبـلٍ يحـلّ بهـا وتكتَسي منه إن أمْسَى بها طربَا
لهفَ المعالي على مـن قـد غذتْـه وربـ ـتْهُ وليـداً وقـد عـاش بهـا حِقَبـا
فالدرْسُ والطّرْسُ والمحـرابُ يعرفُـه والـدهرُ والفخْـر والعليَـا لـه نـدَبا
فحـبرُ دِيـرينَ قـالَ في نظـمٍ لـه لا يبكي سوَى خمسةٍ صدقاً وما كـذَبا
وقـد تجمـعَ فيـه فضْـلُ كـلّ وإن قلـتَ رَبَـا فضْـلُه فهـو يقينـاً رَبـا
سلِ العُلا عنه تشفي القلبَ من ظمـأ من وصْفه وتريكَ العجْبَ والعَجبا
وقـد كفتنـي عـن الإطنـابِ فيـه إذا وإنهـا لا تقـولُ الـزُّورَ والكَـذِبا
وقـد أحلّـتُ لعجـزي ولمعرفتـي بِـه قطعـتُ لإطْنـابي هنَـا طنُبَـا
رثيتُــه لا لأستقضــي مفَــاخِره لكن لكي ما أقضّي بعضَ ما وجبَـا
الله يخلفُــه فينَــا وفي عقِــبٍ لـه بمثـلٍ فـرَبي خـيرُ مـن وهبَـا
لا برحتْ سحبُ الرضـوان هاطلـةً على ضريحٍ له مـا هـبّ ريحُ صَبا
لا زالَ بشّارُ منها البشْرُ منتشرٌ يـدومُ في تـرَبٍ أكـرم بـه تُربَـا
تـاريخُ شـيخي أتَـى جمعـاً لنقلتـه «ودود» أحمـد أعظـم بِـه قطبَـا
ثم الصلاةُ مع التسليم يهـدَى إلى الـ ـهادي المشفّع طـهَ سيدِ العُرَبـا
والآل والصحب مـا ناحَـتْ مطوقـةٌ أوهـبّ ريحٌ علـى الأغصـان فاضْـطربا

وهذه الأبياتُ للشيخِ الصالح، عبدالعزيز الديرينيّ، رحمه الله، التي أشار إليها الحبيبُ علي الجفري في القصيدة:

إذا مـا مـاتَ ذو علـمٍ وتقـوَى فقد ثلمَتْ من الإسـلام ثلمَـةْ
ومـوتُ العابـدِ المرضي نقْـصٌ ففـي مـرآهُ لـلأسْرارِ نَسـمةْ

ومـوتُ العـادلِ الملـكِ المـولَّى ... بحكمِ الحقّ منقصَـةٌ وفَصْـمةْ
وموتُ الفارسِ الضـرغامِ هدمٌ ... فكَم شهدَتْ له بالنصْر عَزمـةْ
ومـوتُ فتًـى كثـيرِ الجـودِ محـلٌ ... فـإن بقـاءَه خصـبٌ ونعمـةْ
فحسـبكَ خمسـةٌ يبكَـى عليهم ... وموتُ الغـير تخفيـفٌ ورحمـةْ

* * *

ومما قاله الصنوُ العفيفُ، عبدالله، لما وصلته قصيدةٌ من أخيهِ وأخينا، جمال الدين محمدٍ، حين كان بـ(أرض العوالق)، يستغيث فيها بآبائه الكرامِ، فأجابه العفيفُ الظريفُ بقوله:

ألا يـــا الله يـــا خـــالقْ ورازقْ ... أنـا سـالك تقـرّب نَـاظم أبيـاتْ
ويـا مَـن عـمّ خـيره في المشـارقْ ... وفي المغـرِب عـلى كـل البريـاتْ
وأرسـلَ بالهـدَى أهـل الطرائـقْ ... رسُلْ بـالمعجزة ظهِـروا والآيـاتْ
سـعِدْ مـن كـان تـابعهُم وعاشـقْ ... لسـيرتهم حِمِـي يـوم القيامَـاتْ
ومـن يعانـدْ يكابـد وسْـط طـابقْ ... عـذابَ الله وأهـوال النـداماتْ
ومـن بعـدَ الرسـل أهـل الحقـائقْ ... هم الأحبَـار هـم أهـلُ الولايـاتْ
حمـاة الـدينْ كـم زاحُـوا لعـائقْ ... وحلوا مشكلات أهـلِ العبـاراتْ
سـلامٌ دامَ خلطُـه عـرْف عـابقْ ... من المسكِ الذكي يهـدى لسـاداتْ
مشـيّع بالتحيـةِ والشـقائقْ ... وريحـانين مشـمومات طاقـاتْ
من الحضْرة إلى أرضِ العوالقْ ... ليبلغ سيدًا في الوصـفِ والـذاتْ
وبعـدَ السـاعِ يـا سـارح مطـابقْ ... على سابق طوىَ طـيّ السـجلاتْ
مـن الحـاوي حـوَى مـن كـل فـائقْ ... ومـن علـم الحقـائقِ والـدراياتْ

عليــه النــور في الــديجُور شَــارقْ ... محــرَّس بالمــدارسِ والجماعــاتْ
توكــلْ وابتكــر والشّــوق ســائقْ ... يبلغْــكَ الــذي حــاز البراعــاتْ
جمــال الــدين مــن لــه قَــول رائــقْ ... وجــاتْ أبيــات منّــه مســتقيماتْ
وكــم لــه يــد في علْــم الرقــائقْ ... وفي علــمِ الفصــاحَة والبلاغــاتْ
وفي علــم الأدب عــارفْ وحــاذقْ ... وفي بــابِ العبــادة لــه مقامَــاتْ
محمــد يــا بــن مَــن لــه حــال ذائــقْ ... بداياتُــــه نهايــــاتُ الولايــــاتْ
توســــلتُم بســـــاداتِ الخلائــــقْ ... بأجــدادك ومــنهم لــكْ كرامــاتْ
فكــم غــاروا ونجّــوا كــل غــارقْ ... وأبقــوا كــل حاسِــد في ظلامَــاتْ
فبشـــــرّ حاســـدينا بـــالطوراقْ ... مصــائِب صــايباته كــل ســاعاتْ
ومــن عــادَى تــردّى مــن شَــواهقْ ... ويمسي كن كــأنَ الكــل قــد فَــاتْ
ومــــن يظهِــــر لنــــا الزينَــــة منــــافقْ ... ويخفــي الشّــين تصْــلاه النــداماتْ
ومــــن كــــذّب يجــــرب فــــالعوائقْ ... مــن الخيــلِ الســوابق مســتغيراتْ
فحـــدادُ المغـــارب والمشـــارقْ ... يـــوفّي مـــا تحملنَـــا بعزمـــاتْ
إمـــام الكـــلّ مـــن عـــاداه مـــارقْ ... ولا له عذر مــن ترْحَــه ولوحــاتْ
ونفحاتُـــــه وشـــــاراته توافـــــقْ ... لمــن حسّــن ضــميره والطويــاتْ
هـــو الغـــوثُ الموكّـــل بـــالخلائقْ ... لهــم منــه المــدَد في كــل لحظــاتْ
مريــده لا تخــف إن كنــت صــادقْ ... فــدِرْعك لا تخرقُــه الرصاصــاتْ
مريـــدهْ لا تخـــفْ إن كنـــتَ شـــائقْ ... فــزُر تظفَــر بمطلوبــك وخــيراتْ
مريـــده شـــاهِد أن النّـــور بـــارقْ ... على نجلــه حسَــن نــورُ الجــلالاتْ
توسّـــل بـــه فكـــم قـــد زمّ زالِـــقْ ... وعرّفـــه المكـــارمَ والكرامـــاتْ
هـــو الضـــرغامُ بحْـــره دوبْ وافـــقْ ... وقـــاذفْ للمحبـــينَ العطيّـــاتْ

هــو القطــبُ المقــرّب عنــد رازقْ | تعــالى فــوقَ أصــحابِ الولايــاتْ
وسر اثنـــين في ثالـــث ملايـــق | نعــم صرح بــه أهــل الــدرايات
وجـــامعْ للشـــريعَة والحقـــائقْ | فسلْ وارحلْ مـع أهـل الزيـاراتْ
فقـــد جمـــعَ الحقـــائق والطرائـــقْ | ولا لــه مثْـل في هنـدٍ وشـاماتْ
ولا لـــه في المغَـــارب والمشـــارقْ | فقـــد أفـــرَده في كـــلّ البريـــاتْ
حـوّى سرّ السـلف قـد قـام سـائقْ | إلى الخـــيرات تهنَــاه الشــفاعاتْ
شــهابُ الــدين ســلطانٌ وفــائقْ | شـهَره الله عنـد أهـل السـمواتْ
تــرى القصـــاد لأبوابـــه تعـــانق | فكم صادر وكم واصل لحاجـات
أيا أحمدْ بن حسَن صـبّ الصّـواعقْ | لمـــن أمسَـــى يعادينـــا عيانـــاتْ
أيـــا شـــيخي أزلْ عنّـــي العوائـــقْ | وكُـــنْ لي عـــون إن لمّـــتْ ملـــماتْ
ولي في القلـــبِ حاجـــاتٌ دقـــائقْ | فقومُوا قد مضَـى دهـرٌ وأوقـاتْ
أخـــي يـــا محمّـــد أنـــا تـــائقْ | إلى اللقيَـا وأسـعفني بـدعواتْ
ولا تيـــأَس إذا عُـــدِم الملايـــقْ | فغـاراتُ السـلفْ تـأتي بنفحَـاتْ
وصـــلى ربنـــا مـــا ذرّ شَـــارقْ | عـــلى طـــه وآلِـــه والقرابـــاتْ
وصـــحبه الحـــماة أهـــلِ الخـــوراقْ | وعبّـاد السـلف أهـلْ المقامـات

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمدلله ربّ العالمين، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه و التابعين.

وبعد؛ فهذه القصيدَة للشيخِ فارسِ بن الشيخ محمد باقيس، في شيخه وحبيبه، الحبيب أحمد بن الحسن بن الحبيب القطب الغوث عبدالله الحداد:

طلعَـتْ شـموسُ الغانيـاتِ الخـرّدِ ذاتُ المحاسـنِ والجـمال المفـردِ

طلعـتْ تمـيسُ كأنهـا غصْـنُ النقَـا في الحـيّ ترفـلُ والحـلَى المتجـددِ

ولهــا الجعيــدُ معكّــفٌ ومعَنْــبرٌ ليـلٌ عـلى صـبٍّ يـروحُ ويغتَـدي

هيفــاءُ خــدلَجُ عيطَــلٌ مارِدفُهــا يحكِـي عـلى خَصـرٍ لهـا متجـدّدِ

فاقَــتْ مهَــا آرامِ رامَــة والنقَــا وظِبَـا الرمـال لمـتهمٍ أو منجِـدِ

بِــدلالها وجمالهــا وجميلهــا وبطيـبِ عـرْفٍ في المـلا مـتردّدِ

إن شوهدَتْ في الحسنِ قالوا يوسُفٌ حـيّر زليخَـا حسـنه المتفـردِ

يـا صـاحبي دعْ ذا التغـزلَ وانـتهِضْ واربَـأ إلى العلَـم المنيـفِ الأوحـدِ

ذاك الإمامِ ابن الإمام المرتَضى ورِثَ السـيادة والمقـامِ الأحمـدِ

مـن سـار سـيرةَ جـدّه في سـيره وقفَـاه في آثـاره والمعبَـدِ

ورِثَ الفتـوةَ كـابراً عـن كـابرٍ وحـوَى علـومَ الأقـدمين وأزيَـدِ

قـد حـازَ مـا حـازوه أربـابُ العـلى بفهومِـه وعلومِـه والمحتِـد

أعنـي بـه شـيخَ الشـيوخ إمامَنـا حـدادنا سـندَ السـيادة أحمـدِ

مـن نـالَ مـن والـدِه كـلَّ فضـيلةٍ ومن الحبيبِ الغوث أعظمِ مـورِدِ

مـن قـالَ قـد حزْنـا مواريـثَ الهـدى والعلْـمِ مـن أربابِـه والسـؤدد

هــذاكَ قــد ورِثَ المكـارِمَ مـنهم وحبَـا بهـا هـذا الحبيـبِ الأمجـدِ

هـذا الـذي قـد نـالَ كـل فضـيلةٍ هـذا الـذي مـا مثلُـه مـن سـيّدِ

هـذا شـهابُ الـدينِ سـلطانُ المـلا | هـذا عـمادُ المتقـين المهتـدي
هـذا حبيـبٌ للقلـوبِ محبَّـبٌ | هـذا إمـامُ الطـالبينَ المرشـدِ
هـذا الـذي قـد فَـاق أقرانـاً لـه | علـماً وحلـماً والمكـارِم عـن يَـد
فـالله يرحمنـا وينفعنَـا بـه | ويـديمُ سرًّا في عقبِـه سرمِـدِ
ويغيثنـا في قطرِنـا ويعزّنـا | بحبيبنـا ويـزيحَ شرَّ المعتـدي
وبـه يعـيشُ النـاس وقتـاً طيبـاً | وبـه الأمـانَ ينـال كـلّ موحّـدِ
والـوادي يصْـلُح والـولاةُ وآلهـم | وجميعَ من هو في الفضـائلِ مسْـعد
بشرَى لنـا بشرى لنـا بشـفاعة | في يومنـا هـذا ومـن بعـد الغـد
أحيَـى لنـا بحْـر العـوم دواثـراً | وأقـامَ منقضًّـا لنـا بمشـيدِ
ورفـعَ للـدينِ المشـيدِ منـارَه | والعـدْلُ ظـاهرٌ والعـذول مبـدد
الله قـد أعطـاهُ مـن أفضـاله | مـا عنـه يفـتضّ الحسـودُ الأحسـدِ
هـذه مواهـبُ لا مكاسـبُ سـيدي | هـذه مزايَـا صـدق أنهـى مقْعـدِ
فـالله يرحمنـا ويحفظنَـا بكـم | مـن حاسـدٍ أو مـبغضٍ أو مفسـدِ
ويـردّهم ربي عـلى أعقـابهم | صـمّ وعمـيٌ لم ينـالوا المقصـدِ
ثـم الصـلاة مـع السـلام عـلى النبـي | المصـطفى الهاشـمي محمّـدِ
والآل والأصـحاب مهـما أنشـدَت | طلعـتْ شـموسُ الغانيـات الخـرد

* * *

«الحمدلله سبحانه؛ من العبد الفقير إلى رحمة ربه، محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبداللطيف، إلى جناب سيده وشيخِه، واسطة عقد البيت النبوي، سيدي الحبيب أحمد، بعد تقبيل ثرَى أعتابه الشريفة، وإنهاء شريف السلام والتحية إلى حضرته المنيفة.

فأقولُ:

سرتْ نسماتُ الحيِّ وقْتَ الأصائلِ ... فهاجَتْ غرامي واستثارَتْ بلابلي
ولاحَ لعيني البرْقُ من جانبِ الحمَى ... فجادتْ بدمعٍ كالغمائم هاطلِ
وغنّتْ على عود الأراكِ حمائمٌ ... فهمَتْ بتذكاري لعَهدِ المنازلِ
ولما حدا الحادي بسَلْمى وزينبٍ ... فما شاقَ قلبي ذكرهنّ وطَاب لي
أَبَى الله أن أهفُو لهنّ وإن يكُنْ ... لهنْ جرَى ذكرٌ بكلّ المقَاول
وإن ترتضي نفْسي إليهنّ صبوةً ... وأحملُ منهم العنَا فوق كَاهلي
إذا شئتُ تشويقي وبعْثَ صبابتي ... وذبَّا لهمٌّ للفؤادِ مُنَازلِ
فدَنٍّ إليَّ الكأسَ من خمرةِ الصّفا ... وأحْيِ بها ميْتَ الحشَا والمفاصِلِ
فدَنّ إليك العُود في خلْوةِ الهنا ... سُحيراً إذا نامَتْ عيونُ العواذلِ
وسِر بي إلى حَانِ التواجُدِ والفنَاءْ ... على قدمِ التجريدِ من كلّ شَاغلِ
ودعنيَ عن زيدٍ وعمرٍو خَالدٍ ... فأنْتَ بذكراهُم على غير طائلِ
وغنّ وأطربْ مهجتي باسْمِ سيدٍ ... سَما عن شبيهٍ في الورى ومماثِلِ
وأعنِي أباعلوي العَليَّ مقامُه ... تقيًّا منيباً مخبتاً غير خَاملِ
إمامٌ عَلا شأناً وقدراً ورتبةً ... محلَّ السُّهَا من دونها بمراحِلِ
كريمٌ على مولاه ندْبٌ مهذّبٌ ... شريفٌ عريقٌ في السيادة فاضلِ
تقيّ نقيّ طاهرِ الأصْلِ ماجِد ... صَفي وفيّ أريحيٍّ وكاملِ
له النسبُ العالي الذي ينتهَي إلى ... شفيعِ البرايا خير حَافٍ وناعِلِ
حبيبٌ شهابُ الدين أحمدُ ذو البهَاءْ ... وقطبُ الورى السّامي الذرى عن مُشَاكل
سلالة قطبِ الخلقِ غَوثهم الذي ... سَما عن مساوٍ فضله ومعادل
منارُ الهدى نجْمُ الدلالة مظهَرٌ ... لأسرارِ كشفٍ للحقائق شَاملِ

غياثُ البرايا سيدي الحسنُ ابنُ من هو المرتجَى إمدادُه في النوازلِ
ومن هو قطبُ الكونِ حقًّا وغوثُه ونبراسُ مشكاةِ الهدى والدلائلِ
مربي المريدين الإمامُ الذي حوَى مقاماً تسامَى عن بلوغ المطاولِ
غياثُ الورَى في كل خطبٍ وحادثٍ بإنجَاده الواحي وحلِّ المشاكلِ
عظيمُ الكشوفاتِ الكبيرُ الذي سرَى له السرُّ في أهلِ القلوب الكواملِ
حبيبي الحبيبُ الفرْدُ حدادُنا الذي بتصْريفه قد قرَّ أهلُ الفضائلِ
سليلُ الغياثِ الشيخ علويّ الذي لإنجادِه في الخطبِ أسرع نائلِ
عظيمُ المقامِ ابن الجمالِ محمدٍ إمامِ الهدى الغوثِ ابن عذب المناهلِ
شهابُ الورَى فحل البريةِ أحمدٌ سلالةُ عبدالله بدرِ المحافلِ
غياثُ البرايا سيدي الحسَنُ ابن مَن هو المرتجَى إمدادُه في النوازل
غياثُ الأنام الحبر نجْلُ محمّدٍ جمالُ العبَاد الفرْدُ جمّ الفواضلِ
سليلُ الإمامِ الصدرِ علويّ الذي لإنجادِه في الخطبِ أسرَع نائلِ
سليل الشهابِ النّور أولِ من غدا يلقّبُ بالحدادِ أحمدَ كاملِ
سلالةُ مولانا أبي بكرٍ الذي هو الغَوثُ من قد كان أحسَن طائلِ
نتيجةُ ملجَأ الخلقِ أحمدَ من غَدا شهاباً لدين الله محرقَ باطِلِ
سليلُ الإمامِ الشيخ حقًّا محمّدٍ سلالة عبدالله تاج الأفاضلِ
غياثُ الورى نجْلُ المهذّب أحمدٍ شهابِ الأنامِ القطْبِ زاكي الشمائلِ
سليلُ الوجيهِ القطبِ علوي الذي لإمدادِه قد كانَ أسرع باذلِ
سليلُ الغياثِ القطبِ أعني محمدًا به أصبحتْ مرباطُ أبهى المنازلِ
هو ابنُ الإمام القطبِ مولى ملقّبٌ بخالعْ قسَم غوثُ الورَى خير كاملِ
علي ابنُ علويّ الغياثِ ابنِ غوثنا محمدِ الحاوي لأزكَى الخصَائل

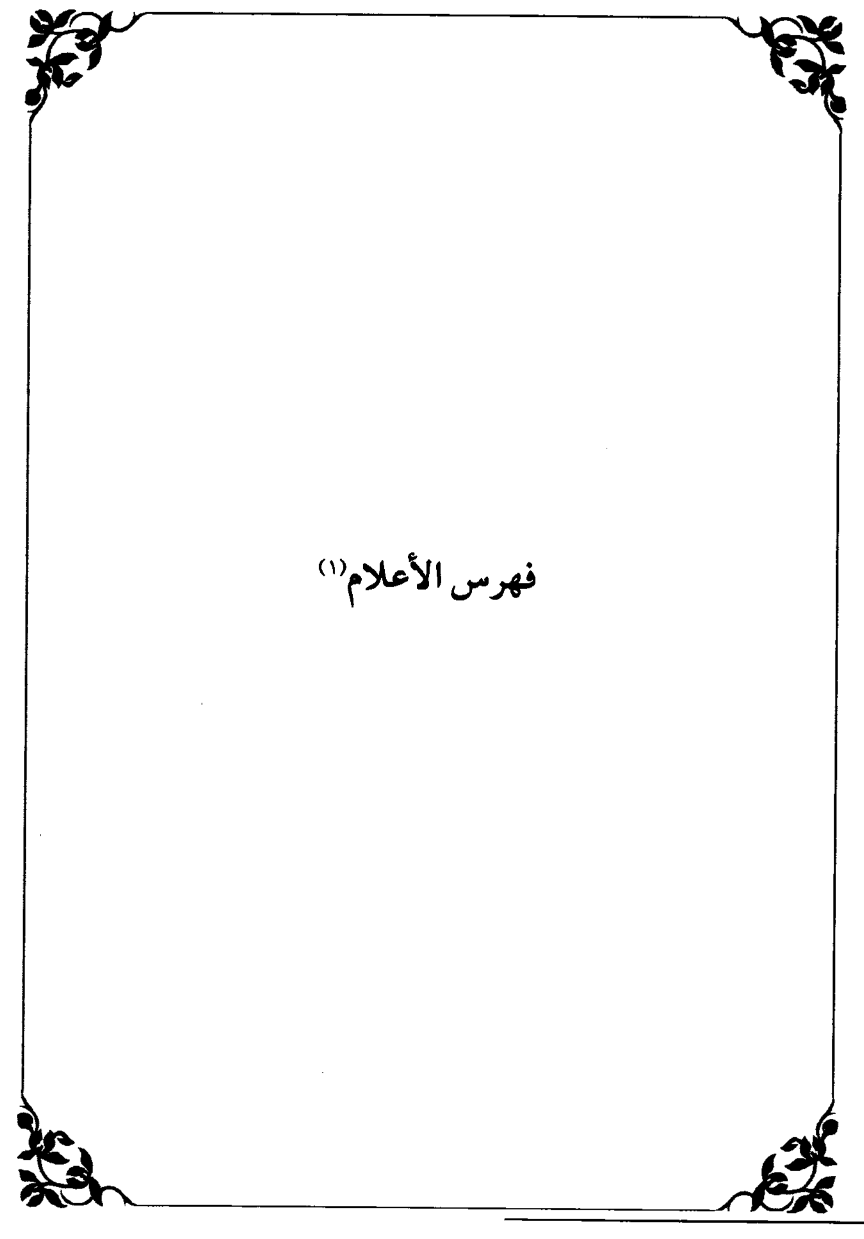
سلالةُ ذي التصريفِ والكشْفِ سيدي ... سني البهَا علويّ مـاضي المناصَـلِ
نتيجــةُ عبــدالله مــن شــاع كشْــفُه ... ودانَ لــه فضــلهُ مــن غَــدا ولي
سُــلالةُ مــن بالــدين راحَ مهــاجراً ... بــإذنٍ مــن الله المهــيمنِ حاصــلِ
شهابُ الأنامِ القطبُ أحمدُ نجْـلُ مـن ... يسمّى بعيسَى البرِّ سـمْحُ الأنامـلِ
ســليلُ الإمــام البحْــر علــماً محمــدٍ ... سليلُ الإمـامِ النور ليـثِ المنازلِ
عليّ العريضيّ ابن مولايَ جعفرٍ ... بصَادقهم يـدْعَى لـدى كـلّ ناقـلِ
ســلالةُ مـــولاي الملقّــبِ بَــاقرٍ ... محمـدِ بــنِ النُـور زيــنِ الأماثــلِ
هــو الطهْــرُ زيــنُ العابـدينَ علــيٌّ الإ ... مــامُ التقــيّ الــبرّ حتــفُ المباهِــل
نتيجةُ مولايَ الإمام الذي قضَى ... شــهيداً بأســيافِ الطغــاة الأراذلِ
إمامِ الورى مولايَ حيـدَرَ ذي التقَـى ... عليٍّ الـولي الطهْـر كهـفِ الأرامـلِ
هو المرتَضــى زوجُ البتـولِ التـي بهـا ... تَسامى مقـامُ الطـاهراتِ العَقائـل
بها الكـونُ حـازَ الفْضـل حقًّـا لأنهـا ... علـى النـاسِ قـد سـادَت بجـمِّ الفضـائلِ
نتيجــة خــير الخلــقِ أفضَـلِ مرســلٍ ... وأشرفِ مبعُــوثٍ وأصــدق قائــلِ
إلهــي بهــم يــا ذا الجــلالِ وجَـاههم ... وحرْمَتهم مع ما لهـم مِـن وسـائلِ
وأسرارهــم طــرًّا وعَــالي مقــامِهم ... وأحـوالهم تلـكَ العظـام الجلائـلِ
أقـلْ عثَـراتي واغفِـر بفضْـلك زلّتـي ... وكن مانحي صدقَ المتـابِ وقابـلِ
وجُــدْ لي بتوفيــقٍ وتنــوير بَــاطنٍ ... وإصلاحِ قلبٍ مـع فسـادِ التعامُـل
وهبْ لي رحيقَ الحبِّ لي فيـكَ شربـةً ... أهــيمُ بهــا في مــنهجٍ بــك آهــلِ
ســألتُكَ يـا مـولايَ يـا خـير سـامعٍ ... وخــير مجيــبٍ مــن منــادٍ وسَــائل
بأحبابــكَ الغــرِّ الــذين اصــطفيتَهم ... وكنْـتَ لهـم بـالقرب أكـرَم ناحـلِ
ومــن هُــم لأسرارِ الحقــائقِ معــدنٌ ... ومظهرُ تصــريفٍ إلى الحـق عـادلِ

وسائر من أشهدتهم حضْرةَ الفناءْ | عن الكونِ والأغْيار مع كلّ واصلِ
وسَاداتنا المحْبَونَ منكَ خصائصاً | بني علويٍّ فرعِهم والأصائلِ
وأقطابهم طرًّا وأغوائِهم ومَن | تجلى بكشْفٍ راسخٍ غير زَائلِ
تفضّلْ بمحْوِ الغير من لَوحِ فكْرتي | وجُدْ لي بقلبٍ للحقائقِ قابلِ
وكنْ مانحي يا ربّ إمْداد سَادتي | بني علويٍّ في الأمورِ الثواقِلِ
وإنجَادهم في كل أمرٍ يهمّني | وإسْعادهم في كل خطبٍ ونائِلِ
بهم يا إلهي بينَ قلبي وبينَ ما | عن الحقِّ يلهي حُلْ بأمنعِ حائلِ
وخَذْ بيدي في كلِّ أمرٍ ولي فَجُدْ | بحسنِ ختامٍ عند مَوتي عاجلِ
وصلّ وسلّمْ دائماً متواصِلاً | على مظهَرِ الأسرارِ كنْز الرسَائلِ
حبيبِ إله العالمين محمّدٍ | نبيِّ الهدَى المختَار أعلى الوسَائلِ
معَ الآل والأصحابِ والتابعينَ ما | سرَتْ نسماتُ الحيِّ وقتَ الأصائلِ

انتهَى، وصلى الله علَى سيدنا محمَّدٍ وآله وصحبهِ وسلَّم
والحمد لله ربِّ العالمينَ(*).

* * *

(*) ويلحق بهذه المناقب في الأصلين، ديوان الحبيب أحمد بن الحسن الحداد، وقد تم طبعه مستقلا عن هذا الكتاب، وفي خاتمة النسخة (أ): «بأنامل الفقير إلىٰ الله الغني المجيب، عمر بن محمد بن محمد بارجاء الخطيب، في أوائل شهر ذي الحجة الحرام، سنة ١٣٦٣». وفي خاتمة النسخة (ب): «بحمدالله قد تم نقل هذا الجزء الثاني من المواهب والمنن في مناقب قطب الزمن سيدنا الحسن بن عبدالله الحداد، منتصف شهر رمضان سنة ١٣٦٤، بقلم الفقير إلىٰ الله، سالم بن محمد العطاس، عفا الله عنه ووالديه، آمين».



فهرس الأعلام[1]

(١) هناك ثلاثة من الأعلام تكرر ذكرهم كثيراً جداً، فلم يدرجوا في الفهرس، وهم: الإمام عبدالله بن علوي الحداد، وابنه الحسن بن عبدالله، وحفيده أحمد بن الحسن، فليعلم.

فهرس الأعلام

إبراهيم، النبي (عليه السلام): ٢٨٧، ٣٦٤، ٤٩٥
إبراهيم الخلوتي: ٧١٩
إبراهيم الخواص: ٨٧
إبراهيم المؤذن بافضل: ٢٣٠
إبراهيم بن أدهم: ٨٨
إبراهيم الدسوقي: ٧١٩
إبراهيم بن سالم بن عبدالله بن علوي الحداد: (٤٣٨)
إبراهيم بن شهربان الكازروني: ٧١٩
إبراهيم بن عبدالرحمن السقاف: ٦٣٢
إبراهيم بن عمر بن عبدالله باغريب: ٥٤٧
إبراهيم بن محمد المغربي: ٧٢
إبراهيم بن محمد رسول الله: ١٦٣
إبراهيم بن محمد مغيربان: ٢٦٩، ٣٩٥، ٤٦٥، ٤٩٩
ابن الجعد: ٤٩
ابن العماد: ٤٢٧
ابن الفارض: ١٠٤
ابن القاسم: ٥٨٤
ابن بنت الميلق: ٥٠٠
ابن حجر الهيتمي: ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٢٢٣، ٣٨٨، ٤٢٠، ٤٦٠، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٥، ٥٨٢، ٦١٣، ٦٢٦، ٦٢٩، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٨٣، ٧٥٣، ٧٦٠، ٧٦١
ابن حرازم: ٥٦٣، ٧٢٤
ابن ذؤيب: ٥٨٢
ابن رسلان: ٤٦١، ٤٧٧، ٧٥٣
ابن سيرين: ٣٨٣
ابن عباد (شارح الحكم): ٦٤١
ابن عبدالبر: ٥٨٢
ابن عبدالوهاب: ٦٩١
ابن عبسين: ٦٤٤
ابن عطاء الله: ٤٥٩، ٤٧٢
ابن علان: ٦٨٣

ابن قاسم: ٦٢٩

ابن ماجه: ٤٢٠

ابن مسعود: ٣٠٤،

ابن معين: ٥٨٢

ابن مهران: ١٠٥

ابن نباتة: ٧٦٦

ابن هشام (صاحب السيرة): ٦٤١

أبو إسحاق الجشتي: ٧١٩

أبو إسحاق الشيرازي: ٣٨٥

أبو الحسن البكري: ٤٧٨، ٤٩٧

أبو الحسن الشاذلي: ٢٢٩، ٢٤٨، ٢٩٢، ٣٠٣، ٦١٢، ٧١٩

أبو الطيب المتنبي: ٧٧، ١٠٥

أبو العباس الحرثي: ٢٣٥

أبو العباس المرسي: ٢٢٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٦١٢

أبو الغيث: ٢٢٩

أبو القاسم الجنيد: ٢٣٤، ٥٧١،

أبوبكر ابن العربي: ٥٦٣، ٧٢٤

أبوبكر الشبلي (الإمام): ٥٦٣، ٧٢٤

أبوبكر الصديق: ٤٤٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦٤

أبوبكر باجبير: ٨٣

أبوبكر بن حجة الحموي: ٦٤٢

أبوبكر بن حسين بلفقيه (آشي): ١٧٥، ٢٦٣،

أبوبكر بن حسين بن أبي بكر بانافع: ٥٤٢

أبوبكر بن سالم (الشيخ): ٧٣، ١٩٧، ٢٣١، ٢٦٣، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٩، ٤٣١، ٥٤٥، ٥٦٢، ٧٢٣، ٧٧٢، ٨٠٨

أبوبكر بن عبدالرحمن السقاف (السكران): ١٢٨، ٢٨٩، ٢٩٩، ٥٦٣، ٧٢٤

أبوبكر بن عبدالله العيدروس (العدني): ١١٨، ١٢٠، ١٤٦، ١٦٥، ١٧٠، ١٩٧، ٢٣٢، ٢٨٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٨، ٣٥٨، ٤٣١، ٤٣٩، ٤٨٦، ٥٢٦، ٥٣٢، ٥٥٦، ٥٦٢، ٦٢٣، ٦٣٣، ٦٤٢، ٦٤٨، ٦٧٢، ٧٩١، ٨٠٥

أبوبكر بن علي الحداد (الزبيدي): ١٥٠، ٣٦١

أبوبكر بن علي بن علوي بن عبدالله الحداد: ٤٧٤، (٤٧٥)، ٤٧٦

أبوبكر بن عمر البار: ١١٩، ٤٣٤، (٥١٦)، ٥١٧، ٦٥١

أبوبكر بن عمر بن زين بن سميط: ٥٢٢، (٥٢٣)

أبوبكر بن عمر بن عبدالله باغريب: ٥٤٧

أبوبكر بن محسن باعبود: ٣٩، ٦١٣

أبوبكر بن مزاحم: ٥٤١

أبوتراب النخشبي: ٥٧٩، ٧٦٥

أبوحنيفة: ٧٨، ٢٥٥، ٥٨١، ٥٨٢، ٧٦٤

أبوشجاع: ٤٢٧، ٤٧٦، ٦٢٩

أبوعمرو البصري: ٣١، ٣٢

أبوقشير: ٤٢٧

أبومدين: ٥٦٣، ٦٦٨، ٧١٩، ٧٢٤

أبويعزى: ٥٦٣، ٧٢٤

الأحسائي = أحمد بن عبدالكريم

أحمد البدوي: ٧١٩

أحمد الرفاعي: ٩٤، ٣٠٤، ٧١٩

أحمد الرملي: ٤٢٧، ٦١٥، ٧٥٣

أحمد الصياد: ١٥٠، ٢٢٩

أحمد الهادي بن شهاب الدين: ٥٦١

أحمد بالوعار: ١٢١، ١٤٤، ٦٥٢، ٦٥٣

أحمد بلجفار: ١٤٥

أحمد بن أبي القاسم الخلي: ٢٢٤،

أحمد بن أبي بكر (السكران): ١٢٨

أحمد بن أبي بكر الشبلي: ٤٩٩، ٥٤٤، ٧٨٠

أحمد بن أبي بكر مطهر: ٣٧٣

أحمد بن جعفر الحبشي: ٥١١، ٥١٢، ٧٧٣، ٧٨١

أحمد بن حسن العطاس: ٦

أحمد بن حسن بن عبدالله بن علوي الحداد: (٧٤٩-٨٣٤)

أحمد بن حسين العيدروس: ٢٩٤،

أحمد بن حنبل (الإمام): ٢٥٥، ٦٥٧، ٧٧١

أحمد بن دوس بن محمد: ٤٥٦

أحمد بن زين الحبشي (نويدرة تريم): ٥٦، ٤٨٠، (٤٨٢)، ٤٨٣، ٤٨٤

أحمد بن زين الحبشي: ٤٠، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ١١٥، ١٢٣، ١٤٤، ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٢٠، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٧٨، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٣٥، ٣٦١، ٣٨٤، ٣٩١، ٣٩٢، ٤٢٨، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٢، ٤٨٥، ٤٩٠، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٣، ٥٢٥، ٥٤٢، ٥٦٠، ٥٨٦، ٧٧٤، ٦١٣، ٦٤٠، ٦٧٠، ٧٢٠، ٧٥٥، ٧٨٣

أحمد بن سالم الدغاري: ٧٩١

أحمد بن سالم بالولو: ٣٤٠

أحمد بن سعيد البوسعيدي (إمام عمان): ٥٨٠

أحمد بن سعيد بن عبدالسلام: ٤٨٩، ٥٠٦

أحمد بن صالح (محدث): ٥٨٢

أحمد بن صالح بن الشيخ أبي بكر: ٦٧١

أحمد بن عبدالرحمن السقاف: ١٢٩

أحمد بن عبدالرحمن الطيب بانافع: ٥٤٤

أحمد بن عبدالرحمن العيدروس: ٥٥٠

أحمد بن عبدالرحمن القشاشي باعمر: ٤٥٨
أحمد بن عبدالرحمن بن سميط: ٢٤١، ٢٤٧، ٣٠٨، ٦١٨
أحمد بن عبدالرحمن بن علوي (عم الفقيه): ١٢٨، ٢٩٩،
أحمد بن عبدالرحمن بن محمد الجفري: ٣٦٤
أحمد بن عبدالقادر الحداد: ٥،
أحمد بن عبدالقادر باعشن: ٦٥٣
أحمد بن عبدالكريم الشجار الأحسائي: ٦، ٧٠، ٧١، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٦٠، ٢٦٢، ٣٨٧، ٣٩٩، ٤٤٧، ٤٩٩، ٥٦٠، ٦١١، ٦٢٠، ٦٤٠، ٦٤٣، ٦٤٩، ٦٨٦، ٦٨٨، ٧٥٢، ٧٧٧، ٧٩٢
أحمد بن عبدالله العيدروس: ١٣٠
أحمد بن عبدالله الهدار: ٦٧٢
أحمد بن عبدالله باغريب: ٥٤٧
أحمد بن عبيد بانافع: ٥٤١
أحمد بن علوان: ٦٥٢، ٦٥٣، ٧٦٠
أحمد بن علوي الحداد: ٥٠٤
أحمد بن علوي باجحدب: ١٢٨، ٢٩٤، ٦١١
أحمد بن علي البسكري المالكي: ٨٢
أحمد بن علي السرددي: ٢٣٧
أحمد بن علي القباني البصري: ٤٧٨، ٦٤٠
أحمد بن علي المحضار: ٣٣٢
أحمد بن علي باحرمي (نائب الجبانة): ٣١٧، ٣٦٣،
أحمد بن علي بحر القديمي: (٦٦٧)، ٦٧٢
أحمد بن علي بن سميط: ٤٠٦
أحمد بن علي بن عبدالله السقاف: ٤٩٤
أحمد بن عمر الزيلعي: ١٥١، ٧١٢
أحمد بن عمر الهندوان: ٣٣، ٤٥، ٦٦، ١١١، ١٢٩، ٢٠١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٣٩، ٣٨٥، ٥٥٠، ٥٧٣، ٦٤٢
أحمد بن عمر بن أحمد العيدروس (الحزم): ٥٥٠
أحمد بن عمر بن زين بن سميط: ٥٢٢، ٥٢٦، ٥٢٧
أحمد بن عمر بن علي الحداد: ٥٤٦، ٦١٩
أحمد بن عيسى (المهاجر): ١١٩، ١٤٢، ١٤٣، ٢٥٢، ٣١٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٣١، ٤٨٥، ٥٦٣، ٦٤٦
أحمد بن محمد الباقر بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٣٩، ٤٤١، (٤٤٧)، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٢
أحمد بن محمد الحبشي (صاحب الشعب): ١١٩، ١٤٢، ١٤٣، ٢٥٢، ٣١٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤٧٣، ٤٨٥، ٦٦٤

أحمد بن محمد الزبيدي: ٣٧٠

أحمد بن محمد بامرعي باعشن: ٤٦٨، ٦٥٨

أحمد بن محمد بن حميد (الأعمى): ٣٤٠

أحمد بن محمد بن زين الحبشي (صاحب جامبي): (٤٨٦)

أحمد بن محمد بن شيخ الجفري: ٤٨٠

أحمد بن محمد بن عبدالله بن شهاب: ٥٣٣

أحمد بن موسى بن عجيل: ١٥١، ٦٤٢، ٦٦٧، ٦٧٢

أحمد بن هاشم الحبشي: ١٠٥

إسحاق، النبي (عليه السلام): ٤٩٥

إسماعيل الجبرتي: ١٥٠، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٠٨، ٢٩٠، ٣٩٧،

إسماعيل بن جعفر الصادق: ١٦٣، ٦٦٠

إسماعيل بن محمد الشبلي: ٥٤٤

الإسنوي: ٥٠

آمنة بنت سيف: ٤٦٠

الأندلسي: ٤٢٨

أويس القرني: ٨٧، ٢٤٩، ٧١٩

بافضل (صاحب المختصرات): ٤٢٧، ٤٧٦، ٤٧٧

بامخرمة: ٤٢٧،

بحرق: ٤٢٨، ٦٤٤

بخاري: ٤٢٠، ٦٤٣

بدر الدين العادلي: ٧١٩

البغوي: ٣٤٤، ٣٨٢، ٤٢٠، ٤٢٨، ٦٢٩، ٦٤٢، ٦٤٣، ٧٥٤،

بلجفار: ~~٥٤٥~~ ٥٤٣

بهاء الدين السبكي: ٥٧٨

بهاء الدين نقشبند البخاري: ٧١٩

بهية بنت حسن بن عبدالله الحداد: ٤٢٤

بهية بنت عبدالله بن علوي الحداد: ٢٤١، ٤٨٧، ٥٤٦

بهية بنت علوي بن عبدالله الحداد: ٢٤٠، ٢٤٢

البوصيري: ٢٧٠

البويطي: ١٥٧

البيهقي: ٧٦٤

التاج السبكي: ٦٨٦

الترمذي: ٤٢٠

التقي الدين السبكي: ٥٠٠، ٥٧٨، ٥٨٠، ٥٨٢، ٦٨٦

التنوخي: ٦٤٢

جبارة بن ياسر: ١٤٨

الجبرتي = إسماعيل الجبرتي

جبريل (الملك): ١٠١، ١٠٢، ٥٦٣، ٧٢٤
جديد بن عبيدالله بن المهاجر: ٤٨٥
الجرجاني: ٧٧
جعفر بن أحمد بن زين الحبشي:
جعفر بن أحمد بن زين الحبشي: ٣٦، ٦٧، ١٣٩، ١٧٣، ٢٣٩، ٣٣٦، ٤٧٣، (٥٠٧)، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٠، ٦١٨، ٦٤٧، ٧٧٣
جعفر بن حسن البرزنجي: ٦٦٤
جعفر بن حسن بن طه السقاف: ٢٢١
جعفر بن عبدالرحمن بن محمد بن سميط: ٥٢٠
جعفر بن محمد (الصادق): ١٦٣، ٥٦٣، ٧٢٤، ٧٦٥
جعفر بن محمد العطاس: ٦٥٠
جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد الحداد: ٤٧٠
جعفر بن محمد بن عبدالله بن علوي الحداد: (٤٦٩)، ٤٧٠
جلال الدين بن علوي باحسن: ١٥٣
جنيد بن عبدالجبار بن مزاحم: ٣٢٣
حاتم الأهدل: ١٤٨، ٦٧٣
حاتم بن جبارة: ١٤٨
حامد باعبود: ٣٥١
حامد بن أحمد بن حسن الحداد: ١٦٩، ٥٣٠، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٦٠، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٦٦، ٧٨١، ٧٩٤، ٨٠٩
حامد بن حسن الحداد: ١١٩، ١٢٧، ١٩٠، ٤٣١، (٤٣٣)، ٤٣٤
حامد بن علوي بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٥٤
حامد بن علوي حامد المنفر: ٦٣٠
حامد بن علي بن حسين الحداد: ٤٤١، ٤٤٣، ٦٥٤
حامد بن عمر حامد المنفر: ١٠٠، ١٣٣، ١٧٢، ١٩٠، ١٩١، ٢٤٦، ٣١٢، ٣٣٦، ٣٤٢، ٣٥١، ٤٠٤، (٤٢٢)، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٨٤، (٥٣١)، ٥٤٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٥، ٦٣١، ٦٦٩، ٧٧٦، ٧٩٧، ٨٠٨
حبيب العجمي: ٥٦٣، ٧٢٤
الحبيشي: ٤٧٦
الحساوي = الأحسائي
حسن البصري: ٣٨٣
حسن البصري: ٥٦٣، ٧٢٤
حسن الورع: ١٢٩
حسن بن سقاف السقاف: ٣٣٩، ٤٩٢

حسن بن عبدالرحمن السقاف: ١٢٩، ٤٠٥
حسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٦٨
حسن بن عبدالهادي المهدي: ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٦٢
حسن بن عبيد بانافع: ٥٤١
حسن بن علي الجفري: ٢٦٣، ٥٠٥،
الحسن بن علي بن أبي طالب: ١٦٣، ٢٦٨، ٥٨٠، ٧٢٤، ٧٦٥
حسن بن عمر البار: ١٩٢، (٥١٥)، ٥١٦، ٦٤٧
حسن بن محمد الجفري: ٣٠١
حسن بن هادون بن شيخ العطاس: ٤٤٢، ٤٤٦
حسين العمودي: ٧٧١
حسين بن أبي بكر بانافع: ٥٣، ٣٧٠، (٥٤٢)، ٥٧٤
حسين بن أبي بكر بن سالم: ٥٦٢، ٧٢٣
حسين بن أحمد بن حسن الحداد: ١٣٦، ١٧٣
حسين بن أحمد بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٥١، (٤٥٢)، ٤٥٣، ٨١٠
حسين بن زين الحبشي: ٣٩١
حسين بن طاهر بن هاشم: ٣٦٥، ٣٧٤، (٥٣٤)
حسين بن عبدالرحمن السقاف: ١٢٩
حسين بن عبدالرحمن العيدروس (شبام): ٥٥٣
حسين بن عبدالله العيدروس (بور): ١٣٠، ٥٥١
حسين بن عبدالله العيدروس (ثبي): ٥٥٠
حسين بن عبدالله بافضل: ١١٢، ٥٧٨
حسين بن عبدالله بلفقيه: ١٤٧، ١٤٩،
حسين بن عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٦٨
حسين بن عبدالله بن سهل: ١٣٢، ٥٣٣، ٦٧٠
حسين بن عبدالله بن علوي الحداد: ٥٩، ٦٠، ١٢٩، ١٨٨، ١٩٦، ٢٧١، ٢٧٥، ٣٤٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٤٨، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٦١٥، ٦١٦
حسين بن عبدالله بن علوي العيدروس (الصومعة): ٥٥٢
الحسين بن علي بن أبي طالب: ١٦٣، ٢٦٨، ٥٦٣، ٧٢٤، ٧٦٥
الحسين بن عمر العطاس: ١٢٠، ١٢١، ٣٦١،
حسين بن عمر بلفقيه: ١٣٤، ٢٦١، ٢٦٢، ٣٦٩،
حسين بن عمر بلفقيه: ٣٣، ٨٩
حسين بن عمر بن زين بن سميط: ٥٢٢، (٥٢٣)
حسين بن محمد العمودي: ١٤٤
حسين بن محمد بن شهاب: ٨٩، (٢٤٣)، ٢٤٤،

٣١٩، ٣٦٩
حسين بن محمد بن عبدالله الحداد: ٥٩، ١٢٠، ٢٧٣، ٤٣٧، ٤٦٩، (٤٧١)، ٤٧٣
حفص (المقرئ): ٣٢
حكيم الحيثي: ٤٧٦
حمدون بن أحمد عكيهان (باعكيم): ١٧٣، ٢٣٣، ٣١٨، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٩٨، ٤٠٥، ٥٣٨، ٧٩٣، ٧٩٧
حمزة (سيد الشهداء)، قبره: ١٣٣، ١٦٣،
حنظل: ٤٠٨
حنيظل: ٤٠٨
خديجة بنت عبدالله بن عمر فقيه: ٢٤٠، ٤٣٧،
الخضر: ٥٢، ٩٧، ١٤٧، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٣٧، ٣٤١، ٣٦٠، ٦٢٨، ٦٦٧، ٧١٩، ٧٨٣، ٧٩١
الخطيب البغدادي: ٧٦٤
الخليفتي العباسي: ١٦٢
خميس بن مفتاح (صاحب البريمي): ٧٠٠
داود بن عمر الشاذلي: ٤٩٧
دود الطائي: ٥٦٣، ٧٢٤
ذو القرنين: ٣٠٧،
ذو النون المصري: ٩٠
رافع بن نصر البغدادي: ٦٨٦
رحمة بن مطر القاسمي: ٤٥٣
رقية بنت حسن بن عبدالله الحداد: ٤٢٤
ريحان (وزير الشريف سرور): ٤٦٧
الريمي (الفقيه): ٥٠
الزبير بن العوام: ٦٦٠
زروق (الإمام): ٢٨٥، ٢٨٨،
زكريا الأنصاري: ٢٣٤، ٣٤٤، ٣٨٩، ٤٢٧، ٥٣٢، ٦٣٠، ٧٥٤، ٧٨٧
الزمخشري: ٦٤٠
زهراء بنت زين خرد: ٤٤٠
زهير، الشيخ (مزار بعمان): ٦٤٥
زين الحبشي: ١٩٦
زين الدين المليباري (فتح المعين): ٢٢١، ٦٤٣
زين العابدين بن الحسين (الإمام): ٩٧، ١٦٣، ٢٥٦، ٥٦٣، ٧٢٤، ٧٦٥
زين العابدين بن عبدالله الحداد: ٥٩، ١٤٨، ١٨٨، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٢٣، ٢٧١، ٢٧٣، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٨، ٥٨٠، ٦٤٥، ٦٥٤، ٦٧٧، ٦٩٨، ٧٦٨، ٧٨٦
زين العابدين بن مصطفى العيدروس: ١٢٢،

٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٩، ٤١١، ٥٥١
زين بن عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٦٨
زين بن عبدالله بن زين الحبشي: ٤٨٢، (٤٨٥)، ٤٨٦
زين بن عقيل بن عمران باعمر: ٢٣٦،
زين بن علوي بن سميط: ٢٤٨، ٥٢٧
زين بن علي بن محمد باحسن: ٢٥٨
زين بن عمر البيتي: (٥٣٤-٥٣٥)
زين بن محمد بن زين بن سميط: (٥٢١)
زين بن محمد بن علوي بن عبدالله بن علوي الحداد: ٤٧٦، (٤٧٧)
زينب بنت أحمد (زوجة الفقيه المقدم): ١٢٧
زينب بنت الحسن بن عبدالله الحداد: ٤٧٥
زيني أفندي: ١٥٣، ١٥٤، ٣٦٠
سالم باحشوان: ٦٥٣
سالم باسالم: ٢٤٤، ٣٤٢،
سالم بن أحمد الدغاري: ٧٩٠
سالم بن أحمد بن علي بن عبدون: ٣٦٣
سالم بن بصري: ١٢٦
سالم بن سعيد قحيدان: ٣٣٩
سالم بن عبدالله بن علوي الحداد: ١٣٠، ١٨٨، ٢٣٩، ٤٣٨،
سالم بن عمر الحامد ابن الشيخ أبي بكر: ٢٥١، ٥٥٢، ٦٧١
سالم بن عمر بن عبدالله باغريب: ٥٤٧
سالم بن محمد باحرمي: ٤٢٥، ٥٤٦، (٥٤٧)، ٥٤٨
سالم صايل: ٥٢٨
سالم بن محمد العطاس: ٧، ٨٣٤
سرور (مولى الراكة): ٣٤، ١١٦، ٣٨٤،
سرور بن مساعد (شريف مكة): ٤٦٧، ٦٥٩
السري السقطي: ٥٦٣، ٧٢٤
سعد السويني: ٣٣١، ٦١٩
سعد بن عبدالله بن سمير: ٣٧٤
سعيد (شريف مكة): ١٥٤
سعيد بامحمد العمودي: ١٠١، ٣٨٤، ٥٤٩
سعيد بن صالح البعو: ٩٦، ٢٥٠، ٤٦٤، ٥١١
سعيد بن عبدالسلام: ٥٥٥
سعيد بن عبدالله باموسى العمودي: ٤٦٥
سعيد بن عيسى العمودي (الشيخ): ١٠٢، ١٢١، ١٤٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٤٠٣، ٤٣٠، ٤٣٩، ٤٧٧، ٥٣٢، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٤٦، ٦٤٨، ٦٥٠، ٤٧٠، ٧١٩، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٥، ٥١٠، ٥١٥، ٧٧١، ٧٨٥

سعيد بن محمد باشماخ: ٦٥٢
سعيد بن محمد باطويل العمودي (صبيخ): ٧٧٧
سعيد بن موسى زريق: ٢٢٢
سعيد زريق: ٣٤٠
سفيان، الشيخ (أبين): ١٤٦
سفيان الثوري: ٣٦٦، ٥٨٢، ٧١٦
سفيان بن عيينة: ٣٢، ٢٨٣،
سقاف بن عبداللاه السقاف: ٥٠٤
سقاف بن محمد بن أحمد بن زين الحبشي: ٥١١، (٥١٣)
سقاف بن محمد بن عمر السقاف: ١٧٣، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨٩، ٤٠٠، ٤٣٦، ٤٨٧، (٤٨٨)، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٦، ٥٣١، ٦١٨، ٦٤٧، ٧٧٥، ٧٨٤
سقاف بن محمد بن عيدروس الجفري: ٥٠٦، ٨١٩
سلطان بن صالح بن فريد: ٣٥٩
سلمى بنت حامد بن علوي حامد: (٤٣٥)، ٤٣٧
سلمى بنت حامد بن عمر حامد المنفر: ٣٧٥، ٦٣٠
سلمى بنت عبدالله بن علوي الحداد: ٦٩، ١٦٦، ١٦٩، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٧٧، ٣٤٠، ٣٨٢، ٦١٥، ٦١٦
سلمى بنت عبدالله بن محمد بافقيه: ٤٨٢، ٤٨٤، (٤٨٧)
سلمى بنت عمر المنفر: ١٢٨
سلمى بنت عيدروس بن أحمد الحبشي (والدة الإمام الحداد): ٦٤٦
سليمان بن عبدالله باحرمي: ٣٨، ٢٢٠، ٢٤٧، ٥٤٨
سليمان، الشيخ (مسجد القرين): ٥١٤، ٥١٩
سهل بن عبدالله بن سهل: ٢٢٣، ٥٣٣، ٥٨٦
سهل بن محمد باحسن الحديلي: ٥٦١
السودي = عبدالهادي السودي
السيوطي: ٤٢٠، ٤٢٨، ٥٨٤، ٦٤٤، ٧٥٥
الشاشي: ٧٩٨
الشافعي = محمد بن إدريس
شاه شجاع الكرماني: ٢٩٧، ٥٠١
شبانة بن مقبل الزعابي: ٥٨٠
الشرجي: ٦٨٧، ٧٨٦
الشعراني = عبدالوهاب الشعراني
الشعراوي = الشعراني
شفاء بنت الحسن بن عبدالله الحداد: ٤٤٠

الشنشوري: ٣٨٧، ٦٢٩

شيخ بن عبدالرحمن السقاف: ١٢٨، ٢٩٩،

شيخ بن عبدالله العيدروس: ٨٠، ٨٢، ١٣٠، ٢٩٩، ٣١٦، ٥٦٢، ٦٤٠، ٧٢٣،

شيخ بن عمر البار: ٥١٩

شيخ بن محمد باصرة: ٦٥٢

شيخ بن محمد بن شهاب: ١٤٩، ١٦٩، (٢٤٤)، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٧٤، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٦٩

شيخ بن محمد بن شيخ الجفري (المليباري): ١٧٨، ٢٧٩، ١٧١، ٣٦٤، (٤٨٠)، ٥١٨، ٥٦٤، ٦٦٥، ٧١٨، ٧٢٠، ٧٢٦

شيخة بنت الحسين بن عبدالله الحداد: ٤٦٠، ٦١٥، ٦١٦

صادق الجفري: ٦٦٤

صادق بن عمر البار: ٥١٩

صالح بن علي ناجي اليافعي: ٣٣٤

صالح بن فريد بن عوض بن منصر العولقي (سلطان): ١٧٥، ٣٢٠، ٥٤١، ٧٩٠

صالح بن محمد بانافع: ٧١، ٣٨٦، ٣٨٧، ٥٤٢، ٧٧٦،

صالح بن ناصر الرصاص (سلطان): ٣٣٢

صالحة بنت هادون العطاس: ٤٤٢

صديق، الشيخ (الحديدة): ١٥١، ٦٧٢

صفية (عمة رسول الله): ٦٢٦، ٦٦٠

صندل، الشيخ (المخا): ٦٧٣

طاهر بن حسين بن طاهر: ٥٣٤

طاهر بن محمد بن هاشم: ٨٩، ١٤٩، ١٥٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٧٧٤

الطبري: ٦٤١

طلحة، الشيخ (تهامة): ١٤٩

طه بن عمر البار: ٥١٩، ٧٧٠

طيفور الشامي: ٧١٩

عائشة بنت زين العابدين بن عبدالله الحداد: ٤٦٠، ٤٦٩

عائشة بنت عبدالله بن علوي الحداد: ٤٨٧، ٦١٦

عائشة بنت عمر المحضار: ١٣٠

عامر بن محمد باشماخ: ٦٥٢

العامري: ٤٢٨، ٤٤٦، ٧٥٥

العباس: ١٦٣

عبدالجبار (شبامي): ٤٣٠

عبدالجبار بن مزاحم: ١٤٥، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٥٣٩، (٥٤٠)

عبدالرؤوف (تلميذ ابن حجر): ٥١

عبدالرحمن الخطيب: ٦٤٠

عبدالرحمن السقاف (الكبير): ٤٨، ٩٠، ٩٢، ١٢٥، ١٢٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٨٨، ٥٦٣، ٦٣٢، ٦٣٤

عبدالرحمن المصري (ساكن المخا): ٧٦٣

عبدالرحمن باجلحبان: ١١٩، ١٢٣، ٣٤١، ٤٠٩، ٤٨٥

عبدالرحمن باحرمي: ١٢٣

عبدالرحمن باهرمز (قاضي شبام): ٥٤٩

عبدالرحمن بن أحمد بن حسن الحداد: ١٧٣، ٣٥٨، ٤٢٥، ٦٤٣، ٦٧٢، ٦٧٣، ٨٠٩

عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله الهلالي الأحسائي: ٦٩١، ٧٠٨، ٧١٢، ٧١٤، ٧١٥

عبدالرحمن بن أحمد شهاب الدين: ٥٦١

عبدالرحمن بن حامد بن عمر حامد: (٥٣١)، ٥٣٢

عبدالرحمن بن حسين بن أبي بكر بانافع: ٥٤٢، (٥٤٣)

عبدالرحمن بن حسين بن محمد بن عبدالله الحداد: ٤٧٣

عبدالرحمن بن سليمان بن عبدالله باحرمي: ٥٤٨

عبدالرحمن بن شيخ عيديد: ٥٦١

عبدالرحمن بن عبدالله باعباد: ٢٢٩

عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه: ٥٤٧، ٦٨٥، ٧٧٤

عبدالرحمن بن عبدالله بن زين الحبشي: ٤٨٢

عبدالرحمن بن عبدالله خطيب بارجاء: ٣٠٤

عبدالرحمن بن علوي حامد: ٤٢٧

عبدالرحمن بن الشيخ علي (السكران): ١٢٩، ٤٨٤، ٤٩٦، ٥٦٢، ٧٢٣

عبدالرحمن بن علي بن عبدالله السقاف: ٤٩٤

عبدالرحمن بن علي بن عمر فقيه: ٣٠، ٤٠، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ١٣١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٤٨، ٣٥٢، ٤١٢

عبدالرحمن بن عمر البار: (٥١٧)

عبدالرحمن بن عمر العمودي: ٦٤٤

عبدالرحمن بن عمر بن زين بن سميط: (٥٢٢-٥٢٣)، ٥٣٥

عبدالرحمن بن عمر بن عبدالقادر العمودي: ٥٤٩

عبدالرحمن بن محمد الجفري: ٣٦٤

عبدالرحمن بن محمد المشهور (شبام): ٦٦٥

عبدالرحمن بن محمد بارقبة: ٥٢٢

عبدالرحمن بن محمد بن سميط: ٥٢٠، ٥٢١

عبدالرحمن بن محمد بن شيخ الجفري: ٣٤١، (٤٧٩)، ٤٨٠، ٤٨٤

عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن سهل: ٥٣٤

عبدالرحمن بن محمد بن علوي بن عبدالله بن علوي الحداد: ٤٧٦، (٤٧٧)
عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس: ٥٥١
عبدالرحيم العراقي: ٧٥٧
عبدالسلام بن مشيش: ٤٥٨، ٤٥٩، ٦٤٢،
عبدالصمد بن عبدالحق: ٥٤٥
عبدالعزيز الديريني: ٨٢٦
عبدالعليم بن أحمد بن أبي بكر الشبلي: ٥٤٤
عبدالعليم بن حسين بن أبي بكر بانافع: ٥٤٢
عبدالقادر الجيلاني: ٣٤، ٧٣، ١٥٠، ٢٣٣، ٢٣٤، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٥٩، ٣٨٤، ٤٤٢، ٤٩٥، ٥٥٨، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٦٨، ٦٨٦
عبدالقادر الفاكهي: ٧٧، ٦٤٠، ٦٨٤، ٦٨٥
عبدالقادر بن شيخ العيدروس: ٢٢٢، ٦٤٠، ٦٤١
عبدالقادر بن علوي الحداد (ابن المؤلف): ٦٦٨
عبدالقادر بن عمر بن عبدالقادر العمودي: ٥٤٩
عبدالقادر بن محمد باقيس: ١٧٥
عبدالكريم السمان (المدني): ١٦٢
عبدالكريم بن هوازن القشيري: ٧١٩، ٧٥٤
عبداللاه بن محمد بن عمر السقاف: ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩٢
عبدالله التميمي الزبيدي: ٤٢٦
عبدالله الجفري (الخريبة): ٤٨٠
عبدالله الدوعني (الأعمى): ٣٤٩
عبدالله الشطاري: ٧١٩
عبدالله المخرمي بانافع: ٥٤١
عبدالله باعباد: ٧١٩
عبدالله بن أبي بكر العيدروس (الأكبر): ٢٥٦، ٢٩٠، ٢٩٢، ٣٦٦، ٤٩٥، ٥٣٣، ٥٤٥، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٢، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٢
عبدالله بن أحمد الفضلي: ١٤٦
عبدالله بن أحمد باشراحيل (مفتي عدن): ٦٤٣
عبدالله بن أحمد بن حسن الحداد: ١٣٠، ١٧٠، ١٧٣، ٢٢١، ٢٦٦، ٢٨٤، ٣١٨، ٣٣١، ٣٥٧، ٤٢٣، ٥٣٦، ٥٣٨، ٦٢٩، ٦٣٩، ٦٧٢، ٦٧٣، ٧٣٥، ٧٣٨، ٧٧٦، ٧٨٦، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨٢٦
عبدالله بن أحمد بن حميد (تريس): ٢٦٣، ٣٠١
عبدالله بن أحمد بن علوي الحداد: ١٧٤
عبدالله بن أحمد بن عيدروس الوهط: ١١٩، ٥٥٢
عبدالله بن أحمد مقيبل: ٥٩، ٦٤٥، ٦٥٤
عبدالله بن أسعد اليافعي: ١٠٠، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٤٢٨، ٥٣٩، ٦٤٠، ٦٤١،
عبدالله بن المبارك: ١٥٤، ٧٩٩

عبدالله بن جعفر بن محمد الحداد: (٤٧٠)، ٤٧١
عبدالله بن جعفر مدهر: ١٣٨، ١٨٧، ١٨٩، ١٨٨، ٢٢٧، ٤٤٢، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢
عبدالله بن حسن بن عبدالله الحداد: ٦٤، ١١٩، ١٢٧، ١٩٠، ٣٣١، (٤٢٧)، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٥١٦، ٤٧٨، ٧٦٠،
عبدالله بن حسن بن علوي الجفري: ٢٧٤
عبدالله بن حسن بن علي الجفري: ٥٠٥
عبدالله بن حسين بن أبي بكر بانافع: ٥٤٢
عبدالله بن حسين بن شهاب: ٣١٩
عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد: ٣٥٢
عبدالله بن حسين بن عبدالله بلفقيه: ١٤٧
عبدالله بن حسين بن محمد بن عبدالله الحداد: ٤٧٢، ٤٧٣
عبدالله بن زين الحبشي (الجد): (٤٨٢)، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧.
عبدالله بن زين بن عبدالله بن زين الحبشي (الحفيد): ٤٨٦
عبدالله بن سالم ابن الشيخ أبي بكر: ٧٦١
عبدالله بن سعيد العمودي: ٢٢٨،
عبدالله بن سهل باحسن: ٨٩، ١٠٠، ٢٥٣، ٣٠١،
عبدالله بن سهل بن عبدالله بن سهل باحسن (الحفيد): ٥٣٤
عبدالله بن صالح باكثير: ٣٢٦
عبدالله بن عباس: ٢٣١، ٣٧٣، ٧١١
عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد الجفري: ٣٦٤
عبدالله بن عثمان العمودي: ١٢١، ٣٩٦،
عبدالله بن عقيل السقاف: ٥٠٤
عبدالله بن علوي (باعلوي): ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١٢٧، ١٢٨، ٣٥٥، ٣٦٥، ٤٣٥، ٥٤٥، ٥٦٣، ٧٢٤،
عبدالله بن علوي العيدروس: ٢٤٩، ٢٥٠، ٥٦٢، ٧٢٣
عبدالله بن علوي بن عبدالله العيدروس (بور): ٥٥١
عبدالله بن علوي بن عبدالله بن علوي الحداد: ٤٧٣، (٤٧٨)
عبدالله بن علوي بن عمر حامد المنفر: ٤٢٤
عبدالله بن علي الصليبية العيدروس (سورت): ٥٥٤، ٥٥٥
عبدالله بن علي الوهط: ١٤٦، ٥٦٢، ٧٢٣
عبدالله بن علي بن علوي الحداد: ١٧٤
عبدالله بن عمر السري: ٦٥٤

عبدالله بن عمر بن الخطاب: ١٤٥
عبدالله بن عمر بن عبدالله باغريب: ٥٤٧
عبدالله بن عمر بن علي فقيه: ١٢٩، ٢٣٨، ٢٤٠، ٤٤٥
عبدالله بن عوض باذيب: ٨١١
عبدالله بن عيدروس (آل): ٢٤٢
عبدالله بن فارس باقيس: ٥٦، ١١٩، ٤٣٤، ٥٤٩، ٧٤٢، ٨٢٢
عبدالله بن محمد (الفقيه المقدم): ١٢٧
عبدالله بن محمد الباقر بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٣٩، ٤٦١، (٤٦٣)، ٤٦٧، ٤٦٨
عبدالله بن محمد الخطيب: ٣٩١
عبدالله بن محمد العمودي: ٢٨٥
عبدالله بن محمد العيدروس (مولى طعبرة): ٤٤٦
عبدالله بن محمد المكي: ٦٩٦
عبدالله بن محمد بلفَقْيه الشبامي: ٧٠٩
عبدالله بن محمد بن شيخ الجفري: ٤٨٠
عبدالله بن محمد بن عقيل باعمر: ٤٥٨، ٦٤٤
عبدالله بن محمد قطبان: ٣٣٩
عبدالملك الجويني (إمام الحرمين): ٤٧، ٤٨٣، ٥٦٣، ٧٢٤
عبدالملك بارجاء: ١٤١
عبدالملك بن عبدالجبار بن مزاحم: ٣٥٠
عبدالهادي السودي: ١٠٤، ٢٤٠،
عبدالواحد بن علي بن سبيت الزرافي: ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٦٤٨، ٧٨٦
عبدالولي بارجاء: ١٤١، ١٤٤، ١٤٨، ١٥١، ٥٤٩
عبدالوهاب الشعراني: ٢٠، ٤١، ٢٣٤، ٢٤٩، ٥٧١، ٥٧٨، ٥٨٣، ٦٤١، ٧٥٤، ٧٩١
عبدون باشاخة: ٥٥٥
عبدون بن محمد بن قطنة: ٤٤، ٤٥، ٣٣٢، ٣٦٣، ٦١٢
عبود بن أبي بكر باناعمه: ٨٠٧
عبيد بن سالم: ٣٣٧
عبيد بن عبدالملك بانافع (الشيخ): ٥٤٥
عبيد بن عبدالملك بانافع: ٥٤١
عبيدالله بن المهاجر: ١١٩، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٨٥،
عثمان الجبيلي: ١٥١
عثمان بن عفان: ١٣٣، ١٦٣، ١٦٤،
عقيل بن عبدالرحمن السقاف: ٥٦٠
عقيل بن محمد المساوى: ٨١٣
علوان باعكيم: ٣٥٨، ٣٧١
العلوي، السيد (بجدة): ١٥٣

علوي العيدروس: ٩٢، ١٠٤، ١٠٨
علوي بن أحمد الحبشي: ٦٤٧
علوي بن أحمد العيدروس: ٤١٠
علوي بن أحمد بن حسن الحداد (المؤلف): ١٧٣، ٢٢١، ٢٣١، ٢٨٤، ٣١٨، ٣٥٢، ٣٥٦، ٣٦٥، ٤٠٢، ٤٩٣، ٥٣٠، ٥٣٨، (٦٢٦-٧٣٠)، ٨٠٩
علوي بن أحمد بن زين الحبشي (شبام): (٥١٠)، ٥١١
علوي بن أحمد بن سميط: ٦١٧
علوي بن إسماعيل العيدروس (تاربة): ٥٥٠
علوي بن إسماعيل العيدروس: ٣٦٦
علوي بن سالم بن عبدالله بن علوي الحداد: (٤٣٨)
علوي بن سقاف (قاضي سيون): ٣٤٦، ٤٩٢
علوي بن سميط: ٢٤٧
علوي بن شيخ الجفري: ٨٩، ١٣٩، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٦٤
علوي بن طاهر الحداد: ٥
علوي بن عبدالرحمن بن محمد بن سميط: ٥٢٠
علوي بن عبدالله العيدروس (بور): ٥٥١
علوي بن عبدالله العيدروس: ٥٦٢، ٧٢٣
علوي بن عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٦٨
علوي بن عبدالله بن زين الحبشي: ٤٨٢، (٤٨٤)
علوي بن عبدالله بن علوي الحداد: ٥٣، ٦٠، ٧١، ٨٤، ١١١، ١٢١، ١٢٢، ١٣٧، ١٥٦، ١٥٩، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٣٧، ٢٧١، ٢٧٤، ٣٤٤، ٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٦٤، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٧، ٥٥٠، ٧٦٨، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٣٩
علوي بن عبدالله بن علوي بن عبدالله الحداد: ١٧٩، (٤٧٨)
علوي بن عبيدالله بن المهاجر: ١١٩، ١٣٤، ١٤٢، ٤٠٨، ٤٨٥، ٥٦٣، ٤٦٤، ٧٢٤
علوي بن علي الحداد: ٣٤٦، ٣٥٧
علوي بن علي العيدروس (الأحساء): ٤٥٩
علوي بن علي بن علوي بن عبدالله الحداد: (٤٧٤)، ٤٧٥
علوي بن عمر البار: ٤٧٠، (٥١٤)، ٦٥١، ٧٧١
علوي بن عمر الجفري: ٥٠٥
علوي بن عمر حامد المنفر: ٩٨، ١٠٠، ١٦٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٥٧، ٣٦٤، ٤٢٢، (٤٢٣)، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٨٤، ٦١٨

علوي الغيور بن محمد الفقيه المقدم: ٩٠، ١٢٧، ١٣٠، ٢٩٨، ٣٦٢، ٤٢٥، ٥٦٣، ٧٢٤
علوي بن محمد صاحب مرباط (عم الفقيه): ١٢٦
علوي بن محمد العيدروس (منصب عدن): ١٤٦
علوي بن محمد الكاف: ٧٦٢
علوي بن محمد باصرة: ٢٩٤، ٣٧٢، (٥٣٦-٥٣٩)
علوي بن محمد بن طاهر الحداد: ٥، ٨،
علوي بن محمد بن عقيل: ٦٥٨
علوي بن محمد بن علوي الحداد: ٥٣٢
علوي مولى الدويلة: ١٢٩
علوية بنت عبدالله بن علوي الحداد: ٤٨٢، ٤٨٧
علوية بنت عيدروس الوهط: ١٦٢، ٨٠٧
علي الأهدل: ٢٢٩، ٤٤٠
علي المرصفي: ٢٠، ٢٣٥
علي المقبني: ٢٠٥
علي النبتيتي: ٢٣٤
علي الهمداني: ٧١٩
علي باحرمي (الأعمى): ٣٨
علي باحشوان: ٤٢٤
علي بايزيد: ٦٤٤
علي بن أبي بكر السكران (الشيخ): ٨٢، ١١٢، ١١٣، ١٢٨، ٢٤٦، ٢٥٦، ٤٤٥، ٤٤٦، ٥٠٠، ٥٣٣، ٥٥٦، ٥٦٢، ٦٣٢، ٧٢٣
علي بن أبي طالب: ١٦٣، ٢٥٥،٢٦٣، ٢٦٨، ٢٨٥، ٤٤٦، ٤٧٩، ٥٦٣، ٦٣٣، ٧٢٤، ٧٦٥، ٨٠٦
علي بن أحمد باحرمي: ٣١٧
علي بن أحمد بن أبي بكر الشبلي: ٥٤٤
علي بن أحمد بن الشيخ أبي بكر: ٣٥، ٢٥١، ٥٥٢، ٧٧٢
علي بن أحمد بن حسن الحداد: ١٧٣، ٨١٠
علي بن أحمد بن عمر الهندوان: ٣٤٣، ٦٧٠
علي بن الجنيد: ٢٦٤
علي بن جعفر (العريضي): ١٦٣، ٥٦٣، ٦٦٠، ٧٢٤
علي بن حسن البرزنجي: ٦٦٤
علي بن حسن الحبشي (نصاب): ٤٦٤
علي بن حسن العطاس: ٢٣٦
علي بن حسين الحداد: ٦١٥
علي بن سالم بن عبدالله بن علوي الحداد: (٤٣٨)
علي بن سليمان بن عبدالله باحرمي: ٥٤٨
علي بن شيخ بن شهاب: ٤٤٥، ٥٣٣

علي بن عال الفلاني: ٦٦٣، ٧٧٥

علي بن عبدالجبار بن مزاحم: ٣٢٤

علي بن عبدالرحمن بن حامد بن عمر حامد المنفر: ٥٣١، ٥٣٢

علي بن عبدالرحمن بن محمد بن سميط: ٥٢٠

علي بن عبدالرحيم بن قاضي باكثير: ٤٥، ٤٦، ١٩٢، ٣٨٤

علي بن عبدالله السقاف: ١٤١، ١٤٤، ٢٥٥، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٢٠، ٦١٨، ٦٤٧

علي بن عبدالله العيدروس (سورت): ٢٠٠، ٤٩١، ٥٠٥، ٦٧٠

علي بن عبدالله الكاف: ٣٧٤

علي بن عبدالله باغريب: ٥٤٧

علي بن عبدالله بن حسين السقاف: ٣٧٤

علي بن عبدالله بن عمر فقيه: ٤٤٥

علي بن عبيد شفار: ٣١١

علي بن علوي (خالع قسم): ١٢٢، ٢٩٨، ٣١٦، ٥٦٣، ٧٢٤،

علي بن علوي الحداد: ٥، ٧٩٦

علي بن علوي بن الفقيه (الغيور): ٩١، ١٢٨، ٥٦٣، ٧٢٤

علي بن علوي بن عبدالله بن علوي الحداد: ٤٧٣، (٤٧٤)

علي بن علوي حامد: ٤٢٧

علي بن علوي مولى خيلة: ٥٠٧

علي بن عمر البار: ٥١٩، ٦٥١

علي بن عمر الشاذلي (صاحب القهوة): ١٤٨، ٦٧٠، ٦٧٣

علي بن عمر بن حسين فقيه: ٥٧٣

علي بن عمر بن زين بن سميط: (٥٢٢)

علي بن عيدروس بن شهاب: (٢٤٦)، ٣٦٨، ٣٦٩

علي بن مبارك: ٦٤٩

علي بن محسن الجفري: ٣٤٣، ٧٨٠، ٧٨٤، ٨٢٤، ٨٢٦

علي بن محمد الباقر بن حسين بن عبدالله الحداد: ٤٣٩، ٤٤١، (٤٥٥)، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠

علي بن محمد الكاف: ٣٦٥

علي بن محمد باحسن: ٩٠، ٢٢٧، (٢٥٩)، ٢٦١،

علي بن محمد بانافع: ٢٣٢، ٤٣٤

علي بن محمد بن عبدالملك بانافع: ١١٩، ٥٤١

علي بن ناصر العولقي (سلطان أحور): ١٤٥، ٥٣٩

علي بن وفا: ٥٨٥، ٥٨٦، ٦٦٥
علي عبدون: ٣١٧، ٣١٨،
علي عيديد (المخا): ١٤٨، ٣٩٩
علي غرب: ٦٦٦
عماد الدين بن أحمد: ٣٦٧، ٣٦٨، ٤٦٢، ٦٣٠، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩
عمر (إمام زاوية الشعراني): ٢٣٥
عمر المحضار: ٧٩، ٩٠، ٩٢، ١٢٨، ٢٤٦، ٢٥٦، ٣٥٢، ٣٧٠، ٥٥٨، ٥٦٣، ٦٢٠، ٦٣٢، ٦٧١، ٧٢٤، ٧٧٧
عمر بامخرمة: ١٠٤، ١٠٥، ١٥٧، ٤٨٥، ٥١١، ٦٣٠،
عمر باميمون: ١٤٥، ٥٤٢
عمر بن أبي بكر بن صالح: ٦٢٧
عمر بن أبي بكر بن علي الحداد: ٤٧٦، ٨١٧
عمر بن أبي بكر بن عمر البار: ٥١٧
عمر بن أحمد السباح باعلوي: ٤٩٩، ٦٤٥
عمر بن أحمد الشبلي: ٥٤١
عمر بن أحمد العمودي: ٤٩٥
عمر بن أحمد العيدروس (الحزم): ٥٥٠
عمر بن أحمد المنفر: ٩٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٩٠، ٤٣٥، ٤٩٨،
عمر بن أحمد بانافع: ٣٤٢، ٥٤٤
عمر بن أحمد بن أبي بكر الشبلي: ٥٤٤
عمر بن أحمد بن حسن الحداد: ١٦، ١٢٤، ١٦٩، ١٧٧، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٩٥، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٦٥، ٤٠٣، ٤٦٩، ٤٩٣، ٥٣٢، ٥٣٨، ٥٤٤، ٥٤٨، (٦٢٠-٦٢٥)، ٦٥٦، ٦٦٩، ٧٩٣، ٧٩٤، ٨٠٩
عمر بن الخطاب: ٦٨، ٦٩، ٨٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٤٤٨، ٦٣١، ٦٦٠، ٦٦٤،
عمر بن جعفر الكثيري: (سلطان): ٢٤٦
عمر بن حامد بن عمر المنفر: ٣٥، ٨٩، ٩٥، ٩٦، ١٢٩، ١٣٧، ١٥٠، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٥٣، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٣١، ٣٨٣، ٣٩٢، ٣٩٨، ٤٨٦، ٥٢٢، ٧٦٨، ٧٦٩، ٨٠٦
عمر بن زين بن سميط: ٢٦، ٥٦، ٦٤، ٦٦، ٨٩، ١٠٣، ١٤٢، ١٥٩، ١٧٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٣٠٨، ٣٣١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٦١، ٤٠٦، (٤٢١)، ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٦٥، ٤٨٤، ٥١٣، ٥١٥، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٢٩، ٦١٨، ٦٢٤، ٦٤٧، ٦٥١، ٦٥٥، ٦٦٨، ٦٦٩، ٧٥٤، ٧٧٣، ٧٨٤،
عمر بن سالم باحلوان: ٢٣٢، ٣٢٧

عمر بن سالم باصلاح: ٦٧٣

عمر بن سقاف بن محمد السقاف: ٣٤٤، ٤٩٢، ٦٦٨

عمر بن طه باوزير: ٧٤٦

عمر بن عبدالرحمن (صاحب الحمراء): ٥٠١، ٦٤٠

عمر بن عبدالرحمن البار (الكبير): ٣٧، ١٢٢، ١٤٣، ١٤٣، ١٤٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٧، ٢٣٦، ٢٦٠، ٣٠١، ٣٠٦، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٦٨، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥٧٧، ٧٧٠، ٧٧١، ٨٠٨

عمر بن عبدالرحمن العطاس: ١٢١، ٤٧٤، ٥٦١، ٥٦٢، ٦٥٠، ٦٥٢، ٧٢٣

عمر بن عبدالرحمن بن عمر البار (الجلاجلي): (٥١٧)، ٥١٨، ٥١٩، ٦٥١

عمر بن عبدالعزيز (الخليفة): ٦٤، ٨٧، ١٣٧،

عمر بن عبدالقادر العمودي: ١٤٤، ٣٩١، ٥٤٩

عمر بن عبدالله السليماني: ٦٥٦

عمر بن عبدالله العيدروس: ٥٦٢، ٧٢٣

عمر بن عبدالله باشيبان: ٥٦٢، ٧٢٣

عمر بن عبدالله باغريب: ٣١٩، ٣٧٦، ٤٣٠، ٥٢٢، (٥٤٦)، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٢، ٦٢٨،

عمر بن عبدالله بن عمر فقيه: (٤٤٥)، ٤٤٦

عمر بن علي الحداد: ٢٤١

عمر بن علي الوهط: ١٤٦

عمر بن محمد السهروردي: ٧٢، ٢٨٧، ٦١٢، ٦٤٢، ٧١٩

عمر بن محمد بلفقيه: ٩٤، ٣٦٦

عمر بن محمد بن سهل: (٥٣٣)

عمر بن محمد بن محمد بارجاء: ٨، ٨٣٤

عمر بنحسن: ٢٢٨

عمرو بن دينار: ٥٨٣

العمريطي: ٤٧٧

عوض بن شعيب: ١٤٢

عوض بن صباح (خادم الإمام الحداد): ٣٤، ١١٦، ٣٩٨، ٥٤٣

عوض بن فريد العولقي: ٣٢١

عياض (القاضي): ٤٧٦

عيدروس بن سالم بن عمر الحامد: (٢٤٢)، ٥٥٢، ٧٧٢

عيدروس بن عبدالرحمن بن عمر البار: ٥١٩

عيدروس بن عمر فقيه: ٢٤٠

عيسى أبوبادي: ٤٥٤

عيسى بن بدر الكثيري (سلطان): ٣٢

عيسى بن محمد: ٥٦٣، ٧٢٤
عيسى، النبي (عليه السلام): ٤٩، ٢٣٧، ٢٨٧، ٢٩٢، ٦٣٣
غانم بن محمد غانم: ٨
الغزالي (الإمام): ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٧٤، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٨٨، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٨٦، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٨٥، ٣٨٨، ٤٢٠، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٤٤، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٨٣، ٤٨٥، ٥٥١، ٥٦٣، ٥٧٦، ٦١٩، ٦٤٢، ٦٧٧، ٦٨٦، ٧٢٤، ٦٨٧، ٦٨٨، ٨٠١، ٨٠٤
الغزي (آداب القضاء): ٣٤٣، ٦٣٠
غواص (تاجر): ٣٣٠
غيلان: ٤٥٠
فارس بن محمد باقيس: ٥٨، ٢٢٦، ٥٤٩، ٧٤٠، ٧٦١، ٨١٥، ٨٢٩
فاطمة الزهراء: ١٦٣، ٢٦٨، ٤٤٦، ٥٦٣، ٦٢٦، ٦٣٣، ٦٦٣، ٦٦٤، ٧٢٤، ٧٦٥
فاطمة بنت سليمان القصيري التميمي: ٤٦٠، ٦١٥
فاطمة بنت عبدالله بن علوي الحداد: ٢٤١، ٢٤٢،
فاطمة بنت محمد الباقر الحداد: ٤٣٧
الفخر الرازي: ٤٢٠، ٧٥٤
فريد بن عوض العولقي: ٣٢١، ٣٣٨،
قاسم الحسني المغربي: ٦٦٨
القسطلاني: ٧٥٤
القشيري (الإمام): ٢٥٦،
القصري: ٨٤
القلعي: ٦٤٥
قنم: ٣٤٨
الكلاباذي: ٦٤١
الكلاعي: ٦٤١، ٧٥٥
الكيلاني (الإنسان الكامل): ٣٠٩
مالك (الإمام): ٢٥٥، ٤٢٠، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٦٣٤
مبارك بن سليمان القصيري التميمي: ٣٤٢
محسن بن عبدالله باقيس: ٥٤٩، ٦٥٠
محسن بن علوي مقيبل: ٦٦٢، ٧٧٥
محسن بن عمر بن جعفر الكثيري (سلطان): ٢٥٤،
المحلي: ٣٨٥، ٣٨٧، ٦٢٩
محمد أسدالله: ١٢٨
محمد أسعد بن محمد سعيد طاهر: ٦٧٤
محمد الاسفراييني: ٧٩٩

محمد الباقر العولقي: ٤٣٩
محمد الباقر بن حسين بن عبدالله الحداد: ١١٩، (٤٣٩)، ٤٤٠، ٤٦٥، ٧٩٦
محمد البرزنجي: ٦٤٣
محمد الجفري: ١٩٦
محمد الجويني: ٥٦٣، ٧٢٤
محمد الرملي: ٧٥٣
محمد السروي: ٤١
محمد الشربيني: ٣٨٥، ٤٢٧، ٧٥٤
محمد الشلي: ٦٤٤
محمد العيدروس: ٤٢٨
محمد الغيبر بن عبدالرحمن: ١٢٩
محمد المغربي (ساكن الصير): ٤٥٩، ٤٦٠
محمد المغربي (ساكن تريم): ٧٠، ٧١، ٧٢، ٢٣٠،
محمد باسباعي: ٦٦٨
محمد باشعيب: ٥٤٩
محمد باعمر: ٦١٣
محمد بافقيه (قاضي الشحر): ٦٧٠
محمد بن إبراهيم مغيربان: ٤٥٠، ٤٥٢
محمد بن أبي الحب التريمي: ١٩٧
محمد بن أبي بكر الأشكل: ٢٣، ٢٨٧،
محمد بن أبي بكر باعباد: ٤٩٦، ٥٠١
محمد بن أبي بكر بافقيه: ٨٠، ٨٣
محمد بن أبي بكر بانافع: ١٣٩، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٤، ١٩٤، ٣٦٩، ٣٨٣، (٥٤٢)، ٥٤٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٧٥٨، ٧٧٧
محمد بن أحمد البختيج: ٢٣٧
محمد بن أحمد بن حسن الحداد: ١٧٣، ٤٠٣، ٤٦٩، ٤٧٢، ٥٣٢، ٥٤٨، ٦٢٣، ٦٢٩، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٧٢، ٧٩٣، ٨١٧، ٨٢٦
محمد بن أحمد بن زين الحبشي (الحوطة): (٥٠٩)، ٥١٠، ٦٤٧
محمد بن أحمد بن عبدالرحمن بن عبداللطيف الهلالي الأحسائي: ٥٦٤، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٥، ٧٠١، ٧٠٤، ٧١٠، ٧١٤، ٧١٥، ٧٢٥، ٨٣٠
محمد بن أحمد بن عبدالله الهلالي: ٧١٤، ٧١٥
محمد بن أحمد بن عيدروس الوهط: ١١٩، ٥٥٢
محمد بن إدريس الشافعي: ٤٩، ٧٥، ٧٦، ١٥٧، ٢٢١، ٢٥٥، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٦٥٧، ٧٦٤، ٧٧٠،
محمد بن الحسن (مصنف مجمع الأحباب): ٦٤٠
محمد بن بشير: ٧٨٦
محمد بن جعفر العيدروس: ٥٥٢، ٧٧٢
محمد بن جعفر بن محمد الحداد: (٤٧٠)، ٨١٠

محمد بن حامد بن علي بن حسين الحداد: ٤٥٧، ٤٦٠، (٤٦١)، ٤٦٢

محمد بن حسن بن علي الجفري: ٥٠٥

محمد بن حسن مولى خيلة: ٥٠٧

محمد بن حسين الحبشي: ٣٩١

محمد بن حسين الشبلي: ٥٤١

محمد بن حسين بن شهاب: (٣٢٠)

محمد بن رومي الحجازي: (٦٤٩)، ٦٥٠، ٧٧٧، ٧٩٢

محمد بن زين بن سميط: ٣٧، ٤٣، ٥٣، ٥٩، ٦١، ٩٦، ٩٩، ١٣٠، ١٣٧، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١، ١٩٣، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٩، ٢٨٧، ٣٠١، ٣٨٥، ٣٩٣، ٤١٣، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٥، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٧٦، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩٨، ٥٠٢، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٥٣، ٥٦٠، ٦١٣، ٦١٨، ٦٢٠، ٦٤٠، ٦٤١، ٧٥٩، ٧٦٩، ٧٨٠،

محمد بن سالم باحرمي: ٥٤٧، ٥٤٨

محمد بن سالم بن عقيل: ٧٦٣

محمد بن سعيد العمودي (المخا): ٦٧٣

محمد بن سعيد بن عبدالله باموسى العمودي: ٤٦٥

محمد بن سقاف بن محمد السقاف: ٤٩٢

محمد بن سليمان الكردي: ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨٢

محمد بن شيخ الجفري: ٢٧٤، ٤٨١

محمد بن شيخ باصرة: (٥٣٥-٥٣٦)، ٥٣٩

محمد بن شيخان بن الشيخ أبي بكر: ٤٠٣

محمد بن صالح القاسمي: ٤٥٧

محمد بن صالح المنتفقي: ١٩٩

محمد بن طالب المحضار: ٣٣٢، ٣٣٣

محمد بن عبدالجبار باجبير: ٣٢٧

محمد بن عبدالجبار بن مزاحم: ٣٢٣، (٥٤١)

محمد بن عبدالرحمن الهلالي الأحسائي: ٦٩١

محمد بن عبدالرحمن بارجاء: ٧٤٤

محمد بن عبدالرحمن بن حامد بن عمر حامد: ٥٣١، ٥٣٢

محمد بن عبدالرحمن بن مزروع: ٥٨٧

محمد بن عبدالصبور الحباني: ٥٤٤

محمد بن عبدالكريم السمان: ١٦٢، ٢٨٢، ٥٤٩

محمد بن عبدالله الصليبية العيدروس: ١٤٧

محمد بن عبدالله باغريب: ٥٤٧

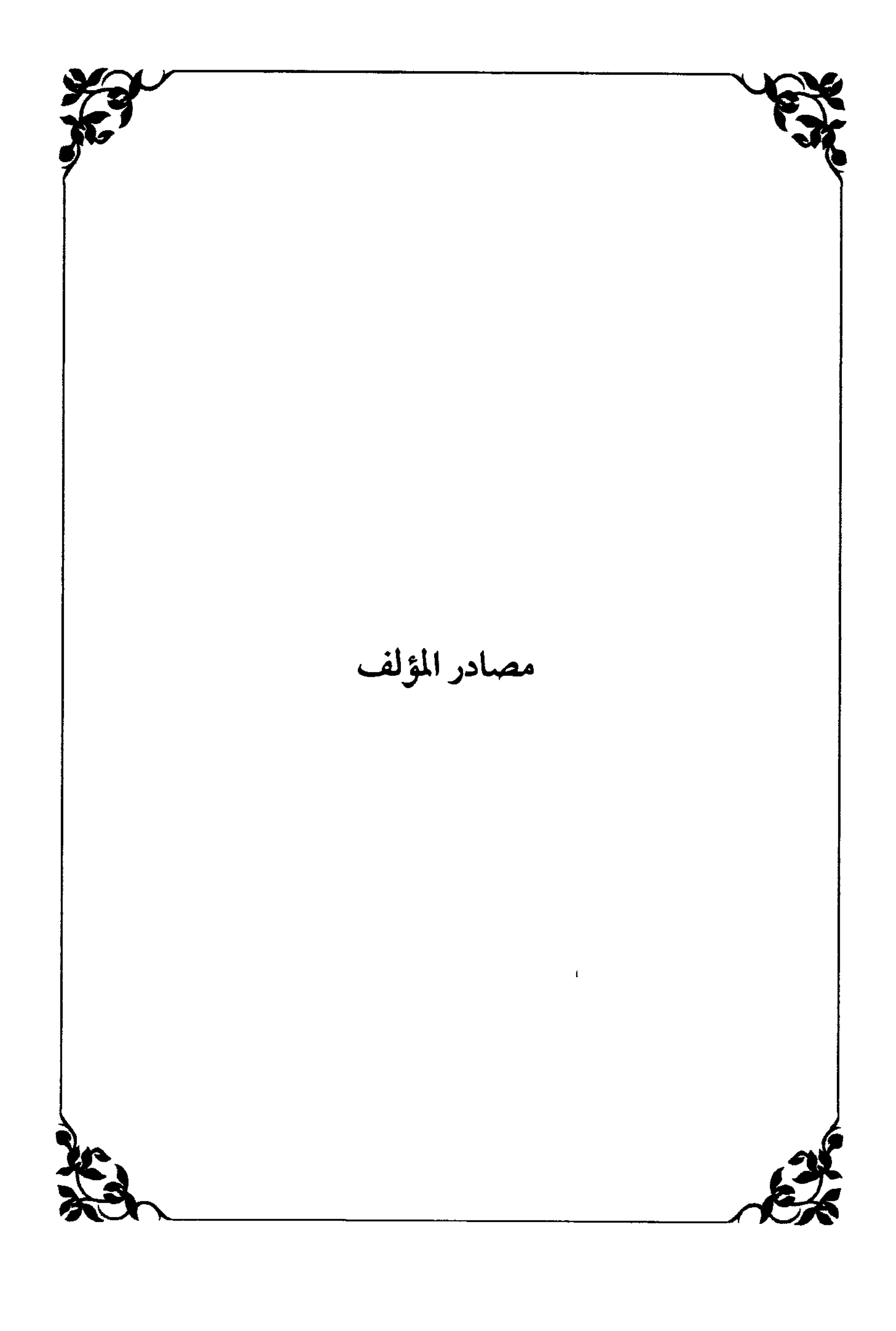
محمد بن عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد:

٤٦٨
محمد بن عبدالله بن زين الحبشي: ٤٨٢، (٤٨٥)، ٤٨٦
محمد بن عبدالله بن شهاب: ٥٣٣
محمد بن عبدالله بن شيخ العيدروس: ٦٨
محمد بن عبدالله بن علوي الحداد: ١٨٨، ٤٦٩
محمد بن عبدالله بن علوي بن عمر حامد: ٤٢٤
محمد بن عبدالله بن علي الصليبية العيدروس: ٥٥١، ٥٥٢
محمد بن عبدالله بن مزاحم: ٣٢٣، ٥٤١
محمد بن عبدالملك بانافع: ٥٤١
محمد بن عبيد بانافع: ٥٤١
محمد بن عطية، أبوطالب المكي: ٥٦٣، ٧٢٤
محمد بن عقيل الحامد: ٣٥٥
محمد بن علوي (الصومعة): ٣٤٥
محمد بن علوي (العمائم): ١٢٦
محمد بن علوي (بيت جبير): ١٢٢، ٥٦٣، ٧٢٤،
محمد بن علوي السقاف: ١٦٠، ٤٧٩، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٢، ٧٢٣
محمد بن علوي بن عبدالله بن علوي الحداد: ٤٧٣، (٤٧٦)
محمد بن علوي بن عمر حامد: ٥٣١، (٥٣٢)
محمد بن علوي حامد: ٤٢٧
محمد بن علوي مولى خيلة: ٥٠٦
محمد بن علي زين العابدين (الباقر): ١٦٣، ٢٥٦، ٥٦٣، ٧٢٤، ٧٦٥
محمد بن علي (الفقيه المقدم): ٩٠، ٩١، ٩٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٦، ٢٥٤، ٢٩٨، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٥٠، ٣٦٦، ٤٤٥، ٥٠٥، ٥٥٨، ٥٦٣، ٦٣٢، ٦٣٧، ٦٦٨، ٧٢٤، ٧١، ٧٥٩
محمد بن علي (صاحب مرباط): ٩١، ١٦٩، ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٦١، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٥، ٤٩٩، ٥٦٣، ٦٣١، ٦٤٤، ٦٤٨، ٦٥٤، ٦٦٠، ٦٧٧، ٦٩٨
محمد بن علي (مولى الدويلة): ١٢٨، ٢٩٨، ٣١٦، ٥٦٣، ٧٢٤
محمد بن علي (مولى عيديد): ١٢٨، ٢٩٩، ٣١٧، ٦٤٠
محمد بن علي العريضي: ٥٦٣، ٧٢٤
محمد بن علي خرد: ٤٩٥، ٧٦٤
محمد بن عمر باجمال: ٤٩٥، ٤٩٧، ٧٩٨
محمد بن عمر بن زين بن سميط: ٥٢٢، ٥٢٦
محمد بن عمر بن طه السقاف: ١٤١، ١٤٤،

٤٨٨، (٤٩٠)، ٤٩٣
محمد بن عمر بن عبدالله فقيه: ٤٤٥
محمد بن محمد الفيلالي: ٦٨١
محمد بن محمود: ٦٥٨
محمد بن ياسين باقيس: ٦٤، ١٢٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، (٢٢٥)، ٦٤٧، ٦٤٨، ٧٧٢
محمد بن يوسف الضجاعي: ٢٣٧
محمد جمل الليل: ١١٩، ١٢٨،
محمد حياة السندي: ١٦٢
محمد سعيد (مفتي أسطنبول): ١٥٥
محمد سعيد (والي قودة): ٣٦٨
محمد طاهر بن حسين بافضل: ١٥٣، ١٥٤
محمد فقيه ابن الشيخ علي: ١٣٠
محمد فقيه بن عبدالرحمن فقيه: ٢٣٦
محيي الدين ابن عربي: ١٣٣، ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٤٠١، ٥٨٤، ٦٤٢
مريم بنت عبدالله بن علوي الحداد: ١٢٩، ٢٣٦، ٢٣٨، ٤٤٥،
مريم بنت عمران، السيدة (عليها السلام): ٣٠٧، ٦٣٣
المزجد: ٤٧٧
مزنة بنت أحمد بن حسن الحداد: ٤٧٠، ٨١٠
مساعد (شريف مكة): ٦٥٩
مسلطن (خادم): ٤٥
مسلم: ٤٢٠
مشيخ بن عبدالله: ١١٥، ١٣٠، ١٦٢
مطر بن رحمة القاسمي: ٤٥٦
المظلوم (بجدة): ١٥٣
معروف الكرخي: ٥٦٣، ٧٢٤
معروف باجمال: ٤٧٠
المنذري: ٤٢٨، ٤٧١
منصور بن مقبل الزعابي: ٤٥١
موسى، النبي (عليه السلام): ٤٩، ٩٦، ٢٨٧، ٢٩٢،
مولى الراكة = سرور
ناجه، الشيخ (مزار بدوعن): ٦٥٢
نجم الدين الكبرَى: ٦١٢، ٧١٩
النسائي: ٥٨٢
نور الجيلاني: ٤٤٢، (٤٤٣)، ٤٤٤
نور بنت محمد الباقر الحداد: ١٧٠، ٤٤٠، (٤٤١)، ٤٤٣، ٤٤٦
النووي (الإمام): ٤٩، ٥٠، ٩٩، ٣٨٥، ٤٢٠، ٤٤٥، ٤٨٥، ٥٧٨، ٧٥٤، ٧٦٤، ٧٩٩
هادون بن هود: ١٢١

هاشم بن علي بن جعفر الحبشي: ٧٧٨
هرم بن حيان: ٢٤٩
همداني (مصنف زبدة الحقائق): ٤٨٣،
هود، النبي، (عليه السلام): ٣٠، ١٢٠، ٣٤٦، ٣٨٤، ٤٠١، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٣٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٥، ٥١٣، ٥١٦، ٥١٨، ٥٣٢، ٥٤٨، ٦٢٤، ٦٧٠، ٧٨٢
الوجيه (مجذوب): ٦٦٦
ياسين بن عمر البار: ٥١٩
اليافعي = عبدالله بن أسعد
ياقوت خان (سلطان الهند): ١٣٧
يحيى الأهدل: ١٥٠
يعقوب، النبي (عليه السلام): ٤٩٥
يوسف (درويش): ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٢
يوسف الجاوي: ٣٠٧
يوسف الفاسي: ٢٣٠

* * *



مصادر المؤلف

مصادر المؤلف

إحياء علوم الدين: ٦٠، ٧٤، ٥٢٨، ٧٢٠

إرشاد العباد، للمليباري: ٦٥٥

إيضاح أسرار علوم المقربين: ٦٨

إيقاد المصباح، لابن علان: ٦٨٣

البرقة المشيقة، للشيخ علي: ٨٢

بهجة الزمان، لابن سميط: ٧٦٩

بهجة الفؤاد، لابن سميط: ٤١، ٥٠٢، ٥٢٦، ٥٧٣

تثبيت الفؤاد، للحساوي: ٧٠، ٧١، ١٨٩، ٢٣٤، ٢٦٤، ٤٠١، ٤٤٧، ٤٥٢، ٥٦٠، ٦١١، ٦٢٠، ٦٣٤.

تفسير البغوي: ٦١، ٣٨٤

تفسير السيوطي = الدر المنثور

الجزء اللطيف، للعيدروس: ٨٢

جلاء الصدا في سيرة إمام الهدى: ٩٤

حديقة الأذهان: ٦٨٤

الحكايات البينات، للمؤلف: ٥٢٦، ٥٣٦، ٥٤٨

الدر المنثور، للسيوطي: ٣٦،

الدر المنظوم (ديوان)، للإمام الحداد: ٢٤، ٥٨٧، ٨٠٦

الدعوة التامة، للإمام الحداد: ٤٩، ٨٠٦

ديوان الحبيب عبدالله الحداد = الدر المنظوم

ديوان عبدالصمد بن عبدالحق: ٥٤٥

الرحيق المختوم، للسهروردي: ٧٢، ٩٧

رسالة المريد، للإمام الحداد: ٥٧٣، (٥٨٨- ٦١٠)، ٧٢٠

روض الرياحي، لليافعي: ٢٩٧، ٣٠٦

الزواجر، لابن حجر: ٦٥٥

سبيل الهداية والرشاد، لوالد المؤلف: ٥٧٦

سفينة الأرباح، لوالد المؤلف: ٧٥٥

السلسلة العيدروسية: ٥٥١

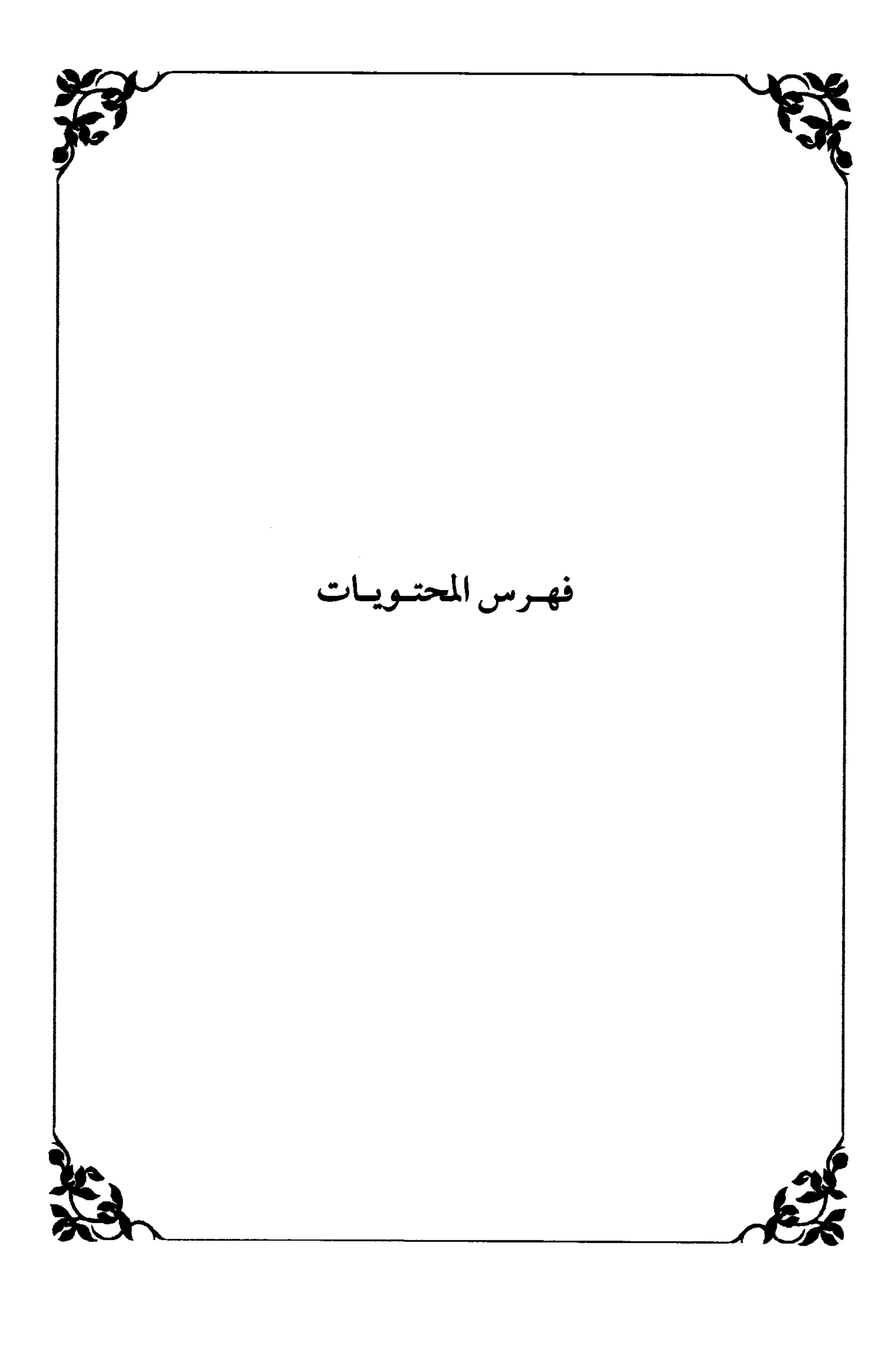
سيرة عبدالرحيم العراقي: ٧٥٧

شرح الأربعين، لابن حجر: ٤٦، ٦١٣

طبقات الشعراوي = لواقح الأنوار

العقد النبوي، للعيدروس: ٨٢
غاية القصد والمراد، لابن سميط: ٢٣، ٤٣، ٩٦، ١٩١، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٨٥، ٣٨٥، ٣٩٣، ٤١٣، ٤٤٥، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٧٦، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٦٢، ٦١١، ٦١٣، ٦٢٠، ٧١٩، ٧٥٩، ٨٠٨.
غرر البهاء الضوي، لخرد: ٤٩٥، ٧٦٤، ٧٦٥
الفصول الفتحية، لبافضل: ٥٧٨
الفوائد السنية، لوالد المؤلف: ١٣٣، ٣٥١، ٦٣٦، ٧١٧
الفوائد المدنية، للكردي: ٤٧، ٥٠، ٥٨٢، ٥٧٩، ٦٨٤
القرطاس، للعطاس: ٢٣٨
قواعد التصوف، لزروق: ٦٨٣، ٦٨٤
كتاب الدعوات، عمر البار: ٢٣٨
كتاب المائتين، لليافعي: ٣٠٢، ٣٠٤،
كنز البراهين، للجفري: ٢٨١، ٢٨٤
لطائف المنن، لابن عطاء الله: ٣٠٥
لواقح الأنوار، للشعراني: ٢٠، ٤٨، ٥٠٢
المسائل الصوفية، للإمام الحداد: ٥٨٦، ٥٨٧
المسلك السوي، لأحمد بن زين الحبشي: ٢٣٤، ٥٦٠، ٥٦٢
معجم مشايخ ابن حجر الهيتمي: ٨٢
مقال الناصحين: ٧٥، ٤٨٣، ٤٩٥، ٧٩٨
المناقب الصغرى = بهجة الفؤاد
مناقب الغزالي، للفاكهي: ٤٩، ١٥٩
المناقب الكبرى = غاية القصد والمراد
المنن الكبرى، للشعراني: ٤١،
المنن الوسطى، للشعراني: ٢٣٦، ٥٧١، ٥٨٣
منهاج العابدين: ٦٠، ٦٣، ٢٦٦، ٢٩٧
منهج السالك، للمرصفي: ٢٠
مواهب البر الرؤوف، لباجمال: ٢٩٦، ٣٠٤، ٣١١
نزهة الأرواح والنفوس في مناقب مؤلف العقد النبوي شيخ بن عبدالله العيدروس، للفاكهي: ٨٢
النصائح الدينية، للإمام الحداد: ٢١، ٢٣٣، ٦٨١
النفائس العلوية، للإمام الحداد: ٢٣٠، ٣٠٥، ٣١٠

* * *



فهـرس المحتـويـات

فهرس المحتـويـات

الموضوع | الصفحة

الجزء الأول

المقدمة ٥

الباب الأولُ: في تاريخ مولده، ونشأته، وطلبه للعلم وعبادته، وحجه، وزيارته، وذكر وفاته، رضي الله عنه ١٧

ذكرُ نسبتِه إلى عدنان: ٣٨

ذكْرُ قراءته في كتب الفقه: ٤٣

ذكرُ مطالعتِه في «تحفة الشيخِ ابن حجر» في الفقه: ٤٦

ذكر العقباتِ السبعِ: ٦٣

ذكر الشيخِ محمد المغربي: ٧٠

أحاديثُ في فضل طلبِ العلْم ومجلسِه: ٧٤

ذكرُ طلبِه في الفقه: ٨٠

ذكرُ زياراته ١١٨

ذكرُ حجِّه وعزْمه للحرَمينِ وزيارتِه جدَّه المصطفى ﷺ ١٣٣

البابُ الثاني: في ذكرِ شيء من ثناءِ الأكَابر من أهلِ عصْره عليه، نفعَ الله به ١٨١

ترجمة الحبيب عمر بن حامد: ١٩٣

القصيدةُ الداعية إلى الهدَى الرادعة عن الردى ٢٠٧

الموضوع	الصفحة
ذكر الشيخ محمد بن ياسين باقيس	٢٢٥
ذكر السيد عبدالرحمن بن علي فقيه، باعلوي	٢٣٥
ذكر زوجة الحبيب عبدِالله الحداد، التي رثاها في الديوان:	٢٤٠
ذكر الحبيب حسين بن محمد بن شهاب الدين:	٢٤٣
ذكر الحبيب شيخ بن محمد بن شهاب الدين:	٢٤٥
ذكر الحبيب علي بن عيدورس:	٢٤٦
ذكر السيدين أحمد وعلوي آل سُميط، بالمحيضرة:	٢٤٧
ذكر آل سميط سكّان شِبام	٢٤٨
ذكر الحبيبين زين العابدين، وعبدالله بن علوي، آل العيدروس:	٢٤٩
ذكر الحبيبين علي بن أحمد، وسالم بن عمر، آل الشيخ أبي بكر:	٢٥١
ذكر السيد عيدروس بن سالم الحامد	٢٥٢
ذكر العلامة طاهر بن هاشم باعلوي	٢٥٢
ذكر بناء بيت الحبيب حسن الذي في الحاوي والمحضرة الكبيرة:	٢٥٣
ذكر ثناء الحبيب علي بن عبدالله السقاف، صاحب سيون:	٢٥٤
ذكر السيد علي بن محمد باحسن جمل الليل	٢٥٩
ذكر السيد حسين بن عمر بلفقيه	٢٦١
ذكرا لحبيب حسن بن علي الجفري:	٢٦٣
ذكر السيد علي بن الجنيد، باعلوي	٢٦٤
غيلة الحداد وشعب النعير:	٢٧٨
الهمةُ وحسْنُ الظنِّ:	٢٨٥
ذكرُ شيءٍ مما جاء في حسن الظنّ:	٢٨٩
خاتمةُ البابِ الثاني: في ذكر قُطبانيتهِ وبلوغِه رتبة الكمالِ	٢٩٣

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث: بابُ الحكاياتِ التي فيهَا خوارقُ العاداتِ ٣١٣
البابُ الرابعُ: في الخصوصياتِ التي اختصَّ بها من والدِه ٣٧٩

الجزء الثاني

الباب الخامس: في ذكر بعض الآخذين عنه ٤١٧
ذكر ابنه العلامة أحمد بن حسن الحداد ٤٢٠
ذكر الحبيب عمر بن زين بن سميط ٤٢١
ذكر السيدينِ حامد وعلوي آل حامد، باعلوي ٤٢٢
ذكر السيد عبدالله بن حسن الحداد، ابن صاحب المناقب ٤٢٧
ذكر حامد بن الحسن: ٤٣٣
ذكر أم أولاد الحبيب الحسن ٤٣٥
ذكر أبناء السيد سالم بن عبدالله بن علوي الحداد ٤٣٨
ذكر أبناء السيد الحسين بن عبدالله بن علوي الحداد ٤٣٩
ذكر الشريفة نور بنت محمد الباقر الحداد، زوجة المؤلف ٤٤١
ذكر الدرويش نور الجيلاني (ت١١٩٤هـ) ٤٤٣
ذكر السيد عمر بن عبد الله بن عمر فقيه: ٤٤٥
ذكر الشريفة شفاء بنت الحسن، صاحب المناقب ٤٤٦
ذكر السيد أحمد بن الحسين بن عبدالله الحداد ٤٤٧
ذكر السيد الحسين بن أحمد بن الحسين الحداد ٤٥٢
ذكر السيد علي بن الحسين بن عبدالله الحداد؛ خال المؤلف ٤٥٥
ذكر السيد يوسف، الدرويش ٤٥٨
ذكر الشيخ محمد المغربي، ساكن (الصّير) ٤٥٩

الموضوع	الصفحة

ذكر السيد محمد حامد بن علي بن الحسين ٤٦١

ذكرُ الحبيب عبدالله بن حسين بن عبدالله الحداد

ووالده الحسين بن عبدالله بن علوي الحداد ٤٦٣

ذكر السيد عبدالله بن الحسين بن عبدالله الحداد ٤٦٧

ذكر أبناء السيد محمد بن عبدالله بن علوي الحداد ٤٦٩

ذكر السيد محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله الحداد ٤٧٠

ذكر الحبيبِ حُسَين بن محمد بن عبد الله الحداد ٤٧١

ذكر أولاده ٤٧٢

ذكر أولاد الحبيب علوي بن الحبيب عبد الله الحداد ٤٧٣

ذكر السيد أبي بكر بن علي بن علوي بن عبدالله الحداد ٤٧٥

ذكر السيد محمد بن علوي بن عبدالله الحداد ٤٧٦

ذكر السيد عبدالرحمن بن محمد بن علوي بن عبدالله الحداد ٤٧٧

ذكر زين بن محمد بن علوي بن عبدالله الحداد ٤٧٧

ذكر الحبيب عبد الله بن علوي بن عبد الله الحداد ٤٧٧

ذكر الحبيب علوي بن عبدالله بن علوي بن عبدالله الحداد ٤٧٨

ذكر الحبيب عبدالرحمن بن محمد بن شيخ الجفري ٤٧٩

ذكر السيد شيخ بن محمد الجفري ٤٨٠

ذكرُ الحبيبينِ عبدالله وأحمدَ ابنا زينِ بن علويّ بن محمدٍ الحَبَشيّ ....

وأولادهم الساكنين (نُوَيدِرَة تَرِيم) ٤٨١

ذكر السيد علَوي بن عبدالله بن زين بن علوي الحبشي ٤٨٤

ذكر السيدين محمد وزين ابني عبدالله الحبشي وأولادهما ٤٨٥

ذكر السيد أحمد بن محمد الحبشي ٤٨٦

الموضوع	الصفحة
ذكر الشريفة سلمى بنت عبدالله بافقيه	٤٨٦
ذكر السيدين سقّاف وعبدِالله ابنا محمد بن عمر السقاف؛ ساكني سيون	٤٨٧
ذكر والده السيد محمد بن عمر السقاف	٤٨٩
ذكر الحبيب علي بن عبدالله السقاف	٤٩٠
ذكر السيد عمر بن سقاف	٤٩٢
أخذ المؤلف عن الحبيب علي بن عبدالله السقاف	٤٩٢
ذكر السيدين أحمد وعبدالرحمن ابنا الحبيب علي بن عبد الله السقاف	٤٩٣
فصلٌ، في ذكر التبرك بالصالحين ومآثرهم	٤٩٤
ذكر مأثرة حَاوي تريم	٤٩٧
عودة إلى ترجمة الحبيب علي بن عبدالله السقاف، ساكن سيون	٥٠٢
ذكر الحبيب الحسنِ بن علي الجفري	٥٠٣
ذكر الحبيب محمد بن علوي مولى خَيلة	٥٠٤
ذكر الحبيب محمد بن حسن مولى خَيلة	٥٠٥
ذكر الحبيب جعفر بن أحمد بن زين الحبشي	٥٠٥
ذكر الحبيب محمد بن أحمد بن زين الحبشي	٥٠٧
ذكر الحبيب أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي	٥٠٩
ذكر سقاف بن محمد بن أحمد بن زين الحبشي	٥١١
ذكر أولاد الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار	٥١١
ذكر الحبيب علوي بن عمر البار	٥١٢
ذكر الحبيبِ حسَنِ بن عمَر البار	٥١٣
ذكر الحبيبِ أبي بكر بن عمَر البار	٥١٤
ذكر الحبيب عبدالرحمن بن عمر البار	٥١٥

الموضوع	الصفحة
ذكر السيد عمر بن عبدالرحمن البار، مولى جَلاجِل	٥١٥
ذكر السيد عيدروس بن عبدالرحمن البار	٥١٧
ذكر السيد علي بن عمر بن عبدالرحمن البار، وإخوته	٥١٧
ذكرُ السيد عبدِالرحمن بن محمّد بن زينِ بن سميطٍ وأولاده: جعفر وعلي وعلوي	٥١٨
ذكر السيد زين بن محمد بن زين بن سميط	٥١٩
ذكر أبناء الحبيب عمر بن زين بن سميط	٥٢٠
ذكر علي بن عمر بن زين بن سميط	٥٢٠
ذكر عبدالرحمن بن عمر بن زين بن سميط	٥٢٠
ذكر حُسَين بن عمر بن زين بن سميط	٥٢١
ذكر أبي بكر بن عمر بن زين بن سميط	٥٢١
ذكر نُقلَةِ الحبيبِ عُمَر بن زينِ بن سميطٍ من (تريم) إلى (شبام)	٥٢٣
ذكر السيدين أحمد ومحمد ابنا الحبيب عمر بن زين بن سميط	٥٢٤
ذكر أحفاد الحبيب حامد بن عمر حامد	٥٢٩
ذكر السيد عمر بن محمد بن سهل	٥٣٠
ذكر السيد محمد بن عبد الله بن شهاب	٥٣١
ذكر الحبيبين حُسَين وسهل ابني عبد الله بن سهل	٥٣١
ذكر السيد الحسين بن طاهر بن محمد بن هاشم	٥٣٢
ذكر السيد زين بن عمر البيتي	٥٣٢
ذكر السيد محمد بن شيخ باصرة وابنه علوي	٥٣٣
ذكر الشيخ عبدالجبار بن مزاحم، صاحب أحور	٥٣٨
ذكر ابنه الفقيه محمد بن عبدالجبار بن مزاحم	٥٣٩

الموضوع	الصفحة
ذكر المشايخ أهل يشبم، آل بانافع وآل الشبلي	٥٣٩
ذكر الشيخ محمد بن أبي بكر بانافع، وأخيه الحسين	٥٤٠
ذكرُ الشيخِ المعلِّم عمر بن عبدالله باغريب	٥٤٤
ذكر المعلّم سَالم بن محمد باحَرْمي، وابنه محمد	٥٤٥
ذكر السيد عمر بن أحمد العيدروس، ساكن (الحَزْم)	٥٤٨
ذكر السيد علوي بن إسماعيل العيدروس، ساكن (تاربَة)	٥٤٨
ذكر السيد حُسَين بن عبدالله العيدروس، سَاكن (ثبي)	٥٤٨
ذكر السيدين علوي وحسين ابني عبدالله العيدروس، أهل (بور)	٥٤٩
ذكر جماعة من آل العيدروس	٥٥٠
ذكر جماعة من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم	٥٥٠
ذكر السادة آل (الوهط) من ذرية الشيخ علي	٥٥٠
ذكر السيد الحسين بن عبدالرحمن العيدروس، ساكن (شبام)	٥٥١
خاتمة الباب الخامس	٥٥٢
صفةُ إلباسِ القبعَ للمريد	٥٦٥
صفة تلقين الذكر للمريد	٥٦٥
البابُ السَّادسُ: في ذكر آدابِ المريدِ مع شَيخه واحترامِ الأولياء، وذكْر بعْضِ ما وقعَ لمن أسَاء الأدبَ مع أحدٍ منهُم	٥٦٧
خاتمةٌ نذكرُ فيها شيئاً من أوصافِ المريدِ الصَّادق	٦٠٦
خاتمةُ البابِ السّادس في ذكر أحفاد الحبيب نفع الله به	٦٠٩
ذكر الشريفة شيخَة بنت الحسين بن عبدالله الحداد	٦١٣
ذكر المعلم عمر با غريب مرة أخرى	٦١٧
ذكر السيد عمر بن أحمد بن الحسن الحداد	٦١٩

الموضوع	الصفحة

ذكر ابنه؛ الحسَن بن عمر بن الحسن الحداد ٦٢٠
ذكر السيد علوي بن أحمد بن الحسن، مؤلف الكتاب ٦٢٤
فصلٌ: في ذكر مقْروءاتِ المؤلفِ على جدّه الحسن ٦٣٨
ذكر مقروءات المؤلف على والده أحمد بن حسن ٦٤١
ذكر محمد بن رومي الحجازي ٦٤٧
المؤلف يزور دوعن للمرة الثالثة ٦٤٨
عزم المؤلف على الحج سنة ١٢٠١هـ ٦٥٢
وصف رحلة حج المؤلف سنة ١٢٠١هـ ٦٥٥
ذكر السيد أحمد بن علي بحر القديمي ٦٦٤
حج المؤلف سنة ١٢٠٨هـ عن أخيه عبدالله ٦٧٠
تعديد مؤلفات الحبيب علوي الحداد، مؤلف هذا الكتاب ٦٧٨
تعليقةٌ للمؤلفِ على الصلواتِ السبْع للقطبِ الحدَّاد ٦٧٨
صيغ الصلوات العشر للإمام الحداد ٦٨٦
فصْلٌ: في ذكرِ شيءٍ مما أنعم الله به على مؤلفِ الكتاب ٦٨٩
الحجة الثالثة للمؤلف، سنة ١٢١٥هـ ٧٠٩
إجازة المؤلف لبعض مريديه ٧١٣
الباب السابعُ: في مراثي الإمام الحسن ٧٢٩
البابُ الثامن في ترجمة والد المؤلف العلامة أحمد بن الحسن الحداد ٧٤٧
أخذه عن عمه علوي بن عبدالله الحداد ٧٦٦
ذكر اعتناء خاله عمر حَامد؛ إمام باعلوي ٧٦٦
فائدةٌ؛ في المدارة ٧٦٧
ذكر زيارته للحبيب عمر البار، سنة ١١٤٧هـ ٧٦٨

الموضوع	الصفحة
ذكر الشيخ محمد بن ياسين باقيس	٧٧٠
ذكر السيد محمد بن جعفر العيدروس	٧٧٠
ذكر الحبيب علي بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر	٧٧٠
ذكر ثناء الحبيب عُمر بن سميط في الحبيبِ أحمد	٧٧١
ذكر ثناء الحبيب سقاف بن محمد السقاف	٧٧٣
فصلٌ: في مدائحَ ومراثي في الحبيب أحمد بن الحسن الحداد	٨٠٩
فهرس الأعلام	٨٣٥
مصادر المؤلف	٨٦١
فهرس المحتويات	٨٦٥

❋ ❋ ❋

المواهب والمنن

في مناقب قطب الزمن الحسن

وهو مناقب الإمام الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد

(١٠٩٩ - ١١٨٨هـ)



